سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[السلطان محمود الظاهر بيبرس] ملك مصر والشام وقواد عساكره ومشاهير أبطاله مثل شيحة جمال الدين وأولاده اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى لهم من الاهوال والحيل وهو يحتوى على خمسين جزءا

الطبعة الاولى

المجلد الرابع

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد احمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨

المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٢٧

الجزء الحادى والثلاثون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] ولما تقدم ابراهيم بالمغربى قال له السلطان يا مغربى هذا الصندوق من الذى صنعه ولاى شىء فعلت كذا وصورت هذه الكيفية أنت كافر أو مؤمن احك لى بالصدق فقال المغربى يا سيدى أريد الامان فقال السلطان مالك أمان اذا كنت رأيت بعينى انك صانع صورتى فى صندوق وتامر الناس ان يضربونها بالناموسة فقال يا ملك الاسلام هذا فعل جوان أما أنا يا دولتلى مؤمن وان جوان من اغاظته من الاسلام وصل مدينة صور الساحل وبها ملك اسمه صورين وهو طايع ولكن اغراه جوان وقال له اصنع لك سبيلا يغفر لك المسيح فقال له وايش السبيل الذى افعله فقال له تعمل حماما وتصور فيه صورة كبير المسلمين وتجعل له مذلة للكرستيان يبقى لك الثواب ويرضى عليك المسيح ومارى حنا المعمدان فقال له خذ أمو الاعلى قدر ما تريد واصنع لى مثل ما تقول فأخذ جوان خزنة الف ومائتين كيس كل كيس الف دينار وأحضر المهندسين وأمرهم ففتحوا الجدران وصور لهم صورة حمام ارضيته من الرخام وقد زخرفها بانواع التصاوير وصنع له قباب وحيضان ومغاطس وآلة الحمام وجعل مدخله رقبة وصور فيها صورة ديوان الملك الظاهر وكرسى السلطان وفوقه صورة من الرصاص على هيئة السلطان وعلى يمينه ويساره الوزرا والديوان وصورة الامراء والفداوية جميعا لان جوان يعرفهم وجعل ذلك الحمام سبيلا على قبول المسيح وأمر الناس بالحموم فيه فاذا استحمى الانسان وعند خروجه اذا أراد ان يعطى أجرة يقولون له اضرب هذه الصورة بالناموسة فصار ذلك جاريا فى مدينة صور بالساحل [قال الراوى] وكان ذلك الرجل المغربى أسيرا فى مدينة صور عند البب صورين وكانت زوجة البب حاملة فقال له يا مسلم اذا وضعت امرأتى ولدا ذكرا منا احتفلت وأرسلتك الى بلادك بالعار وأعطيك من عندى شيئا تعيش فيه احسانا

فلما سمع المغربي ذلك صار يقوم في جنح الليل ويطلب من الله أن تضع زوجة الملعون ولدا حتى أوفت أيامها وأتاها الطلق كما يشاء خالق الخلق فوضعت ولدا ذكرا فعتقه وأعطاه الف دينار فأخذها واشترى له ثيابا لبسها ، ودخل استحمى في الحمام فامره أن يضرب الصورة فلم ترض ولم يقدروا أن يكلموه لكون البب عتقه فأخذ نفسه وراح لواحد معلم وأعطاه خمسمائة دينار وقال له اصنع لي صورة هذا الحمام في صندوق ويكون كل من نظر فيه ينظر كل ما جرى في الحمام ففعل له المصور كلما يجري في الحمام وأخذ الصندوق وسافر حتى وصل إلى مصر وجعلها فرجة العالم وقصد بذلك اشهار هذه البغية حتى يعلم بها السلطان وكان الامر كذلك ونزل السلطان مختفي فرأى الصندوق واخذ المغربي فحكى له ما جرى فقال السلطان وأنت دفعت خمسمائة دينار اجرة الذي صنع لك الصندوق .

قال نعم فأمر له الملك بخمسة آلاف دينار وكسر الصندوق وحرقه بالنار وقال السلطان لابد لي من المسير الى صور الساحل وانظر ذلك الحمام وأجازي الملعون صوربن بما يستحق ان شاء الملك الديان ثم انه أمر عثمان أن يحضر له العجل الادهم وركب وقال لابراهيم لم يتبعني أحد وسار السلطان من مصر حتى وصل إلى صور الساحل فدخل وسار الى الحمام ودخل استحمى فخدمه الحماميون خدمة تامة وأراد أن يعطي أجرة فكشفوا له عن الصورة وقالوا له اضرب هذه الصورة الناموسة فوضع يده على النمشة وضرب معلم الحمام قسمه نصفين فصاحوا عليه الحامية ومالوا عليه وقام الصياح في البلد على ما جرى كان السلطان أهلك كل من في الحمام وأقبلت النصارى من عند البب صوربن مع جوان وأرادوا أن يدخلوا على السلطان كان السلطان في خارج الحمام فصار يضرب في الكفار ضربات قاطعات ويطعن فيهم طعنات نافذات فصاح جوان ميلوا عليه فانه وحده وليس أحد معه لاجل أن يبقى لكم الذكر عند الحواريين هذا والملك يضرب في الكفرة اللئام بحد الحسام حتى مضى النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام بقي حوله بحر من الدماء والقتلى أكوام فجاءت رجله في جمجمة قتيل فوقع فانكبوا عليه وقبضوه باليد فاوثقوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف واذا بالامير خليل بن قلاوون صرخ من خلف السلطان وقال حاس وصار يضرب بالحسام وكان قصده أن يخلص السلطان فقاتل حتى كل وملّ ووهي عزمه واضمحل فانكبوا عليه وأخذوه أسيرا ومضوا به وربطوه مع السلطان فلما نظره السلطان

قال له من أين أتيت يا أمير خليل فقال امولانا أنت الوحتني بغفر من حل البحر

فرأيتك فاتبعت جرتك فقال ماشاء الله ياخليل والله ان خلصت بالسلامة لابد لى
أمنيك تمنية فقال يادولتلى ما أنا الا غرس نعمتك فعندها أخذهم الملعون جوان
وقدمهم قدام الملعون صورين فقال جوان منترم احسن من هذه النوبة ما يبقى ابدا
فأمر الملعون صورين بقتل الملك وخليل بن قلاوون فهم كذلك واذا ببنت مقبلة
وهى بنت البب وقالت له ياأبى انا كان لى اسير متولى خدمتى فمات واريدك أن
تعطينى أسيرا غيره يخدمنى فقال لها ياورد المسيح خذى لك واحد منهم فاختارت
خليل بن قلاوون لكونه صغيرا ثم اراد أن يقتل السلطان فقال له ياملعون أنا
الملك الظاهر كيف تقتلنى وورائى عسكر الاسلام فقال صورين يادين المسلمين هذا
فعل جوان ثم قال له ياأبانا جوان ان كنت تقتله ماتقتله فى بلدى فان بلدى لاتحمل
دمه ولا انا أقدر على عسكر المسلمين خذه واطلع به من بلدى وان بت فى بلدى
اطلقته منك واكلفك واسلمك اليه فاخذه جوان والبرتقش وطلع منصور الشامل
ووصل إلى قلعة البرابخ فدخل على صاحبها وكان اسمه المقدم جنطين وقال له ياولدى
أنا جئت لك بدين المسلمين ومرادى أن تسجنه عندك فى محل لم يعرفه أحد يموت فيه
فقال ياأبانا أنا عندى سجن اسمه سجن الحسرات فقال جوان هذا الاسم عمرى ماسمعته
الا فى هذه الساعة فقال له المقدم جنطين ان قلعة البرابخ بناها كاهن اسمه الحسرات
وكان جبارا دائما يغزى على فوارس النصارى وفرسان المسلمين والذى يقبضه لم
يقتله وانما يجعله فى هذا السجن وسماه على اسمه لاجل اذا مات يبقى اسمه وصار
يسجن الناس فيه ورصده بالجان ولايبيت فيه أحد الا يصبح محروقا والقلعة على سن
جبل والجبل على البحر من جهة الغرب وقدامها فى البر الشرقى حصن يمشى من القلعة
إلى حصن متركبة على مائة وثمانين بربخ من النحاس الاصفر والبحر فايت من قبلهم
اذا وقع فيهم انسان قطعه الطيار من عزم الماء وجريه والسجن تحت تلك القلعة ومات
الكاهن الحسرات وقد توارثوها ملك بعد ملك حتى بقى ذلك البب جنطين فحكى
لجوان على ذلك والملك يسمع

فقال جوان طيب أوضع دين المسلمين فقام الملعون وجنطين وسار إلى
السجن ففتحه وأدخل السلطان فيه فقال السلطان توكلت على الله ودخل فلما
قعد فى قلب السجن وإذا بالدنيا تمتمت وخرجت نار من حيطان المحل فقال السلطان
أنا مستجير برسول الله الرسول الصادق وقرأ قوله الحق وله الملك سلام قولا من
رب رحيم وإذا بقائل يقول ارجعوا ياخوتى هذا ملك الاسلام فتأمل الملك فرأى

ثعبانا ابيض مقبلا فقال السلام عليكم يا ملك الاسلام فقال وعليكم السلام يا خلق الله أنت من تكون فقال يامولانا أنا اسمى زعازع بن الملك الابيض وأنا واخوتى رصاد على هذا السجن واخوانى ألزمهم الكاهن الاقامة فى هذا المكان كل من نزل فيه يحرقونه بالنيران فقال السلطان حرام عليكم كيف تحرقون أهل الايمان يادولتلى غالب الذين يأتون هنا كفار وأما اذا نزل عندنا أسير نحمله إلى بلاده ونأتى بكافر فوضعه محله ونحرقه فاذا كان ثانى الايام فظروا الى بدن محروق لم يعلموا ان كان هو أو غيره فقال الملك اذا كان هذا فملكم جزاكم الله كل خير فقال والله ياملك الاسلام أحب ما علينا خدمة المؤمنين لعل الله أن ينجينا من هؤلاء الكافرين ونحن نريد أن نحملك ونردك الى بلادك ونأتى بغيرك نحرقه فقال السلطان ما أريد ذلك وإنما أنا مرادى أن تأتونى بفرش أقعد عليه طاهر حتى أصلى فرضى وتوة وا إلا شمعة تنور على الحبس وتأتونى طعام من مطبخى فقال سمعا وطاعة فقال الملك هذا الذى أريده ولا يقال أنى هربت من حبس الكفار فاحضر الفرش وأوقدله شمعة وراح إلى قلعة الجبل فى صفة الطواشى وقال للطباخ اغرف سفرة للسلطان فغرف فأخذها منه وسار بها حتى وضعها قدام السلطان فتعجب الطباخ وسكت وبعد المغرب أتوله بالصينية بعدما أكل السلطان فسكت الطباخ وفى صباح جاء بالصينية ومر بسفرة ... وشالها زعازع وهكذا يومين فلما دخل الأغا ريحان حكى له الواشى على ذلك الخبر فدخل على الملكة وأعلمها فكتب ورقة تقول يا سيدى أعلمنا فى أى مكان فكتب الملك رأى الورقة اعلموا اصل اعاقى فى مدينة صدر الساحل وأخذونى فوضعونى فى ... حصن البراخ وها أنا محبوس فى سجن الحسرات وأن الله سخر لى هذا الاخ زعازع الرياح وهو الذى يأتينى بالطعام من عندكم ووضع ... على الصينية تحت ... زعازع ... بهذه المراسلة

[قال الراوى] وأما جوان فانه أصبح يقول يا برتقش بيبرس انحرق فقال البرتقش من قال هذا فقال جوان كل من بات فى سجن الحسرات يموت فقال البرتقش إذا كان بيبرس يموت ومن رايح يقطعك على العربية ... يحرقك بخزنة الكلاب فسار الى ... ووصلوا الى السجن فرأوه نورا فنادى جوان وقال ياملك المسلمين فقال السلطان مالك ياملعون فقفل جوان باب السجن وهرب وكان باب السجن تحت أبراج ... ماجرى لما خليل بن قلاوون لما أخذته بنت ابيه ... يوم نظرته وإذا هو يصلى فقالت له لاى شىء ... فى أرضى فقال له

علمنى حتى أصلى فقال لها أولا اسلمى وكان قصدها الاستهزاء بالصلاة فعلمها الشهادة والاسلام فأسلمت وطلبت أن يتزوج بها فقال لها أما أنت فمن المقصود ولكن ما يصح زواجى بك إلا إن كان فى بلادى بين عساكرى واجنادى واما أن تزوجتك هنا وعلم أبوك وجوان يقتلونا ولا نبلغ مقصودنا فقالت له واى شىء يكون العمل ولا بقى لى هنك صبر ولا سلوان فقال لها أنا من هذا المكان لا يمكننى الطلوع وإنما قولى لابيك أنا مرادى أرسله ينذر إلى القمامة القدسية وتعطينى حصانا يكون من الخيول العربية فعندها قامت البنت إلى أبيها وقالت له اعلم انى اريد أن ابعث أسيرى إلى القمامة القدسية ينذر متى يعطيه للبترك ويأتينى بشربة من عين سلوان فاكتب له تصريحا بعدم المعارضة واعطى له حصانا فكتب لها حكم ما طلبت وامر له بحصان ولما كان ثانى الايام أراد ان يركب فقالت له يا سيدى انا خائفة منك ان تصل إلى بلادك وتنسانى وابقى متحسرة فقال لها وحق دين الاسلام لا ادخل بيتى ولا اقعد على فراشى إلا إذا كنتى معى فصدقته وركب وسار طالبا مصر بعد ما سألها قال هل تعلمى حبس ولاة السلطان فقالت له نعم فى قلعة البرانخ عند الب جوان فلما سمع ذلك الكلام ودعها وركب وسار حتى وصل إلى مصر ثم دخل على محمد السعيد اخبره ان اباه فى سجن قلعة البرانخ وهو سجن الحسرات وإذا بالاغا جوهر دخل السراية ومعه كتاب السلطان فقال الملك محمد السعيد من الذى أتاكم بهذا الكتاب فاخبره بالسفرة التى تروح اليه فى كل وقت وارسلنا نستعلم منه بارسال هذا الجواب فتعجب الملك محمد السعيد وامر [illegible] ان تاخذ اهبتها للسفر وبرزوا الى [illegible] فقال المرضى [illegible] دام حتى حط على سور [illegible] ارسل المقدم ابراهيم بكتاب إلى اللعين صورين فدخل ابراهيم وقال [illegible] فقام اليه الب صورين وقال هات الكتاب فقال ابراهيم اصحى تغالط فامزقه [illegible] مشاكرية فقال انا لست بعاصى على السلطان حتى شرط كتابه فاعطاه الكتاب فاخذه وقرأه فوجده مكتوبا من حضرة الملك محمد السعيد إلى الكلب صورين يا ملعون ان السلطان الذى عندكم حبسته بامر جوان فاطلقه حالا وإلا هدمت بلدك على راسك واهلكت اهلك وان كنت طائعا تأتى عندى معلقا سيفك فى رقبتك وان كنت مخالفا دونك والميدان وحامل الاحرف كفاية كل حرب ان لم يجىء بك طوعا يجىء بك قهرا عنك والسلام فطوى الكتاب واعطاه لابراهيم وقال له [illegible] السلطان محمد السعيد وقام هو بنفسه [illegible] استعلى [illegible] ابراهيم فى الطريق

فلما نظره الملك محمد السعيد قال امسك فقبضه ابراهيم فقال صوروين أنا طائع السلطان فقال له السعيد وأين يا كلب الذى أنت طائعه لو كنت طائعه ما كنت تسلمه إلى جوان يرديه إلى قلعة البرابخ ويسجن فى سجن الحسرات وها أنا رايح اليه حتى أخلصه فلما تبقى قدامه ان شاء يقتلك أو يعفو عنك ويسامحك ثم انه أمر بالتحفيظ عليه وشال بالعرضى حتى حط على حصن البرابخ فخرجت عليه المدافع فمنعوه على قدر رمى النار فنصب العرضى وفى ثانى يوم أراد أن يكتب كتابا ويرسله وإذا بالمقدم جنطين برز وفتح باب القلعة ونادى يا مسلمين أنا المقدم جنطين أنا الذى حبست ملككم فى سجن الحسرات فإن كان قصدكم خلاصه فدونكم والحرب

[قال الراوى] فما تم كلامه حتى صار الأمير أيدمر البهلوان قدامه وقال له دونك والقتال فقاتله ساعة زمانية وكان الملعون جبارا وأيدمر ما هو من رجاله فأخذه أسيرا ونزل بعده علاء الدين أسره جنطين وما تم النهار حتى أخذ خمسة أمراء وثانى يوم خمسة وثالث يوم أخذ خمسة وطال الحرب ثمانية أيام أخذ أربعين اميرا فتضايق السعيد فقالت الرجال بكره الحرب علينا يا ملك لا يضيق صدرك فنحن نفديك بأرواحنا ولا نبخل بأرواحنا عليك فقال لهم على مدة أبى كان الحرب عليكم واليوم على الأمراء وأنتم فى هذه النوبة يا رجال ارتكنتم على الأمراء وما هى عادتكم فقالوا له نحن لا نتأخر يا ملك وإنما الأمراء الذى بقيت تتبع بعضها وإنما أنت تمنع الأمراء عن الميدان ونحن نقاتل حتى تطير رؤسنا ولا نتكل على غيرنا هم فى الكلام وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل فقام السعيد وسلم عليه وقال يا عم أدركنا ما أنا فى انتظارك فقال مرحبا بك يا ملك محمد السعيد وها أنا جئت والله يفعل ما يشاء فى هذه الليلة ان شاء الله يحصل كل خير وها أنا رايح أتوكل على الله

[قال الراوى] ولما قدم المقدم جمال الدين وحكى له السعيد فنزل المقدم شيحة من قدام السعيد ووصل إلى البحر وقلع ثيابه ووضعهم فى جرابه ونزل فى البحر فجذبه الطيار وكاد أن يعطبه ويورثه الدمار فتعلق فى بربخ من البرابخ ولولا ذلك لكان هلك ولكن نجاه الله تعالى بقدرته وندم شيحة على نزوله فى البحر ولم يجد ملجأ وحار فكره وقلت حيلته فرمق بطرفه إلى السماء وقال يا عظيم العظماء يا من علم آدم الأسماء يا من فرق بقدرته بين النور والظلام يا من بسط الأرض على تيار الماء يا من بحكمته بغير عمد رفع هذه السماء إلهى أنت تعلم ما نحن فيه فنجنا وانصرنا إلهى إنك أنت لا تخلف الميعاد فما تم دعاءه حتى أقبلت شرطية من الجريد على وجه البحر وهى قادمة عليه والذى فى قلبها يتلوا فى الذكر ويقول

جل الذى يعلم بحال العالم ... جعل منهم هالكاً ومنهم ناجى
وكون الاكوان باحكام صنعه ... نور النهار والليل مظلم داجى
وخلق خلائق ما أحد يحصيها ... والاصل فيهم نطفة أمشاجى
وارسل ختام الانبياء يهديهم ... الى رشاد الصدق والمنهاجى
واجرى بحارا من بحر غامض علمه ... عذب فرات ثم ملح اجاجى
يا ربنا تنعم لنا من فضلك ... ويكون كلنا من عقابك ناجى
بحق طه من حظى بالاسرا ... وقد دنا فى ليلة المعراجى

[قال الراوى] فتأمله شيحة واذا به سيدى عبد الله المغاورى فقال له الحقنى يا سيدى فقال سيب البرابخ وتعال عندى فان الله حكيم بصير يهون علينا العسير فقبض المقدم جمال الدين فى الشوطية جذبه الاستاذ واطلعه عنده وقذف الى تحت البلد وقال ارمى يا جمال الدين حبلك واطلع وتوكل على الله فرمى المفرد فاشتك فى اعلى الصور وارخى الاكرة ونزل فحكم نزوله قدام القاعة التى قاعد فيها الملعون جنطين فلقاه قاعد مع جوان وجوان يعده بأنه ينصره على جميع المسلمين فقال جنطين يا ابانا طول ما أنت عندى أنا عارف انى منصور ولكن قلبى مشغول فقال جوان افرح هات لك امرأة تغنى واعلمها جنانه ولا تخف فقال جنطين يا ابانا أنا بدى اسلى نفسى وعندى رجل شابردى طلبته يسلينى فلم يرض يجى. فقال جوان عيب عليه إذا ما رضى أن يجى. وانت حاكم عليه هاته بالغصب فأمر أن يحضروا له الشابردى حالا فلما حضر ميزه جوان رآه صحيح شابردى فقعد يغنى ساعة وبعد الساعة طلع ينلين فدخل عليه شيحة وهو الكنيف بنجه وذبحه وقطعه بعد ما اعرض عليه الاسلام فابى فرماه قطعا فى الكنيف وراح على البحر المالح وأما شيحة فانه تنكر فى صفته ودخل فقال جوان أنا قلبى طب فقال له البرتقش انت لا تقول اطول عمرك الا فى النحوسات من خوفك (ياسادة) وكان البرتقش عرف أن الشابردى تغير لكن شايف من شيحة انه إذا تكلم مسير شيحة يخلص وإذا وقع البرتقش فى يده مسلخه فرالس على جوان وقال يا جوان إن كنت متزاول من الشابردى والاسم الاعظم هو بذاته فاطمأن جوان وغنى الشابردى ودارت الخمر حتى ملك من المجلس الفرصة وبنج الخمرة بنج شغال ودار الكاس حتى ناموا جنب بعضهم فنزل شيحة الى السجن فقال زعازع الحمد لله الذى آن الاوان ودخلت عندنا يا مقدم جمال الدين فقال شيحة لاى شى. فقال يا مقدم جمال الدين أن رصد خدمة خواتى فى ذلك الى حين دخولك أنت فيه وبعدها يفك الرصد عنا ولم تبق لنا خدمة فى هذا المكان فتقدم شيحة الى

السلطان وقال له قم بنى اطلع نقام السلطان ومشى مع المقدم جمال الدين وفك الرجال المحبوسين وأرادوا الطلوع وإذ باب السجن مغلوق والدنيا ظلام فلما رأى شيحة ذلك قال من الذى وقف على الباب فقال له اخرس ياقصير هذا قبرك قليل ان بقيت تطلع منه واعلم أنى أنا الهول بن شاكر والاسم الاعظم يا قرار ان لم تعطى حجة بالسلطنة لاجمع عليكم أهل هذه المدينة وأقول لهم هذا شيحة فقال شيحة ياهول أنا أعطيك حجة بالسلطنة لانى أنا والله زعلت منها فقال المقدم الهول هات حجة فقال له ما معنا دواة ولا قلم فقال الهول هذه داعية فارغة هذه الدوايا والقلم واكتب ويختم الظاهر بلا حجة فكتب المقدم جمال الدين تموه جمال الدين شيحة بالسلطنة الى المقدم الهول والسلطان ختم وناولوها له من الباب ففتح الباب وولع شمعة ونظر الورقة فرأى الحبر أخضر فتعجب وقال هذا ما هو حبر ووضع أنفه فشم رائحة زكية وانقلب فكتفه وأدخله فى السجن الذى كانوا فيه وشمه ضد البنج ففتح عينيه فرأى نفسه مكتفا فى قلب السجن ورأى شيحة وفى يده السوط الغضبان فوقع الشرط على ضربه بالسوط فلم يطقه وطلع السلطان والأمراء فصاروا يضربون فى البلد بالسيف وأما شيحة فانه صار خفيرا على جوان حتى ملكوا حصن البرابخ وقدم شيحة الملعون جنطير قدام السلطان فلما نظر السلطان اليه قال يا ملعون هذا السجن الذى تهلك فيه خلق الله هات يا مقدم إبراهيم رأسه فضربه المقدم طير دماغه وما طلع النهار الا والسلطان على كرسى القلعة وتقدم له خليل بن قلاوون وقبل أيادى السلطان وقال ياملك الاسلام ان بنت جنطير ورد المسيح أسلمت وأنت يامولانا أرعدتنى أن تنعم بها على فانعم على مولاى أن ينعم لى بها لانها صارت مسلمة فقال السلطان هى لك وكل ما فى سرايتها وسراية أبيها لاجلك يا أمير خليل انقلها فى خيمتك هى ومتاعها فنقلها خليل وأمر له السلطان بجميع فرش السراية وأمر السلطان عساكره بالرحيل وحط على صورين الساحل وطلع الملعون صورين وقال له هذه بلدك وانا حطيت عليها ثم انه دخل السلطان على صور الساحل وامر بصلب الملعون صورين عليها وضربوه بالنبال واحضر وزيره وقال له انظر الى هذا الملعون صورين لما طاوع جوان وصنع له حماما فان اعتبرت سرت فى ادبك والا مثل ما صلبت صورين اصلبك فقال سمعا وطاعة ثم انه احضر كبراء البلد من تجار وقسيسين ورهبان وبتاركة وشماسة وامرهم ان يحضروا حتى يطأ رؤوسهم وامرهم ان يدخلوا الحمام ويطلعوا الصورة التى هم صنعوها ويضعونها على كرسى ويقبلونها فقال السلطان كل من تأخر اقطع راسه ثم هدم الحمام وبعده رفع الصورة

حوابطلها واخذها الى مصر يكسرها بيده وسافر بالعساكر والهول بن شا ار ا يكتب اسمه فى دفتر المقدم جمال الدين من جملة الفداوية وامره السلطان ان يروح الى قلعته ويقيم تحت الطلب ووصل السلطان ارض مصر ودخل بالمركب مثل العادة وطلع قلعة الجبل وجلس على التخت يتعاطى الاحكام كامر النبى عليه السلام مدة ايام

[قال الراوى] الى يوم جالس واذا ستة وثلاثين مقدم لابسين سلاحهم ويفتخرون بما هم فيه من القوة والشجاعة فقال المقدم ابراهيم قبلوا الارض فلم يلتفتوا الكلامه والكبير فيهم قال له مالك يا حورانى فقال ابراهيم قبل الارض ولا تكثر الكلام فقال السلطان يا مقدم ابراهيم اسكت ما لك بهم دعوة فسكت ابراهيم ولكن مع الغيظ ثم ان السلطان امر لهم بالكراسى يجلسوا عليها فجلسوا فرحب السلطان بهم بعد ماقعدوا وقال لهم اى شىء تريدون فقال كبيرهم معى كتاب من سلطان الدنيا الذى له الف جد فى ملك الدنيا سلطان ابن سلطان الى حد آدم ابو البشر فقال اظاهر هات الكتاب فأطلع له كتابا وقرأه السلطان يجد فيه من حضرة سلطان القلاعين والحصونين الى بين يادى ايادى بيبرس ملك مصر والشام انا رضيت بك انك تكون سلطانا على مصر من تحت يدى . اما سلطان القلاعين الذى انت جاهله على الفداوية فانه لاحق له فيها جملته فهو الا اذا كنت انا موجود فحمل وصول كتابى هذا اليك مع كبختق ر تواسه فان قبضت على شيحة وتضعه فى الحديد وترسله اما مع كبختق حالا والا ان كان بمصر عليك تبضه حالا فها انا واقف منتظره فى العادلية فترسله مع رجل معتمد من طرفك وانا اتسلمه وافعل فيه خلاصى فان فعلت كان ذالك الحظ الاوفر وان خالفت . الاسم الاعظم انزل عليك البلا واذبحك . انت ، اقد جنب حريمك . ها انا قد حذرتك والسلام وان اردت ان تعرف اسمى اجلالا لقدرى انا المقدم حسن المنفى سلطان الدنيا أجمعها من اولها الى آخرها

[قال الراوى] فلما قرأ الملك الكتاب قال يا مقدم شيحة فى هذا الوقت ماهو موجود وانما انتم توجهوا سلموا لى على سلطان القلاعين والحصونين وقولوا له ماقعد شيحة فى السلطنة الا لما عدم وجودا واحدا مثلك يخاصمه ومن حيث انك قد حضرت فانتظرنى بوم او يومين وانا ارسل لك شيحة بالقيود والاغلال والباشات الثقال ثم انه صرفهم بسلام ونزلوا من الديوان واذا بالمقدم جمال الدين طلع فلقاه السلطان واجلسه وحكى له على الذى جرى فقال له شيحة حالا قم وامر ابراهيم وسعد يقبضون على ويحطونى فى الحديد والسلاسل وانا اصطفل معه فقام السلطان وامر ابراهيم وسعد فقبضوا عليه ثم انه وضعه فى الحديد وقال يا امير ايدمر خذ شيحة هكذا

واطلع به العادلية وقل أين هو ملك القلاعين فاذا حضر بين يديك سلم له شيحة وهات منه جواب التسليم فسار ايدمر البهلوان حتى وصل الى العادلية وصاح أين أنت يا سلطان القلاعين وإذا بغبرة انعقدت وظهر من تحتها حجرة دهمة مثل ليلة ظلمة وعليها فداوى كانه أسد من الاسود أو عامود وصاح عليه وأخذ شيحة منه فقال هات رد الجواب فقال له امرق ياقران فرجع الامير ايدمر الى السلطان وأخبره بما جرى وكان فقال السلطان اقعد أنت بقى فقعد [قال الراوى] وأما المقدم حسن المنيفى فانه وضع شيحة قدامه على الحجرة وقال له سلامات ياشيحة فلم يرد عليه فقال له رقعت ياشيحة فسكت شيحة فاغتاظ الفداوى من شيحة وسار به ليلا ونهارا حتى وصل الى قلعته وقال اشهدوا لى يا رجال هذا شيحة الذى أطاعوه بنى اسماعيل فى غيبتى وأنا فى الحجج تقبضت عليه ومرادى أن أضيمه وأقطع راسه لاجل أن غيره لايتجاسر على مثل ذلك فقال له باش الكواخى يا خوند اعلم أن شيحة ضيمه ابن حسن فى قلعة حوران وجاء له براس ثانية ابسها وجميع الرجال يعرفون أن له الف جسم غير الزوائد وأنت اذا قتلت هذه الجثة بكره يأتى اليك فى جثة غيرها مثل الثعبان تدق راسه يستحى ذنبه وله أولاد اشطر منه كل واحد منهم أسرق من فار فقال ماانقتله اجمع الشوحات واقتلهم فى فرد مرة وإلا ان قتلت شيحة احد يجىء لك غيره فقال فى أين الفائدة احبسه حتى يقع باقيته واقتل الجميع فقال صدقت ثم أمر بحبس شيحة وتوكل هو بغفره فقعد شيحة يقول وانا كنت فى اى مكان وهذا الشيطان فى أى مكان وإذا بالكيخية الذى كان يكلم المقدم حسن المنيفى داخل عليه وقادم ومعه طعام وكان هو الساقى فاطعمه وبعدها قال له قم بنا لما تقبضوا على هذا الذى جانا فى آخر السنين فسار الى باب السجن وإذا هو مقفول والمقدم حسن المنيفى واقف على الباب فقال أنا غفير عليك ياشيحة اجمع بقية الشيحات الذين عندك حتى أقتلكم جميعا فى يوم واحد وهذا قبركم حتى تلاقوا ربكم فقال الساقى بكره يجىء لك الفرج القريب من الرب المجيب قال لما يجىء لك الفرج والله يا قران لابد من سلخك من بويضاتك واحرمك تشم للدنيا نسمة الهواء ثم انه صاح على رجاله فحضروا بين يديه فقال لهم يارجال انظروا شيحة بقى شوحتين والاثنين مثل بعض ثم انه أمر بطلوعهم محل مجلسه فأطلعوهم إلى بين يديه فحط يده على شكريته وقام على قدميه فقال له ابرهه وكان اسم المقدم على المنيفى يا خوند هذان اثنين وبقى لهم لساقية اصبر حتى ننظر ما يأتى بعدهم فقال اضمهم فى الحبس يأتيهم شوع ورا ع كل ساعة إنما خليهم هنا قدامى حتى يأتى من يخلصهم ابقى أنظره ثم طلب الطعام فقدموا له الطعام وأكل

الكواخى معه وبعد ذلك طلبوا آنية المدام فلما حضرت قال يا شيحة أين السلطنة التى أنت فيها عمرى ما رأيت سلطان يرتمى هذه الرمية ويصبر فقال شيحة خذ حقك كيف تشاء وبعده دارت الكاسات وشربوا جميعا فانقلبوا إلى الارض وكان الذى بنجهم المقدم نورد وقال له قم يا أبى ويا أخى وتقدم اليهم فكهم . كتف حسن المنيفى وأخذه وطلع به من القلعة وسار به إلى غابة وشيحة وقال حتى أعرفه مقامه فان الشيخ الذى ماله كرامة تهينه العامة ودخل به إلى مغارة وشيحة بين أربع شياحات رشممه ضد البنج فافاق يجد نفسه على رأى من قال :

داري أساباك واظهر يا فتى لطفك

رقزه النفس وارخ الهم عن كتفك

لو كنت ماسك ختام الملك فى كفك

يجرى القلم رغم من أنفى وعن أنفك

[قال الراوى] ففتح عليه المقدم حسن وقال من ربطنى هذا الرباط قال شيحة أنا الذى ربطتك وشبحتك وقصدى أؤدبك لانك قليل الادب وتستحق التربية فقال له أنا أستحق السلطنة ماهى التربية فقال شيحة إذا كنت طالب السلطنة من طلب نفسا فليخاطر بنفيس وأنت تريد أن تأخذ سلطنة القلاعين بلا تعب فهذا أمل بعيد لان الرجل ثقل الجمال اسى تسير بثقل الاحمال فان كان فيك صبر لهذا السوط الخضيار اقى اعمل نفسك سلطان فقال المقدم حسن المنوفى ياقران أنا مايكيد فى سوطك ولا غير سوطك فال عليه شيحة بالسوط الخضيان لما يعلم به انه جبار حتى مزق كل جلده وغاب حسن المنوفى عن الدنيا وبعد ذلك دهن له بدواء حتى يرد عليه الضرب وقال له يامقدم حسن اعقل وطع إلا والله أعدبك عذابا عمرك ماقاسيت مثله وأدخلك بلادى النصارى ويبقى السك فيك من كل كافر ولم تجد لك مساعد ولا نصير فقال له فشرت يا ابن الملتفة فقال له ولاى شىء نقل أدبك أنا أكلمك بالكمال وأنت تكلمنى بالسفه ولكن درحبابك وعراه ثانيا وضربه ثمانين سوطا حتى سال دمه من سائر بدنه وبعدها دهنه حتى أفاق ورد بدنه فقال له يا شيحة أنت من خوفك اقمت بى فى هذه المغارة فقال شيحة أنا طالب الك الستر ولكن ما بقيت أضربك إلا أخلى النصارى يضربونك لانك مغرور ثم انه أخذه بعد ما بنجه ودخل إلى دير الشمانين وقرأ قداس فتتركوا به سكان الدير فقال لهم أنا كنت نائما فى الطريق فأتانى واحد سراق من سراق المسلمين وأراد أن يقتلنى لانى ما أنا مقيم فى بلادى فاستجرت بالحوارى فى مسكه فمسكه وسلمه لى ومرادى يا أولادى أربيه يبقى إذا راى مثلى

لا يؤذيه فقالوا يا ابانا متره فقال إذا منترته يكون له اهل يأخذون ثاره من الكرستيان وسفك الدماء حرام فى جميع الأديان وإنما أؤدبه احسن لاجل ان يعلم ان علماء الملة يقدرون عليه ثم انه فيقه فنظر فوجد نفسه فى قلب ذلك الدير فصاح بالنصارى اعلموا ان هذا شيحة قتلوه قبل ان يقتلكم فقال له كان تنجس اسمى ولا تخف من المسيح وكفرت يا كناس بما تتكلم فى اسماء البتاركة وتجعلهم مسلمين فاغتاظ الذين فى الدير وقالوا يا ابانا ما تريد ان تفعل فيه قال اريد أؤدبه ثم انه شيحه بأربع سكك حديد واطلع السـ ط القضبان وضربه ثمانين ووضعه فى السجن وبات إلى نصف الليل وقام يدور على الذى فى الدير بنارجة ملآن بخور كل من شمه يرقد حتى رقد الجميع وفتح باب الدير وخرج بالمقدم حسن المنوفى وإذا بأربع مقادم مقبلون من بحيرة يغره ومعهم جوان والبرتقش الخوان فهجموا على شيحة وقبضوه واطلقوا المقدم حسن المنوفى فلما نظر المقدم حسن انه خلص على يد جوان فقال والله ياشيخ جوان زرعت جميلا فى ارض طيبة فلم انس هذه الجميلة أبدا فقال جوان أنا كم اعمل جمايل ولا اشكر مع المسلمين ولكن يا مقدم حسن إذا شنقت شيحة تبلغ سلطنة القلاعين واما طول ما شيحة طيب فما تنال غرض ولا تشفى مرض فقال شيحة يا ملعون ولما اتشلق أقام من الذى يقطعك على العربة كما تعلم فى كتاب اليونان فقال جوان انعزم كتاب اليونان ثم انه جر شيحة فى جنزير حديد وساروا به إلى دير الترويد فدخل جوان فرأى فيه اربعين شماس وأربعين راهبا وأربعين أسقف وأربعين بطريق واربعين جاتليق ومن كل شىء اربعين وعلى الجميع اربع بتاركة مقيمون فى ذلك الدير حاكمون عليهم فلما دخل جوان ونظر إلى ذلك العالم فقرأ لهم قداس وهو يغلط ويلحن يستاهل من يلعنه فى الحياة وبعد الممات فقال له البتاركة يا جوان انت لم ترد علينا من دون الديورة ولم تزورنا لأى شىء مع اننا نعرف قدرك فقال البرتقش جوان دائما يسعى فى الجهاد فى دين المسيح فقال له ونحن مرادنا ان نكتسب لنا غزوة فى الجهاد ولكن ما لنا احد يقوم معنا وإذا طلبنا ملوك الروم ان يغزوا معنا لم يقبلوا إلا كلام جوان فقال جوان انا حضرت واكون معكم حتى تجمع الملوك وتملكهم بلاد الاسلام ثم انهم حبسوا شيحة فى مخدع واطلقوا البخور فى الدير وقعدوا يقرأون الانجيل وكذلك جوان قرا لهم شرح بواص على العربية وبعده ثقلت رؤسهم فناموا فقام البتاركة ذبحوا الثلاثة المقادم وشنقوا الرابع على باب الدير واخذوا المقدم حسن المنوفى وجوان والبرتقش وساروا إلى مصر فقدموا حسن المنوفى قدام السلطان فقال له السلطان يا مقدم حسن انت متعدى من الأصل وما انت قاسيت من شيحة هذه المقاساة واى شىء قصدك بعدم الاطاعة

فقال المقدم حسن فشر شيحة والله ان قطعني ما أطيعه أبدا ودعه يفعل كلما أراد فقال
السلطان احبسوه فقال المقدم حسن الحبس ولا الاطاعة فقال شيحة والاسم الأعظم
ان دخل حسن المذرفي الحبس لم يطلع منه إلا على دكة الغسل فقال حسن بخاطرك رضيت
بذلك فنزل حسن المذرفي إلى الحبس وكذلك مسكوا جوان وضربه شيحة حتى طير جلده
ووضعه في سجن العرقانة وكان لجوان غلام أجبل من قرد وأسرق من فار يقال له
جن بن يخشب البرمني وكان حاضرا في الديوان مختفي وناظرا لشيحة لما ضرب جوان
فنزل عليه ليلا وفتح سجن العرقانة وأطلقه هو والبرتقش ولما طلع به إلى الخلا قال له
أنا كنت أظن أنك عالم الملة الكرستيانية وأمرك نافذ ولا أعلم انك مسكة للمسلمين
فقال جوان هذا من جملة الجهاد في طاعة المسيح لأن جوان مقسوم له من الهاوية النصف
فيها ومن سقر الثلثين فلا ينال الباقي حتى يأكل من شيحة ضربا مثل هذا لكن ياولدى
في هذه النوبة أخرب بلاد المسلمين ثم انه أخذ البرتقش وأمر المقدم جن أن يروح
إلى بحيرة يغره وجوان يقيم يحث على مكايد الاسلام وأما السلطان فانه أقام في
في القلعة يتعاطى أحكام السلطنة مدة أيام إلى ليلة من الليالي طلع إلى السراية عند الملكة
وكان ليل صيف والقمر منشور على الأرض فنظر السلطان فسمع إنسانا يذكر الله
فوق الجبل فقال السلطان لا شك ان هذا من أولياء الله الخواص وإلا هو هذا قطب
الدايرة الذي يقال عنه انه صاحب الوقت والله من دعى له هذا القطب دعوة فانها تستجاب
عند الله تعالى ثم ان السلطان قام إلى باب السراية وطلع إلى حوش القلعة وخرج من
باب السر النافذ إلى جبل الجيوشي فلما نظر إلى الذي يذكر الله تعالى وإذا به رجل اختيار
له شيبة إلى حد حزامه وقدامه واحد ماسك ابريقا ولما نظر إلى السلطان فهام في الذكر
واستغرق مقدار ساعتين وبعدها قعد وقال يامنصور هات لي الابريق فقدم له منصور
تابعه الابريق وقال الشيخ يا منصور اشرب لأجل أن تكتب من الشعراء فان الماء
هذا من ماء الكوثر أتانا هدية من الله على يد صاحب الخطوة فقام منصور وشرب
وقال للسلطان تشرب يا سيدي فقال السلطان طيب فقال الشيخ شرب من هذا الماء
باجازة منا فشرب السلطان وتبنج وكان هذا جوان فكتف السلطان وحمله على حمارته
وسار به ليلا يقطع البراري والقفار فما أصبح الصباح إلا وقطع بلادا ولما أمن على نفسه فيق
السلطان في قلب غابة ونظر السلطان اليه وقال جوان فقال مالك جوان شيحة أهلكني بالضرب
وأنت لا تقتله ولا تمنعه هل ترى أن الدنيا هذه كلها لك أنت وشيحة ما أحد غيركم يأخذ منها
شيئا وجوان كلما يدبر عليكم مبلكا تنفذ منه وملوك الروم كلها تخاف منكم وهذه النوبة آخر

عمرك ثم ان الملعون جوان حط يده على خنجر وأراد ان يذبح السلطان فقام اليه البرتقش وقال له ارجع يا جوان وحق دين الاسلام اذبحك أنا وأروح الى المسلمين وأقول كلمتهم واتبع ملتهم فاغتاظ جوان وقال يا برتقش ويهون عليك أنى أنا ربيتك والمسلمون يقطعون جوان فقال البرتقش الوقت للساعة يدرى وانما أسامحك على كل ما تعمله الا سفك الدماء لاننا وقعنا فى أيديهم مرة بعد مرة فلو أرادوا قتلنا كانوا يقتلونا وأنت اذا قتلت ملك المسلمين فضيحة لا بد يقتلك و يقتلنى معك ويقول كتاب اليونان انفسد فعند ذلك قال السلطان يا برتقش ان كان جوان يريد قتلى دعه يفعل ما يريد فقال البرتقش لا وحق دين الاسلام فعند ذلك بج السلطان وأخذه وسار به يقطع الاراضى والقفار وهو يمشى بالليل ويكمن بالنهار حتى وصل الى السويدية فادخله فى مخدع لم تهتد اليه الشياطين وطلع الملعون جوان الى البحر وأشرف على القراطين فالتقى قبطان فسأله عن بلده

فقال له يا أبانا أنا من مملكة عمورية الكبرى وهى بلاد وبها جزاير تزيد عن ثلاثين مدينة كل مدينة فيها ملك والحاكم على الجميع ملك عمورية الكبرى والملك الذى فيها اسمه البب عامرين وجميع الملوك تورد له الخارج والعداد ولا يخافون من أحد ولا يستطيعون الا الملكهم عامرين لانه ملك جبار قوى وعنده عساكر لا تعد ولا تحصى بعدد الرمل والحصى وهو يتمنى أن يرى عالم الملة الروم فانه مشتاق الى رؤيته حتى يبارك له فى بلاده ومدينته فالتفت جوان الى البرتقش وقال يا برتقش أنا عمرى ما دخلت مدينة عمورية فقال البرتقش يا أبانا وأنا أعلم ان هذه المدينة عمرها ما خربت ولا دار فيها السيف فقال جوان وعمرى ما رأيت الملك عامرين ولا نظرته فقال البرتقش وعمره ما ضربت رقبته ومتى ما حل ركابك فى مدينته ضربت رقبته وسلبت نعمته وخربت مدينته فقال جوان لاى شىء فقال البرتقش الملوك المرتاحون لم ينظروا طلعتك ومتى رأوك فى بلادهم فنيت عساكرهم وأجنادهم فقال جوان الى لعنة المسيح ثم انه نزل فى ذلك الغليون مع ذلك القبطان وأخذ معه السلطان وصار يطعمه ويسقيه والسلطان صابر على الزمان وما يتأتى فيه حتى وصل الى مدينة عمورية وطلع البرتقش ونادى فى شوارع مدينة عمورية يقول يا أبناء النصارى وعبادين الملة المسيحية حكم ما أمر عالم ملة الروم والامر المختوم البركة جوان لا تأكلوا الا من لحم الخنزير ولا تبخروه الا بدهن الخنيس ولا تشربوا الا بشراب الخمر العقار وأباح لكم زواج الام والاخت والبنت والعمة والخالة والجدة الا بنت العم بنت الخال و بنت الخالة و بنت العمة

زواجهم حرام وسمع لكم جوان فى ملة الكرستيان حتى بقى يرمح فيها البغل والحصان تدخلوا سقر فى أمان ببركة عالم الملة جوان وان جوان اتكا على عكاز من الابنوس وسار وهو عمى يقرأ قداس ويغلط ويلحن ومن جملة ما قال هذا الموال

يحق من بعد الممات قمصا وكان فى حياته يقبصا
وكان يمشى فى الهواء متقرفصا وفى خطاه راعيا يترقصا
من غير منخاس ولاضرب العصا هذا حمار المارحنا المعمران
من اجتهد فى ملة الكرستيان أخذ ثلاث ارباع سقر ويجوز كان
وربعها الباقى يكون لجوان والمارية ملكا له متخصصا

[قال الراوى] لما سمعت ابناء النصارى جوان ذلك القداس الذى عرهم واسمعوا امثله فاجتمعوا من كل جانب وكل منهم الى ناحية جوان طالب وقالوا له بارك لنا يا أبانا فصار كل من أتى له يضربه بالناموسة فرح حتى تعب جوان وبعده قال يا برتقش امنعهم عنى فقال لهم البرتقش امتنعوا عنه والا اذا رحتوه يسيح وتعدموه والذى اتابه بركة فيبارك لرفيقه وبعده طلع جوان الى قدام البب عامرين فقام اليه وأجلسه بعد ما قبل يده فقام له جوان يا بب اعلم ان الواجب عليك الغزو والمجاهدة فى دين المسيح وتحارب المسلمين حتى تملك بلادهم وتهلك أجنادهم فقال البب عامرين يا أبانا وأى شىء فعلوا فعلوا معى المسلمون حتى أجازيهم على فعالهم لو كانوا حاربونى كنت حاربتهم ولو كان شىء اوجب قتالهم كنت قاتلتهم فقال جوان أنا جئت لك بملك المسلمين وخليت المسلمين مثل غنم بلا راعى فاركب أنت بعساكرك وازحف على بلادهم فان البلاد بقيت خالية من ملك المسلمين فقال البب عمرين واين ملك المسلمين قال عندى فى الغليون قم اركب واطلع الى برى البلد واعقد موكبا ومشيه قدام موكبك حتى تأخذ به الفخر على ملوك الروم لكون أنهم عجزوا عنه وأنت الذى مشيته فى بلدك وقدرت عليه فلما سمع البب عمرين ذلك قال يا جوان وأى فخر لى عند الملوك لو كنت أخذته بالحرب كنت افتخروا ما افتخروا وأقول سرقه لى جوان ثم امر الوزير ان يحبس جوان وارسل وزيره مع البرتقش الى السلطان وركبه فى موكب وادخله الى الديوان

فلما دخل قام له البب عمرين وسلم عليه وأجلسه الى جانبه وأحضر السفرة فأكلا معا وبعده قال يا زين المسلمين أنت لك عندى ضيافة ثلاثة أيام وبعده تحكم فى ديوانى ثلاثة ايام حتى أتفرج على حكم المسلمين وبعدها أريد اسألك على سبب

وقوعك فى يد جوران فاقام الملك ثلاثة أيام حتى تم الضيافة وبعدها اجلسه عله على تخت البلاد وأباح له الحكم ثلاثة أيام فاول ماحكم أحضر جوان وقال له أنت تدعى انك عالم الملة وشرط الجهاد تستلزم به الملوك وأنت أى شىء أغراك حتى سرقتنى بحيلك لما عملت نفسك شيخا فقال جوان قصده بذلك أذية المسلمين فأمر برميه وضربه الف كرباج ووضعه فى السجن وبعد ذلك جلس فحكم على التخت ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أحضر له الطعام وبنجه ماأفاق الملك الاوهو فى تلب قصر فى بستان والقيد فى رجليه والبب عمرين قدامه فقال الملك لاى شىء حبستنى ثانيا فقال له كما ضربت جوان فى حضرتى لانه عالم الملة ولم تكرمه وفى نظير ذلك ما بقيت تنظر بلادك أبدا وهذا قبرك فى هذا المكان فقال الملك الامر بيد الله فقال له ارکان عسكرك يدورعليك ويعرفون طريقك يأخذونك منى إما بالفداء والا بالحرب والا أنت بسيرى حتى تموت وقفل عليه باب ذلك القصر وتركه يقع له كلام

[قال الراوى] ولما كان عند الصباح طلبت الملكة ابنها محمد السعيد واعلمته بعدم أبيه فقال لها كيف عدم فاعلمته بأنه سمع رجلا على جبل الجيوشى يذكر فنزل من باب السر ولم يعد فاغتاظ على أبيه وطلع قعد على الكرسى يتعاطى الاحكام محل أبيه واذا بالمقدم جمال الدين طالع فسأل عن السلطان فحكى له محمد السعيد ماجرى فقال هذه حيلة من حيل جوان الملعون ثم ان المقدم جمال الدين نزل يدور على بلاد النصارى عسى ان يسمع خبر السلطان فلم يجد له خبرا وبعد شهر كامل دخل الى عمورية فالتقى جوان مرمى ضعيف فى ديرها وكان ضعيف من قوة الضرب الذى ضربه له الملك الظاهر وهو فى عمورية فقعد عنده فى الدير ثلاثة أيام بريدان يسأل جوان اويسمع منه كلاما فلم يسمع منه شيئا فتركه فى الدير وطاف على بلاد الروم ستة أشهر فلم يجد للسلطان خبر فعاد الى عمورية ثانية فالتقى جوان طاب فدخل شيحة الى دير العامود وبنج جوان وقبض البرتقش وبعدما فيقه رأى نفسه مع شيحة فقال ايش الخبر ياأبو محمد فقال شيحة انظر يابرتقش انا مرادى أسألك فان نكلمت الى بالصدق وأجبتنى بما هو الواقع فانت تعرف حالى وان أجبتنى بالكذب ولم تصدقنى والاسم الاعظم اسلخك اين الملك الظاهر وفى أى محل

فقال البرتقش فى عمورية الكبرى فقال شيحة أنا دخلتها مرارا فما لقيت له خبرا ولا أثرا فقال البرتقش أنت جوان حفظتهم كتاب اليونان وأنا ما حفظته ولم أعلم يا أبو محمد ان عمورية فيها بستان مرصود تحت الارض

وهذا أنت تعرفه طبيب فقال يا برقش مرادى الصب على حورية ملعوبا فان رأتنع جوان عن القدوم اضربه وإن امتنعت انت معه ضربتك فقال البرقش افعل ماتريد فعاد المقدم جمال الدين وسار إلى دير الزيت وقعد فيه يكتب فى مكاتيب الذى أعلم به أهل ملة النصارى واليهود والمجوس والاسلام فحال وصول هذه الكتب اليكم تحضروا خاصمين تسمعوا حكومتى ومن خالف ولم يحضر ينزل عليه غضبى ونقمتى والسلام

(يا سادة) كتب شيحة الف كتاب ووضعهم فى جراب وحملهم وسار بهم إلى أن وصل الشام فطلع على قبة كنيسة مريم ليلا وصاح بصوت جهورى وقرأ اقداس من الانجيل الحق الذى نزل على قلب عيسى بن مريم فاستقروا له النصارى ومادام يكرر فيه إلى أن فرغ الثلثين من الليل ثم انه قال يامعاشر النصارى جميعا اعلموا انى حورى من الحوريين ارسلنى اليكم المسيح بن مريم ومعى كتب بخطه وختمه يأمركم بالحضور اليه حتى تسمعوا حكومته فى أمته فانه عن قريب ينزل الأرض فعند ذلك اجتمعوا كبراء الشام نصارى ويهود واسلام واحتاطوا بالقبة وقالوا له انزل اعلمنا بالصحيح فنزل وقدم الجراب وأعطاهم الكتب فرأوهم كتبا فى ورق اصفر واحمر وابيض واخضر ومكتوبين كما ذكرنا فقال له بترك الكنيسة ومتى يكون نزول المسيح قال من بعدمضى تسعين يوما يكون النزول وتندق له الطبول وترتج لقدومه الارض والطلول فارسلوا اعلموا بترك البابا ة القدسية حضر وأعلموه بما قال هذا الحورى فقال الخورى هذا يحبس عندنا فى كنيسة مريم حتى تمضى التسعين يوما ونحن نرسل هذه الكتب إلى الملوك حتى يحضروا فان كان المسيح ينزل كما قال سمع حكومته وإن كان كذب حرقنا هذا الرجل المدعى انه حورى وهو كذاب ثم وضعوه فى الحبس والمضى ثلث الوعد وبقى فاضل الثلث فخاف وندم كيف رمى نفسه فى هذه المصيبة فهو كذلك وإذا بسحاب المختطف الابيض احتمله ووضعه قدام الملكة تاج ناس لانه كان غاب عنها مدة فارسلت سحاب المختطف خادمها وأمرته أن يأتى به من اين ما كان فطلع سحابه وسأل عمار الارض عن شيحة فاعلموه انه محبوس فى سجن الشام فحضره إلى بين أيادى الملكة تاج ناس فلما بقى بين يديها قالت له انت داير من بلد إلى بلد فقال لها يا تاج ناس أنا وقعت فى محذور كنت مسحوقا بسببه ولولا انك ارسلت اخذتنى وإلا كانوا ملوك الروم قتلونى فقالت له أى شىء هذا المحذور فحكى لها على غياب السلطان ولم يعلم له مكان وثانيا رهنت لسانى عند ملوك الروم بكتبت الكتب وكان قصدى أن اصنع حيلة أبلغ بها خلاص السلطان الا ... اه يا تاج ناس غيابه

السلطان يبقى الاسلام بلا راعى وهذا يطمع ملوك الروم فى بلاد الاسلام فقالت له وانت على أى شىء عزمت فحكى لها على ماقال من أن المسيح نازل وإن ملوك الروم والافرنج والعجم حضروا لاجل أن يحضروا حكومته فقالت له أنا أعمل طريقة ولكن بعدما تقيم هنا عندى ثلاث ليالى وأنا آتيك بقبة الست بلقيس زوجة سيدنا سليمان بن داود عليه السلام والبسك بدلة وآمر خدام القبة يمشون بين يديك وكذلك خدامى أنا آمرهم يساعدونك .

[قال الراوى] إن سيدنا سليمان من حبه فى الست بلقيس صنع لها قبة من صنف البلور دائرها اربعون عامودا من الذهب البندقى على رأس كل عامود فص جوهر قدر بيضة الدجاجة هذا فى الدائر التحتانى وفوقهم اربعون عامودا مقوسة الطرف من هذا واصل إلى هذا عقد جملون وفوقهم جوهرة قدر بيضة النعامة وبين العمدان وبعضهم نسيج الخيش من الفضة والذهب فى الدائر وأما المعقود معمود شبك اواق منظوم فى سلوك الذهب ودائرها بين العمدان شبابيك من الفضة والذهب وبها نقش وكتابة كدبيب النمل وشراريف حولها من الذهب مطعم بحجارة الالماس ولها باب بضرفتين عوارضه من الفضة وألواحه من الذهب وأقفاله ذهب مرسوم عليها تصاوير وطلاسم تذهل عقل كل فاهم ولها خدامين اربعمائة رهط من أرهاط الجان وعليهم اربعة ملوك يحكمونهم من عهد نبى الله سليمان وإذا سارت الست بلقيس فى قلب تلك القبة تدق لها طبول وزمور بحركات ونغم يطرب السامع وإن أرادت المسير من مكان إلى مكان ذكرت أرباب التواريخ أن خدامين تلك القبة ينقلونها مسيرة عام كامل فى أقل من ساعة ولما توفى نبى الله سليمان وتوفيت زوجته بقيت هذه القبة فى الكنوز وخدمتها مقيمون إلى الآن كما أمرهم نبى الله سليمان .

[قال الراوى] وان الملكة تاج ناس أمرت شيحة أن يقعد على السرير وأمرت خدامها أن يحملوهم إلى أهرام الجيزة ونزلوا فطلبت الخدام وأعلمتهم انها تريد أخذ القبة من غير علم أحد تقضى بها شغلا لنصرة الاسلام وتردها بعد ذلك إلى مكانها فلا يكون منكم خلافا والذى يتسلمها شيحة سلطان الحصونين والضامن فى وجوهكم أنا حتى أردها إلى مكانها والذى يحملها خدامها بآلة أعمالهم على التمام حتى يزيد بذلك شرف الاسلام على الكفار اللئام .

ثم انها مسكت المجمرة ، وأطلقت البخور وقرأت العزائم حتى فتح لها الباب فقالت يا مقدم جمال الدين انزل واتل حسبك ونسبك وها أنا ماشية خلفك فنزل شيحة قدامهم فى قلب الكنز والملكة تاج ناس تؤنسه حتى أتوا على البحر فوقف

شيحة على شاطىء البحر وقال للملكة تاج ناس كيف يكون العمل فى عبورنا هذا البحر فقالت اعلم يا ملك القلاعين ان هذا البحر من السم والأصل فى ذلك أن بلقيس تمنت على سيدنا سليمان ان يكون قصرها لم يعبر عليه جنس مخلوق فصنع لها فى ذلك البحر من السم وجعل له معدية من النحاس الأصفر وجعل للمعدية خداما وجعل لهم شكلا مرسوم على سندال وشاكوش بشكل آخر مثل الذى فى السندال فاذا نزلت الست بلقيس تدق بيدها فيأتى خادم يدق الشكوش على السندال فيأتى الخادم بالمعدية إلى الشاطىء المطلوبون فيه وهكذا إذا رجعت ولما توفيت بقيت هذه الاشكال على حالها فتقدم انت واخبط بكفك لتأتى خدام السندال والشكل الذى عليه وعلى الشاكوش فحضر له السندال والشاكوش طرق عليه شيحة بعدما تلى حسبه ونسبه فحضرت معدية فنزلوا فيها عدواً إلى القصر .

فقالت له اتل حسبك ونسبك فتلاه فانتح له باب القصر فعبر فرأى ذلك القصر مقسم لم يعدله آخر ورأى تلك القبة موضوعة وبجانبها لوح نحاس أصفر مكتوب كتابة مثل دبيب النمل ورأى فى القصر شيئا يذهل العقول من جوهر ولؤلؤ والماس ومعادن وذهب وفضة وشىء ماله نهاية وحول القصر أشجار لا يعلم عددها إلا الله الملك الجبار فانبهر شيحة وحارت منه الابصار .

فقالت الملكة تاج ناس خذ اللوح يا ملك القلاعين واترك زياغة العين فتقدم أخذ اللوح فقالت له سر ولا تلتفت إلى شىء فان هذا مما يؤدى إلى الهلاك

فقال لها صدقت فلما طلعوا من الكنز قالت له قف حتى أوظبك فوقف فالبسته ملابس من صناعة الحكماء القدماء مثل آصف بن برخيا والبست أولاده فقالت له اقعد انت مثل المسيح وأولادك مثل الوزراء ثم أمرت الخدامين وكانوا اربعمائة رهط خدامين القبة فأمرت مائة بالطبول ومائة بالزمور ومائة بالكاسات والصاجات ومائة تنادى بأصوات مرتفعات عاليات وهم يقولون هلموا يا معاشر المخلوقات البشريات تقدموا إلى هذه الأنوار الباهرات وانفرد حول القبة الف بيرق على ألوان مختلفات وتحملت القبة بهذه الكيفية وسارت بها الارهاط والمنادية من حول القبة باصوات تذهل العقول يا أيها الاشعاب الآدمية اقبلوا إلى الشام ليراكم المسيح بن مريم وكل من تأخر منكم انزل عليه نقمته وغضب عليه وعلى عشيرته بادروا بالسرعة والاجابة على بلاد الشام .

فهرعت الناس إلى الشام وكانت الكتب سابقا راجعة إلى البلاد واجتمعت كل

الناس ولما لفت القبة انزعجت العالم بالقدوم حتى بقيت بلاد الشام فى وسط هذا العالم مثل مركب فى بحر ماج لان جميع الملل اجتمعوا اسلام ونصارى ويهود ومجوس ودروز ومتاولة وارفاض وملكية وشمسية وكافة الملل وهم اثنين وسبعين ملة وهم خلق لا يحصى لهم عدد مطلقا فنظر شيحة إلى ذلك فقال سبحان الله العظيم وأمر الارهاط أن يطوفوا حالهم بالقبة بذلك الطبل والزمر ودق الكاسات وصوت الارهاط فتخيل الناس أن السماء نازلة على الأرض وسارت العالم يكشفون رؤسهم ويستغيثون مما اذهل عقولهم حتى نزلت القبة قدام الشام ونادى سحاب بصوت عالى اشارة للخاص والعام يا معشر الحاضرين كل من كان فى مكان لا يتحرك من مكانه فاقبل الناس إلى خيامهم ولا أحد يخرج ولا يدخل مقدار ثلاثة أيام ولما كان اليوم الرابع نزل رعد وبرق وغيم مقدار ساعتين وبعده انكشف ذلك السحاب ونادى المنادى احضر ياملك الاسلام فقام الملك محمد السعيد وسار حتى وقف قدام القبة :

فقال له أين أبوك يا ولد كيف تحضر انت ولم يحضر هو فقال إن أبى عدم فى بلاد النصارى وإلى الآن لم نعلم له خبرا

فقال يأتى عمرين ملك عمورية ويأتى ملك الاسلام فماد سحاب بالسلطان والبيب عمرين وأوقفهم قدام القبة فقال ياملك الاسلام رعيتك عالبهم لم يعرف فرضه فقال السلطان أنا لا أعلم الذى يتاخر عن الصلاة وما كنت أحدد الحد الشرعى وأنت إذا أردت تقيم الشريعة الاسلامية فهى الرعاية البعض منهم حاضر اعلى به

فقال لا وإنما من الآن وصاعدا اجعل فى كل مدينة إسلام ناسا يحثون الناس على الصلاة فى كل وقت فقال سمعا وطاعة فقال له اطلب اكابر دولتك فحضر الملك عرنوس والملك مسعد ملك ومقدمون القلاع ونياب البلاد ووقفوا قدام القبة فقال لهم سحاب المسيح يامركم أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة فاجمعوا الزكاة الشرعية واعطوها لواحد معتمد يفرقها على فقراء الرعية فقال إبراهيم أهو أنا المعتمد ولم يكن غيرى ينفع إلى أخذ أموال الزكاة ويفرقها فقال له أما أنت ابراهيم بن حسن فقال نعم فقال له وانت عندك خمسة مطامير ملآنة من الفضة والذهب يبقى عليهم كل سنة ربع مطمورة زكاتهم يعنى انت تخرج زكاتهم فقال إبراهيم أنا لا أبيع ولا أشترى وأما البيع والشراء فانه باب المكسب فيلزم الرجل الزكاة عليه وأنا لا أنا تاجر ولا متسبب على أى شىء أعطى الزكاة فقال شيحة اوروه لأنه يكره ويجب سلبه فارتمى ابراهيم وكان الذى رماه إلى الأرض سحاب ووضع عليـــه شىء مثل ارق ودار عليه

السوط فلم يستحسن به إبراهيم ولاعنى بها حتى أمر شيحة أبطال الضرب عنه فقام وهو مثل المذهول وقال ياسعد أنا عمرى ما رأيت مسيحا مثل هذا الذى يضرب ولم يألم بضربه احدا فقال سعد أظن انه خفف الضرب عنك لعلمه أنك من المجاهدين فقال إبراهيم ياسعد هذا كلامه مثل كلام شيحة واظن ان هذا منصف وجاء بهؤلاء الأشغال على خلاص الملك وها هو الملك خاص قال سعد إذا كان قولك انه شيحة وهذا السلطان قد خلصه وانقذه من يد الكفرة فلم بقى قاعدا ولم يمض إلى سبيله فقال إبراهيم لما يتم المطلوب وأما المسيح لم يظهر ولا هذا زمان ظهوره نعم كذلك والمسيح يقول ياملك الاسلام امض إلى محلك انعم لنا اطلبك وخذ أكابر دولتك معك فعاد السلطان ومعه كلما ذكرنا وقال أى شيء رأيته ياابن حسن فى هذا المسيح فقال ابراهيم الله ينور عليه يا مولتى فان هذا والله ما يطلع من يد احد غيره فظن السلطان ان ابراهيم يقول على المسيح وسكت وأما بعد عودة السلطان من قدام القبة فنادى سحابه وقال ياهلاوون فقام هلاوون فانخطف إلى قدام باب القبة فقام يحضر سقلون طاز فحضر فقال ياهلاوون أنت متعلق بعداوة الاسلام والنصارى ودائما تطلب العلو على الفريقين ولا تسمع الا كلام سقلون وهو بلوات العجم فاعتمد الادب واقعد فى مملكتك فقال ارموا سقلون طاز فانقلب سقلون طاز وتولى أمره وزراء المسيح وهم أولاد شيحة فاعطوا له الف كرباج وكسروا سيفه واعطوه له مكسورا وقال ياهلاوون روح إلى بلادك فى أمان فركب من وقته وساعته وبعدها طلب ملوك الروم جميعا إلى بين يديه وقال لهم أوردوا صدقة إلى فقرائكم لاجل أن لا يفتقر منكم احد وكل من كان عنده أسير مسلم فانه يحضره حالا حتى يقربه إلى قربانا واقبل الاسارى هدية منكم واكتب لكم بهم ثوبا فارسلت ملوك الروم فاحضروا الاسارى بكثرة يزيدون على عشرين الف أسير فقال المسيح كل من قدم لى أسيرا فليعطه مائة دينار قربانا لى فاعطوهم وقال ابن ملك الاسلام يحضر فحضر ثانيا فقال ياملك الدولة لاى شيء أنت تقتل فى امى ولا تخف من نقمتى

فقال الملك انا ما أقتلهم الا إذا ركبوا وطلبوا حربى فمن ذلك أحاربهم فقال المسيح كذا ياملوك النصارى قالوا نحن ما يغرينا على حرب المسلمين الا جوان ويقول لنا ان المسيح خلفه وها أنت حضرت فان كان جوان خليفتك وأنت الذى أمرته أن يطلبا للجهاد فى ملتك فاعلمنا فقال المسيح هاتوا جوان فلما حضر جوان قال له يا كلب ياجوان ملأت الدنيا بالكذب والحال وأنت تقول إنك خليفة

المسيح وها أنا اقول انك كذاب متى أنا خالفتك على امتى فقال جوان كان على أنا عارفك حق المعرفة انت شويحات وهذه أفعال زوجتك تاج ناس بنت قبطاويل الساحر فما تم كلامه حتى وقع على الارض ومالوا عليه الوزراء بمقامع مسمومة حتى مزقوا جلده وهو لا يقول إلا كلامه الاول ولما نظره البرتقش وقد أشرف على الهلاك فقال ياسيدى أنت المسيح بن مريم الذى وضعتك أمك من غير ذكر وأنت صاحب الكلام فى المهد وهذا جوان أخطأ وكفر وانا والاسم الاعظم إذا لم يقل مثل كلامى علقت عليه بالخنجر وأقول الكلمة التى يعرف اننى أقولها وحط يده البرتقش على الخنجر فصاح جوان دستور يا مسيح فقال خذه يا برتقش وأنتم ياملوك الروم إذا جاءكم اطردوه ولا تقبلوه فقالوا سمعا وطاعة فقال خذ يا ملك الاسلام الأسارى معك ردهم إلى بلادهم وأنتم ياملوك الروم عودوا إلى بلادكم ولا يبقى أحد يجىء عندى إلا عند هلال الصيف انصرفوا من على الشام بسلام فركبت ملوك الروم والافرنج وطلبوا بلادهم ونزل المقدم جمال الدين من القبة وأمر الخادم أن يردها الى مكانها ودخل شيحة على السلطان وسأله عن الحال فقال الملك ياشيحة انت ماحضرت قدوم المسيح فقال الملك ابراهيم ما هو المسيح هذا هو شيحة فتعجب السلطان وسأله فحكى له القصة فضحك السلطان وقال ابراهيم وانت عمال تطلب منى الزكاة فقال السلطان ياملانا هذه الأسارى الذى يعرف بلاده سفره اليها والذى لم يعرف بلاده أكتب له عثمانى على الديوان فقال السلطان وهو كذلك فقال الرجال الفداوية ياملك الدولة نحن كلنا فى عرضك وفى عرض الحاج شيحة فقال الملك مالكم فقالوا ياملكنا المقدم حسن الحوفى رجل شريف ووقع بينه وبين شيحة ما وقع ونحن بالله وبكم لعل الله أن يزيل مافى الخواطر فقال شيحة أنا حالف عليه لم يطلع من الحبس إلا لدكة الغسل فقال ابراهيم ياحاج شيحة ولا أحد من الرجال طاعك إلا بعد تعب ومشقة فاجوله بالجملة فقالت الملكة تاج ناس إيش الخبر الذى بينكم فحكى لها شيحة الحكاية فقالت ياسحاب خذ دكة غسل وضعه عليها مكتوفا واحضره إلى هذا المكان فغاب ساعة وحضر به ووضعه قدامهم فقال السلطان يامقدم حسن شيحة حالف أنك لا تطلع من الحبس إلا على دكة الغسل وقدينا يمينه وطلعناك عليها فان كنت قصدك تلاعبه دونك وإياه فقال المقدم حسن يادولتلى أنا والله ما بقيت أنفع فان الحبس أعمى بصرى وضعفت قوتى فقال شيحة هذا شىء أنا بعون الله أزيله عنك ثم انه قام على حيله وطلع الكحلة وكحله فصارت عينيه أحسن من اول وأطعمه

من الحلاوات فعادت قوته كما كانت وقال له هذه بدلك وسلاحك البس واطلب منى اى مطلوب الاعبك فان الذى مضى بطال فقال المقدم حسن انا بقيت أريد أحسن مما جرى ثم انه طاع شيحة قدام الرجال وكتب اسمه على سلاحه وكتبه فى دفتر الفداوية وأمره أن يروح يمصر قاعته والسلطان شال بالعرضى من على الشام وطلب مصر ولما وصل الريدانية انعقد له الموكب ووصل إلى قلعة الجبل وأما شيحة فانه راح مع الملك تاج ناس إلى مدينة قلوصنة وعادت القبة إلى مكانها وكان السلطان أخذ جميع الفداوية إلى مصر ليقبضهم جمع الجوامك التى لهم فأخذوا جوامكهم وانصرفوا وأقام السلطان يتعاطى الاحكام مدة ليلة جمعة راح إبراهيم وسعد مثل العادة إلى قاعة الخوارنة يناموا فيها والملك إلى السراية عند الملكة وقام بالليل لقضاء حاجته وطلع من الحمام فسمع دق الشناكوش على البلاد فأسبل عدته على جثته وارتكن فى محل بداريه حتى اشتدت الرياحات وطلع الطالع حتى بق فى الجدران ورمى الاكرة فنزل يكر فكان السلطان يده على اللت الدمشقى فضربه على عقصته رفص الارض بخلقته وانكب عليه أدار كتافه وبعد ذلك قال له انت من قال انا فضل الدين الادرع

[قال الراوى] إن هذا الفراوى أدرعى ولكنه جبار وكان المقدم معروف بن جمر لما تسلطن على القلاع والحصون عمل ميدانا وقاتل جميع المقادم وأسرهم وأما هذا فضل الدين فانه كان من شدة جبره تقاتل مع المقدم معروف سبعة عشر مرة وآخر أوقع منه لطاش حكم فى اذن الحجرة فقطها فاغتاظ المقدم معروف منه ومال عليه وابذل معه المجهود حتى أسره فقطش اذنه الاثنين وقال له ان رأيتك فى الحصون فيما قطعت رأسك وحلف له على ذلك فسافر إلى بلاد العجم وقام فيها يخدم القان هلاوون وبق عيار وسمى نفسه دريب الاقطاش فأقام فى تبريز مدة أيام إلى أن ركبت أولاد هلاوون على بلاد الاسلام فقاتل معهم وانكسرت العجم فاستحى أن يدخل تبريز فقال فى نفسه هذه البلاد ما فيها خير لا هم أهل كرم ولا أهل حرب والاقامة عندهم ما فيها مكسب ثم انه دخل بلاد الروم وأقام مدة سنين وهو يسطو على التجار وينهب من اموالهم وكلما اكتسبه يجمعه ويدور من بلد الى بلد حتى ثقل معه المال فعاد الى قلعته فتلقوه رجاله وسلموا عليه وفرحوا بقدومه ولقوا معه اموالا لا تعد ولا تحصى ولما دخل وأقام فى القلعة سأل عن المقدم معروف فحكوا له أنه استشهد على باب حلب فقال ارتحنا منه والداهية معروف فى هذه الايام فقالوا له مع الحج شيحة وحكوا له على مناصفه وحيله فقال كأنه حاوى الرجال لا تطيع

الا تحت الغلبة والقهر بالحرب والقتال وأما الحيل والمناصف هذه من بابه السرقة واللصوصية معزول شيحة ثم انه قام ركب وسار إلى مصر ونظر السلطان وهو جالس مثل القمر بين النجوم فحسد السلطان على مرتبته وقال قبل كل شيء اقتل الظاهر واجلس محله . وأما الحصون والقلاع أسلطن عليها واحد من تحتي ولما تصور له هذا الخاطر فأتى ليلة الجمعة وكان قصده يقتل السلطان فاستيقظ عليه الملك الظاهر وقبضه كما ذكرنا . ولما كان عند الصباح جلس السلطان على الكرسي فلم يجد الفداوية فسأل عنهم فقيل له لم يطلعوا الى الديوان فى هذا اليوم فهو كذلك وإذا بالفداوية جميعا طالعين الى الديوان وهم خاليون جميعا من السلاح وملبوس الزرد والخود فقال السلطان لهم ايش الخبر يا مقادم فقالوا يا دولتلى نحن فى هذه الليلة كنا نائمين فى قاعة الحوارنة فقمنا فى نصف الليل نجد المقدم فضل الدين بن الادرع دخل علينا وقال أنا أريد أنيم هذه الليلة عندكم فقلنا له حتى تطيع شيحة فقال لنا أنا جاى قصدى أقابل شيحة ثم اننا أحضرنا له الطعام أكل معنا وبعده طلب المنام وكل منا نام

فلما طلع النهار أخذ كل سلاحنا ومرق ولم نعلم فى أى جهة راح فقال السلطان فضل الدين محبوس وأنا قبضت عليه روحوا تجدوه فى سجن العرقانة فنزل الرجال فلم يجدوا فى الحبس أحد فطلعوا صاروخين جميعا إلى الديوان وقالوا يا ملك الاسلام إذا كان شيحة سلطان القلاع ولم تكن له قدرة يحفظنا من فضل الدين نحن أيضا نعصى عليه وهو معزول من السلطنة فقال السلطان يا فداوية وكم مثل فضل الدين ظهر وسلخه شيحة فقالوا هذا الوقت شيحة لا يقدر يقابل فضل الدين

[قال الراوى] فهم كذلك والمقدم جمال الدين طالع فلما نظروه الرجال سكتوا فقال شيحة يابنى اسماعيل انتم تقولون أنى معزول هل أنتم سلطتمونى حتى انكم تعزلونى أنا أخذت السلطنة بشطارتى وهل تركتمونى محبة منكم فى فضل الدين أم صعبت عليكم اسلحتكم الذى سرقها منكم فقالوا له على سلاحنا وحدنا فقال هلا بسكم ماهى فى القلعة وكان الملعون فضل الدين فعل تلك الفعال قبل أن ينزل على السلطان ودعهم فى مخدع وراح إلى السلطان وقبضه كما ذكرنا فكان المقدم جمال الدين لاحظ عليه فأخذ ثياب الرجال ونقلهم إلى مخدع ثانى ومع اشتغاله بذلك نزل كبخية على فضل الدين من كراخيه أطلته وأخذه وطلع للمخدع ليلا فلم يجد ثياب الفداوية فخاف على نفسه ان يشتهر عليه السلطان فركب حجرته وطلب قلعته ولما طلع الرجال أعلمهم شيحة

بأن ملابسهم عدمهم فى مخدع القاعة فنزلوا ولقوا كلما أخذ منهم ولا عدم لهم ولا خيط فى إبرة فقال لهم تبقوا قدر كذا أبطال معدودة وواحد وحده يستغفلكم ويأخذ ملابسكم وها أنا جئت بهم اليكم خوفا منكم أن تذلونى يا رجال أنا شيحة وأنتم جميعا تعرفونى فالصواب عدم الجهل وكمال العقل والاكل من قل أدبه أنا أؤدبه ثم التفت إلى السلطان وقال يامللك الاسلام هذا فضل الدين لابد له أن يقيم العصيان ويجتمع عليه كل من يدعى الشجاعة بالكذب ويغريه الشيطان على أخذ السلطنة فسافر بالعسكرية يامللك الاسلام حتى نرى مايفعل الله من الاحكام فلما سمع السلطان ذلك الكلام أمر عساكره أن يتجهزوا للسفر وبرز الى العادلية وأجلس السعيد مكانه على كرسى قلعة الجبل وسافرطالبا جبال الطيرة هذا ما جرى للسلطان . وأما المقدم فضل الدين فانه وصل إلى قلعته وارسل خلف من يعرفه من اولاد الزنا فأتى اليه كل زنديق وقاطع طريق واقام فى قلعته وجعل له سرايا خيالة يقطعون الطرقات على التجار والسفار من ناحية الشام والقدس وجميع البنادر حتى أقبل السلطان بعساكر الاسلام ونظر فضل الدين الى عساكر الاسلام اقبلت فجمع الرجال الذين معه وكانوا يزيدون عن اربعين الفا ادرعية وفتح قلعته وقال يارجال يعنى بنو اسماعيل رجال ونحن نسوان لما يفتخروا علينا فى الحرب والطعان إذا كان الظاهر ينصفنى ويطلب يبارز فارسا لفارس فما احد يبارزنى من بنى اسماعيل الا اناو اقتلهم واحدا بعد واحد واما اذا غدر الظاهر وحمل برجاله جملة واحدة فانا قدامكم احصدهم بالشاكرية ولم اخل احدا منهم يصلكم باذيه ولاذرية وانما تكونوا انتم تحمون ظهرى وقت الحملة لئلا يقتلنى احد منهم غفلة فقال الادرعية يا مقدم فضل الدين كل منا يقاتل حتى يعدم السمع والبصر ولانخلى مجهودا ولا تطير رؤسنا الا بين يديك ولا نبخلوا بارواحنا عليك فقال لهم جزيتم خيرا ثم انه بات واصبح نزل الى الميدان وقال ميدان ياظاهر ميدان يابنى اسماعيل ما فى الميدان الافضل الدين بن الادرع سلطان الدنيا باجمعها من اراد يمنعنى عن سلطنة القلاع يقهرنى من الحرب حتى يظهر الفارس الشجاع من الجبان القصير الدراع والباع واما المناصف والحيل هذه صنعة اهل الحرف مثل الحاوى والمسارع واللص والحرامى واما المملكة لا تكون الا بالسيف فقالت الرجال صدق الرجل فيما قال فقال شيحة يابنى اسماعيل انزلوا اليه فبرز اليه حسن النسر بن عجبور فلما صار قدامه فقال يا حسن أنت هدمت نخوتك ومروتك بعد ما كنت على قلعة نسرة وعندك كواخى ياكلون

من كفك ذليت إلى رجل يدوى مثل هذا المرض وبقيت من تحت امره فقال المقدم حسن والله يا مقدم فضل الدين أنت عمال تلعب فى سلخ جلدك وتهاير على قدر ماتها بر وآخرا يسلخك أن لم تطعه بعد ما تسلم وإن دمت هكذا على لجاجك مالك عند الحاج شيحة غير السلخ دواء مع انى نزلت اليك واعلم انى ما أنا من رجالك ولا اعد من اشكالك ولكن أن خالفت شيحة سلخنى ولا أنت ولا غيرك يقدر على خلاصى فاستقبلت القضا بالرضا ونزلت اموت تحت السيف اهون من السلخ فضحك فضل الدين فقال السر لا تضحك أنا ضربته سبعة آلاف كرباج منهم سته آلاف وهو حى والف وهو ميت فلما ضربته الالف بعد موته اخذته وكفنته واتيت به الى القبر ادفنه فلقيته أخذ الكفن وهرب واخذنى من فرشى وحط على اكتافى دبر القيقبول والسور فلا تكثر كلا ما دونك وضرب الحسام انه حمل عليه فالتقاه المقدم فضل الدين وقاتله ساعه زمانية ومدله يده كانه رقبة الجمل وطبق فى خناقه وتعلق فى أزياله وجذبه بقوته فرمى رجليه من على ظهر حجرته وقال عد يا حسن من حيث اتيت وإن نزلت ثانيا تكون تعديت على نفسك فقال المقدم حسن عدت يا بطال فعاد الى عرضى السلطان وهو من ذلك خدلان فقال له المقدم جمال الدين لا تزعل يا مقدم فان الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فعنده خرج صوان بن الافعى فقاتل تقاتل معه الى الظهر فنظر فضل الدين الى ثباته واحرازه على نفسه فغافله وزرقه بحربة حكمت فى كتفه جرحته واهرقت دمه فقال له عد من الميدان وداوى جرحك واصحى تعود الى مقام الحرب فاهلكك فعاد المقدم صوان فنزل بعده المقدم جبل قاتله الى العصر فضرب رقبه حجرته فراما وقال له عد وارسل شيحة يحاربه فخرج له منصور العقاب فتقاتلا الى آخر النهار واندق طبل الانفصال ولما رجع منصور ضربه فضل الدين بحربة فى ظهره حكمت فى كتفه ونفذت الى قدام فعاد متألم منها غاية الالم فالتقاه شيحة واطلع الحربة وقطب له الجرح حالا وبات السلطان مغتاظا وفى ثانى يوم فعل مثل ما فعل فى اليوم الماضى وهكذا سبعة عشر يوما فلما كان فى اليوم الثامن عشر تضايق السلطان وقال أنا انزل إلى هذا الجبار فقال الوزير يا مولانا الرجل ما هو معارضك فى سلطنتك حتى تبرز اليه هذا خصم سلطان القلاعين ومراده أن يكون هو سلطانا على بنى اسماعيل والادرعية وها هم بنو اسماعيل اقروا له بالفروسية وعجزوا عنه فقال المقدم ابراهيم فشر والله أنا ما اقر له بالعجز ابدا فقالت الفداوية يا ابن خليل كل مقدم منا يدفع لك الف دينار

وتكفينا شر هذا الملعون ولا يكون ادرعى بحكمنا فقال ابراهيم أنا ما ارضى بذلك فقال شيحة يابو خليل انزل حاربه وانت تكون كيخية الحصون جميعها وناظر عليها فقال إبراهيم اكتب لى بذلك حجة فكتب له شيحة حجة انه نائبه على الحصون فاخذها المقدم ابراهيم وركب على ظهر حجرته ونزل الى الميدان ولما وصل الى محل الحرب قال له المقدم فضل الدين وانت كان يا ابن حسن قليت عقلك ودخل فيك الغرور واردت انك تقاومنى عند الحرب ، مقام الطعن والضرب مع انى سمعت عنك انك رجل عاقل والعاقل لا يسلك طريق الجاهل فقال له ابراهيم يامقدم فضل الدين اترك عنك كلام الهذيان وشقشقة اللسان فانا مأمور بقتالك من السلطان مع أن السلطان إن امرنى بحرب ابى المقدم حسن الحورانى احاربه ولا اخالف السلطان أبدا فاحذر على نفسك انا ما ارحمك ولا اخلى من جهدى شيئا فقال المقدم فضل الدين أن كنت معذورا فانا أحاربك على سبيل الاعذار ونتفصل آخر النهار على سلامه ولا ادرى لك شيئا تعقبه الندامة فقال المقدم ابراهيم اترك ذلك فما فى الحرب الا ضرب السيف كما قيل

جونا بحرب وقالوا اليكم نكركم ‏ ‏ ‏ وكدروا عيشنا الصافى بكل فتن

لما سمعت كلام الزور قلت لهم ‏ ‏ ‏ انتم كذبتم فماق الحرب مكرمة

دونك والقتال وخل عنك الجدال فعند ذلك انطبقوا على بعضهم الاثنين وامتشقوا السيفين والتحموا كالتحام الاسدين وطاروا على بعض مثل اسدين وعقد الغبار حتى اخفاهم عن نظر العين وكانت لهم ساعة تقشعر منها الجلود ويشيب الطفل المولود ويعرف كل انسان منها مرارة العدم من حلاوة الوجود واطبقوا انطباق جبال الاخدود وافترقوا افتراق وادى زرود وصرخوا صرخات تفتت الكبود وداموا على ذلك الحال آخر النهار وافترقوا على سلامة لم يبلغ أحد من صاحبه مرامه وفى ثانى الايام كذلك وفى ثالث يوم ورابع يوم ودام الامر بينهم كذلك عشرة ايام فقال السلطان يامقدم ابراهيم بكره انزل أنا فقال ابراهيم يا دولتلى أنا لا خرجت ولا خصمى أسرنى ولا قتلنى والحرب يا ملكنا بالانصاف والرجل قاصفنى واما منا صفته فاصبر يا دولتلى علينا حتى يعجز أحدنا عن الآخر ويبقى الامر بين يديك فقال الملك ما بقيت اصبر عليك غير هذا اليوم فقط وغير ذلك اليوم ما بقيت اخليك تنزل إلى الميدان قدامه أبدا فقال المقدم ابراهيم الله يرزق النصر لمن يشاء هذا ما جرى هنا (واما) المقدم فضل الدين بن الادرع فان الرجال الذين يجتمعون عنده وكواخيه الذين حوله قالوا له ياخوند لقد طال معك ابن الحورانى فقال لهم فى هذا اليوم ما أعود

الا بالانفصال اما اقتله والا اسرته ولم يقدم المدينة فنزل إلى الميدان والتقى بالمقدم إبراهيم وكان لهم يوم مهول زعزعوا الأرض عرضا وطولا ودام الأمر بينهم حتى كلت السواعد وكل منهم على خصمه معاند فطبقوا على بعضهم وزاد حقدهم فمد المقدم ابراهيم يده تعلق فى جلباب ذراع المقدم فضل الدين وسار بملء راسه وقال يا سيدى غوث يا ساكن حلب وعصر على خناقه كاد أن يطير أحداقه فالقاه مثل الصخرة على ظهر الحجرة فاخرج رجله اليمين من الركاب واستعان برب الأرباب ورفص حجرة المقدم فضل الدين فانقلبت وبقى فضل الدين واقفا على الأرض وإبراهيم طابق فى خناقه فاتكا وسار قابضا فى خناقه ولم يطلقه من يده فهنالك حملت بنو الادرع يريدون خلاص مقدمهم فاطبقت عصبة الاسلام وعمل الحسام وقطعت الاجسام وفلق الهام وهشمت العظام وقل الكلام فما بقيت ترى إلا راسا طائرة وخيلا غائرة ودماء فائرة ودام الامر كذلك حتى أمسى المساء هذا وإبراهيم قابض فى خناق المقدم فضل الدين فادركه المقدم سعيد الحايش وساعد أخاه عليه حتى كتف يديه وساقه إلى خيمة السلطان ووضعوه فاحاطت به الرجال فكان المقدم سعد الدين اجتمع على الوزير تلك الساعة وقال له يا دولتلى وزير أنا شايف فضل الدين هذا جانحين اليه الرجال ورجاله الذين حوله كلهم أقارب لرجالى وأهلى ونسائى وإن أردت سلخه هنا قدام بلده تغلظ الفتنة والرجال تقطع بعضها بعضا لأجل النسب .

[قال الراوى] وكما تعلم أن غالب بنو إسماعيل متناسبين مع الادرعية من النساء والدليل على ذلك اسماعيل أبو السمح والدته أدرعية وهذا سبب الفتنة التى تقع وأنا قصدى منك أن تصالحه معى إلى مصر فاذا حصل منه فتنة اهلكه وأما إذا أردت أن اهلكه هنا فان هنا من الرجال ما يزيد عن اربعين الف أدرعى فاذا وقع القتال فما ينقطعون إلا بعدما يهلكوا جماعة من عصبة الاسلام فقال الوزير أنا أريحك من هذه العبارة وصبر الاغا شاهين لما دخل المقدم ابراهيم بالمقدم فضل أقعده قدام السلطان فصار يلتفت ذات اليمين وذات الشمال فقال الوزير اليه يا مقدم فضل انت ملك وابن ملك طالب سلطنة الحصون أو سلطنة الاسلام فقال طالب سلطنة الحصون فقال ما تأخذها إلا بالقانون فقال فضل الدين وأين القانون حتى نمشى عليه فقال الوزير انا أمشيك على القانون بينك وبين شيحة والحق لم يحد عنه إلا كل لئيم وانت تستحق السلطنة ثم ان الوزير قام على حيله وفكه من الكتاف وأخذه إلى الصيوان وقال له يا مقدم فضل انت واحد سلطان وشيحة الآخر تعب على السلطنة لما أخذها ولا بقى يمكننا

أنا نمنعك أنت على السلطنة ولا نمنع شيحة وأنا قصدى أشاركك معه أنت تبقى على النصف وشيحة على النصف الثانى فقال المقدم فضل الدين أنا رضيت بذلك فقال له عد معى الى السلطان وقل له أنا وكات الوزير فى استحقاقى فى السلطنة واذا أراد السلطان يسافر الى مصر تسير معنا وتقول فى بيتى فى بحر بلامه والبساتين حتى نعقد الشركة بينك وبين المقدم جمال الدين فقال له افعل ماتريد وأنت وكيلى ان كنت ناوى تغدرنى أنا أعرف كيف ماأخلص حقى والاسم الاعظم الذى مايحلف به الادرعين الا بحق ان كنت أردت غدرى لكنت أنت أول مقتول من شاكريتى فقال الاغا شاهين والاسم الاعظم أنا ما أنا ساعى الا فى الاصلاح وعدم الفساد لان سفك الدماء حرام فى جميع الاديان

فقال الفداوى صدقت وتركه الاغاشاهين ودخل فى صيوان السلطان وكان شيحة أوصى الفداوية فلما دخل الوزير قال يابنى اسماعيل أتتم تعرفون المقدم فضل الدين بن الادرع قالوا جميعاً نعرفوه قال ياترى اذا كانت ركبته على بلاد النصارى له مقدرة ان يقاتل مع السلطان فقال ابراهيم والله ياوزير انه بطل لايقاس بالابطال فقال سعد والله ان همته فى الحرب بالف رجل فقال الاغاشاهين ويقرب لكم من النسا. قال ابراهيم وعلى أى شىء تسأل فقال الوزير مرادى اصلح بينه وبين شيحة لكون أنه من فخذ السلطنة فقالت الرجال افعل ماتريد فهو كذلك والمقدم جمال الدين مقبل أقبل السلطان اليه واستقبله فقال الوزير قف له يامقدم فضل الدين اترك الشر وطاوعنى فقام الفداوى وسلم على شيحة وطاعه وفعل كما فعلت الرجال فقال المقدم جمال الدين نهار أبيض وقعد بجنب السلطان فقال الوزير يامقدم جمال الدين اعلم ان فضل وانت كنتم فى خصام ولايجوز ان يهلكوا الرجال على شان السلطنة وان الفداوى أسر جميع الرجال ولا بقى منهم الا القليل ومع هذا لاجرحهم ولاقتلهم طمعا أنه يتسلطن عليهم وبعد ماجرى ماجرى بينه وبين المقدم ابراهيم حتى بقى كذا ولكن البطل الذى هذه القدرة قوته وهذه المروءة مروءته كيف يجوز ان يكون من غير مقام فلابد له ان يكون له فخذ فى السلطنة وانت يامالك القلاع نعمت عليها فما يمكن تقوتها وانما تجعله شريكك فيها وتكتب له حجة بذلك فقال شيحة ياوزير نولك ماأبطله بل امتثله واقبله يكون ماكا على بنى الادرع وأنا على بنى اسماعيل وأنا لى قلاع جميع الاسماعيلية وأنا الحاكم عليهم وأماهو فلا يعارضهم والادرعية يكون هو الحاكم عليهم ولم يمكن له فى الطاين شىء بل الطاين حق أنا وحدى ولايطلع ديوان الملك الظاهر ولايحضر فيه مطلقا بل يكون سلطانا

في بلده فقط وله اموال قلاع الادرعية ماعدا الاطيان ومال قلاع بني اسماعيل واطيانها لي أنا خراجها وقلاع الادرعية كذلك لي خراج أطيانها وأنا الذي اركب في موكب السلطان وهو يركب في قلعته برجاله الادرعية فقط وان حصل منه أدنى خلل أو خيانة أو غدر يفسد هذا الشرط فقال الاغاشاهين أنت تسمع هذا الكلام يا مقدم فضل الدين قال فضل الدين سمعت قال رضيت قال شيحة أكتب له يامولانا السلطان حجة وأنا أضع ختمي عليها فأمر السلطان ان تكتب له حجة بنصف سلطنة القلاعين على ذلك الشرط الذي سمعه الرجل فأقبلت اليه الادرعية الذين جاؤا معه وأطاعوه جميعا وشيحة ينظرهم وركب من قدام السلطان بموكب عظيم مشيت فيه مقادم الادرعية زوج زوج والخيالة خلفه من الكواخي ولما دخل القلعة ضربت المدافع وبعد ذلك عمل ضيافة السلطان وأخرج الاقامات للملك فردها السلطان ولم يقبلها وقال له استعن بها على رجالك الذين في خدمتك وركب السلطان قاصد مصر وأما فضل الدين فانه أقام في قلعته على الادرع له كلام

وأما السلطان فانه اقام بمصر وشيحة معه وأقام السلطان كذلك حتى مضى الشتاء ودخل الصيف فطلع شيحة الى الديوان وأراد ان يامره السلطان لاجل ان يركب معه لاجل جمع الاموال فما هو الا ان وقف واذا بالذي خطفه فسمع تسبيح الاملاك في مجاري قبب الافلاك يا مؤمن برب سواك وحد من لاينساك

[ياسادة] كان الذي خطفه سحاب المخطف الابيض خادم الملكة تاج ناس وسار به حتى وضعه قدامها فقامت اليه وسلمت عليه وجلس معها وسألته عن هذه المدة التي ما رأته فيها فحكى لها على ماجرى بينه وبين فضل الدين ان الادرع قدام السلطان وانا اردت عدم اهراق الدماء فان اهراقها حرام وأنا والله مغتاظ من هذه الاحكام فقالت له ولاي شيء لم تعلمني وأنا كنت أهلكته هو ومن معه بأعوان الجان ولا كان أحد يتعجب من أهل الايمان فقال لها هذا الذي جرى وأنا كتبت له حجة وقطعت له بالحكم على الادرعية فقالت له أنا والله لو اعلمتني ما كنت تخليت عنك فقال لها وهذا الوقت عجزت عن كونك تعمل لي شيئا دونك وما تريد حتى يبقى لك الثواب فقالت لا كذلك ثم اقعد لما تأخذك راحة وأنا أقضي لك كلما تريد فمكث عندها أقام عندها ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع قالت له خذ هذه الدواة والورق واكتب الى جميع الملوك الذين تعرفهم روم وافرنج وعجم واسلام ولا تترك ملكا من الملوك الموجودين الا كتبت له كتابا فأنا قصدي ان أوري الناس أنك لم يكن فيهم أكبر قدرا منك أبدا ويكون نسخة الكتاب الذي تعلم به ملوك العجم والروم مع الافرنج والاسلام قادم

لكم تابعا حامل هذه الكتب فنى حال قراءة الكتاب تحضروا هدية سنية إلى المقدم جمال الدين شيحة والاجتماع يكون بمدينة بغداد وليلة النقطة يكون الميعاد وان تخلف منكم أحد عن تقديم هديته يكون مهر وقادمه وبعدم مهجته وها أنا حذرتكم وحامل الكتاب مأمور كل من تخلف عن المسير يفعل فى حقه فعل نكير والسلام على النبي البدر التمام وكتب ستمائة كتاب بهذه الصورة وسلمهم لسحاب وفرقهم على اتباع تاج ناس من الجان فكل من أخذ كتابا سار به إلى ملك من الملوك واحد للروم وواحد للافرنج وواحد للعجم فأما هلاون لما قرأ الكتاب وكان القادم به عفاشة بن سحاب فالتفت إلى رشيد الدولة وقال له تروحوا بغداد فقال له نعم يا قان الزمان وواحد خير لك من الفتنة فان هذا لابد له من دليل فلم يسمع والتفت إلى سقلون طاز فقال له اقبض على النجاب فانه يستحق العذاب لكون انه يأمرنى أن أسير إلى رجل بدوى من توريز إلى بغداد وهذا بئس الميعاد فصاح هلاون وقال امسكوا النجاب وإذا بعفاشة ضربه على وجهه بالكف كاد أن يخلع رقبته وقال له والله يا ملعون ان لم تقم وتركب حالا وتسر حكم الأمر وإلا أخذت رأسك فانبهر هلاون ونظر إلى الذى قدامه فرأى صورته فقال يا رشيد الدولة كلما حتى أقوم واركب واجمع الهداية الذى طلبها منى ثم انه قام وهو ممتثل وجهز هدية وسار طالبا بغداد بعدما وكل رشيد الدولة على البلد وراح على بغداد وكذلك الملوك نصارى ويهود وأرفاض واسلام وكذلك الفداوية ووصل كتاب بالجملة للملك الظاهر فتعجب من ذلك وقال يا ترى شيحة أى شيء قصد بذلك ووكل السعيد وسافر إلى بغداد وصحبته سعاة ركابه ابراهيم سعد وسعيد الحايش وناصر الدين الطيار وعيسى الجاهرى وتراسلت الملوك حتى بقيت بغداد براها وجواها علم لا يحصى وركبت الملكة تاج ناس وأخذت شيحة على السرير معها وسارت إلى بغداد فوجدت الناس مجتمعين فنزلت الست تاج ناس وانتصب صيوان من الديباج باسرة من الصاج المصفح بصفائح الذهب فنظر الملك الظاهر إلى ذلك السور وهو صيوان تاج ناس فاشتهى أن يتفرج عليه فامر المقدم سعد أن ينده على شيحة فسار سعد إلى الصيوان بجد شيحة جالسا بجانب الملكة تاج امر فقال ياخوند كلم السلطان فانه أرسلنى فى طلبك فقالت الملكة تاج ناس كل من كان أتى بهدية فليأت بها إلى ها هنا وأمرت سحابا أن ينادى على الناس بذلك النداء منادى فسمعت الملوك فأ ل من سمع وقام على حيله وسار إلى القبة الملك الظاهر وأخذ معه تاجا ملوكى ومنطقة مرصعين بفصوص الجوهر فقام له المقدم جمال الدين واستقبله أحسن استقبال وقال له يا ابن السعيدين أردهان شاء الله فى الأفراح والمسرات

وبعده قدم هلاون ومن معه خمس عقود من خالص الجوهر وبعده ملوك العجم كل منهم على قدر حاله وكذلك ملوك الروم والافرنج كل منهم هداه بهدية على قدر مقامه وبعد ذلك جاءت هدية من سيدى أحمد البدوى وهو ايزار والذى أتى به من أتباعه قال له ان هذا الايزار تفرده فى الهواء فانه يظلكم من حر الشمس وانتم تمشون فاخذه شيحة وشكر سيدى أحمد البدوى وقال اللهم انفعنا ببركته كل هذا يجرى وفضل الدين بن الادرع ينظر ويرى فتقدم إلى المقدم جمال الدين شيحة وقال ياحاج شيحة أنا شريكك فى السلطنة واريدك تشاركنى فى الهدية فقال له أنا هديتى من أتباعى وأما أنت لك أتباع أدرعية اطلب منهم يهادوك أنت الآخر كما فعلت أنا فنادى فضل الدين وقال يابنى الادرع هادونى كما ان الناس هادوا شيحة فصار كل منهم يهاديه بشد والبعض يعطيه فروة والبعض يعطيه مبترية حتى بقى عنده كوم ملبوس فقال ياحاج شيحة جماعتى كلهم فقراء وماهادونى إلى بهذه الهدايات وأنا قصدى عدم الجور فتعطينى من هديتك النصف فقال له شيحة مرحبا بك يامقدم فضل الدين مرحبا بك لما تروحوا إلى مصر وتخلطوا الهدايا وتفرقوا منها على الرجال وتأخذوا نصفها انا ونصفها أنت ثم انه قال للملك عرنوس أنت تكون جاريش على الركبة وقال للمقدم حسن المنوفى أنت والهول بن شاكر احملوا هذه الهديات وسيروا بها إلى مصر ونادى المنادى من طرف المقدم جمال الدين على كل من حضر هذه الجمعية فليمضى إلى بلاده فسارت الناس طالبين بلادهم وركب شيحة والملك الظاهر فركب فضل الدين وجاء على يسار السلطان وكان شيحة على اليمين فانفرد الايزار على رؤس الاثنين وبقى فضل الدين فى الشمس فراح من على يسار شيحة فانعدل الازار إلى جهة الملك وشيحة فقط وبقى فضل الدين فى الشمس فقال كان الظل مو الس مع هذا القصير والظاهر فالتفت إلى المقدم شيحة وقال يا حاج شيحة أنا قصدى أكون بينك وبين السلطان فى المشى فى الطريق وأما فى الموكب امش أنت مع السلطان فقال شيحة تفضل امش على ما يعجبك فمشى فى الوسط والازار انشق وصار النصف الثانى على رأس شيحة وأما فضل الدين فانه بقى فى الشمس فاغتاظ المقدم فضل الدين وانحمق ووضع يده على قبضة شاكريته وتأخر إلى وراء وجذب الشاكرية فسطعت ولمعت فضرب المقدم جمال الدين فوقعت الضربة على رقبة حجرة المقدم فضل الدين وكانت ضربة مشيمة تمام فابرت عنق الحجرة كبرى الأقلام ووقع فضل الدين على الارض فقال له شيحة لأى شىء فعلت كذا ياسلطان بنى الادرع
فقال كنت ناسيا ياشيحة فقال شيحة كنت أردت أن تضربنى أنا فلعب الشيطان على عقلك

وزين لك قتلي قم على حيلك فقال له احك لي هذه الخيمة كيف سحرتها يا قران وأنا أين ما أمشي أرى نفسي في الشمس وأنت والظاهر في الظل فقال شيحة هذه انعام من الله تعالى لأهل الايمان وما أنت من عباد ين الجمل الجربان فمالك حق في النعم بل انك ما دمت ادرعي عيشتك في الشقاوة والنقم ولما تموت مأواك جهنم فما تم شيحة هذه الكلمة حتى قام فضل الدين وضربه بالشاكرية وإذا بيده وقفت ووقع إلى الأرض

فقال شيحة كتفوه فكتفه سحاب الخاطف فقال له شيحة ياغدار يامكار أنا أطول بالي عليك وأنت نافخ فيك الشيطان ومن حيث أن قلبك وعقلك مال إلى الغدر والحسد ولعب بعقلك الهوى فما بقي لك إلا السلخ دواء ثم إن شيحة قال يا سحاب نادى بصوتك وقل يابني الادرع ويا بني إسماعيل إن فضل الدين بن الادرع حلف شيحة إلا يسلخه لانه غادر خائن والاسم الا ظم كل من عارضني في سلخه أسلخه معه ولو كان أحدا من أولادي فنادى سحاب بصوت عالي سمعوه جميع الرجال فقالوا له يا شيحة ما أحد يعارضك إن سلخته أو سلخك اصطفل منك له فما أحد منا طالبا يتسلطن وينسلخ إلا هو فدونك وإياه فقال شيحة كل من كان له بلد يروح اليها وأما بنو إسماعيل وبنو الادرع فانهم يسيرون معي إلى مصر يتفرجون على سلخ فضل الدين فتفرق الناس ولا بقي إلا الفداوية فاخذهم الملك وشيحة وساروا في البر حتى وصلوا إلى العادلية فانعقد موكب للملك الظاهر وشيحة راكب بجنبه إلى قلعة الجبل وفضل الدين مجرور قدامهم في الحديد الى ان قعد في الديوان فامر شيحة باربع سكك حديد وشبح فضل الدين فيهم ودخل شيحة قاعة التبديل وطلع لابسا بدله من الجلد الكتلة وصدري وتناب وركب على أكتاف فضل الدين بن الادرع على رأى من قال

رأيت على صخرة عقربة وجعلت ديلها ديلنا
فقلت أبا عقربا تصري فطبعك من طبعها الينا
فقالت صحيح ولكنني اريد أعرفها من أنا

وكان شيحة لابسا منطقة من الجلد وفيها أربعة وعشرون كشافية ومستعد فضرب الكشافية على المستعد فنزل منها شرار فشق جلد رأسه وما دام يسلخ في جثته حتى جمع الجلد على صرته وقال له يا فضل الدين ان كنت تسلم وتدخل دين الاسلام أرد جلدك كما كان وتطيعني وتكون من أهل الايمان فقال فضل الدين والله يا ابن الملتفة لو يعطوني الدنيا بما فيها ملكا طاقا وانت فيها ما أريدها اسلخ الله لا يرحم اباك فقطع شيحة الصرة خرجت الروح الخبيثة من الجثة الخبيثة فامر بحرق الجثة بالنار

ودبغ الجلد وصقله وملأه ساس وجعل له عيونا قزاز وأمر سحاب المختطف أن يعلقه على قلعة فضل الدين وكتب فرمان وعلقه على صدره كل من عصى على سلطان القلاعين والحصونين ولعب بعقله الهوى فماله إلا السلخ دواء ويصير مثل هذا بالسوى ونظرت الفداوية إلى ذلك الحال فقال بعضهم لبعض الله يحمينا من هذا النكال وبعده أمرهم سلطان القلاع كل من له قلعة يمضى اليها ولا يقيم فى مصر إلا من له كرسى فى الديوان فسارت الفداوية جميعا إلى قلاعهم وهم يقولون لبعضهم أماشيحة ياأخى جزار شاطر فانه يطلع الرجل من طيز الرجل واحد حرقه والثانى علقه .

[قال الراوى] وبعد أيام اتى نجاب إلى السلطان ومعه كتاب فقال الملك من أين فقال النجاب يا مولانا السلطان

حلب الشهبة قالت سائر المدن عبيدى
وأنا على تخت عزى بين سعد وسعيدى

واطلع كتابا وقدمه إلى السلطان ففرده على وجه حامله وأخذه مقرى الديوان فقرأه وإذا فيه مكتوب

إن الكتاب الذى كتبه بيده يقرا السلام على الذى يقراه
وعلى الذى يقراه ألف تحية ممزوجة بالمسك حين يراه

من حضرة العبد الأصغر والمحب الأكبر خادم الركاب كاتب الجواب عماد الدين أبو الخيش باشة حلب إلى بين أيادى مولانا ملك القبلة وخادم الحرم الذى أعلمك به ياملك الاسلام اننا يوم تاريخ الكتاب نحن مقيمون وإذا بملك عجمى أقبل بعرضية ونصب قدام حلب وهو قائم رايات الأمان فأرسلت أسئلة عن سبب مجيئه ونزوله هنا وما اسمه وأين رايح فأرسل يقول انه اسمه القان بهرمان شاه ملك خراسان العجم وأنا نسيب الوزير الصدر الأعظم الأغاشاهين الاقرم وقصده الاجتماع عليه فأرسلنا إليكم هذا الكتاب لاجل أن يكون فى علمك ونحن منتظرون أمرك أطال الله فى عمرك وهذا ماعندنا والسلام فلما فهم الملك الكتاب سأل الوزير عن هذا القان بهرمان شاه

فقال الوزير صدق يامولانا فان له بنتا اسمها خاتون روجتى وهى باقية فى ذمتى

فقال السلطان إذا كان الامر كذلك قم ياأمير أيدمر خذ عساكرك ومماليكك وسافر إلى حلب وهات القان بهرمان إلى مصر فقال سمعا وطاعة وركب أيدمر البهلوان وسافر إلى حلب وسلم على القان بهرمان وتلقاه بأحسن ملتقى وقال له تفضل سافر معى إلى السلطان فركب مع أيدمر وسافر معه قاصدا مصر .

[قال الراوى] وان الملكة خاتون بنت القان بهرمان وضعت بنتا وسمتها افتونة وكبرت البنت وانتشأت فرأت أمها تقول لجدها يابابا وهى أيضا تقول لجدها يابابا فقالت لامها انت امى واختى هذا شىء لا يكون إذا كان أبى أبوك فقالت لها يا بنتى انا بنت القان صحيح واما أنت فأبوك يقال له شاهين الافرم وهو الوزير الاعظم عند قان العرب فى مصر الملك الظاهر فلما سمعت افتونا ذلك الكلام اشتغل قلبها ودخلت على جدها وباست يده وبكت فقال لها مالك يا افتونة لاى شىء تبكى فقالت له أبكى على أبى لانى تربيت مثل اليتيمة وانا اتمنى عليك انك توديني إلى أبى حتى أشوفه ويشوفنى

فقال لها مرحبا ووكل لها وكيلا على بلده وركب وأخذ بنته فى تخت وسافر حتى وصل حلب هذا كان السبب ولما أقبل أيدمر البهلوان أخذه وسافر إلى مصر وانعقد له موكب وطلع إلى قلعة الجبل وطلعت البنت من التختروان إلى بيت الوزير فنظرها الملك محمد السابق وإخوته وعيسى الجاهرى وناصر الدين الطيار ويعقوب الهدير ومحمد الغندور وخليل بن قلاوون فكل منهم عشقها وتوالع آماله بها فدخلت البنت إلى قصر أبيها [وأما] القان بهرمان فانه اكرمه الوزير مدة شهر تمام وبعد الشهر قال القان بهرمان للوزير بنتك ... جئتك ها هم بقوا عندك وأنا طالب السفر إلى بلدى فقدم الوزير له خمسين حصانا كحايل بعددها وقدم له هدايات تليق لمقامه وودعه أربعة أيام وعاد الوزير إلى خدمة السلطان وجلس فى الديوان فطلع المقدم محمد السابق ووقف على رخامة الطلب واشار إلى الوزير وقال له يا دلتلى وزير وانا جئتك خاطبا راغبا قابضا ماهرا لا تردنى خائبا فى الست المصونة والجوهرة المكنونة الملكة افتونه عليك ماتقول وجب وأنا أمهرها بثقلها من الذهب فأراد الوزير أن يقول وجب فقام ناصر الدين بن المقدم سعد وخطب فقام عيسى الجاهرى وخطب من الوزير وبعده قام المقدم يعقوب الهدير وخطب بالفور وخطب من بعده محمد السابق الغندور وهو كالمجنون وبعده قام الخليل بن قلاوون

فقال الوزير أنا مابقيت أقدر أزوجها لانها فتنة كل من نظرها فأنا أرتاح من هذه النقم وأردها الى جدها فى بلاد العجم

فقال السلطان من يقول هذا ونتر فيهم فقعد كل من هو بارضه وبطل كل واحد خطبته خوفا من السلطان وأما السابق فانه لم يقدر على الصبر فصبر الى الليل وسار الى بيت الوزير ورمى مفرده فطلع وسرق الست افتونة وحطها فى جدان بعد ما بنجها وسافر بها طالبا بلاد الشام فاقبل الى مغارة ووضعها فيها وفيقها فقالت له لاى شىء سرقتنى فقال لها من أجل أبوك فانه مارضى ان يزوجنى لك وانا متولع بحبك

فلأجل ذلك سرقتك فانا مالى عليك صبر فقالت له انا أبي لوكان يسألني وقال لي من تتزوجي لكنت أقول له انزوج بمحمد السابق فأنت ردني الى أبي وأنا لا آخذ غيرك فقال السابق أنا رايح أروح بك الى محل لا يعرفه الظاهر ولا أبوك حتى اكتفي شرهم وانما أنا مرادي أجيء لك بفحل غزال اذبحه واشويه وآكل أنا وانت ثم انه بنجها ووضعها فى قلب المغارة وسد عليها باحجار وطلع يصطاد له غزالا وأعجب ما وقع ان الملعون جوان مقبل من الروم قاصد الدخول الى بلاد الاسلام ليدبر له مكيدة على سرقة افتونة لانه كان سمع خبرها فأراد ان يسرقها فاتفق أنه فات على تلك المغارة فلقى بابها مسدودا بالاحجار فقال يا برنقش هذه المغارة لاعلو سدادها أما ان يكون بها حصان أو يكون بها دامرية أو يكون مال مخبي لانسان ثم أنه فك الحجارة ودخل الى وسط المغارة فوجد كما قيل

قال العزول المستهزىء بكره تواصل من تعشق
صدقت حتى وصلته جاء القتال وتوكد المنطق

فلما التقى الملك افتونة لفها فى جمدانها وطلب البر بها وبينما هو سائر واذا بالمقدم عيسى الجاهرى عارضه فى الطريق وحققه بالنظر تحقيقا فصاح عليه وقال أنت جوان فقال نعم فقال ان خطوت خطوة واحدة ضربتك واخذت عمرك فقال جوان ها أنا واقف والبرنقش معى واقف أيضا فقال له رايح أين فقال له يا مقدم عيسى أنا معى هدية لانظير لها معى اذا كنت تأخذها منى وتتركنى ماهو احسن لك فقال له عيسى هات الهدية فقال جوان لما تحلف فقال عيسى والاسم الاعظم ان كانت هدية مليحة تركتك تمضى فأعطاه الملكة فتونة فنظرها المقدم عيسى وقال يا جوان أنت تستحق أنى ابوس يدك والله لولا أنك كافر لكنت اقبل يدك ورجلك ولكن روح الله تعالى يلعن والديك وأخذ المقدم عيسى افتونة وسار بها قاصدا قلعة حوران

[قال الراوى] وكان السبب فى مجىء المقدم عيسى الجاهرى وهو ان الوزير أصبح لم يجد بنته نطلع الى الديوان وشكى الى السلطان فقال السلطان ما أخذها الا الذى خطبها أولا ثم طلب عيسى الجاهرى وناصر الدين الطيار ويعقوب الهدى ومحمد الفند وخليل بن قلاوون وسألهم عنها فجعلوا أنهم لم يعلموا لها خبرا لا اثرا فقال السلطان خذوا وفتشوا عليهم ومن اتى بها يتزوجها فطلع على وجوههم وكان عيسى راكبا على ... قابق الخيل فلاقى جوان كما ذكرنا وبعد ما أطلق جوان ... اخوانه ومعه جوان فقالوا له يا مقدم عيسى أى شيء معك فقال نعم يا اخوانى هذه افتونة لقيتها وأنا متولع بحبها ومرادى منكم تتركوها لى وكل واحد منكم يأخذ خمسة آلاف دينار

فقال ناصر الدين انا بعتك مناى هات القبارصة فأعطاه عقدا بخمسة آلاف دينار فقال يعقوب الهدير وأنا ما أبيع بهذا القدر فقال ناصر الدين انا بعت منابك أنت ومحمد الغندور هات القبارصة يامقدم عيسى فأعطاه عقدا بعشرة آلاف دينار فأخذه ناصر الدين وقال والاسم الاعظم كل من عارضه قتلته فأخذها المقدم عيسى الجاهري وفرح بها وسار إلى حوران ودخل على عمته فاطمة الحورانية وبات عندها تلك الليلة وأوصاها على أفتونة فقالت يا ابن أخي هذه بنت وزير وما يليق بك أن تفعل بها شيئا إلا بالكتاب والسنة وأما إذا اردت أن تفعل غير الكتاب والسنة فلا يمكنني أن تراها وانما أفتونة تقيم عندي في الحفظ والصون وأنت سافر إلى مصر فاذا سألك أبوك فأعلمه بأنها عندي واطلب منه قدام السلطان وأيضا الوزير يحب أبوك فلابد انه يزوجك بها فقال لها يا الك ما يرضوا يزوجوني بها فقالت له وأي شيء يطلع من أيديهم أنا ما أسلمها لاحد غيرك ولو أتى الظاهر طاوعني يا ابن أخي وكلما قلت لك عليه افعله فامتثل كلامها ونزل من عندها وسار طالبا مصر فلما طلع قدام السلطان قال له ابوه أين كنت فحكى له ما وقع فتقدم المقدم ابراهيم الى الوزير وقال له ادولتلي اعلم أن ولدي عيسى الجاهري خلص بنتك من الملعون جوان ولكنه ودعها عند أبي وأختي في قلعه حوران من خوفه أن تزوجها لاحد غيره وأتى إلى عندي وأخبرني بما فعل فلا يضيق صدرك فأنا جئت خاطبا راغبا في بنتك لابني فلا تخيب سؤالي وتقطع منك آمالي وأنا سايق عليك مولانا الظاهر فقال السلطان يا مقدم ابراهيم سيافك مقبول ولكن يروح يجيء بها إلى بيت ابيها وبعد ذلك يخطبها ونحن نزوجه بها فقال ابراهيم شكر الله فضلك يا مولانا وفضل الوزير هكذا أملي فيكم والتفت الى ابنه وقال له روح آتو بها فعاد المقدم عيسى الجاهري إلى قلعة حوران ودخل على عمته فاطمة وأعلمها بما جرى فقالت له معك كتاب من أبيك قال لها لاي شيء قالت له يا ابن أخي أنا ما أسلمك البنت إلا بكتاب من ابيك أو من السلطان فانت ولد جاهل والعرض غالي وهذه بنت الوزير فاغتاظ عيسى الجاهري من المقدمة فاطمة وطلع من عندها غضبان وتلبس به الشيطان وبينما هو سائر فالتقى بالمقدم على الطاريد ... المقدم جمال الدين وكان من أحبابه فقال له من أين أتيت فقال من حوران وكنت خلصت بنت الوزير من جوان وودعتها عند عمتي فاطمة ... الى مصر و... الوزير ... اجها فأتيت الى عمتي فمنعتني من أخذها ... لا أسلم البنت إلا بكتاب من أخي ... السلطان فقال ... كتاب ... السلطان أو من أبيك فتوجه عيسى الى مصر ... حوران وصبر الى الليل ورمى

مفرده وطلع من على السور ونزل من على قاعة فاطمة فوجدها قاعدة تتحدث مع الملكة أفتونة وتقول لها ياأختي النساء لابد لهن الزواج وابن أخي عيسى الجماهري لم يكن أحسن منه قط فطاوعيني ولا تأخذي غيره فانه يصلح لك وأنت تصلحي له ونظر المقدم على الطويرد إلى الملكة أفتونة وما كساها الله من الحسن والجمال فتولع آماله بها ورمى دخنة بنج فاطمة وأفتونة ونزل ووضع أفتونة في جدان وحملها وطلع من القلعة حوران وقصد جهة بلاد الروم فالتقوا واخرته محمد السابق والمقدم تويرد فرأوه حاملا جدان وسائر وحده فقالوا له أي شيء معك فقال لهم هذا خراج دير الزيتون سلمه لي أبي أوصله إلى السلطان في مصر فقالوا له أرينا الجدان فقال لهم ما حد ينظره ووضع الجدان في الارض ووضع يده على قبضة الحسام وحمل عليهم فقالوا له لأي شيء تقاتلنا فقال لهم إذا كان أبي أعطاني شيئا أحفظه حتى أوصله إلى محله ولا أفرجكم عليه فقال السابق الحق بيدك روح يا أخي ما تفرجنا ولا تقاتلنا فالتفت فلم ير الجدان فقال ضيعتموها فقالوا له أي شيء هي فقال هي أفتونة بنت الوزير فقال له السابق أنت قلت هذا مال وصدقناك لما عدمت قلت أفتونة فتخاصموا مع بعضهم وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل فسألهم عن الخبر فاعلمه الطويرد بالقصة فقال له ولأي شيء تخاصمهم خطفوها روح دور عليها فسار المقدم على الطويرد وهو مغتاظ [قال الراوي] وكان الذي أخذ أفتونة المقدم عيسى الجماهري وناصر الدين الطيار والسبب في ذلك أن عيسى الجماهري عبر إلى مصر وحكى لناصر الدين الطيار بما جرى من عمته فقال له أنا أروح معك وأقول لعمتك وجدك أنا أمرني عمي ابراهيم أن أسير مع المقدم عيسى وأعلمك أنك تعطيه أفتونة باجازة أبيه المقدم إبراهيم ثم سار معه قاصدين حوران فرأوا أولاد شيحة يتقاتلون فقال عيسى للمقدم نصر انقرب يا أخي وانظر لأي شيء يتقاتلون فقال عندهم جدان فقال هات الجدان وأنا أعطيك الف دينار فانفرد المقدم ناصر الدين وتركهم وهم بالخناق مشغولين وأخذ الجدان وعاد إلى عيسى فقال له سر بنا إلى مصر عاد طالبين مصر إلى أن وصلوا إلى الخانكة فباتوا لأجل ان يستريحوا وأنهم يدخلون مصر النهار فاصبحوا فلم يجدوا أفتونة وكان السبب في سرقتها محمد الفهد ولأنه كان من جملة المتولعين بتلك البنت فطلع يقتفي اثرها وكان عاشق زمانه فسار سبق الطرقات ويتفقد الاخبار عن افتونة حتى غاب مدة وعاد فنظر الى الاثنين وهم قادمون ومعهم الجدان فتبعهم وما زال يرصدهم حتى ناموا فأخذ البنت وطلع من الخانكة ليلا وسار الى مصر فكان دخوله آخر الليل ورمى مفرد وطلع على السور وأدلاها الى الارض ونزل ثم حملها فلما ... وغاب ...

[ياسادة] كان الذى أخذها الأمير خليل بن قلاوون لأنه كان ملزوما بغفر السور فنظر إلى ذلك الجدان فأخذه وسار به إلى بعيد ففتحه فرآها افتونة وكان الآخر متولعا بحبها فلما رآها قال لكيخته اكتم هذا الخبر ولا أحد منكم يظهره وأنا قصدى آخذ هذه البنت وأتزوج بها فى غير هذه البلاد وإذا سأل عنى فقولوا له أنه دائر يشق على السور وعند الصباح طلبناه فما وجدناه ثم ان خليل سافر بافتونة أياما طويلة وهو يجد الطلب حتى وصل الى حلب فدخل المدينة واخذ له أودة فى خان ودخل فيه وحطها وطلع يجىء بمأكل ومشرب وعاد فلم يجدها فارتمى مغشيا عليه وأقام فى ذلك الخان يقع له كلام [قال الراوى] والذى سرق أفتونة الملعون جوان فانه عبر على حلب ونظر إلى خليل بن قلاوون ومعه الجدان فقال ما هذا إلا ذخيرة وتبعه حتى دخل الخان ووضع افتونة ودخل فسرقها وطلب منها بحيرة يغرز فبينما هو قادم على بحيرة ... ة والغبار غبر وانكشف عن فداوى من بنى إسماعيل يقال له المقدم رصد القاتل وكان ذلك الفداوى من مدة قديمة غائب فى اللجج وما ظهر إلا فى تلك الأيام فلما وصل الى قلعته وسأل عن الربك وما أصله فاخبروه بان الذى فعله شيحة وهو سلطان على الحصون فقال معزول شيحة وركب حجرته وأتى لأجل أن يقتل شيحة فالتقى جوان فى الطريق وكان يعرفه ورآه فى بلاد الروم فقال فى نفسه والله ان قتل هذا الملعون أفضل من زيارة الكعبة لأن قتله إزالة غمة عن الاسلام ثم انه صاح عليه إلى أين يا جوان يا معرص فقال جوان أهلا وسهلا فقال له هات قرعتك يا جوان أنا رأيتك وأنت فى بلاد الروم والله يا قران كل من قتلك كانه زار الكعبة فنظر له جوان ورآه جبارا فقال له وأنا أى شىء معك فقال له هذه جارية عجمية أخذتها من بلاد العجم وقصدى أبيعها فى بلاد الروم فقال اعطها لى وأنا أعتقك وان لم تعطها لى أخذتها منك غصبا وقطعت رأسك فقال جوان خذها وخلينى أروح إلى حال سبيلى فقال المقدم رصد هاتها فاخذها منه وتركه وراح إلى حال سبيله فلما بقيت فى يده فتح الجدان ونظر إلى الملكة افتونة فغاب صوابها ففيقها وقال لها انت بنت من فى ملوك العجم فقالت له وأنت من من العرب فقال لها أنا المقدم رصد القاتل وأتيت من قلعتى وكان قصدى أروح مصر أقتل الملك الظاهر وأقطع رأس شيحة وبعد ذلك أتولى على مصر والشام وسائر بلاد الاسلام والقلاع والحصون وكل الدنيا فقالت وأنا بنت الوزير الأعظم الأغا شادين الافرم فقال لها وأى شىء أوقعك فى يد الملعون جوان فحكت له على سبب قدومها من بلاد العجم وما جرى فقال لها يعنى إذا أنا خذتك ورحت بك إلى أبيك يرضى يزوجنى

بك بعقد ومهر وأنا كنت ناوى أقتل شيحة لكن لأجل خاطرك أطيعه وأصالح معه وأكون من أتباعه فقالت له وأنا بالغة رشدة إذا سالنى وقال لى تأخذى من فاقول له آخذ هذا الفداوى المقدم رصد القاتل فقال لها اذا كان كذلك أنا أوديك اليه وآخذك بكتاب الله وسنته ثم انه سار بها الى مصر ووطاها فى مغارة الزغلية ودخل على الديوان وصاح نعم يا ملك الاسلام أمدك الله بالعمر الطويل كما أمد نوحا بعمر طويل وأنا جئت الى عندك قصدى أتمم خدمتك وأطيع الحاج شيحة ويكتب اسمى على شواكره أين هو شيحة وكان المقدم جمال الدين فى هذه الساعة قاعد بجانب السلطان فقال له أهلا وسهلا يا مقدم ما اسمك فقال له أنا المقدم رصد القاتل وكنت طالبا جدالك على سلطنة القلاع والحصون ولكن اشغلتنى هذه البنت التى أوجدها لى ربنا ولزمنى الحال أنى أطيع شيحة وأكون من رجاله فقال المقدم جمال الدين مرحبا بك وهى ان شاء الله تكون زوجتك فقال اكتب يا شيحة اسمك على سلاحى وهى طاعة الخوند لك حتى تعوم الجبال فى البحار فكتب شيحة اسمه على سلاح الفداوى وقال له انزل بقى هات البنت فنزل الفداوى إلى محلها فرأى فيه خيشة ملآنة دخن وجراب فيه فيران مشوية وزق جلد فيه بوظة فهال الجميع وطلع الى الديوان وقال البنت انصرفت وهذه الحاجات رأيتها فى محلها فأتيت بها فقال شيحة هذه سرقها عايق من بلاد الحبشة فقال المقدم رصد أنا أسافر وراها ولو تروح الى سد اسكندر ثم نزل طالبا بلاد الحبشة يقع له كلام

[قال الراوى] وأما ما كان من أفتونة فان الذى سرقها عايق من بلاد الحبشة والسبب فى ذلك ان ملك الحبشة وهو النجاشى حصل له مرض أشرف منه على الموت فوصفوا له الحكماء أنه يتزوج بواحدة من البيضان وتكون جبلة فاحضر عايقا اسمه سراق الحبشى وقال له أريد منك ان تاتينى بواحدة من البيضان جبلة فقال سمعا وطاعه وسافر حتى اتى الى مصر ودخل مغاير الزغلية ليكمن فيه فرأى ذلك الجدان ففتحه فلقى أفتونة قال آدى المطلوب نحمله وسافر ليلا ونهارا حتى دخل إلى مدينة الدور والسبع قصور وسلمها للملك ففرح بها وعمل لها فرحا عشرة أيام الى ليلة الدخلة فاراد أن يتمتع بها واذا بدخنة بنج نزلت عليه وعليها وطاق الدخنة المقدم رصد فنزل ذبحه من أذنه الى أذنه واخذ أفتونة وعاد على عقبه طول الليل وطول النهار والليلة الثانية الى الصباح فنظر خلفه فالتقى الحبشة مقبلين خلفه كانهم يأجوج ومأجوج وهم مثل الجراد المنتشر فالتجا الى جبل عال فطلع فوق ذلك الجبل وفيقها وقال

لها لا تخافى اقعدى فى هذا المحل وجمع جانب صوان وقعد على سن ذلك الجبل حتى قدموا عليه الحبشة فقال لها لا تنزلى من هذا المكان فانا لا بد لى ان القى هذه العبيد وأقاتلهم ولو أنهم بعد درمل وادى كنعان فان الرجال لا تخاف من الحرب والقتال فقالت له الله ينصرك عليهم وينجينا من شرهم ويرمى كيدهم فى نحرهم فعند ذلك نزل المقدم رصد وتلقاهم بقلب اقوى من الحجر وجنان اجرى من تيار البحر إذا ذخر مال عليهم كل الميل وكالهم كيل وأى كيل افنى منهم كل فارس نبيل وما دام يضرب فيهم بالحسام البتار الى أن مضى النهار ودخل عليه الليل بظلام الاعتكار فانسل من قدامهم وتركهم يخبطون فى بعضهم طول الليل واما المقدم رصد فانه طلع الى الجبل وكان معه جربندية ملانة تمر ابريمى فاعطى افتونة نصيبا من التمر فاكلت وقال لها لا تخافى فان هؤلاء ناس مثل الغنم وأنا لا أبالى بهم لانهم عادمون المعرفة بالحرب ولا لهم ملبوس يمنع عنهم ضرب السلاح وكل من ضربته بالشاكرية فما ياخذ غيرها فدعت له واطمأنت بكلامه واخذ له راحة من النوم قدر ساعة ونزل عليهم سرق قربتين ملانين بالماء البحرى واخذ جرابا ملانة دقيقا ثم انه طلع به الى الجبل ووضعه عند افتونة ونزل ثانيا الى العرضى وسرق جرابا من الدقيق وجرابا من السمن واطلعهم الى الجبل وعاد ثانيا ووضع يده على خنجر امضى من القضاء والقدر وصار يذبح فى النيام حتى انجلى الظلام فانتبهوا السودان ومالوا عليه بكل سيف يمان فقاتلهم فى اليوم الثانى وعند آخر النهار زاغ من قدامهم وطلع الى الجبل وفى اليوم الثالث كذلك وهكذا احدى عشر يوما حتى جعل اجسادهم كوما جنب كوم ولكن الجمع كثير وهو فريد فقالوا لبعضهم هذا يطول شرحه فداروا عليه حول الجبل ومنعوه من الوصول فقاتل ثلاثة أيام حتى خفت قوته وقل عزمه فرفع قامته الى السماء وجرى دمعه على خده منسجما وقال

يا رب انظر حالى وارحمنى ... فليس لى راحم سواك يارب
وحيد فريد بين العدا اتجرع ... كاس الفنا وانت الذى تعلم بى
يا رب انى ارتجيت الغفران ... منك وسامح يا مهيمن ذنبى
يا رب قلت حيلتى فارحمنى ... ورد اعدائى وفرج كربى
وامدد فى اجلى وقصر عمرى ... نعم الرضى يا رب ... بر قلبى
موتى مجاهد فى سبيلك أولى ... فى موقف الكفار نهار الحرب
أشهد بأنك حى قادر قاهر ... ذو الفضل مغنى خلقه بالوهب
والمصطفى طه النبى المرسل ... خير الخلائق عجمها والعرب

[قال الراوى] فلما تم المقدم رصد القاتل هذا الدعاء والا غبار ظهرت

وتعلقت ورأت السودان عساكر وهي قادمة كأنهم أسد من حديد وخيول سد القفر والبيد وقدامهم ملك الاسلام مفرود على أكتافه يبرق المظلل بالغمام ويتلوه الفداوية كأنهم أسد الآجام فنظر السلطان إلى اجتماع السودان فعرف المعنى وقال لاشك أن هذا المقدم رصد القاتل وأن بنت الوزير صحبته وهي أصل بليته فدونكم ياعصبة الاسلام جاهدوا في سبيل الملك العلام حتى تحظون بالجنة دار السلام صاح الله اكبر

طاب القتال بحد الصارم الذكرا ... وخوض بحر المنايا كلما زخرا
فاحملوا معشر الاسلام واجتهدوا ... وقاتلوا كل من بالله قد كفرا
هذا نهار الجهاد الله يرحمكم ... هيا لطعنوا عصبة السودان يا أمرا
هيا ولا يفشلوا فالحرب عادتكم ... ولا يخف في نهار الحرب الآمرا
وها أنا قبلكم أجلى غياهبها ... بحد سيف ثقيل المتن مشتهرا
انى أنا الظاهر المنصور تعرفني ... محمود اسمى وقدشاعت لى الذكرا
يا سبع حوران يا ساعى لميمنتي ... وانت يا سعد يا ساعى على اليسرى
هيا اطعنوا واضربوا بالسيف قنتهم ... يمدكم ربكم بالنصر والظفرا
وأنتم يا بنو اسماعيل دونكم ... فاهلكوهم ولا تبقوا لهم أثرا
الله أكبر عليهم كلما زحفوا ... الله أكبر إذا بحر القتال جرا
ثم الصلاة على طه النبي العربي ... الهاشمي من سعى من أجله الشجرا

[قال الراوى] ولما فرغ الملك الظاهر من هذا النظام وما أبداه من الكلام صاح إبراهيم لعينيك يا ملك الاسلام يا خادم قبر المظلل بالغمام الله أكبر :

انظر لفارس نهار الحرب قد ظهرا ... صلى وصام وآيات الكتاب قرا
وصار يغنى على ملبوس قامته ... أبيات من صنعة الآداب والشعرا
له خردة من صنعة عاد لابسها ... من الحديد ترد الصارم الذكرا
مطلية بالذهب كاتب عصابتها ... تقيه من أعين الحساد والسحرا
وشد من فوقها والزند حابكه ... وهكذا تلبس الأشراف للفخرا
لا تجحدوا يا كلاب الكفر معرفتي ... يوم القتال إذا فجر الدما هدرا
يوم العريش وحوش البر تشهد لى ... أشبعتهم شهرا من لحم العدا هبرا
لما القوا بخيول حطم الست ياسرها ... فكان سوطى وراها يفلق الحجرا
ذلوا النصارى وولوا عند ما نظروا ... من ساعدى ضربا لا يبقى ولا يذرا
قالت لى الست مهما الاسم يا بطل ... فقلت يا ست اسمى ضاع واندثرا

زراع حرات شقوق الكتاب أنا مشدود موسى وعهداته ما اتنكرا
سيرى على مهلكى فى البر آمنة أنا غفيرك وراك اقتفى الأثرا
ويوم سيس فعالى ليس انكره والانحبار ولى وقعات مشتهرا
ثم الصلاة على أزكى الورى شرفا خير البرية من طاطا له الشجرا

[قال الراوى] وبعده صاح سعد وحمل وحملت بنو إسماعيل وكل فارس بطل والوزير الأعظم حمل ورمى رؤسا مثل الحنظل أخذوا العدا مواسطة وما كانت إلا ساعة حتى هلكوا جميع السودان ولا نجى منهم الا القليل وأيد الله الاسلام بالنصر على الأعداء اللئام ونجى الله المقدم رصد من الهلاك والاعدام وقدم قبل ركاب السلطان وكان سبب قدوم السلطان أن الوزير قال له يا ملك الاسلام حيث أن منى ثبت حالها أنها فى فى بلاد السودان اعطى اجازة اتبع جرتها فاهى من المروءة انى اقعد واتكل على الفداوى الذى قصده يزوج بها فان العرض غالى وأهل الميت أحق بالبكاء .

فقال السلطان صدقت وجهز الركبة وطلب بها بلاد السودان وأتى إلى ذلك المكان فالتقى الوقعة وخاص المقدم رصد من الاعدام وقال له يا مقدم رصد انت لقيت اقتونة بنت الوزير .

فقال نعم يا ملك الدولة وأنا أقاتل على أى شىء ماهو إلا من أجلها فقال السلطان هكذا الرجال وأين هى يا بطل الزمان .

فقال فى الجبل يا مولانا السلطان فقال اطلع هاتها فطلع المقدم رصد يدور عليها فلم يجد لها خبرا .

ساروا وسار الربع يندبه الثرى إن قلت بانوا اين مثلك بانوا
فاسأل منازلهم يجبك يا فتى كانوا بها وكأنهم ما كانوا

[يا سادة] فنزل المقدم رصد القاتل وهو باكى العين ووضع يده على أحشاه وقال مرقت يا ملك الدوله فطلعت الرجال والأمراء وداروا بالجبل فلم يروا لافترنة خبرا ولا وقفوا لها على أثر فاغتم الملك وكل من كان حضر وبكى الاغا شاهين وتحسر وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فطلب الملك الفداوية وسألهم فلم يجد عيسى الجاهرى فقال يا مقدم ابراهيم اين ولدك فقال يادولتلى حتى إذا كان أخذها يبقى الاجتماع به فى مصر فقال المقدم رصد يبقى أنا أتعب عليها وابنك يأخذها فقال ابراهيم من أعلمك انه أخذها يمكن انه نظر أحد أخذها وتبعه فقال السلطان هيا يقى على مصر حتى ننظر عيسى الجاهرى وسافر السلطان بالعرضى على مصر .

[قال الراوى] وكان السبب فى أخذ أفتونة هو المقـــدم عيسى الجاهرى فانه

لما رأى المقدم رصد تعب هذا التعب فعلم أن الوزير يزوجها له بسبب ذلك وعزم عيسى الجاهرى فما كان منه إلا استغفل الجميع وهم فى القتال وطلع الجبل فالتقاها وطيب قلبها وأعلمها بقدوم السلطان وأعطاها بعض ما كول حلاوة بنجها ولفها فى جمدان وزرره عليها وحملها خلفه على حجرته وطلب عارض البر قاصدا مصر ولما قرب من مصر خاف أن يلحقه السلطان يأخذها منه ويزوجها للمقدم رصد حيث انه تعب من من أجلها فطلب بلاد الشام وهو يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى فضلت افتونة تنهاه فلم يقته وقال لها لا أفعل إلا ما أشتهى ودام كذلك حتى دخل إلى بلاد العجم الى مدينة قيشان وهى مدينة عامرة ولها ملك اسمه عبد نار فاقبل المقدم عيسى وهو مار فدخل بستانا فنزل فيه لأجل الراحة فقالت الملكة افتونة يا مقدم عيسى أنا الحر اهلكنى واريد أن استحمى فى هذه الفسقية فقال لها دونك وما تريدى فنزلت فى تلك الفسقية وصارت تتقلب فى الماء حتى استحمت فكان ملك البلد القان عبد نار قاعدا فى قصره ويتفرج على البستان وافتونة لم تعلم به ولا المقدم عيسى فقال لحجابه ائتونى بذلك الغلام فأقبلوا على المقدم عيسى الأعجام وقالوا له ان قان لزمان يطلبك أنت وهذه الجارية التى معك فقال سمعا وطاعة ثم سار معهم حتى أدخلوه على القان فلما رآه أمر له بالجلوس فجلس وطلب له شربات فأسقاه وقال يا بنى أنت بإسرجى فقال لا فقال وهذه البنت التى معك ما تكون منك فقال أختى فقال له أما ترضى تزوجنى بها فقال المقدم عيسى أزوجك إياها كيف وأنا قط لم أعرف لى أهلا غيرها فقال عبد نار أنا صهرك وكلما طلبت أعطيك فقال المقدم عيسى أنا ماليس لى أحد فى الدنيا غيرها وإذ زوجتك بها اين أقيم مالى أحد أقيم عنده ومالى إحد أقيم معه فقال له تبقى عندى فقال له يمكن أنت تموت ويتولى على ملك غيرك يطردنى وإنما ان كان تريد أن تأخذ اختى منى اكتب لى حجة بالملك من بعد موتك أكون أنا قان البلد وكذلك ان خلفت اختى منك ولدا فيكون له الملك فأحضر مشايخ المجوس وكتب له حجة بما قال وشرع القان عبد نار فى فرح الملكة أفتونة شهرا كاملا هذا وأخوها تولى على كل ما تحت يد القان وبقى المقدم عيسى هو نديم القان يأكل معه ويشرب إلى يوم قالت الملكة افتونة يا مقدم عيسى ما هذ الأمر الذى عملته أترضى أن يتزوجنى هذا الكافر فقال المقدم عيسى أنا ما قصدى إلا آخذ بلد هذا الملعون ولكن خذى هذا القرص من البنج فاذا طلع عندك سايريه وانبسطى معه وارضعى له هذا القرص فى الشراب واسقيه فاذا تبنج ونام ضعى مخدة على فمه واقعدى فوقها حتى تسمعيه ضرت من تحت فقوى على حيلك

وردى المخدة مكانها وبعدها صوتى فادخل أنا والوزراء. وأقول لك ما الخبر فقولى القان شرق ومات فقالت له وهو كذلك وآخذ المملكة من هذا الكافر فابلغ بها ما أتمناه. بهذا السبب ثم ان المقدم عيسى أعطاها قرص البنج وتركها إلى أن كانت ليلة الدخلة فدخل القان وهو فى غاية ما يكون من الفرح ونظر إلى المقدم عيسى فغلب عليه الهوى فقلع سيفه وأعطاه له وكذلك الختم وكانت وزراؤه واقفين فقال لهم اعلموا أن هذا الغلام أخو زوجتى فهو يكون عليكم فلا أحد منكم يخالفه فقالوا له سمعا وطاعة ودخل القان إلى محل الخلوة فوجد الملكة أفتونة كأنها حورية وأنوار وجناتها تفوق على ضوء الشموع المضيئة ولها لفتات أحسن من لفتات الغزالة فى البرية وترمى لحاظها نبالا تصيب بها مقاتل الرجال ولها وجه أضوأ من الهلال وصدرها كلوح المرمر وأكتاف وأرداف صنعة خفى الألطاف ولها نهدين فى صدرها تفتن من يراها سبحان من خلقها من ماء مهين وجعلها فتنة للناظرين كما قيل شعر :

هيفاء لو خطرت فى جفن ذو رمد لم يستحسن له من مشيها ألما
خفيفة الظل لو ماست بقامتها رقصا على الماء لم يبلل لها قدما

فلما تقدم الملعون اليها والملكة أفتونة أصلها تربية بلاد العجم وتعرف كلامهم فاخذت منه حديثا على قدر هواه وبعد ذلك وضعت له قرص البنج الذى كان أعطاها المقدم عيسى فشرب الكاس وانقلب على الأرض فقامت على حيلها وجاءت بمخدة وضعتها على فمه وقعدت على المخدة وكان لها ردف كأنه كثيب رمل مقدار نصف ساعة فيسيب مدفع السلامة من تحت فرفعت المخدة من مكانها وقامت تصيح فسمع المقدم عيسى والوزراء وكانوا على الباب فقالوا ما هذا الخبر فنادوا المقدم عيسى وقالوا له ادخل فانظر ما هذا الصياح فقال ندخلوا سواء فدخلوا جميعا فلقوا الملكة أفتونة تلطم على خدها وتبكى على زوجها فنظر اليها الوزير وقال للمقدم عيسى أنت تكون قان علينا عوضا عنه ولكن أريد أن تزوجنى أختك فوعده المقدم عيسى كل ما طلب حتى جلس على تخت البلد وأول ما استفتح صلب ذلك الوزير وقال هل يجوز إن زوجة القان الذى توفى بالامس يأخذها الوزير فلربما تكون حملت من القان قبل وفاته فقالت الدولة صدقت فان هذا الوزير غدار مكار وأقام المقدم عيسى الجاهرى على تخت البلد والملكة افتونة احتوت على السراية بما فيها وأقام عيسى أياما قلائل يتعاطى الاحكام وينتظر كل من رآه جبارا من جبابرة الاعجام يهلكه حتى أفنى خلقا كثيرا من جبابرة المدينة إلى يوم أتى له جمل صحبه عيار من عيارين الاسلام وله أتباع مائة عجمى وهم مقبلون على مدينة

قيشان فدخلوا على المقدم عيسى الجماهرى ومعهم كتاب فقدموه بين يديه ففرده وقرأه يجد فيه من حضرة القان عبد الصمد شاه الى بين أيادى القان عبدنا رشاه يصل اليك حاجتى عبدالودودخان وصحبته خراج العالم الماضى فترسل لنا افادة بوصوله والسلام النار عليك فلما قرأه المقدم عيسى هذا الكتاب قال للطومان أنك اسمك عبد الودود قال نعم فقال له وأنت سنى مسلم موحد بالله فقال له نعم فقال وملككم سنى مؤمن موحد بالله فقال ياقان نحن اسلام حق ولا نتغير عن دين الاسلام أبدا ولا نعرف النار مطلقا ولا نذكرها فقال عيسى ولاى شىء تدفعوا الخراج لهذا الكافر مع علمكم بكفره فقال له اعلم ان ملكنا دافعه بالحرب كم من مرة وكسر لنا عساكر كثيرة فقال أكابر الدولة سفك الدماء حرام وهذا القان مالنا مقدرة عليه فنوردوا له الخراج سنوى خزنة مال وصرنا نعطيه ذلك حماية من الحرب والقتال وهالنا سبع سنوات يدفعوا له الخراج وهذه الثامنة فقال المقدم عيسى عندكم عساكر كثيرة فقال عندنا مقدار أربعة آلاف فقال له أنا مسلم مثلكم وأما عبد نار فقدمات وأنا اكتب لك جوابا منى الى القان عبدالصمد انه يأتى بعساكره وافتح له البلد يدخل عندى ونضع السيف فى هؤلاء الارفاض وتنقلب البلد اسلاما فقال عبدالودود اكتب فكتب عيسى الجماهرى الى القان عبد الصمد كتابا يقول فيه الذى نعلم به القان عبد الصمد ان القان عبدنار هلك ومأواه اى النار فالمراد منك انك تأتى حالا حتى أفتح أنا وأنت البلد اسلام ويبقى الخراج مرفوع عنك والسلام فلما قرأه القان عبدالصمد الكتاب أنعم وأجاب وجمع عسكره وسار الى مدينة قيشان وارسل من طرفه الى عيسى الجماهرى فادخله البلد ومكنه وفى ثانى الايام نادى عيسى الجماهرى فى البلد وقال يامعشر الاعجام كل من دخل دين الاسلام يقيم فى البلد والكافر يرحل منها ففزعت عباد النار على الاسلام وصاح عيسى الجماهرى الله اكبر وكان يوما عبوسا قطعت فيه الرؤوس ودار ضرب السيف والدبوس وأهلك عباد النار ونصر الله الاسلام الابرار وبعد ذلك بايعه على بلاده انها تكون له بلا خراج وقام يراسله عيسى وعبدالصمد يراسل عيسى وصاروا أصحاب وأحباب هذا ماجرى [قال الراوى] أما ما كان من الملك الظاهر فانه لما وصل الى الى مصر سأل عن عيسى الجماهرى فلم يجده فقال الوزير يا ملك الاسلام كيف العمل فقال السلطان يامقدم ابراهيم ابنك أنا طالبه منك فقال المقدم ابراهيم وأى ضرر فيها اذا كان ابنى يتزوج بالملكة أفترنة فانه كفؤ لها عن غيرها وثانيا اذا بقيت معه على هذا الحال لا يأخذها الا بالكتاب على يدكم وان حصل فى بنت الوزير ادنى خلل برقبتى أنا

فضلا عن ولدى فقال السلطان لابد لى ان اتخفى واطلع أنا ادور على عيسى ولدك وان لم القه اقتص منك أنت لان الوالد عوض ابنه فقال ابراهيم ما يؤخذ الاب بالابن لكن ولدى ماهو عادم حتى أنك تلزمه منى ثم انه امر ابراهيم وسعدان يتحضروا للتبديل فقالوا سمعا وطاعة فهم كذلك واذا شيحة مقبل فأخبره الوزير وقال يا مقدم جمال الدين أنا في عرضك فقال شيحة ارتاح يا وزير انا لا بد لى باذن الله ما أعود الى مصر الا بها او نخبرها ان كنت لم أقدر على خلاصها فقال السلطان تكونوا سوا. فنزل السلطان وهو مختفى في صفة درويش عجمى وابراهيم وسعد أتباع له وشيحة وعدهم أنه يكون لهم فى قضاء الحوائج وان وقعوا فى محذور ينجدهم وساروا مدة وكان المقدم رصد طلع يدور وحده وطال عليه المطال حتى دخل مدينة قيشان فنظره المقدم عيسى الجاهرى وعرفه غاية المعرفة وكان فى صفة درويش فلما رآه نعم عليه وقال له يا درويش أنت لا تفارق بلدى فانى أمالى عليك دعوة فلما سمع المقدم رصد ذلك أظهر الجلد وأضمر فى نفسه انه يفترس به ليلا فلما كان عند المساء امر له ببدلة طيبة من أفخر ملبوس الملوك ولما كان فى الليل أحضره عنده وسأله وقال له الظاهر فيك أنك ما أنت عجمى اريد منك ان تعلمنى عن حالك وان كنت لم تعرفنى أنا المقدم عيسى الجاهرى ابن المقدم ابراهيم بن حسن الحورانى فقال أين البنت أفتونة فقال المقدم عيسى عندى وما أنت بقيت عندى فقال وغربتك فى هذه البلاد وأقامتك هنا لاجل أفتونة وتركت أباك وأهلك فقال عيسى يا مقدم رصد والله لو كنت فى بلاد الاسلام لكنت عدمت نفسى لانى أنا فيها وهى معى ما سلم من أجل أخوانى كل واحد يطلبها لنفسه فتقع الفتنة وسفك الدماء حرام فى دين الاسلام ولا لقيت أحسن من خروجى وسفرى الى هذه الارض حتى تنطفى النار وها أنت أيضا يا مقدم رصد تريد أخذها فقال المقدم رصد اما أنا فقد نزلت عنها لعينيك يا مقدم عيسى ثم انه عاهده على ذلك وكان ذلك جرى بينهما والمقدم جمال الدين راكبا على السطح وسمع كلما جرى فاطمأن قلبه وتركه ونزل يقتفى أثر الملك الظاهر وأعلمه انه فتح بلاد الاسلام بعدما كانت دار كفر ففرح السلطان بذلك وسار الى مدينة قيسان وسبق المقدم سعد فاعلم المقدم عيسى بقدوم السلطان والمقدم ابراهيم فارسل الى السلطان ركبة عظيمة وطلع فلاقاه بموكب عظيم مع أكابر الدولة وعند دخوله الى البلد ضربت المدافع اجلالا لقدره وبعد ذلك جلس السلطان بجانبه وسأله على افتونة فقال هى عندى فقال السلطان أبوها طالبها فقال يا ملك الاسلام ما أنى الا ولابد لها من الزواج فقال السلطان وهذه البلد كيف ملكتها فأخبره بما جرى

بينه وبين عبدنار فقال السلطان اقيم فيها وتسافر معى فقال يامولانا انالا اتأخر عن خدمتك أبدا وهذه البلد كيف العمل فيها فطلب الملك الظاهر عبد الصمد شاه وأسلمه فيشان ويورد ايرادها للخزنة فقال عيسى وانا أى شيء على فقال السلطان أنت تسافر معه حتى أكتب لك كتاب افترنة وأزوجها لك واكتبك فى الديوان أميرا على مائة مقدم عن الف حيش ففرح المقدم عيسى الجاهرى وسافر مع السلطان بعدما أخذ كلما فى البلد من أموال وذخائر وخدم ومماليك وسافر السلطان اياما قلائل حتى وصل الى مصر فتزينت البلد لقدومه ودخل بموكبه الى القلعة وشرع فى فرح عيسى الجاهرى ثلاثين يوما ودخله على أفترنة وبعد ذلك لما أصبح الصباح طلع الى الديوان فأخلع عليه السلطان خلعة وجعله صنجق فقال شيحة أنعم على واحد غير عيسى الجاهرى فان عيسى من رجالى أفا ماهو من رجالك فقال السلطان من رجالى أنا فقام المقدم ابراهيم وقال وأنا مالى حق فيه أنتم تخاصمتم فيه وأنا من يخاصمنى فى ولدى فقال السلطان أنت ياابراهيم وابنك من رجالى والا من رجال شيحة فقال ابراهيم يادولتلى انالا استغنى عن خدمتك ولا عن خدمة الحاج شيحة ولكن يا مولانا اذا كان الامر موافقا اطلع يوما فداوى ويوما أميرا فقال السلطان قول المقدم ابراهيم مناسب فقال شيحة لا بأس رضيت يامقدم عيسى فقال رضيت وأقام الملك فى أحكامه

[قال الراوى] الى يوم من الايام ورد على السلطان اثنان من أتباع المقدم سليمان الجاموس فاعلموا ان المقدم الجاموس فى قلعة العقب محبوس عند المقدم عباس ابو الدوايب وصحبته اسماعيل أبو السباع ونصير النمر وشيحة وهو حابسهم عنده وقائم شراشى العصيان ويقول انا ماطمع قط كل ملك ولا سلطان وكان السبب فى ذلك ان المقدم عباس ابو الدوايب كان فى الحج غائب فلما حضر سأل عن السلطنة فأعلموه شيحة وحيله ما يفعل من عياقته فقال لهم معزول وقام شراشى العصيان فمر عليه المقدم سليمان الجاموس نقيب الرجال ومعه خمسون مملوكا قادما بهم من حلب الى السلطان وكان تحول مال الموجب جاكى الرجال فلما عبر على قلعة العقب فالتقى عباس ابو الدوايب هو وكان قلعة الدين يسمون كلمته فلما نظر المقدم سليمان غار عليه بعساكره فانتبه المقدم سليمان الجاموس وقال له اى شيء تريد يامقدم عباس فقال اريد المال الذى معك آخذه غصبا وانهبه نهبا فقال ان المال هذا موجب الرجال ودونه ضرب الحسام الفصال وطعن الرماح العوال وانا هنا ما معى غير هذه الخمسين مملوكا ولكن كل من له تبرص واحد من الرجال يضرب عليه بالشاكرية حتى يشرب كاس المنية ويكون له النصر من رب

البرية فقال له كانك المقدم سليمان الجاموس نقيب الرجال فقال له نعم فقال يا خوند أنا ما عرفتك فلا تؤاخذني وإني كنت غائبا وما حضرت من الحج إلا في هذه الايام وأنت ضيف عندي حتى نشترك أكل الطعام والملح فقصد المقدم سليمان معه إلى القلعة فلما بقوا عنده في قلعة قدم الطعام فأكلوا وبعده قدم شربات وكان الشرب مشغولا بالبنج فلما شربوا غابوا فقبضهم بالبنج وكتف المقدم سليمان ومن معه من المماليك وأنزلهم في السجن فلما أفاق المقدم سليمان رأى نفسه مكتفا تعجب غاية العجب من تقلبات الايام وما تبدي من الاحكام فكان أربعة من الرجال من أتباعه مقصرين في الطريق لم يحضروا على قلعة العقب فلما وصلوا المعرة لم يروا مقدمهم فعادوا يقصون خبره وقالوا ما خرج أثره من هذه القلعة وهي قلعة العقب فهم كذلك وإذا قدم جمال الدين مقبل فالتقوه وعرفهم بنفسه وسألهم عن حالهم فاعلموه بعدم مقدمهم وأنه ما خطى من هذه القلعة فقال شيحة اصبروا حتى أدخل أنا ثم انه عبر من باب القلعة فكان المقدم عباس واقفا على الباب فلما رأى شيحة غريبا أخذه بلين الكلام ورحب به وقال تعال يا شيخ أنت من أي مكان أتيت فقال له أنا من توابع المقدم حسن وهو كأخيك فقال له يا فرتان أنا كنت أدخل بحيلتي على ملوك الروم وآخذ أموالهم وأتمتع بها وأبيعها في بلاد بعيدة تبقى تحمل على حيلتك وأما في بلادي . الاسم الاعظم ما أنت شيحة الذي يقولون عنك إنك سلطان القلاعين فقال شيحة أنا هو بذاتي ونظرك في محله لكن أنت قابض على المقدم سليمان لأي شيء هذا رجل نقيب الرجال وهو سلطان القلاع والحصون أطلقه يروح إلى حال سبيله وإذا الذي تريد أن تأخذ السلطنة مني فها أنا بيدك اعمل بي ما تريد فقام المقدم عباس وقبض على شيحة وكتفه ووضعه في الحديد وأوصى عليه كل من في قلعته وقال لهم أنا بعد قتلي شيحة تبقى الدنيا كلها في قبضتي ولا معارض ولا منازع ولا مشارك فقام توابع المقدم سليمان الجاموس وراحوا إلى مدينة الزحام فاعلموا الملك عرنوس بالقصة فقال الملك عرنوس من هذا حتى يقبض على نقيب الرجال وهو المقدم سليمان وأراد أن يركب عرنوس فمنعه المقدم سماعيل أبو السباع وقال هذا مقدم من أصحابنا ولكن أنا بأن أخي أسير وأطلق شيحة والمقدم سليمان الجاموس من عنده وإن تعاصى على العن أباه وجده فركب المقدم اسماعيل وأخذ معه المقدم نصر الدين وساروا إلى قلعة العقب فالتقاهم المقدم عباس بالدوايب وفرح بهم وسلم عليهم فقال له المقدم اسماعيل لأي شيء يا مقدم عباس قبضت على الحاج شيحة وهو سلطان القلاع والحصون قبضت على المقدم سليمان الجاموس وهو نقيب الرجال وكان الملك عرنوس كتب كتابا من عنده

واعطاه لعمه والمقدم اسماعيل وقال له اعطه هذا الكتاب فان طاع و أطاعهم كان بها ونعمت وان كان يخالف ارسل الى اعلمني حتى اركب واعرفه قدر نفسه فلما قدم المقدم اسماعيل اعطى كتاب الملك عرنوس الى عباس فقراه يجدنيه من حضرة الملك عرنوس الى المقدم عباس ابو الدوايب حال وصول جوابي هذا اليك أطاق ملك الفلاحين المقدم جمال الدين شيحة وان كنت تصدك العصيان اترك الجدال وبادر الى طاعته وكن من جملة رجاله فان فعلت ذلك فهو المقصود وتكون قد احييت نفسك وقلعتك ورجالك وان خالفت فما ينوبك إلا اتلاف نفسك وها أنا قد أعلمتك ما فيه الصواب وان كنت جاهلا شيحة فلا تغتر بحبسه وها أنا نصحتك والسلام فلما قرأ المقدم عباس ابو الدوايب الكتاب قال على الراس والعين هيا يا مقادم تفضلوا ولكن يا مقدم اسماعيل أنا احبسه وأخاف ان أطلقه يقوم يخلص حق حبسه مني لأن العداوة تأسست بيني وبينه فقال المقدم اسماعيل لا تقول هذا الكلام فان الحاج شيحة ما يعمل معه الغيظ فقال عباس صدقت ثم انه قدم لهم الطعام وكان فيه البنج فأكلوا وتبنجوا فرفعهم الى السجن من غير سؤال ولا كلام هذا ما جرى هنا واما اتباع المقدم سليمان فانهم بعد ما اعلموا الملك عرنوس عبروا على مصر فأعلموا السلطان كما ذكرنا لانهم لما راحوا مع المقدم اسماعيل ابو السباع لم يدخلوا القلعة بل اقاموا منتظرين الذي يجرى فلما دخل اسماعيل ابو السباع ونصير النمر ولم يعودوا عرفوا ان الفداوى اغتالهم بالغدر فبادروا الى مصر اعلموا الملك الظاهر هذا كان السبب فقال السلطان يامقدم ابراهيم تعرف قلعة عباس ابو الدوايب فقال ابراهيم اعرفها يا ملكنا هي قلعة العقب فقال سر بنا عليها واحد الملك سعد وابراهيم واجلس محمد السعيد على تخت مصر وسافر ايا ما وليالي ومعه ابراهيم وسعد حتى وصلوا الى الشام فدخل الى القصر الابلق فلاقته الخدم وكان ايام الربيع فاقام السلطان ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع دخل ابراهيم وقال يادولتلي ان كان مرادك الاقامة هنا اعطني اجازة انا وسعد نروحوا قلعة حوران فقال السلطان روحوا ولكن لا تغيبوا فان قصدي اروح معكم الى قلعة عباس حتى انظر اسماعيل ابو السباع

فصار ابراهيم وسعد الى حوران ينظرون اهاليهم ويعودون واما الملك فانه بعد رواحهم قام ولبس لباس كردى وسار قاصدا القلعة العقب وكان المقدم اسماعيل ركب يوما وطلع بعض الطريق وياخذ الحذر على نفسه فهو كذلك واذا بالملك قادم عليه فى صفة كردى فتقدم المقدم عباس اليه وقال له جيء بالفقر على شاكرينك وحجرتك وقرعتك فقال الملك انت

فتبعه الدرب فقال له أنا ملك الدنيا جيء بالغفر والا دركك والقتل ان كنت من الابطال فانطبق السلطان على عباس وتقاتل معه فى الميدان وتضاربا بكل سيف يمانى فنظره الملك بعين الفراسة فوجده فارسا قهارا وبطلا كرارا فكان لهما ساعة يا لها من ساعة كشف الموت فيها قناعه وصرخا صرختين دوى لهما البر ومدت الخيل آذانهما فوقف الفداوى فى ركابه وضرب السلطان بالشاكرية فأخذ السلطان اللطاش عن لمشة وضربه بالنمشة حكمت الضربة على يد منه فوقعت الضربة على رقبة الحجرة فأبرتها كما يبرى الكاتب القلم فنزل الفداوى الى الارض ويده على جمجمة ملآنة بالنبال رابعد عن السلطان وأراد أن يضرب الفحل الادهم فعرف الفداوى أن هذا السلطان وأما الملك فانه علم مقصده فنزل عن الحصان وقال له دونك والطعان فلما صار الملك فوق الارض ورفعه الفداوى وقفز فركب الفحل الادهم وترك السلطان واقفا وطلب قلعته خوفا من السلطان وغائلته وقال ان هذا يكون بدلا عن حجرته وسار يجد السير فالتقى ثلاثة أولاد ومعهم غزالتين مسلوختين يقلبوهما على النار فسار اليهم فلما رأوه قاموا اليه على عجل وقالوا بسم الله ياخوند وأتى أحدهم بغزالة صحيحة مستوية وقدمها الى بين يديه فشم رائحتها فتبنج وقع من على الحصان فلما وقع قاموا كتفوه وسار واحد منهم الى السور فرمى مرده ونزل القلعة أطلق شيحة واسماعيل ونصير النمر وجاء بهم فما لحق أن يفيق المقدم عباس الا وهم عنده وعادوا على السلطان وكان واقفا محتارا كيف يعود الى الشام ماشيا أن يروح الى عباس أبو الدرايب يطلب منه فرسا يركبها أو يقاتله فهو كذلك إذا شيحة واولاده ومعهم الحصان فلما أقبلوا عليه قبلوا يديه وأعطوا الحصان فقال السلطان ما قصدك ونيتك تعمل فى عباس أبو الدرايب ياشيحة فقال أريد اركب أنت ياملك الاسلام وما عمر على أثرك حتى تصل الى مرادك وتدخل قلعتك وبلادك وتبقى بين عساكرك وأجنادك فان مشيك وحدك ماهو صواب فعند ذلك عاد السلطان الى الشام وكان المقدم سعد أقبلوا من حوران وبيسان فأعلمهم السلطان بما فعل أولاد شيحة وما فعل عباس وساروا مسافرين حتى وصلوا الى قلعة الجبل وأما المقدم جمال الدين فانه أخذ عباسا أبا الدرايب وسار به الى مغارة رفقه فلما فتح عينيه ورأى نفسه وقع فى يد شيحة قال يا شيحة اقتلنى ولا تسلخنى كما تسلخ الناس فانى لا أطيعك ولا أنت معطى السلطنة ومن التطويل كلت الهمم فقال شيحة انا ما عاد تطيعنى برضاك وانما تطيعنى كما طاع غيرك غصبا عنك وأعذبك عذابا ما تحمله الكلاب ثم انه فك السوط الغضبان وضربه به ثمانين حتى شوى لحمه

ودهن له وقطب حتى رد عليه الجرح فطلب الاطاعة فلم يرض فسار به إلى مغارة ثانية وثالثة ثم انه سار به إلى مصر فلما طلع قدام السلطان قال المقدم إبراهيم دك بالجدران واطلع الذى فيه ففتحه واذا به المقدم عباس أبو الدوايب فلما أفاق رأى نفسه قدام السلطان فصاح أنا دخيل عليك يا ملك الدولة من شيحة خليه يخليني ولا أطيعه فقال السلطان يا مقدم عباس أنت لأى شيء ما طعت شيحة فقال يادولتلى استحى أن أعود الى رجالى وأقول طعت شيحة ولم أقدر على أخذ السلطنة على القلاع والحصون من يده وإنما يا ملك الدولة اذا كنت أطيع شيحة أكون تحت ركابك ولا أنتقل من خدمة ركابك حتى أموت فقال السلطان مرحبا بك ولابك الا ما يسر خاطرك فعنده أطاع وكتب شيحة اسمه على جميع سلاحه وأنعم عليه السلطان وأقام فى خدمة السلطان الى يوم من الايام أقبل أبو على البراج يقول سبحان هادى الطير واطلع كتابا قدمه الى السلطان فافرده واذا فيه من باشة الاسكندرية الى بين أيادى ملك الاسلام ظهر فى بلدنا سيف اسمه سيف الاخفاء يكون الرجل ماشيا ما يشعر الا ورأسه طاير من على جثته وهذا شيء ما نعلم كيف الخلاص منه وأرسلنا هذا الجواب الى حضرتكم فأدركنا وإلا فارسل لنا من يدركنا الامر أمرك والسلام فلما قرأ الكتاب السلطان قال أنا لابد لى قبل كل شيء ان أتوجه الى الاسكندرية وأجلس محمد السعيد على تخت مصر وتوجه السلطان فالتجأ اليه المقدم عباس أبو الدوائب وقال يادولتلى خذنى معك فأنا ما أطيق أحد هنا من غيرك فقال السلطان سر على بركة الله تعالى فسار الملك

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك ان فى بلد الروم مدينة اسمها نهر العين وملكها اسمه البب لهب نار فطلع يوما الى الصيد واقتنص فدخل مغارة فرأى كنزا فنزل فيه وأخذ سيفا من الكنز وطلع حتى صار خارج الكنز فصار يتفرج عليه فأغلق باب الكنز فجرد السيف والتفت فلم ير المغارة ولا الكنز فأتى الى محل العسكر وكان السيف مشهورا بيده فلم يروه وهو واقف بينهم فقال لهم انتم لم تنظروا صورتى فقالوا له وأين انت وتعجبوا من هذا الحال فقال أنا اذا أردت ان اقتل أحدا لم يرنى ولا يبصرنى وانما أنا لابد لى احقق امر هذا السيف وأخذ حصانه وطلع الى الخلا فى محل الصيد وبقى يهجم على الغزلان ويقبض عليها ولا يروه وما يشعرون الا وهم فى قبضته وتحت يده وبعده يجاسر على السباع وعلى النمور وهو يسطو عليهم حتى خليت الاراضى التى حول بلاده من الوحوش وبعد ذلك تجاسر على الملوك الذين حول بلاده ورتب عليهم الخراج والعدد وبعد ذلك شاع ذكره فى بلاد الروم وقالوا

أن البب لهب نار فاق على جميع البنات والقراقات وإن ملك المسلمين لايقدر أن يعمل عمله ولا يفعل فعله لان ملك المسلمين إذا غضب على بب يكرن المتعدى عليه وكثير من البيات لايعرفه ولا يقرب عليه وهذا لهب نار يكتب للبيات كتابا ويأمرهم أن تروردوا له الخراج فاذ امتنع احد البياب من الخراج انى اليه وحده وقطع أسه وهو جالس على كرسيه وشاع هذا الخبر فى بلاد الروم . بلغ جوان الخبر صار الى مدينة نهر العين وهو يقول يا برتمش ما احسن إذا ارسلنا لهب نار هذا الى رين المسلمين ويقتله على كرسيه وترتاح منه النصارى فقال ابرقش يا جوان هذا امر لا يهمع وان كنت نصدك أقتل ملك المسلمين على كرسى مملكته سابما كان قتله سيرور الراهب ولا نقع قتاله وكتاب حكماء اليونان ما فيه نمضر ولا ابرام لا تعيير ولا تبديل وقد قرب اجلك وعن قريب ارتحالك من الدنيا ويقط ولك المسلمون على هربة فغاظ جوان من كلام ابرقش وشتمه فقال له البرتمش يا جوان أنا ماقلت لك هذا الكلام الا من كيدى لكونك كثيرا ما تقع فى ايديهم وضربونك ويضربونى معك فقال جوان التوبة هذه لا بد من قتل ملك المسلمين ثم انه دخل إلى مدينة نهر العين ونادى قدامه البرتقش وجوان يقرأ قداس حتى قدام على البب لهب نار فقال له البرتقش قم يا بب قابل نائب المسيح فقام على حيله وقعد جوان وهو مغمى عليه ساعة زمنية وبعد سأل البب لهب نار لبرتقش عن جوان ولماذا اغشى عليه فقال له ياب هذا يكلم الحواريين فان المسيح يرسل الحوارى اليه ويأمرهم طاعته والمبادرة إلى قضاء حاجته لانه جعله نائبه فى الأرض فقال لهب نار يا برتقش اعلمك أن عندى سيفا وجدته فى كنز لم يوجد مثله فى الدنيا لان الذى يحمله ما أحد يراه واقتل كل من اردت قتله به ولا أحد يعلم مابى احد كلها والبلاد صارت تورد لى الخراج اما تم كلامه حتى افاق جوان من غشوته وقال للبب يا . لدى اعلم أن المسيح احترك أن تكون ملكا لى جميع النصارى وترد عنهم ملك الاسلام وما هو وارسل لك سيفا من سيوفه لاجل اذا نزلت على المسلمين ما أحد يعرفك وأنت تشوفه فاجتهد وبادر على مايامرك به المسيح ولا تكسل ولا تتهاون عن نصرة الدين الصحيح وقم الان وادخل الى بلاد المسلمين واقتل ملبكهم والملك بلاده أنا اجمع لك البنات والقراقات وجمع من كان يعبد الزنار ويهلك المسلمين ولم يبق لهم أثر فقال لهب نار يا ابانا كيف يكون الدخول الى بلاد المسلمين فقال جوان أنت اعمل تاجر وانزل فى مركب وسافر الى أن تدخل الاسكندرية فى صفة تاجر ولما تتمكن من البلد تلحقك العساكر فسافر لهب نار وحده قاصدا بلاد الاسلام وأما الملعون جوان فانه صار يجمع العساكر ويلحقه وسافر

الملعون حتى وصل إلى مدينة الاسكندرية وطلع فيها وصار يتفرج فى نواحيها وبعده عاد لمركبه وبات ليلته وهكذا خمسة أيام إلى يوم سكن وأخذ السيف فى يده وأشهره واختفى وصار كلما اتى رجلا ماشيا يضربه بالحسام فيقتله وفى ذلك اليوم قتل عشرة ولم يره أحد فضجت الناس إلى باشة الاسكندرية وفى اليوم الثانى لم يخرج وفى اليوم الثالث خرج وفعل مثل الأول ودام الحال كلما يسكر ينزل يقتل الناس فكتب باشة الاسكندرية إلى ملك الاسلام فحضر للملك هذا الكتاب من الاسكندرية فقال لا بد لى أن اتوجه إلى الاسكندرية فقال المقدم عباس أبو الدواليب يا دولتلى وأنا أروح فى هذه النوبة معك وأينما سرت أتبعك فقال ابراهيم وسعد يادولتلى مثل هذه النوبة كان الملعون سيرون الراهب ولما سرنا فى جرته راح معنا عمار القدموسى واستشهد على يد سيرون الراهب فيامقدم عباس اقعد وخلينا نحن مع الملك فقال المقدم عباس وكأنى أنا خائف من الموت فى طاعة الله تعالى

إذا ما أتينا المنية بلادنا سعينا ورحنا للمنية بلادها

والاسم الأعظم إلا أروح مع السلطان وإن كانت القاضية فهذا مرغوبى فعند ذلك غير السلطان فى صفة درويش وكذلك ابراهيم وسعد والمقدم عباس أبو الدواليب وسار إلى الاسكندرية ودخلوا الى خان فرأى الناس فى اشد الخوف وبعد دخول السلطان وقع ضنك فى الاسكندرية فقال السلطان أما انا لا يمكننى القعود فقال المقدم عباس أبو الدواليب وها أنا قدامك ياملك الاسلام أخرج بنا يا ملك الاسلام حتى تنظروا هذه الغمة التى على الخلق نزلت فطلعوا من باب الخان ومشوا حتى بقوا فى وسط السوق فنظروا الى رجل مار ومعه خبز قادم به من الفرن واذا برأسه طارت فقال السلطان لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم فقال عباس أبوالدواليب ياملكنا والله ان هذه مصيبة فقال السلطان يكشفها عن الخلق الذى خلقهم فقال المقدم عباس أما انا ما بقيت أدخل الخان معكم حتى انى اجتهد فى قتال هذا الكافر والله ان قتله أفضل من فتح القسطنطينية فقال السلطان وأنا كذلك لكن يا هل ترى نقعد ننتظر خصمنا وهو ينظرنا ونحن لم ننظره فقال عباس وأنا سلمت أمرى الى الذى ينظرنى ولا أنظره انه على كل شىء قدير وبينماهم كذلك واذا باثنين بجانب بعضهم وكانوا سقايين وعائدين بعد ان فرغوا قربهم عائدين الى اماكنهم واذا برأس واحد منهم طارت فانتبه المقدم عباس فرأى ضوء السيف وهو نازل على الرجل الثانى لأنه كان فى الشمس فجذب شاكريته وضربه بحدها فحكم الضرب على كتفه أى كتف لهب نار

الايسر طالع من تحت ابطه الايمن فوقعت الرأس والذراع اليمين بالسيف فنظر السلطان إلى الملعون قتيلا والسيف مرمى بجانبه فقال السلطان احسنت يامقدم عباس فقال أما أنا فهذا السيف لم اسلمه لاحد وإنما يبقى عندى ولا ينازعنى فيه أحد فما تم كلامه إلا وأبو بكر البطريق طالع فقال السلطان تعال يا بطريق فالتفت فوجد السلطان فقبل الارض بين يديه قال له يا ملك الاسلام اعلم أن جوان قادم على بلاد الاسلام ومعه عساكر تسد الفضاء تملأ المستوى شيء فى البر وشيء فى البحر وأنا أرسلت ولدى محمد مكشوف رأسه إلى الملك عرنوس يخبره بهذه الركبة وماقدم على بلاد الاسلام من الكفار اللئام وأتيت أنا إلى الاسكندرية لاعلم سعادة دولتك بما جرى والسلام على نبى ظللت رأسه الغمام فقال هيا ابن البراج فلما حضر كتب السلطان كتابا إلى الوزير يقدم حالا وأرسل الكتاب على جناح الطير وأيام ثلاثة قدم الوزير وأبطال الاسلام وأمر السلطان بتقديم العمارة ثم نزلت الامراء والفداوية فى المراكب وتقدم أبو بكر البطريق أمامهم هذا ما جرى لملك الاسلام وأما الملعون جوان فانه من بعد ما أرسل الملعون لهب نار صار يطرف على ملوك الروم ويحثهم على السفر الى مدينة نهر العين واجتمع من العساكر نحو من سبعين الفا من الكفار الذين جمعهم جوان ونزلوا حول مدينة نهر العين حتى ملأوا البحر بالمراكب وزحفوا على الاسكندرية وداموا سائرين حتى التقت العين على العين ضربت المدافع بين الفريقين ووقع القتال حتى امتزج البحر دما وأما الملك عرنوس فانه اتاهم من ورائهم وأفنى منهم خلقا لا تحصى وبعده جاءت نسمة ريح شرد قاسية فشرمطت المراكب وحال بينهم الموت البعض غرق والبعض راح على السيف وما فرغ النهار حتى نصر الله الاسلام على الكفار وانطمست مراكبهم فى البحار وكان المقدم عباس أبو الدوايب يقاتل بسيف الاخفاء وتارة بشاكريته ولما طال الحرب وسكر فى البحر ويده على شاكريته فمع ازدحام الحرب رمى سيف الاخفاء فى البحر ولا افتكر فيه ولما وضعت الحرب أوزارها وعاد الى قدام السلطان فحكى له ان سيف الاخفاء وقع منه فى البحر فقال السلطان يامقدم عباس انت كنت مرادك أن تعادى شيحة ما ملكت ذلك السيف أوقعه الله منك لان شيحة رجل مسعد فقال يامولاى وحق من رفع السماء بقدرته ما عندى للحاج شيحة عداوة أبدا ولا اعارضه فى سلطنته وفى سياقة آخران الملعون لهب نار جاء بالعساكر وصار يقاتل بالسيف حتى قتل من الاسلام على يده عالما وبعده برز اليه عباس ابو الدوايب وهو مستتر فضربه بشاكريته على الحس فقتله ونزل الاسلام فكبوا على عساكره فى المراكب وكان المقدم عباس بالجملة وقع السيف منه فى البحر ولكن السياقة الاولى أثبت على ما نقلوا

[قال الراوى] وامر السلطان العساكر ان يعودوا بالمراكب الى الاسكندرية فاعتدلوا وطلبوا العودة الا الغراب المعظم الذى فيه السلطان فان البحار لم يمكنه أن يرده وبقى فى البحر طائرا كالعقاب ودام فى حدته وهو على وجه البحر كالسحاب حتى اقبل على جزيرة ورسى . تقدم الغراب على مينتها فقال السلطان يا بطريق فى اى مكان نحن فقال له اقبطان واقف يا ملك الدولة ما اعلم أى محل نحن فيه لكن انا الى هذه الجزيرة فنظر لعلى اعرف المكان فقال السلطان اطلع أنا وارح نفسى من تعب البحر فقام الملك ووضع يده على كتف البطريق وسار حتى طلع الى البر فهبت عليه روائح خارقة للعادة من اصناف الازهار والرياحين شىء كثيرة جل عن الوصف فوقف السلطان يتفرج إذا به يسمع القائل يقول ياملك الاسلام فرفع رأسه وإذا بالملك عرنوس وهو مخاوف وطائر فى الهواء فقال السلطان لاتخف ياعرنوس فما انتقل من هذا المكان الا وانت معى باذن الملك الديان واضمر السلطان فى نفسه انه يطلع جميع العساكر على هذه الجزيرة ويحارب اهلها حتى يخلص الملك عرنوس منها

[قال الراوى] وأما الملك عرنوس فانه انزله العون الذى خطفه فى قصر يزيل الهموم وينفى الحصر قام من التراب وتعلق بالغمام والسحاب [ياسادة] وأما الملك الظاهر فانه لما افاق عند الصباح وكان قصده يطلع على البر ماشعر الا والغراب المعظم طار كانه الجلة على وجه البحر وما تضاحى النهار الا وهو على مينة الاسكندرية بتمام آلته وما فيه من عساكر وخدمة ولم يعدم من عمارة الاسلام الا الملك عرنوس فقط فاغتم السلطان على شأنه وضاقت حضيرته

[قال الراوى] وأما عرنوس فانه لما نزل فى ذلك القصر وافاق على نفسه واذا ببنت مقبلة نقاها بالجمال والقد والاعتدال ولها لواحظ احد من الحسام الفصال وجبين يرمى على الناظرين له سهاما ونبالا على رأى الذى قال

خلقت الجمال له فتنة وقلت لنا يا عبادى اتقوا
وأنت جميل ورب الجمال فكيف عبادك ما يعشقوا

[ياكرام] فلما نظرها الملك عرنوس كلمها بلغة الافرنج وقال لها أنا فى أى محل فقالت له أنت عندى فلا يصيبك ضرر أبدا ولا بؤس أن كنت أنت الدبارو عرنوس فقال أنا عرنوس لكن أى البلد أنا فيها يا بنت الكرام فقالت له أنت فى جزيرة الزهور المركبة على النهور فقال عرنوس من الذى جاء بى الى هاولاى شىء جاء بى فقالت له البنت اعلم ياديارو أن هذا فعال اسى

[قال الراوى] وكان فى بلاد النصارى سبع جزائر اسمها جزائر الزهور

مركبات على سبعة أنهر وكان الملك عليها كاهن عنيد اسمه الحكيم رصيد وكان بلغ من العمر زمنا طويلا ولم يرزق إلا بنت ولكن جميلة بديعة فى الجمال فصنع لها فى تلك الجزائر قصرا وجعلها هى المملكة على تلك الجزائر والحاكمة عليها مدة حياة أبيها إلى يوم ضرب أبوها تخت رمل يسأل يا هل ترى تمكث بنته فى المملكة بعده أو لا فرأى أنه يركب عليها ملك من ملوك النصارى وتتعب منه فصنع بدلة لبنته إذ البستها لم يقطع فيها سلاح ولم يغلبها أحد فى الحرب والكفاح ثم انه ضرب لها تخت ثانى فرأى نصرتها على يد واحد أشقر منه لم اسمه الملك عرنوس فقال لها إذا رأيت هذا العدو مقبلا عليك من البر أو سمعت بخبره اجذبى هذا الرصد إلى السور فان عرنوس يأتى إلى بين يديك ثم إنه صنع بدلة مطاعة يلبسها الملك عرنوس وكان عنده حصان من خيل البحر فصنع له بدلة يلبسها فتقيه من ألم السلاح وطلسم لجوبه الملك عرنوس ولبس الحصان وجعل عقد اربعين فص جوهر كل فص يقوم بخراج بلاد الروم خمس سنين ووضع الجميع فى صندوق وجعل الجواد فى مكان ووكل به عونا من أعوان الجان يخدمه ويطعمه ويسقيه إلى أن يحضر الملك عرنوس يركبه ليكسر عليه العدو الذى يأتى لبنته ثم قال يا بنتى ومن بعد ما يقتل العدو الذى يكون فى بعد ذلك اقتله

فقالت له وأنا أعيش وحدى لا أنيس ولا زوج فاتى لها ببنت مثلها ذات حسن وجمال وقد وبهاء واعتدال وقال لها هذه البنت تكون لك أنيسة تعيش معها وتعيش معك مدة حياتك وحياتها وبعد ايام وشهور وأعوام أدركته الوفاة جل من لا يموت ومن بعد موته كان قريبا من الجزائر المذكورة كاهن يقال له الكاهن صافور ملك الجزيرة الصفرة فلم يعلم بموت الكاهن رصيد فأحضر وزيره وقال له إن الكاهن رصيد صاحب جزائر الزهور مات وأنا اريد أن أملك جزائره وآخذ بنته فقال له وزيره الأمر أمرك يا كاهن الزمان ولكن قبل ما تفعل شيئا كاتب بنت الملكة زهرة واطلب تزويجها لنفسك فان رضيت تزوج بها وتبقى الجزائر والبلاد معك وإن لم ترض بتزويجك وامتنعت وحاربتها يبقى عذرك مقبول عند الملوك والحكماء فانهم يقولون مافعل ذلك الا من أجل تزويجها ولما امتنعت حلف حتى ياخذها من بلادها غصبا فعند ذلك كتب الكاهن صافور كتابا الى الملكة زهرة يقول فيه قصدى أتزوج بك على ملة المسيح وان كنت ماترضين بتزويجى عرفينى أيضا فى رد الجواب وأرسل ذلك الكتاب مع عون من أعوانه فاتى بالكتاب ووضعه بين يديها فلما فهمت مافيه تذكرت ما أعلمها به ابوها قبل موته ولو كان قال لها تتزوجى كانت تقول ان هذا

الذى يتزوج بى فجعلت عقلها كاملا وكتبت له فى رد الجواب تقول يا كاهن الزمان انا ما اعرفك ولالى بك معرفة حتى تخطبنى بكتاب منك مع ان الخطبة تكون بوسائط وانا ما امتنع عنك انت الرضى وفوق الرضى ولكن لابد ان تفعل كما يفعل الناس فى الخطبة وانا ما اريد سواك وإن كنت ما تامن على خطبتى احدا فاحضر انت الى عندى انظرك وتنظرنى واشرط عليك الشرط الذى يكون على يد البترك فعاد النجاب واعلم الكاهن [وبعد ذلك جذبت الرصد واحضرت الغراب المظمى واخذت منه الملك عرنوس وبعد ذلك امرت الأرصاد ان يوصلوا ملك المسلمين الى اسكندرية حتى لا يبقى لها من ينازعها فيه وهاانت ياملك عرنوس بقيت عندى وحكيت حكايتى اليك فقل لى كيف يكون العمل وصارت الملكة زهرة تكلم الملك عرنوس وتحكى له كما ذكرنا وتنظر الى لفتاته وقوامه وحسنه وجماله وهو كما قال القائل ابن الوردى

ان تبدى تنكشف شمس الضحى واذا ما مشى يزرى بالأسل
زاد ان نسناه بالنجم سنا وعدلناه بغصن فاعتدل

تم الجزء الحادى والثلاثون ويليه الجزء الثانى والثلاثون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثانى والثلاثون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

فتعلق آمالها بمحبته لاجل الكائن من الطاف البارى جلت قدرته ولما حكت للملك عرنوس على ماصنع لها أبوها من الفنون والعجائب فقال لها وما قصدك فى هذا الوقت وأى شىء تريده فقالت له قصدى فيه أن لاترد عنى وعن بلادى هذا العدو ثم بعد ذلك يكون لى معك كلام ، لكن أعلمك أن هذا رجل حكيم كاهن فقبل أن تفعل شيئا البس هذا اللباس الذى صنعه أبى قبل موته حتى لا يؤثر فيك سحره وأنا أيضا البس ذلك اللباس الذى صنعه لى أبى حتى لا يؤثر فى سحره ثم البست الملك عرنوس وأقامت منتظرة قدوم الكاهن صافور وبعد أيام قلائل قدم الكاهن صافور وهو قادم قدوم الجبار المعتدى فحط على البلد ونظر إلى حسن بناها فارسل وزيره إلى الملكة زهرة فلما وصل إلى تحت القصر الذى فيه الملكة زهرة والملك عرنوس وطلب الدخول فأرادت الملكة زهرة أن تمنعه فقال لها الملك عرنوس خليه يدخل حتى ننظر خطابه فدخل الوزير إلى القصر وكان يظن الملكة زهرة تجله وترفع قدره فما حصل من ذلك شىء فلما نظره الملك عرنوس قال له ماتريد ياوزير اعلمنى بالصحيح واترك الزور والتلويح فان الحق احسن لك من الكلام الذى ليس بمليح فقال الوزير اعلم أن الحكيم صافور أتى إلى هذه الجزيرة قصده أن يتزوج الملكة زهرة وانا مرسول بهذا السبب من عنده حتى أكون الواسطة له فى كل ماطلب فقال له الملك عرنوس اعلم انى أنا الوكيل عن الملكة زهرة وأن صاحبك مابقى له اليها وصول ولا له عندى كلام مقبول فان البلاد صارت بلادى وزهرة بعد أبيها لم يبق لها حكم ولا على نفسها وانت ياوزير عد إلى من أرسلك وقل له إن الجزائر صارت تحت حكم عرنوس صاحب مدينة الرخام وان أخذ عسكره وراح إلى حال سبيله فبها ونعمت وشأنه اخبر وإن أراد أن يقيم حتى ينظر حاله معى فليصبح ينزل إلى سوق الحرب ويرتب عسكره والذى يعمله الله تعالى يجرى بقدرته فقام الوزير وهو يقول فى نفسه لو كان أمرنى الكاهن بقتله ماعدت إلا برأسه

ثم انه دخل على الكاهن واعلمه بما سمع من عرنوس فانشاط واغتاظ وقال ودينه ما يسير من هذا المكان إلا بأخذ الجزاير ويأخذ الملكة زهرة مسبية . يشنق هذا المسلم على باب البلد ثم انه بات ينبه عساكره إلى الصباح فصفف الصفوف وأراد الحملة وإذا بالملك عرنوس قد برز إلى وسط الميدان وصال على ظهر الجواد الذى ذكرناه ورفع صوته وقال ياجميع أبناء النصارى اعلموا انى خرجت هذا اليوم حتى انى اعرض عليكم ما خطر ببالى وبالكم وهو ان اهراق الدماء حرام فى جميع الملل وهذا الكاهن صافور يريد أخذ الملكة زهرة يجعلها له زوجة ويريد أخذ جزائرها التى خلفها لها أبوها وجمع هذه العساكر وأتى يريد قتالها فما من المروءة أن يقعد تحت بنديرته ويترك الحرب على بطارقته وإنما أنا الذى منعت زهرة من زواجه واحتويت عليها وعلى بلادها فان كان مرامه يأخذها ويفعل ما يريد فليبرز هو إلى الميدان ويقاتلنى قدام العساكر فان أنا قتلته يبقى أمر عسكره بيدهم ان شاءوا يحاربوا حتى يأخذوا ثاره وإن هو اخذنى أسيرا أو قتلنى فلا يجد بعدى أحدا يقاتله فيحتوى على الجزائر وعلى الملكة زهرة ولا يبقى له معارض ولا ممانع فما تم عرنوس كلامه إلا والحكيم صافور صار قدامه وقال له دونك والقتال إن كنت من الأبطال فانطبق عليه الملك عرنوس وتقاتلا وتقابضا وكان لهما شان وأى شان ومادام كذلك إلى نصف النهار فالملك عرنوس استظهر على خصمه الدرهم فنطار واتبعه واكربه وضايقه ولاصقه ووقف فى ركابه وارتمى عليه وطبق على خناقه وقرط عليه حتى كاد ان يخرج عينيه وأخرج رجله من الركاب ورفس حصان الكافر خسف أضلاعه وكاد أن يقطع نخاعه وكان النهار ولى وارتحل والليل أظلم وانسدل فعادت الروم وكل منهم مهموم مغموم وأما الملك عرنوس فانه عاد إلى باب البلد ودخل وأمر بغلق الابواب وأمر بادخال الحكيم إلى صدر المجلس وقد أمره أن يجلس من غير كتاف وقال له يا كاهن انت عزيز على قومك ونحن حكمنا كما أمرنا نبينا وقال إذا أتاكم عزيز قوم فاكرموه فانت تبيت عندنا هذه الليلة وعند الصباح انزل انا إلى الميدان واوريك ما أصنع بأكابر دولتك فى محل الحرب والطعان فقال له الحكيم صافور يا ملك عرنوس انت مسلم وهذه الملكة زهرة بنت واحد من الحكماء كاهن وما الذى أتى بك اليها حتى صرت تساعدها وتمنعها علينا فقال له عرنوس يا كلب أى فائدة لك فى هذا السؤال أنا جئت عليك بعد الانتقام تبارزنى انت بكثرة الكلام يا ابن اللئام فقال لا يا دولتلى وإنما سؤالى على سبيل الاستفهام أريد من احسانك أن تنعم على بالانطلاق وتجعلنى لك صديقا واكون من تحت طاعتك

وطاعة الملكة زهرة صديقتك وأنا وحق الاله الباقي على الدوام أكون من تحت طاعتكم وافتخر بصحبتك يا ملك عرنوس فقال له عرنوس وأنا يا كاهن الزمان ما أرد عليك جوابك إلا بقضاء حاجتك ثم التفت إلى الملك زهرة وقال لها ما الذى تريديه اقتله أو اطلقه لوجه الله تعالى فسمع الكاهن صافور ماقال الملك عرنوس فقال يا ملكة زهرة وحق رب المسيح اذا تفرقت الملل الرب واخذان اطلقتنى ما اغدرك ولا اخونك الا أكون تحت أمرك ونهيك فحنت الملكة عليه وقالت له اطلقه دعه يمضى إلى حال سبيله فعند ذلك قال له عرنوس قم يا ملك صافور وعد إلى قومك وأهلك ولا تدعى الفجور فتهلك فقام وطلع من قدام الملك عرنوس هذا ماجرى له وأما ما كان من أمر عساكره ووزرائه ودولته فانهم لما أسر الملك عرنوس ملكهم وأرادوا أن يحملوا على عساكر جزائر الزهور فقال لهم الوزير اصبروا حتى يطلع النهار وتنظروا كيف يكون الحال لأن الذى أسر الكاهن ماراح به إلى العرضى بل دخل به البلد وأخاف إذا حاربنا العساكر الذى قدامنا ونظر الملك الذى أسر ملكنا انا ظاهرون على عسكره فيقطع رأس الكاهن ويرميها قدامنا لاجل أن يقصم ظهورنا فانه رجل جبار فاصبروا حتى يطلع النهار فامتثلوا كلامه وأقاموا إلى نصف الليل وإذا بالكاهن قادم عليهم وكان الملك عرنوس أركبه على حصان من أخير الخيل وسيره تحت الليل فلما وصل التقاه وزراؤه وهم فى فرح وسرور بقدومه اليهم وكانت ساعة أفراح فلما وصل فتح صناديق أمواله وأخرج هدية مفتخرة تقوم بخراج ملك الروم خمس سنين وصبر حتى طلع النهار وكانت الهدية من عقود جواهر ولؤلؤ وحجارة الالماس وقضبان ذهب وأقمشة من الكشامير والبندار وسرتى وسيوف محلاة بالذهب فلما ادخل هذه الهدية على الملك عرنوس والملكة زهرة وانجلت الكروب وزالت الاحقاد من القلوب وتودع الملك صافور من الملك عرنوس وتوجه إلى جهة أرضه وبلاده وبعده خلا بالملكة زهرة فقدمت للملك عرنوس الطعام وأحضرت بين يديه المدام فلما حكم الخمر على عقلها ومازجها السكر نكبت على الملك عرنوس وصارت تبوسه فلم يرض وقد منعها فقالت له اقتصر يا ملك عرنوس انا قصدى اتزوج بك ولا تفارقنى فقال لها يا ملكة انت الرضى وفوق الرضى ومن الذى يقارن جمالك ولا يشتهى أن يكون دائما قاعدا قبالك وإنما أعلمك انى مسلم موحد بالله شريف النسب وزواج الكافرة عندنا لا يجوز فان كان يهون عليك أن تدخلى دين الاسلام فأنا زوجك وأنت زوجتى فقالت له رضيت بذلك علمنى حتى أكون تابعة لك فى أفعالك فعلمها الاسلام فاسلمت فانسر الملك عرنوس منها وأخذ يقص عليها فى كل ليلة نصائح دينية كتبت فى

قلبها دين الاسلام فحكى لها حكاية تتعلق برسول الله فقال قال رسول الله لا يلبس اللعين كم لك في متي من حبيب فقال يا محمد أربعة وعشرون جزءاً منهم جزء وهم المخاصون الذي ينزل الله سبحانه وتعالى ببركتهم تنبت الارض وببركتهم تركوا الثمار وببركتهم يدفع عن امتك المسخ والخسف والقذف في كل مكان وفي كل وقت وأوان حتى اذا أراد الله سبحانه وتعالى هلاك امتك امامهم ثم يصب عليهم العذاب صبا فهم الذين لا سبيل لي عليهم ولا يطيعون أمري [وأما الباقون] فهم الثلاثة وعشرون جزءاً قد خلقوا للنار ولا تفارقهم الا في ثلاثة مواضع عند ذكر الله سبحانه وتعالى وعند الاستغفار وعند الصلاة خلف الامام لا تزال تفارقهم طرفة عين [فقال] له رسول الله ﷺ فكيف تحيط بالناس أجمعين فقال يا محمد اني ألد في كل ليلة الف غلام فقال له وكيف تقدر على ذلك يا ملعون فقال فخذي الايمن ذكر وفخذي الايسر انثى فاجمع بينهما في كل ليلة فيصبح خلفي الف غلام وأنتم يا أولاد آدم في نقص ونحن في زيادة [فقال] له رسول الله ﷺ فما تقول في المشايخ وما تقول في الشباب من أمتي فقال يا محمد اما المشايخ من امتك الذين يطعنون في السن وهم في جهالة آثامهم بالغيبة والنميمة وشهادة الزور وتأخير الصلاة عن أوقاتها وعن طاعة الله سبحانه وتعالى [أما الشباب] من أمتك الذين يتبعون الجهل والغي والشهوات فاني أمرهم بالفجور والفساد والظلم والجور والكبر والعجب والنظر الى نساء المؤمنين واما الصبيان فنحن نعلمهم كيف نريد واما النساء العجائز فاني آمرهم بالسحر والبهتان والزيادة والنقصان في الكلام وشهادة الزور والاستخفاف بالصلاة وشرائع الدين [وأما النساء الشباب] من امتك فليس بيني وبينهم خلاف لكل امرأة لا تخالفني منهن واحدة وكلهن في حكمي وطاعتي فقال له رسول الله ﷺ فكيف توسوس لهم وتبطل أعمالهم وتفسد أحوالهم فقال يا محمد والذي انظرني الى الوقت المعلوم ما بهم أحد بخير يعمله الا وكلت به شيطانا من أولادي يقال له المتقاضي فلا يزال يتقاضاه الدهر كله حتى يفضحه فيه ويتركه واذا غلبه وفعله فلا يزال معه يوسوس حتى يخذيه ويمن بعمله على فيحبط الله عمله ويضرب به وجهه يا محمد وما هم أحد من امتك بصلاة يصليها الا بادرته ولزمه الحرمة فان غلبني وصلى ارسلت له من يشغله في صلاته حتى يلفته يمينا وشمالا ولا يزال يشغله اما القهقهة واما بالوسوسة أو بكثرة الحركة الى ان تبطل صلاته ولا ينفعه منها شيء ولا أزال اشغل الناس عن الصلاة باللهو واللعب والكلام اللغو أو بالبيع أو بالشراء أو بسبب من الاسباب فاذا أخر الصلاة الى آخر وقتها ثم جاء فنقرها نقر الغراب أو نقر الديك للحبة فيرد الله تعالى عليه صلاته ويعذب

بها وجهه فهذا هو احب الخلق إلى إلا أن يتوب فالتوبة تمحو الذنوب

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اى خصال تعلم بها هلاك أمتى يا ملعون

فقال إذا قبلا أمتى ثلاث خصال هلكا ثم قال وما هى يا ملعون الاولى البخل والثانية اتباع الهوى الثالثة نسيان الذنوب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ذلك يا ملعون فقال لان البخل راس كل خطيئة والهوى يسوقه إلى الكفر ونسيان الذنوب منفر التوبة فاذا أذنب الانسان ذنبا ونسيه ولم يتب منه لم يستغفر الله ثم يموت مصرا على المعصية فهو فى الآخرة من الهالكين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فما الخصال التى تامر بها امتى يا ملعون فقال آمرهم بالشرك بالله والشرك و الدين

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو الشرك بالله تعالى فقال اقول لهم الخير من الله والشر منى فاذا وافقونى على ذلك فقد كفروا وآمرهم بطلب العلم او النسيان للصلاة والغضب فى الحقوق والظلم والعجلة والبطش بسفك الدماء والفسوق والحماقة والفجور والطغيان واليأس من رحمة الله والكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والبهتان والايمان الكاذبة وعقوق الوالدين أما تعلم يا محمد ان الله سبحانه وتعالى ما جعل هذه الخصال المذمومة إلا فيمن يبغضه ويمقته ولا يغفر له .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه هى خصال أهل النار فهل تعرف خصال أهل الجنة فقال نعم خصال أهل الجنة هى الايمان بالله سبحانه وتعالى والايمان برسوله والعمل بشريعة رسوله والعلم والحلم وسخاوة النفس والسهولة فى كل شىء والرحمة والبشاشة والرأفة لعباد الله تعالى والصدقة على الفقراء والمساكين والامانة والصدق والزهد والتواضع والورع والخضوع لله سبحانه وتعالى وكثرة العبادة ومجالسة العلماء والفقراء والسلام عليهم والتلطف معهم فى الكلام والشفقة عليهم والرفق بهم والأدب معهم والمروءة والديانة وترك الجور والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكتمان السرائر والانصاف وقول الحق وفعل البر والتقوى والصدق فى الله سبحانه وتعالى فهذه خصال أهل الجنة يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد قلت وأحسنت يا أبا مرة فما منعك أن تتوب وتدخل الجنة فقال يا محمد هذا وأنت نبى الله ورسوله وصفوته من خلقه تأمرنى بشىء لم يرده الله منى أما تعلم يا محمد أن الله عز وجل نهى آدم عن الأكل من الشجرة وأراد أن يأكل آدم منها فأكل منها حتى جرى القضاء والقدر وأمرنى بالسجود لآدم فأبيت أن أسجد ولو شاء الله سبحانه وتعالى السجود لسجدت لكن الله سبحانه وتعالى خلق النار وخلق أهلها وجعلنى والشياطين دليلا اليها والجنة أيضا معنى ذلك يا محمد أما تعلم قوله سبحانه وتعالى ولو شاء ربك ما فعلوه وقوله سبحانه

وتعالى إن هي إلا فتنتك تضل بها من شاء وتهدي من تشاء يا محمد لقد وددت أن أكون أعيد الخلق إلى الله ولكن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه المجيد فمنهم شقي وسعيد . يا محمد الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن معصومة غفر الله لهم ذنوب خمسين سنة بيوم واحد . فقال إبليس لعنه الله صدقت يا محمد ولكن آمر أمتك بما حبط الله عما لهم ولا يقبل الله تعالى منهم شيئا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تأمرهم به يارجيم فقال أقول لهم قولا زورا فيك وأقول لهم إن الوحي ما كان ينزل إلا على ولكنه أخذه مني بالقوة وأسكته بزوج فاطمة وهو علي بن أبي طالب وهو أخذه عنادا وجبريل أخطأ في ذلك ولا أزل أطرح من عندي زورا حتى إذا علمت أنهم قد ركنوا الى كلامي واتبعوني وسمعوا فيك السوء وفي جبريل فاطرح أيضا في أصحابك أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأقول ان ابا بكر فعل كذا وكذا أو غير وبدل واخذ الخلافة من علي ظلما هو وعمر وان عليا صنع وترك وجار وظلم واعتدى ثم قال يا محمد ولا ازال اطرح عندهم في ابي بكر وعثمان وعلي واروى لهم اخبارا واحاديث زورا من عندي حتى اذا علمت انهم ركنوا الى كلامي وشتموا وسبوا امالي بين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي تركتهم على حالتهم في ضلالتهم ولا يقبل شيء من صلاتهم ولا من زكاتهم ولا من صومهم ولا من حجهم ويقامرون في صلاتهم ويضل بعضهم بعضا الى ان يأتيهم الموت وهم على تلك الحالة فاي عمل يكون لهم واي توبة تقبل منهم فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ان هذا الكائن في امتي هو عديلة الله سبحانه وتعالى ونستعين بالله عليك يارجيم ونسال الله سبحانه وتعالى ان يكفينا شرك ويمنع عنا مكرك ولكن يا رجيم زدني نصيحة ثم قال ابليس يا محمد ما معك الا القليل من امتك يوم القيامة اما تعلم يامحمد ان القدرية هم معي والفلاسفة هم معي والكهنة معي والرافضة هم معي والبصرية هم معي والجهشية هم معي اما تعلم يامحمد ان جميع هذه الطوائف يحشرون معي يوم القيامة فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رجيم فما الذي يذيب جسمك قال صهيل الخيل في الجهاد في سبيل الله تعالى

قال فما الذي قمع رأسك قال كثرة الاستغفار قال فما الذي يحول وجهك ؟

قال الصدقة لخفية قال فما الذي يسجنك قال الرجل البر بوالديه

قال فما الذي يقطع كبدك قال مجالسة العلماء قال فما الذي يسود وجهك قال ذكر الله تعالى قال فما الذي يقسم ظهرك قال قراءة القرآن قال ومن جليسك

قال صاحب القيل والقال قال ومن صديقك قال الحالف بالطلاق ولو كان

صادقا . قال ومن خليلك قال السكران . قال ومن خادمك قال المنجم . قال ومن اخوانك قال الحجاج بالمال الحرام قال ومن أعز الناس عندك قال شريك الله تعالى قال وما هو قال الذى يزعم أن له قدرة وإرادة دون الله سبحانه وتعالى قال ومن أقاربك قال خدمة السلطان . قال ومن وكيلك قال القاضى بغير الحق قال وما كتابك قال الوشام قال ومن قرابتك قال الشعراء . وقال وما يرضيك قال تأخير الصلاة عن أوقاتها قال ومن مؤذنك قال المزمار قال وما مسجدك قال السوق قال وما منزلك قال الحمام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زدنى نصيحة يارجيم ياملعون فقال ابليس يا محمد الغيبة مجلسى والرياء كسبى والحرام أكلى والشرب باليد اليسرى شربى وكشف العورة لباسى والبول إلى جهة القبلة رضائى وفرقعة الاصابع تسبيحى وقطع الرحم صلتى ونقض التوبة شكرى والنوم عند المغنمة فرضى وما مشى أحد إلى الكسب الحرام إلا كنت رفيقه ولا جامع أحد زوجته إلا كنت مجامعا معه مالم يذكر اسم الله سبحانه وتعالى فقال له رسول الله ﷺ أى شيء أبغض اليك يارجيم يا ملعون قال المخلص لله تعالى فى عمله قال أى شيء أحب اليك قال المرائى فى عمله قال وما هو قال هو الذى يعطى ما يطلب به المدح والثناء من الناس عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أى امرأة لا تقدر عليها قال يا محمد مريم ابنة عمران وآسية فرعون وخديجة بعد اسلامها قال ومن الذى لا تقدر عليه من الرجال قال الرجل الذى لا ينظر الى امرأة بنظرة حرام ثم قال إبليس يا محمد انى أوكل على من يجمع مالا ولا ينفقه فى سبيل الله تعالى الف شيطان يكشفون أحواله وكانت النار جزاءه يوم القيامة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أى شيء تفدى به أحوال امتى قال آمرهم بفرقعة أصابعهم عقب الصلوات حتى يصيبهم الهم والغم وآمرهم بتشبيكهم أصابعهم على الركبتين وهم جالسون على طهارة وهم منتظرون الصلاة فيصيبهم الهم والغم والنقائص وآمرهم بالغسل من الجنابة قبل إزالة ما على البدن وطهارة الاعضاء قبله حتى تصيبهم الجنابة فى أنفسهم وتفسد عبادتهم وآمرهم بتخليل أسنانهم بعود القصب حتى يصيبهم الحزن وتنزع البركة من رزقهم وتفسد عبادتهم وآمرهم بالاستياك بعود القصب حتى يصيبهم الحزن وتفسد أفواههم وآمرهم بالبول الى جهة القبلة حتى لا تجاب لهم دعوة عند الله تعالى فلما سمعت الملكة زهرة من الملك عرنوس هذا الكلام اطمأن قلبها بدين الاسلام وعرفت أنه دين الله الحق وأحبته من صميم فؤادها وعاشت معه براحة وسلام

[قال الراوى] فلما أسلمت فرح باسلامها الملك عرنوس وقدم لها شيئا من الهدايا التى جاءت له حتى أوفى بالسنة وبعد ذلك دخل بها وبلغ من جمالها كلما أراد وزادت

المحبة بين الملك عرنوس والملكة زهرة الوداد واقام عندها سبعة أيام فقال لها
يا ملكة أنا قصدى أسير إلى بلادى فقالت له اقعد عندى كان سبعة أيام حتى أعطيك
الجواد الذى كان أبي جعله على قسمك وكذلك لبسك فانه يقيك من الحر والبرد
من السلاح والقبض وإذا لبسته لم ينتصر عليك عدو ابدا فاذا قمت عندى ثلاثة
أيام او سبعة ايام تبقى تستحق اللباس والحصان فقال الملك عرنوس رضيت بالمقام
عندك عشرة ايام مع انى والله مايهون على ان افوت هذا الجمال ابدا وقام عندها عشرة
ايام فى حظ زائد وإكرام وبعد العشرة ايام قالت له انا عندى لك ذخيرة عادمة منك
لها سنين واعوام فقال لها عرنوس هاتى الذخيرة لما انظرها ففتحت مخدعا وقالت
اطلعى يا ملكة روح الرياض فطلعت فقالت اتعرف يا ملك عرنوس فقال هذه كانت
انخطفت من عندى من مركب واتهمت فيها المقدم ابراهيم بن حسن وانا ما بقيت
اخليها عندك تقيم فقالت له لا يا ملك الغدر عيب انا والله حالفة لابى انك بعد ماتهلك
اعدائى اتسبب فى قتلك ولكن لم يهن على انى اضرك ولو بأدنى حركة لاسيما وانا بقيت
مؤمنة موحدة وانت صرت زوجى فلا تحرمنى من هذه الملكة بل ابقيها عندى
أتآنس بها وانظرها وتنظرنى وأشاهدها وتشاهدنى وانما يا سيدى إذا اردت أن
تتمتع بجمالها فأنا ماأردك عنها ولا أختارها عليك وإنما اجعلها لى عديلة تبيت عندها
ليلة وعندى ليلة وكانت الملكة روح الرياض أيضا مسلمة على يد الملك عرنوس
وهى زوجته فاحتظى بها وطيب قلبها واعلم الملكة زهرة بذلك واقام مع الاثنين
شهرين ستين يوما وهو كل ليلة عرنوس جديد وبعد ذلك قال يا ملكة اعلمى انى
لابد لى ان اسير إلى مملكتى فقالت له يا سيدى والله فراقك وفراق الروح عندى
بالسواء فودعهم الملك عرنوس وركب على الحصان الذى قدمنا ذكره ثم لبس
اللباس المرصود وسافر يقطع البر والقفار حتى أنه عبر على مدينة انصية وكانت هذه
المدينة انصية من المداين الكبار ولها ملك اسمه الفاق جار بن الفلقين وكان يركب
فى اربعمائة الف وله سطوة فى بلاد الافرنج فانه من جملة السبع بيات المعدودة فى
مقابلة السبع قرانات . فلما عبر الملك عرنوس على تلك المدينة فصار ماشيا الى ان
رأى خانا فدخل فيه ونزل عن ظهر جواده وأوثقه فى الخان وأوصى عليه الخانجى
وطلع ليسلى نفسه من تعب المسير وأما الخانجى فانه لما نظر الجواد وعدته التى عليه
انبهر وطلع الخان وسار حتى بقى قدام البب الفاق جار فقال له يا زين الزمان اعلم
انه ورد على اليوم فى الخان غندار ولكن ما رأيت عمرى مثله فانه جميل والحصان
الذى راكبه وضعه عندى فى الخان وعليه بدلة لم يكن مثلها عند أحد من الملوك قط

ولا شكلها وصورته ما هى صورة تجار وما هى الاصورة الملوك الاخيار الكبار اصحاب الاقاليم والبلاد والامصار فقال الفلق جار هل تعلم اسم هذا الغدار فقال لا يا باب فقال يا ترى من أى البلاد هو وتحير الفلقجار وقصده أن يعلم بالملك عرنوس وإذا بضجة وقعت فى البلاد والناس اليها ينتظرون وكان جوان قد حضر فطلع إلى قدام الفلقجار واتفق قدوم الخانجى فى ساعة واحدة فلما نظر الفلق جار إلى كلام الخانجى قال لجوان اسمع هذه العبارة يا جوان فقال جوان ما هى هذه العبارة فاعاد عليه ما قال الخانجى من المقال فقال جوان هذا الوصف وصف الديابر وعرنوس انزل يا برتقش انظره فنزل البرتقش والخانجى قاعد على باب الخان فاخذ بالفراسة أن هذا البرتقش لا شك أن الخانجى طالع اخبر الملك انه وقع عندنا فى الخان رجل صفته كذا وكان جوان حاضر فارسل البرتقش ليأتيه بالخبر الصحيح فكان حساب الملك عرنوس بذاته فما كان منه إلا انه مسك الخانجى وقطع رأسه وقال لكل من كان فى الخان اخرجوا إلى السوق فانى أنا عرنوس الديابرو لا بد للملك الفلقجار من طابى فاخرجوا من الخان لئلا تحترقون بنارى وحط يده على قاسم الحديد فخرجوا جميعا ولم يقعد أحد فيه وقعد عرنوس على باب الخان فكان البرتقش عاد إلى جوان واعلمه انه عرنوس فارسل اليه الف بطريق من كل كافر كانه العتيق واردفهم بالف ثانية والف ثالثة وعرنوس جالس فنظر الى عروس المنايا شرعت عن ذراعها ومدت للفرسان لوقها طول باعها فوضع يده على قاسم الحديد وانفرد من الخان وهو يقول حاسنين الله اكبر يا كلاب المشركين

إذا نار العجاج على الرؤوس — واشتدا الحماس على النفوس
وازدحمت جيوش الكفر تحوى — بخيل من على الغبرا تدوس
اجيهم راكبا ومعى حسام — اقد به الجواشين واللبوس
وسيفى قاسم الحديد خصمى — وقد أوعدته قطع الرؤوس
وترى يلتقى حد المنايا — ولى طير تضيق له النفوس
أنا عرنوس معروف حسبى — وجنسى فاق عن كل الجنوس
اقاتل فى سبيل الله جهدى — بعزم صادق ما خاف بوس
على ذات النسور علوت حقا — اكاس الحرب يجلى كالعروس
وصلى ربى على محمد — نبى ذكره يحى النفوس

وقاتل الملك عرنوس ذلك اليوم وازدحمت عليه القوم وبات فى قلب الخان إلى ثانى يوم قاتل كذلك وثالث يوم واخيرا فى اليوم الرابع لم يفتح باب الخان ولم يطلع ولم

يقاتل أحد فقال جوان هذا نايم الساعة فى الخان لأنه لو كان صاحى كان فتح الخان وطلع وقاتل الكرستيان فقال الملك الفلقجار أمر القوامين أن يهدموا الخان فقال جوان مايلزمشى وإنما قم يا برتقش هاته من الخان وخذ لك الف دينار فقال البرتقش والله ياجوان ان قبض على لم تعرف أن تخلصنى منه لاانت ولا الفلقجار فقال جوان ما أحد يجيب جوابك يا سيف الروم قم وخد لك عقد جوهر والف دوقاته فقال البرتقش هات العقد فأخذ العقد الجوهر وكان يساوى عشرة آلاف دينار فأخذ العقد والألف دينار وسار البرتقش حتى وصل إلى الخان ودخل على الباب فلقاه لم يمكن فتحه فرمى مفرده وطلع على السور ونزل فوجد الملك عرنوس نائما على رأى الذى قال فى هذا المعنى موال :

النوم سلطان يحكم على الاسد فى البر   النوم سلطان يحاكى بحر مزغوبر
النوم لما احتكمنى فى وسيع البر   كدر صفايا وخلى حلو عيشى مر

فالتقى عليه دخنة بنج وانه فى جوان وزر عليه أربعة وعشرون زر وشاله على اكتافه ونزل ففتح الخان وطلع وحمله لبعض الناس الذى فى الطريق وسار به إلى قدام الملقجار والملعون جوان فلما نظره جوان أمر بربطه فى الحديد وفيقه من نومه فوجد نفسه قدام جوان والفلقجار فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والتفت إلى جوان وقال له إيش هذه الفعال يا جوان فقال جوان وانت ماجابك إلى هذه البلدة فقال عرنوس يا ملعون لا تطل الخطاب إن كان أجلى قدتم فانا أرجو من الله الشهادة فقال جوان لا بد لك من المنشار لانك تركت دين المسيح وتواليت بالمسلمين بعدما تربيت فى بلادهم فقال الفلقجار يا جوان إذا كان هذا تدبيرو عرنوس كيف تأمر و بقتله وحده . هو لم يكن ملك المسلمين إنما هذا اسجنه حتى انى اركب على بلاد المسلمين وأملك بلادهم . اقبض على ملك المسلمين و قتله هو وإياه فى يوم واحد فكان ذاك الكلام أشد مايكون على جوان من المقت فأمر بحبسه فى طابق تحت الارض واقام جوان تلك الليلة مع الفلقجار إلى وقت السحر فنظر جوان إلى الساقى فعرف انه شيحة فقال للفلقجار انت تعرف الساقى هذا قال الملك الفلقجار اخرس ياملعون هذا نديمى ومملوكى عشر سنين .

فقال البرتقش يا بب المسيح بحرزه عليك لا تزعل على عالم المله فقال الفلقجار لربما انك تقول لى عليه هذا مسلم .

فقال البرتقش ذا كرستيان يا بب والتفت الى جوان وقال له لو كان هذا الذى تعرفه كان

ادهر لنا البنج فى الكاسات هذا والساق ساكت ولم يرد عليهم كلام ودغر لهم البنج فى الكاسات فشرب جوان والبرتقش والفلقجار أخذ الملك عرنوس من بينهم واعطاه عدة جلاده وأركبه على جواده وقال له سافر على طريق الاقلاصية فسافر وأما ما كان من البطارقة فانهم دخلوا فنظروا جوان مرمى والبرتقش والفلقجار فالبعض قال هم أموات والبعض قال هم مبنجون ولم يعرف أحد منهم ضد البنج فقالوا لا يعلم ذلك إلا جوان فرفعوا وجهه إلى فوق ونشقوه بالماء الذى يجرى من عامود اللحم الآدمى تارة فى فمه وتارة فى مناخيره حتى عطس ورأى نفسه على ذلك الحال وفى الحال فيق البرتقش والفلقجار فلما أفاق الفلقجار قال ياجوان ماهذه الفعال فقال يابنى هذا فعل شيحة وأنا كان قصدى أن تقبضه فقمت انت منعتنى ولكن انظر إلى الديابرو عرنوس هل هو فى الطابق أم سرق منه فلما نزلوا إلى الطابق لم يجدوا له خبر ولا أثر فقال جوان ماراح إلا على اقلاصية ثم انه أخذ البرتقش وطلع تبعا آثار الملك عرنوس هذا ما كان منهم وأما الملك عرنوس فانه سافر على اقلاصيه فوصل اليها ودخل فيها وسار إلى خمارة ثم خلع ما كان عليه من الثياب والسلاح المعلوم أمره وغير زيه فقال له الخمار ياسيدى اعلى لك مطرحا تحط فيه لباسك وحصانك وكذا تستغنى عنه حتى يرتاح بدنك فقال له الملك عرنوس وهو كذلك فارسل خلف ولد خانجى وقال له اعط لذلك الغندار علا يصلح لحصانه ويضع فيه ملبوسه حتى يأخذ الراحة على مهله ويبقى بعد ذلك يسافر إلى حال سبيله فقال سمعا وطاعة ثم التفت إلى الملك عرنوس وقال له اقض اشغالك بكل ماتريد ولا تبيت إلا عندى فانى أخاف عليك وحاذر طيب على نفسك فقال له الملك عرنوس يا معلم انت عمال تحذرنى هل لك بى معرفة سابقة فقال لا وإنما كنت طهرتك لما اسلمت أنت والاربعون من أولاد ملوك البرتقال وقعدت أنا وأولادى شهرا كاملا نطهر عرضيك فعرف الملك عرنوس أن هذا شيحة فسلم عليه وقال له يا عم أنا قصدى آخذ الراحة يومين وبعده اتوجه فقال له حاذر من جوان فانه وراءك بالمرصاد وتابعك فى جميع البلاد فقال عرنوس الحماية حماية الله الملك الجواد فهو الذى يفعل مايشاء فى جميع العباد من صلاح وفساد وإنما هات لى آكل واشرب فقال له اعلم يادولتلى ان كلما تحتاج اليه من مأكول ومشروب عندى فى الخان فى مكانك الذى نزلت فيه فسار عرنوس وفتح الاوضة التى عمل فيها ملابسه وإذا فيها كرسى وعليه صينيا موضوعة وعليها سفرة طعام وفيها قنينة شراب فقال عرنوس فى نفسه لاى شئ آخذ المفتاح منى ثم انه اكل حتى اكتفى وبعده تعاطى شرابه حتى أخذ حظه من

المدام فلما سكر قال الخانجى أنا بقصدى أحاصر فى هذا الخان فقال الخانجى أنا عارف مقصودك ياسيدى ثم انه قال لكل من كان فى الخان اطلعوا وادخلوا إلى خان ثان فان هذا الخان نزلت عليه نقمة من المسيح وكل من بات فيه يصبح ضعيف وكسيح فقامت النصارى من خوفهم طلعوا من الخان ولم يبق إلا الملك عرنوس فقط فقعد على باب الخان ووضع حسامه على ركبته هذا ما جرى وأما جوان فانه طلع إلى ملك البلد وكان اسمه عبد الصليب فقال له قم امسك الدبابرو عرنوس منظره فى بلدك واكتسب الاجر والبركة من المسيح فقال له البب عبد الصليب يا أبانا وأين هو عرنوس فقال ياابنى أنا ما رأيته وإنما حورى أتانى من عند المسيح وقال لى ان الدبابرو عرنوس نزل فى هذه البلد وكل من قتله يكون المسيح معاونه عليه فلما سمع البب عبد الصليب ذلك الكلام قال يا أبانا إذا كان المسيح أعلمك فانا أقوم معك ثم انه قام على حيله وجوان قدامه إلى باب الخان فلما رآه جوان قال يا بب هذا هو الدبابروعرنوس فنادى البب على العساكر وقال لهم امسكوه فقام عرنوس ويده على قائم الحديد وقال الله أكبر بعتها فى سبيل الله يا كلاب الكفر ومال على أعداء الدين اللئام وهو يرمى الروس كانها الأكر وكفوفا كانها أوراق الشجر وصار يقاتل قتال الجهاد الذى له بهعادات ويسقى أعداءه كاسات مهلكات ودام كذلك إلى آخر النهار فلما أظلم عليه الظلام وخفيت مواضع الاقدام دخل الخان وقفل بابه وكان باب الخان مثل باب القلعة وبقى من داخله رامن على نفسه وإذا بالمقدم جمال الدين مقبل عليه فقال له السلام عليكم قال وعليكم السلام فقال المقدم جمال الدين قم نتمشى أنا وأنت تقاتل وأنا واقف أباريك وقلبى ياولدى عليك وها أنا مالقيت شيئا يؤكل إلا زواج فراخ رومى فرخة وديك فذبحتهم وسلقتهم فلما عرفت أنهما استويا أطلعتهما ووضعت فى مرقتهما شربة رز وحمرتهما بالسمن البقرى ووضعت عليهما بهارات وأتيت بنصيب من الدقيق وصنعته فطيرة وعجنتها ببقية السمن ولما علمت أنك ماتقدر أن تأكل بلا خمر دخلت سراية الملعون عبد الصليب فرأيت العشا بتاعه عنده سمكة من البحر المالح لسه ما قلاها فاخذتها لك وأخذت جدانة خمر هى هذه افعل بها ما تشاء وبعدها نام أنت وأنا أتولى الحرس عنك ومثل ما قاتلت أنت فى النهار أقاتل أنا فى الليل ثم ان المقدم جمال الدين تركه ونزل إلى محل الوقعة فوجد الناس راجعين من الحرب طالبين لهم مطعما يأكلون فبعض منهم عاد إلى منزله داخل البلد ولم يبق حول الخان إلا مقدار خمسمائة كافر فذهب اليهم بأكلهم فساعدهم فى اصلاح طعامهم حتى طبخوه وقعدوا يأكلون ونادى البعض أشغله بالسم والبعض أشغله بالبنج فاما

الذين أشغله لهم بالسم فماتوا جميعا بلا تعب والذين تبنجوا دار عليهم شيحة كما يدور المسحر فى رمضان أراحهم من سهرهم وما أصبح الصباح إلا والجميع أموات وهم عظام باليات ونزل جوان فرأى هذه الأحوال فتطمع فى ذقنه مزعها وبكى ولطم على وجهه ورأسه وصاح على النصارى وقال لهم دونك والديابر عرنوس فارادوا أن يدخلوا عليه فى الخان وإذا به خرج من الخان وهو كأنه الأسد الغضبان ولم يعطى نفسه اهانة بل انه قاتل فى ثانى الأيام إلى آخر النهار ودخل الخان فالتقاه شيحة مثل ما التقاه فى الليلة الماضية, كذلك ثالث يوم فبينما هو يقاتل وإذا بصرخة من خلف النصارى تفلق الحجر أو تملخ الشجر والذى صاح يقول شد حيلك يا ابن أخى حاس الله أكبر ومال على جميع النصارى وقاتل إلى آخر النهار ودخل الخان مع الملك عرنوس وسلم عليه وسأله عن حاله فقال يا ابن أخى ان ملك الاسلام أعلمنى أنك اختطفت فهان على أن أقعد عنك فطلعت أدور عليك حتى أتيتك فى هذا المكان فقال عرنوس يا عمى جزاك الله كل خير وكيف الدى وعسكرى فقال المقدم اسماعيل كلهم طيبون وإنما قلبهم عليك ومشغولون على شانك فبينما كذلك وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل من سور الخان فسلم على المقدم اسماعيل أبو السباع وقال يا ملك عرنوس أنا مرادى أقوم أتسبب لكم فى قلب هذا الملعون عبد الصليب لأنه بالغ فى العداوة قوى فقال المقدم اسماعيل هيا ياحاج شيحة خلينا نمرق إلى بلادنا

| قال الراوى | وبما وقع من الاتفاق أن البب عبد الصليب له ولد اسمه بولص ولكنه جميل الصورة فتنة لمن يراه وأبوه لم يخلف أولادا غيره وفى تلك الأيام كان حاصل له مرض فلم يحضر مع أبيه ذلك اليوم فقال جوان يا بب ابنك بولص فى هذا اليوم لم يحضر فقال البب يا أبانا انى بولص أصبح مريضا كسلان ولم يعقل على إنسان فقال البرتقش اصحى تاتيه بحكيم فان أتيت له بحكيم يكون شيحة وان أتى له شيحة فى صفة حكيم اسقاه منهلا من حميم

فقال البب يا أبانا روح طل عليه فقال جوان سر بنا ننظره وبطل حرب الديابر ذلك اليوم لأن الحرب إذا لم يكن فيه ابنك لا تثبت العساكر قدام الديابر لأنه جاءه عمه المقدم اسماعيل وبعدما كان منفردا صاروا اثنين ثم البب عبد الصليب اخذ جوان والبرتقش دخل بهم على ولده بولص فقال جوان يا برتقش انا قلبى خايف من ابن البب هذا واقع لأنه شيحة غير فى صفته ودخل هنا وهذه الليلة يكتفنا ويأخذنا فى الحديد مذ منا العذاب الأكبر على عادته بالسم ط الغضبان الشديد الذى ما عليه مزيد فالاحسن ان تأمر البب حتى يقبض عليه وأبدأ به قبل ان يبدأ بى وابلغ منه قصدى وأربى ثم ان جوان تقدم

الى بولص وقال له ايش حالك ياولدى كان ضعفك ثقيل أظن أمك شربحات وكلامى صحيح ما فيه شك ولاتلويح فبكى الغلام تحسر وتنهد وجرت دموعه كالمطر وقال تنجس اسمى ياجوان وشهق شهقة وغشى عليه فقال البرتقش اقتله يا جوان بكلامك الذى تقوله فانه ياجوان لوكان بولص قاعدا وقلت له امك شيحة فما كان يرد عليك الا بالسيف الفصال ويقتلك ولم يخطر له على بال فقال عبد الصليب ياأبانا قلت بولص ابى واحرمتنى منه ثم انه حط يده على الحسام وقال وحق رب المسيح ان مات ابنى ما تقوم من هنا الاجثة بلا رأس وكذلك اقتل البرتقش مثلك فقال البرتقش يابب لا تأخذنى بذنب جوان لكن انا أسأل المسيح يحيى لك ولدك ولايحرمك منه وانا أقوم اقرا قداس على رأسه لعله يفيق ثم انه قام على حيله ودخل على بولص وقال فى عرضك يا أبو محمد لاتدعى أنك ميت وأنا أنبض لك الليلة على جوان واساعدك وتكتفيه والاسم الاعظم فعنده تحرك بولص وطلب الاكل فقال البرتقش اصحوا اطعموه لحما يزفره واتوا له عسل نحل وخبز وسمن بقر فأتوا له بكل ما قال وقعد البرتقش وعمل أنه حكيم فقال له خذ يا سيدى أكل العافية على بدنك وأنا فى عرضك وما دام أنك تراعى البرتقش المسيح يبلغك كل مقصود والليلة تعرف يا سيدى وتصبح طيبا كل هذا وجوان يرى هذه الفعل فقال يابب حاذر على ولدك فقال البب وحق المسيح ياجوان لولا أنى أخاف الملوك يعايرونى بك اذا قتلتك فما كنت أخليك ساعة واحدة تعيشها ثم انه أمر باحضار العدة وضرب جوان خمسمائة كرباج ووضعه هو والبرتقش فى الحديد ولما أمسى المساء قام بولص وقعد على حيله وقال أنا بردان هاتوا لى نارا فأتوا له بمقعد ووضعوه بين يديه وقعد أبوه ووزراؤه من حوله وهو يشكو لهم من البرد حتى مضى ثلث الليل الاول فطلب منهم بخورا وقال بخرونى فقالوا له ماتريد من البخور فقال لهم اريد شعرتين من ذقن جوان لاجل البركة فقامت جماعة منهم بمقص فقصوا نصف ذقن جوان وأتوا بها فوضعها فى النار فطلعت رائحة زكية بقت فى المكان وكل من شمها نام فقام الغلام فقطع رأس البب واطلق الملك عرنوس والمقدم اسماعيل أبو السباع واذا بثلاثة مقبلين فقال يابولص أنت طيب فوضع يده على الكشافية أراد ان يدخل بينهم فقال واحد منهم ارجع مانحنا عرفناك وأنا الساقى وهؤلاء اخوتى وماجئنا الا لنساعدك فقال لهم خذوا الكلب جوان وسيروا به قدامى الى مصر وحطوه فى السجن حتى أحضروا الحكم ثم انه نزل سلمهم جوان والبرتقش من السجن ونظر البرتقش اليهم فقال ياأبو محمد انت وعدتنى أنك لم تؤذنى فقال له احمل جوان وسير مع أولادى فسار معهم وشيحة قام مدة أيام

حتى مر على القسطنطينية فقال شيحة يا ملك عرنوس توجه الى بلادك واعلم السلطان بقدومك حتى يطمأن قلبه عليك لانه مشغول من شأنك واما أنا فلا بد من دخولى الى القسطنطينية فقال الملك عرنوس اعطنى جوان والبرتقش فقال شيحة خذه فاخذه وصار يعذبه هو والبرتقش حتى قرب على مدينة الرخام فعند دخوله المدينة طلعت أولاد ملوك البرتقان ونصير ا[...]ر وهلا[...] الرعود وكان لدخوله يوم مشهود ففرحت المحبون عند قدومه وضربت المدافع من الاسوار وفى هذه الرحمة انطلق جوان والذى أطلقه غلامه عبد الديورة لانه أتبعه من مدينة اقلاصية ومن بعد خلاص جوان اراد الملعون عبدالديورة ان يتسبب فى سرقة عرنوس ثانيا فقال البرتقش هذا فى بلده وتطلع وراءنا رجاله ولم يتركون اذا وقعنا فى أيديهم فدعونا ننجوا بانفسنا وساروا ولما [...]قاق الملك عرنوس وعرف ان جوان هرب فقد ل جيشه عليه وأقام فى مدينته وأما شيحة فانه لما فارق عرنوس عند القسطنطينية دخل فى قلب البلد فرأى البلد فى أمان وسار حتى طلع الى الديوان فالتقى الملك ميخائيل مقيما على تخته فوقف شيحة من جملة الواقفين فسمع ميخائيل يقول لوزيره أنا يا وزير محتار فى نفسى وانه من حين ماتت دامريتى وانا كلما اريد ان أتزوج غيرها لم أجد من تصلح لى امانى تكون ليست من أهل الجمال والا ماهى ذات نسب عالى فقال له وزيره يا ب ان كنت تريد ان تتزوج من أعز النسوان فاعرض سؤالك هذا على عالم الملة الركة جوان فانه هو يعرف جميع الملوك ويعرف الذى لهم بنات حسان وثانيا يشير عليك بالتى تليق لك فقال البب ميخائيل ياوزير انا طول عمرى ماسمعت ان جوان دخل فى بلد الا وخربها ولا حضر مصلحة الا وأفسدها ولولا أنه عالم الملة كنت احرمه ان يشم نسيم الهواء لانه يلوى على المسلمين والنصارى كل هذا يجرى والمقدم جمال الدين يسمع فقال المقدم جمال الدين وكان واقفا بجانب الوزير فى صفة باشة البطارقة فقال يا ب ان الانجيبرت صاحب عمالك الافلاق له بنت مالها مثال فى الحسن والجمال كما تعلم ان الانجيبرت ملك عظيم الشان فان أردت ان تتزوج فخذ ابنته لانها أولا من الجمال فى غاية واما نسبهم فلا نظير له فقال البب ميخائيل وبعن اذا خطبت بنت الانجيبرت يرضى يسلم فيها لى ويقول رضيت ان أكرم زوج بنته فقال يا ملك كاتبه وهديته تكون على قدر مقام بنته فقام ميخائيل واحضر [...] وهى خمسون ألف دينار وحملا من قماش الحرير وأربعة عشر [...] الجو[...] [...] كل حصان منهم يساوى خراج الافلاق [...] الى [...] الانجيبرت وسلم الهدية والكتاب الى شيحة وأعطاه [...] يعرفونه [...] [...]

شيحة فى صفة نجاب فدخل على الانجبرت واعطاه كتاب البب ميخائيل وبالامر المقدر ان الملعون جوان كان هناك مقيما عند الانجبرت فتعجب شيحة لما رآه وتعجب فى أصل خلاصه ولم يعلم كيف خلص من عرنوس واسماعيل ابو السباع ولكن صبر على أمره وجسر نفسه ودخل على الانجبرت واعطاه الكتاب فقراه وإذا به أوله صليب وأسفله صليب وعنوانه صليب ونحن وانتم نوحد الملك القريب المجيب ونصلى على طه النبى الحبيب أما بعد فمن حضرة البب ميخائيل ملك القسطنطينية بلغنى ياأب أن عندك بنتا اسمها الملكة بدور وأنا جئتك خاطبا وعليها راغبا لاتردنى خائبا وكلما طلبت من المهر ينساق إلى بين يديك وشكر يارب المسيح فلما قرأ الانجبرت الكتاب التفت إلى جوان وقال له أى شىء رأيت ياأبانا فقال جوان اما البب ميخائيل فهو اصل كل داهية مرت على بلاد النصارى فان طاوعتنى فاقبض على ذلك النجاب وضعه فى السجن وقطع الكتاب واذبح جميع البطارقة الذين معه وكذلك اذا معك انا وتكلمت معك احبسنى أنا الآخر ولا تسمع لاحد كلاما وكان المقدم جمال الدين واقفا يسمع مايقول جوان لانه تزيا بزى حادم ووقف بجانب الانجبرت وسمع كلما جرى وعلم ان هذه أفعال جوان وأما انجبرت فانه قبض على جمع البطارقة الذين كانوا مع شيحة ووضع فيهم السيف فقال له جوان لأى شىء تقتل ابناء الكرستيان فقبض عليه وعلى البرتقش ووضعهم فى السجن وكان شيحة واقف وناظر والله سبحانه وتعالى اعمى عنه الملعون جوان فقال والله ياملعون ما فعلت الا ايأس الفعال بينما شيحة واقف يتفرج وإذا به يرى الملك محمد السابق ولده واقفا يشاهد ماجرى وكان دائر بدور على ابيه فلما رآه فى تلك البلد وقف ينظر فعله ويحاديه ويتعلم منه بعض المناصف

فلما حققه شيحة سلم عليه وقال يامقدم محمد مرادى منك انك تروح إلى القسطنطينية وتعلم البب ميخائيل بما فعل هذا الملعون ولكن يكون جوابك عن لسان الامين جوان وتدعى أنك غلامه فسار المقدم محمد السابق وهو فى القسطنطينية فدخل البب ميخائيل واعلمه ان الانجبرت قتل الرسول الذى قد ارسلته اليه وجوان كان حاضرا فمعه فلم يسمع كلامه وقبض على جوان وعلى البرتقش غلامه وأنا من غلمانه فلما رأيت استاذى جوان فعل فيه الانجبرت هذه الفعال أتيت إلى عندك لاعلمك بالخبر فلما سمع ميخائيل ذلك اغتاظ والتفت إلى وزيره

فقال له لمت بهذا الخبر فقال الوزير ياأب الانجبرت طامع فالك

الاسلام ويدفع له جزية فى كل عام فاذا انت ركبت عليه وخربت بلاده فان ملك المسلمين يساعده عليك فانه من رعيته فالصواب انك تكاتب وزير المسلمين وتعلمه بما فعل برجالك وتطلب منه أن يأخذ لك حقك منه فكتب البب ميخائيل كتابا إلى ملك الاسلام من وقته وساعته ولفه فى ثوب اطلس وسلمه وزيره فى غليون من القسطنطينية وسافر حتى طلع على الاسكندرية فأخذ الاذن من باشة الاسكندرية بالطلوع فأمره بالصبر حتى يعلم به السلطان وأرسل كتابا على جناح طير إلى مصر يستأذن السلطان على وزير ميخائيل ملك القسطنطينية فأمر السلطان بحضوره فانتقل من المالح إلى الحلو وسافر إلى مصر وطلع قدام الملك وقدم الكتاب بعدما قبل الأرض بين يدى الملك الظاهر فأخذ المقدم ابراهيم الكتاب ومكن الثوب الاطلس فقال سعد شاركنى يا ابن خالتى فى ذلك الثوب فقال إبراهيم رابع اقطع كل مكتوب يأتى يكون ثوبه لواحد الأول لى أنا والثانى لابنى عيسى والثالث لابنك ناصر والرابع لك انت فضحك السلطان على كلامهم وأخذ الكتاب بعدما أفرده ابراهيم على وجه حامله خوفا من السحر أو السم وبعده اخذه مقرى الديوان مترجم كلام الافرنج فقرأ واذا فيه عنوانه صليب أما بعد فمن البب ميخائيل ملك القسطنطينية اعلم يا ملك الاسلام انى خطبت من ملك الافلاق ابنته وبعثت له من عندى خاطبا وهدية فقتل الذين ارسلتهم وأخذ الهدية مع انى عمرى ما عاديته أبدا واردت أركب عليه واقاتله فمنعونى وزرائى وأرباب دولتى وقالوا لى هذا من طرف ملك المسلمين ومن رعيته فاذا حاربته كانك حاربت ملك المسلمين فكتبت هذا الكتاب اليك لأعلمك يا وزير المسلمين وأنا هو من تحت أمرك وأنا ما استحق أن يقتل طارقتى ويأخذ هديتى واما الهدية فانا سامحت فيها للمسلمين وبنت هذا البب أنا فى غنى عنها وعن مصاهرته وأريد دية الناس الذى قتلهم من رجالى ويكون هذا على يدك وتأمرنى أركب على بلاده وأطلب النصر من المسيح عليه وها أنا اعلمتك ولا أفعل شيئا الا بامرك وشكرا يارب المسيح فلما علم السلطان ما فى الكتاب

فقال المقدم ابراهيم يا ملك الزمان هـــذا الانجبرت عاقل ولا عمره فعل قبيحا وأنا يا ملك الزمان اسير اليه مع سعد وتخلص منه كل ما اخذه من البب ميخائيل .

فقال السلطان يا مقدم ابراهيم سافر وخذ معك سعد ابن خالتك ولا تعد إلا وانت قضيت الاشغال وبلغت الأمل فسافر المقدم ابراهيم وسعد وارد فهم السلطان بالامير قطمر والأمير ايدغمش والف مملوك وسافروا يقطعون البلاد حتى دخلوا على ملك

الافلاق فلما دخلوا على الانجبرت كان جوان قاعدا فنظرهم وهم قادمون فالتفت إلى الانجبرت وضربه على الكبائر وقال له خبني عندك وكل مافعلته اعلمني به فاختفى الملعون جوان فلما دخل إبراهيم ومن معه على الانجبرت صاح عليه وقال تور على حيلك يا قران خذ كتاب السلطان اقرأه وهات حق الطريق .

فقال على الرأس والعين فقام على حيله و خذ كتاب السلطان ففرده وإذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة ملك الاسلام الظاهر إلى بير أيادى الملك البب الانجبرت صاحب مدينة الافلاق بلغنى من البب ميخائيل انه خطب ابنتك واخذت هديته التى أرسلها اليك وقتلت رجاله الذين قدموا عليك من عنده فى شأن الزواج وبالجملة كلمك جوان فلم تقبل كلامه وسجنته أيضا مع انى اعلم حقا ان هذا من تدبير جوان وأمر حبسه عندك فانه حيلة باطلة والذى جرى مضى وفات وحال وصول كتابى اليك تفعل ضد مافعلت ترسل بنتك إلى ميخائيل يتزوجها أو ترد هديته التى أخذتها وتعطى دية الذين قتلتهم من رجاله ولا يكون لك رد جواب إلا بقضاء ما جنيت واجرمت وإن لم تفعل ما آمرك به انت تعرف كيف اركب عليك واخرب بلادك وانت تعلم مافعلت سابقا ايام الانجيار وكانت سلامتك بسبب ايدمر البهلوان وما فعلت معك من الاحسان وها انا اعرفتك والسيف اصدق وانبأ من الكتاب وحامل كتابى كفاية كل خبر والسلام

فلما قرأ الانجبرت الكتاب وقال على الطاشته ياسيدى كلما امر به ملك المسلمين افعله فقال ابراهيم هات حق الطريق وهات الاموال التى ارسلها اليك البب ميخائيل فقال حاضر يا سيدى ثم انه افرد لهم دارا فى قلب مدينته تنزل فيها المقدم ابراهيم وسعد وبقطمر وايدغمش والالف ملوك وارسل اليهم الطعام وهو مدخول بالبنج بمعرفة جوان

فلما اكلوا الطعام غلب عليهم النوم فصاروا كانهم اموات فوقف على روسهم جوان ينظر لهم فقال كتفوهم وضعوهم فى السجن فى هذا البيت حتى يأتى غيرهم من المسلمين فقال جوان اقتل الحاضرين

فقال الحق بيدك وامر بقطع روس المماليك اولا فقال البرتقش يا انجبرت اصحى لراسك ولاتغتر بما يقول لك عليه وانما اوضعهم فى السجن حتى يجىء ربن المسلمين فاذا ملكت المسلمين اقتلهم ما يبقى شىء بعيد فسمع قول البرتقش

وسجن الجميع وكان المقدم جمال الدين مع الانجبرت وناظر كل ما فعل ويعلم أن هذا فعل الملعون جوان فقال للسابق سافر من هنا إلى البب ميخائيل وقل له يطلب نجدة من ملك الاسلام الملك الظاهر فكتب ميخائيل كتابا وأرسله مع ساعي خيال وأعطاه حصانا من خيول البحر وأمره أن لا يتوانى فسار حتى وصل إلى مصر وأعطى الكتاب إلى السلطان فأفرده يجد فيه الذى أعلم به مولانا السلطان أن الانجبرت خالف ماقاله مولانا السلطان وقبض على رجاله الذين أرسلهم اليه ولا أعتنى بماقال السلطان ولا أفتكر فيه وها أنا قد أعلمتك وشكرا يارب المسيح فلما علم السلطان بذلك الخبر أمر العساكر باخذ الأهبة للسفر وبرز إلى العادلية وضرب مدفع الختم وتكامل العرضى وسافر طالبا ملك الافلاق فلما مرّ على بلاد الشام أرسل ناصر الدين الطيار بكتاب إلى أبطال الحصون فلما حضروا شال السلطان من الشام وسار قاصدا ملك الافلاق وأرسل محمد الغندور بكتاب إلى مدينة الرخام يعلم الملك عرنوس وما وصل الملك الظاهر إلى الافلاق حتى تكاملت معه الأمراء والفداوية والأكراد الأيوبية والملك عرنوس واحتاطوا بملك الافلاق كما يحتاط السواد بالبياض فلما نصب السلطان العرضى وأقام حتى أخذ الراحة وكتب كتابا ثانى الأيام وأعطاه إلى المقدم ناصر الدين الطيار فاخذه ودخل على البب الانجبرت فقال له قم ياملعون على حيلك وخذ كتاب السلطان بادب واعطيني رد الجواب بادب واعطيني حق الطريق بادب واعلم أن السلطان كتبه فى ساعة غضب فاذا دخل الشيطان فى أذنيك وأردت أن تقطع الكتاب قبل ما تقطع قطعة ورقة يكون رأسك سابقا لها إلى الأرض ولا تغتر بما حولك من العساكر فانهم قليلون على إذا جردت شاكريتى فقام البب لانجبرت وأخذ الكتاب وأفرده وقرأه وإذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد ممن حضرة الملك الظاهر ملك القبلة وخادم الحرم إلى بين أيادى الملعون الانجبرت يا ملعون لما أرسلت اليك على قضاء حاجة ميخائيل لاى شىء قبضت على رجالى حتى أحوجتنى إلى تجهيز الركبة وجمعت رجالى وأتيت إلى عندك ولكن هكذا تفعل أولاد الزنا الذين من أمثالك فانك ملعون كافرخاين ولكن ياملعون الذى مضى لا يعود فان أردت السلامة بعد الندم والوجود بعد العدم تاتى إلى عندى أولا أحكم بينك وبين البب ميخائيل ملك القسطنطينية وآخذ له حقه منك فلا بد من ذلك وبعد ذلك أحاسبك على كلفة ركبتى من مصر إلى هذه البلاد وركبة الملك عرنوس ملك الروم وأبايعك نفسك بالمال وأضاعف عليك

الخراج والعدد فان فعلت ذلك فهذا باب نجاتك وإن خالفت فيكون لك من باب الهلاك وسوف ترى يا ملعون ما يجرى عليك إذا ندمت ولا ينفعك الندم وإذا زل بك القدم والسلام على النبى البدر التمام فأعطى الكتاب إلى نصر الدين وأعطاه رد الجواب فطلب منه حق الطريق فأعطاه ألف دينار ذهب وعاد المقدم ناصر الدين إلى قدام السلطان فسلمه كتابه سالما وقدم له رد الجواب فأفرده وقرأه وإذا فيه الحرب والقتال فمزقه ورماه وقال

ما يدق الكوز إلا من تأمله   يشكو إلى الماء ما قاسى من النار
لو كل كلب عوى ألقمته حجرا   لأصبح الصخر مثقالا بدينار

وأمر بدق الطبل الحربى فجاوبته طرنبيطات الافرنج وبات الطبل يقرع حتى أصبح الله بخير الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح وسلمت على قبر سيدنا محمد زين الملاح ورسول الملك الفتاح برز من عرضى النصارى بطريق ممزق الكفر مزيق راكب على جواد أشقر ومتقلد على عاتقه رمحا كعوب اسمه وفى يمينه حسام أبتر ثقيل المتن بجوهر وصال وجال على أربعة أركان المجال ومد واستطال وقال ميدان من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى ما فى الميدان إلا فريمه بن الموعون جرير .

فقال السلطان قم له يا أمير أيدمر فخرج الأمير أيدمر من بين الأمراء وسار حتى بقى قدام ذلك الملعون وصاح عليه وفاجأه ومال عليه ولم يتركه أن يعرف ما بين يديه حتى أنه ضربه بالحسام على وريده أطاح رأسه من على كتفيه وطلب البراز فنزل اليه الثانى ألحقه بأخيه والثالث ما خلاه والرابع أعواه والخامس دحاه والسادس أرداه والسابع أرحله من دنياه والثامن جعله مخضبا بدماه والتاسع لعن أجداده وأباه والعاشر جعل جهنم منقلبه ومثواه ودام الامر على ذلك الحال إلى آخر النهار قتل عشرين بطريقا وأسر عشرة وعاد يرقص جواده طربا ويتمايل عجبا وثانى الايام نزل المقدم حسن النسر بن عجبور لانه مفتاح حرب بنو إسماعيل فاهلك من الكفرة جمعا عديدا وعاد وهو كأنه خاض بحر من الدماء فلما وصل قدام السلطان قال له الملك تقبل الله منك الغزوة يا مقدم حسن فشكر السلطان وقبل الأرض بين يديه وثالث الايام نزل أيدمر ورابع الايام نزل حسن النسر وخامس يوم نزل الامير قلاوون الالفى سوى الهوايل فى الكفار وفى اليوم السادس نزل منصور العقاب بن

كاسر فمل اندب واضطرب حتى حير عقول أولى الألباب ودام الأمر كذلك مقدار ثلاثين يوما وبعده ضجت النصارى وقالوا للانجبرت يا بب انت أرسلت الى المسلمين لأجل انهم يعثروا الك عسكرك وما كنت تم ترهم بيدك وتريح نفسك منهم فان المسلمين كل من نزل اليوم لا يعود , أنت اعتمدت على البركة جوان انه يدبرك وما عنده تدبر الامور تما والتدبير فقال لهم انهم خفتم من المسلمين فقالوا له نحن مارأينا من المسلمين أحد جرح ولا قتل بل كل من راح اليوم قتلوه فقال جوان يا انجبرت قل للعساكر يسمعوا قولى وأنا أملكك المسلمين فقال له أمرك مطاع وامر العساكر باطاعة جوان فلما كان ثانى الأيام وهو يوم الواحد والثلاثين قال الملك عرنوس الى السلطان الحال طال علينا وأنا مرادى انزل اليوم الى الميدان فان لا اتكال على غيرنا ماهو من المروءة وقمز الملك عرنوس الى الميدان فنظره الملعون جوان فهز الشنابير فرجعت الكفار وغنى البتار ونظر السلطان الى رجفة الملاعين على الملك عرنوس فقال الخيل يا أرباب الخيل ادركوا الملك عرنوس فزحفت عساكر الاسلام كأنها قطع الغمام وغنى الحسام الصمصام وفلق الهام وهشمت العظام وربحت الاسلام وكانت وقعة تشيب رأس الغلام وأما الملك عرنوس فانه فى عز القتال ضرب بالحسام الفصال واذا بخيلة وقعت فى جنب جواده ذات النسور فما احس بها الحصان حتى شال بالاربعة الى الهواء وتمعأ فى الجرى بشدة حيله والقوى فأراد الملك عرنوس ان يحوشه فما أمكنه ذلك بل اخذ بشدة حيله حتى طلع من برات المعمعة ودام فى الجرى حتى وصل الى ضيعة من ضيع الافرنج وهى بعيدة عن العرضى مقدار فرسخين وأما الملك الظاهر فانه فى عز حربه واذا بواحد من الكفار كان لابسا لباس الاسلام فجاء الى السلطان وهو غافل فى وسط القتال ودبر عليه جوان أن يضرب السلطان فضربه فى رأسه حكم السيف فى وسط رأسه جرحه جرحا بالغا فلما أحس السلطان بالضربة شك بالركاب اجناب الحصان فشال بالسلطان كأنه فراخ جان وسار مطرودا حتى مر على ضيعة فخاف عليه شيخ الضيعة وحاشه هو وأتباعه وكان الملك غائبا عن الوجود فأنزله من على الحصان فرآه مجروحا فأحضر له حكيما فطلب جراحته وقال لبنته امضى الى هذا المسلم حتى يطيب فصارت تخدمه فلما نظرت البنت الى الملك وكان اسمها بدرر تولعت بحب السلطان فانها من حين نظرته احبته وأما ابوها فانه غاب وعاد وأتى بجرايحى فلما دخل الجرايحى نظر الى السلطان وقلع الخرقة من على راسه وقطب له الجراح وأسقاه شربات

فأفاقَ السلطان وراحت السكرة عنه فرأى روحه بين النصارى فنطق فى سره بالشهادتين وقال لهم أنا فين فقال له بطريق الضيعة ياغندار أنا رأيتك مطرودا بك الحصان وأنت فرقه مجروح سكران فأخذتك وأنت على ذلك الحال وأتيت لك بالجرايحى طبيبك قال السلطان وأنا إذا خلصتنى من المسيح ووصلت إلى البب الانجبرت أعلمه بما عملت معى من الاحسان وأخليه يعطيك اقطاعا وبلدان فلما سمع ذلك صار يخدم الملك الخدمة الزائدة ولما يغيب تتولى بنته خدمته الى يوم من الايام عبرت البنت فرأت السلطان وهو جالس يقرأ القرآن فتقدمت اليه ووقفت تسمع القرآن فانشرح صدرها كما أراد العزيز الديان وكان السلطان يقرأ بخشوع وخضوع فتقدمت اليه وقالت له ماهذا الذى تقوله فقال لها وما الذى يخصك قالت له أريد اعلمك أنى رأيت فى هذه الليلة فى المنام رجلا اختيارا لابسا على ظهره شيئا من الخوص فقال لى ياادور اعلمى ان اباك رجل كافر أغواه الشيطان على انه يعلم لدى يبرس الى أهل الكفر فتقدمى يا فتى اسلمى على يديه وروحى فاعلميه ودعيه يركب ويأخذك معه فانه ملك الاسلام وهو يحميك من الكفرة اللئام فان كنت انت رب المسلمين صحيح قم خذنى معك واركب حصانك فان أبى راح إلى البب الانجبرت يعلمه انك عنده فقال لها ان كنت عولت على ذلك فهاتى لى حصانى الذى جئت عليه وعدته التى كانت عليه حتى أركب على ظهره وأنا وانت نطلبوا النجاة من الذى قادر على النجاة فأحضرت له الحصان فأخذها وأردفها معه وطلب عرضى الاسلام اسمع ماجرى للملك عرنوس فانه لما شال به الحصان كما ذكرنا ووصل الى ضيعة مستبعدة فحلقوا عليه النصارى حتى أفاق عرنوس وعرف أن الحصان مجروح نزل عنه وذات النسور من الجرح الذى أصابه وإذا ببطريق تلك البلدة تقدم اليه وخلص النبلة من الحصان وقطب محلها حتى كانها لم تصب بشىء فقال الملك عرنوس ما أحد يعرفنى فى الدنيا هذه ويفعل هذه الافعال إلا عمى المقدم جمال الدين فقال له هو أنا يا ابو معروف فقال عرنوس ومن حيث انك موجود هنا ونحن نحاربوا الافرنج وأنت كيف ساكت عنا فقال شيحة أنا عمال أدور على ابراهيم بن حسن وسعد بن دبل وأيدغمش وطقطمر وها أنا فى هذه الليلة ان شاء ربى يكون خلاصهم على يدى فقال له السابق والله يا أبى أنا فى هذه الليلة ما أنام إلا اذا أطلقتهم فقال عرنوس اذا كنتم عجزتم عنهم وعن خلاصهم فما هذه عادتكم وأنتم ملوك القلوع وركب عرنوس وعاد الى العرضى فالتقى الانجبرت امر جميع عساكره بالحملة على عساكر

الاسلام لما علم ان الملك الظاهر لقد من بينهم وكذلك الملك عرنوس فلما أقبل هرنوس ورأى ذلك فلم يصبر بل صاح وحمل على الكفار ودام القتال الى آخر النهار فقال لهم دوموا على القتال ايضا بالليل حتى ان المسلمين يعدمون القوى والحيل وفى تلك الساعة أقبل ابراهيم وسعد ويقطمر وايدغمش والالف مملوك الذين هم انار الحرب وأشبعوا الكفار طعنا وضربا وعاد الدين على الكفار صعبا وقطعت الجماجم بالصارم العضب ونظر الانجبرت الى هذا الحال فخاف عسكره من الاخلال وأمر بالانفصال وأبطال القتال ولما رجعت النصارى الى الخيام طلب جوان البطارق الذى كان اوصاه على ضرب السلطان والبسه لباس اسلام فقال يا أبانا أنا ضربته والضرب شق جبهته ولكن أنا ما عاينته لما وقع بل رأيته طابق رجليه على أجناب الحصان وشكه بالركاب وبعدها ما رأيته فقال جوان يا برتقش قم ادخل عرضى المسلمين واكتشف لى عن خبره ولك الف دوقانه فقام البرتقش وغاب وعاد وقال ملك المسلمين ما هو فى عرضه أبدا فارسل الانجبرت للضيع التى حول ملك الافلاق ليعلمهم بان ملك المسلمين انهزم من الحرب مجروح وكل من وقع به واحضره يأخذ من الذهب ثقل جثته وبالجملة فقد وصل الخبر الى ذلك الكافر الذى كان عنده السلطان فطلع قاصد جوان وكان جوان فى هذه الساعة قال للانجبرت قم فتش فى القتلى محل ما انجرح ملك المسلمين فيه عسى تلتقيه

فقام وأخذ معه البطريق الذى ضرب السلطان وسار الى الميدان وأتى البطريق الى محل ما ضرب السلطان وقال ههنا ضربت ملك المسلمين فما تم كلامه الا والطاش على منبت شعره طارت دماغه والضارب له المقدم ابراهيم والسبب فى ذلك انه كان لما حضر وسأل عن السلطان فقال ربما ان يكون فى الميدان مجروح او مقتول فأخذ سعد وباقى سماه الركاب وساروا الى الميدان فالتقوا ذلك النصارى قاصدين فاندروا حول القتلى حتى أتى ذلك الملعون فقال ما قال فضربه المقدم ابراهيم وهو يتأسف على عدم خبر السلطان وعدم العلم به فما هو الا ان وصل الى عرضى الاسلام فسمع الضجة فى عرضى العدا فاصغى بسمعه

فسمع السلطان يقول الله أكبر فصاح المقدم ابراهيم حجرتى يا ابن الشباح فلما حضرت له حجرته ركب وتبعه عيسى الجاهرى وناصر الدين الطيار وسعد وسمعت الفداوية بهم فتبعوهم وكان السبب فى ذلك ان الملعون الذى كان عنده السلطان قد أقبل على عرضى الانجبرت لما ان الذى عنده هو ملك الاسلام والانجبرت طالبه فطلع ودخل على عرضى الانجبرت

فالتقى جوان وقبل يده وقال يا ابانا وبين المسلمين عندي فقال جوان انت ما تحضره فقال هات لي عساكر تأخذه فدخل جوان واعلم الانجبرت وتبعه العساكر وكانوا كثير وزحفوا على جهة الضيعة فالتقاهم السلطان وهو قادم بالبنت كما ذكرنا اولا فلما نظره جوان صاح دالى يا ابناء الروم هذا وبين المسلمين فقالت البنت الى السلطان ياسيدي وقعنا في يد الاعداء وانا ان رآنى ابي يقتلنو وان ما قتلني يردني إلى دينه الكفرة ثانيا قال السلطان ان شاء الله اول ما اقتل قتل اباكي ثم ان السلطان صاح الله اكبر

اذا هاجت الكفار والليل أسودا وصار غبار الجو للجو عاقدا
حملت عليهم للقتال مجاهدا وفي يدي اليمين حساما مهندا
اقد بسيفي قد ما شاء قده اذا ما طما بحر الحروب وازبدا
انا الظاهر المشهور من تعرفونه أخوض لظى الهيجاء عند التوقدا
ولي عشة والموت من فوق حدها تفرقه ما بين الطلا والوريدا
وقنطارية بن أبابيس قد ملكتها لها في قلوب الكافرين مواردا
وصلى إلهي كل وقت وساعة على المصطفى من جاء بالنور والهدى

ورمى السلطان نفسه على ذلك الجمع الكثير وطلب النصر والاعانة من اللطيف الخبير وفي ذلك الوقت سمع المقدم إبراهيم صوته وعلم انه السلطان وتبعه المقدم سعد وعيسى الجماهري وناصر الدين الطيار وبقى أبطال الاسلام الأبرار وكبت الأمرا والأكراد الأيوبية وصاحت بعدها المماليك والعساكر تحت ظلال الليل العاكر وانعقد الغبار وتسردق وزاد الظلام والغسق ولمع صارم المنايا وبرق ووقعت السيوف على الدرق وصاح على الكفار غراب البوم ونعق وطعنت الاسلام كل صدر وحدق وغنى البتار وقل الانصار ولحق الجبان الانبهار لا ترى الا دماغ طائر ودماغ فاير وجواد بصاحبه غاير تفرقعت المرائر كانت وقعة يا لها من وقعة تجلى عليها الملك القادر القاهر ودام السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وما دخل الليل حتى كانت الفرسان والخيل وكل من الأعداء عدم القوى والخيل وقاست الكفار الضر والويل وكانوا لهم الابطال الاسلام كيلا واى كيل هذا ما جرى كله والبنت خاف السلطان طول النهار وهي تطلب من الله تعالى النصر على هؤلاء الكافرين وانهزمت جمع الكفار ودخل السلطان إلى العرضي فدقت الطبول وضربت المدافع لقدومه وكان صباح مبارك على الاسلام ومشؤوم على الكفرة اللئام . ولما عاد الانجبرت من

الميدان وهو على ما جرى ندمان وعلم أن سبب هذه الخسارة جوان فأثر قلبه أثر ولكن لم يقدر أن يجادله لكون جوان راس ملة الكفرة أهل الطغيان فعند عودة الانجبرت لاحت منه التفاتة فرأى على سنام جبل الاغلاق بين الديورة شيخا وهو تارة يحبو على يديه ورجليه وتارة يمشي وهو قاصد إلى الدير فقمل البيب الانجبرت إلى ناحيته بالحصان فلما بقي عنده تأمله وعرفه وكان هذا بترك كبير واسمه البترك شراشير وكان الانجبرت يعرفه غاية المعرفة من زمان فانه رباه على يديه ودير الاغلاق ما بني إلا على يديه وهو بترك مشهور كبير مبجل عند أهل الكفر والطغيان من قبل أن يظهر جوان . فلما رآه الانجبرت نزل اليه وقبل يده وقال له يا أبانا ما علمت بما جرى علينا من المسلمين فقال كلما جرى عليك اعلم به واعاد عليه وأصل هذه الفتنة خطب بنتك لميخائيل وانت منعتها برأي جوان وارسل اليك ملك المسلمين رجاله فقبضت عليهم بأمر جوان وفعلت ما فعلت وانا ما لي اصطهر أنت والمسلمين وطارح جوان فقال يا أبانا أنا ربيتك وكيف نفوتني ثم تقدم وقبل يده وقال له يا أبانا سر معي إلى بلدي أنا في عرضك فقال له عندك جوان عمره ما يقدر ينظر بتركا ولا راهبا إلا ويقول عليه هذا شيخة المسلمين ويريد بهذا ان لا يخلط الملوك أحد وإذا انزل المسيح على أحد من الملوك داهية أو رزية ما احد من علماء الملة يشفع له عند المسيح وبهذا تتعب ملوك النصارى فقال الانجبرت يا أبانا قم معي تدخل البركة بلدي قبل أن يخرب المسلمون بلادي فسار معه لكن بعدما نشفه ولما دخل ونظره جوان فقال يا برنقش اعلم ان هذا شوحات فقال البرنقش ان كان شيحة اي شيء تقدر تفعله معي فانه ما وصل الى هنا حتى أتقن حيلته ولو اردت ان تعلم به النصارى فيتركوا كلامك ويسمعوا كلامه طوعو اجىء الك بالحارة واركب واطلع فانه ما بقيت الك كلمة تسمع ولا حرمة ترفع فاغتاظ جوان وقال الى الانجبرت هذا الذي معك من هو يا بيب فقال له البترك شراشير اما تعرفه يا جوان فقال جوان اعرفه ولكن ما اسمه شراشير هذا شيحة المسلمين فقال الانجبرت وقد احمرت عيناه يا جوان كيف تقول ان هذا شيحة مع انه مربي الملوك ولا شك يا جوان انك لم تحب البتاركة ابدا ولا تقبلهم وما قصدك يبقى احد من علماء الملة إلا انت فبينما هم في الكلام وإذا بالبطات الذين تحت امر الانجبرت قد اقبلوا فقبلوا يد البترك شراشير وصاروا يأخذون ترابا من تحت اقدامه ويمسحون به وجوههم فنظر البترك الانجبرت الى ذلك فقال لجوان انظر يا جوان هذا بترك فضله مشهور فقال البرنقش اما انا اشهد انه صاحب فضل من غير شك ولا ريب

فعند ذلك التفت البترك شراشير إلى جوان وقال له ياجوان روح الى دير الافلاق هات
وصلت الى هلاك عسى ان تقع بشيحة المسلمين فقال جوان فيه شيحة غيرك فاغتاظ
البترك شراشير وقال ياابناء الكباية كل من ضرب جوان كف كان له سلم على المار حنا
المعمران فمالوا النصارى واعطوا جوان علقة كفرف لا نظير لها فقال له البرتقش
صحة وعافيه اقعد فى ملك الافلاق حتى تأكل هذه العلقة واظن الاسارى خلصوا
ولا بقى منهم احد فقال جوان من قال ذلك ودخل يجرى على الحبس فلم يجد
للمحبوسين اثر فعاد جوان الى الانجبرت وقال اقض يابى لى البترك فانه شيحة وقد
اطلق الاسرى والتفت جوان إلى البترك شراشير وقال له اين اسارى المسلمين فقال له هم
عندك جوان فى قصر لدير اسمع منى يا جوان واعبر بنا من سرداب حتى
نبقى فى الدير ولا تدخلوا البلد إلا بالليل ويكون الدخول والخروج من السرادب
فقال جوان انا اروح معك فقال البترك والملوك يروحون الى الدير لقا لمتنا فراح
الملوك والانجبروت معهم فرأوا الرهبان والقسيسين والمطارنة والشمامسة واقفين فى
خدمة الدير ينتظرون البترك شراشير فلما رأوا الملوك اقبلوا لم يسألوهم وعبر جوان
والبترك شراشير واتوا اليه خدامون الدير وقبلوا يد البترك فقال جوان اعلموا يا أولادى
أن الذى تقبلوا يده هو شيحة فضجت الملوك فقال البترك ما هذا الامر الذى قال جوان فقال
الانجبرت يقول عنك إنك شيحة فصاح البترك شراشير وقال لمن حوله من الخدمة
اضربوا جوان فمالوا عليه بالضرب حتى شروه والبرتقش تركه وهرب فقال البترك هاتوا
جوان الملاقى بين يديه وربط فى رقبته حبلا وقال لهم يا أولادى خذوه وادخلوا به إلى سنداس
الدير وضعوا قمة رأسه فى اسفل ورجليه الى فوق ففعلوا به وبعد ذلك تقدم الانجبرت
وقال يا ابانا كيف العمل مع المسلمين فقال البترك طاوعنى ياولدى وانا اصالحك مع
المسلمين وايضا لم تلاقى لنفسك احسن من الهب مخاتل فقال الانجبرت ياابانا ما اظن
ان ملك المسلمين يصالحنى وان وقعت فى يده صلبنى فقال البترك شراشير أهذا القول
الذى تقوله من عندك ومن عقلك اما تعلم ان سفك الدماء حرام فى سائر الاديان وانما
انت هات معك الملوك الذين تحتكم عليهم وسر معى حتى اوصلكم الى ملك المسلمين
فقال له طيب ياابانا ثم باتوا تلك الليلة وعند الصباح ركب البترك واخذ معه خدمة
الدير وساروا الى قدام ملك الاسلام وبعد ما ارسل قدامه المقدم نور دلم قدومه
فقام الملك الظاهر ولاقاه وامر له بالجلوس هو ورفقاه والانجبرت والملوك فانهم
تقدموا جميعا وقبلوا يد الملك الظاهر والارض بين يديه ثم قال السلطان الى البترك

فلما أتيت فقال البترك اعلم يا ملك الاسلام أن سفك الدماء فى جميع الأديان حرام
أنا جئتك أريد الصلح بينك وبين الانجبرت وساعة فى جنايته ويحاسبك على كلفة ركبتك
ويدفعه ويقيم فى أدبه فى ملك الافلاق مرضيه فقال له الملك الظاهر يا بترك كلامك
ما أرده عليك وسؤالك أنا ما أضيعه وإنما اريد قبل كل شىء أن يزوج بنته إلى البب
ميخائيل ملك القسطنطينية وها هو عندى وكان السلطان أرسل إلى ميخائيل فاحضره
مع وزيره نقط ولهم عنده عشرة أيام فقال البترك يا ملك احضره لنا فانا أريهم
مع بعضهم فقال السلطان أين ميخائيل لحضر فقال البترك ياهو لا فاميخائيل ملك القسطنطينية
والانجبرت ملك الافلاق وهما معا على دين الكرستيان فساعنى ادخل بهم إلى الدير
واصالحهم انا وأكال اكليل البنت على البب ميخائيل وبعده اعلمك بكل ما جرى ثم
أنه أخذ المكين وعاد إلى عرضى النصارى فقال الانجبرت يا أبانا اطلق جوان فانه
على كل حال عالم الملة ويحضر معنا فى هذا الأمر فقال اطلقوه فطلقوه فلما طلع جوان
صاح على ميخائيل والانجبرت وقال يا بيات هذا شيحة انبضوا عليه إلا يخرب بلادكم
اكشفوا عن ملبوسه حتى يبين لكم حرمدانه ويبين لكم أنه مسلم فعند ذلك قال البترك
تعالوا يا أولادى انظرونى ورفع أثوابه فبان عن فردتين قدر البطيخ وعانة خلف واعام
زى الحلقة والشعر كله معجون بالحنة فلما رأوا ذلك قالوا خطى يا أبانا هذه الكرامة
الظاهرة عمره ما أتى على قمره ماء أبدا يعيش جنبا ويموت جنبا فقال يا أولادى أنا
أعلم أن المسيح ما يرضى بالفضائح ولو تطاوعونى كان يقوم منكم أحد يكشف على جوان
فرفعوا أذياله فلقوه مطاهر طهارة المسلمين ولا يساحر مدان وتبان فجروه إلى قدام
البترك فقال جرسوه فالبسوه جلد خنزير وعمموه بمصارين خنزير ولفوا به البلد ثم
أمر بحبسه وقال حتى يتزوج البب ميخائيل بنت البب الانجبرت وأما هذا الذى جاعل
نفسه انه جوان سلموه إلى ملك المسلمين فلما دخلوا به على السلطان وأعلموه بان البترك
شراشير أرسل هذا جوان الكذاب فقال السلطان خذه يا ابراهيم عندك فلما أخذه
المقدم ابراهيم عاد الذين كانوا معه إلى البترك فقالوا البركة جوان أخذه المسلمون فقال
البترك لما نعود من القسطنطينية نسأله فيه , فأخذوه منه وبعده تقدم البب ميخائيل
الانجبرت وعاتبه على ما فعل فقال له أنا ما امتنعت إلا لأمر من جوان فعلم البب ميخائيل أن
هذه الفتنه من جوان فصدق البترك على ما قال وقام ميخائيل فدخل على السلطان وطلب
منه التوجه على القسطنطينية لأجل أن يكرمه ميخائيل فى بلده ويقيم بواجب
السلطان الظاهر ويتمم إكرامه وإحسانه على ما فعل معه من الاحسان ونصرته على

الانجبرت فاراد السلطان أن يمتنع فقال البترك شراشير سر بالعرضى كلامك حتى تحط على القسطنطينية وتاب ملوك الروم حتى تودوا الجزية وبالجملة الانجبرت يدفع لك كلفة ركبتك وان تخلف عجل عليه نقمتك فقال الملك صدقت يابترك وشال العرضى وسافر السلطان مع العساكر وكذلك الانجبرت ركب بنته فى تخت وسيرها قدامه وجمع الاموال التى هى مطلوبة منه للسلطان وسار طالبا القسطنطينية فتقدم المقدم سليمان الجاموس وقبل يد السلطان وطلب منه بدور التى جاءت مع السلطان فقال له السلطان على رضاها وان لم ترض فما أغصبها وانت لمن تريدها فقال لابنى فانعم عليه بها فتسلمها من السلطان وأرسلها إلى قلعته حتى يعود من خدمة السلطان ويزوجها لابنه وسافر السلطان حتى نزل على مدينة القسطنطينية وعلمت ملوك الروم بقدومه فصاروا يتقدموا لخدمته ويوردوا له الهدايا والاموال حتى تم ميخائيل أفراحه وقدم للملك الهدايا حتى ان السلطان استوفى خراج الارض من بلاد الروم وبعد ذلك امر السلطان بالرحيل من القسطنطينية وسافر على الشام واذن إلى الفداوية ان كل من له قلعة يروح اليها وسافر السلطان بالامراء حتى وصل إلى قطية فالتقاه شيخ العرب ابراهيم شرارة وعمل له ضيافة ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع طلب الرحيل فطلع شيخ العرب فى خدمته للوداع وإذا بالمركلين على جوان قبلوا على السلطان فقالوا يا مولانا المأمون جوان ما لقيناه ولم يعلم الموكلون كيف كان خلاصه فقال السلطان إلى حيث ألقت رحلها وسافر السلطان حتى وصل بالعساكر إلى العادلية فانعقد الموكب بعدما تزينت مصر زينة ومهرجان لقدوم السلطان ودام الموكب منعقد بالامر أو الفداوية والاكراد الايوبية ودام إلى قلعة الجبل أطلق من فى الحبوس ومنع المظالم والمكوس ونادى المنادى بحفظ الرعية وقلة الاذية واقام يتعاطى الاحكام

اسمع ما جرى لجوان لما هرب كان هروبه على يد غلامه عبد الديورة فانه كان تابعا عرضى السلطان حتى ملك فرصة ودخل أطلق جوان وكان المتركلون عليه تعبانين من السفر وأما جوان فانه سافر حتى عبر على مدينة العمالقة ودخل على ملكها وكان اسمه مرين العملاق فدخل هو والبرنقش ونادى له البرنقش مثل عادته وما دام حتى طلع قدام البب مرين العملاق فلما دخل عليه قام له البب مرين العملاق على قدميه وسلم عليه وقبل يده واجلسه إلى جانبه وقال له من أين قدومك يا أبانا قال له من دير نجران وما أتيت إلا قهرا عنى فان المسيح امرنى أن أطوف على سائر طوائف أمته من روم وافرنج وأرمن وأقباط وآمرهم بالجهاد عن ملته حتى تكون جميع الامم

مسيحية والكلمة مريمية فالبعض رضى ان يجاهد والبعض لم يرض والذى لم يرضه اعلمت به السيد المسيح فتبرأ وقال مطرود من أمتى والذى كان عنده مثل الحواريين دعاؤه مقبول وكلما سأل المسيح فى مسئلة فانه يطول وينجى من كل هول مهول ولا يموت أبدا وعمره يطول قال مرين المملاق يا أبانا اكتبنى أنا من المجاهدين حتى اكون أنا وعساكرى لملة المسيح ناصرين وتابعين فقال له جوان عندى عساكر كثير فقال يا أبانا أنا عسكرى كثيرة ولكن أنا بالحيلة املك البلاد وأملك من فيها من العساكر والاجناد وأول ما املك من بلاد الاسلام الاسكندرية فانه يا أبانا أنا لى فهم وادراك فى حرب البحر اكثر من البر فقال جوان أخذ الاسكندرية أى وجه فقال أنا أوريك وطلب بطريقا من طارقته وكان اسمه مرتين فأخبره بطلب أخذ الاسكندرية ثم قال له اريد منك ان تنتخب من البطارقة قدر أربعين وأوسق لك غليون من جوخ وأقمشة وبضائع وتسافر وتدفع الجمرك مثل التجار وتتوطنوا فى البلد وتأخذوا لكم خان برسمكم وأنا أرسل لكم عساكر توطنوها حتى تملأوا البلد وتطلعوا فى يوم مع العساكر فتملكوها وأنا كان لابد لى ان أبعثكم فى جماعة من بطارقة الحرب الذين اعتمد عليهم فى شدة الكرب فقال له رضيت يا أب وانزله فى غليون كما ذكرنا ثم انه أعطاه اربعين بطريقا وسار الى الاسكندرية بما أخذ معه فى الغليون متجرا على قدر اجتهاده فلما وصل الى الاسكندرية البعض جعله قبطان فى الغليون والبعض بحار حتى أدخلهم المينة على هذا المثال فلما دخل البلد اطلع البضائع التى فى الغليون وأخذ له خان على طرفه ودفع اجرته كما تعمل التجار وأقام يدقق الحيل حتى عرف على قدر فهمه أنه يأخذ البلد ويملكها وبعد ذلك أرسل جماعة من طرفه يطوفون حول البر ويعرفون كيف يملكون خارجها وداخلها وبعده أخذ جماعة الملعون مرتين وسار الى مصر وقصده انه بعد أخذ الاسكندرية يأخذ مصر فلما وصل الى مصر وتوطن فى حارة الروم وكان الملعون جوان أعطاه كتابا لواحد فى حارة الروم يقال مازريل يأمره فيه بالمساعدة وكتابا ثانى الى واحد فى الاسكندرية اسمه صخرجش مسلم فى الظاهر وكافر فى الباطن فصاروا يراعوه لاجل ما رأوه من وصية جوان وكون ان هذا الكافر مغازى فى أخذ بلاد الاسلام وأما الملعون مرتين فانه لما عبر الى مصر وتوطن فى حارة الروم كما ذكرنا صار يأخذ اصحابه ويطلع الى الديوان لاجل الرياضة ويتفرج على ملك الاسلام وفى آخر النهار عند ما ينفض المديل وينزل كل العسكر ينزلون هكذا مدة أيام فاتفق ان الملك أخلى الديوان فى يوم من الايام وهو يوم الجمعة وهو قاعد وحده فنظر الى جماعة طالعين فلما لقوه

الديوان خاليا ذلك اليوم سألوا بعض الخدمة فعرفوهم ان الديوان بخلوا فى مثل هذا اليوم وبالاتفاق ان الملك الظاهر ناظر لهم وهم لم ينظروه فقام فى صفة درويش وتبع آثارهم حتى دخلوا البيت الذى هم مقيمون فيه وعاد السلطان الى القلعه وصبر حتى مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار فأخذ عدة من العياقة وسار وحده حتى وصل حارة الروم واختلط مع الناس حتى دخلوا الكنيسة فرأى هؤلاء الذين رآهم بالنهار وهم مرتين العملاق وتوابعه فصعد بجانبهم مرتقبا كلامهم فقال مرتين العملاق لرفقته أنه لابد لى من عودى الى الاسكندرية فان البب لابد له ان يكون حضر الى اقابله وها أنتم هنا مقيمون حتى أعود اليكم بعد أخذ الاسكندرية فعرف السلطان البيت وقام ووقف على بابه حتى حضر المقدم مرتين وحط يده السلطان على الدشة وضربه بها اطاح رأسه وجره الى داخل البيت وصبر حتى عبر واحد آخر ضربه حتى قتل الجميع وكانوا اثنى عشر وكان منويل صاحب البيت هو الثالث عشر وتركهم السلطان وعاد ليلا الى قلعة الجبل هذا ما جرى وأما النصارى الذين كانوا فى الكنيسة طلعوا ولم يعلموا بشىء من ذلك والبيت الذى هم فيه لم يكن فيه غير ما بين الذى قتل منهم فاقاموا حتى ظهر جميعهم من الكنيسة فاجتمعت النصارى فلم يعلموا لهم غريما فقال لهم البترك وكان عاقلا هؤلاء غرباء وماهم من هذه البلدة ولابد لهم اعداء تبعوهم من بلادهم فقتلوهم لاجل عداوتهم لهم وربما يكون لهم دما عليهم وان اعلمنا ذلك المسلمين يقم عليكم حجة ويطالبكم بالذى قتلهم وأنتم لا تعرفوهم والصواب دفنهم فى ترب الكنيسة واخفاء هذا الامر عن زيد وعمرو فدفنوهم كما أشار لهم البترك واخفوهم تحت اطباق التراب وأما السلطان فانه فى ثانى الايام اجلس الملك محمد السعيد على تخت مصر وأوصاه بالعدل وتخفى الملك وأخذ المقدم ابراهيم والمقدم سعدو غيره والباسم وساروا الى الاسكندرية والملك حاسب حساب هذه العبارة ومادام الملك يدقق الاحتيال حتى عرف البطارقة الذين هم قعمون ينتظرون مرتين فاعتشر فيهم وحده وصار يشاغلهم بالحديث ويباسطهم فى الكلام أعلمهم انه غريب من هذه البلاد فقالوا له وأنت من أى البلاد فقال أنا من الاندلس وانا بطريق من بطارقة البب ذو الجواهر وسبب مجيئى الى هذه البلدة ان البب ارسلنى أن اورد له البلاد وها أنا فى لى مدة ام فقالوا له ونحن من مدينة العمالقة وملكنا اسمه مرين العملاق ولنا مدة وبطريق البطارقة أتى معنا وراح الى مصر وتركنا هنا ونحن ننتظر قدوم ملكنا مرين فقال الملك ومتى يجىء ملككم فانا قصدى اكون معكم لان البب ذو الجواهر من حين ارسلنى ماسأل عنى وأنا أيضا معى اثنين بطارقة

الذين اعتمد عليهم فى كل حاجتى فقالوا له انهم معنا يحضر البب مرين ونعلمه بك وتكون معنا لانه كان معنا بطريق البطارقة وراح إلى مصر فلم يعد لنا إلى الآن لم نعلم به فقال لهم السلطان وهو كذلك ثم انهم قاموا يتجسسوا حول المينة فالتقوا المراكب قادمة متتابعة [يا سادة] وكان السبب فى قدومهم أن بعد توجه مرتين باشة البطارقة فى صفة تاجر إلى بلاد الاسلام صار البب مرين يعمر مراكبه ويحضر عساكره حتى أحضر أربعين غليونا وجعل فى كل غليون خمسمائة مقاتل غير خدمة الغليون وقال لجوان ياأبانا أنا أسافر بهذه العساكر وأنت تجتهد وتلحقنى بنجده من ملوك الروم فان حرب المسلمين وملكهم كما نعلم صعب ولازم له الكثرة فقال جوان على رأسى أنا أجمع لك عساكر لا تعد ولا تحصى وأخذ المرتقش ودخل به جزائر البحار يجمع عساكر وأما البب مرين فانه سافر كما وعده جوان على الاسكندرية يكون الاجتماع فالقرب من الاسكندرية نزل هو فى صندل ودخل قاصدا المينة فالتقوا به أصحابه المقيمون بالاسكندرية وقد أعلموه بالبطريق الذى أصله قدم من الاندلس من عند البب ذو الجواهر وكيف انه متملك من البلد لكن البب ذو الجواهر ما سأل عنه ولا أرسل له عساكر فقال ائتونى به فأتوا له بالملك الظاهر فسلم عليه وحكى له بانه أرسله البب ذو الجواهر وأمره أن يرود بلاد المسلمين وما أعلم أى شىء منعه عن القدوم وأنا هنا واثنين معى بطارقة من خاص المقادم الحربية مقيمين معى فى الاسكندرية كل واحد منهم قدر يفتح مدينة وحده فقال مرين الملاق أنا أجعلك باشة بطارقتى واحكمك على جميع عساكرى ومراكبى وإذا فتحت بلاد الاسلام زوجتك بنتى وأعطيك قطاعا وبلادا وأبلغك المراد فأظهر له الفرح فقال له البب مرين الملاق وأنت ما اسمك قال اسمى الطومرين ولكن يا بب أنا أدخل لك العساكر عشرة عشرة فى كل ليلة جانب حتى تملك البلد فان قبطان المسلمين الذى واقف على المينه صار رفيقى ووعدته بمال جزيل اعطيه له وعرفته انى تاجر وأريد أدخل متجرى بالليل لأجل عدم دفع الجمرك ووعدته ان أدفع له على قبول ذلك خمسمائة دوقاتا فاذا نظر إلى مراكب داخلين إلى المينة وأنا معها لم يمنعها عن العبور فقال له الملعون البب مرين إذا كان كذلك نحن نملك الاسكندرية

ثم انه قدم له شوطية وفيها عشرة أنفار وقال له ادخل بهؤلاء لما أنظر فنزل بهم وسار حتى عبر البغاز فالتقى الريس أبو بكر البطرنى فطلع السلطان وشوشه فى أذنه وقال له فوتهم ففاتوا ورجع أخذ غيرهم وما فاتت الليلة حتى عبر خمسمائة طرقوا وتوا فى الاسكندرية وأدخلهم فى قلب خان وطلع النهار فاكرى السلطان خان ثانى وفى

الليلة الثانية ادخل الفا وفى الليلة الثالثة عبرت المراكب كلها من داخل البغاز وكان السلطان أرسل المقدم سعد الى مصر يخبر السعيد ويأمره أن يجمع من الفداوية اربعين مقدام أولهم منصور العقاب وآخرهم جبل بن رأس الشيخ مشهدو يأتون سرا يدخلون الى الاسكندرية خفية حتى يبقوا فى السراية ويعلموا باشة اسكندرية بالخبر ففى وقت ما تمكنت المراكب انزل الملك كل فداوى فى مركب واعلم أبى بكر البطرنى بمسك البوغاز بعبارة السلطان وبعدما فعل الملك هذه الفعال حضر السعيد بعساكر الاسلام فنزل السلطان الى البب مرين العملاق وقال له يا بب اعلم أن عساكر المسلمين اقبلت وأنا مرادى قبل كل شيء انزل فى هذه الليلة واسرق منهم كبارهم الذين يعتمد السلطان عليهم فى الحرب فقال له افعل ما تريد فسار السلطان ليلا حتى دخل على السعيد سرا وأخذ ناصر الدين الطيار وعيسى الجاهرى ومحمد القندور وعباس ابو الدوايب وجعل اثنين يسوقون اثنين حتى انزلهم فى المراكب

فلما كان عند الصباح قال يا بب مر العساكر تطلع الى البر حتى تحارب المسلمين فانا وحدى كفؤا لهم أجمعين ففرح بكلامه البب مرين وأمر عساكره تمتثل ما يفعله باشة البطارقة الطومرين فأخذ كل ما فى المراكب من العساكر وأمر الرجال الذين قدمنا ذكرهم أن كل واحد يتحفظ بمركب وهى فى لزومه فاجابوا بالسمع والطاعة فقال لهم وان نزل فى المراكب واحد من العدا يكون برؤوسكم فقالوا سمعا وطاعة فلما طلع مرين العملاق الى البر والملك بجانبه كان المقدم سعد توجه الى مصر واعلم الملك محمد السعيد بما أمره السلطان فأمر العساكر بأخذ الأهبة وبرز وسار حتى حط على الاسكندرية فلما نظر البب مرين العملاق الى قدوم السعيد بعساكر الاسلام التفت الى السلطان وقال له يا طومرين انا قلبى نفر من الاسلام وها أنا قد انقسمت عسكرى بقت جانب فى البحر وجانب فى الخانات فان اشتهرت قدام المسلمين بالحرب تكاثرت المسلمين علينا وحجزوا بين الذى فى البر وبين الذى فى البحر قال الطومرين ان كان قصدك الطلوع فى البر فانا اطلعك بعساكرك وأكون قدامك وأفوتك من قلب البلد حتى تصطف عساكرك كلها قدام عسكر الاسلام وكل من تعرض لك قطعت رأسه بالحسام ثم ان الملك قام على حيله وطلع الى البر ونادى بأعلى صوته وقال يا مسلمين ويا ناس اسكندرية ها أنا الطومرين الذى تعرفونه وقصدى اطلع هذه العساكر تنصب خيامها وهى عساكر البب مرين العملاق وأنا باشة البطارقة فلا أحد منكم يعارضنا حتى تنصب خيامنا وتصف عساكرنا وأبطالنا وكل من عارضنا بكلام أو بخصام

قطعت رأسه بهذا الحسام اتقنوا فى أدبكم حتى نطلع من البحر جميعا ونحاربكم فقال له نايب الاسكندرية يا مقدم طومرين انت اى شىء أغراك على حربنا فقال له لا تكثر كلاما حتى نصف عساكرنا ودونك والحرب والحسام أنا مافعلت ذلك إلا شفقة على الرعية فقط وأما لولا ذلك كنت آخذ الاسكندرية حالا بالحسام فقال باشة اسكندرية إذا كان كذلك فما هو عرضى ملك الاسلام قدامه خارج البلد فدونك انت وإياه ان أخذته أسيرا وقتلته تبقى البلد لك وإن كان ابن السلطان يقتلك يحتوى على مراكبك وماتحت يدك

فقال الطومرين وهكذا أنا قلت والمسيح ينصر من يريده ورب المسيح ينصر من يشاء ثم ان الطومرين نادى على البب مرين العملاق وقال له مر عساكرنا أن يدخلوا إلى المينة بالمراكب وتطلع الفراشين الخيام ينصبوها لا تخف من المسلمين فانا الملك بلادهم لو كان معى الف بطريق ولم اخلى أحدا منهم يهتدى إلى طريق ففرح البب مرين بكلامه وعلم انه ينال النصر بعد حسامه وأمر العساكر أن يطلعوا إلى البر فطلعوا عن بكرة أبيهم ثم بعد طلوعهم احتوى قبطان الاسلام على مراكبهم ولما نصبوا خيامهم وصفوا صفوفهم قدام صفوف أهل الايمان وطلعت العشرين مقدام الذين كانوا فى البحر ملكوا أطراف عرضى الكفار وتحصنت أبواب اسكندرية ونظر البب مرين العملاق وعرف المعنى وقال يامقدم طومرين كيف يكون الحرب فقال له يا ببه افتح فى عينك وأزل عن نفسك العمى الذى انت فيه واعلم انى أنا الملك الظاهر وأنت ماتبقى لك خلاص من يدى إلا إذا دخلت فى دين الاسلام واما تقول انك تخلص بقتال وحرب وقتال فهذا شىء بعيد فلما سمع الملعون مرين ذلك الكلام عرف نفسه انه هالك لا محالة فوضع يده على الحسام وضرب السلطان فزاغ السلطان عن الضربة وضربه بالمشة على عنقه اطاح راسه عن بدنه وكان فى هذه الساعة حاضر المقدم ابراهيم فصاح ياكلاب الاز نج اعلموا أن هذا الملك الظاهر وأنا إبراهيم وهذا سعدفما تم كلامه حتى ماجت عسكر العمالقة من كل مكان وتحصنت أهل الكفر والطغيان وداروا من حول السلطان ونادى المنادى احملوا ياعصبة الاسلام وجاهدوا فى سبيل الله الملك العلام فاطبقت أهل الايمان على أهل الشرك وعباد الصلبان وبرق سيف عمار اشتعلت النيران وبلغ العرق إلى الاذقان وجرى الدماء كالغدران وضاق بالناس الميدان وطارت الاعناق من على قامات الابدان وتدحرجت الجثث على الأرض كيمان وتكسرت الارواح على فراق الاشباح وقد خرص اللسان وثبتت أهل الايمان وجاهدوا فى طاعة الملك الديان

وفتحت أبواب الجنان وخابلت الشهداء الحور والولدان وأسعرت النيران لعابدى الصلبان ودام الامر على ذلك حتى غابت الشمس إلى الزوال ونظرت الكفرة ان سفرتهم أوشم سفرة فعاد كل منهم هارب وقصدوا البحر يريدون النزول فى المراكب وكان قبطان الاسلام أبو بكر البطرنى حاضرا وناظرا فدارت عليهم المدافع من المراكب ودار عليهم العذاب من كل جانب واستدت فى وجوههم المذاهب وعادرا طلين البرارى والقفار فالتقوهم بنو اسماعيل بكل حسام بتار فلم يبق لهم صديق ولا ناصر فكان عددهم كما ذكرنا عشرين الفا فراح منهم على سيوف الاسلام احدى عشر الفا وغرق فى البحر سبعة آلاف واخذوا منهم الفين أسيرا وبعد ذلك أمر السلطان بجمع كل ما كان من مخلفاتهم فى المراكب من أموال ومتاع وذخائر وسلاح ومدافع كان ذلك غنيمة للسلطان وبعد جمعة أخرج السلطان ثلث الغنيمة للعساكر والثلث لبيت المال والثلث نظير كلفة الركبة وعاد السلطان إلى مصر وهو فى هنا ما يكون من النصر والتأييد حتى وصل إلى قلعة الجبل فاطلق كل من كان فى الحبس وأبطل المظالم والمكوس ونادى المنادى بحفظ الرعية وقلة الاذية إلى يوم من الايام جلس الملك فى الديوان يجد الامراء يتحدث بعضهم بالرموز وخمسة وثلاثة أمير دائما وجوههم فى وجوه بعضهم وهم طارحون الديوان عن بالهم ولا متفكرين فى السلطان ولا كانه ملك يحكم عليهم فنظر السلطان يذاكره عقله ان هؤلاء لابد أن يكون لهم مسيس بينهم وبين بعضهم وظنهم على فساد ثم ان السلطان سكت ولم يحرك ساكنا وصبر إلى بعد العشاء وليس بدله الاتكال على الله طلع وسار من القلعة حتى وصل ليلا إلى بيت الامير علاء الدين اليسرى فلما وصل وجد السايس محضر له الحصان وواقفا يسقى الامير لما علم انه ناوى يركب فوقف السلطان ينظره واذا بعلاء الدين نازل بتخفيفة النوم فما وصل إلا وباقى الامراء مقبلون فنظرهم الملك

فلما حضر علاء الدين ساروا جميعا إلى بيت الامير سنقر الرومى ودخلوا جميعا وكان سنقر الرومى قاعدا لهم فى الانتظار فلما دخلوا جميعا قفلوا الباب فدار الملك وكان البيت له جنينة حول الخليج والبيت باب سر نافذ منها فدخل الملك الجنينة وسار حتى وصل إلى باب السر فقعد الامراء جميعا فى قاعة وتلك القاعة لها شبابيك إلى الجنينة فدخل السلطان وقعد تحت الشبابيك يستمع حسهم فعلم انه يكون شورتهم فى ذلك المكان فاستكن الملك فى ظل الجدار وقعد يسمع كلامهم بحيث لم ينظروه ولم يعلموا به قعدوا هنيئا. الى ما قال الامير سنقر الرومى يا امراء مصر كيف طاب على قلوبكم تركنا ركب السلطان فى ركبة على

بلاد الكفار يأخذنا معه ويلزمنا أننا نقاتلوا الكفار يعنى إذا قدر الله ومتنا فى الحرب ما تخرب بيوتنا بعد موتنا هذا أول باب والثانى نحن ملازمون ديوان السلطان يومى ما أحد منا يفتر ويتاخر عنه ولا يوم واحد والفداوية البعض منهم قاعد فى الديوان والبعض منهم فى قلاعهم وجماكيهم يقبضونها على التمام البطال والشغال على حد سواء والثالث أن المقدم إبراهيم ياخذ سبع جماكى وابنه سبع جماكى والاديب منا ما له إلا جامكية واحدة وهذه أغراض بعض شاه مع أنه تركى من جنسنا ويكرهنا ويحب الفلاحين وأقربها هذه النوبة لما كنا فى حرب الاسكندرية مع مرين العملاق فالحاج شيحة لم يكن معنا ولا حضر طلع له نايبه من الغنيمة نحن نحاربوا وغيرنا ياخذ وهو نايم وهذا الحال يطيب على قلوبكم

فقال علاء الدين ونحن أى شيء بايدينا نقدروا عليه فقال سنقر الرومى يا أمراء نحن كل منا له سيف وله حربة وله سلاح فاجتهدوا بنا على قتله وكل من قتله يكون سلطانا علينا كلنا فقال علاء الدين إذا كنا لنا سيوف ولنا حراب كما تقول من الذى يتعرض فى شان ذلك فقال سنقر كل منا يتعرض أولكم أنا كل ذلك يجرى والملك الظاهر يسمع فعند ذلك كتب تذكرة ويقول فيها يا أمير سنقر ما كان ظنى فيك هكذا أنك تجمع الامراء فى بيتك وتحرضهم على قتلى مع أنك يا كلب أنت وغيرك تقصر يدك أن تمتد على وسوف تنظر عاقبة أمرك ومكرك يا قليل الادب أنت والذين تجمعوا معك فى مكانك هذا ورمى السلطان الورقة من الشباك فوقعت بينهم فسبقه الامير سنقر وأفردها وقراها فاقشعر بدنه وظهر عليه الخوف وتخبل فى بعضه فقالوا له باقى الامراء اى شيء هو الخبر يا أمير فلم يقدر أن يرد عليهم فاخذوا الورقة من يده وأعرضوها على بعضهم حتى اطلعوا عليها جميعهم فقال علاء الدين نحن نديره وهو يتفرج علينا وبا كر يقول امسك ويصلبنا كلنا وإن حلفنا له بكل يمين فى الدنيا اننا كنا عازمين على خلاف ذلك فما يصدقنا فقال علاء الدين كل هذا بطال قوموا نلحقه ونقتله قبل أن يصل إلى القلعة فاذا قتلناه ارتحنا منه قبل أن يقتلنا وخرجوا يسرعون فى طلبه فلم يلحقوه وقد عادوا وهم يلومون بعضهم بعضا وحاروا فى امورهم وبعد ذلك تفرقوا إلى بيوتهم وبقى سنقر الرومى واقفا حايرا فى أمره فما كان منه إلا أنه دخل على زوجته فقال لها اعلمى أنى وقعت فى محذور مع السلطان وإن وقفت قدامه فما يبقى على ساعة من الزمان وأنا مرادى أروح بلاد العجم وأقيم عند أحد الملوك فقالت له يا امير إن كان كذلك خذنى معك لربما إذا لم يجدك يقتلنى انا فقال لها انا اخاف يطلع النهار ويرسل إلى ياخذنى وجميع اصحابى الذين كانوا عندى يتخلفوا عنى ولا احد منهم ينفعنى فلا اقدر على الصبر إلى الصباح واما انت يا فاجرة ماسبق

للملك الظاهر أنه يتجاسر على الحريم فيكرني متوكلة على الله وبكى ونزل فركب على ظهر حصانه وطلب بلاد العجم ويكون له كلام

[قال الراوي] أماما كان من الأمراء فانهم بقى كل واحد منهم فى قلبه وسواس وضاقت بهم الأنفاس ولما كان عند الصباح كل منهم طالع إلى الديوان فلما تكامل الديوان وجلس السلطان ونظر إلى الأمراء فلم يسأل عنهم ولا كلمهم فعلموا شيئاً ونظر إلى كرسى سنقر الرومى خالى فقال اين الأمير سنقر واى شىء منعه عن الديوان فى هذا النهار ثم التفت إلى الأمير علاء الدين البيسرى فقال له أين الأمير سنقر فقال علاء الدين لا اعرف ما أخره عن الديوان فقال السلطان لعله ضعيف فقال علاى الدين يمكن يادولتلى انه ضعيف فقال السلطان إذا كان ضعيفا فالواجب علينا السعى لاعادته لانه له تعلقا بخدمتنا فالصواب اننا نروح اليه ثم ان السلطان حط الفوقانية على الكرسى اشارة للعسكر كل منهم يقف مكانه وقام على حيله ونزل من القلعة فتبعه المقدم إبراهيم والمقدم سعد والمقدم نصرالدين الطيار وعيسى الجاهرى فالتفت السلطان وقال لهم عودوا فقال إبراهيم هذه مرتبتى يادولتلى ما أقدر اتخلى عنها الا إذا رأيتك داخلا على حريمك وأما إذا كنت غائبا ببقى عذرى واضح فقال له السلطان ياإبراهيم مرادى أحكى لك حكاية وأنا ماشى معك فقال إبراهيم احكى يامليكنا فاعاد عليه ما جرى سرا فقال إبراهيم يادولتلى اطلب منى رؤوسهم وأنا أحضرهم بين يديك فقال الملك لا يا إبراهيم هؤلاء رجالى على كل حال وإنما أنا طلبى على سنقر الرومى فانى أظن أنه خاف منى فانفش وهذا دليل على انه كان سوسة فى مملكتى وأنا لابد لى من حضوره الى بين يدى واوقفه على أعماله ثم بعد ذلك أصلبه لاجل تأديب غيره ثم ان السلطان مادام سائرا حتى وصل إلى بيت سنقر الرومى والغضب ظاهر فى وجهه فالتقى الطواشى

فقال اطلع قدامى وقل دستور على الحريم حتى أنى ادخل اطلب الأمير سنقر فدخل الطواشى وأعلم الحريم بقدوم السلطان فنزلت زوجة الامير سنقر وقبلت الارض قدام السلطان فقال السلطان اين سنقر فقالت ياملك ان الامير سنقر من البارحة أخذ حصانه وركبه وطلع هاربا منك وقال أنا قاصد بلاد العجم أقيم تحت أمر احد من ملوكها فانى ما بقيت أقدر اقف قدام مولانا السلطان وهذا آخر عهدى به يامولانا السلطان ثم انها بكت وتأسفت فقال السلطان وأنت لاى شىء تبكى فقالت ياملك الاسلام الحريم من بعد الرجال تذل الله تعالى لم يحكم عليك ولا على أحد من ذريتك بتقلبات الايام فلما سمع السلطان ذلك قال ياخاتن أنت فى أمان

حتى لا تخافى من شيء وأما زوجك الامير سنقر الرومى لا بد لى ابعث عليه واعيده الى محله واعف عنه بعد ما تقبح على ورمى لسانه فى عرضى وبعد ذلك اسامحه واعف عنه فتقدمت ونبات الاتك وقالت يا ملك الدولة الله يبلغك النصر والتأييد على كل طاغى وعنيد وعاد السلطان إلى قلعة اصبل واقام مدة ثلاثة ايام كلما ينظر إلى محل سنقر الرومى يتذكر اعماله وجمع الامراء فى بيته وكيف تعصب هذه الامراء وكان قصده اثارة الفتنة فى الدولة الظاهرية وكلما يتذكر ذلك يلتهب قلبه بالنار على الحقيقة أن السلطان لو نظر سنقر الرومى فى هذه الايام كا صلبه من بعد ما يعديه فانه تصور السلطان فى شأنه غيظ عظيم لا سيما لما كتب التذكره ورماها بينهم ثم انه احتمى على شجرة عالية وبيده على النمشة وقصده أن كل من اتى هنده قسمه نصفين ولكن لله فى خلقه إرادة لم يلتفت أحد إلى الشجرة وكان السلطان سمع سنقر يقول أنا أقتله فى هذه الليلة وأول من جرى فى طلبه كان سنقر الرومى مع انها فتحة صدر فارغة وأما الملك الظاهر فان له عزما انى قدر لامراء جمعا الفداية وفى يوم الى يوم من الايام قام الملك اشتد به الامر وتعوذ بالله من تحكم الغيظ فاجلس الملك محمد السعيد ولده على تخت مصر وأوصاه بالعدل والانصاف وترك الجور والاسراف واخذ نفسه وغير فى صفة درويش عجمى وركب على ظهر جواده القرطاسى وطلع على هذه الصفة يقطع الارض والاكام حتى دخل الى بلاد الشام يستنشق الاخبار عن الامير سنقر الرومى فلم يجد له خبرا فأقام ثلاثه ايام وبعدها سار إلى حلب وهو على ذلك الحال ولم يعلم بحاله وبعد حلب دخل الى بلاد لاراك وهكذا حتى وصل إلى بلاد العجم ودخل مدينة توريز وطلع إلى ديوان القان هلاون ، امل ليكشف اخبار سنقر الرومى وكان طلوعه الى الديوان صبيحة النهار وكان الملعون ثقلون طاز وزير القان هلاوون البيسار فى تلك الوقت ما هو فى الديوان وكان يجمع خراج البلاد التى تحت طاعة هلاوون وعند عودته قادما فرحان فصادف الملك الظاهر وهو نازل من الديوان وكان معه خمسمائة فارس من طور مين العجم فلما رآه قال هيا يا ابناء العجم اقبضوا هذا فانه قال العرب فاشتد غيظ السلطان منه وحط يده على الله الدمشقى وقال يا معلون أنا بعت روحى فى سبيل الله وقاتل فى العجم فيا لامر المقدر تضايق السلطان وتكاثروا عليه فاخذوه اسيرا ولو ارادوا لشالوه على السيف فان المفرد بنفسه ماله مقدرة أن يهلك صفوفا وألوفا وانما قاتل على قدر جهده ولما بقى فى يد العجم كان مراده يموت ولا يرى نفسه و قصة ذلك الملعون فا متثل للقضاء والقدر ودخل به ثقلون طاز إلى قدام هلاوون وقال له يا قان

الزمان هذا فان العرب تى ها هنا وحده ولا شك أن يجتهد أن يعمل مكيدة فى ملكك فقال القان هلاوون هيا اقطعوا رأسه فأراد السياف أن يضرب عنق السلطان وإذا بالأمير سنقر الرومى أقبل وكان متعوقا فى الطريق ولم يدخل توريز إلا فى ذلك الوقت وكان قصده أن يدخل على القان هلاوون ويكتب نفسه من دولته ويقيم تحت حكمه فى مملكته فلاحت منه التفاتة فرأى السلطان فى طعة الدم ونظر إلى السياف الذى أمره هلاوون أن يقطع الرأس السلطان فتأمله وإذا هو الملك الظاهر فقال فى نفسه ياسنقر إذا رميت نفسك عليه اما أن تموت وتبقى مجاهدا أو يكن خلاص السلطان على يدى فانه لم يجحد الجميل وهو على أى الحالتين اما أموت وأقبر أو يرزقنى الله النصر والظفر فوضع يده على السيف وضرب السياف أطاح رأسه وتقدم فك الملك فقام الملك ويده على التمشة وقاتل مع سنقر إلى آخر النهار وضاقت حيلتهم لكن أهلكوا من العجم شيئا كثيرا وبعده أخذوهم أسارى فاغتاظ هلاوون وأراد أن يقطع رأس الملك ورأس سنقر الرومى فقال رشيد الدولة يا ملك الزمان أنا كنت أولا سا كتا وكا ظنى أن ملك العرب أتى هنا من غير علم دولته وهاهو قد أتى واحد من دولته ولابد أن يكون له أتباع وعاد يعلم رفقته ونخاف أن تقل عقولنا ونقتل ملك العرب فيما نقدر أن نحامى عن نفوسنا ممن خلفه من عساكر العرب مثل إبراهيم وسعد وشيحة جمال الدين ومن كان من أمثالهم وانما أسجنهم وكاتب عساكرك واجمع فرسانك وبعد ذلك أقطع رؤوسهم وأنت مالك رشدك لاجل اذا جاء من يطلب ثاره تخلى من الدنيا آثاره وتعجل دماره فقال له صدقت يارشيد الدولة أنت دائما لا تتكلم إلا فى الاصلاح ثم انه أمر بحبس السلطان وسنقر معه فوضعوهما فى السجن . فلما اختلى السلطان بسنقر الرومى قال له يا خائن وأى شىء كان أولا لما فعلت مع الامراء ما فعلت وأردت أنك تلقى الفتنة وهى هذه الأعمال الذى كانت سبب مجيئى إلى هذه البلاد . ولما رأيتنى وقد قضى الله تعالى بوعده قاتلت معى هذه الاعجام فقال سنقر يا أمير المؤمنين إما فى الاول كان الشيطان أغرانى وأورانى الغرور الذى قام بى وطاوعونى المنافقون وصور لى الشيطان أنى أكون سلطانا فلما حضرت أنت وطلعت يا ملك الزمان على أسرارنا تقطعت ظهورنا وعرفت أن هؤلاء جميعهم منافقون وما قصدهم إلا أن يتفرجوا على صلبى فقط وأنا أعلم حقا وصدقا أنى ان ونمت فى يدك تقتلنى وهذا أقل جزاء ولكن يا مولانا السلطان بحر عفوك غرق فيه جهلى وأما يامولانا حملى فى هذه التوبة ومقاتلتى لاعدائك فان نفسى ما سمحت لى أن أنظر الى مولاى الذى أنا فى خدمته سنين وأعواما يقتلوه

الاعداء اللئام فاردت يا مولانا ان امحي سوادا ما فعلت بهذه الفعال وطلبت نجدتك على أي حال فما ساعدني الزمان ولا حضرت بما أريد حتى تم على ماتم وبقيت أنا وأنت في الحديد وما بقي لنا الا طلب الفرج من المولى الحميد المجيد فان الله قادر على خلاصنا وسلامة أرواحنا فقال له السلطان وتثبت على النفاق والا ترجع على ما كنت عليه من الضلال والشقاق فقال سنقر يا مولاه أنا أطلب من الله يهون لنا الخلاص ويعود مولانا السلطان الى محل دولته واطلب منه العفو فان شاء الله عفا وان شاء الله تكرم ووفا وعامل عبده بالوداد والصفا فقال السلطان عفا الله عنك ولك الامان ثم انه طيب قلبه وكان الليل أقبل والنهار ارتحل واذا بباب السجن انفتح ودخل الوزير رشيد الدولة وقبل أنك السلطان بعد ما أطلق وثاقه وقال له يا مولانا السلطان والله لو كان بيدي أمر احكم على هذه العقوبة الصعبا ثقلون طاز ما كنت أبقى عليه ولا ساعة واحدة ولكن يا مولانا الامر بيد الله جل وعلى ثم انه أخذ الملك وسنقر الى بيته وقدم لهم الطعام وأكرم السلطان غاية الاكرام وبعدما أكلوا وشربوا قال الامير سنقر الرومي يا مولانا السلطان اذا سافرت أنا وأنت من هنا فان القان هلاوون ما يقعد عنا ولا يتركه ثقلون طاز ان يسكت عن اذيتنا وأنا قصدي ان أقوم اقبض عليه ونأخذه معنا وكلما رأنا عسكره يتبعنا بالمواكب يريد حربنا فنقول له يردها حتى نصل الى بلادنا ثم نبقيه حتى نبايعه نفسه بالمال وان قصر يكون قطع رأسه على كل حال فقال السلطان قم افعل مابه أشرت فقام الامير سنقر وقام معه رشيد الدولة يساعده على بلوغ أمله حتى ادخله سراية هلاوون فلما دخل الى قاعة النوم وجد هلاوون نائما على وجهه نومة أهل النار فبنجه وشاله على جمدان ونزل به وأخذه الى بيت رشيد الدولة فلما رآه قام في الحال أحضر ثلاثة خيول من أعز الخيل فركب السلطان واحد والامير سنقر واحد وعرضوا هلاوون على الحصان الثالث فقال رشيد الدولة الى السلطان بعدما قدم له كلما يحتاج اليه حصانك عندي فلا تسلم هلاوون الا للذي يعطيك حصانك وأنا أعلم ان الملعون ثقلون طاز يرسل عساكر في طلبكم وأنا أرسل اليوم عساكر الاسلام يقتلونهم فلا تخف من أي شيء فركب السلطان ليلا بعد ما أعطاه رشيد الدولة كلما يحتاج اليه وسافر ليلا ودام سائرا والامير سنقر في خدمته طول الليل وعند الصباح نزلوا على قدر صلاة الصبح وأطعموا الملعون هلاوون أطعموه وسقوه وسقطوه كما كان وساروا الى آخر النهار وهكذا مدة ستة أيام وفي اليوم السابع طلع غبار وملأ الاقطار ثم انكشف وبان عن عساكر أعجام يقدمهم ثقلون طازه وهم قدر خمسة آلاف

فالتفت السلطان الى الامير سنقر وقال له احتفظ أنت بهذا الكلب هلاوون حتى أتى ارد هؤلاء الارفاض فقال سنقر يا مولانا هو تسليمى ولا تلزمه الا منى وعدل الى مغارة فى حرف جبل فوضع فيها هلاوون وعاد الى السلطان ودام يضرب فيهم بالحسام البتار الى آخر النهار فهو كذلك واذا بغبار قد ظهر من ناحية بلاد الاسلام وقد انكشف وبان عن المقدم ابراهيم بن حسن والمقدم سعد ولما رأوا طاحون الحرب دائرة صاح ابراهيم وحمل وتبعه المقدم سعد بن دبل وصاروا يشقوا المواكب ويضربوا ضربات قاطعات حتى اذاقوهم النكبات وما أمسى المساء حتى تشوشت الارفاض وتمم المقدم ابراهيم فى حملته حتى قتل حامل العلم وكبس على ثقلون طاز وقبض على خناقه وجذبه وأخذه أسيرا وعاد به الى الملك وانكسرت العجم وتشتتوا فى البرارى والآكام فوضعوا ثقلون مع هلاوون وركب السلطان والامير سنقر وابراهيم وسعد وطلبوا العز فقال القان هلاوون ياقان العرب سامحنى وردنى الى بلادى ولك عندى حق خلايا خزنة أموال فقال له الملك ياملعون هذا شىء تقوله بعقلك الخزنة التى تقول عنها ماتساوى قبضتى وقوالك اقطعوا رأسى لانى قان العرب والله ياهلاوون أنت قتلك معلوم أنه مثل الحج الى بيت الله الحرام فقال المقدم ابراهيم ياقان هلاوون افصل انا هذه النوبة وطاوعنى فقال هلاوون اطاوعك ابرهيم أنت ثمن رقبتك خزنتين وتعب السلطان معك فى قتاله خزنة ووقفه السلطان قدامك خزنة وثمان رقبة ثقلون طاز خزنة واجرة اقامة السلطان فى برصة وأنت معه حتى تحضر المال خزنة تبقى ستة خزنات تمام ومسافة الاقامة ثلاثون يوما فقط والذى يأتى بالمال لا يأتى الا بعصيان السلطان ان مضت الوعدة وغاب ثقلون طاز يكون بقطع رأسك ويسافر السلطان الى حال سبيله فقال هلاوون سمعا وطاعة فعندها أطلقوا ثقلون طاز على ذلك الشرط وامر الملك للامير سنقر ان يتسلم القان هلاوون ويقيم فى برصة حتى تحضر الاموال وسافر الملك والمقدم ابراهيم والمقدم سعد حتى وصل الى مصر وراح ابراهيم الى بيت الامير سنقر وبشر أهل بيته بعودته وعفو السلطان عنه ففرحوا ودعوا الى الملك وأما الملك فانه سار الى قلعة الجبل وضربت المدافع لقدومه وتباشرت الاسلام بالخير والاكرام وبات تلك الليلة عند الملكة فسألته عن العفو عن الامراء لان حريمهم دخلوا علينا وسألوها ان ترغب الملك فى العفو عنهم

فقال الملك وأنا سامحتهم فدعت له بالدوام والبقاء وبعد أيام ثلاثة قدم الامير سنقر الرومى من برصة ومعه الاموال فسلمنا الى حسن شمنترى الخزندار ووقف فى خدمة الملك مثل عادته واقام

الملك الظاهر بعد ذلك يتعاطى الأحكام كما أمره الملك العلام

[قال الراوى] إلى يوم قال الملك حضر حالك يا إبراهيم أنت ومن تعتمد عليه من رجالك فان مرادى أن أطوف بكم بر الشام والروم حتى أطلع على العالم والرسوم فقال المقدم إبراهيم سمعا وطاعة وفى ثانى الأيام ركب الملك وإبراهيم وسعد وساروا إلى الشام وكان الملك إذا دخل فى الشام يحب القعود فى القصر الأبلق لأجل النزهة فيه فلما وصل الى القصر وإذا بنجاب وهو ضارب على وجهه اللثام فتقدم إلى قدام الملك وبيده كتاب فأخذ منه الكتاب فوجد فيه يا ملك المسلمين أنت أخذت مدينة العريش من أخى الفرنجيل وأنا أريد اعمرها بمالى وأقم فيها بعساكرى ورجالى وأدفع كل سنة خزنة أموال أولا من خراجها على كل حال فاذا رضيت يا ملك رضيت وإذا لم ترض وأيك أعلى فقال الملك من الذى كتب هذا الكتاب فقال النجاب هذا كتبه عالم ملة الروم والأمر المحتم البركة جوان فقال الملك وأى شىء أدخل جوان فى البلاد حتى يطلب العريش أو غيرها ليعمرها ومن أين له عساكر جوان حتى تقيم فى العريش تشرمط الكتاب فان نظر الكتاب ثم رقح ط يده على الحسام وضرب الملك فألقى الله عليه هيبة من الملك واحتاطوا به الحورانية أتباع المقدم إبراهيم فان إبراهيم لم يكن حاضرا فى الديوان فقتل البطريق ثلاثة وجرح سبعة وطلع على حمية فاغتاظ الملك وقال أين المقدم سعد قالوا له أتباعه يا دولتلى ما أخذ منك أجازة وراح مع ابن خالته إلى قلعة حوران فقال صحيح ما حذا الحذور الملك وإذا بنجاب أتى من السويدة معه كتاب أخذه الملك وهو محاسب على نفسه وإذا فيه من حضرة باشة السويدة الى بين أيادى مولانا الملك اعلم يا ملك الاسلام أنه ورد علينا من البحر اليب امتون تار ذو الاسعار وهو ملك من ملوك الكفار ومعه عسكر جرار وقصده أخذ بلاد الاسلام وصحبته جوان والبرتقش الخوان وكان هذا الملعون صاحب مدينة رودس والسبب فى مجيئه الى تلك البلاد أنه دخل فى يوم احد ديرا فى مدينة قبرص وكان ذلك الملعون يأكل بنى آدم وبالقضاء والقدر ان الملعون كان فى دير قبرص فنظر اليه الملعون متون تار وقال له أنت جوان فقال نعم أنا جوان فقال له أن متون تار لا يتهنى إلا يأكل بنى آدم وانت يقال عنك أنك نائب المسيح هل تعرف شيئا يكفر سيئاتى لأكل بنى آدم فقال جوان هذه ذنوب كثيرة ما يكفرها إلا اذا كنت تركب على بلاد المسلمين فتقتل كبارهم وصغارهم فاذا أكلت من لحم المسلمين يجوز لك أكلهم وأما الكرستيان فحرام فقال له جوان وأنا عين مقصودى أن أفتح بلاد المسلمين وعلى

ذلك ابقى ان أردت أكلت منهم فلا مانع ثم انه كانت عسكر حتى اجتمعت على الدير فكانت مقدار ثمانين ألفا وكان عند واحد عايق يقال له المقدم متين فلما نظر جوان إلى متين نار هذا فقال له اذا كان البب يبقى ملكا على بلاد المسلمين أما ترضى أنت ان اجعلك سلطانا على السراقين من المسلمين ومن النصارى فقال يا جوان وانا ما الذي يبلغنى أن أكون سلطانا على السراقين قال جوان أنا وكتب له كتابا وقال له وبين المسلمين فى القصر الابلق فى الشام سافر أعطيه هذا الكتاب واضربه وهو مشغول بقراءته فأتى وفعل كما ذكرنا وبعد ذلك قدم إبراهيم وسعد من حوران يسانق

فلما رآهم السلطان كتب كتابا إلى السعيد أن يأتى بالأمراء من الاسكندرية فى البحر وكتب الى المقدم سليمان الجاموس أن يأتى بالفداوية من اقلاع والحصون يكون الاجتماع على السويدة وما مضى إلا أيام قليلة حتى اجتمعت عساكر الاسلام على السويدة هذا ما جرى وأما المقدم متين نار فانه أتى إلى الملعون متون نار ذو الاسمار وأعلمه بما جرى بينه وبين السلطان فأراد أن يركب واذا بالملك مقبل بعساكر الاسلام وعلى رأسه بيرق ظلل بالغمام فانتصب عرضى الملك وترتبت الصفوف قدام بعضها فكتب كتابا وأعطاه الى المقدم ابراهيم فأخذه ودخل على البب متون نار وهو جاذب شاكريته ذو الحيات وقال قاصدا ورسول بالزوج البتول وابن عم الرسول وصاحب القبول وسيف الله المسلول وهو الامام على بن أبى طالب مظهر العجائب كرم الله وجهه ورضى عنه أمام نكس الاصنام وحمى البيت الحرام لم يقع من هزم ولم يهتك حرم وضرب بسيفه فى الارض كبرت ملائكة السماء سمع النداء من العلى لاسيف إلا ذو الفقار القسطلى ولا فتى الا الامام على بالقوة أمام حرب خيبر وقاتل من كفر وابن عم النبى محمد القمر هذا كله يجرى والملعون متون نار يميز صورة المقدم ابراهيم وطول قامته وكبر جثته ويتمنى أن يكون قدامه مطبوخ أو مشوى حتى انه كان يأكله

فلما تم كلامه قال قم يا ملعون خذ كتاب مولانا السلطان بادب واقرأه بأدب واعطنى رد الجواب بادب وحق الطريق بادب وأنا أسير من قدامك بادب وان حصل منك قلة أدب تعرف على ماذا تقدم وأول ما أقتل جوان فقال جوان تم يا بب استلم الكتاب واقرأه واكتب له رده فار الكتاب ماله شىء الا قضاء والنجاب ماله الا اكرامه فقام الملعون وأخذ الكتاب وأفرده واذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة ملك الاسلام الى بين أيادى الملعون متون نار ذو الاسمار اعلم يا ملعون

انك تجاريت على الاسلام وجمعت عساكرك وأتيت تريد حرب الاسلام وهذا شيء لا تبلغه الا انت ولا غيرك لان الاسلام منصور وانت لابد لك أن تعود مقهور وان أردت السلامة من الندم الموجود من العدم فانك تقبض على جوان والبرتقش وتاتى الى عندي خاضعا ذليلا أحاسيك على كلمة ركبتي وأبايعك نفسك بالمال وآخذ عليك الجزية فى كل عام ان فعلت كذا كان لك الحظ الاوفر وان خالفت سوف تبقى ما يحل بك وبعسكرك من النقم ولا ينفعك الندم اذا زل بك القدم والسيف أصدق من الكتب وحامل الاحرف كفاية كل خبر والسلام فلما قرأ ذلك الملعون الكتاب واعطاه الى ابراهيم فكر راجعا حتى وصل الى السلطان فقال يادولتلي هذا كتابك سالم وهذا رد الجواب منه وقرأه يجد فيه ماعندنا الا حرب يهد الجبال وطعن يقد القامات والاوصال اول الحرب بيني وبينك فى غداة غد وشكر يارب المسيح فشرط الملك الكتاب وأمر بدق الطبل الحربى فجاوبتها طربنطات الروم وباتوا الى الصباح فتمخضت عساكر الكفار وخرج بطريق فنزل ايدمر البهلوان فقتله ثم نزل ثانى جندله والثالث والرابع لرفقته تابع والخامس والسادس الى آخر النهار قتل عشرة فرسان وفى ثانى الايام نزل حسن النسر بن عجبور وفعل فى الحرب اتعاب واطراب تحير عقول اولى الالباب وفى ثالث يوم نزل مرتين فـ[illegible] كان فى ذلك الوقت الامير ايدمر نزل الى الميدان وطلب الجهاد مثل ما يفعل واذا بمرتين انطبق عليه واخذمعه واعطاه ساعة من النهار وضايق مرتين ايدمر ولاصقه وطبق فى جلباب درعه واخذه اسيرا وطلب البراز فنزل علاء الدين فاخذه مرتين اسيرا واسره [illegible] بشتك وهكذا اخذ فى يوم واحد خمسة عشر اميرا وفرغ النهار واندق الطبل علامة الانفصال وفى ثانى الايام نزل المقدم مرتين فنزل المقدم حسن النسر ابن عجبور والتقى بمرتين وتقاتلا واجتهد حسن النسر ان يقتل هذا الفارس او يأسره فما امكنه ودام الامر ساعتين واخذ المقدم حسن اسيرا فنزل بعده المقدم صيراك بن الافعى كذلك اسره مرتين الى آخر النهار اسر خمس مقدمين وثالث يوم نزل أسر عشرة أمراء ودام الحال كذلك مدة اثنى عشر يوما ويوم الثالث عشر كان الحرب على الفداوية ما نزل ما برز المقدم عياس ابو الدوايب وتقاتلا الى نصف النهار فوقف المقدم عياس [illegible] وطبق فى خناق المقدم مرتين صاح من غرت يا ساكن حلب وجذبه باقتداره من سرجه وسار به الى قدام السلطان وقال له يادولتلي هذا ابن المرص الذى عمال يخرج الى الميدان يأسر المقادم والا فانه شيطان وكان النهار وقت العصر فقال السلطان لأى شيء أتيت به أسيرا فقال يادولتلي انا ما كان

قصدى الا قتله وانما اخذتنى الشفقة عليه فلا جل ذلك امرته وابقيت عليه فامر الملك بضرب رقبة مرتين فقال المقدم عباس أنا يا دولتلى الذى اتولى ضرب رقبته ثم تقدم اليه ورفع القلنسوة من على رأسه فبان له دوايب على اكتافه سود مثل سواد الليل واطول من اذناب الخيل فقال المقدم عباس أما هذه الدوايب فانها من اعجب العجايب ونظر إلى خده فرأى عليه شالا اخضر يدل على انه شريف فقال له يا ولد أنت من ابوك فقال ابى السيد مرتين نار ذو الاسمار فقال له ومن هى امك فقال بنته واسمها بدر المبسم فقال المقدم عباس يا ملك الدولة ساعنى فى هذا الصبى حتى اطلقه واجهل أننا مارأيناه ثم انه وضع له القلنسوة على رأسه ثانيا فرجده ربوطا على ذراعه قصبة من الفضة وكان المقدم عباس يعرفها انها كانت له سابقا ولكن لم يعلم لمن أعطاها فقال للغلام يا صبى أنا اطلقك وعد إلى عرضى الكفار وإن سألك جوان قل له أنا اشتريت نفسى من المسلمين على أنى اطلق الاسارى الذين اسرتهم فرضوا بذلك واطلقونى وقال ملك المسلمين أن لم تطلقهم يطلقهم شيحة وبعده إذا وقعت فى يدى اقطع رأسك وها أنا حضرت ومرادى احتفظ على الاسارى من شيحة وبعد ذلك ادخل الى امك واسألها من هو ابوك فانى اعلم وأتحقق انك ولدى ولكن إذا كنت كافرا فانا برىء منك إذا لم تسلم وبعد ذلك اطلقه بعد ما اذن له السلطان وقام المقدم مرتين نار وكان النهار قد مضى ودخل الليل فسار إلى أن دخل على عرضى الكفار فلما وصل التقاه جوان وقال له ما الذى خلصك من سجن المسلمين فحكى له على ما ذكرنا فقال جوان وأنت اعتمدت على اطلاق المسلمين فقال أنا ما يهون على ذلك ولكن اخاف أن تغافلت عن الاسارى الذين عندى يسرقهم شيحة واخاف أن اقع فى يد المسلمين يقتلونى فقال جوان إذا كنت خايف من المسلمين فاتولى غفرهم أنت بنفسك ونام مرتين نار على المحبوسين بنفسه وجوان ملاحظه فاقام إلى نصف الليل وإذا بدخنة خرجت من الخيمة على مرتين نار وعلى جوان والبرتقش فانقلبوا وكان الطالق هذه الدخنة ولمن قاتت العيون وعزها جمال الدين شيحة

قال قاتت العيون وعزها شيحة جمال الدين يعنى الظاهرى
سلطان من مثل شيحا كرار ابو شاء يوم الجهادى للاعادى قاهرى

ودخل ذلك الهمام وتقدم واخذ المقدم مرتين نار وجوان والبرتقش ووضعهم فى مخادع وقال أنت يا اسارى اسال جبيك يا بن عم اقال له تولى غفر هؤلاء ثم انه احضر الفدا به انتم فانوا محبوسين من الامراء والبس الجميع ملابس النصارى وخرج بهم

وإذا بحرمة أقبلت على شيحة وقالت له يا أبا السابق أنا فى عرضك اعلم أن هذا المقدم مرتين نار هو ابنى وأبوه المقدم عباس أبو الدوايب وطلع نصرانى كما ترى وأنا خايفة عليه من المسلمين يقتلونه ويفرطوا فيه الفرط ويروح غلط وأنا أعلمتك وأنت تدبر كما تشاء فلما سمع شيحة ذلك الكلام أحضر الغلام وهو مكتف وفيقه قدام أمه وقال لها اعلميه فاعلمته بما قدمنا فقال لها ولأى شىء لم تعلمنى من زمان فقالت يا ولدى لو علموا بك الكفار لقتلوك فقال لها وأنا سمعت ذلك من المقدم عباس أبو الدوايب وأطلقنى من قدام السلطان على انى أسالك وحكم الأمر بخلاف ذلك ولكن يا مقدم جمال الدين علمنى الاسلام أولا فعلمه وأسلم فقال له ما بقى بعد الاسلام إلا الجهاد فى طاعة الملك العلام فقال المقدم جمال الدين ان أردت ذلك فسر قدام اخوانك وكن مساعدا لهم على ذلك الجبار متون نار ذو الأسعار فقال مرتين يا ملك القلاعين ما بقى لى صبر عن الجهاد ثم انه سار قدام عصبة الاسلام وكان مضى الليل بالظلام وأقبل النهار بالابتسام ومادام مرتين سائرا حتى دخل على البب متون نار وكان ذلك الملعون يظن انه مثل ما كان على ملة الكفر حتى بقى بين يديه فوضع يده على الحسام وضربه على وريديه أطاح رأسه من على كتفيه وصاح الله أكبر فصاحت الفداوية الله أكبر وكذلك الأمراء صاحوا الله أكبر فارتجت المدينة بالتهليل والتكبير والقى الله الرعب فى قلوب الكفار وسمع السلطان صياح الاسلام من داخل البلد فقال الخيل يا أرباب الخيل وإذا بالمقدم جمال الدين قال يا ملك الاسلام اركب واكبس عرضى الكفرة اللئام فان البلد قد ملكها المأسورين والمقدم عليهم المقدم مرتين نار ومتون قتله بيده فاكبس الملك على العرضى بما بقى من الاسلام فلم يبق عايق قدامه يعوقه فركب السلطان وصاح الله أكبر دونكم يا معاشر الاسلام والجهاد الله أكبر طاب الجهاد

طاب الجهاد وصار فرض لازم	والنصر للدين الحنيف القائم
يا معشر الاسلام هيا بادروا	فالموت حقا قد قضاه الحاكم
ان الرجال تموت تحت بوارق	منشورة للحرب والتصادم
فجوزوا ضرب الحسام فى العدا	وفلقوا الهامات والجماجم
ولا تبالوا ان تكاثرت العدا	فالنصر من عند العزيز العالم
ومن يغازى نال نعم فضيلة	اما الشهادة أو ينال المغنم
هيا انهضوا فى اللقا لا تفشلوا	وجودوا فى الكفر ضرب الصارم
وها أنا للحرب أول من يكن	يحمل إذا حق الغبار المقتم

الظاهر المنصور بيبرس الذى قاد الجيوش الشوش الضيغم
تحتى جواد أدهم لا ينثنى ينسل فى القتال سل الأرقم
ثم الصلاة على النبي وآله خير البرية من سلالة هاشم

ومن بعده صاح المقدم إبراهيم وقال حاش الله أكبر

إذا هاجت الأبطال والقدح غاشم ودقت سيوف الهند فوق الجماجم
دعونى أوفى الشاكرية حقها إذا كان سوق الحرب بالموت قايم
واقتحم الحرب العوانى بهمة يقصر عن إدراكها كل حازم
هلموا كلاب المشركين لتشربوا كؤس المنايا من حدود الصوارم
أنا سبع حوران الذى تعرفونه واسمى إبراهيم نسل الضراغم
وسيفى ذو الحياة فى وسط راحتى أقد به عظم الطلا والملاصم
سأنصر دين الله جهدى وطاقتى فما خاب عبد جاء لله سالم
لعلى أحظى بالشهادة فى اللقا وأبلغ نهار العرض دار النعايم
وإلا أنال النصر فى قسطل الوغى وبعد فناء العدى أفرح بالغنايم
لحى الله إنســانا ينام ولا يكن هجوما على الكفار والدفع دايم
وصلى إله العرش ثم ســلامة على نبي من خير عرب وأعجم

ومن بعده صاح المقدم سعد وقال الله أكبر

أنا سعد من نيسان نسل الأكارم أكرّ على الكفار بالسيف هاجم
أصول على الكفار صولة باذل على قدمى لم أخشى من تألم
خدمت مليك المصر بيبرس سيدى بقلب شديد صادق نعم خادم
مطيعا له فيما أمرنى ولا أحل ولست إذا جاء الحزم نادم
هلموا إلى معشر الكفر واتقوا همام جرى فى الحروب عشمشم
بنيت لدين الله حصنا مشيدا ومن دونه قطع الطلا والملاصم
إذا نادت الأبطال فى الحرب من لها أقول أنا والنار فى الحرب تضرم
أخوض لظاها فى وهيج زفارها على قدم معتاد خوض العظايم
وكم ملك بادرته فوق تخته وأذللته ما بين جمع العوالم
وكم جحفل فرقت بالسيف جمعه وكم سقت جيشا مثل سوق البهائم
وصل إلهى بكرة وعشية على المصطفى المبعوث من آل هاشم

وبعده صاح ناصر الدين الطيار الله أكبر وتبعه المقدم عيسى الجاهرى وتبعتهم عصبة الاسلام الأبرار وفتق الحسام البتار وقدحت حوافر الخيل شرار النار

وأظلمت الأقطار على جميع الحضار وقل الأنصار فكم من رأس طار ودم فار وجواد بصاحبه غار وعدم الاصطبار وانبهر الجبان وحار وحامت الجوارح على جثث القتلى والأطيار وحكم السيف وفى حكمه جار ما أفاقوا الكفار حتى لقوا حبهم مكبوس وصباحهم منكوس ووقتهم عبوس وعلت أعناقهم السيوف وفى أضلاعهم الدبوس وملكهم قتل وأيضا فارسهم أسلم وبقوا مثل الأغنام التى بلا راع وعلموا انه ما بقى لهم ملجأ يلجأون اليه فصاحوا الورق الورق يعنى الأمان الأمان من سيوف أبطال الايمان فنادى منادى لا أمان إلا لمن يدخل دين الايمان وما تم النهار حتى أهلك الله الكفار على يد المؤمنين الابرار وأراد الروم أن يدخلوا البلد وإذا بالمقدم مرتين طالع ومعه عصبة الاسلام وقاتلوا المنهزمين بالحسام وأيد الله الاسلام وأما السلطان فانه تعجب مرتين نار لما رآه تقدم وقبل ركاب السلطان فقال السلطان أنت ابن من فقال يا مولانا أنا أبى يقال له المقدم عباس أبو الدوايب ووالدتى اعلمتنى بذلك كما اعلمتنى هو أبيها بين يديك واتفق لى هذا الاتفاق فأمر السلطان باحضار المقدم عباس فلما حضر قال له اعلم أن هذا الغلام صار ابنك ونسبه متصل بنسبك فقال المقدم عباس والله يا دولتلى أتمنى أن يكون لى عشرة مثله ولكن يا دولتلى أنا ما أعلم من هى أمه فانتى ... فيه فما تم كلامه إلا وكفل يحى وخلخال برن والملكة أم مرتين تقول اسم الملك ... الاسلام أحكم بينى وبين هذا المقدم عباس أبو الدوايب هل يجوز فى دين الاسلام ان الانسان إذا تزوج بزوجته يتركها فى بلاد الكفار مدة ثمانية عشر سنة لم يسأل عنها ولا يقول لى زوجة والزوجة تحمل وتضع حملها وترضعه وتفطمه وتربيه تربية حسنة حتى يبلغ مبلغ الرجال وبعد ذلك يطلع الرجل على زوجته وعلى ولده يأخذ الولد ولم يسأل عن أمه

[قال الراوى] فقال السلطان ومن هو الذى فعل هذه الفعال فقالت له المقدم عباس أبو الدوايب والسبب فى ذلك يا مولانا انه من مدة ثمانية عشر سنة فات على مدينة رودس وكنت أنا أخذت وزير أبى وطامعت إلى الدير فعارضنى فى الطريق فقتل الوزير وأخذنى مسبية ودخل بى الى دير رودس فقتل البطارقة الذين كانوا فيه وعلمنى الاسلام فاسلمت على يده وأوقعنى فى قلب الدير بعد ما أعطانى معمدة ذهب ودمليج وقال يا بدر المسيح انت الغ انا ما اقدر ان اعود الى القلاع حتى اجمع جال من الحج وبعده أعود وآخذك إلى بلادى وركب وسافر وهذا آخر عهدى به انا مكثت فى الدير وعلم أبى

بحالى البب مرتين نار ذر الاسعار فأراد أن يركب على بلاد الاسلام فصورت له أنا بالكذب الباطل ان الذى فعل هذه الفعال هو المارى حنا المعمدان وأمرنى ان اعتكف فى مكان فصدقنى أبى وأقمت إلى الآن ولما أوفيت أيام الحل وضعت هذا الغلام فسميته مرتين نار وصار أبى يقول انه ولده وصدقه النصارى حتى تمت هذه العبارة وها نحن يا ملك الاسلام بين يديك وأريد منك الانصاف فقال السلطان يا مقدم عباس سمعت ما قالت هذه الملكة التى ربت ابنك وأقامت على دين الاسلام إلى هذا الأوان فقال المقدم عباس يا دولتلى والله ان قولها حق وان أحوال الدنيا هى التى أوجتنى إلى ذلك وأما لو اعلم ان لى ولدا مثل هذا الصبى ما كنت اقدر على بعده ولا ساعة واحدة والحمد لله يا دولتلى الذى ساعدنى حتى ظهر لى هذا الأسد وأكون أنا وولدى تحت ركاب دولتك مرغدين فى نعمتك فقال السلطان يا مرتين اعلم أن هذا المقدم عباس أبو الدوايب صار أباك فان اردت أن تكون عندى مع ابيك مرحبا وان أردت أن تفتح هذه البلاد وتقيم بها فأنا وهبتها اليك فقال يا ملك الاسلام ما بقى لى صبر أن أتأخر عن أبى ولا يوم واحد وأينما كان أكون تحت أقدامه فقال السلطان اعنى على حق الملك كلما تريد فقال اتمنى الاسم الحسن فقال السلطان اسمك حسن ونادى على عساكر البب متون نار كل من اسلم منهم يكون من عساكرك والذى يبقى على دينه يكون تحت أمرك فقبل الأرض المقدم عباس وقال يا ملك الاسلام والله ما اقدر من خدمة ركابك وكذلك قال المقدم حسن وأمر السلطان بجمع ما خلفه الملعون متون نار ذر الأسعار ونادى المنادى من قبل السلطان كل من دخل دين الاسلام فانه ياتى يكتب اسمه ويكون من عسكر المقدم ابو الدوايب وهو مقدمكم مرتين نار الا فاسلم اربعة آلاف غلام من بعد الكفر ودخلوا دين الاسلام وكتب الملك جوامك على الديوان وأن يكون المقدم عليهم حسن ابو الدوايب ابن المقدم عباس ابو الدوايب وكتب له مقدميه مثل ابيه وأعطى له مدينة رودس يعمدها بالاسلام وأن يجعل له نائبا عليها ويسافر مع الملك . أما شيحة فانه اخذ المقدم حسن طهره وقطب له محل الطهارة رفقا الملك على المجاهدين غنائم الكافرين بعدما اخرج الخمس الى بيت المال مع ما تكلفت به الركبة وشال عرضى الاسلام من على رودس وأما بدر المسيح فانها اقامت فى ولايتها مكرمة وباقى الدين فى القلعة اعرضت عليهم الاسلام فاسلم منهم خلق كثير وسافر الملك بالرجال والأمراء الى أن وصل الى العادلية وعلم السعيد بقدومه فامر بتزيين البلد وانعقد موكب الملك مثل العادة حتى وصل

إلى قلعة الجبل فاطلق من الحبوس ومنع المظالم والمكوس ونادى بحفظ الرعية وأقام بحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبي جد الاشراف

[قال الراوى] إلى يوم من الايام قال السلطان يامقدم إبراهيم انا حاصل عندى انقباض قلب فقل يادولتلى عليك بالصلاة على الرسول فانها تشرح الصدور فقال السلطان أنا إذا اغفل لسانى عن الصلاة على الرسول فان قلبى لا غفل فقال المقدم إبراهيم يادولتلى الدنيا فى أمان بدوام سعادة مولانا السلطان فقال الملك يا إبراهيم انا السلطان قلبى لاينقبض الا إذا كان حاصل الرعايا تعبا وانا لابدلى ما أشق البلد تحت التبديل حتى انظر حال رعيتى فى زمن دولتى فانا أعلم ان يوم القيامة يسأل الله كل راع عن رعيته فقال إبراهيم يادولتلى افعل ماتريد فعند ذلك وضع السلطان الفوقانية إلى الكرسى اشارة إلى الدولة كل أحد يقف مكانه وقام الملك فدخل إلى قاعة التبديل وهو ملك وسلطان طلع شيخا درويش وكذلك المقدم إبراهم دخل معه فطلع درويش تبعا له ولما بقوا فى الرملية داروا على سوق السلاح وساروا إلى الدرب الاحمر إلى المتولى إلى السكرية إلى الغورية هذا والملك كلما دبر إلى خط يتميز الخلق وكاوة حقه حتى وصل إلى النحاسين فنظر الملك إلى زحمة عالم فشق الناس ودخل بينهم فرأى رجلا حكيما عشبى ناصبا سحابه قدام مقام الصالح ايوب وقاعد ذلك الحكيم على سرير حوله أربعة مماليك واقفين لخدمته ومفروش قدامه بساط من البسطات الملونة ومفرش فوق البساط أربعون فرخ ورق وكل فرخ عليه اعشاب جنسها لم يشابه الآخر وكذلك احقاق البعض منهم نحاس والبعض توتية والبعض معادن وفيهم البعض من فضة والبعض من ذهب وكذلك قوارير فيها مياه ودهانات على الوان مختلفة وذلك الحكيم قاعد مثل الوزراء فى أماكنهم والناس يدخلون عليه ويسألونه على الأمراض ويقولون لهم بعد ما ينظر لذلك الكتاب المرض الفلانى داوه كذا وكذا والمرض الفلانى كذا فقال الملك ناظر يامقدم إبراهيم ماقولك فى هذا الحكيم ما هو الا شاطر فى فهمه فى الحكمة فقال له إبراهيم يا دولتلى أما لاحكيم الا احكم الحاكمين فهو الذى يمرض ويعافى وأما هذا فاهو الا جاسوس انولى ورد بملكة بلاد الاسلام وأسأل الله تعالى ان يعجل له الهلاك عن قريب فنظر الملك اليه وقال يامقدم إبراهيم انت كل من رأيته غريبا تطعن فيه ولكن اتركه لان المال لله وهذا نفر أى شىء يقدر عليه ثم ان الملك تركه وعاد إلى القاعة وفى ثانى يوم كذلك لبس الملك التبديل مثل اليوم الماضى ونزل حتى وصل إلى الرميلة فرأى ازدحام العالم فدخل فى وسط الناس فرأى

الحكيم الذى كان أمس بالنحاسين فتركه مثل أول يوم وكذلك ثالث يوم فالتقاه فى باب زويلة فعاد وهكذا سبعة أيام فلما كان ثامن يوم قام السلطان وطلع إلى الحريم ونزل من باب السر إلى الجبل وسار إلى سوق السلاح فالتقى ذلك الحكيم فتقدم اليه وقال له انظر حالى ياحكيم فانا معى مرض ولم أعلم ما هو فمسك يده وقال له أنت معك سودة وهى مزمنة وأنا عندى لها معجون يبريها من وقتها فان هذه سودة أصلها من حسرات كانت معك وطابت الحسرات على يد الحكيم ولكن لم علم ماخلفهم من عدم الادراك فأنا اطعمك معجون السودة فتطيب من الحسرات لكن لم يكن عندى هنا وإنما تركته فى البيت فاذا كان كذلك بكره أجيبه معى وأعطيك منه فتزول عنك السودة بوقتها فلما سمع الملك هذا الكلام ظن انه صحيح

فقال ياحكيم وبيتك فى أى محل فقال ياسيدى هنا قريب بجنب الاستاذ الرفاعى وها أنا قايم أروح فاذا أردت ان تروح معى وأعطيك المعجون الذى يصلح لك تحصل البركة فقال السلطان أروح معك حيث أنه قريب فسار الحكيم والسلطان يتحدثون حتى دخل به إلى منزل فرأى محلا متسعا ورأى منظره مفروشة بفرش طيب وما امهله الحكيم بل دخل إلى صندوق ففتحه وطلع مرتبان صينى وفتحه واحضر حق من النحاس الاصفر وملاه من ذلك المرتبان وقال للملك خذ هذا تعاطى منه فى أى وقت اردت فانه نافع فاخذ السلطان ذلك الحق وفتحه وأخذ منه على اصبعه قطعة ووضعها فى فمه قدر ان يمضغها حتى انه رقد مبنج فقام له ذلك الحكيم ولفه فى ثيابه ووضعه فى صندوق وحمله على جمل وجمل معادله صندوقا ملان بضاعة وصبر إلى المساء وطلع به من باب الوزير إلى فوق الجبل حتى وصل إلى البحر فكان له مركب ينتظر حضوره فنزل له فى المركب ورفع القلاع وسار وساعده الهواء باذن من على العرش استوى فما ابطا إلا اياما قلايل إذا هو بالاسكندرية وكان له غليون مقيما فى انتظاره فاقبل ونزل ورفع المراسى وصاح القبطان فى رجاله فافردوا الشراعات ومسكوا ماوات البحر العجاج الواسع الفجاج المتلاطم بالامواج وكان فى هذه المدة يقوت الملك بدهن اللوز الممزوج بالبنج فلما عرف نفسه انه صار من خارج بلاد الاسلام ونجا من النوايب العظام فيق السلطان بعد ماغلله بالحديد فلما افاق على نفسه ووجد نفسه على رأى القايل حيث يقول

داری اساءك واظهر ما فى لطفك ونزه النفس وارح الهم عن كنفك
لو كنت مالك ختام الملك فى كمك يجرى القلم غما عن أنفى وعن أنفك

[قال الراوى] نظر السلطان إلى ذلك الحكيم فعرفه انه هو الذى أخذ إلى

بيته وأعطاه المعجون وافتكر ماقال المقدم إبراهيم أن هذا جاسوس وأتى يدبر مكرة على بلاد الاسلام والسلطان لم يقبل كلام إبراهيم فقال فى نفسه الخطأ منى أنا الذى سمعت النصيحة ولكن الأمر بيد الله يفعل مايشاء ثم التفت إلى ذلك الحكيم وقال له أنت لأى شيء فعلت هذه الفعال وأنا فى أى مكان فى هذا الوقت ورايح فى أى مكان قال يا ابن المسلمين أنا اسمى سراسق البرملى من مدينة سوردين

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك أن السلطان لما عاد من مدينة رودس وكنا قدمنا أن جوان كان قبضه شيحة ووضعه فى السجن فادركه واحد من غلمانه اسمه عبد الدير وأطلقه من الحبس فى غفلة الحرب وأحضر له البرتقش الحمارة وركبها وهرب فصار يطوف المداين ويدخل على الملوك وهم يطردونه ولم يقبلوا كلامه إلى أن دخل مدينة سورين العظمى وبها ملك يقال له البب ساطرين فدخل عليه جوان وكان البب ساطرين يسمع بجوان ولكن مااجتمع عليه ولا رآه ويتمنى أن ينظره حتى يناله من بركته فلما كان فى ذلك اليوم دخل عليه البرتقش وقال له قم يا بب قابل نايب المسيح البركة جوان فانه جاءك يضع البركة فى بلدك فقام البب اليه واستقبله وأخذ يده وأجلسه على الكرسى بجانبه وقال له أهلا وسهلا وهناه بقدومه وقال له ياأبانا من أين العزم فقال ياولدى من القمامة العتيقة القدسية وأن المسيح أمرنى أن أحث ملوك الروم على الجهاد لاقامة الدين الصحيح على شريعة المسيح حتى تبقى الدنيا كلها مسيحية والكلمة مريمية ووردت على ملوك الروم فقالوا ما نركب إلا بعد ما يركب البب ساطرين صاحب مدينة سوبرديد العظمى وها أنا أتيت اليك أطالبك بالجهاد كما أمرنى المسيح فان كنت مجاهدا فى شريعة المسيح قم اركب فى عسكرك وجاهد وإن كنت مخالفا المسيح اعلمنى حتى اخبر المسيح يمسح اسمك من سقر والوادى الأحمر .

فقال البب ساطرين يا أبانا ماأقدر أركب على المسلمين لأن ملك المسلمين بيبرس بلغنى عنه أنه رجل جبار وعنده عساكر جبابرة يفترسون الكرستيان ولم يكن لى به طاقة ولا لى على حربه استطاقة فقال جوان إذا كان خوفك من ملك المسلمين انا اقبض لك عليه وأحضره بين يديك تعمل به ما تريد فقال البب ساطرين إذا قبضت لى على بيبرس وبقى عندى أسيرا بقى انك صادق فيما تقول وأركب أنا على المسلمين آخذ بلادهم واجعلها كلها كرستيان فقال جوان أنا أقبض لك عليه ثم انه دعى بذلك الملعون سراسيق وعلمه أن يأتى الى بلاد الاسلام على صفة حكيم وأعطاه صفة السلطان وأتى كما ذكرنا وفعل ما فعل حتى أخذ الملك وسافر به كما ذكرنا ولما فيقه وسأل الملك حكى له على

تلك الحكاية فقال الملك إذا كانت هذه الحكاية حكايتك فهل لك أن تردني إلى بلادي وأنا أعطيك أمانا على نفسك ويبقى لك على جميل وتترك ما أمرك به جوان

فقال أي شيء هوهذا الكلام يقدر أحد يخالف جوان وهو عالم الملة الكرستيانه

فقال الملك الظاهر بخاطرك إن الله قادر على هلاكك وهلاك جوان معك فما تمم السلطان كلامه وإذا بغليون مقبل من ناحية بلاد اللاذقية وكان هذا الغراب المظمى وفيه قبطان الاسلام أبوبكر البطرني فلما نظر البطرني إلى ذلك الغليون وكانت العادة أن المراكب إذا نظروا إلى الغراب المظمى يقيموا بندبرة الأمان وهذاسراسق مايعلم ذلك وأيضا غره الطمع فىالغراب المظمى وظن أنه إذحاربه يبلغ منه أربه فرمى على البطرني بالمدافع فصاح البطرني يا مغاربة اكبسوا على هذا ابن الكافرة فزحف الغراب بالمغاربة ولايبالون بمدافعه وضربه البطرني بقصاصة طيرصوارية وبعدذلك شك الكلاليب فى الغليون وأراد الملعون سراسق أن يقاتل فضربه واحد منالمغاربة برأسه أسكره وأخذه أسيرا وأهلكوا باقى النصارى وقبضوا على الذى بقى باليد وأمر البطرني بضرب ركاب الكبار وحبس الصغار لأجل أن يبيعهم مماليك فلماقدموا سراسق إلى القتل ونظر إلى نفسه أنه مقتول قال له يا سيدى اعف عن قتلى وأنا أعطيك ملككم وبن المسلمين

فقال البطرني وقد انشغل قلبه بالسلطان وابن السلطان يا ابن الكافرة وحط يده على الحسام فقال فى الن. يا سيدى فنزل البطرني ونظر إلى السلطان وهو صابر على حكم العزيز الديان فتقدم اطلع الملك وقبل يده ونقله الى الغراب المظمى

فقال السلطان اوضعوا ذلك الملعون سراسق فى السجن حتى ننظر كيف تنقضى توبته وننظر هذا الملعون ساطريق ما يكون منه فرماه البطريق فى قلب مطمورة فى الغليون وعاد الى الاسكندرية والسلطان فرحان بخلاصه ووقع هذا الملعون فى يده ولماوصل الى الاسكندرية قام البيرق السلطانى وعلم الباشا بقدوم ملك الاسلام ضرب شنك وارتجت البلد لقدومه وطلع الى ديوان اسكندرية كتب بطاقة الى المصر وأرسلها الى البراج ووضعها تحت ابط طير واطلقه الى مصر

[قال الراوى] اسمع ما جرى من أمر المقدم ابراهيم بن حسن وعساكر الاسلام فانه انتظر السلطان ينزل آخر النهار فلم ينزل فأرسل الآغا ريحان يعلم السلطان بأن الدولة منتظرين عودته فغاب وعاد وقال يا أبو خليل الملك نزل من وقت الضحى

حن باب السر فلم يجده فقال ابراهيم أخذه الحكيم المعرص هيا بنا يا سعد نلحقوا السلطان وتقبضوا على الحكيم ثم انه نزل دار مصر طول الليل وعند الصباح شاع بغياب السلطان وكتب السيد الى باشة اسكندرية والعريش ومسك الطرقات أدار البحث ولكن كان الملعون نفذ بالسلطان كما ذكرنا وجرى ما جرى وما دام المقدم ابراهيم كذلك الى أن جاءت البطارقة الى مصر وعلم باظهار السلطان ووصل السلطان الى مصر وضربت المدافع لقدومه ولما وصل الى مصر وجلس على تخت قلعة الجبل وأمر باحضار الملعون سراسق وأمر بضرب رقبته .

فقال يا رين المسلمين اذا قتلتنى تخرب بلادك فان خالى البب ساطرين بعساكر لا تعد فاحذر يا رين المسلمين فانك ما أنت قدره ولا الك مقدرة على لقاء عسكره

فقال السلطان والله يا ملعون ما انا قاتلك الا اذا قطعت رأس البب ساطرين قدامك ثم امر الملك بحبسه .

تم الجزء الثانى والثلاثون ويليه الجزء الثالث والثلاثون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثالث والثلا[illegible]

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] وأما ما كان من البب ساطرين فانه أقام ينظر سراسق السراق مدة أيام حتى ضاقت حضيرته من الانتظار وابطأ عليه كشف الأخبار فشكى إلى جوان وقال ياأبانا اعلم أن الجاسوس الذى أرسلناه لم يعد ولا نعلم ماجرى له وأنا مرادى أركب على المسلمين فقال جوان اركب وخذ معك عسكرك وشد عزمك ولاتخف من المسلمين فانهم مالهم مقدرة إلا على ضرب السيف فى النصارى وأنا أمنع عنك سيوفهم فملا اربعمائة مركب كل مركب فيها ألف مقاتل وخرج من على مينة سوبردين وسافر حتى وصل إلى اللاذقية وكان دخوله لها بالليل فهجم على المينة بالبر ووضع السيف فى الذين كانوا فى المينة وقتل جماعة من العوام وملك المينة فعلم باشة اللاذقية بذلك ففتح البلد وطلع بالعسكر الذين كانوا حاضرين معه وكانوا مقدار ألف عسكرى فقتل منهم جماعة وهربوا الباقى فى الجبال والبرارى القفار وملك البب ساطرين اللاذقية وقبض على الباشا الذى كان فيها وتوابعه ووضع الجميع فى السجن واحتوى على البلد وأعطى الأمان إلى الرعية التى فيها وفرح بذلك النصر العظيم وحط فيها نائبا من طرفه ومعه أربعة آلاف عسكرى وزحف بالمركب طالبا اسكندرية حتى وصل إلى الاسكندرية فضربت عليهم المدافع واشتغل الجند بالمدافع من البر والبحر وجاوبت مراكب الكفار وضربوا بالمدافع من البحار وأقامت الاسكندرية فى الحصار فكتب الامير محمد فارس كتابا وأرسله إلى مصر على جناح طير فلما وصل الكتاب أخذ البراج الطير وطلع به إلى السلطان وأعلمه أن هذا كتاب قدم من الاسكندرية فاخذه الملك وقراه وإذا فيه من حضرة الاصغر والمحب الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب باشة الاسكندرية إلى ابن أيادى أمير المؤمنين اعلم أن يوم تاريخه مقيمون والبحر هاج وماج وانكشف عن مراكب بكثرة وحاصرونا فى البلد وهانحن تحت حصار البحر وكل محصور مأخوذ ادركنا

يا ملك الاسلام بسيفك المسنون وجوادك الميمون وأمرك المكنون فانا فى ريبه المنون أدركنا أو ارسل الينا من يدركنا الامر امرك أطال الله فى عمرك والسلام على نبى ظللت على رأسه الغمام فلما قرأ السلطان الكتاب أمر العساكر بأخذ الاهبة للرحيل وبرز بالعرضى وسافر إلى اسكندرية فلما وصل طلع اليه الأمير محمد فارس ومشى فى خدمة ركابه وانتصب العرضى وجلس السلطان وقال قصدى اكتب لذلك الملعون كتابا وانظر ما يكون جواب ذلك الكافر فقال الوزير يا ملك الاسلام إذا كتبت له مائة كتاب فما يرى جوان إلا الحرب وهو فى البحر وتحز فى البر والحمد لله الذى وعدنا بالنصر فقال السلطان صدقت يا وزير فما تم كلامه وإذا بالقبطان أبو بكر البطرنى مقبل فقبل الأرض قدام السلطان وقال يا مولانا ارسل عساكر الاسلام تمسك دايرة البحر ولم يمكنوا أحدا من الكفار من طلوع البر مطلقا حتى انى اشتغل فى غلاينهم بباب الغرق فان هذا جيش جسيم فقال السلطان نادى يا سعد فى جميع العساكر تملك البر ولا يتركوا جنس نصرانى يطلع من البحر مطلقا فنادى سعد كما أمره الملك الظاهر فاحتاطت العساكر بالبحر من جهة الاسكندرية فمن اغاظه الملعون البيب ساطرين أمر الطوبجية الذين فى المراكب أن يضربوا نار من المدافع على البر فأمر السلطان أن يضربوهم بالمدافع وطال الجنك بينهم أول يوم ولما أمسى المساء كان القبطان أبو بكر البطرنى مستحضر أخذ عدته ونزل فى البحر ليلا وسار يأتى تحت غليون الكفار ويضع الملوينة فى جانب المركب ويخلع منها لوحا فما يفيق النصارى إلا والماء فاير من وسط الغليون فتدور بهم المركب ويغرقوا جميعا ثم يمضى إلى غيرها وهكذا مركب بعد مركب فما تم ليلته حتى غرق خمسون مركبا فاصبح النصارى يجدوا الخمسين غليونا بلعهم البحر فظنوا أنهم تأخروا خلفهم خوفا من المسلمين فثبتوا إلى ثانى ليلة كذلك فعل بهم ابو بكر مثل مافعل أول ليلة وغرق لهم خمسين غليونا وهكذا ست ليال غرق فيها ثلاثمائة غليون وفى الليلة السادسة غرق فيها غليون البب ساطرين وأصبح النصارى فى سابع يوم لم يجدوا مركب البب ساطرين فارادوا الهروب فاحتاطت بهم عمارة الاسلام وأخذوهم بالكتف وقطعوا رؤوسهم واحتوى ابو بكر البطرنى على مائة غليون وقبضوا على جوان والبرتقش وقدموهم قدام السلطان

فقال ايش رأيت يا جوان من أعمالك الذى تفعلها ولا ينوبك إلا التعس والنكس أما كفاك أن تقع بما ينوبك من الخزى الذى ينوبك فى الدنيا قبل الآخرة

فقال ياملك المسلمين جوان ماحصل لك منه خسارة بل يحصل لكم من رأيه أموال

تكتسبونها وغنايم تقتسمونها وبلاد تفتحونها وجوارن عندكم دائما مقدوم ولا تعرفوا له جميل فما تم كلامه حتى قام من وسط الجميع رجل وقال يا جوارن جميلك مقبول ونحن نعطيك على كل حال الاجرة التى أنت معتاد بها وأنا صاحبك شيحة ثم انه تقدم اليه وقلعه ثيابه ومال بالسوط على بدنه حتى مزق جلده وامر السلطان بحبسه وفرق الغنايم على عسكر الاسلام بعد ما اطلع قسما لبيت مال المسلمين وامر العساكر بالرحيل إلى مصر فلما وصل امر باحضار سراسق وضرب رقبته ونادى بالامان واقام السلطان على تخت مصر يتعاطى الاحكام بالعدل والانصاف كما أمر النبي جدالاشراف واعجب ما وقع واغرب ما اتفق أن المقدم عباس ابو الدوايب له ولد يسمى المقدم شرف الدين وكان غائبا فى الحجج فى بلاد النصارى حتى ثقل ظهره بالمال فلما شكت رجاله الغربة عاد إلى القلاع والحصون ودخل إلى قلعة وسأل رجاله عنه فقالوا له إن اباك مقيم فى قلعة كفردى فقال لهم ما هو سلطان على القلاع فقالوا له سلطنة القلاع ما هى قاضية لك ولا لابيك فان سلطان القلاعين ما لك سلطنته وحاكم عليها واسمه المقدم جمال الدين شيحة ثم انهم حكوا له صفة شيحة وحيله فقال لهم وابى طاعه وما شىء تحت امره فقال المقدم شرف الدين يا رجل أنا والله ما اطيع كل من كان فى الدنيا ملك ولم ارضى لنفسى أن اكون تبعا لمخلوق ابدا وإن كان أبى طايعا شيحة فما هو أبى ولا أنا ولده واما شيحة فانه معزول ثم انه ركب حجرته وسار إلى قلعة كفردى ودخل على ابيه ففرح به عند قدومه وسلم عليه وعمل وليمه لقدومه فقال له يا ابى أنا بلغنى عنك انك طايع واحد اسمه شيحة فان كان هذا القول صحيحا فانا والله يا أبى ما ارضى لك أن تدخل تحت طاعة أحد فقال المقدم عباس ياولدى اعلم أن من اطاع الله له كل شىء وهذا شيحة ياولدى رجل مؤمن صالح مجاهد وفيه مروءة زائدة وله اقتدار على الرجال لم يقدر أحد يعانده الاوروبه انواع العذاب فطاوعنى يا ولدى واطعه وكن من رجاله فان العاقل الذى يعتبر بغيره فقال المقدم شرف الدين والله ما اطيع أحدا ولو تلفت مهجتى على يد المعاند فقال المقدم عباس يامقدم شرف الدين أنت ولدى واذا كنت مقيما عندى على غير طاعة شيحة فلا بد له أن يحرك عليك بباب الاذية ومن ذلك فما يهون على ياولدى ولا اقدر اخالف ما بينى وبينه فانى حلفت له أن اكون عدوا لمن يعاديه وصديقا لمن يصادقه ولا بقى يصح أن اكون منافقا فان كنت يا ولدى ترضى مثل ابيك فما نحن سواء وإن كان مرادك العصى فانا ما اطاوعك على العصيان إما أن ترحل عنى وتعصى شيحة وحدك ولانا يا ولدى

أقرت لك القلعة وتم أنت فيها فقال المقدم شرف الدين لا ترحل أنت ولا أنا بل تقيموا سواء وأنا لأجل خاطرك ما اخالف شيحة ولا اعصى عليه فاطمأن المقدم عباس بكلام ولده وسكت فلما جاء الليل قام المقدم شرف الدين لما نام أبوه بنجه وحطه فى جدان وأخذه وطلع به فى الليل وسار إلى قلعة العمرة ودخل على المقدم سليمان الجاموس بعدما حط اباه فى مغارة وسد عليه بالأحجار فلما دخل على المقدم سليمان الجاموس سلم عليه فقال له المقدم شرف الدين يا خوند أنا جئت من بلاد النصارى ومعى بنت أسلمت على يدى وأريد أعمل فرحا وأتزوج بها ومرادى منك ياخوند أن تجمع الرجال وتأتى إلى قلعتى تحضروا فرحى وتجابرونى فقال المقدم سليمان الجاموس وهو كذلك روح إلى قلعتك ونحن نلحقك فسار إلى قلعته ووضع أباه فى السجن وفى ثالث يوم قدمت الرجال فاستقبلهم فلما دخلوا القلعة وضع لهم الطعام وفيه البنج فبنجهم ووضع الجميع فى الحديد وأدخلهم فى سجن القلعة وتركهم وقفل عليهم الباب وطلع وقال هذه الرجال قبضت عليهم لا بقيت أطلقهم إلا إذا طاعونى وعصوا على شيحة وإلا ضربت رقابهم وطلع على باب القلعة وهو يقول فى نفسه ان وقع شيحة قتلته وأخذت السلطنة أنا لنفسى وركب حجرته وطلع قاصدا السفر يدور على شيحة فلما أبعد عن قلعته فالتقى بتبيع من أتباعه يقال له زايد سهل فلما رآه صاح عليه وقال له تعال يا مقدم زايد أين قاصد فقال اليك ياخوند لأنك سافرت إلى قلعتك وأنا تركتنى فى الحج ولا سألت عنى فاعترانى المرض وقعدت مدة أيام فلما شفيت أتيت قاصدك فقال له يا زايد هل لك معرفة بالرجل الذى يقال عنه اسمه شيحة فان مرادى أقبض عليه وأقتله وأتولى السلطنة من بعده فقال زايد يا خوند والاسم الأعظم انا ما رأيت شيحة قط وإنما سمعت سيرته من الناس وأنت لابد لك ما تلتقيه فى مصر وتشوفه فامض إلى قلعتك وهو لابد له أن يأتى اليك ويطلبك للاطاعة فاذا جاء اقبض عليه وافعل به ما تشاء فقال له صدقت يازايد وعاد الفداوى إلى قلعته وزايد فى صحبته فلما وصل إلى قلعته قعد على فراشه وطلب الطعام فوقف زايد فى خدمته حتى طلب يشرب فاسقاه فاشتغل النوم فى أجفانه فنام وكان هذا زايد هو المقدم جمال الدين شيحة فلما نام قام اليه وغطاه وطلع إلى رجاله وقال ان المقدم شرف الدين يقول هاتوا الرجال المحبوسين حتى يعرض عليهم الاطاعة فقالوا له خذهم من السجن هاهم قدامك فسار إلى محل الحبس وأطلق الرجال وكانوا ثمانين مقدام أولهم سليمان الجاموس وآخرهم سعد الدين الرصافى فلما أطلقهم أعطاهم سلاحهم وخيلهم وقال للمقدم عباس أبو الدايب خذ ولدك وسافر مع الرجال إلى مصر وقدم

وقدك الى السلطان لعل الله تعالى ان يهديه الى الطاعة فقال سمعا وطاعة وقال شيحة الى الرجال روحوا الى مصر واسلموا السلطان بافعال هذا الفداوى وها أنا قدامكم فساروا حتى وصلوا الى مصر فقال المقدم شرف الدين يا أبى والاسم الاعظم ان ادخلنى قدام الظاهر مكتف لم أطلع شيحة وان خلصت بعدما من يدكم واوانوست بك اقالك والاأقتل نفسى فقال المقدم عباس يا ولدى انا أدخلك قدام السلطان من غير كتاف ولكن ان حصل منك قلة ادب قدام السلطان ربما يقتلك فقال انا ما أفعل قلة أدب فشاء بغير كتاف ولكنه من غير سلاح فلما بقى قدام السلطان قال ابراهيم قبل الارض فلم يقبل الارض شرف الدين فكان المقدم جمال الدين واقفا جنب السلطان فقال له يامقدم عباس لاى شىء أطلقته فقال عباس أنا أطلقته وأنت كتفه ثانيا ثم تقدم اليه وكتفه قهرا عنه فقال السلطان انزلوه الى الحبس وكل من الرجال يروح الى محله فالتفت شيحة الى المقدم شرف الدين وقال له ياشرف الدين اذا لم تطلع والا أسلخك فقال فشرت والله ما اطيع مثلك أبدا ولو عدمت مهجتى ومت من ساعتى فقال السلطان احبسوه ونحن نطاوله لاجل خاطر أبيه فوضعوه فى السجن فلما جن الليل لعب المقدم شرف الدين فى الحديد حتى كسره بقوته وشطارته وخلص نفسه وقلع عقب باب العرقانة بعد تقب شديد واراد الطلوع فاستيقظ السجان فقام وولع السراج فحس الفداوى بقيام السجان فرأى مفتاحا كبيرا كانه داق فأخذه فى يده وكان هذا مفتاح السجن

فلما عاد السجان ضربه بذلك المفتاح فرماه وكتفه وادخله فى السجن وقفل عليه وطلع فنزل على اصطبل الخيل وأخذ له حصانا ركبه وطلب البر من باب الجبل وكان طلوعه آخر الليل فما أصبح الا وهو بعيد من مصر فسار يكمن بالنهار ويسير بالليل حتى وصل الى قلعته هذا ما جرى للمقدم شرف الدين

وأما شيحه فانه جاء عند الصباح وطلب شرف الدين ليعرض عليه الاطاعة او يعاقبه فدخل المرسل ولقى السجان ميتا وساوشرف الدين هرب فعاد الى شيحة وأعلمه فقال انا ورائه ولو وصل الى سد اسكندرية وسار شيحة حتى وصل الى قلعة شرف الدين فدخلها قبل ان يصل شرف الدين متربيا زى تابع فى القلعة بين الاتباع حتى وصل المقدم شرف الدين وتميز الرجال وهو داخل فعرف المقدم جمال الدين شيحة جيد المعرفة وكان بيده منديل فمشى بالحجرة حتى بقى بجانبه ورمى المنديل الى الارض وقال له هات المنديل ياشيخ او طاشيحة ليأخذ المنديل

فضربه الفداوى كفاه على وجهه ونزل عليه كتفه وهو ساكت وقال له لا تقول إنى ظالم ولا معتدى عليك بالاسم الاعظم ما أنت شيحة فقال له نعم أنا شيحة فسقطه على ظهر حجرة وركب من وقته وساعته قاصدا إلى الحصون الجوانية ومازال سائر حتى وصل إلى قلعة طاهس الحجر وبها فداوى يقال له المقدم شاكر فدخل عليه شرف الدين وأخبره بأنه قبض على شيحة القصير ومرادى أصلبه هنا على قلعتك .

فقال المقدم شاكر يا أخى اما صلبه فلا يمكن صلبه إلا إذا كنا نطالب ائط درمعه فانه لم يسكت عنا و نا لم أرض بخرابها المعتق على شاز قصير مثل هذا وأما إن كان تعذيبه دونك وإياه فقام شرف الدين ربط شيحة على العامود وضربه حتى غشى عليه ووضعه فى السجن وكتب وكتابا إلى المقدم عاصى بن بحر الرقى يقول فيه اننا قبضنا على شيحة فالمراد منك أنك تجمع أهل دايرتك وتحضر حتى نصلبه بين يديك فسار النجاب وفى طلوعه من باب القلعة التى به تابع .قبل وصادفه فى الطريق فسلموا على بعضهم وحكى النجاب على الرسالة الذى هو سائر بها فكان التبع المقدم محمد السابق والنجاب المقدم نورد فعرفوا بعضهما وعادوا ليلا إلى القلعة خلصوا شيحة وقبضوا الاثنين وفكوا المقدم جمال الدين وكتب تذكرة يقول فيها إلى سكان هذه القلعة اعلموا أنى أخذت مقدمكم وسائر به إلى الملك الظاهر فى مصر فكل من تحرك أو عصى سلخته مثل الادرعية بل تلزموا أدبكم حتى يعود لكم مقدمكم وسافر المقدم جمال الدين شيحة وأولاد معه والفداوية الاثنين معارضين على خيولهم بالعرض وشيحة يسلك بهم طرقات الجن لا يهتدى اليها حتى وصل إلى مصر وتقدم بهم قدام السلطان فقفز شيحة إلى قاعة التبديل وغير فى صفة جزار حله وركب على أكتاف شرف الدين وطرف الكشافية على المستجد فظرت مرار فقال شرف الدين اى شىء تريد أن تفعل بى يا شيحة فقال أطير جلدك فقال يجوز لك سلخ المؤمن الشريف فقال شريف ولكن فعلك ذميم يستقبح أن يفعله القبط فما لك عندى دواء إلا سلخك وإلا لا طاعة والاسم الاعظم لم يخلصك من السلخ إلا إذا أطعت وأما بعد هذه الساعة لم أ ف عنك أبدا فقال المقدم شاكر ياحاج شيحة أنا دخيل حريمك لا تسلخنى انا اقول هى طاعة الخوند اليك حتى تقوم الجبال فى ماء البحار عدو لمن تعادى صديق لمن تصادق والاسم الاعظم فعندها اطاعه شيحة وأما شرف الدين قال لابيه المقدم عباس يا أبى اما تقدر أن تخلصنى من شيحة فقال يا ولدى لو كنت أقدر على شىء كنت خلصت نفسى ولا كنت أطيع أنا فعندها طاع المقدم شرف الدين أبو الدرايب وكتب اسمه شيحة على شواكر الاثنين وقيد اسماءهم فى دفتر الفداوية هذا ما جرى

[ياسادة] اسمع ماجرى من أمر الملك عرنوس فانه كان جالسا وإذا بتبع من أتباع المقدم موسى ابن حسن القصاص بات ليلة وأراد المسير فأتى إلى الملك عرنوس [وقال له يادولتلى ان المصروف خلص منى وأريد منك أن تعطيني جانب مال أستعين به على خدمتى فان لم تعطنى ملك الرواح إلى قلعتى فقال له عرنوس مرحبا بك وأعطاه ما يكفيه وسأله عالتى فى غيبته هذه فقال يادولتلى عبرت على قلاع الملخا فرأيتهم أربع قلاع وفى كل قلعة قصر وتحت كل قصر منضرة والملوك الذين بهم البب ساطرين والبب مردين والحكيمة شواهى والكهينة دواهى هؤلاء الاربعة هم حكام القلاع وأما القصور ففيهم أربع مناضر كل قصر منضرة وفى كل منضرة بنت لم يكن تحت قبة السماء أجمل منها أحدهم ورد المسيح والثلاثة يا ملك من أمثالها فلما سمع الملك عرنوس ذلك الكلام فقال له والقصور لهم طرق على بعضهم فقال نعم يا دولتلى من تحت الأرض لهم طرقا نافذة وتحت القصر الأول بستان فيه منضرة تحفة الناظر فلما سمع عرنوس ذلك أنعم على التبع وصرفه من عنده بسلام وصبر إلى الليل وركب بعد ما وكل عمه اسماعيل أبو السباع على مدينة الرخام [وسافر يقطع الأرض مدة أيام حتى وصل إلى قلاع الملخا فرأى بستانا يزايد الوصف فدخل فى ذلك البستان فرأى منضرة أربع حيطانها من البلور الصافى وفيها سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج فتعجب عرنوس من تلك المنضرة فنزل عن جواده وتركه يلوج فى لجامه وقعد ليأخذ الراحة فادركه النوم فلما أفاق إلا ويجد نفسه فى الحديد قدام الملك ساطرين ومردين وشراهى وأختهم الكاهنة دواهى [قال الراوى] وكان السبب فى ذلك أن الكاهنة شواهى وأختها دواهى فانهم ضربوا تخت رمل فرأوا أن الملك عرنوس إذا دخل إلى بلادهم يقتلهم ويخرب بلادهم فاستخرجت صورته وشكله ووصفه واعطته إلى خولى ذلك البستان وقالت له إذا رأيت أحدا أتاك بهذه الصفة فاقبض عليه وكان الأمر كذلك فلما حضر الملك عرنوس ونظره صبر عليه حتى نام وراح إلى الملك ساطرين وأخبره فأتى اليه وهو نائم بنجه وأخذه إلى ديوانه وقال له أى شىء جاء بك إلى بلادنا يا هوبابرو عرنوس انت قصدك أن تخرب بلادنا وتنهب أموالنا وتسبى عيالنا فقال عرنوس يا ملعون أنا لا حاربتك ولا قاتلتك ولا عاديتك ولكن ان شاء الله تعالى يكون قطع رأسك على يدى قريب فقال له لما أقتلك قبل أن تقتلنى فقال عرنوس تقدر تأخذ منى عجم دم فان ورائى الملك الظاهر وحمى المقدم جمال الدين شيحة وعصبة الاسلام فقال ساطرين ودينى ما أقتلك إلا معهم ثم انه وضعه وأقام ينتظر ما يكون معهم ملوك الاسلام

[قال الراوی] وأما الملك عرنوس فانزلوه فی طابق تحت القصر وأقام الملك عرنوس إلى الليل وإذا بباب الطابق انشال ودخلت بنت من بنات الافرنج هی تتخطى وتلتفت خلفها ولكن يحتار الواصف فی وصفها ولما جاءت إلى عرنوس فكتفه واخذته وطلعت به إلى قصرها فقالت له أنت الديابرو عرنوس فقال لها نعم فقالت له ياسيدی أتانی هذه الليلة نائمة فاتانی هاتف وقال لی قومی ياورد المسيح خلصی ابنی فی حبس أبيك فانه زوجك وها أنا أتيتك تتزوج بی فقال عرنوس إذا أردت ذلك اسلمی أولا فقالت علمنی فعلمها وأسلمت على يديه وأمرها ودخل فی تلك الليلة عليها وزال بكارتها وعند الصباح انزلته إلى مكانه فاقام طول النهار وبالليل أحضرته إلى قصرها وبقی على ذلك يقع له كلام أما ما كان من البب مرين أخو البب ساطرين فانه كان له ولد اسمه مروين

فقال الولد لابيه ياأبانا أريد أن أتزوج بنت عمی وردالمسيح فقال له على الراس والعين هذا ما جرى [قال الراوی] اسمع ماجرى وأغرب ما اتفق وهو أن البب ساطرين عند ما سمع كلامه قام وعبأ صندوقين من الذهب وحمل زردخان وحمل أقمشة حرير وبالغ فی هدية تساوی خراج الجزاير سنة وكتب كتابا وأرسل الكتاب والهدية إلى أخيه مرين فسار النجاب بالكتاب حتى دخل إلى ساطرين فالتقاه بخطابة بنته لابن أخيه مروين فقال للنجاب أنا ما كنت تاركها على اسمی أنا ولكن اسألها ان رضيت بابن عمها زوجته بها وان ما رضيت به أنا احق بها ثم انه قام ودخل على بنته وردالمسيح واعلمها بابن عمها فقالت له انت وعدتنی انك تتزوجنی انت لما اكبر ولا شیء خالفت كانی ما اعجبتك حتى اردت ان ترسلنی لابن عمی فانا ابن عمی ما اقبله وان كنت اعجبك المال والهدية خذ المال واقتل النجاب إذا كان اخوك طلبنی لابنه فما هو احسن منك حتى يأخذنی منك فقال لها صدقت ثم انه احضر النجاب واخذ منه ما صحبه من المال وهديته وضرب عنقه ورقبة رفقته وخلى منهم واحدا فكتب له كتابا يقول فيه إلى اخی مرين ان بنتی جعلتها لنفسی ولم يمكن ان ازوجها لاحد ومن محبتی فيها ما هان على انك تخطبها قتلت الخاطب ومن كان معه فان كنت تسامحنی وتترك بنتی لنفسی يبقى خيرك على وان تحاربنی احاربك والمسيح ينصر من يشاء فلما قرا الكتاب التفت إلى بطريق البطارقة وقال كيف ترى فی هذه العبارة فقال ياأبب إذا أردت ان تخاصم اخاك يبقى عليك العتاب عند جميع الملوك والرأی عندی انك تترك أخاك ولا تعاديه ولا تخاصمه فانه أخوك على كل حال فقال له صدقت والتفت إلى ولده وقال له

لا تحرك ساكن يا ولدي ولا توقع فتنة بيني وبين عمك فقال هذا لا يمكن السكات فيه ولا بدلي من اخذ بنت عمي ولا افتر عنها أبدا

[قال الراوي] وكان عنده سراق ماهر يقال له المقدم مرتين فحكى له على ما جرى فقال لا تخف من عمك ولا من أبيك فانا آتيك بالبنت غصبا بالحرب والقتال احضر العساكر وانا أسير معك فأخذ العساكر واخذ مرتين في صحبته وسار وحط على قلعة ساطرين . فلما نظر ساطرين الى ذلك دخل على بنته وقال لها كيف العمل فقالت له ان اردت هلاكهم انا اقول لك وهو انك تطلق الملك عرنوس الذي عندك محبوس. وتأمره ان يحاربهم فانه يكسره وحده فعند ذلك ادعى بالملك عرنوس الى بين يديه وطلب منه قتال ابن اخيه فقال عرنوس لا تخف من شيء فأنا ارد هذه العساكر عنك ولكن حضر لي حصاني فحضره له وركب الملك عرنوس وطلع وقال يا ابي ساطرين كن انت خلف ظهري ويكون من ورائك الف بطريق وانظر ما افعل باعدائك وكان الامر كذلك فركب الملك عرنوس وصاح في جيش الكفار وما دام يدعس فيهم الى آخر النهار وقتل منهم مقتلة عظيمة وزاحمهم عن البلد بقوة وعزيمة وما اتى آخر النهار حتى ركبوا الكفار الى الهزيمة فثبتهم الولد وقال لهم اصبروا الى الليلة الآتية ثم انه التفت للسراق وقال له يا مرتين انا مرادي منك انك تأتيني بعرنوس فقال له يا ابي ان القصر حيطانه عالية لم تطل بالسلالم فقال له انت وعدتني انك تنصرني فكيف عجزت لما بقت معي في الحرب دبر لي حيلة حتى ابلغ بها مرادي فقال له مليح ثم ان مرتين وقف بجانب الباب حتى امسى المساء وامر مروين ان يطاول في القتال الى الظلام وعاد عرنوس فالتقاه السراق ومشى في ركابه وعرنوس يظن انه من جماعة ساطرين حتى ان الملك عرنوس وصل الى باب البلد فتقدم له مرتين السراق وبيده مشموما صنعها من البنج ففاحت رائحتها فانكفى على الجواد فامسك عليه واخذه والدنيا ظلمة ولم يلتفت احد الى احد وعاد به الى سيده مروين فوضعه في الحديد ووكل عليه الف بطريق يحفظونه لئلا ينفلت من السجن وشال بعسكره وحط البلد فنظر ساطرين الى ذلك فدق يدا على يد وقام دخل على بنته وقال لها ان ديابرو عرنوس اخذه ابن عمك اسيرا وها هو حط على قلعتي ومراده يأسرني او يأخذك مني غصبا فقالت له يا ابي اعلم ان عرنوس ما كان يغلب النصارى الا بملبوسه الذي يلبسه وها هي عندي ملابس مثل ملابسه البسها انت واركب على حصانك وانزل على عساكر ابن اخيك ونادي الله اكبر بالدين الديابرو وعرنوس فان عسكر ابن اخيك يخافوا منك فامتثل

كلام مثله ولبس ملابس اسلام وأمر عساكره فعلوا مثله ولبسوا مثل المسلمين فلما حملوا تصور الكفار عنه حملة ساطرين وعسكره انهم اسلام فلم يثبتوا ودام القتال إلى آخر النهار فقتل من عسكره وبن خلقا كثيرا ووقعت هيبة ساطرين في قلوبهم مثل الملك عرنوس واكثر وعاد آخر النهار وهو منصور فقال ابنته أما يا ورد المسيح ابن اخي عسكره اهلكنا منهم في هذا اليوم جيشا لا يعد ولا يحصى فقالت له وبكرة قل في الحرب الله اكبر والله تكسر الباقين فقال لها صدقت المسلمون مايكسروا الكرستيان الا بهذه الكلمة ولما كان ثاني الايام نزل وتبعته عساكره وصاحوا جميعا الله اكبر فظن الاعداء أن هذا الملك الظاهر والذين معه كانهم الامراء والفداوية وما فرغ النهار حتى اهلكوا نصف الاعداء وعاد فرحان مسرورا فحكى لابنته فقالت له اعلم يا أبي أن المسلمين على الحق وإن دينهم قويم فاعرض على عسكرك الاسلام أن رضوا بالاسلام فانه يكون سبقت لهم ولك السعادة فان دين الاسلام دائما منصور واما دين النصارى دائما مقهور فقال البب ساطرين صدقت واهدى الله قلبه للاسلام واما كبراء دولته فانهم اجتمعوا على بعض في خباب البب ساطرين وقالوا لبعضهم نحن لما نادينا وقلنا الله اكبر غلبنا أعداءنا فكيف لو كنا مسلمين وكشف الله تعالى حجاب الغفلة عن قلوبهم وما فرغ النهار الا وجميع العساكر انتقلوا من الكفر إلى الاسلام باذن الملك العلام واعتمدوا جميعا على غزو الكفرة اللئام ورسخ الايمان في قلوبهم واجتهدوا في الجهاد لرب العباد [قال الراوى] وأما الملك عرنوس فانه مقيم في قلعة مرين وعليه الحفظ كما ذكرنا وإذا بواحد فداوى قلع باب الحبس ودخل عليه ويده على قبضة شاكريته كانها صاعقة فقال له أنت عرنوس ابن المقدم معروف بن جمر قال عرنوس أنا يا مقدم بذاتي أى شيء تريد مني فقال له وكيف أنت قاعد بالحياة وسلطنة ابيك تاركها لرجل قصير مقصر مثل شيحة الذى تذكره الرجال فقال عرنوس يا مقدم وأنت ما يقال لك من الفداوية فقال أنا من بنى الادرع واسمى عمر الحصون وما أنت يادولتلى في هذا المكان محبوس وأنا لما حضرت إلى قلعتى وسألت عن السلطنة فاعلموني الرجال بشيحة وبك فطلعت أدور على شيحة فسمعت بك انك محبوس في هذا المكان فاتيت اليك وتكون أنت سلطان على ابيك وأنا اكون باش كواخى الحصون وتقتل شيحة فقال له الملك عرنوس كذلك والله العظيم إن تسلطنت أنا على القلاع والحصون فانت تكون باش كواخى الحصون ويكون لك الثلث في ايراد القلاع والحصون فقال اكتب لى تذكرة فكتب له عرنوس تذكرة فاخذها واطلق الملك عرنوس وذهبوا

جميع من كان غنيرا تلك الليلة ولا طلع النهار الا والدنيا كلها رمم وذبائح مثل البطائح وتودع الفداوى شر الحصون وفرح بتذكرة الملك عرنوس وسار الى قلعته ليورى رجاله انه بقى باش كواخى الحصون يقع له كلام اما ما كان من الملك عرنوس فانه سار عند الفجر وصار الى باب البلد فالتقى الملك ساطرين واقفا يصف عسكره ويرتب الرجال ويحثهم على القتال فاقبل الملك عرنوس وقال له أحسنت يا ملك ونعم ما فعلته فلما رآه ساطرين فرح به غاية الفرح واخذه وأدخله عند بنته وأعلمه باسلامه هو وعسكره ففرح الملك عرنوس وقال يا ملك سبقت لكم السعادة ثم انه صنع لهم بيرق وكتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين فركب الملك عرنوس وبرز الى الميدان وقال يا ملك ساطرين اقف أنت تحت البيرق ونزل الملك عرنوس الى الميدان وقال يا كلاب الكفار ها أنا الملك عرنوس الذي أخذت ورد المسيح وصارت زوجتي فالذي يريد أخذها ينزل يقتلني وبعد قتلي يأخذها فلما سمع مروين البب مربن هذا الكلام خرج من تحت الشنيار وهجم على الملك عرنوس واراد ان يحاربه فما خلاه الملك عرنوس يدار حتى ضربه بقاسم الحديد فى وسط جبهته فشقه الى احد صرته فصاحت جميع عسكره واما مرتين فانه قمزه الى عرنوس وقال يا كناس تقتل ابن البب ولا تعلم انى اريد منك اليوم اخلص كلما فعلته فى أبناء الكرسقيان فقال له الملك عرنوس وأنا أيضا مرادى اخلص منك ما فعلت معى لما احتلت على وبنجتنى وعدت الى ابن البب تقول له أنا قبضت على الديابرو عرنوس فاجتهد بقى فى هذا اليوم حتى أملك تشرب من يدى شربة ترويك ان كنت عطشان والبسك من دمك حلة حمرة بلون الارجوان وقام الملك عرنوس فى ركابه وضع يده على الدبوس وضربه فى وسط رأسه فطبق الخودة على رأسه وكبس الرأس بين الاكتاف وضربه ثانيا على أضلاعه فاهلكه وقطع ودعس فى الكفار وتبعوه الاسلام الابرار ومادام كذلك حتى اهلك الكفار والذى له عمر طلب الحرب والفرار وفرقوا فى البرارى والقفار وعاد الملك عرنوس الى البلد وأمر ما تركه الكفار من خيل وسلاح وملابس وذخرة وخيام فجمعوه ودخلوا به الى قلعة ساطرين وكان لهم فرحة لم يبق أحسن منها وأشد الافراح عند ورد المسيح وأعلمت أبوها انها أسلمت وتزوجت بالملك عرنوس فقال يا بنتى نعم ما فعلتيه فصار الملك عرنوس يعلمهم الصلاة والعبادة

[قال الراوى] وأما الذين انهزموا فانهم راحوا الى البب مارين وأعلموه أن ابنه قتله الديابرو عرنوس فزادت حسرته وتوقدت النار فى مهجته وركب فى باقى

عساكره وسار حتى وصل إلى قلعة أخيه فرأى جمع العساكر الذين لأخيه لابسين
ملابس الاسلام فزادت نيرانه اضطرام لحمل على الاسلام وطلب الحرب والصدام
وكان الملك ساطرين حاسبا هذا الحساب وعارفا أن أخاه لم يسكت عن ولده ولابد له
أن يحاربه فكان مستيقظا لقدومه فلما حضر وقع القتال إلى نصف النهار هذا والملك
عرنوس صار يخترق الصفوف ويلوح الصحوف حتى التقى بمرين وطبق دليه وما كانت
إلا ساعة حتى ضربه بقاصم الحديد فالتقاه بالترس فانفلق الترس نصفين ووقع على يده
قطعها من الحلقة فمن كيده اطبق على عرنوس وضربه بالحسام بشماله فزاغ الملك عرنوس
عن الضربة وتقدم اليه ومسكه من خناقه وجذبه فاقتلعه من سرجه وسلمه إلى أخيه
ساطرين ومال على عساكره كل الميل وكالهم كيلا وأى كيل وانزل فيهم الحرب والويل
فما وجدوا لهم طاقة فولوا الادبار وركنوا إلى الهروب والفرار فجمع عرنوس الخيل
الشاردة وامرهم بجمع ماخلفوه الكفار واحضر مرين واراد أن يقطع رقبته فقال
يا ملك عرنوس أى شيء ينوبك من قتلى أنا اشترى روحى منك بخزنة من المال
وأرتب لك على خزنة فى كل عام احملها لك إلى مدينة الرخام وأكون من معاتيق
وامين خورك فأمره الملك عرنوس أن يكتب على نفسه الخزنة ويرتب عليه الخزنة
فى كل عام واطلقه الملك عرنوس برح إلى قلعته وسار إلى حال سبيله وعاد الملك
عرنوس ودخل على زوجته الملكة ورد المسيح فقامت له واستقبلته وفرحت بقدومه
اليها سالم ووضعت له الطعام وبعد الطعام قدمت المدام وتحدثت معه بطيب الكلام
فقال الملك عرنوس يا ورد المسيح أما انت فانك حويت من كل معنى طرب وبقيت
جميلة ولاجل لك الأصلى والثانى جمال الدين والاسلام فقالت له والله ياسيدى ماحصل لى
الاسلام إلا ببركتك وأنا أريد أن تكونوا عذرة المسيح بنت عمى عن يمينك وأنا
اكون على يسارك فانها والله يا سيدى أجمل منى بطلعات وهى زائدة فى كل الصفات
وهى بنت مرين الذى كان فى أسرك وقد اطلقته بالمال فقال عرنوس ما اريد مال ولا
اريد منه إلا بنته وان لم يرسلها إلى قطعت راسه واخمدت نفاسه فكتب الملك عرنوس
كتابا يقول فيه الذى نعلم به البب مرين ملك قلعة المليحة انت وعدتنى ان اطلقت من
الاسر وبعد ذلك يترتب عليك الخراج سنوى فانا اسامحك من جميع ذلك ولا اريد
منك إلا ابنتك عذرة المسيح كما اخذت بنت اخيك ورد المسيح فان رضيت بذلك
يبقى فضلا منك وإن تأخرت فما عليك عتاب لانه كل من كان يحكم على نفسه وهاانا
اعلمتك والسلام وارسل الكتاب مع نجاب وأخذ النجاب الكتاب وسار به إلى قلعة

مرين فأعطاه الكتاب فلما قرأه دخل على بنته وقال لها يا بنتي الديابرو عرنوس لما أسرني اشتريت روحي منه بالمال وأطلقني ولما أتيت إلى هنا أرسل إلي يقول ماقصيدته مال وإنما قصدته أن يأخذك انت وكيف العمل فقالت له الديابرو إن حاربته يغلبك ويقتلك وإنما انعم له بما طلب وقل له يكون فرحها عندي في قلعتي فاذا جاء إلى قلعتنا قبضت أنا عليه وقتلته وتقتل انت أخاك معه الذي باع دينه وصبا إلى دين المسلمين من خوف الموت فقال لها صدقت ثم انه كتب رد الجواب للملك عرنوس بالرضى أن يكون دخولك بها عندي في قلعتي ففرح الملك عرنوس وأجلس الوزير في بلد ساطرين وأخذ معه ساطرين وأكابر العسكر وأخذ هدية وسافر إلى قلعة مرين فطلع اليه واستقبله وأظهر له الفرح وكال له اكليل بنته وصنع لهم السماطات فأكلوا وشربوا والدوا وطر وا إلى ليلة الدخلة دخل الملك عرنوس على عذرة المسيح فرآها ذات حسن وجمال فقامت اليه وقبلت يده وأحضرت الطعام والشراب ووضعته بينها وبينه ولاعبته وسايرته وملأت الكاس وأسقته وكان الكاس مبنج فرقد الملك عرنوس وبعد ذلك أخذت الشربات ونزلت إلى عمها وجماعته وملأت لهم الكاسات وسقتهم فشربوا ورقدوا الجميع فجاءت إلى ابيها وأعلمته بما فعلت ففرح بفعالها وطلع كتف الجميع ووضعهم في في الحديد وفيق الملك عرنوس وقال له يا كناس كان قصدك تعمل بنتي جناقة واعمال أربيها لنفسي قل كلمتك حتى أرمي رقبتك فقال يا ملعون أنا خاين عسكر الاسلام وملك الاسلام وإن شاء الله يا ملعون يكون هلاكك عن قريب فوضعهم جميعا في السجن ونزل للمرضى نهبه فهربت العيلة وعادوا إلى الوزير وأعلموه فقال ما بقي إلا حربهم إما نهلك الأعداء ونخلص الملك عرنوس وإلا نكسب الشهادة من سيوف الكفار ثم انه أخذ العسكر وسار إلى قلعة مرين وكان مرين ركب في عسكره وقصد إلى قلعة ساطرين فالتقاه الوزير بعسكر المسلمين وقع الجنك والقتال فقل العدد على مرين انكسر إلى قلعته فدخل مرين على بنته وقال لها هذا رأيك فعلته وكسروني عسكر أخي فقالت له ارسل خلف أخيك البب شواهي فانه حكيم فقال مرين هذا رأي جيد وارسل احضر الحكيم شواهي فبات إلى الصباح ونزل إلى الحرب بعسكره فتقاوت عليه الاسلام ووقع الحرب ثلاثة أيام ونظر الحكيم شواهي إلى حرب الاسلام فرأى نفسه انه لم يكن له عليه طاقة فارسل إلى أخته الحكيمة دواهي وكانت هذه الملعونة كاهنة كما ذكرنا فلما علمت بالخبر لم تجد لها صبرا دون انها ركبت على سريرها وسارت حتى قدمت الى قلعة مرين وقالت لهم كل هذا يجرى عليكم ولم تعلموني فبكى الاثنين بين يديها وحكى مرين على قطع يده وقتل ولده

فقالت لهم أنا اخلص لكم حقكم منهم ثم انها جمعت عسكر مرين وسارت قدامهم الى كثيب رمل وقالت قفوا حول هذا الرمل ثم ان الملعونة عملت بابا من السحر والكهانة وقالت للعساكر كل منهم يأخذ من الرمل وصارت تمشي والعساكر يتبعونها حتى انها وصلت الى عسكر ساطرين ورمت الرمل من يدها فطلع شرار ونار وفعلوا باقى الناس مثل ما فعلت وحذفوا الرمل من ايديهم فتصور للناس أن الدنيا كلها نار فانهزمت العساكر إلى البلد فالتقوا أن البلد كلها قايده نار فتفرقوا جميعا فى البرارى والقفار والنار من خلفهم وكلما أرادوا الوقوف لم يقدروا على ذلك وداموا فى هزيمتهم اياما وليالى تمام حتى وصلوا إلى بلاد الاسلام ودخلت الكاهنة دواهى وملكت بلدساطرين واحتوت على مافيهاو تقدموا لها الرعاية وطلبوا منها الامان فقالت لهم لكم الامان بعد أن تعودوا الى دين الكرستيان فقال العقلاء منهم إذا قتل ملكنا ساطرين والملك هرنوس يعودوا نصارى وأما نحن نخاف انه عدنا يحرقونا فأمنتهم على ذلك الشرط وكان الملك هرنوس بنى جامعا فهدمته الملعونة

[قال الراوى] وأقامت الكاهنة دواهى فى البلد وأقام مرين فى بلده واحتوت الكاهنة دواهى على الملك هرنوس والملك ساطرين وأكابر عسكره عندها فى الحبس وحلفت أنها لا تقتلهم حتى تأخذ أكابر الاسلام معهم وتقتل الجميع فى يوم واحد يقع لها كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه [ياسادة] اسمع ماجرى من امر المقدم شرالحصون لما أخذ التذكرة من الملك هرنوس وسار مدة أيام حتى وصل الى قلعته فالتقى جلد المقدم دم ولده محشى سماس ومعلق على باب قلعته فقال يا رجال أى شىء جرى على ولدى فقالوا له ولدك سلخه سلطان الحصون فقال يارجال أنا كنت مع هرنوس وجعلته سلطانا على الحصون وأنا أكون باش كواخى على القلاع كلهاوالحصون وشيحة ما بقى له حكم فى القلاع ابدا فقالوا له يا خوند دونك وشيحة اصطفل انت وإياه فركب حجرته وسار الى مصر فوصل إلى باب القلعة لقى الأمير علاء الدين البيسرى نازلا من القلعة راكبا على بيته فتبعه حتى عرف بيته وصبر الى الليل وطلع عليه ضربه ثمانين شاكرية وأخذ منه الف دينار فطلع علاء الدين اشتكى فى الديوان وفى ثانى الأيام سنقر وفى ثالث يوم الجاولى وهكذا حتى شكت الامراء جميعا فقال السلطان يا مقدم ابراهيم انت وسعد الزمتكم بالغريم قال ابراهيم طيب يا دولتلى سر بنايا سعد فنزلوا الى الرميلة وداروا حول البلد ليلا فما وجدوا الغريم فمضوا إلى مغاير الزغلية فالتقوا حجرته فقال ابراهيم هذه امارته وأقاموا واقفا بالقداوى مقابل كأنه الطود العظيم فصاح عليه ابراهيم

وقال له من انت يا قران حتى انك تسطو على ابطال الاسلام وتأخذ منهم القبارصة بعد ما تضربهم قال المقدم شر الحصون انا جئتك قال وانا تلقيتك فا طبقوا الاثنين وتقابضوا مع بعضهم بالزندين وحام عليهم غراب البين فكان الفداوى عرقا لا يلين فالتقى ابراهيم نارا لا يصطلى وجبلا كلما قرب منه شمخ وعلا فاعطاه ظهره وانهزم فتبعه ابراهيم وسعد إلى باب الضرب المحروق فضرب الضبه بالشاكرية كسرها ودور الباب ليخرج منه فادركه ابراهيم بن حسن وضربه بذور الخيات صفحا على جدور رقبته وكانت ضربة مشبعة فاسكرته واتكأ عليه اجاده كتاف وقوى سواعده والاطراف وساقه هو وسعد حتى قدمه قدام السلطان

فقال السلطان يا فداوى أنت من أين فقال المقدم شر أنا سلطان بن سلطان وأنت ياظاهر أى شيء لك حتى تسأل عنى دخلت فى مصر بقالى اكثر من شهرين وانا كلما أنظر بيتا عالى كبيرا أطلعه أظن أنه بيتك أو بيت شيحة فما القى الا بلرجى أقول كيف أقتل رجالا لا لهم ذنب ولا جريمة عندى أضربه وآخذ منه الف قبرصى واما انا ما قصدى إلا أنت وشيحة لأن شيحة قتل ولدى وأنت الذى نصبت شيحة على الرجال فقال الملك اقطع رسه يا ابراهيم فرماه على نطعة الدم وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل فحكى له الملك فقال شيحة يا فداوى سلطان الحصون أنا وأنت لأى شيء تضرب الامراء فى بيوتهم ولا لك عليهم ذنب ولا ثار فقال الفداوى أنا بقيت كيخية الحصون وعرنوس سلطانها الحصون وعزلتك ياشيحة وأتيت أعزلك رأيت ولدى مسلوخ ففعلت هذه الفعال فقال شيحة أين التذكرة التى معك من الملك عرنوس فقال هاهى فى جيبى فمد يده المقدم جمال الدين واطلعها وقرأها فقال حيث بقى من رجال الملك عرنوس وعرنوس طالب سلطنة القلاع والحصون فانا ما اعجل عليه بالسلخ مثل ولده وإنما أحبسه حتى يحضر الملك عرنوس فارتفع الفداوى إلى السجن وتركه شيحة وسار إلى قاعته واما الفداوى فانه صبر إلى الليل وقام ولد الحديد وخلص نفسه وطلع من السجن فرماه مفرده على قلعة الجبل ونزل ليلا ودار طول الليل لم يعلم علا إلى السلطان فلما كان آخر الليل نزل من القلعة خائب بعدما كتب ورقه يقول فيها ياظاهر أنا خلصت من حبسك وسرت إلى قلعتى ولا بدلى من قتلك وقتل شيحة ولو تعلقتم بالسحاب فما لكم من يدى ملجأ ولا خلاص وها انا اعلمتك فاحذر لنفسك وسار الفداوى طالبا قلعته وعند الصباح دخل السلطان إلى قاعة الجلوس فالتقى تلك التذكرة فاغتاظ الملك واخذها فى يده ونزل إلى الديوان فاعطاها إلى ابراهيم وقراها

فقال ابراهيم فشر البعيد والاسم الاعظم ان يدر نقصر ان بعدها بل توابع السياسه

حقك يا دولتلى وأما شيحة فانه بكل من فى حماه فما تم كلامه إلا والمقدم جمال الدين طالع لحكى له السلطان الحكاية فقال شيحة وأى شىء هنا من تعب وكم منه له فعل مثل هذا وأزيد ولا بد من قدومه بين يديك يرفل فى القيود والأغلال والباشات الثقال ثم إن المقدم جمال الدين نزل من قدام السلطان قال الناقل وأما ما كان من أمر المقدم شر الحصون فانه سار يمشى بالليل ويكمن بالنهار وهو قاصد لمنه إلى أن أتى إلى غابة من غابات بلاد الشام فرأى رجلا مبتلى نايما على بابها فى الشمس فتقدم اليه وقال له يا شيخ قم فى الظل فان الشمس تزيدك بلاء على بلاك فقال له يا سيدى أنا مالى مقدرة على الوقوف فانى ضعيف عن القيام من هذا البلاء الذى أورثنى سقام فتركه ودخل المغارة فرأى فيها سجادة موضوعة ومخدة وبجانبهم ابريق ملان بالماء ومقطع قماش مطوى وتحت القماش علبة فيها تفاح فأكل واحدة فأرمته فى مكانه وقام اليه المبتلى وشد كتافه وقوى منه السواعد والأطراف وشده بين أربع سكك من الحديد وفيقه فرأى روحه كما قال الشاعر

تسرى مسارى باختلاف الطلب والجاهل الأحمق يقول ذا فساد
لكنها أقدار تنفذ حكمها والله يفعل كلما شاء وأراد

فقال شر الحصون يا شيخ يا مبتلى سلط الله عليك كل البلاء الذى فى الدنيا فقال له لا تكثر كلامك أنا قصدى يا فداوى أعلمك الأدب نظير ما قلت فى تذكرتك أنا أقتل الظاهر وشيحة هو الظاهر فى يدك يا قليل الأدب حتى نقتله هذا لسانك لم يجىء لك منه إلا التعب وأما لولا أنى رهنت لسانى قدام السلطان انى أسوقك اليه وإلا كنت سلختك وريحتك من عيشتك ما فيها فايدة للناس ثم انه مزق زراراته حتى كشف صدره وأطلع السوط الغضبان وتسلم ابزازه ومال عليه بثمانين سوط حتى غاب عن الدنيا وبعده دهن له حتى انسدت محل الضرابات وقال له قم امش قدامى امش قدامى مكتفا إلى مصر وإلا وحق الذى انفرد بالدوام والبقاء ادهن جراحاتك بروح النار وأخلى بدلك يقيد وتقاسى العذاب الشديد

فقال الفداوى أمش قدامك ياشيحة يامعرص الله تعالى يقطع رجاك من الدنيا وسار قدامه وهو مكتف اليدين وشيحة راكب على حجرته وساقه طردا على استعجال حتى أدخله إلى قلعة الجبل وأوقفه قدام السلطان فلما مثل بين يديه ونظره السلطان وهو فى حالة التعس والنكس فقال له السلطان يا شر الحصون والله شرك ماعم إلا عليك من دون خلق الله تعالى ولكن هذا مقامك لأنك عادم العقل ولو كنت عاقلا كنت تطيع المقدم جمال الدين فانه ملك الجبال والقفار والقلاع والحصون وان خالفته

فتصير مجنونا ثم قال له السلطان طيع شيحة يا شر الحصون فقال لا يا ملك الاسلام إلا إذا حضر الملك عرنوس فان عزل شيحة وتولى هو أكون أمامه وإن بقى شيحة سلطان فما أقيم فى بلاد الاسلام بل أعود إلى بلاد الروم حتى لا يقال عنى إن شيحة قتل ولدى ورجعت أنا أقمت تحت طاعته وماقدرت أخاص منه ثار ولدى فقال السلطان ياشيحة اعلم أن هذا الرجل متولع آماله بأن عرنوسا يساعده وأنا أقول إن عرنوسا ما كتب له التذكرة إلا حماية منك لا تسلخه نظير ماخلصه مما كان فيه فالصواب حبسه حتى يحضر الملك عرنوس ويقدمه وتفصل هذه الدعوة على يده .

فقال شيحة احبسه يا ملك فانشال الفداوى إلى السجن فصبر الليل وولد الحديد مثل النوبة الأولى وطلع من السجن وملك الخلا وطلع هاجا على وجهه فى البرارى والقفار يصل مشى الليل بمشى النهار حتى أنه وصل إلى مدينة بروصة فدخل على الملك مسعود بك بن عثمان وقال له أنا دخيل عليك يا دولتلى من الظاهر وشيحة فان شيحة طالب سلخى وهو سابقا سلخ ولدى وأنا فى جيرتك منه فقال الملك مسعود بك يا مقدم مرحبا بك وأنا ماأخلى شيحة يسلخك ولكن بشرط أنك لا تتعرض له بشىء مطلقا وهو لا يعارضك ولا يسألك مادمت قاعدا عندى فى أدبك فأقام عنده إلى آخر النهار وعند المغرب قام الملك مسعود بك صلى المغرب وكل من فى الديوان صلوا إلا شر الحصون فانه لم يصل فأنكر حاله الملك مسعود وظن أنه ما أخر عن الصلاة إلا لعذر به وفى العشاء كذلك فقال له يامقدم لأى شىء لم تصل معنا فقال له أنا ما أعرف كيف تكون الصلاة فان الأدرعية لا يصلون فقال الملك مسعود بك القعاد مع الذى لم يصل حرام وتركه الملك مسعود وفى ثانى الأيام أحضر له نمشة وألف دينار وقال سر من هنا إلى شيخ السيوفية واعط له النمشة وقل له يعمل قبضة وجراب ولا تعد إلا بها فأخذ النمشة وسار إلى سوق السوفية وأعطاها للسيوفى وقعد على باب الدكان فقال السيوفى اقعد لما أفرغها لك وخدها فقعد وإذا ببنت فاتنة فى طريقها وكانت هذه البنت لواحد يقال له الشيخ محمد المنشد وهى جميلة الصورة فلما نظرها الفداوى ما بقى يملك نفسه مما هو فيه فقال للسيوفى اصنع النمشة على مهلك وقام وتبع البنت وسار خلفها حتى عرف بيتها وصبر إلى الليل ورمى مفرده وطلع على سطح البيت وكان أحضر معه جانبا من الخمر وشيئا من السمك وفاكهة ونقل فلما نزل إلى البيت دار فيه حتى عرف مكان البنت ودخل اليها وجدها قائمة على ظهرها فصار يملا الكاس وكلما شرب يضع قرطاس حلاوة جنب رأسها ومائة دينار ويقول الكاس لى وهذه القبارصة والحلاوة لك حتى سكر وقام سار إلى حال سبيله وأحضر

الف دينار ثانية وحلاوة مثل الاولى وخمر ومأكول وأتى فى الليلة الثانية وكانت البنت لما أصبحت وجدوت الحلاوة والاموال فتعجبت من هذه الاحوال فكتمت سرها ولم تعلم أباها وفى الليلة الثانية كذلك فلما كانت الليلة الثالثة كانت البنت نائمة بالنهار وفى الليل سهرت وهى نائمة على صفتها الاولى فأقبل العداوى وقعد فعل مثل مافعل فى الليلتين الماضتين وأراد أن يقوم فمسكت فيه وقالت له من أنت وأى شىء أوصلك إلى مكاننا هذا وأنت غريب فقال لها يابديعة الجمال أنا قلبى قد آلمه العشق والهوى والبلبال وقيدنى هواك بقيود ثقال ولا بقى لى مقدرة على فراقك أبدا فارحمينى فقالت وأنت من أى البلاد فقال لها أنا ادرعى واسمى شر الحصون

فقالت أعوذ بالله منك ومن اسمك فما أنت الا شر حقيقة وان الخير منك بعيد فلا خير فيك إن اقمت عندى أو بعدت عنى اعلم يا هذا أن أبى رجل شريف وأنا شريفة مؤمنة فان الكافر الذى مثلك يحمينى الله منه لأن الكافر ملعون فقال لها ياسيدتى انا اسلم وأموت الجمل الجربان واتبرأ منه ومن العصبة والنجمة واعمل ما يرضيه قلبك وانقلى من نقلك فقالت له إذا كان كذلك أنا أعطيك ثلاثة آلاف دينار التى وردتهم عندى فما أنا عايزهم فان اسلامك عندى أحسن من ثملك إلى ذهب ثم انها علمته دين الاسلام ففتح الله قلبه للهداية وأرشده إلى طريق الايمان بسبب تلك البنت وعشقه لها فعلمته الغسل فاغتسل وعلمته الوضوء فتوضأ وصارت تعلمه الصلاة فأقام عندها ستين يوما وليلة وقالت له خذ الثلاثة آلاف دينار اشترى بهم قماش من برصة واجعله متجرا وانزله فى مركب وخذنى معك والبسنى لباس ولد ذكر واجعلنى ابنك وسافر من مدينة برصة إلى غيرها فنزل واشترى كما علمته واخذها معه وسافر إلى مدينة الرها وهو فى صفة خواجة وباع السبب الذى معه واشترى من الرها خيلا ومماليك وعاد إلى الشام وهو فى زى التجار والبنت معه مثل ولده حتى وصل إلى الشام وباع الخيل والمماليك واشترى من الشام حريرا ونحاسا وسار به إلى مصر باع الذى معه وسكن فى خان يقع له كلام [قال الراوى] لهذا الكلام العجيب أن الملعون جوان كان مارا يطوف على ملوك الروم غريهم على المجاهدة فى الاسلام فكان آخر ماورد على بيروت ودخل على عبد الصليب صاحب بيروت وطلب منه النصر لدين المسيح •

فقال له عبد الصليب ياأبانا يعنى المسيح عاجز عن نصرة دينه حتى تطلب نصرته منى أنا وأنا اعلم ان ملك الاسلام بيبرس فى هذه الايام جميع ملوك الروم ذلت لسيفه من خوف الموت وأنا إذا تعرضت له فانه يهلكنى ولم أجد أحدا ينفعنى فقال جوان إذا

كنت ياولدى خايف من بيبرس وأنا أقبضه اليك وأقدمه بين يديك وتبقى أنت عليك فتح بلاده وهلاك عساكره وأجداده وان خالفتنى ياابنى أنا أشحب اسمك من دين النصارى ويغضب عليك المسيح والبترك زرارة صاحب الدير والحارة فقال له اذا جبت لى بيبرس يبقى عساكره قتالهم هين فانهم يبقون مثل الغنم التى بلا راع فقال جوان ماتلزم ذلك الامن جوان ثم ان جران كتب كتابا وأعطاه البرنقش وقال له روح الى بحيرة بقرة وأعط هذا الكتاب الى عيرق ابن يعقوب وكان فى الكتاب احضر ياولدى الى عندى فانى محتاج اليك فى أمر هتف على بالى ولا له الا أنت فراح البرنقش وأعطى عيرق الكتاب فاتى صحبته الى جوان فلما حضر قال له ياولدى ساعدنى على طلبى فقال له على الطاشنة ياابونه فعباله متجرا وقال له سافر الى مصر واتخذ لك خانا على حالتك وحدك وروح الى الجوهرجية اسأل عن عزار اليهودى وهو صيرفى الديوان وخذ هذا الكتاب اعطه له يفعل بمافيه فاذا كان يساعدك هو من جوا ونحن من برا فان المسلمين يهون اسرهم وتأخذ أموالهم فسافر المقدم عيرق الى مصر ودخل على عزار اليهودى وأعطاه كتاب جران فاقرده بعد بالوصية على عياق والمساعدة فقال له سمعا وطاعة وأخذه وأسكنه فى بيته بحارة المقاصيص وأخذه وقعد عنده على الدكان أول يوم وثانى يوم وهو كل يوم يقعد عنده على الدكان الى يوم من الايام قاعد واذا بالمقدم جمال الدين شيحة فايت فنزل اليهودى من الدكان وقبل يده وقال له يا سيدى أنا فى عرضك فقال له شيحة مالك يا معلم عزار فقال ياسيدى أنا خدام الملك الظاهر ومرغدفى نعمته طول عمرى وفى هذه الليلة اتانى جماعة من توابعك يريدون ان يباصرونى وأنا ماهين على مالى أعطيه لهم ولا أنا قادر أخبر سيدى الملك الظاهر من خوف ان يقتلونى وأنا يا سيدى دخيل عليك أنك تخلصنى منهم فقال شيحة سرقدامى الى بيتك لما أنظرهم فسار معه المقدم جمال الدين حتى أدخله البيت فلم يلق أحدا فقال اليهودى يمكن خرجوا ويعودوا ثانيا فقال شيحة ماتعلم أسماءهم فقال ياسيدى انا أى شىء يعرفنى اسماء المسلمين اهم ناس من الجبابرة الفاجرين فعند ذلك قعد شيحة وهو يتفكر وكلام اليهودى واذا باليهودى سقف على حريمه بيده فانزلوا اشاربات فناول المقدم جمال الدين شيحة وأتى قدامه فشرب شيحة وانقلب على الفرش فقام اليهودى كتفه وأنزله فى طابق فى البيت فى المقاصيص وأخذ الخنجر من حزامه وطلع الى الديوان وكان هذا الملعون كما ذكرنا صيرفى الديوان والملك يعرفه غاية المعرفة فلما طلع الى الديوان قبل الارض قال الملك مالك ياعزار قال يامولانا انا عندى مهم وعزمت فيه سيدى ملك القلاعين ولما

وضعت السماط حلف المقدم جمال الدين اهلا يأكل الامع مولانا الملك الظاهر قال الملك
أمر سهل ثم ان الملك وضع على الكرسي الفرقانية إشارة للعساكر كل حي بارضه وقام
السلطان دخل محل التبديل غير في صفة درويش ونزل اخذ اليهودي وسار معه الى بيت
المقاصيص ودخل قال ابن شيحة يا عزار قال يا مولانا كانه لما رآني غبت خرج ثم ان الملعون
غاب وأتى بكاسة ملآنة من شراب البنفسج المحلول بروح العبر وقبل الارض قدام
السلطان وأعطاه الكاس فشرب ورقد في مكانه فانزله عند شيحة

[قال الراوي] ان المقدمين ابراهيم وسعد لما نظروا السلطان نازلا من القلعة درويش
دخلوا الاثنين وتبدلوا في صفة دراويش ونزلوا على أثر السلطان تابعين جرته فالتقاهم
عزار اليهودي قال لهم يا أسيادي ان السلطان وشيحة عندي عزمتهم قال ابراهيم ولاي
شيء ما عزمتنا معهم قال ياسيدي تفضلوا فساروا معه الى البيت فالتقوا السماط موضوعا
فتقدموا أكلوا وبعد ذلك أتاهم عزار بالشاربات شربوا فرقدوا وكانوا سألوه عن
السلطان فقال لهم نائم هو وشيحة سوا في المقعد الفوقاني ثم أنه لما بنج ابراهيم وسعد
أنزلهم عند شيحه والسلطان وفي ثاني الايام نزل المقدم ناصر ولدين الطيار وعيسى
الجماهري وباقي السعاة فالتقاهم عزار وقال لهم أنا عندي فرح أريدكم عندي مع السلطان
وشيحة فراحوا معه فبنجهم وبعده قبض جماعة من الفداوية ومن الامراء وبعد ذلك
أحضر المقدم عيوق وقال له دونك وهذه المسلمين اقتلهم فقال عيوق كيف اقتلهم وانا عالم
الملاجرار قال لي اذا قبضتهم هاتهم عندي بالحياة حتى اني أفرج عليهم ملوك الروم وأنا
ما أقدر أخالف جوان فعندها كتب عزار كتابا وأعطاه الى بطريق من طرفه ثم قال
له سافر الى جزيرة بقرة أعط هذا الكتاب الى جوان فأخذ البطريق الكتاب وسار
قاصد جزيرة بقرة فالتقى به المقدم شر الحصون فانهره به وقال له انت جاي من اين فاني
أراك طالبا من مصر وقاصد بلاد النصارى ولا بد لك من أمر مخفي فقال له ما فيه أمر
مخفي ولاي شيء أنا رايح ازور القيامة فقال البنت اخترة فوضع يده شر الحصون على
شاكريته وقال له والله ان لم تصدقني لاقسمك نصفين بهذه الشاكرية اصحى يا قرنان
تنطق الا بالصدق فبكي وقال ما اعرف شيئا بل انا رايح ازور دير نجران فصلبه المقدم
شر الحصون على نخلة نقرا قداس فقال له يا قرنان هو انا نصراني اخضع الى هذه القرامة
وحط يده على الشاكرية وضربه فقسمه نصفين وساد شر الحصون الى مصر فسمع
بما جرى على السلطان والفداوية فقال الى حيث القت رحلها أم قشعم فطلع الى الديوان
يفتش الاخبار فالتقى به الملعون عزار فعزمه وقال له يا سيدي أنا عندي فرح واريدك ان

تجبرنى فسار معه الى البيت فقدم له الطعام فقالت البنت ان العصر دخل وقته وانا اريد ان اصلى قبل الاكل فأشر لها عزار على مقعد طلعت عليه لاجل الصلاة فقال شر الحصون ياحسنة الاكل مقدم على الصلاة قالت له كل انت ما كل ورقدوا اخذوه الحبس وطلع عيوق وعزار الى البنت فقبضوها وقالوا لها نحن ابوك ومرادنا ان نعملك جناقات فلما سمعت ذلك الكلام علمت انها حيلة تمت عليها وعلى ذلك الفداوى قالت لهم انا ما اسلم نفسى اليكم حتى انظر ابى وان كنتم قتلتموه فاقتلونى مثله قال عزار ابوك طيب فى هذه المطمورة هو وغيره قالت لهم انا اطاوعكم على ما تريدون فاحضروا المدام فقام عيوق ادغر البنج فى الكاس واعطى عزار وقال له اشربه انت وانا اعمل جناقة ولما تفيق اشرب انا وتبقى البنت لك قال عزار ما يصح لى ان اشرب قبلك لانى تعبت فاستحى عيوق وشرب الكاس لكن انه هو الذى بنجه فرقد قالت البنت بقيت انا وانت يامعلم عزار تتبنج سواء ثم انها اخذت الكاس وملاته ومزجته من ريقها وناولته لعزار فشربه وثانى وثالث وهكذا حتى انه ثقلت عليه الخمرة والبنت تمازجه وتشاغله بالمزاح حتى طفح السكر من حاقه وارتخت اعضاؤه وبقى عبرة لمن يراه فتركته وراحت للمطمورة وفتحت بابها على المحبوسين وقالت لهم يا اسيادنا قوموا فنظر الملك الظاهر تلك البنت اطلقتهم قال لها يا بنت من انت فاعلمته انها غريبة من مدينة برصة وحكت له على ما جرى لها على شر الحصون وسبب مجيئها فأمر السلطان بالقبض على اليهودى الصراف وعيوق الارملى فقبض عليهم ناصر الدين الطيار وكتف لاثنين وطلع المقدم سعد الديوان وامر عثمان ان يحضر للسلطان الحصان ويأتى به الى المقاصيص فحضر وركب السلطان واحتاطت به اكابر دولته وعيوق وعزار قدام السلطان الى الرميلة فأمر السلطان ان يعمل لهم حفرة الى احداثزهم ويحرقوهم فيها ففعلوا بهم ذلك واعطى الى البنت بيت اليهودى بما فيه

ففرحت الفرح الشديد بذلك وكذلك شر الحصون فقال الملك الى الوزير مرادى اروح برصة هات العساكر ياوزير واحقنى على برصة وسار السلطان ومعه المقدم جمال الدين شيحة قاصد بن برصة

[قال الراوى] واما ابو البنت محمد المنشد فانه لما عدمت بنته صار يدور عليها ويسأل عنها فلم يجد احدا يعطيه خبرها فلما اعياه الحال طلع الى الديوان وشكى الى الملك مسعود باك وقال ياددولى كيف ان بنتى من دون اولاد برصة لم يظهر لها خبر وانا يا ملك من المحسوبين على دولتك فارسل جواسيس من عندك فلم يعطيه احد خبر فافكر فى

أمر الفداوى المقدم شر الحصون فقال أطن ماسرق بنت هذا الرجل إلا ذلك الفداوى ياهل ترى أين ساروا وأرسل الى السيوفى يسأله عن النمشة فأتى له بها مشغولة وقال يادولتلى ان الفداوى جاء لى بهذه النمشة وامرنى أن أصنع لها قبضة وجراب والى الآن ما رأيته فأخذ الملك مسعود النمشة واعطى الرجل جرتها وجعل على الفداوى العيون والارصاد مدة أيام حتى قدم الملك الظاهر كما ذكرنا فخرج الملك مسعود بك والتقاه فسأله عن الفداوى فحكى له عن ماجرى وقال المقدم شر الحصون قادم مع العساكر والبنت معه بعد ما أمرتها بأخذ مال اليهودى عزار وبيته فاصنع فرحا حتى أزوجها الى الفداوى فانها تحبه وهو يحبها فصنع الملك مسعود بك سماطا للسلطان والمقدم جمال الدين وبعد أيام قليلة قدمت العساكر بالاغا شاهين والمقدم شر الحصون والبنت حسنة معه فقدم الرجل قبل اتلك السلطان وطلب بنته فقال السلطان أنا أنعمت بها على الفداوى فاكتب كتابها عليه فقال الرجل سمعا وطاعة فقال الملك خليها لما نعود من بيروت فقال الفداوى يادولتلى أكتب لى كتابها وأنا آخذها وأملاك ثغر بيروت فكتب له السلطان كتابها فمال الفداوى ملا متجرا من برصة وأخذ زوجته معه وسار الى بيروت وهى معه فى صحة ولد ذكر وسكن فى خان وباع متجره وطلع فلقى كنيسة على بابها بترك جالسا وله رهبان فدخل على البترك ليلا وقتله وقتل الرهبان وأخذ الكنيسة جعلها خمارة من الباب وكنيسة داخل الخمارة وقام شر الحصون وهو عامل خورجى والبنت معه وأهل بيروت الذين يتعبدون يدخلون الكنيسة والذين يريدون السكر يدخلون الخمارة وبقى شر الحصون واقفا ينظر اذا رأى أحد صاحب مال يقطع عمره ويرميه من بره الخمارة على البحر المالح ودام الامر كذلك فشكت أهل بيروت إلى البب عبد الصليب فضاق صدره فى هذه المدة فاقبل جوان والبرنقش وكان مرادهم دخول الكنيسة فالتقوا الخمارة على بابها فقال البرنقش كل منا يأخذ حقه جوان الى الكنيسة والبرنقش الى الخمارة فلاحظهم شر الحصون وقبض الاثنين وقال لهم أنتم من أين فعرفهم فقال البنت أنا أروح أعلم السلطان بهم ثم انه أوصاها بالحفظ وسار الفداوى

[قال الراوى] وكان المقدم جن بن نجشب البرملى قادما يتبع أثر جوان فعبر على الخمارة وعرف المضمون فدخل على البنت وفى يده صحبة زهر فقال للبنت خذى هذه احفظيها لما اسكر واعطيها الى ثانيا فاخذت الزهر وشمته فانقلبت فقبضها وقام فتش الخمارة فصيب جوان والبرنقش وسألهم عن الفداوى فقال جوان ما رأينا أحدا فقعد ياجن على باب الخمارة حتى تفرج لنا شيحة وهما يحكى داخل الكنيسة فلما قعد جن

فكان أول من قدم عليه شيحة فقام اليه وبيده على دبوس وضربه فرماه وكتفه ورماه في مطمورة تحت الارض في الحارة

[قال الراوي] وعقب مجيء شيحة ان المقدم شر الحصون راح الى السلطان وقال أنا قبضت على جوان والبرتقش فقال السلطان قم ياشيحة بنا فقام شيحة من عقده على جوان سبق السلطان وجرى ماجرى وبعده أقبل الملك فنظره الملعون فتبعه حتى دخل الى حد باب الكنيسة فقال افتحي ياحسنه فانفتح الباب ودخل الملك ومعه شر الحصون ثم رابنج فقبضهم وأرسل الى البب عبد الصليب وأعلمه أنه قبض على ملك الاسلام فارسل عبدالصليب أخذالملك وشيحة وشرالحصون وأما جوان فانه من غيظه ضرب البنت ضربا زائدا حتى ذوب بدنها وهي تستغيث فلا يرحمها وأماعبدالصليب فانه أراد أن يقتل الملك وإذا بالعساكر الاسلامية أقبلت ومعهم الوزير والملك مسعود بك وأبطال بني اسماعيل فلما رأى ذلك قفل البلد وقام الحصار وضرب المدافع حتى منعهم على قدر رمي النار ولما أمسى المساء قال جوان لعبد الصليب ياب ان عسكر الاسلام أقبلت وأنت مالك رقابهم لان ملوكهم تحت يدك اقطع رؤوسهم وارميهم لهم من السور وقل كل من وقع في يدي من المسلمين أقتله وهم يرحلوا عنك بلا حرب ولا قتال قال بكرة يا ابانا أعمل كما أمرتني والليلة هذه آخر عمر ملك المسلمين قال جوان هات البيبار نسكر ونبنج ولا تخف من المسلمين وكان عند الملعون عبد الصليب ولدا مملوكا اسمه شاذور وهو جميل قوي لم يكن في بلاد النصارى مثله قال فيه الشاعر بيتين

وشادن من بني النصارى ... له لحاظ بها رميت
أخاف في المعجزات عيسى ... هذا يحيي وذا يميت

[يا سادة] فاحضره في تلك الليلة وأتى معه بنتين جميلتين وقعدوا يغنون على الكاسات حتى أذهلوا الأعين الناظرات وأشغلوا الكاسات بالبنج والدواهي الخاطفات وسكرا جوان وعبد الصليب وكانوا أولاد شيحة البنت العاشق فقبضوا على جوان والبرتقش وخلصوا الملك ومن معه وطلع شيحة فتح باب البلد ليلا وكبس الوزير على بيروت ولا طلع النهار الا والملك على تخت ديوان بيروت ورجاله حواليه وشيحة طيب البنت وأمر الملك باحضار عبد الصليب وأمر بضرب رقبته فقال يارين المسلمين أنا في عرضك لاتجر على في الحكم أنا ما كان قصدي أحاربك ولا أقاتلك وانما جوان اغراني وأنا تائب على يديك وأرد كلمة ركبك وادفع الجزية سنوي وان حصل مني تقصير وخلل يكون سيفك أولى بي من غير مهل فعفى عنه الملك وقال شيحة للملك مسعود خذ البنت وشر الحصون وروح إلى برصة حتى تلحق الملك عرنوس ودوروا

على جوان فلم يجدوه وكان الذى اطلقهم الملعون كفرداس فطلع جوان قاصدا قلاع الملحا واخذ قبابية من عبد الصليب وسافر والبرتقش صحبته لهم كلام

[قال الراوى] واما مرين لما حبس عرنوس وحبس اخاه ساطرين وجماعته وارسل الى اخيه شواهى وجاءت الحكيمة دواهى وملكت البلد كما ذكرنا والملك عرنوس محبوس الى ليلة هو قاعد واذا بالملكة عذرة المسيح اقبلت عليه وقبلت يده وقالت له ياسيدى انا فى هذه الساعة اتانى ابوك المقدم معروف وقال له يابنت قومى اطلقى ولدى فانت زوجته واسلمى على يديه وها انا اتيت اليك كما امرنى ابوك فتقدمت اليه وفكته وكذلك عمها ساطرين واسلمت على ايديهم وطلعت بهم الى قصرها فقال لها عرنوس قبل كل شىء دلينى على ابيك فقالت له قم وانا اوصلك اليه فقام معها ودخل على مرين ويده على خنجر امضى من القضاء واقدر وهزه ففتح عينه رأى الملك عرنوس فوق رأسه فقال له ما الخبر فقال يا ملعون ليس الخبر كالعيان والله مالك خلاص من يدى الا بدين الاسلام فان اسلمت نجوت وان لم تسلم فانت مقتول لامحالة فقال يا سيدى وانا ما اريد الا الاسلام علمنى ما اقول فعلمه الملك عرنوس فاسلم وبعد ذلك ارسل الى وزرائه اعرض عليهم الاسلام فاسلموا جميعا وكذلك عسكره ولا طلع النهار الا والقلعة كلها اسلام وسمع الملك شواهى بذلك فهرب بعسكره والملك مرين عمل وليمة ابنته ودخل بها الملك عرنوس واقام عندها الى يوم قالت ورد المسيح لعذرة وكان عرنوس جالسا بينهم يا اختى لو كانت نور المسيح تسلم وتكون معنا ويتزوج بها الملك عرنوس فقال ومن هى نور المسيح فقالوا له بنت الملك شواهى فكتب الملك عرنوس كتابا الى الملك شواهى يامره بحضر بنته للملك عرنوس يتزوج بها

فلما وصل اليه الكتاب مزقه وقدم من وقته وكتب الى الكاهنة دواهى كتابا يعلمها باسلام مرين وزواج بنته للملك عرنوس . واما الملك عرنوس فانه لما اتاه النجاب الذى ارسله واعلمه بما قال الملعون شواهى اخذ ساطرين ومرين وعساكرهم وسار حتى حط على قلعة الملك شواهى . واما شواهى فانه مقيم فى قلعته واذا بجوان مقبل عليه فقام اليه وتبل يده وحكى له ما وقع فقال ياابى قم لا تخف منهم وها هو قد هبت جوان ينصرك عليهم فطلع شواهى بعسكره واصطب الحرب فلم يتركوه الاسلام ان يصف عسكره حتى حمل الملك عرنوس وساطرين ومرين وعساكرهم ووقع الحرب بين الفريقين الى نصف النهار فنزل على شواهى وعسكره المدد فما انفى له فرج الا الهزيمة ودخل البلد واقامت الكاهنة دواهى ودخلت الى البلد على اخيها وسالته عن ماجرى فحكى لها فدخلت بيت رصدها واخرجت ماردا من

الجن وأمرته بخطف عرنوس فخطفه ووضعه بين يديها وكذلك ساطرين ومرين
فلما رأوا الوزراء ذلك الحال خافوا على العسكر وشالوا المرضى بالليل ولم يقعد أحد إلا
وعادوا الى قلعة ساطرين ودخلوها وقفلوها وأما الكاهنة دواهي فانها أرادت أن
تقتل المسلمين فارتعب الملعون جوان وقال لها أنا خايف من شيحة وهاهو وانقه
وكان شيحة أقبل يده الساعة فقام جوان اليه وقبضه فقال شيحة يا ملعون وان
قبضتني أي شيء يجرى على ما هو قادم ملك الاسلام وعلى رأسه برق الظلال الغمام
فقالت الكاهنة أي شيء تقول يا جوان فقال جوان وديني ما نقتل إلا جميع المسلمين
في يوم واحد ولا نقتل هؤلاء إلا لما نمسك ملك المسلمين ثم قال لها قومي نأخذ قلعة
مرين فانها أكبر من هذه القلعة فركبت الكاهنة وأخذت معها جوان وسارت
إلى قلعة مرين وكان تخلف في القلعة واحد فلما رآهم هرب وراح إلى قلعة ساطرين
وقال لمن فيها اعلموا أن الكاهنة دواهي أتت وأخذت قلعة مرين وان من وقف
قدامها يصير من الهالكين وما لنا الا أن نرحل ونترك هذه الديار والآكام ونقصد
بلاد الاسلام من قبل هلاكنا على يد الكفرة اللئام . فعند ذلك أخذ كل من له
عيال وحريم أخذهم وكذلك أموالهم ومتاعهم وتركوا القلعة ما فيها إلا الحيطان
وطيور البرارى وهم خائفون من الكاهنة فساروا يومين واليوم الثالث ظهر بين
أيديهم وانكشف عن الملك الظاهر وعساكر الاسلام فلما علموا الوزراء بان هذا
السلطان تقدموا اليه وحكوا له على ما جرى وكيف انهم أسلموا وبعد اسلامهم
جاءتهم هذه الكاهنة دواهي وكيف ان الملك عرنوس عندهم مأسور والقصة التي
جرت من أولها إلى آخرها . فلما سمع الملك منهم ذلك قال لهم لا بأس عليكم عودوا
معي وأنا أرد لكم بلادكم واكفيكم شر عدوكم فعادوا معه طالبين قلعة الملعا وأما
الكاهنة فانها دخلت قلعة مرين وجدتها ما فيها أحد فنهبت كل ما لاقته فيها
وانتقلت الى قلعة ساطرين وجدتها ملئ خراب فجمعت جوان والبرقش وأرباب
دولتها وقالت لهم أنا قصدى أقتل المسلمين الذين عندى فقال جوان اقتليهم
فأول ما أحضرت كان المقدم جمال الدين شيحة وبعده الملك عرنوس وساطرين
ومرين وأرادت أن تضرب رقابهم واذا بمدافع ضربت من البر فسالت عن الخبر
فقالوا لها هذا ملك الاسلام فنزلت في تختها وعادت إلى قلعتها وكان بين القلعة
والقلعة مسيرة ساعتين فسار السلطان خلفها لما علم رحيلها ونصب المرضى فقال
جوان الكاهنة اركبي على حصان وانزلى إلى الميدان وتحفظي باعوان الجان
واطلبي حربه من السلطان فاذا نزل اليك فقتليه فانه اذا قتل تبقى بلاده كلها لك

حتى بعده فتولت وقاتلت وابرت من الامراء في يوم واحد اثنا عشر وثاني يوم اسرت من الفداوية خمسة وبعد اليومين قال لها جوان اقطعي رؤسهم وارميهم الى المسلمين حتى ينقسم ظهرها فاحضرتهم وضربت رقابهم ورمتهم قدام عرضي المسلمين فاغتاظ السلطان وقال والله ان كل واحد من الذين قتلوا عندي خير من الدنيا على بعضها فما تم الملك الظاهر كلامه الا وغبرة انعقدت وانكشفت وبان من تحتها سرير محمول على الهواء وحوله طبول عاليات مثل الرعود القاصفات والملكة تاج ناس زوجة المقدم جمال الدين شيحة ومعها ابنها الملك محمد طود البحر فلما نظرها السلطان فرح بها وقال اللهم انصر الاسلام على يدها وخلصنا من كيد هذه الملعونة دواهي انك على كل شيء قدير فما تم كلامه حتى نزلت الملكة تاج ناس من تخمها وتقدمت يد السلطان وقالت ياملك الاسلام اصبر حتى اقتل هذه الفاجرة الكاهنة الساحرة ثم انها أمرت الخدام نصبوا لها خيمة قدام القلعة ودخلت فيها وأرخت ستاير عليها

[قال الراوي] وأما الكاهنة دواهي فانها نظرت إلى نشطة المسلمين وافراحهم فدخلت على رصدها وأرادت ان تضرب تخت رمل فما وجدت لها مقدرة على ذلك بل انتصب على البلد خيمة سوداء اظلمت منها الدنيا حتى بقى النهار مثل الليل وعمت الناس من الظلام وانعجمت الكاهنة عن الكلام واشرفت على شرب كاس الحمام وكان هذا العمل فعل الملكة تاج ناس وقالت للملك محمد طود البحر خذ سيفك وادخل على اللعينة وهي قاعدة على رصدها واضربها في وسط رأسها ضربة واحدة ولاتعيد إلى ضربة واحدة فقام طود البحر وركبته على ظهر خادمها سحاب وعلمته كيف يفعل وبقيت هي الى قاعدة ماسكة الارصاد حتى دخل طود البحر على الكاهنة دواهي وضربها بالحسام في وسط جبهتها فشقها إلى حد صرتها فتصارخت اعوان الجان لاشلت يداك ولا كان من يشناك يارکن الاسلام ومجاهدا في دين الملك العلام وإذا بالصياح في قلب البلد والغبار انعقد ووقع ضرب السلاح وكثر الزعاق والصياح فقال طود البحر لسحاب الخاطف انظر ايش الخبر

فقال ياسيدي هذا الملك عرنوس والمؤمنين الذين كانوا مأسورين فانهم اطلقوا وهم في قتال شديد وحرب اكيد اصبر لى لما اخبر سيدتي عنهم فان أمرتني ساعدتهم قال له ادركهم وخلصهم من أعدائهم وها أنا اذنتك عوضا عن والدتي قال له سحاب سمعا وطاعة وصرخ في اتباعه وقال لهم دونكم والانس الكافرين افنوهم عن آخرهم اجمعين فمالت الجان على عباد الصلبان ودعوا فيهم بزمجرة رجان تركوهم على الارض

كيمان وأبلوهم بضربهم صواعق ونيران فصاحوا الكفار الورك الورك يعنى الأمان الأمان [قال الراوى] وكان السبب فى خلاص الملك هرنوس وهو أنه كان جالسا فى السجن متحيرا على ما هو فيه ومتعلقا آماله بنور المسيح بنت الملك شواهى فهو كذلك وإذا بالملكة بدور بنت الكاهنة دواهى داخلة عليه وكان ذلك بالليل وهى لابسة بدلة من الجوهر مفصلة بالذهب الأحمر وعلى جبينها عصابة تأخذ بالبصر ونور جبينها كأنه هلال بدر فى ليلة أربعة عشر وقالت له يا ديابرو هرنوس أنت الذى فتنت بنات ملوك الروم فقال أنت يا نور المسيح التى وصفت بين يدى فأردت ان آخذك لجرى هذه الجرى من أجلك قالت ياسيدى ما أنا نور المسيح أنا بدور بنت الكاهنة دواهى وفى هذه الليلة أنا نائمة رأيت أمى وهى مجرورة من شعرها إلى أبواب النيران ولابسة ثوبا من قطران والنار تأكلها وتحرق أعضاءها وهى تريد أن تأخذنى معها وإذا برجل كبير الهيبة على وجهه أنوار أخذنى منها غصبا وقال يا بدور أنت من أهل السعادة قولى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله قال بقيت من أهل الجنة ونجوت من عذاب النار وأما أمك فسبقت لها الشقاوة من قديم وكتبت من أهل الجحيم وقتلها طرد البحرين جمال الدين وانفكت الأسحار عن المسلمين فبادرى الأمراء قبل الفوات وقومى انزلى على الملك هرنوس واطلقيه لأجل أن تبقى لك منة عليه واسلمى على يديه وإن طلب ابنة عمك نور المسيح فلا تمانعيه وها أنا ياسيدى أتيت إليك أرشدك على طريق الصلاح عسى الله أن يجعلنى من أهل النجاح وإن كنت ياسيدى تريد نور المسيح فأنا أحضرها بين يديك . ترى منى ما تقر به عينيك فقال هرنوس قبل كل شىء لما نفتح هذه البلد وبعد ذلك يكون ما يريد الله الواحد الأحد ثم ان الملك هرنوس قام فك الأسارى وقدم لهم سلاحهم وأخذهم وطلع بهم من السجن وقال الله أكبر وضرب فى الكفرة بالحسام وكانوا الكفرة نياما فقاموا منزعجين فالتقوا السيوف أخذتهم من الشمال واليمين فصاحوا وقالوا نزلت عليهم أحجار وصواعق من النار فلحقهم الانبهار وحارت منهم الأفكار وشخصت الأبصار وعمل فيهم الحسام البتار فطلبوا الهزيمة والفرار فاستدت فى وجوههم جميع الأقطار ودهمتهم الجن بالأحجار والنار والشرار وكانت ليلة ظلماء لم يبن لها أنوار ودام الأمر على ذلك العيار حتى ذهب الليل وطلع النهار وفنيت جميع الكفار وانتصرت المسلمون الأبرار . ففتحت باب البلد وكبس الملك بالعساكر ودخل البلد وسمع النصارى وهم يطلبون الأمان فأمر برفع السيف عنهم وجلس وطلب أكابرهم فدخل عليه المقدم جمال الدين ومعه الملك شراهى

صاحب القلعة الثالثة ودخل الملك عرنوس الملكة عرنوسة بدور والملكة نور المسيح وقبل يد السلطان فامره بالجلوس هو والبنات فلما جلسوا قال الملك عرنوس للبب شواهي يا ملعون انا تزوجت بنات إخوتك بعد ما اسلموا وبقوا على دين الاسلام وارسلت لك على بنتك انك تعطيها إلى مثلهم فما كان منك إلا تعاليت على ّلى باحتك وفعلت هذا الفعل الذى ليس بصواب فما بقى لك غير القتل جواب .

فقال شواهي ياملك عرنوس انت اخذت بنتي وبنت اختي معك واجلستهم بجانبك وقبل ذلك اسلموا اخواتي ساطرين ومرين على يديك وتزوجت بنتهم ما أكرمني لاجل احدهم فقال عرنوس إذ كان إخوتك يشفعون فيك ويضمنوك انك تقيم فى بلادك وتدفع الجزية وانت صاغر انا اسال مولانا السلطان فى العفو عنك فقالوا ساطرين ومرين يا ملك عرنوس نحن لا نتعلق به ما دام انه كافر واما إن اسلم لم نسال عنه فقال السلطان إذا اسلم عتق نفسه من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة فقال الملك عرنوس انا احميه يا ملك الاسلام اسالك العفو عنه وتتركه يعمر بلده ويقيم فيها وإن حصل منه ادنى خلل فانا الضامن له فامر الملك باطلاقه واطلقه ابراهيم فلما قام على حيله قال لابنته قومي معى انت وبدور بنت عمتك فقالت لا انا اسلم مع بنت عمى ولا ارضى بالكفر ابدا وكذلك قالت بدور بنت الكاهنة دواهي فضحك الملك عرنوس .

فقال البب شواهي يا ملك عرنوس وانا هل يجوز لى أن أدخل معكم فى دين الاسلام فقال السلطان أهلا وسهلا وتقيم فى ملك وتفتحها إسلام ونحن نساعدك وندفع عنك الجزية ولا يبقى عليك إلا العشر المال سنة لبيت مال المسلمين فقال علمونى الاسلام فعلمه السلطان وأسلم وفرح الملك الظاهر باسلامه وكذلك أبطال الاسلام وأعرضوا على من بقى من عسكره الاسلام فأسلم أكثر من ألف نفس والباقى البعض شرد والباقى راح على السيوف كالقطن المندوف فأخلع عليه السلطان وعلى إخوته وأمر الملك بالزينة فى الاربع قلاع الماحا وعمل فرحا عظيم الشان للبنتين نور المسيح وبدور ودخل على الاثنين الملك عرنوس وأعطى قلعة الكاهنة دواهي لوزيره ساطرين وأوصاه على بنته الملكة بدور وكل بنت أقامت عند أبيها وكتب القلاع الاربعة للبنات الاربعة أقطاعا بلا مال وكان بين قلاع الماحا ومدينة الرخام مسيرة ستة أيام فى البر فوعدهم الملك عرنوس أنه يبقى يمر عليهم وركب السلطان وعساكره والملك عرنوس صحبته وطلبوا بلاد الاسلام وأما البنات فانهم يقيمون حتى يظهر لهم أربعة أولاد كانهم الاسود فى كلام يكون لهم إذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه وأما السلطان فانه سار بالعرضى إلى مدينة الرخام وحط بالعرضى فطلع

الملك عرنوس وحمل عرومة السلطان والعرضى ثلاثة أيام حتى ارتاحت العساكر وطلع عرنوس قيانية وزخرة للعرضى وسافر الملك الظاهر وسار عرنوس يودعه يوما كاملا وحلف عليه السلطان ورده إلى مدينة الرخام وسافر السلطان إلى مصر حتى وصل بالعرضى وتعقد له الموكب وزينت مصر وكان لدخوله يوم مشهود حتى طلع إلى قلعة الجبل أطلق من فى السجن حلاوة السلامة وجلس يتعاطى الاحكام بالانصاف كما امر النبى جدا لاشراف .

[قال الراوى] أعجب ماوقع وأغرب مااتفق أن المقدم عباس أبو الدوايب له ولد غايب فى اللجج خلاف أولاده الذين ذكرناهم فى كلامنا واسمه المقدم خطاب ابو الدوايب وكان غائبا فلما ظهر من اللجج ووصل إلى قلعة دربية وطال عن ابيه ان كان ظهر أوماظهر فقالوا له ظهر زمان والحمد لله على سلامتك الذى ظهرت بالسلامة فقال لهم وأين هو الآن فقالوا له انه مسافر مع الملك قلاع الملحة فقال لهم ومسكنه فى أى الاماكن فقالوا له فى قلعة كفردى فلما سمع ذلك سار إلى قلعة كفردى وعبر فالتقى رنك شيحة وصورة الطرحانى فقال للرجال اين أبى المقدم عباس أبو الدوايب وأولاده فقالوا سافر مع السلطان إلى قلاع الملحة فقال وهذا الرنك لأى هوصار سلطانا فقالوا له هذا رنك سلطان القلاع والحصون المقدم جمال الدين شيحة وأما أبوك فانه تحت طاعته فاغتاظ من كلام الرجال وركب على حجرته وطلع من قلعته طالبا أباه وشيحة اسمع ما جرى إلى المقدم جمال الدين فانه بعد قتل الكاهنة دواهى على يد الملكة تاج ناس وجرى ماجرى وبعد خلاصه طلب جوان فلم يلقاه فاغتاظ من هروب جوان وطلع طالبا جرته إلى أن وصل إلى دير الحية وذلك الدير بين قلاع الملحة والانتقية فدخله ليلا وكان قصده أن يكمن لجوان فيه فلأجل انفاذ القضاء والقدر أن جوان تبايت فى قلب ذلك الدير فلما عبر المقدم جمال الدين وطرق باب الدير ارتجفت أعضاء جوان فقال للبرتقش هذا الذى على باب الدير شيحة فقال البرتقش صدقت بذاته فتدارى جوان وقال إلى الرهبان اقبضوا عليه فنزلوا أربعة بطارقة ووقفوا خلف الباب وفتح البترك باب الدير وعبر شيحة فتكاثروا عليه وقبضوه قبضا باليد وقد ظهر جوان فقال له وقعت يا شوبحات كلما اعمل لك منصفا واقبضك تخرج من يدى وأنت فى هذه كنت ماسكك أنا وخلصت على يد تاج ناس ولأى شىء ما سافرت معها إلى بلادها فقال له أنا عندى قبضك وضربك أحسن لى من العودة إلى بلاد الاسلام فقال جوان وها أنا قبضتك وفى هذه الليلة اخرج لعن الشرك من بين أظافرك فقال

له بخلق السابق ونوزه ونويورد وعلى الطريد وعقد طرد البحر والكل تاهون خاطرى وان شاء الله فى هذه الليلة نأكل أسواطا لما تشبع فقال جوان يابرتقش ما قعدت اقعد هذا الدير ثم انه أخذ شيحة وراح على مينة البحر فلقى مركبا يأخذ ماء الشرب فنزل هو والبرتقش وشيحة معه وسار حتى رسى على اللاذقية برسم الغليون وكان المقدم خطاب على مينة اللاذقية فالتقى البرتقش وهو طالع لقضاء حاجته فقدم المقدم خطاب وقال ما تعلم أين جوان فقال البرتقش جوان فى هذا الغليون ومعه شيحة فى الحديد وروح عنده خذه منه اقتله وتسلطن فقفز المقدم خطاب حتى بقى فى المركب وصاح على جوان وقال له اين شيحة ياجوان فقال جوان عندى فان كنت مرادك قتله وتتسلطن عليه دونك وما تريد فتقدم المقدم خطاب ووضع يده على الهاكرية واراد ان يضرب شيحة فقال له البرتقش قبل ماتقتل شيحة يافداوى انظر لك قلعة تقيم فيها تكون حصينة ربما ان ملك المسلمين يدور عليك تكون راضى على نفسك محترزا على مهجتك فان شيحة ما هو وحده حتى تقتله وتتهنى فقال جوان يافداوى أنا أرسلك إلى قلعة النجم إلى المقدم ناقيل احبس شيحة عنده وأنا أجمع لكم عساكر نصارى تساعدكم على دين المسلمين فكتب جوان كتابا إلى المقدم ناقيل يذكر فيه حال قدوم خطاب اليك تكون معه وتساعده حتى يقتل شيحة وكل من كان معه من المسلمين وبعد ذلك اقبض عليه معهم واذبح الجميع حتى تبلغ الارب وأخذ الثار من المسلمين فأخذ الكتاب المقدم خطاب وسار إلى قلعة النجم ودخل على ناقيل وأعطاه الكتاب الذى كتبه جوان فقال له مرحبا بك ياسيدى ووضع شيحة فى السجن عنده وأوصاه عليه وعاد إلى قلعة فالتقاه أخوه شرف الدين وسلم عليه فقال له ياشرف الدين انت طعمت شيحة وأبوك معك فقال يا أخى والله ما طعمته إلا قهرا عنى أنا إلى الآن رايح أفزع من شيحة وأما أنا لاقى لى حيلة حتى كنت أملكه فقال خطاب ان كنت خايف من شيحة اعلم انى كنت قبضت عليه بقوتى والعزم وحبسته فى قلعة النجم فان كنت معى سر بنا حتى ندور قرعته وتلعن ابا لحيته فقال أنا معك فساروا الاثنين قاصدين قلعتهم فاجتمعوا بأبيهم المقدم عباس وحكوا له فقال لهم لا تتجننوا يا أولادى الجنون الزائد فان شيحة بلوة فخافوا منه لا يخاف عليهم وقبضهم فقبضوا وساروا به إلى قلعة النجم فقال ناقيل ما لقيتم احد تقبضوا عليه إلا اباكم فقالوا له وانت اى شىء يخلصك يا قران فاغتاظ ناقيل من خطاب أخيه وصبر إلى الليل وقبض على الكل ووضع الثلاثة فى الحديد بعد ما بنجهم فلما أفاقوا ونظر المقدم عباس إلى تلك الفعال فقال لهم واحد كلب مثل هذا

قبضنا وتريدون أن تأخذوا شيحة فى عمله باخرفو اذا خاص شيحة وساخكم انتم الاثنين
فقال شرف الدين يا أبى أنا طائع شيحة من زمان واما أخى الذى جانى واغرانى
حتى طاوعته ووقعت فى يد هذا القران يهنى فليه منا وأنا ظننت أن أخى صادق فى
مقاله وما أعلم أنه قليل العقل ولكن كان الذى كان هذا ما جرى وأما هو فانه الدفع
الى تبع من أتباعه وقال له اطلع متش على عالم الملة جوان حتى يحضر قبل تقدم بين يديه
فطلع التبع قاصد الى جهة يفرة ومازال سائرا الى الليل حتى دخل ديرا ابات فيه
وكان أوان الشتاء فالتقى جماعة شماسية افرنج ولم يعلم كلامهم فقعد بجانبهم وكلمهم فما
عرفوا كلامه فقال له بترك من الدير أى شىء لك بالناس

فقال يا أبانا احذر ان يدخل عندك غريب فان شيحة سراق المسلمين عندنا فى قلعة
النجم محبوس عند المقدم ناقيل وارسلنى الى جوان حتى يحضر قتلهم حكم ماجانا منه
فى كتابه وها أنا داير على جوان كل هذا يجرى والرهبان سامعين وكانوا هم اولاد
شيحة السابق ونورد ونويرد وعلى الطويرد ومحمد طود البحر فسمعوا كلامه ولم يلتفتوا
اليه حتى دخل الليل وقام على الطويرد ذبحه واخذ ثيابه ولبسها وتلمط فى صفته وقال
انا ادخل الى قلعة النجم واقابل ناقيل وكان معه ختم باسم جوان فكتب كتابا على
لسان جوان يقول ارسل المسلمين مع غلامى هذا فنظر ناقيل فى وجه الطويرد فعرفه
فاخفى الكيد وقال له واين عالم الملة فقال سبقنى الى غرة وامرنى ان الحق بالاسرى
فقال له مالح ياسيدى وغاب عنه واتى له بقدح ملان ماء فشرب منه وكان الملعون
متحملا بضد البنج والقدح مبنج وكان الطويرد عطشان فاخذ ذلك القدح وشرب
منه فرقد فاخذه وسجنه عند ابيه هذا وناقيل عرف ان اولاد شيحة لابد ان يتبعوا
اخاهم فاحترز على نفسه فلما دخل الليل كانوا اولاد شيحة استغيبوا اخاهم فاتوا الى
صور القلعة ورموا مفردا وطلعوا واحد بعد واحد وناقيل واقف لهم على الصور
وكلما طلع واحد قبضه حتى قبضهم جميعا ووضعهم فى السجن عند شيحة وبعد ذلك
لما طلع النهار ركب جواده وطلع يدور على جوان ومما اتفق ان اتباع المقدم عباس
لما فقدوا مقدمهم أرسلوا كتابا مع كيخية القلعة إلى السلطان بما جرى فسار الكيخيا
حتى دخل على الملك واعلمه بما جرى على المقدم عباس من ابنه وراح إلى قلعة
ناقيل فقال الملك هذه أفعال أولاد الزنى ولا شك انهم ماهم من ظهر أبيهم لان
الفلاحين مالهم دين وهؤلاء أدرعية ولكن يا إبراهيم ألزمتك أن تروح ولا ترجع
إلا ومعك خطاب فقال سمعا وطاعة وأخذ سعد ونزل قاصدا إلى قلعة النجم فالتقا
ناقيل فى الطريق وهو راكب على الحصان يدور على جوان فصاح به المقدم

لابراهيم وقال له انت رايح فين يا ناقيل فقال ناقيل ياسيدى أنا عبر على رجل فداوى اسمه المقدم مرتين صاحب قلعة الدير وقبض على وملك قلعتى وأراد أن يقتلنى فهربت منه خوفا من الموت وبعد هروبى بلغنى انه قبض على شيحة وأولاده والمقدم عباس أبو الدوايب وأولاده وحبس الجميع وها أنا مرادى ادخل على أحد منكم ايخلص لى قلعتى من هذا الجبار فقال ابراهيم يا ناقيل أنا شايف عينيك تقول لى انك كداب ولا فعل هذه الفعال إلا أنت يا ابن الأنذ ل ثم مد يده قبضه من خناقه ركتفه وقال احفظه يا سعد حتى أعرفه عاقبة كذبه الذى يكذبه على الناس ثم انه سار إلى قلعة النجم وقال يا معلمين اعلموا أن المقدم ناقيل قبضناه وأسرناه ومرادى اقطع رأسه إن لم تخرجوا لى شيحة وأولاده والمقدم عباس أبو الدوايب وأولاده لما سمعوا منه هذا الكلام خرجوا له من القلعة مثل قطع الغمام وحملوا على المقدم إبراهيم مثل الغمام نظر المقدم سعد إلى ما جرى فوضع يده على شاكريته وضرب اقيل رمى رقبته وترك القتال ودخل إلى القلعة خلص شيحة وأولاده وعباس ابو الدوايب وحكى له على إبراهيم فقال شيحة الحق يا مقدم عباس ساعد إبراهيم فركب المقدم عباس حجرته وطلع يلاقى المقدم إبراهيم املاك الصهارى وأ لام بالذل والخسارة فلما نظر ذلك قال احسنت يا ابو خليل ويا ركن المجاهدين ومال معه على الكافرين وأدركهم المقدم سعد فما كان إلا قليل حتى جعلوهم ما بين جريح وقتيل ونهبوا الحصن وعاد المقدم عباس يدور على اولاده فلم يجدهم فقال يا مقدم إبراهيم الاولاد هربوا فقال إبراهيم والحاج شيحة اين هو وأولاده فقال ما أعرف اين مرق الآخر ولا أولاده [قال الراوى] ان المقدم جمال الدين أخذ اولاد عباس على ظهر حصان مشدودين بالعرض وسار بهم إلى مغارة ونبع الاثنين ورفيق خطاب وقال له انت تريد أن تكون ساطانا على الحصون بلا شيء هذا شيء ما قال به احد وإنما لما تذوق حلاوة السلطنة فان أعجبك ابقى دور عليها وفك زراراته عن صدره واستلم السوط وضربه ثمانين سوطا حتى شرمط صدره وبعده تقدم إلى شرف الدين والسوط فى يده يلتوى مثل الثعبان وقال له يا قليل الادب أى شيء أغراك على العصيان فقال له يا حاج شيحة أنا دخيل عليك فأنا طائع ما أنا عاصى حتى تؤدبنى وانما انا اغرانى اخى وتبت على يديك وان رجعت الى غيرها أبقى استحق كل ما تفعله معى وأنا والاسم الاعظم طائعك وهذه شواكرى اكتب اسمك عليها فقال له اصبر لما أبرد لاخيك الضرب الذى على صدره وتقدم شيحة وداواه حتى برد الضرب عنه فلما افاق قال يا حاج شيحة يكفى الذى جرى لى وأنا

المطيع وهى طاعة الخوند لك حتى تقرم الحجر فى البحار وأما عدو من عاداك وصديق لمن والاك والاسم الاعظم فكتب اسمه على شراكر الاثنين وفك الاثنين من الشباحات وقال لهم الحقوا اباكم وكتب أسماءهم فى دفتره ورتب لهم الجامكية والعلوفة وساروا إلى قلعتهم وأما إبراهيم وسعد فانهم عادوا إلى مصر وأعلموا السلطان وأقاموا فى خدمة السلطان إلى يوم من الايام عبرت الست حسنة الدمشقية زوجة دحرج من الشام إلى مصر وكانت قادمة من الشام [يا سادة] وكانت هذه حسنة هى دادة الملك محمد السعيد وقصدت الحج إلى بيت الله الحرام فلما ارادت ذلك عبت حوائجها وأرادت أن يكون سفرها على مصر ومن مصر تسافر مع الحج المصرى وفى سفرها من الشام وهى قادمة على مصر عبرت على الكرك ودخلت على سراية المغيث ملك الكرك فاستقبلها حريم المغيث وفرحوا بها لكون أنها من افضل اشراف الشام وأضافوها عندهم ثلاثة ايام وكان المغيث ملك الكرك بنت اسمها قمرية وهى ذات حسن وجمال وقد واعتدال فنظرتها الست حسنة فقالت لها ياقمرية ماأحسن إذا كنت عروسة للملك محمد السعيد ابن السلطان فقالت لها يا سيدتى من يوصلنى الى تلك المرتبة الا اذا أراد الله تعالى فقالت لها الست حسنة أنا أكون الواسطة وأجمع بينك وبينه فان جمالك هذا لا يصلح الاله وأنت ايضا لم تجدى أحسن منه فقالت لها يا سيدتى افعلى ما تريدى وبعد هذا توجهت الست حسنة الى مصر ودخلت على سراية السلطان وعندالمساء دخل السلطان فقامت وقبلت انكه وكان هو ايضا يحفظ ودادها فسلم عليها باشتياق وتبسم فى وجهها فدعت له بدوام العز والبقاء وازالة البؤس والشقاء وكان معها من فواكه الشام شيء كثير من زبيب وتين وتفاح ولوز وجوز ومربات وشربات وحلاوات مما يصلح للهدايات ففرقت على الذى فى سراية السلطان والملكة وجميع بيوت الوزراء مثل الاغا شاهين وقلاوون الالفى وكذلك الامراء جميعا الا السعيد لم ترسل اليه بهدية الى ليلة من الليالى قاعدين محاضيه فقالوا يا ملك لاى شيء ودودتك الست حسنة الدمشقية اهدت جميع دواير ابيك مما معها الا أنت لم تهد لك شيئا فقال السعيد أما هذا من اعجب العجاب ثم انه قام ودخل عليها وكانت الملكة تاج بخت اخلت لها قاعة خاصة لمحل اقامتها ورتبت لها كلما تحتاج اليه من فراشات ومأكولات ومشروبات وخدم وجوار تقوم بواجبها فلما كان ذلك اليوم ودخل السعيد على الست حسنة الشريفة فكانت الملكة تاج بخت قاعدة عندها فلما دخل السعيد قال لها يا دادتى لاى شيء ما هديتينى مثل ما هديت ابى وامى واخوتى والوزراء وأرباب دولة

انى مع انى انا أقرب الناس اليك لانى انا ابك فى الرضاع فقالت له يانور عيونى وأنت هدينك عندى باقية فانا احضرا هالك فانت الروح الذى لا يحي الجسم الا بها وكل دايرة لدرلة مدينة وأنت بابها ثم قدمت له من المربات والحلويات والفوكه والفطرة التى كانت جعلناها على اسمه وقالت له يانور عيونى هذه هدينك خذ منها وفرق على احبابك ورفقتك انا كنت خليتها عندى حتى اعلمك انى رأيت فى مدينة الكرك بنتا اسمها قمرية وهى بنت الملك المغيث واقول ان ما تحت قبة السماء لها مثيل فان البدر يستحى من حسن وجنتها والنسيم حركتها وضياء الشمس رؤيتها وأنا يانور عيونى اطلب من الله تعالى ان يجمع بينك وبينها فى فراش الهنا وتتهنى بها وتبلغ غاية القصد والمنا فلما سمع السعيد ذلك الكلام تهلل وجهه بالفرح والابتسام وقال لها لعل يكون ذلك على يديك لتنظرى ما تقربه عينك فقالت له ان شاء الله تعالى عن قريب ها ما قرأت الفاتحة مع أمها فلما سمعت الملكة تاج بخت ذلك فرحت . صبرت حتى ان السلطان طالع إلى السراية فقالت له يادولتلى انا ارغد فى نعمتك هذه المدة المستطيلة لم نتمونى بتك ولا تمنية فقال السلطان وأى شىء هذه التمنية يا ملكة تاج بخت الذى بقى لى عليه نافذ وأنت بقيت شريكتى فى مملكتى . لم أعرف غيرك ولم تعرفى غيرى فدعت له ونبلت الاتك وقالت يا ملك الدولة اشتهى ان تخطب للسعيد قمرية بنت باشة الكرك المغيث فقال السلطان يا ملكة اعلمى ان المغيث لا شنهى ذكرى ولا يقبل ان ينظر إلى فانه عدو مبين وأنا ما ارضى ان يناسب ولدى فانه ان ظهر لولدى قتله وهذه عداوة قديمة من زمان فقالت يا ملك وأنت سيفك خضعت له ملوك الروم وملوك العجم وتخشى من واحد كردى مثل المغيث وأنا يا ملك الاسلام اشتهيت ذلك منك وان كان عدوك فيكون هذا السؤال سببا لاظهار العداوة اما ان ينعم بما طلبت ولا يكون سبب قلع شانته ان خالف كلامك وما دامت الملكة والست حسنة مع السلطان حتى انعم واجاب ونزل إلى الديوان وكتب كتابا واعطاه إلى عز الدين الحلبى وأعطى له هدية وهى أربعة عقود من الجواهر كل عقد احدى عشر جوهرة كل جوهرة تقوم بخراج الكرك سنة وعشرة خيول كحايل بعدتها من الذهب مكاليل بفصوص الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر وخمس نوافش من المسك الاذفر وخمس طبلات من الطيب والعنبر وخمس جوار جركيات ومثلهم حبشيات وقال له ياامير عز الدين أخطب بنت المغيث قمرية إلى ولدى محمد السعيد وكلما اراد من المهر فهو وشأنه ولا نعدلا بقضاء الحاجة فقال الأمير عز الدين الحلبى سمعا وطاعة وسافر حتى دخل على الكرك ودخل الهدايا التى

معه واعطى المغيث الكتاب فلما قرأه زاد به الغضب وعبس وجهه وقطب والتفت إلى عز الدين الحلبي وقال له وانت بقلة عقلك اعتمدت على كلام هذا المملوك حتى انك تخطب لولده بنتي وتكون انت الواسطة حتى يتصل نسبه بنسب المماليك الذين أصلهم بعشرين درهم أما تعلم اني دويت قدر ثمنه مراكيب ثم انه شرمط الكتاب فاغتاظ عز الدين الحلبي وقال له الله يادايم وابلغ من قدرك يامغيث ان تتجاسر على هذه الفعل وتشرمط كتاب السلطان وأناحامله اليك مع ان كتاب السلطان لوكان مع اقل واحد من اهل الحصون ودخل به على أكبر ملك وشرمطه كان قبل مايشرمط الكتاب طائرا راسه من على اكتافه ولكن يامغيث الله يجعل هذه النوبة آخر رؤيتى لوجهك وبعدها مابقيت اراك فقام جلساء المغيث وقالوا للامير عز الدين الحلبي يا دوليلى لا تأخذ بخاطرك إلا الطيب وانت لاتتغير من المغيث فانه إذا علم السلطان ذلك قتله فقال المغيث يعنى الكتاب هذا بقى شىء يتخيط ولو تكلف مهما كان فقالوا له خياطته قضاء الحاجة واندم بما جاء فيه الوزير وهو يكتم هذا الخبر ولا يعلم السلطان بما جرى منك فقال سمعا وطاعة ثم انه قام جهز بنته كل مايقدر عليه واخذ بخاطر عز الدين الحلبي وقال له أنا اخطأت وأنت تسامحنى مسامحة وأما المغيث فانه احضر حقا من الصينى ووضع فيه خردقة سم خارق واعطاه لبنته وقال لها علقيه فى شعرك وإذا اختليت بالسعيد فادغريه له فى الشراب فاذا شربه يذوب لحمه بين الثياب وطلع سلمها للامير عز الدين الحلبي وقال له ياسيدى انت باشة الأكراد جميعا وهاهى تقى انت الحاكم عليها وانا لا اخالف أمرك قط فتسلمها الامير عز الدين ونزل إلى مصر فطلعت إلى سراية السلطان وعمل لولده فرحا سبعة ايام وفى الليلة الثانية كانت ليلة الجمعة ادخلوها على السعيد بعدما زل وزار مقام الحسين وطلع إلى السراية ودخل على قمرية وأراد ان يزيل بكارتها وإذا بالملك الظاهر قام ودخل عليه فقال سعيد قال نعم وكان الباب مقفولا فضربه السلطان كسره ودخل فوجد السعيد إلى الآن لم يقرب البنت فنتر السعيد واخوه والتفت إلى البنت وقال لها اين الحق السم الذى اعطاه لك ابوك وقال لك سمى به السعيد فقالت له ياسيدى انا والله ماطاوع ابى على ذلك ولا انا ممن تستحل دم بعلها وهو ملك بن ملك فقال لها هاتيه فناولته من شعرها فالتفت إلى السعيد وقال له طلقها حتى تردها إلى اهلها فطلقها السعيد خوفا من ابيه وطلع السلطان وكانت العلماء قاعدين والاكراد فاراهم الحق السم وقال لهم هذا يجوز فى شرع الاسلام اطلب من المغيث بنته ازوجها لابنى يعطيها هذا السم ويأمرها ان تسقيه لولدى فقالوا هذا يستحق القتل فانه منافق فقال السلطان

اكتبوا لى فتوة بذلك فكتبوا له فتوة حكم طلبه وقام السلطان فى الصباح واحضر عز الدين الحلى وسلمه البنت وقال له يا امير خذها وردها إلى ابيها حكم ماجئت بها فقال سمعا وطاعة ياملك الاسلام فاخذها وردها الى ابيها بسلامة ولما وصل عزالدين الحلى واخبر المغيث فزعه بالكلام فقال المغيث والله لولا انك ابن عمى ما كنت اجعل جوابك الا السيف اما تعلم ان هذا بيبرس مملوك ابن عمك وانت احق منه بالسلطنة فقال عز الدين الحلى انت رجل طران وعقلك خالطه الجنون يا رجل المقدم من قدمه الله وانت مرادك ان تعارض المولى فى حكمه والله لابد لك ان تموت مقهورا من سيفه ولا تبلغ غرض ولا تشفى لك مرض ونزل عز الدين من عنده وهو مغتاظ وسافر الى مصر واما المغيث فانه كان فى ليلة من الليالى نائما واذا بالذى ايقظه من منامه وقال انت بيبرس ياقران الذى يقولون عنك انك سلطان فقال المغيث يامقدم انا اسمى المغيث وهذه المدينة اسمها مدينة الكرك واما بيبرس الذى تذكره فانه ملك الاسلام يحكم على كل الملوك انا وغيرى وهو فى مصر وما السبب فى سؤالك عنه فقال ياشيخ انا عمال ادور عليه ومرادى اقطع راسه فانا يقال لى سمعان القرن صاحب قلعة وكنت غائبا فى اللجج مدة . فلما ظهرت رأيت الدنيا تغيرت وما بقى احد نعتمد عليه وسمعت ان واحد اسمه بيبرس وواحد اسمه شيحة صاروا سلاطين الدنيا احدهم مملوك والآخر بدوى فعلمت ان الدنيا تملكها غير اهلها نقلت ما بقى الا اننى اقتل الاثنين واريح الدنيا منهم وان كانت الرجال تطيعنى حكمت عليهم وعملت سلطانا على الفداوية واسلطن على الدنيا واحد من طرفى وان كان تعصى الرجال ولم يرضوا بطاعتى قتلت منهم كم واحد حتى يذلوا ويطيعونى وان رأيت الغلبة داورت الى اللجج والسلام فقال له المغيث يامقدم اعلم انى انا مثلك لى مع بيبرس عداوة لا تمحى على طول الزمان فانه مملوك ابن عمى الصالح ايوب ولما مات ابن عمى تولى هو السلطنة وحكم علينا وآخرا طلب بنتى منى على ان يزوجها لابنه فارسلها الى ثانيا ويدعى انها كانت تريدان تسم ولده وها انا قاعد منتظر له العرضيات فقال المقدم سمعان اذا كان الامر على هذا الحال انا اسافر الى مصر واقبض لك على الظاهر واقطع راسه وآجى الى عندك واجعلك انت سلطانا على مصر والشام وسائر بلاد الاسلام واكون انا سلطان القلاع والحصون فقال المغيث وانا من تحت امرك فعند ذلك تحالف المغيث والمقدم سمعان القرن انه يكون هو واياه على الخير والشر فنزل الفداوى وسافر الى مصر فدخل القلعة واراد ان يدخل الديوان فصبر الى الليل ورمى مفرده تحت قاعة الجلوس فكان الملك قاعدا يتلو نصيبا من القرآن ويقرا اوراده فسمع دق الشاكرش على

البلاد فانتبه لنفسه وصبر على الفداوى حتى طلع على الجدار ورمى الاكره ونزل عليها
فالتقاه السلطان وضربه بالت الدمشقى على جدر رقبته رماه وكتفه ونادى على
إبراهيم وسعد دخلوا عليه ونظروا إلى ذلك فقال المقدم إبراهيم هذا سمعان القرن
ولكن ياسمعان أى شىء اغراك حتى تجاسرت إلى حد كذا وتجاريت على اتلاف
مهجتك إن كنت طالبا سلطنة القلاع والحصون هذه بعيدة عن شواربك وشوارب
غيرك لان الحاج شيحة حاوى من كل معنى طرب وما قدمت الاعلى سلخك وإن
كنت تريد أن تعادى ملك الاسلام فانت ظلمت نفسك وإن هذا ملك الدولة الذى
حكمه الله على رقاب الامم وذلت لسيفه ملوك العرب والعجم وملوك الروم والترك
والديلم فما أنت نقطة من تياره ولا شرارة من ناره وها أنت بقيت على قدم الاعدام
إذا لم تأت بعذر ينجيك من قدامه والا كلة من فمه بضربة من يدى تروح نصفين
لا ينفعك أحد فقال المقدم سمعان ياحورانى أنا اشتركت مع المغيث باشة الكرك أن
اجعله ملك مصر واكون أنا ملك القلاع والحصون بعد ما اقتل الظاهر وشيحة فلما
اسمع السلطان منه هذا الكلام امتزج بالغضب وقال له يبقى المغيث اشترك معك
على هذا الامر فقال الفداوى نعم فقال السلطان أن كنت اخليه يعيش فى الدنيا ما
اكون من ظهر شاهجمك وأنا والله لولا أن مولاى الملك الصالح كردى ما كنت
ابقيت من الاكراد أحدا فقال الامير عز الدين الحلى يا ملك الاسلام لاتاخذ
البرى بالسقيم ومتى حصل من أحد من الاكراد نفاق على السلطنة غير هذا المغيث
وإن كنت تريد حضوره إلى بين يديك فانا احضره اليك وتجازيه بما يستحق فقال
السلطان أنا اركب على قلعة الكرك واخربها بالبكة والفدان ولا اترك فيها ولا انسان
فقال عز الدين الحلى حرام عليك يا ولدى أنت خصمك واحد وتهلك من اجله
جماعة فقال أحمد بن ايبك يا ملك الاسلام اعلم أن المغيث زوج عمتى وأنا ارسل
احضره بين يديك فان اعترف بذنبه وتاب فالله يعفو عن كثير ومولانا السلطان عادل
وان دام على لجاجه فانه يستحق السخط والغضب فقال السلطان اركب أنت
وعسكرك على الكرك فقال سمعا وطاعة وقام أحمد بن ايبك وبرز بعسكره وسافر
طالبا الكرك ومادام حتى وصل الكرك وسار إلى أن دخل على المغيث وسلم
عليه وبعد السلام قال له انت يا امير عاقل ولاى شىء فعلت هذا الفعل الذى يجلب
غضب السلطان وما أنت قياسه فى الحرب ثم انه حكى له على ما قال السلطان لما سمع
كلام المقدم سمعان القرن لما قبضه السلطان وكيف قال انك تعاهدت معه على قتل
السلطان وتتولى أنت واياه فقال المغيث يا أحمد وانت يخاطبك انى ازوج بنتى

لولده السعيد وهو ابن مملوك ابن عمى الملك الصالح وإذا صار سلطانا فهذا من تقلبات الدهر والأزمان وأما أنا فطامت بأكثر من ثمنه مراكيب كيف يعلو على وأنا عارف أصله فاغتاظ أحمد بن ايبك من كلامه وقال له أنا ما أرضى انك تقول مثل هذا الكلام فى حق السلطان فقال المغيث وانت رضيت أن أزوج بنتى قمرية إلى السعيد فقال احمد إذا كنت مالك غرض فى زواج بنتك من الذى غصبك بل أنت الذى رضيت وبعدها اعطيتها السم حتى تضعه له فى الشراب كما أمرتها فقال المغيث أنا ما أمرتها بذلك ولا أعطيتها السم وإنما هذه مفعولية من الظاهر وما قصده إلا أن يجعل له وسيلة لقطع الأكراد لكون انهم من فخذ السلطنة وخايف أن يعارضوه فيها وأنا اسمعك من بنتى صدق الكلام قم معى إلى الحريم واسمع من بنتى ما تقول فقام احمد بن ايبك ودخل معه إلى السراية ونادى المغيث لبنته فخرجت وهى تتخطى خطوات الطاوس فى حال الجمال وتلتفت لفتات الغزال وترمى من أسهم جفونها نبال تصيب بها مقاتل الرجال فلما نظر احمد بن ايبك إلى ذلك الجمال أشغله الهوى وزاد به البلبال فقال للمغيث أنا ابن المعز ايبك التركمانى وهذه بنت عمى وأنا أحق بها من السعيد ومن غيره وها أنا جئتك خاطرا مثل الضيف واريد منك أن تنعم على بزواجها ودع السلطان يغضب على وعليك وأنا لا أبالى به ولا اسأل عنه وإن حاربنا حاربناه وإن قاتلنا قاتلناه وإن نصرنا الله تعالى عليه قلعناه من على تخت مصر والذى يجرى يجرى وأنا أرسل مرطرف واحدا يخلص المقدم سمعان القرن من سجن السلطان وتأمره أن يحضر رجاله ومن يلوذ به من قنو الادرع ونكون يدا واحدة على الاعداء مساعدة فقال المغيث إن أردت ذلك فاعمل ما تريد فعندها دعى احمد بن ايبك مملوكا عنده اسمه راشد وهو عدته فى جميع الشدائد فقال له أريدك أن تسير إلى مصر وتخلص المقدم سمعان من سجن السلطان فقال سمعا وطاعة وكان هذا الملعون صاحب حيل ومكر وهو آفة من الآفات وبلية من البليات

فعند ذلك سار إلى مصر ودخل على السجان بالنهار وقال له إن مولانا السلطان أمرنى أن أتولى خفر هذا الفدارى وأوصيك عليه فان قصده ان يصلبه بعد يومين على باب المتولى ليعتبر به كل خائن فصدقه السجان لانه يعرفه انه مملوك احمد بن ايبك وما هو غريب كان يحسب حسابه فاقام عنده إلى الليل وذبح السجان وخلص المقدم سمعان القرن وحكى له على ما جرى بين المغيث والامير احمد فقال المقدم سمعان إذا كان كذلك اكون معهم وقاتل بين ايديهم حتى ابلغ اربى واقتل الظاهر وشيحة وابقى انا سلطان الدنيا ثم انه سار معه إلى أن وصل

خارج القلعة وراحوا إلى بيت أحمد بن أيبك وأخذوا منه أربعة خيول نجادى فركبوا اثنين وجنبوا اثنين لأجل الغيار فى الطريق وساروا يوما وشهرهم بالليل والنهار حتى وصلوا إلى قلعة الكرك ودخلوا على المغيث وأحمد بن أيبك وكانوا لهم فى الانتظار فلما رأوهم فرحوا بقدومهم عليهم وأحضروا لهم الطعام فأكلوا وأحضروا لهم الشراب فشربوا وبعد ذلك حكوا للمقدم اسماعيل عثمان القرن بما اتفقوا عليه من العصيان وأن يضادوا الملك الظاهر وهذه قلعة الكرك حصينة كما ترى معكم فقال لهم وأنا أقاتل ولا أبالى بالظاهر ولا بكل من يتبعه من العساكر وكان للمغيث ولد اسمه كمال الدين ولكنه ولد فاجر فأخذه المقدم عثمان وأحمد بن أيبك ووقفوا فى الطريق للقوافل الواردة فنهبوها وحاشوا مال الخواجات فكان من جملة ما أخذوا مال رجل يقال له السيد حسن البنا من تجار الشام وبينه وبين الخواجة شمس الدين السحرتى شركة فى المتاجر فقال لهم هذا مال الملك الظاهر فقال كمال الدين وهذا الذى قاصدينه فان الظاهر على كل حال عنده غيره وأما التجار ما عندهم غيره فان كنت قصدك تأخذ مالك روح إلى الظاهر وقل له يركب ويخلصه منا فسار الخواجة حسن البنا إلى مصر ودخل على الخواجة شمس الدين وأعلمه فأخذه وطلع إلى السلطان وقال يا ملك الدولة إذا كان يدوم علينا قطع الطريق فان التجار تتوقف عن السفر ومولانا وعدنا بالامان فقال السلطان أنا أركب وأزيل هذه البدعة وأقاتل هؤلاء الخاينين على أفعالهم وأجعلهم شهرة لأجل أن يعتبر بهم غيرهم ثم ان السلطان أحضر السعيد ابنه وأجلسه على تخت مصر فقال المقدم ابراهيم يا دولتلى أنت كل نوبة تترك السعيد على التخت ولم تتركه يروح معك نوبة يتعلم ترتيب الحرب أما هى مصيبة إذا كان ابن الملك ولا يعرف أوصاف الحرب كيف تكون وكذلك الملك أحمد سلامش هو ابنك اتركه يقعد على تخت مصر نوبة وأوصى عليه الوزير حتى يتعلم الحكم وهو صغير حتى إذا بلغ مبالغ الرجال يبقى عارفا بالحال وما يدخل عليه المحال فقال السلطان صدقت يا مقدم ابراهيم ثم ان السلطان أجلس أحمد سلامش وأوصى عليه الوزير وأمره بالعدل والانصاف وترك الجور والاسراف وقال يا ولدى الظلم ان دام دمر والعدل ان دام عمر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ان الظلوم على حد من النقم

تنام عينك والمظلوم منتبها يدعو عليك وعين الله لم تنم

وسافر السلطان حتى وصل إلى الكرك ونصب العرضى فانضربت المدافع منصوبة على قدر مرمى النار ونصبت الفراشون الخيام أمام الملك للراحة ثلاثة أيام وكتب

كتابا واعطاه إلى ابراهيم فاخذ الكتاب إبراهيم وسار به حتى دخل على المغيث واعطاه الكتاب ففرده وقرأه يلقى فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى من حضرة ملك الاسلام إلى بين ايادى باشة الكرك المغيث اعلم أن الذى فعلته ما هو مقامك لانك باشة على مدينة وإذا كنت معادى مثلى لاى شىء تنهب أموال التجار وتقطع الطريق على الناس المسافرين واحوجتنى أن اركب على بلادك وهى بلاد الاسلام وكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر قتله حرام لكن إذا كان عاصى على السلطنة حل قتله ولكن كان الذى كان وها أنا حضرت بالعساكر إلى هذا المكان وأنت تستحق السخط والغضب والانتقام ولكن أنا ابقى عليك لاجل قرابتك من سيدى الملك الصالح وانما قبل كل شىء اريدك أن ترد الذى نهبته من الناس إلى اصحابه وتأتى إلى عندى معك أحمد بن ايبك وسمعان القرن الذى عمل الحيلة وارسل ملوك خاصته من سجن السلطنة حتى انى اجازيهم على افعالهم وتأتى إلى عندى صاغراً ذليلا طايعا على قدم الاعتذار وأنا اسامحك على ما جنيت هذا اكرام لسيدى الملك الصالح فقط لانى أنا اغرس نعمته

وما شاد بيت فى العلى متجددا الا وعليه الحكم للمتقدم

فان طاوعت وفعلت ذلك لا بأس وإن خالفت وادخلك الشيطان واستحوذ عليك فانا اقابلك على فعلك واخرج الحماقة من رأسك واهد بالسيف اساسك فالحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام على من ظللت على رأسه الغمام بامداده] فلما قرأ المغيث ذلك الكتاب التفت إلى المقدم ابراهيم ابن حسن لما يعلم انه يحب الدنيا وقال له يا مقدم إبراهيم يعنى الظاهر صادق فيما يقول وأنا إذا سرت إلى عنده ومعى احمد ابن ايبك وسمعان القرن يصفح عنى ولم يؤاخذنى باجرامى لكن قل كل شىء هذا أنت حق طريقك لانك رجل نجاب فناوله الف دينار فقال إبراهيم أما الملك الظاهر لا يقول الا الحق فاذا أنت طاوعته على قوله تخلص من سخطه فقال المغيث يا مقدم إبراهيم أنا والله ماكنت راضى بما فعله أحمد بن ايبك والمقدم سمعان لما نهبوا اموال الناس وقاموا الى العصيان وأنا وقعت فى امور خاطرين إذ أنا رحت إلى الملك الظاهر وصالحته اخاف من أحمد بن ايبك لم طاوعنى وإن رحت إلى السلطان من غيرهم فما يقبل كلامى ويلزمنى بقبضهم ولا لى قدرة عليهم فقال إبراهيم وهذا الوقت أى شىء بقى فى يدك ان تصنع فقال أريد قبل كل شىء اقبض على أحمد بن ايبك وعلى سمعان القرن واسلم مفاتيح بلادى فى رقبتى وادخل على

السلطان وفى هذه الليلة أنا أدبر على قبضهم والذى يقبض لى على سمعان القرن وعلى
احمد بن ايبك أعطيه خمسة آلاف دينار فقال له المقدم إبراهيم انا أقبض لك على الاثنين
أحضر القبارصة وأنا ما أعود إلى السلطان إلا بهم وهم معى واتيت عندك فى عملك
وأقبضهم ليلا وكان المقيت أعطى الرموز للاثنين حتى غيبهم من قدام ابراهيم لما
جرى هذا الكلام واتفق هو وابراهيم وبعده أحضرهم وقال لهم ان المقدم ابراهيم
صار رفيقنا فقالوا له أهلا وسهلا وعند آخر النهار حضر الطعام فأكلوا سواء
ثم جاءوا بالشربات فشربوا وأسقوا المقدم ابراهيم كاسة شربات مبنجة فشرب
ورقد فقام المقدم سمعان وكتفه وفيقه وقال وقعت يا حورانى يا خدام المملوك فقال
ابراهيم يا قرن انت أخذتنى من بحر سرجى أسيرا حتى انك تفتخر باسرى ولكن
سوف ترى ما يحل بك من السلطان وتندم ولا ينفعك الندم اذ بقيت قدام السلطان
وينتقم منك فقال المقدم سمعان أنا ما اعرف لا سلطان ولا وزير كل من وقع فى
يدى دعوت قرعته مالم تطيعونى وأبقى عليكم سلطان ثم انه وضع المقدم ابراهيم
فى السجن وبات وهو فرحان وعند الصباح برز إلى الميدان وصال وجال حتى حير
عقول الرجال وقال ميدان ياظاهر يامملوك بنت الاقواسى ياخدام جقلم بظاظا دونك
والميدان فقال السلطان والله اعلموا يا بنو اسماعيل أنكم ما نقطوا فى بعض
وهذا منكم ولا يمكنكم تحاربوه فقال المقدم حسن النسر بن مجور يا دولتلى هذا ما هو
منا نحن من بنو اسماعيل وهذا ادرعى وثانيا يامالك الدولة الذى يأكل خبز السلطان
ما يتاخر عن الحرب والطعان وأنا أول ما أقول لو كان أبى عاصى عليك لابد لى
أحاربه بين يديك ثم قام وركب ونزل الى الميدان وقال جئتك يامقدم سمعان
دونك والحرب والطعان فطبق الاثنين فانهم جبابرة وقد تقاتلوا قتال من له
على خصمه ثار ودين وزعق على رؤوسهم غراب البين ساعة زمانية والمقدم
سمعان مال على حسن النسر وضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه وقام فى ركابه
وضرب المقدم حسن النسر ضربة مشيبة تمام فراغ المقدم حسن النسر من
الضربة فوقعت على رأس حجرته فانقلعت ووقع المقدم حسن النسر أخذه اسيرا
ونزل بعده المقدم سقر الرالى اخذه أسيرا وسقر الحجاز فما تم النهار حتى أخذ خمسة
من الفداوية أسارى وجرح أربعة وعاد فرحان وثانى الايام نزل إلى الميدان أخذ من
الامراء ايدمر البهلوان وعلاء الدين البيسرى والطاير وما تم النهار حتى أخذ
عشرة من الامراء وجرح اثنى عشر وكان آخر من برز اليه آيا غمش ابن أخت
السلطان فعاد من قدامه مجروحا فاغتاظ الملك محمد السعيد وقال كاب مثل هذا يجرح

ابن عمتى وبات تلك الليلة ولما كان عند الصباح خرج المقدم سمعان وطلب الحرب والطعان فطلعه الملك محمد السعيد وهو بالغيظ ملان لكن السعيد ما هو قياسه فقاتله ساعة زمانية فسطا المقدم سمعان على السعيد وضايقه ولاصقه وطاق فى جلباب درعه وعصر عليه رجله من على الحصان فاخذه اسيرا فنظر السلطان إلى ذلك فطار عقله وخاف على ولده من ذلك الجبار وأكثر خوفه من المغيث واحمد بن ايبك لانه يعلم أن المغيث يكره الملك الظاهر وأولاده فعند ذلك كتب كتابا وأعطاه إلى المقدم سعد ابن دبل وقال له اعطيه إلى أحمد بن ايبك فاخذه وراح ليلا ودخل على أحمد بن أيبك وأعطاه الكتاب فافرده وقرأه يجد فيه يا أمير أحمد ما كان ظنى على قدر ذلك منك أنا أرسلتك أنك تصلح بينى وبين باشة الكرك لكون انه يقرب للملك الصالح ويجب علينا أننا نسامحه ولو فعل مهما فعل فرأيتك أخلفت الظن وثورت الفتنة بقى يا هل ترى أنتم مؤمنون وفى أى مذهب يجوز إهراق دماء الاسلام واعتمدتم على ذلك الكافر الادرعى حتى فعل ما فعل ولكن كان الذى كان وحال وصول كتابى هذا اليك تطلق ولدى محمد السعيد وتاتى معه وأنا أسامحك فيما فعلت وان كان يمكنك تقبض سمعان والمغيث وتاتى بهم حتى أوبخهم على فعالهم وأطلقهم ونطفى هذه الفتنة لحال وصول المقدم سعد اليك تجتهد فى اطلاق السعيد على أى وجه كان وتاتى وكلما قدرت عليه تفعله وفرجنى شطارتك حتى تمحى ما فعلت أولا بالثانى وها أنا منتظر فعلك والسلام فلما قرأ الامير أحمد بن ايبك هذا الكتاب عرف أن السلطان خائف على ولده من المقدم سمعان لا يقتله وقدمنا أن الامير أحمد بن ايبك نظر قمرية بنت المغيث وعشقها وأمر أمه ان ياخذها ولو تلفت مهجته بسببها فزين له الشيطان انه ما ياخذها الا بعد موت السعيد فقال للمقدم سعد انا اجتهد الليلة فى خلاص السعيد

فقال سعد ارتاح انت يا امير احمد وانا اخلصه ولو كان تحت اطباق الثرى فقال احمد ما هى محتاجة تعبك يا مقدم سعد ثم انه قام واتى بسفرة طعام وقال اتعش انت على ما اقوم آتى لك بالسعيد فقعد سعد ياكل وكان الطعام مبنجا فاكل سعد فرقد فقام كتفه احمد ايبك وشاله وادخله على ابراهيم وفيقه فقال له المقدم سعد هذه افعالك يا خاين والله ما جبت لنفسك الا الخسارة وخسرت فى هذه التجارة لانك بعد خاطر الملك الظاهر وضيعت كلامه وسوف تندم اذا وقعت قدامه فقال احمد بن ايبك انا ما ارجع الا اذا تزوجت بنت المغيث ولا ابلغ منها الزواج الا اذا ما اقتل السعيد بن السلطان فقال ابراهيم فشرت والله ان قدرت اذا وقعت فى يدى ما ابقى عليك ولا ادعن قطع راسك ولا ينفعك المغيث ولا غيره فتركهم احمد وطلع اعلم المقدم سمعان والمغيث

بما فعل وأورام كتاب السلطان فضحك سمعان القرن وقال هذا من خوفه على ولده حتى وأما أنا لا أقتل السعيد إلا مع أبيه ثم انصرفوا للنوم هذا هو ما جرى وأما ما كان من الملك محمد السعيد فانه قاعد مع المقدم إبراهيم وسعد وبقى لرجل وإذا بباب السجن انفتح والملكة قمرية بنت الحيت داخلة وبيدها شمعة وتقدمت إلى الملك محمد السعيد وقبلت يده وفكته من الكتاف وفكت جميع الرجال والمقدم إبراهيم والمقدم سعد وقبلت يد إبراهيم بن حسن وقالت يا أبو خليل إن الملك السعيد طلقنى من غير ذنب بأمر السلطان وأنا وحق مكون الأكوان وخالق الانسان والجان لو قطعنى إربا إربا فما ازداد فى زوجى إلا حبا وأنا فى عرضك يا مقدم إبراهيم انك تكون الواسطة فى عودتى إلى زوجى الملك محمد السعيد ولا تحرمنى من عمارة بيتى ولا تأخذونى بذنب أبى فقال المقدم إبراهيم والاسم الأعظم ما يبيت باقى الليلة إلا على فراشك وأنت ضجيعته ولكن سيرى قدامى دليني على المكان الذى نائم فيه أبوك فقالت ها هو والعدارى سمعان مع أحمد بن أيبك فى تلك القاعة نايمون فدخل إبراهيم وسعد قبض على المقدم سمعان وعلى أحمد بن أيبك والمغيث ووضعهم فى السجن ووكل بهم المقدم حسن النسر بن عجبور ونزل إبراهيم وباقى الرجال وصاحوا الله أكبر وإذا بالامير كامل بن المغيث مقبل فضربه إبراهيم على نقصته وكتفه ورفعه إلى أبيه ودار بالسيف ليلا فصاحت الأكراد الأمان نحن موفون فقال إبراهيم افتحوا للسلطان البلد حتى يدخل ففتحوا البلد وسمع السلطان العيطة فأراد أن يسأل وإذا بالمقدم سعد مقبل فقبل الارض وحكى له على ما جرى فركب السلطان ودخل البلد رآها أمان فالتقاه إبراهيم ابن حسن فقال له أين السعيد فقال إبراهيم السعيد فقال يا دولتلى عند زوجته التى أطلقتها واطلقته وأبذلت نفسها فى محبته.

فقال السلطان هذه مطلقة منه فقال إبراهيم هذا الطلاق باطل لانه غصب ولا يقع عليه وهى على ذمته فقال السلطان هاتوا المغيث فقدمه إبراهيم إلى بين يدى السلطان

فقال الملك اقطع رأسه يا إبراهيم فقال المغيث افتخرت يا مملوك ياخسيس الأصل وحكمت على أسيادك وقلت اقطع رأسه يا إبراهيم مع انى أنا مقدر عمنك قطعت فاغتاظ إبراهيم من هذه الكلمة وضربه بذو الحيات على وريديه أطاح رأسه من على كتفه

فقال السلطان لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم استعجلت يا إبراهيم

فقال ابراهيم يادولتلى هذا رجل قليل الأدب وقصده قتلك وقتل أولادك ولا شىء تبقى عليه وأما يا ملك الدولة أحمد بن أيبك فانه من رجالك على كل حال وأما سمعان القرن فهذا معضاد الحاج شيحة فهو يتماصل معه وهذه الفتنة كان سببها هذه

المغيث واتلفت بقتله وأما الباقي يا دولتلي فانهم رعيتك فقال السلطان هاتهم ولهم الأمان فقال ابراهيم هاتهم يا سعد وإذا بالمقدم حسن النسر مقبل فقال ان الذين كانوا عندي اسرقرا فاني لما رايتكم قلتم الله أكبر طارت أخذت شاكريتي وأخذتني تحوتي فلما رأيت الدنيا أمنت بدخول السلطان عدت للمسجونين القيتهم هربوا وما أعلم من الذي أطلقهم فقال السلطان إلى حيث مسيرهم يقعوا واراد ان يأمر بنهب أموال الكرك وإذا بحرمة أقبلت وعلى كتفها ولد عمره سنتين وقبلت الارض السلطان فقالت يا ملك الاسلام أنا قاطمة الترسانية زوجة المغيث باشة الكرك وأنت قتلته وهذا الذي على كتفي ولده فان اردت أن تقطع كل الشجرة إلى آخرها فها انا وولدى بين يديك فقال السلطان لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم كتب لها حجة بمملكة الكرك لابنها ووكل عليها الأمير عز الدين الحلبي واوصاه بمراعاتها ودخل السلطان إلى سراية قمرية والسعيد بجانبه لأجل ان ينظر زوجة ولده فتقدمت وقبلت الارض السلطان فقال السلطان يا بنت انت روحي معي إلى مصر والا تقيمي في الكرك فقالت يا ملك الاسلام انا مع زوجي فلا تفتني فان الزوجة مالها إلا سراية زوجها فأمر السلطان بتخت تسافر فيه مع العرضي ورحل السلطان وهو مشغول القلب على اطلاق احمد بن ايبك وسمعان اقرن كيف ما أشفى غليله منهم ولم يعلم ما سبب هروبهم [يا سادة] وكان السبب في اطلاقهم وهو ان المقدم سمعان له اتباع في قلعته مقيمون منتظرين عودته وهو سلطان كان عندهم لما طال عليه المطال وغاب عنهم لم يعد فكان من الجملة له كيخية يقال له المقدم ناهض بن سفر فسار على جرته حتى دخل الشام وهو يتجسس اخباره حتى علم بوقعة الكرك وماجرى فيها فاتى يكشف الأخبار فكان وصوله بعد ما انقبض سمعان وقتل المغيث فدخل فكهم فقال احمد بن ايبك يا مقدم سمعان قلب السلطان علينا ملا وان وقعنا في يده ما ابقى علينا فقال المقدم سمعان سر معي إلى قلعتي وكن معي وانا املككم كل الدنيا فقال احمد والله يا مقدم سمعان انت خصمك امير خصمنا فانه رجل سلاخ الرجال واما نحن فلابد لنا من احد نقع في عرضه فتركهم سمعان وراح إلى قلعته واما احمد بن ايبك وكمال الدين المغيث فانهم كبر الخوف في قلبهم فما قدروا على الاقامة في بلاد الاسلام فصاروا مشتتين في البراري والآكام وهم لا يمكثون في بلد من خوفهم من السلطان وصاروا على ذلك الحال حتى وصلوا إلى ملك توريز العجم وهي بلد اقدار ملاوون ابن منكطمر صاحب توريز العجم فلما وصلوا إلى هذه البلد كان دخولهم عند المسا فباتوا في خان حتى طلع الصباح وآمنوا على انفسهم من خوفهم من الملك الظاهر فقال

أحمد بن أيبك نحن بعدنا عن ملك الاسلام لكن بقينا نخاف من ملك العجم لأن القان هلاوون إذا علم بنا لا نأمن من شره لأنه رافضي ونحن اسلام [يا سادة] وكان القان هلاوون له ولد يقال له ابرا وهو ولد جبار فأشاروا على بعضهم بالدخول عليه ويقدموا في عرضه ليحميهم من الملك الظاهر ومن القان هلاوون فدخلوا عليه وقبلوا ايديه وحكوا له حكايتهم فقال لهم مرحبا بكم وأكرمهم ووعدهم بالأمان ودخل على ثقلون طاز وزير ابنه وحكى له عليهم فقال ثقلون طاز بكرة اطلع إلى الديوان واحك إلى ابيك قدامي وأنا أحوج أبيك أن يركب على قان العرب ويأخذ بلاده ويهلك عساكره وأجناده ولما كان عند الصباح طلع ابرا إلى الديوان قدام أبيه وقال يا أبي ان قان العرب وقعت له فتنة بينه وبين دولته وقتل باشة الكرك ومتى ما بذل الملك يده في اهراق دماء دولته هذا دليل على زوال ملكه وأنا مرادي أن تمدني بعساكر حتى اني أسافر على ملك العرب وأحاربه فقال ثقلون طاز يا قان الزمان ما قال ابنك إلا الحق وأنا أقول ان في هذا العام النار تنصر الأعجام ثم ان ثقلون أحضر طومان من العجم اسمه كلب على ومده بخمسين عيارين العجم وجهز له عشرين الفا من عساكر الأعجام وأعطاه جارية ومعها صندوق فيه عجائب من ظرايف الملوك وقال له روح إلى مدينة الرخام وحارب هرنوس فان أنت غلبته تأخذ بلاده غصبا وان هو أسرك اشترى نفسك بهذه الجارية وهذا الصندوق لأن هرنوش أهل خلاعة وإذا رأى هذه الجارية وهذا الصندوق وما فيه من العجائب يطلقك ولو كنت فعلت معه مهما فعلت فسافر كلب على قاصدا مدينة الرخام ثم انه قال لابرا خذ معك عشرين الف عسكري وسر أنت وهذا الاثنين وهم أحمد بن أيبك وكمال الدين وحطوا على الرهان فاذا أخذتموها تملكوا بعدها بر الروم ونلحقوا كلب على في مدينة الرخام ثم انه أحضر سيسيا ابن القان هلاوون وكتب له عشرين الف مقاتل وقال له سر إلى حلب فقال القان هلاوون هذا رأى صواب وأنا أي شيء أعمل يا ثقلون طاز فقال ثقلون طاز يا قان الزمان إذا اشتغلوا دولة العرب في قتال هؤلاء الثلاثة ركباته فتكون أنت أخذت بغداد وقان العرب ما عنده نجوة يرسلها اليك ولا له مقدرة أن يلقاك فاذا أخذت بغداد تسير إلى الموصل وتزحف حتى تأخذ بلاد العرب ولا يبقى الظاهر إلا وبلاده في أيدي العجم فقال القان هلاوون صدقت وكتب القان هلاوون عسكره وركب وحط على بغداد

[قال الراوي] وأما ما كان من السلطان فانه لما سار من على الكرك ودخل مصر تزينت البلد وطلعت قمرية إلى سراية الملك محمد السعيد وأقام السلطان يومين وفي اليوم الثالث هو جالس وإذا بالمقدم جمال الدين شيحة طالع إلى الديوان فاستقبله السلطان

على العادة الجارية بينهما وسلم على باشتياق وسأله عن غيبته فقال ياملك الاسلام انا كنت سرت الى بلاد الروم اتجسس الارض وابحث عن احوالهم فرأيت الدنيا امانا فعاودت فسمعت أخبار ملك الكرك المذموم انه كان عاصيا وقتل على يديك فحمدت الله على سلامتك وأتيت اسلم عليك فقال الملك صحيح كان ذلك ولكن كان مع المغيث رجل ادرعى يقال له سمعان القرن وبعد عصيانه وما جرى هرب الملعون ولم أعلم له مكانا ياليتك كنت حاضرا كنت تكفينا شره فقال شيحة انا الذى الحقه واعرفه قدره ثم انه نزل من قدام السلطان وسار الى قلعة سمعان القرن ودخل القلعة ودارها فسمعه يقول لرجاله أنا وعدنى الجمل الجربان ان اقدم له لحم شيحة قربان فطلع شيحة من قدامه وصبر الى الليل ونزل عليه وهو نائم بنجه وانزل به من سور القلعة وكتب تذكرة ووضعها فى مكانه واخذه ونزل على اصطبل الخيل اخذ حجرة ووضع عليها تذكرة وفتح باب القلعة بعدما بنج البوابين وعلق فى رقبة كل واحد تذكرة وشد الفداوى على الحجرة بالعرض وطلب فسيح الارض فاصبح كراخى المقدم سمعان لقروا من حضرة المقدم جمال الدين هذه التذكرة اعلموا ان مقدمكم حصل منه قلة أدب فى حقى وفى حق السلطان فى غيابى وان السلطان امرنى باحضاره بين يديه وقد أخذته ومكنت اولادى من قلعتكم وأمرتهم ان كل من تحرك منكم يسلخوه فى ليلته وها أنا رايح بالفداوى الى السلطان وعن قريب اعلق لكم جلده على باب القلعة ليعتبر منكم كل فاجر ويتأدب كل ماكر وقادر وكذلك البوابين رأوا ذلك فقالت الاتباع يارجال اولاد شيحة مقيمون معنا فى قلعتنا يسمعون اقوالنا ويرون افعالنا ويسلخوننا ونحن مالنا ذنب نستحق عليه السلخ نحن أتباع وذلك مقدم وطلب يقاطن فان تسلطن تبعناه وان انسلخ هو ورجاله اعلم وأقاموا ينتظرون الاخبار وأما شيحة فانه سار بسمعان القرن من مكان الى مكان من طريق لم تعرفها الا الجن حتى دخل الى قلعة الجبل قدام السلطان وسلم فأخرجه من الجدان واقعده فى وسط الديوان وشممه ضد البنج ففتح عينيه فالتق نفسه قدام السلطان فقال من الذى جاءنى الى هذا المكان وكان شيحة طول الطريق لم يفيقه الا ليشرب الماء وهو مبنج وبعض دهاليات يعرفها يقوته بها فلما أفاق وقال من الذى اتى بى الى هذا المكان فقال شيحة أنا الذى جئت بك ياقليل الادب اى شىء أعرفك على العصيان وفشرك البعيد وانت ماتجى نقطة فى بحر الرجال وها أنا احضرتك لاعرف قدر نفسك ولكن كان الذى كان وانت الآن فى حضرة السلطان فان أسلمت حالا وطعتنى كتبت اسمى على سلاحك وأطلقتك وان ابيت أو بدلت والاسم الاعظم اسلخك

حالا فقال له المقدم معمان افعل مابدا لك وأنا والاسم الاعظم يا ابن سنانه ملقطة ان وقعت فى يدى لاشرب من دمك مثل الخمر وأشوى لحمك على الجمر فقال شيحة بقى للصراب الراحة منك فدخل ماعته وابس بدلة السلح وطلع شيحة قدام بنو اسماعيل وقال للسابق خذ جلده واحشيه بن وعلقه على باب المعته فقال سمعا وطاعة وأخذ الجلد السابق وراح يعلقه ويكتب تذكرة هذا جراء من يعصى سلطان القلاع والحصون وأراد العودة فسمع اخبار هلاوون والعساكر المتفرقة كما ذكرنا فعاد إلى مصر وأعلم السلطان بما سمع فقال السلطان ما بقى إلا القاهم والله ينصرنا عليهم ثم انه جهز الأمير قلاوون الالفى ومعه عشرة من الامراء على حلب وأعطاه خمسة آلاف من الترك فوجهه على حلب وجهز ايدمر البهلوان بعشرة أمراء مثله على مدينة الرخام وقال له الحق الملك عرنوس على مدينة الرخام وتجهز السلطان وقال انا اروح الرهة وانقلب منها إلى بغداد وأقابل هذا الملعون هلاوون وأعرفه مقامه لانه قط مايعتبر إلا إذ مات وكلما يقع فى يدى ويذل وأطلقه يرجع يغريه الشيطان ويأتينى بطابقة العجم هذا ما جرى للسلطان وأما ايدمر البهلوان فانه راح إلى مدينة الرخام وهو مغموم لان ايدمر يكره عرنوس ولكن لم يقدر على مخالفة السلطان ولما وصل كابه على إلى مدينة الرخام ونصب عرضية قدام مدينة الرخام ضربت عليه المدافع من الاسوار فمنعوه على قدر مرمى النار فلما بعد عن المدينة نصب العرضى وأطلع الملك عرنوس رجاله وصف أبطاله وفى تلك الساعة أشرف ايدمر البهلوان بالعساكر المصرية فنظر عرنوس اليه وهو قادم عليه فقال للمقدم اسماعيل أنظر ياعمى كيف ان السلطان ارسل إلى عدوى يساعدنى على القتال مع انه اشد على عداوة من العجم فقال المقدم اسماعيل يا ولدى هو ما جاءك إلا غصبا عنه ولكن يا ولدى فى حمايتك ويجب عليك مراعاته لكونه انه أتى من بلاد بعيدة لاجل مساعدتك فقال عرنوس صدقت يا عم ثم انه طلع اليه وتلقاه وسلم عليه وأكرمه وأخلى له الارض حتى ذهب خياله وزاد فى وداده وإكرامه فعند ذلك فرح ايدمر بصفاء عرنوس اليه وقال له يا ملك عرنوس أنا أعرف انك فى قلبك منى ثار وأنا اريد منك المصالحة وصفاء القلب فقال عرنوس الله يبرىء ذمتك ولو كنت فعلت أى شيء فعلت وتصافحوا مع بعضهم بعض ، نزلوا فى الخيام وعند الصباح وقع الحرب والكفاح فنزلوا أولاد ملوك العرنقان وأحموا الميدان وقاتلوا أشد قتال مدة سبعة ايام وفى اليوم الثامن نزل الملك عرنوس أشفى فؤاده فى عساكر العجم وأبلاهم بالذل والنقم فقتل منهم ثلاثين مقدم وأسرهم اثنى عشر فارسا فشمتهم وعاد من الميدان فالتقو

الامير ايدمر وهو عائد فقال له ادولتلي أنا امرني عمك ان اقاتل بين يديك انا وعسكري حتى ان الله ينصرنا او تلعب حوافر الخيل برؤوسنا وأنت توليت الحرب بنفسك ولا تمكنا من القتال كاني اتيت إلى عندك ضيفا وما أتيت أضرب فى اعدائك بالسيف نعم الملك غنى عن حربى وفيك كفاية لاعدائك ولكن على كل حال انا مندوب بأمر السلطان للقتال فقل لى ان لم تمكنى من نزول الميدان اعود من حيث أتيت فقال الملك عرنوس بكرة يا أمير أيدمر أخليك تحارب انت ولما كان فى يوم ضجت العجم إلى القان كلب على وقالوا له ما لنا قدرة على حرب الملك عرنوس فقال لهم انا له ولامثاله ثم انه قفز إلى الميدان وطلب الحرب والطعن فاراد أيدمر أن يبرز اليه فقال له الملك عرنوس اصبر يا أمير ايدمر حتى انزل إلى ذلك الملعون فان ثياب العسكرية فقط واما إذا قتل أو أسر تفاشل هذا الجمع وتفرق ثم قفز الملك عرنوس الى الميدان والطم كلب على لطمة تهوى الجبال وطاق دليه فى المجال وضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرائقه وتعلق فى خناقه وقرط على ازياقه وأخرج رجله من الركاب ورفس حصانه كاد أن يخسف أضلاعه وبقى كلب على معلقا فى يد الملك عرنوس وكان خلفه عمه براعيه فسلمه اليه وغاص فى عساكر العجم أورثهم الويل والنقم ولحقه المقدم اسماعيل أبو السباع ونصير السمر ودار بينهم الحسام البتار ودام كذلك الى آخر وانفضوا عن القتال وعاد الملك عرنوس وهو مثل حلة الارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان فالتقاه ايدمر البهلوان وهناه عند نزوله بالسلامة وقال له يادولتلى تقبل الله منك الغزو فشكره وأثنى عليه ولما جلس عرنوس فى محله طلب كلب على فقدموه الى بين يديه وأراد أن يضرب عنقه فقال يا قان يوسقان أنا أشترى منك نفسى بهدية لانظير لها فقال له وما هى الهدية فاعلمه كلب على الجارية والصندوق فقال عرنوس وان أطلقتك ترسلها الى فقال نعم فامر باطلاقه ورد عليه عدته وقام كلب على فعاد الى عرضية وأحضر الجارية ومعها الصندوق وأرسلها الى الملك عرنوس فلما وصلت اليه ونظرها الملك عرنوس انبهر وأدخلها الخيمة وقال لعمه اذا جاء ايدمر قل له ان عرنوس طلع الى سرايته ودخل الملك عرنوس على تلك الجارية وسألها عن حالها وأراد أن يدخل بها فقالت له يا سيد أنا بنت بكر وبنت ملك مسلم واصل مجيئى الى ذلك الملعون انه كان قد خطبنى من أبى وتغلب عليه فأعطانى له وها أنا بقيت عندك فاسأل الله الحماية على يديك ثم انها فتحت ذلك الصندوق وأخرجت منه صحبة مشمرم فيه من جميع انواع الزهورات ووضعتها قدام الملك عرنوس وبعد ذلك

أخرجت مربعا من البلور ملآن من الشراب الصافى العتيق وأخرجت كاسين من الجوهر وملأت الكاس وزمزمته من فمها وناولت الملك عرنوس فتصور له أن الدنيا كلها بقت فى ملكه فخلع العذار وعلق فى الطرب ونسى جميع الهم والكرب وفى تلك الساعة أقبل الأمير ايدمر وسأل عن الملك عرنوس فقال المقدم اسماعيل ما هو هنا فسمعه عرنوس فصاح الأمير ايدمر فقال نعم فقال تعال عندى فذلك جانب حظ فدخل ايدمر بعد ذلك الحانة وذلك الصحبة فاراد الخروج فناوله عرنوس الكاس فقال له ساعتى فقال عرنوس والاسم الأعظم إذا لم تشرب والا أقتلك فخاف على نفسه ايدمر وأخذ منه الكاس وشربه وتاه عن الوجود وأما الجارية فانها أخرجت من الصندوق عودا من صنعة الهنود ووضعته فى حضنها مثل المولود واعتنت عليه وحنت ولعبت بأناملها عليه وغنت وعملت نوبة تسلب العقول وتحيى فؤاد المعلول فاندهل عرنوس وايدمر من سماعهم ما تقول وعادت دورت الصحبة ثانيا وملأت الكاسين وناولت الاثنين الكاسين فشربوا وطربوا على حسن المغانى ثم بعد ذلك ملأت الكاسات ووضعتها على مخدة ثم غنت عليها وأخذتها واحدا بعد واحد بفمها وهى ترقص حتى أشغلت الكاسات بالسم وأعطت الاثنين فشربوا فحسوا بالسم فتصور لعرنوس أن الذى سمه إيدمر وكذلك ايدمر ظن أن هذه معمولية من الملك عرنوس فقال ايدمر سميتنى يا ايدمر وجذبوا السيوف وضربوا بعضهم فسمعهم المقدم اسماعيل الغارة فدخل عليهم فرآهم على ذلك الحال فقبض اسماعيل على عرنوس ونصير قبض على ايدمر وضرب الجارية بالحسام قسمها نصفين وأخذ الملك عرنوس والامير ايدمر وهم طافحون من السم فأدخلوهم الى البلد وفى تلك الوقت حضر المقدم جمال الدين فقال اتركوهم لى وخذوا أنتم فى ذلك الجمع الذى بين أيديهم وتسلم شيحة الاثنين وأسقاهم شربات البانزهير حتى رموا السم وأفاقوا الاثنين . وأما المقدم اسماعيل فانه صرخ على العجم وصاح الله أكبر يا كلاب المشركين هذا يوم الغزو والجهاد فى طاعة رب العالمين وكان العجم عارفين ما جرى على عرنوس وايدمر فحملوا على القتال وعولوا فمالت عليهم عساكر عرنوس وعساكر ايدمر البهلوان وضربوا فيهم السيف اليمان وكانت واقعة تشيب الولدان . وأما اسماعيل ونصير النمر فانهم ساروا يشقون الصفوف ويبروا الجماجم والقحوف حتى انهم وصلوا الى تحت الاعلام فضرب اسماعيل حامل العلم وضرب نصير النمر كلب على أورثه النقم وبعدها وقع القتال فى العجم وقام الحرب على ساق وقدم وولوا العجم الادبار ونهبت متاعهم

المسلمون واحتووا على كل ما عندهم بعد هروبهم كان عرنوس وايدمر أسقاهم المقدم جمال الدين شراب البانزهير فانجلى عنهم السم وافاقوا على أنفسهم وأعلمهم ان الذى كان اسقاهم السم فى الكاسات هى الجارية وتصير النمر قتلها فصعب على عرنوس قتلها . وأما ايدمر قال الله يلعنها كانت قتلتنا لولا قدوم الحاج شيحة جمال الدين فصالحهم شيحة وقال لهم الحقوا السلطان على الرها فان هذه المكايد كلها من ثقلون طاز فركبوا وساروا طالبين الرها وكان السلطان لما حط على الرها وطلب أن يكاتب القان ابرا بن هلاوون مثل عادته مع الملوك فما صبر احمد بن أيبك الا أصبح نزل الى الميدان وطلب حرب السلطان وقال فى نفسه انا على أى وقت مقتول إن وقعت مع السلطان قتلنى وان قعدت بلا حرب فان ابرا ما يسكت عنى بل يقول هذا جاء جاسوس علينا ومالى الا احارب وأبذل المجهود حتى أموت على أى حال كان ونزل الى الامراء فصار يجرح فيهم ويفرسهم بالقتال والمقدم إبراهيم ينظر ذلك وصابرة لانه مشدودة فهو كذلك وإذا بالملك عرنوس مقبل فنظر إلى الميدان محتكا وتامل إلى الخصم الذى فى الميدان واذا هو أحمد أيبك التركمان فتعجب عرنوس ودفع ذات القسور إلى الميدان وقال له جئتك يا أحمد ياقليل الادب يامنافق على السلطان أى شيء هذا الفعل يا أحمد من بعد المعزة فى دين الاسلام التجات لاوباش الاعجام فقال أحمد ياملك عرنوس غصبا عنى وما انت حضرت وأنا فى عرضك ثم حكى له على ماوقع وإن المغيث هو اصل هذه الفتنة وانا لم رحمت به ولعنت بنته وحكى له على كل ماوقع وقال فى آخر كلامه وأنا فى عرضك تخلصنى من هذه القضية فانى وقعت فى المحذور فقال عرنوس مرحبا بك وأنا أصالحك مع السلطان لكن تبيض وجهك وتمحى ما فعلت بالقبض على كمال الدين بن المغيث وابرا بن هلاوون حتى ان السلطان يرضى عليك فقال احمد اذا كان ذلك أريد أن تحاربنى إلى آخر النهار وأعود من قدامك سالما وأعدا ابرا أنى لم أخف منك وفى الليل تأتى أنت والمقدم إبراهيم والمقدم سعد وأنا أقبض لكم على ابرا وكمال الدين وأبيض وجهى مع السلطان فقال عرنوس كذلك وتحاربوا هو وياه حرب راحة الى آخر النهار وعادوا من قدام بعضهم ولما عاد الملك عرنوس محضر السلطان كيف أن أحمد بن أيبك يعود سالما من قدام عرنوس لما يعلم من مروءته فسأله فأخبره بما جرى بينهم فأمر السلطان إبراهيم وسعد أن يسيروا مع الملك عرنوس حكم طلبه فقال عرنوس ياملك الاسلام بشرط أنك تشفعنى فى أحمد بن أيبك فقال الملك شفاعتك مقبولة ثم ان عرنوس صبر إلى الليل وأخذ ابراهيم وسعد وساروا الى عرضى العجم الى يسلمهم أحمد حتى دخلوا صيوان احمد

فالتقوه قاعدا ينتظرهم فلما دخلوا قال لهم اقعدوا حتى أروح عند ابرةوا كشف الكم خبره وقام من عندهم فوابع شمعة مصنوعة من البنج فلما شموا رائحتها رقدوا فكتفهم واراد أن ينزلهم إلى السجن وإذا با برهه مقبل عليه وقال له أحسنت يا امير احمد ثم انه تقدم اليه وقبله بين عينيه ونفخ فى وجهه فطلعت النفخة ودوخته فانقلب و كان إبراهيم المقدم جمال الدين وكان قبل وصولة قبض على ابرهوكمال الدين بن وقبض فى هذه النوبة على أحمد بن ايبك وحمل إبراهيم ابره وسعد حمل كمال الدين وفيق أحمد وقال له كذا يا خاين تضحك على الملك عرنوس ولم تخف منه بقى يا ترى يا أحمد إذا قتلك السلطان وخرب بيتك يهون علينا فقال أحمد يا مقدم جمال الدين أنا فى عرضك فقال شيحة اما قلت لعرنوس قبلى أنا فى عرضك واردت أن تسلمه إلى ابره يا خاين أنت مقامك السالخ مثل ما سلخت سمعان القرن على فعلك الذميم فقال احمد تبت يا ملك القلاعين وأنا فى عرضك فقال شيحة مرحبا بك عند ذلك ساروا إلى قدام السلطان وشيحة قال لعرنوس لاجل خاطرى عد على ما أنت عليه واكتم عن السلطان ما جرى وتشفع فى أحمد وفى كمال الدين بن المغيث فقال عرنوس وهو كذلك ولما بقوا قدام السلطان تقدم أحمد بن أيبك وقبل أتك السلطان وكذلك كمال الدين بن المغيث فقال السلطان يا كمال الدين أنا قصدى أردك إلى مكان ابيك وتكون باشة الكرك واساعك فى ما فعلت وإن حصل منك نفاق او مخامرة او عداوة يجرى عليك ما جرى على ابيك فقال كمال الدين سمعا وطاعة وكذلك أحمد بن ايبك قدمه المقدم جمال الدين وطلب له العفو من الملك الظاهر فساعه وطلب ابره وقال ا ابره أنت إلى الساعة ولدواى شىء الجأت يا قليل الادب تستعمل الفات وتطاوع أبك وتعين على رجالى وتعدهم بالارض وكان قصدك أن تأخذ بلادى فقال ابره ياقان العرب انا اخطات وارجو المسامحة وما عادت الملوك تطمع فى الممالك وبى هو الذى حملنى على ذلك واريد منك السماح وادفع ثلاث خزنات مال خزنة تحت رأسى وخزنتين كلفة ركبتك ياقان الزمان فقام احمد بن ايبك وقبل الارض وقال يا ملك الاسلام انا ما قطعك الملك عرنوس والمقدم جمال الدين شيحة ان تعتق ابره وناخذ الثلاث خزن فانى انا كنت السبب فى ركبته فلا تجعل بسببى قتله وله على وسيلة كونه اخذ بيدى ولم يطردنى من بلاده وركب معى وتعب مولانا يجعل عفوه واسع فقال السلطان قبلت يا امير احمد شفاعتك ثم انه اطلقه على دفع الثلاث خزن وكتب له كتابا وقال له سلمه لابيك واما كمال الدين فانه توجه على الكرك حكم امر السلطان وابره اطلقه السلطان واخذ عسكره وقام طالبا اباه

[قال الراوى] كان هلاوون جالسا على بغداد طالبا أن يزحف على أخذ البلاد واذا بعساكر عبد نار وكلب على مقبلون مكسورون فسألهم فحكوا له أن الملك عرنوس أسر كلب على وأطلقه بالجارية والصندوق وفى ثانى الأيام قتلت الجارية وركب اسماعيل أبو السباع وأخذ كلب على وقتله وقتل عبد نار وضرب فينا بالحسام البتار حتى تشتتنا فى البرارى والقفار وأظن أنه تابعا بعسكر جرار كأنه البحر الزخار إذا لم يشغلهم شغل عنا والا ما أبقوا على أحد منا فاغتاظ القان هلاوون وضرب بيد على يد وقال النار غضبانه على أبناء العجم وفى ثانى الأيام وثالث الايام أقبلت عساكر ابنه ابره من قدام السلطان مطحونين فنده ابنه أبوه وأعطاه كتاب الملك الظاهر فقرأه واذا فيه اطلاق ابنك ثلاث خزن فحال وصول كتابى هذا اليك ترسل الثلاث خزن وترسل جزية هذا العام العام الذى مضى والعام القابل وترحل الى بلادك والا ان فضلت فى محلك جئتك وأهلكت عسكرك وأقودك برقبتك الى مصر وأجعلك شهرة فبكى هلاوون لما قرأ الكتاب وقال يا تقلون أنت عملك معى كلب الصبيان فكان ضلال وفعلك أقبح الفعال فقال رشيد الدولة ياقان الزمان انت لو شاورتنى كنت أشير عليك بالقبض على الاثنين الذى اتوك وارسالها الى قان العرب وترك الفتن فسالت تقلون طاز فاغراك على ارسال هذه العساكر ولولا النار هى التى أنجت ولدك والا كان صلبه قان العرب وأنزل به الكرب .

فقال هلاوون صدقت ثم نادى فى عساكره بالرحيل من على بغداد والعودة إلى توريز وسار إلى بلاده يجمع المال ويرسله الى السلطان هذا ما جرى لهلاوون واما السلطان فانه شال من الرها وحط على حلب فالتقى هلاوون كان ارسل ولده سيسيا كما ذكرنا وكان الملك أرسل له قلاوون الألفى ووقع الحرب بينهم وكان سيسيا ظن أن أباه يلحقه وينصره فلم يشعر الا وبيرق السلطان قدامه فلما رآه زعق فى العساكر وقال لهم لا شك ان هلاوون اما قتيل او اسير او هرب حتى ان قان العرب وصل الى هذا المكان ولابقى لنا ملجا الا الهزيمة فان سلامة ارواحنا احسن من كل غنيمة ثم انه انهزم وقد تبعته عساكر العجم وطلبوا البراز والآكام وتقدم الأمير قلاوون وتلقى الملك وامر العساكر الاسلامية بجمع سلب الأموال من الاعجام الذين انهزموا وامر الملك فرقة من الفداوية ان يتبعوا العجم ويحلوا بهم النقم فتبعوهم وما نجا منهم الا القليل وعاد الملك ودخل الى حلب مؤيدا منصورا ضربت له المدافع بالبشرى وسافر الى مصر وانعقد له موكبه مثل عادته وولى احمد بن ايبك وزيرا من ضمن السبع وزراء الذين يقيموا فى الديوان وانتهى الامر على ذلك الشان .

[قال الراوى] وأقام الملك إلى يوم قال يا إبراهيم أنا قلبى مقبوض فقال ابراهيم يا دولتلى الدنيا أمان واطمأن بسعادة مولانا الملك قال الملك لابد من التبديل وأشق البلد حتى أتفرج على الذى أنا مسؤول عنه يوم القيامة فدخل قاعة التبديل وطلع درويشا عجميا وكذلك فعل ابراهيم وسعد معه وساروا الى باب اللوق فالتقوا رجلا جعيدى واقفا يمدح فلما رآه الملك وقف يتفرج عليه فالتفت الجعيدى له وقال يادرويش بالاسم الأعظم أنت اسمك ايه فقال اسمى محمود فقال والله يا شيخ محمود انك جدع اوعى تظن انى صغير فى الجعيدية أنا لى مشاديد وغلمان بكثرة سر معى الى قهوتنا أنا أسقيك قهوة وأبسطك وافرجك على مشاديدى فمشى الى قهوة الجعيدية

تم الجزء الثالث والثلاثون ويليه الجزء الرابع والثلاثون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الرابع والثلاثون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] ودخل الدرويش وهو الملك الجعيدى وقرأ الفاتحة إلى شيخ الجعيدية فاستقبله وأجلسه فى صدر المكان والجعيدى قعد بجانبه وإبراهيم وسعد كذلك قعدوا والملك نادى على القهوجى وأعطاه دينارين ذهب وقال لهم هات لهم قهوة والكيف الذى يشربوه وهذه دينارين أخرى غديهم بهم وهذا دينار لك أنت أجرتك فقال شيخ الجعيدية أظن يادرويش انك سافرت سفرة كانت رضى وجمعت فيها المعاملة فتفرقها على اخوانك والتفت إلى الجعيدية وقال لهم كل من كان شاف بلاد عجيبة يحكى لى على الذى رآه فقال واحد أنا فى زمانى دخلت إلى بلاد الهند فرأيت بجرم أبو العجايب ونكمدان الغول فقال آخر وأنا رأيت مملكة الصين والذى قال دخلت بلاد الروم والذى قال دخلت بلاد العجم فقال الشيخ وكل من كان اتغرب ونظر فى غربته عجائب اكثر يحق له أن يجلس فى صدر التكة ويأكل أخر المأكولات قال واحد أنا رحت قلعة العقارب فى بلاد الحبشة وواحد قال أنا رحت سد اسكندر فقال واحد هل أحد منكم رأى مدينة يسلطنوا فيها بالطير ومدينة يتكلم ملكها بالغيب ووزراؤه كلاب وهل رأيتم نهر السبت والنهر المرصود فقالوا لا فقال له أما أنت اقعد بلا كثرة كلام كأنك ماتغربت ولا رأيت غربة فانى أنا رأيت عجائب إذا وصفتها لك يتوه فكرك وتحتار فى أمرك فالزم أدبك فلما سمع السلطان من الغلام هذا الكلام التفت إلى المقدم إبراهيم وقال له أريد منك هذا الغلام فى القاعة وقام السلطان على حيله وبعد ماقام التفت المقدم إبراهيم إلى الغلام وقال له ياصبي قم على حيلك فانك مطلوب إلى حضرة ملك الاسلام فقال له ياسيدى لاى شىء أنا ماتكلمت بشىء يغضب السلطان فقال إبراهيم لابأس عليك وانما السلطان هو الذى كان قاعدا هنا وقام وألزمنى أن أقدمك بين يديه ثم انه أخذه وكان الغلام اسمه محمد الجعيدى فلما طلع إلى قدام السلطان قال الملك أهلا

وسهلا تعال يا محمد احك على البلاد التى درت فيها وتفرجت عليها فقال ياملك الاسلام انا مررت على بلد اسمها قرية عادة وهى من خلف بلاد الروم والعجم ورأيت بها ملكا يتكلم بالغيب يعرف الانسان إذا قدم عليه باسمه من غير ما يكون سبق له معرفة به وله اثنين وزراء وهم كلاب اذا حكم حكومة يلتفت الى اليمين للوزير وهو الكلب ويقول له طيب كذا فيهز راسه إشارة الى انه رضى بالحكم ورأيت الشمس تطلع من المشرق وتطلع شمس مثلها من المغرب وتجتمعان الشمسان فى قبة الفلك بعده يفترقان احداهما تروح إلى الغرب والثانية تروح الى الشرق وكذلك القمر يطلع من المشرق ونظيره يطلع من المغرب على صفة الشمس ورأيت البلد يخرجون الكناسة من البيوت وهى من اصناف اللؤلؤ الصغار وحجارة الالماس وفصوص اذا كانت فى هذه الارض لم يقدر احد على اثمانها الا الملوك الكبار وقريب من البلد مغار مكتوب عليه يامن يريد ان ينظر العجب فيدخل فى هذا المغار فاردت يا ملك ان ادخل لكن خفت لانه عميق اذا قذفت فيه حجرا تصل به مقدار ربع ساعة حتى تسمع حسه واعجب من هذا كله رأيت نهرا ملآن ماء حلو وهو واسع جارى وفى يوم السبت يأتى فيه سمك لا يوجد ولا يعد الا مثل قطر المطر من سائر اصناف السمك ولكن اهل تلك البلاد لم يصطادوا منه فى ذلك اليوم بل يصطادونه فى غير يوم السبت فتأتى يوم يعنى من الاحد الى الجمعة لم يوجد بذلك النهر سمك مطلقا واذا اراد الصيادون يصيدون سمكا يطلعون الى بحر بعيد يصطادون ولكن بمشقة زائدة وبعد ذلك يامولانا رأيت رجلا درويش كان فى تلك البلاد يتفرج عليها كما تفرج عليها انا فقلت له يادرويش انت نزلت المغار فقال لا وإنما انا رأيت اعجب من ذلك فقلت له وما الذى رايت فقال لى رأيت مقاتة بطيخ الواحدة تزيد فى القدر عن قبة ايا صوفيا التى فى اسلامبول فقلت له يمكن فقال كيف تقول يمكن وتشك كلامى وانا معى دليلا على صدقى فقلت له وماهو الدليل فارانى سبع لبات بطيخ بزرد الواحدة عرضها شبر واربع قراريط وطولها قصبة الذراع بالكف فقلت يا درويش اريد من احسانك ان تعطينى واحدة على قبول الصدقة او الهدية فاعطانى واحدة وقال خذها فأخذتها وتفرقنا ولما طال على الطريق وقل منى الزاد مررت على رجل نجار ففلق لى تلك اللبة بالمنشار وكان فيها طعام مثل اللب فتقوت بها سبعة ايام ووصلت الى حلب فجزت على صراف وقدمت له قلفة القشرة وقلت له اشترى هذه تجعلها منقد فاخذها وتعجب من خلقتها واعطانى عشرين دينارا فصرت انفق منها حتى وصلت الى هذه البلاد والقلفة الثانية خليتها عندى خوفا اذا حكيت هذه الحكاية

لى أجدلى برهانا على صدق قولى إلا بها وهذه الحكايات التى رأيتها يا ملك الاسلام فقال أريد منك أن ترنى فلقة القشرة فقال سمعا وطاعة فارسل معى أحدا حتى أحضرها فارسل معه المقدم سعد بن دبل فأتى بها وتفرج السلطان عليها وتعجب من قدرة الله تعالى وقال يا شيخ محمد أنا مرادى أن تسير معى إلى تلك البلاد فقال سمعا وطاعة انا أسير معك حتى تنظر عجائب الملك الجواد

فقال الملك من الذى يكون معى فقال إبراهيم أنا وسعد فطلب السلطان ولده محمد السعيد وأجلسه على تخت مصر وقال له انت ولى عهدى اقعد على الكرسى واحكم بالعدل بالعدل والانصاف وحاذر الظلم ثم انه طلب الحصان وركب وكذلك ابراهيم ركب حجرته وأما المقدم سعد فانه رافقهم على أقدامه ومحمد الجميدى معهم يدلهم على طرق البلاد فقال السلطان يا إبراهيم انت الذى تتولى مصروفنا فقال ابراهيم على الرأس والعين ولكن الذى اصرفه آخذه فى مصر الطاق اثنين فقال السلطان رضيت وساروا طالبين بلاد الغرب حتى دخلوا الجزاير وخلصوا منها فدخلوا فى أودية خالية من العمران هذا والجميدى معهم يدل بهم مدة أربعة أشهر وبعدها دخلوا إلى أرض ذات أشجار وأنهار وأطيار توحد الملك الغفار فقال لهم الجميدى ان هذه المدينة إذا مات ملكها وأرادوا أن يولوا غيره فانه عندهم طير فى قفص يجتمعون الناس فى الخلا ويطلقون ذلك الطير فكل من نزل عليه فهو الذى يكون سلطانا

فقال الملك ادخلوا بنا نتفرج عليه ودخل السلطان وابراهيم وسعد والجميدى معهم وطلعوا الى ديوان البلد فرأى السلطان ملك المدينة مقيما والطير فى قفص من النحاس الاصفر موضوعا على رأسه فنظره السلطان ثم عاد الى البلد يتفرج فأتى الى رجل اختيار تاجر فسلم عليه الملك فرد السلام وجلس السلطان عنده وقال له ياشيخ أنا مرادى أعمل متجرا من هذه البلاد وأسافر به الى بلادى اى شىء ينفعنا من البضائع المرغوبة فى بلادنا فقال التاجر له انت من أى البلاد فقال من مصر فقال له خذ طرابيش وسلاق مغربى وخذ صابون سايل فانه يباع فى أقطار النيل فقال الملك صدقت ولكن يا ترى لاى شىء ان هذه البلدة لا تسلطن سلطانا عليها إلا بالطير .

فقال الرجل انه كان فى بلدنا حكيم يقال له دنيال وكان من الكهانة فى جانب عظيم وكان اذا طلب الزواج لا يجامع الا بكرا فقط فانه كان يمهر البنت ويدفع مهرها ويدخل بها فى ليلته وعند الصباح يعطيها لوحا واللوح له خادم يأمره باطاعتها فتأخذ منه كلما أرادت من ملبوس ونفقة ومتاع يكفيها هى ومن تريد من أهلها فالمكان الذى يعجبها تقيم فيه ويأخذ غيرها ولما حس بوفاته اختار من يقعد ملكا فى محله فضرب الرمل فلقى

غالب البنات التى افتضهم فيوم من وضعت ولدا وربى ولدها عندها وكان ثقل رصده
فاصطنع خاتما من الجوهر ورصده واحضر طير النسر لانه من المعمرين فادخل ذلك
الفص فى جوفه بالكهانة والسحر ورصده اذا انطلق فما ينزل الا على رأس من يكون
من ذرية الحكيم دانيال وترتب هذا الترتيب له سنين طويلة وهذا ياسيدى سببه
هذا الطير وأما الحكيم رومى فروى انه توفى على الايمان وأقول بخلاف ذلك والعلم
عند الله واما اذا نزل الطير على أى واحد فما يقبل الناس خلافه فلما سمع السلطان هذا
الكلام أضمر فى نفسه انه اذا عاد من سفره يبطل هذا العمل لان الملك لله ما هو لدنيال
ولا لغيره والله يولى من يشاء على ملكه ولما قام السلطان ضحك الجعيدى وقال المقدم
ابراهيم هذه أقل حاجة وما تقدرون على زوالها فقال ابراهيم اخرس ياقران ثم أنهم
ساروا أياما قلائل اقبلوا على مدينة فنظر ابراهيم الارض تلمع من حب اؤلؤ فقال ابراهيم
لو كان الناس يسيرون بهذه الكناسات الى قلعة حوران فقال الجعيدى هذه المدينة
ملكها يتكلم بالغيب ووزراؤه كلاب كلب ذات اليمين وكلب ذات اليسار فقال السلطان
ادخلوا بنا فدخلوا وساروا الى الديوان فنظرهم ملك المدينة وقام على حيله ومشى الى
عند السلطان وقال أهلا وسهلا بملك القبلة خادم الحرم المحفوف بالبدر والعلم وأهلا
وسهلا بالمقدم ابراهيم بن حسن ركن المجاهدين وكذلك المقدم سعد سيد المغاربين ثم
انه نفض المنديل وصرف الدولة وبطل الحكم فى هذا اليوم وطلع سرايته وأخذ السلطان
وابراهيم والشيخ محمد الجعيدى معهم لان العليق يشرب تبعا للورد فلما بقى أهل المكان
قدم من الاطعمة المختلفة الالوان التى تصلح عافية على الابدان فأكل السلطان وابراهيم
وسعد والشيخ محمد الجعيدى وبعد أكل الطعام والمباسطة أراد الملك الظاهر ان يسأله
عن سبب هذه الكلاب وجعلهم وزراء الملك من دون بنى آدم فقال له ملك ... مولاى
أنت ماتعرفنى أنا كنت شريكك على دمياط فقال السلطان الذى كان شريكى فى دمياط
الخواجة حسن السملاوى وبعده أولاده احمد وعلى فقال يادولتلى هم هذه الكلبين
اخوتى الكبار وأنا الصغير والسبب فى ذلك ان أبى لما تمرض مرض الموت أحضر باشة
دمياط وأعيانها وكان له مال كثير ومتاجر أقمشة وأملاك ومتاع فقسم ذلك علينا ثلاثة
أقسام فكتبنى أنا صغير فأعطى قسمى لاخوتى وقال لهم خذوه حتى يكبر اخاكم
وأعطوه حقه وبعد ذلك بايام قضى نحبه فاحتوا اخوتى على الاموال وأنا ناموقه
ثيابى والبسونى قميصا خلق وجعلونى عندهم خداما وبعد نومى فى فراشى أبى أمرونى
أن أنام فى الدهليز خلف الباب ومازلت صابرا على هذا الحال حتى بلغت مبالغ الرجال

فكان نسوان اخوتى يلومون أزواجهم على فعالهم معى فلما بلغت مبالغ الرجال ارسلت الى اخوتى وقلت لهم زوجونى واطعموا زوجتى كما تطعمونى فقالوا لى أنت ملك شىء عندنا فقلت صدقة عنكم وها انا معكم وكان فى دمياط رجل يقال له الشيخ على وهو شيخ صيادين سمك وله بنات سبعة والصغيرة فيهم اسمها حسنة فأحضروا أباها وقالوا له ياشيخ على خذ لك مائة درهم فضة جهز بنتك حسنة واعطوا لها بدلة قماش وهى قميص ولباس وطاقية ومنديل وقالوا له لبسها لبنتك وهاتها بلا فرح فقال لهم سمعا وطاعة وقام هذا الرجل وأخذ الدراهم وصنع بها ملابس لبنته واتى بها فاخذها نسوان أخوتى وكان معها بعض نسوان فانزلوا لهم نصيبا من الطعام فأكلوا بحسب العادة وانصرفوا وبقيت ام البنت الى العشاء فاخذونى اخوتى والبسونى قميصا قماش ولباس قماش وشابة زرقة وقالوا لى لما تدخل على زوجتك اقلعهم ثانيا فامتثلت ولم أخالفهم وأحضروا الفقيه كتبت الكتاب ودخلت انا على زوجتى تلك الليلة وأقامت امها عندنا يومين وفى اليوم الثالث قالت زوجة اخى احمد يامحمد أنت لما عملت الفرح جئت لك باردب قمح ترتكن عليه فلما سمع ابو زوجتى هذا الكلام عرف المعنى فاخذ أولاده وراح الى بيته واقامت زوجتى فى البيت تخدم نسوان أخوتى وانا أخدم اخوتى ولم نأكل شيئا الا فى المغرب تاتينى زوجتى برغفين وصحن طبيخ بأكل كل واحد منا رغيفا الى يوم من الايام قالت زوجتى ياسيدى كم نتحمل الجوع وهو حرام نحن فى بيت أبى تسعة ارواح والمولى ارزقنا فانا قصدى اروح لبيت أبى ونروح انت معى نحن تسعة وانت العاشر والله على رزقنا قادر فقلت لها سيرى بنا ورحنا الى بيت ابوها وكان عند اخوتها سمك فقدموا لنا فاكلنا وأرسلوا اعلموا أباهم فاقبل فرحان وقال يابنتى زايرة ام مقيمة فقالت له مقيمة فقال مرحبا وكان نسوة اخوتى نزلوا يقدمون البنت من النوم لقضاء حوائجهم فلم يجدوها فقام الصياح من النساء واعلموا أزواجهم فاتوا الى بيت نسيبى وقالوا لى عد الى البيت فقلت لهم انا ما أقيم معكم فقالوا لى اما ان تعود معنا والا اكتب حجة بانه لم يكن لك عندنا شىء وتشهد الناس عليك ونحن نسامحك فاننا زوجناك فقلت اكتبوا كما تريدون فجاؤا بقاضى دمياط وكتب حجة انى مالى عند اخوتى لا كثير ولا قليل فاحتو والاخوتى على مخلفات ابى واقمت انا عند ابى زوجتى ونحن عند طلوع الشمس نجتمع للفطور والظهر نجتمع للغداء والمغرب نجتمع للعشاء وبعد ايام قلت اى شىء هذا القعود ثم انى تقدمت الى نسيبى وقلت ياعم خذنى معك افعل كما تفعل لعل الله يرزقنى فقال لى باكروا حضر لى داق وجنبه وشبكة وقال ارمى وأخذنى معه الى البحر فنظرنى

الصيادون فقالوا وجب علينا اكرامك فصار كل وحد منهم يطرح شبكة على اسمى والذى يطلع فيها يعطيه لى إلى ان بقى معى شيء كثير فأخذت جانبا ورحت به إلى البيت وبعت جانبا باربعة دراهم واعطيتهم لزوجتى وقمت مدة كذلك إلى يوم عايرونى الصيادون وقالوا من عدم معرفتك يهرب السمك منا ولم نقدر نصطاد وانت معنا فاخذت شبكتى وسرت بعيدا عنهم فى ذروة جبل ورميت الشبكة فطلع فيها صندوق خشب صاج فخلصت الشبكة منه وأخذته وسرت إلى البيت فرأيته باسم الملك الظاهر ففتحته زوجتى فرأيته ملان ذهب وفيه علبة فيها خاتم فقالت زوجتى هذا مال الملك الرأى عندى انك تتعلق بابواب التجارة لعل الله يفتح عليك ببركة السلطان فسرت كل يوم احشر فى أرباب المتاجر حتى امتزجوا معى ودخلت مركب من الشام ملانة اقمشة حرير فاشتريت كل ما فيها فلما رأونى فعلت ذلك قالوا لى فرق علينا وتجعل لك مكسب العشرة عشرة ونصف فاعطيتهم وسرت على ذلك مدة أيام حتى سمعت بى وأرسلت إلى فرمان وجعلتنى شاه بندر التجار بدمياط وعلموا اخوتى بذلك فاجتمعوا على وقالوا ياأخانا لاتقتلنا فنحن نكون معك فقلت لهم مرحبا بكم وبنيت بيتا كبيرا على البحر واقمت فيه واخوتى معى إلى يوم اتى الى رجل وقال اتاجاءتنى مركب وهى فى المينة ملانة عنبا بخلاف برميل وأنا محتاج الى ثمنها فقمت معه واشتريت كل برميل عنب بمائتى درهم وكانت مائة برميل ففتحت واحدا فرأيت من فوق عنب ومن تحت ذهب فاحضرت صاحبها وسألته فقال لى أنا اشتريت من الكفار وهذا نصيبك وأما اخوتى فانهم طلقوا نساءهم لأنهم ما رضوا ان يقيموا معهم عندى فلما رأيت ذلك زوجت إخوتى من اخوات زوجتى واقمنا مدة أيام الى ليلة من الليالى راحت زوجتى حسنه تزيل ضرورة فغابت ولم ترجع فدورت عليها فلم القها فحزنت عليها

فقالت لى اخوتى اعمل لك متجرا وسافر عسى تتسلى عنها بفطاوعتهم وعبيت مركبا وسافرت وأخذت اخوتى معى الى ليلة رحطوا على قتلى والمركب مسافر فجاء واحد منهم وقال ياخى اريد ان اخرج بنفسى ولكن اخاف من البحر فقمت واخذت يده فدفعنى هو واخيه فوقعت فى البحر فناديت انجدنى ياابو العطا فرأيت شجرة فمسكت فيها ثلاثة أيام فأتيت على جزيرة فاقمت لاجل الراحة فرأيت فيها فواكه وماء حلو فصرت آكل واشرب منها اربعون يوما وبعده دخلت مغار بجانب الجبل فرأيت زوجتى فيه فسلمت عليها فقالت لاتسلم على واعلم انى احتوى على رهط من ارهاط الجان ولايأتى الا فى الليل فخذ سيفه واستخفى حتى تراه نام واضربه مرة واحدة ولاتعد فاذا مات ربحنا من كل جانب فاخذت السيف حتى اقبل ذلك العون وضربته

فنقل خاتما فاخذته فرأيته مرصودا للخدمة فدعتكه وقلت اكون فى بلاد الاسلام فاتيت الى هذه البلد فرأيت أهل البلد مقسومين قسمين لان ملكها مات وخلف ولدين وكل منهم طالبا أن يكون سلطانا فلما رأيت ذلك دعكت الخاتم وقلت له يقتلوا الاثنين فلما قتلوا قلت لاهل البلد أنا مرادى أكون عليكم سلطانا وأقيم بينكم بالعدل والامان فان رضيتم كرما منكم والا حكمتكم كرها فقالوا لى رضيناك فاقمت سلطانا وبقيت ارسل الخادم الى ارباب الدولة يخبرنى بما يتشاورون فيه حتى اذا طلع النهار اعلمهم بالاخبار فخافوا منى وقالوا انه يتكلم بالغيب وتمهدت الارض وبعد ذلك بأيام أنا راكب فرأيت اخوتى الاثنين وهم سائرون فى البرية بصحبة جماعة جعيدية فاخذتهم وأكرمتهم وجعلتهم عندى وزراء فاقاموا مدة سنة وبعده تشاوروا على انهم يقتلونى فى فراشى ليلا فمنعهم عنى خادم الخاتم وقال لى اقتلهم فقلت مايهون على قتل اخوتى فقال لى قل كونوا كلابا وان لم تفعل ذلك والا اوقعوك فى المهالك فقلت لهم كونوا كلابا فصاروا كما ترى وبقى لنا سنين معدة وهم على هذه الحالة وانا ملك على هذه البلدة وزوجتى حسنة معى وأما نساء اخوتى فان اتيت بهم لهم فما قبلوهم لانهم صاروا كلابا حقا والكلب لا يعرف يضاجع الآدمية فعادوا الى دمياط كما كانوا وهذه حكايتى والسلام فلما سمع السلطان التفت الى الكلبين وقال أحق ماقاله اخوكم قالوا بالاشارة صحيح وتعلقوا فى أذيال الملك فقال السلطان وهل تعرف تعيدهم كما كانوا فقال نعم فقال عدهم وأنا أضمنهم انهم يتوبوا ولا يعودوا لمثلها وان حصل منهم خلاف بعد توبتهم على يدى فمالهم الا القتل لان نقل الصورة الآدمية لغيرها حرام والقتل اجل منها فقال سمعا وطاعة ثم انه دعك الخاتم وقال يخرج اخوتى من الصورة الكلبية الى صورة الآدمية كما كانوا فانتفضوا وصاروا بنى آدم

فقال السلطان أنا سمعت أن هنا يسير القمر من المشرق ويسيرونه من المغرب وكذلك الشمس فقال نعم ياملك الاسلام وسألت عن أصل ذلك فسمعت ان الحكيم طومان هو الذى نشأ هذه العجائب ومن جملة أفعاله انه سمع الآية التى انزلها فى حق النمرود ولما قال له الخليل ان الله اتى بالشمس من المشرق فان كنت الها كما زعمت فأت بها من المغرب وان الحكيم طومان استعجز النمرود وقال ان هذا أمر مايعجز العارفين بالحكمة وأمر الارصاد أن يأتوه بقرصين من الجوهر وجعل لهم خداما يسيرونهم قبالة الشمس ولكن ليس هم فى كواكبها بل انها قريبة من الارض وانما يتصور للناس انها شمس مثلها وقمر مثل القمر وان اردت أن تنظرهما فاصبر الى ليلة السبت وعند من النهر ترى العجب فقال السلطان وهو كذلك وصبر الى السبت فرأى ذلك النهر طلع

بالميله فيه سمك لا يعد من جميع الاصناف ورأوا قاربا وبه رجل من نحاس إذا نزل الانسان وسقف بيده على صدر ذلك الشخص يدور بدورته يعدى القارب إلى البر الثانى فنزل السلطان وإبراهيم وسعد وطلبوا الجعيدى أن يعدى معهم فقال أنا شيء رأيته ولا يمكننى أنزل فى المغار فدعونى أقعد هنا فقالوا للملك محمد خذه معك واستظرنا حتى نعود لانه مالك حاجة فى المغار ثم ان السلطان صفق على صدر الشخص الذى فى القارب فعداهم الى البر الثانى فطلعوا إلى البر وساروا حتى وصلوا إلى شجرة فوقفوا يستظلون بها وإذا هى تفرع على اتساع الصحن وتلتم فروعها وترفع إلى عند غروب الشمس فلم يبق لها شيء إلا مثل الجريدة اليابسة فاذا طلع القمر تتسع وتفرع كما فرعت فى الشمس وعند ذهاب القمر تعود كالجريدة الناشفة فاقام السلطان إلى اليوم الثانى حتى أكد نظره فيها وأراد أن يقطعها وإذا به سمع القائل يقول امنع يدك فلزم السلطان الادب وقال ان هذه قدرة يعلم بها خالقها وتركها وسار إلى المغار فرأى على بابه من جميع اصناف الجوهر فقال إبراهيم يامن يحمل لى هذا الى قلعة حوران ثم انهم وصلوا إلى المغار فنظروا اليه وإذا به ضيق فطل السلطان فى قلب المغار وأنصت فسمع له دوى فرفع رأسه وقال تقدم يا إبراهيم انظر فتقدم إبراهيم ونظر وقال تعال ياسعد فتقدم سعد وبص فقال إبراهيم يا ملكنا نستغنى عن سعد ونرميه فان رجع بالسلامة نزلناه بعده وان راح يكون فداء عنا فقال فقال الملك يارجل يهون عليك أخوك فقال ابراهيم مايجرى عليه شيء ثم ان ابراهيم خلا سعد موطيا ودفعه فنزل يفتل فى المغار فرأى نفسه فى وسط بلد لا نظير لها وهى بلاد اسلام فسار فى وسط البلد الى سوق بسابسية فقال لواحد منهم يااخى خذ هذا الدينار وبس لى كم رغيف فقال له انت غريب فقال نعم فقال ومن حيث أنك غريب انت معذور ونحن لا نبيع إلا بالصلاة على النبى فقال سعد غدونى بالصلاة على النبى فقال له هل معك جماعة فقال مامعى أحد فقالوا له خذ بسدس الصلاة على النبى فقال مليح اعطونى بسدس الصلاة على النبى عيشا وسمن وعسل قالوا له حاضر وقام البسابسى أحضر صحنا وكسر عشرة أرغفة خاص ووضعهم فيه والقى عليهم السمن والعسل حتى غمرهم وقال خذ ياغريب فأخذ سعد وأكل حتى اكتفى وتصدق بما فضل وسار إلى سوق الشجار فاشترى له ملابس بعشرين صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وسلاح بعشر صلوات وكلما نظر شيئا يشترى منه بالصلاة على الرسول حتى ما بقى شيء على باله إلا وأخذ منه وبعدها طلب الزواج فسأل واحدا فقال له أنا عندى بنت إذا أردت أن أزوجها لك قال رضيت فاحضر القاضى وعقد العقد على مهر مقدم ومؤخر بمائة وخمسين صلاة على الرسول

فصلاها سعد بوقته وقالوا له الشرط ان سافر أحدكم يتبعه الثانى فقال أنا لما أسافر آخذها معى قال له القاضى وهى ان سافرت تروح معها فرضى سعد ودخل على زوجته واقام شهرا كاملا وبعد الشهر دخل الى البيت فرأى أباها واقفا فلما رأى سعد قال يافتى تقدم سافر مع زوجتك فانها مسافرة قال سعد الى أين قال إلى محل مبتدأها قال سعد كانها ماتت وأنا بالحياة ما أسافر معها قالوا له غصبا عنك فاجتمع القاضى وأبو المروسه وكتفوا سعد وأدرجوه معها فى الكفن وشالوهم إلى محل الدفن قال سعد ياغياث المستغيثين اما دفن بالحياة عمرى ما رأيته فلما نزلا المقبرة رموهما وتركوهما فصار سعد حتى خاص روحه من قلب الكفن فنظر الى طاقة نور فصار الى تحتها وتعلق فيها فرأى نفسه قدام السلطان وإبراهيم فقال أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وحكى لهم كما ذكرنا قال ابراهيم والله ياسعد ان رجوعك عبث هذه كانت عيشه عافية قال سعد بس الزواجة رضية قال ابراهيم ومن هنا أنت طامت ياعاق وطل فدفعه سعد وقال له انظر أنت كان لاجل ما تعرف ايش فى المغار فنزل ابراهيم فرأى نفسه فى البلد فاخذ بسدس الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بسيسة واكل حتى اكتفى ومشى فرأى كباب فاخذ كبابا وسمنا ولبنا وعيشا بربع الصلاة على النبي ﷺ واكل حتى اكتفى وكان ابراهيم جرم الجثة واسع الجوف فأكل كاس خشاف بسدس الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وحط عليها عنبرا بربع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وشربها وسار فرأى نقلا فأخذ منه لوزا وجوزا وتينا وزبيبا وملبسا وحلاوة وعنابا وفستقا بنصف الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وأكلهم فحمى جوفه فدخل فى جامع فلم يجد كنيفا فعلم ان البلد اهلها لادبر لهم الا القبل فقط وهذا اخذه بالحذر لانه رأى فى الجامع خروق مثل البلاعة للقبل فقط فعلم انهم بغير ادبار فدخل الحمام فلم يجد كنيفا وثقل عليه الحمل فغافل الناس ودخل المغطس الى فيه شوء وطلع على برات الحمام فاخذ ثيابه يلبسها فطلع الاسطى يقول ان الغريبة ظهرت فى الحمام فقال المعلم فتشوا الناس وانظروا من له طرفين فالغريبة منه فتشوا الناس جميعا الا إبراهيم قالوا له انت بشقين او بشق واحد فقال واحد فقالوا نفتشك فقعد نفسه فلم يخف دبره فقالوا له انت صاحب الغريبة روح معنا الى الشرع فراحوا الى القاضى فقال يوضع فى الحديد بلا اكل ثلاثه ايام فوضعوه فى حديد ابيض تأمله ابراهيم واذا به حلاوة فقال ابراهيم ان كان هذا الحديد انعم به واكرم ومال على الكتاف اكله واكل الطوق والقيد والجنزير والسلاسل فصاح السجان تعالوا إلى المحبوس فانه اكل الحديد فقال القاضى انزلوه فى مغار فانزلوه فى قلب مغار وقال لهم

حلقموه بحب العنب المستوى فصاروا يرمونه بحبة العنب ويبكون عليه ويقولون هذا مسكين راح يعدم نفسه بضرب العنب فقال إبراهيم احذفوا لى ولا تخافوا فصاروا كلما يحذفوا عنبة يأخذها فى حنكه ويأكلها فقال القاضى احذفوه بعنبتين سواء كل مرة فصاروا يحذفونه باثنين ثم أمران يضربوه بثلاث عنبات لأنه جبار وأخيرا قال نايب القاضى يا مولانا كان فى زمن أبيك أنى رجل مثل هذا فما حلقمه إلا بقزان ملآن ملوخية مقلية على النار فقال القاضى افعلوا بهذا كذلك فقال إبراهيم حرام يا قاضى هذه الحلقمة فقال القاضى انت تجادلنى فى حكمى كفرت فعندها قال إبراهيم أى شىء بعدها يا قران حكمك مثل حكم قراقوش ثم انه شق من وسط العالم ومال إلى نحو القاضى حتى قاربه ودام قاصده ورفع يده وضرب القاضى بالقلم على خده فما يحكم إلا على صدغ ابن خالته سعد فقال سعد لطش يا لماشك فقال إبراهيم ايرأنا قال سعد انت عند نا جرى لك إيه يا خره فقال إبراهيم لا تشقرق يا سعد لا يكون الدنيا مثل ذلك وأعاد المقدم إبراهيم ما جرى له وسأل قدر الزمان الذى غيبته فقال الملك مسافة ربع ساعة ولكن حتى تنزل فان عقلى مشتغل بمثل ذلك ثم انه قال بسم الله توكلت على الله فرأى أرض المغار قريبة فنزل وإذا بملك مقبل فلما رآه قال أهلا وسهلا وترجل عن حصانه فوقفت الدولة جميعها فتقدم إلى السلطان وقال له ما هذا محل سلام والملوك لا يسلموا فى الطريق وقاد الحصان إلى الملك فركب وملك البلد وسار فى ركابه حتى طلع إلى القلعة وضربت المدافع لقدومه من الأسرار ووقف ملك البلد فى خدمته فأمر له بالجلوس حتى جلس مع الأدب اللايق وفضلت ضيافة السلطان ثلاثون يوما وبعد الثلاثين يوم قال يا ملك الاسلام الزواج كما تعلم ثلثى الدين وأنا لى أخت اسمها تاج بخت وأريد منك أن تتصدق على بقولها فقال الملك أنا حالف لا أتزوج غير تاج بخت فقال وهى تاج بخت ومهرها مائة صلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وحضر القاضى وكتب الكتاب ودخل الملك فى ليلته فرأى دنيا كاملة على فقراء فتملى بجمالها وانبسط منها وأقام معها ونسى إبراهيم وسعد فما مضت إلا أيام قلائل حتى حملت وفى ظرف سنة وضعت ولدا فسماه محمد السعيد وأقام إلى ثانى عام فأتت بولد ثانى فسماه أحمد سلاش وثالث عام أتت بولد فسماه الخضر العادل وبعد الاربعين راحت إلى الحمام وعادت مريضة وثانى الايام توفت قال أبوها يا ملك الاسلام سافر مع حريمك مع السلامة وأما أولاد أختى أنا أربيهم فقال الملك وقد فهم المقصود كما أعلمه سعد فحط يده على آلات الدمشق وقال يا كلب هم الاسلام يدفنون على قيد الحياة والحال ربى الولد ودفن

أبوه حى فقال ما سبق الشرط على ذلك فقال اخرس فقال ادولته درنكم فقال الملك الله أكبر ومال فى الناس فزحلقت رجله فرقم وإذا به بين ابراهيم وسعد فقال السلطان سعيد افندى فقال ابراهيم فى مصر فقال أحمد بدر الدين فقال فى مصر فقال خضر الصغير فقال فى مصر فقال السلطان وأنتم متى جئتم هنا قال ابراهيم ما جئنا معك يادولتلى قال السلطان وأنا لى ثلاث سنين غايب عنكم فقال ابراهيم مثل لعب الحاوى أنت هذا الوقت طامت مسافة ربع ساعة فقط فقال السلطان هذا سحر وبسط يديه إلى السماء وقال اللهم ياعظيم العظماء انى أسألك بحرمة النبى المصطفى أن تقدرنى على ازالة هذه البدعة من الأرض انك على كل شىء قدير فما تم كلامه حتى قدم لخل الرجال وقال له ياظاهر أنا أساعدك والله تعالى يساعدنى ثم انه مد يده وقال هاتوهم وريحوا نفوسكم فهذا الملك الظاهر وأنا السيد البدوى وقد فرغت خدمتكم فقدموا الخدامين بديه الكوكبين فاخذ حجر كبير صوان وضرب واحد منهم فانكسر أربع قطع فقال له السيد لاتكن أحق ياظاهر فان هذا الثانى خذه واجمله هدية للرسول فقال السلطان أحسنت فان هذا غاية ما يلزن فقال ابراهيم والذى تكسر آخذه أنا يا دولتلى فانى كما تعلم فقير الحال ومحتاج صاحب عيال فقال السلطان خذه ثم قال يا شيخ العرب وهذا المغار قال يزول بقدرة الله تعالى وأخذ حجرا فرماه فى المغار وقال يخسف بقدرة العزيز الجبار وإذا بزلزلة هزت تلك الأرض وماجت كما يموج البحر قدر ساعة فقال له ياظاهر ان الذى فى هذه المغارة ماهم من الانس ولا من الجن وإنما هذه كانت خيالات وتصاوير وذهبت بقدرة مولانا اللطيف الخبير وغطس شيخ العرب فى الأرض ما بان وأفاق السلطان فرأى الأرض صماء ما فيها مغار فقال المقدم ابراهيم أنظر يا ملك الدولة همة شيخ العرب كيف جاء بالكواكب من السماء وخف بالمغار فى الأرض هذه الفروسية ما هو مثلنا الذى تتشطر على شخص آدمى يكبر كافرا ولم يورد جزية نقتله فقال الملك يا ابن حسن وفى الدنيا أحد يقوم فى الكرامة مثل السيد البدوى سبحان من أعطاه هذه المرتبة هذا ما كان منهم

[قال الراوى] ولما أرادوا أن يعودوا فرأوا نهر السبت غائرا ولا مركب فيه يعديهم فقال ابراهيم يا ملكنا ليتنا كنا طلبنا أبطال هذا بالمرة فقال السلطان لو أراد الله ازالته لكان السيد البدوى أزاله فما تم كلامه إلا وسنورة سيدى عبدالله المغاورى وهو يقول

جل مولانا انه قد تنزه عن الصفا ليس شىء كمثله
فهو حق بلا خفا قد فهاأ الخلق كيف ما شاء فى سائر الصفا

حارت الخلق لأنهم يدركوا بعد معرفا قدرة الله جبرت
كل من كان شائقا يا حمايات ربنا أمنت كل خائفا
أيها الخلق احفظوا صحة الصدق والوفا ان من يدخل الحما
كان دوما مشرفا مسكنه طيب القصور فى الجنان المزخرفا

السلام عليكم يا ملك الاسلام وأتباع سبيل الملك العلام أى شىء بغيتك فى هذا النهر لا تتعرض له فانه آية من آيات الله تعالى فلا تتعرض يا ولدى فيما ليس لك منه ضرر ولا ضرار واعلم انه صنعة العزيز الغفار مكور الليل على النهار فقال السلطان صدقت فقال اعلم أن الدليل على صدق قول الله تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر تعال لما نعديك حتى نعديك حتى تسافر إلى بلادك فان سفرك عن بلاد الاسلام ماهو انصاف فقام السلطان وقبل يده فقال له السلطان قصدى انى أسافر

اقامات الغريب بكل أرض كبنيان القصور على الرياح
يتور الريح تنهدم البنايا لقد عزام الغريب على الرواح

فقال الملك محمد يامولانا من فضلك اقم ثلاثة أيام حتى أدفع مالى وما على لأنى نويت أن أسير معك أنا واخونى إلى بلادى لقد مللت من الغربة فقال السلطان أقم لك عشرة أيام وأقام السلطان قال ابراهيم وأى شىء منفعتنا بهذه وهذه الاقامة التى ما فيها فبارصة ونزل ابراهيم يشق فى البلد فرأى رجلا واقفا على منارة وذلك الرجل ينادى ويقول يا مؤمنين يا أهل الايمان اسمعوا منى ما أقول ان كان عندكم معقول يامن يبيع نفسه فى محبة دين الاسلام وينجينى من البلايا والأسقام لأجل النبى المصطفى المظلل بالغمام عليه أفضل الصلاة والسلام فقال ابراهيم أنا ياشاب بائع نفسى لله ولرسوله فان كنت تشترينى ما شىء أحلى من يومى فقال له سر معى إلى البيت حتى أكتب عليك حجة واعطيك ثمن نفسك فقال ابراهيم قدر ايش تعطينى فقال الغلام على قدر ما تريد فقال ابراهيم أنا ثمنى عشرة آلاف قبرصى فقال الغلام خذ عشرة آلاف ومائة فوقهم فقال ابراهيم رضيت بذلك فراح معه إلى قاضى البلد فكتب عليه حجة وبعد ذلك قال ابراهيم أخبرنى انى ياشاب أى شىء تريد تفعله فقال الشاب يابطل الزمان أنا كان لى أب يقال له مولاى عبد الرحمن ملك اقليم فاس ومكناس وكان له أخ اسمه محمود ولكنه منفى من البلد لأنه كان دائما ينافق على أبى فلما زعل منه أمر بنفيه من البلاد ولولا انه أخوه وإلا كان صلبه لأنه كان يدبر على افساد دولة أبى فأقام منفى مدة أيام فلما بلغت أنا قال أبى اريد أن أزوجك يا ولدى قلت يا أبى ان أردت ان تزوجنى فلا أريد إلا بنت عمى جميلة فارسل جاء بعمى

بعدما قفاه وقال له أنت مفسد ولا عندك اصلاح وأنا جئت بك قصدى أزوج بنتك إلى ولدى فقال سمعا وطاعة فامهرها أبى بعشرة آلاف دينار وأتى القاضى إلى عندى وعقد لى عقدة النكاح على بنت عمى وأردنا نشرع فى الفرح فتوفى أبى فالتهينا فى عزاه وبعد مافرغنا من العزاء قلت لعمى انت اعمك كبير اجلس محل أبى ملكا على البلاد حتى أكون كبيرا وجلس على أبى فجلس مدة ثلاثة أشهر وبعدها طالبته بزواج بنته وقلت له ياعمى اعطينى زوجتى فقال لى طيب اصبر كم يوم فصبرت خمسة اشهر وطلبته زوجتى فقال لى زوجنى والدتك وانا ازوجك بنتى فمن تولعى وجهلى سألت والدتى فقالت ياولدى بعد ابيك مارايدة زوجا واماعمك فبئس الزوج وإذا سألتنى ثانيا فى ذلك ابرأمنك ولا أبقى لك والدة فسكت ولم أرد عليها واعترفت انى اخطأت فى كلامى لأن عمى ماهو مثل ابى فمضت إلى عمى فقام معى ودخل عليها فقال لها انا انزوجك مثل اخى فقالت امى هذا امل بعيد من اين يذوق الكلب طعم الشهد فضربنى وضرب امى وطردنا من ملكنا وقال لى ان اقمت فى بلادى صلبتك على شجرة فاخذت امى واتيت إلى هذه البلدة واشتريت لنا بيتا وقعدنا فيه مدة ايام وطلعت للملك محمد ملك هذه البلدة فلما وقفت بين يديه اشتهيت ان يسعى فى صلحى مع عمى فركب فى جماعة من خواص دولته وسار معى إلى عمى وطلب بنت عمى فقال له ياملك محمد انا ما امنعه ولكن ماهو كفؤ لبنتى إلا ان اتانى بمهرها فقالت له وما هو مهرها فقال يروح إلى مدينة النحاس ويدخل القصر المنصور ويجىء لى براس الغول المهول والسيف المطلسم فاذا قدر على ذلك اعطيته بنتى فيكون كفؤا لها وان عجز فانا ما اعطيه بنتى فقال لى مولاى محمد وانت ايش قلت فقلت ياسيدى انا إذا ماجئت بمطلوبه لا استحق بنته ثم اتيت إلى هنا والملك طامع إلى حل حكمه وانا قاعد وحدى ماقدر اروح فان ابتاس كقول خذ الرفيق قبل الطريق فلى ثلاث سنين وانا كل يوم اطلع على المنارة وانادى واطلب من يرافقنى فما لقيت احدا يرد لى كلام إلا انت لماسالتنى وحكيت حكايتى اليك فارشدنى على مايعود نفعه على وعليك فقال ابراهيم بن حسن وهذا الغول بلاده بعيدة فقال مسيرة شهر كامل وانا ياسيدى اروح فقال ابراهيم سر ساحتى يفعل الله ما يريد وركب ابراهيم والغلام وساروا حتى بقى بينهم وبين مدينة النحاس ثلاثة ايام فقال الغلام انا ما بقيت اقدر امشى فقال ابراهيم اقعد انت حتى اروح انا لا تلزم راس الغول إلا منى انا وسار ابراهيم الى مدينة النحاس فلقى قصرا ضويه وهو مرسوم من اصناف المعادن فلما دخل الى المدينة يلقى اهل المدينة خرجوا منها وما فيها جنس ادمى ابدا والغول لما عرف رائحته اقبل اليه وهو مثل القلعة

نقلت الرواة ان عرض جثته ثلاثة اذرع ونصف وطوله ثلاثة عشر ذراعا قال ابراهيم أنا اعلم أن هذا من دواهي الدنيا فما تم كلامه حتى أطبق عليه ذلك الغول بلا خطاب معه ولا كلام فالتقاه سبع الاسلام فصار كلما يهجم الغول على المقدم ابراهيم يضربه بذو الحيات فتطش فى وسط رأسه وتارة فى جبهته وتارة على صدره وهكذا سبعة عشر مرة كل ضربة لو وقعت على صخر لقدته أو جبل من الجبال لهدته فتعب ابراهيم وأيقن أن هذا آخر عمره وعدم جلده وصبره وعرف الغول انه تعب فرفع ذراعه الى فوق وكان قصده أن يخطف الفداوى فنظر المقدم ابراهيم إلى تحت ابطه واذا فيه بقعة بيضاء فدق دبوبة ذات الحيات واتكا عليها فغارت إلى قبضتها فوقع الغيل قتيلا فلما وقع واذا بأهل البلد مقبلون فدخلوا المدينة وهم فرحون

[قال الراوى] ان مدينة النحاس هذه ماهى نحاس وإنما سورها نحاس وكان الذى بناها وبنى القصر الذى ذكرناه كاهن اسمه منصور وكان ساحرا كاهنا عمل ذلك القصر وطلسم ذلك السيف وكان من حكمتة اذا انحمق من أحد يقول يقتل فلان فيخرج ذلك السيف من قرابه يقتل المغضوب عليه ويعود وكان الكاهن يعبد النار

قال لأهل البلد اعبدوا معى النار فقالوا حاشا وكلا لا نعبد إلا الملك الجبار الحكيم الستار مكور الليل على النهار فاغتاظ منهم واصطنع تفاحة وكتب رصدا لأهل البلد بعدم الاقامة فيها لا يقرون ولا يهتدون ووضع الرصد فى التفاحة وأطعمها لهذا الغول فتصور لأهل البلد أن كل من أقام فيها أكله ذلك الغول فجفلوا وتشتتوا فى الخلا وبقوا فى أوشم حال وكان الرصد هذا لا ينفك إلا اذا مات الغول

[يا سادة] ولما قتل ذلك الغول على يد المقدم ابراهيم انفك الرصد ففتحوا أعينهم الناس وهجموا ودخلوا البلد فالتقوا المقدم ابراهيم يمسح شاكريته فى جلده

فقالوا له يا سيدى أقعد عندنا ونحن نكونوا رعيتك ونعيشوا تحت ظلك

فقال ابراهيم أنا ما أقضى شيء لأن الملك الظاهر ما يفوتنى إلآن الغلام

قال له لا تفتنى ياابو خليل فقال ابراهيم لا والله ما أفارقك حتى تدخل بزوجتك فم خذ السيف المطلسم وسر قدامى فسار الاثنان حتى وصلا الى فاس ومكناس ودخل الغلام على عمه

وقال أنا ياعمى سافرت وأتيتك بما تريد وقتلت الغول وأريد منك زوجتى فقال مرحبا بك لما جئت بالسيف فقال خذ هذا السيف وأراد أن يمد يده يأخذه واذا بالسيف طلع من قرابه ونزل على حزام الملك محمود قسمه نصفين فعند ذلك فرحت

العساكر وقالوا يامولانا عبدالرحيم انت ملكنا وقامت الوزراء وأجلسوا عبدالرحيم محل عمه وصار سلطانا وأرسل أحضر والدته وعمل فرحا ببنت عمه ودخل عليها وأصبح أجلس إبراهيم على تخت السلطنة وقال له انت ملك وتركت لك عن السلطنة فقال إبراهيم وأنت ما تفعل فقال اقعد فى خدمتك حتى تنقضى مدتك فجلس المقدم إبراهيم ودانت له الاحكام فكتب كتابا إلى مدينة الملك محمد وإلى جميع المدن والقرى يذكر فيه ان مدينة فاس ومكناس حكم بها ملك وسلطان يقال له القان إبراهيم وحلف على جميع ملوك الغرب وقانات العجم ان كل من لم يأتى بهدية اليه ويأتى يسلم عليه ويبارك له وإلا تركت عليه يخرب بلاده ويهلك عساكره وأجناده وكان من جملة الكتب للقان محمد صاحب قرية عبادة الذى عنده الملك الظاهر

[قال الراوى] وكان الملك الظاهر فى تلك المدة مقيما يدور على المقدم إبراهيم ولم يعلم له قرار فما يشعر إلا وذلك الكتاب مقبل من مكناس ومدينة فاس فاعلم الملك الظاهر وقال هى يامحمد هدية حتى نسير أنا وانت تنظره ان كان هو إبراهيم فنأخذ معنا هدية وإذا كان خلافه نضمان على اتلافه وركبوا وساروا إلى مدينة فاس فنظر إبراهيم السلطان فقال هذا الظاهر يريد يأخذنى وأنا ما جمعت الهدايات ولكن اعمل مكيدة أخلى السلطان يفوتنى والحقه بعدها فلما تقدم السلطان عرف إبراهيم فصاح نعم ملك الاسلام فقال إبراهيم من أين أنت يا امير فاغتاظ السلطان وقال والله ما أقعدوا خذ سعدو الملك محمد وعادوا إلى قرية عبادة وبات السلطان وأصبح طلب الرحيل فرافقه الملك محمد واخوته والجميدى وجمع الملك ماله وعياله وسار مع السلطان حتى وصلوا إلى حلل البنو وكان بهم سبعة ملوك كل ملك له مضايف يطرق فيها بالضيوف وكل ملك له ناس تحرس المارين من الطرق فلما مر السلطان تقاتلوا عليه الناس وعلى من معه فقال لهم السلطان والملك محمد لا تقلون فنحن نبيت فى كل حلة ليلة فقال الجميدى إلا أنا ما أدخل عندكم بل اقيم هنا ومن أراد إكرامى فليكرمنى هنا فصاروا يأتونه بما يحتاج حتى تمت السبع ليالى وهو كل ليلة فى حلة وبعدها توجهوا طالبين مصر وما داموا يقطعون المراحل حتى وصلوا العادلية فأرسل السلطان سعدا ببطاقة تزينت مصر بغير مناداة انعقد الموكب للملك وسار إلى قلعة الجبل ونظر عيسى الجاهرى فلم يجد إبراهيم فالتهب فؤاده وسأل عمه سعدا فأخبره بما جرى وأعلمه بان السلطان حلف يمينا ما بقى يرافقه وبات السلطان وأصبح جلس فاقبل المقدم سعيد الدايش وقال ياده لتلى أين اخى فنتر السلطان فيه وأمر المنادى كل من تكلم كلاما وذكر فيه المقدم إبراهيم بن حسن كان دمه هدر ثم أشار ذلك الحديث بلغة الاعداء مرادها

ودابت من الاحباب أكبادها هذا ما جرى هاهنا

[قال الراوى] الى يوم من الايام ورد على السلطان كتاب من السويدية من حضرة المقدم موسى بن حسن القصاص يذكر فيه انه عبر علينا ملك من ملوك الروم يسمى روح صاحب رومة العظمى ومعه عساكر تزيد عن الف الف كافر فاستيقظ ياملك الاسلام وحامى عن حورة هذه الديار والآكام فلما قرأ السلطان الكتاب كتب الى نواب البلادان تركيرا للجهاد وكان السبب فى ركوب هذا الملعون لان جوان ما كان يرضى يركبه لان أولاده وبناته كانوا مترهبين ومقيمين فى دير البلد وكان جوان جاعلهم تلامذة واذا دخل رومة العظمى لايبيت عند أولاد البب وبناته ويقول للبرتقش أنا داخل المصلب وكان ذلك المصلب له كنيسة تحت الارض مخصوصة للبنات والصبيان الذين يعملون رهبان فكان جوان لم يتعبد الا فى ذلك المصلب ولا يبيت إلا فى كنيسة الابكار ولا يعطى أكثر البركة لا لبنات الملك وأولاده ولما يفرغ البركة من عمره يطلع الا فى هذه الايام قال جوان ياأب اكسب الك غزوة فى دين المسيح فقال ياأبانا اصبر على ثلاثة أشهر فنزل جوان يتعبد واما البرتقش فانه راح الى بحيرة يفرة ولما تمت الايام ارسل روم أحضر جوان وكان جمع عسكرا ستمائة الف فقال لجوان اطلع الى القصر فطلع جوان ونظر اطول العساكر وراى الحراب الانكرسيات مشو من الصبح الى الظهر وثانى يوم نظر عسكرا قدرهم بالقصاصات والنيل فقال جوان طيب طيب وساروا الى السويدية فلما راى المقدم موسى بن حسن كتب كتابا وأرسله مع تبع من أتباعه الى السلطان وأرسل السلطان لنواب البلاد ان يرجعوا بعساكرهم الى السويدية وكانت النصارى دخل عليهم الشتاء فاستقاموا فى خيامهم وهم يقاسو العذاب الاليم حتى فرغ الشتاء فأرادوا ان يظهروا الزحف من السويدية الى بلاد الشام واذا بالمسلمين مقبلون جماعة بعد جماعة وآخرهم قدام ملك الاسلام عماده الحصون الكرام وعلى رأس السلطان بيرق المظالل بالغمام ونصب الخيام وبات تلك الليلة واصبح عمل ديوانا وكتب كتابا وقال من يؤدى كتابى هذا الملعون روم قال عيسو الجاهرى أنا فقال الملك أناما بقيت اقدر انظركم لانكم ناس منافقون وعلى مخامرون فقال الوزير العفو ياملك الاسلام أى شئ جرى على دولتك من نفاق الحوارنة وان كان المقدم ابراهيم حصل منه خطأ يستحق العفو من حضرتك لانه شاب عوارضه فى خدمتك وهذا ولده أيضا تحت حكمك ولم يتبع اباه بل اتبع دولتك وابذل مهجته للجهاد معك ويرضى ان تطير رأسه تحت بيرقك ولولاك فلا تنسى ودادأبيه ولا تؤاخذهم بالذنب الذى جنوه فانهم خدمتك على

حال فقال الملك لكن هذا صغير وما له قلب على دخوله على ملوك الكفار فقال المقدم سعد والمقدم سعيد الحايش ونصر الدين الطيار ومحمد الغندور وباق سعادة الركاب جميعا يا ملك الدولة سلمه كتابك إن عاد سالما أو حصل فى كتابك خلل اصلبنا جميعا على قارة هذا الجبل فلما سمع السلطان هذا الخطاب سلمه الكتاب فأخذه المقدم عيسى الجاهرى ووضعه فى عمامته ولبس سلاحه وعدته وركب على ظهر حجرته وسار إلى عرضى الكفار ونزل عن حجرته وجذبها كريته وشمر أذياله فى ذيل منطقته وصاح الطريق يا كلاب الروم

أنا ابن إبراهيم عيسى الجاهرى   وقلبى على ما قدر الله صابرى
اذا ثار حرب كنت موقد ناره   على ظهر جوال من الخيل ضامرى
أجاهد فى دين النبى محمد   بسيف صقيل ماضى الحد باترى
هلموا كلاب الكافرين الى القنا   سأتيكم بالمرهفات البواترى
وأنصر دين الله جهدى وطاقتى   ليرحمنى فى يوم تبلى السرائرى
وصل على خير البرايا محمد   نبى أتانا بالهدى والبشائرى

وصاح بعده طرين يا كلاب الروم ورمى نفسه يمينا وشمالا قتل اثنى عشر كافرا ومن اليسار رمى سبعة فنظرت الروم الى فعاله فنفروا من قباله وتصاروا قدامه الى عند البب روم وجوان وقالوا له طريق يا بب قم من الطريق والا يعترك القادم عليك فقال البب روم ايش الخبر فقالوا واحد مسلم قادم علينا يزعق ويقول طريق.

فقال الملعون يبقى هذه الزعقة من واحد مسلم أين الدراهم التى تاخذونها من ديوانى ولا فيكم انتفاع اذا كان واحد هربتم منه فكيف الحال اذا وقع الحرب والقتال فقالوا له يا بب هذا عال يبرق عينيه فقال جوان يا بب معذورين فان هذا القادم عليك من جبابرة المسلمين واسمه عيسى الجاهرى وهو ابن الحورانى والرأى عندى أن تاخذه بالرقة لانه يقتل الناس وأنا حاكم قاعد جنبك وان قلت دالى وربما يروح جوانا غلطا فى الزحمة فضحك روم وعلم أن جوان خايف من هذا النجاب فما كان غير قليل وعيسى الجاهرى مقبل يقول قاصد ورسول بالزوج البتول وصاحب القبول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول الامام على بن أبى طالب مظهر العجائب كرم الله وجهه ورضى عنه بالقوة امام نكس الاصنام وحمى البيت الحرام لاتبع هزيم ولا هتك حرم ضرب بسيفه فى الارض كبرت ملائكة السماء سمع النداء من العلى الاعلى لا سيف الا ذو الفقار القسطلى ولا أمير النحل الا الامام على يا عزيز يا قوى يا مذل كل جبار بالقوة امام حرب خيبر وقاتل من كفر وابن عم النبى محمد القمر.

قال البب روم هات كتابك وخذ رد جوابك فقال المقدم لروم تقدم قم على حيلك وخذ كتاب السلطان بأدب واقرأه بأدب واعطيني رد الجواب بأدب وحق الطريق بأدب وانصرف من قدامك بأدب وإن عملت قلة أدب سوف ترى ما يجرى عليك من الضرر والتعب فقال البب روم وإيش قلة الأدب التى اعملها حتى أحذر منها .

فقال المقدم عيسى بما أن السلطان كتب الكتاب فى ساعة غضب وربما يكون كتب كلمة تغيظ خاطرك تقوم يغرك قعدتك فى وسط عسكرك تشرمط الكتاب فافاحصل ذالك وحق دين الاسلام ما يقع من كتاب السلطان فسقوطه إلى الأرض إلا ورأسه معها وها أنا حذرتك ونصحتك وهذا الكتاب لا تأخذه منى إلا وأنت على أقدامك واقف وإن خالفت والاسم الأعظم ما أنطع فى الأول إلا رأس جوان فقال جوان يابب روم خاصه خليه يروح من هنا فقام أخذ الكتاب يجدنيه ان كان تريد السلامة تقبض على جوان وتأتى به إلى عندى وأنت صاغر وسيفك فى رقبتك أبايعك نفسك بالمال وآخذ عليك الجزية فى كل عام عملت ونلت الامان وإن خالفت يبقى بالسيف يحكم بيننا والسلام فأعطى الكتاب لعيسى وكتب له رد الجواب بالحرب فطلب حق الطريق قال البب روم كم حق الطريق فقال جوان ألف دوقاته فقال عيسى الجاهرى مروءتك يابب روم فقال والبب روم اعطاه عشرة آلاف دوقاته إغاظة فى جوان فقبض الفداوى المال وطلع هز جوان الشنبار فأطبق الروم على عيسى الجاهرى فقاتل فيهم يوما كاملا سمع البب روم الصياح فقال ما الخبر فحكوا له عن فعل جوان بنجاب دين المسلمين فقام البب وخرج من صيوانه مع أكابر أعوانه ورأى عيسى الجاهرى وهو يبرى الروس ويلوح الجماجم بالطير والدوس ويصرخ على الكفار فيذهلهم ويضرب فيهم فيخبلهم ونظر البب روم إلى ذلك فصاح عليهم ورمى كبوسه فى الارض فحملته الأعوان وردوا العساكر عن المقدم عيسى وكان ملأ بقتلام الأرض فقال الوزير لأى شىء فعلت هذا فقال أمرنى عالم الملة جوان فأمر باحضار جوان فلما حضر بين يديه قال له اخبرنى يا أبانا جوان الغدر بالرسول يجوز فى ملة المسيح ولاله ذنب يستحق عليه القتل بعد ما أعطى الرسالة وأخذ ردها يوصلها إلى من أرسله وثانيا غدرته ولم يطلع من يدك فيه شىء بل انه أهلك من الكرستيان جملة عالم ياهل ترى إيش الفائدة فى إتلاف هذه المخلوقات أما تعلم أن إهراق الدماء حرام فى جميع الاديان .

فقال جوان وانت راكب على شىء ما هو على حرب المسلمين لاجل أن نهلكهم فقال نهلكهم بالحرب فى الميدان بالانصاف فقال جوان ما هم مسلمون فقال البب روم

ياملعون وإن كانوا مسلمين أنت لا لك ثمن فى المسلمين ولا فى النصارى ثم امه طلب العدة وقال له لولا ما أنك مشهور فى ملة النصارى لقتلتك وأوحت منك المسلمين وإنما جزاؤك الضرب لانك فضولى ورماه وضربه الف كرباج

[قال الراوى] وأما المقدم عيسى الجماهرى فانه سار الى قدام السلطان وأعطاه الكتاب سالما ورد الجواب ففتح رد الجواب فرأى فيه رد الجواب بالحرب فزقه ورماه وأمر بدق الطبول حربى لجاوبته طرنيطات الروم وبات الطبل يضرب حتى أصبح الله تعالى الصباح وأضاء الكريم بنور كوكبه الوضاح حضرت الصفوف وترتبت الالوف برز من النصارى بطريق وطلب البراز فنزل اليه ايدمر فقتله وثانى طريق جندله والثالث رمله والرابع للمقابر أرحله ودام على ذلك إلى آخر النهار فقتل ثلاثين من الكفار وعاد بالفرح والاستبشار وثانى الأيام نزل حسن النسر بن عجبور مقدم حرب الفداوية إلى الميدان وقاتل قتال من أوهب نفسه فى سبيل الله الملك المتعال وما دام يقاتل إلى آخر النهار أهلك خمسين من الكفار وعاد فى غاية الاستظهار ودام الامر كذلك مده أربعين يوما تمام فضجت النصارى ودخلوا على جوان فقال له ياأبانا جوان ان حرب المبارزة واحد لواحد مالنا به طاقة فاما تأمرنا بالحملة على المسلمين حملة واحدة وإلا أهلكونا المسلمين ولم يبقوا منا أحد فقال جوان يابب أأمرهم بالحملة فعند ذلك أمر بهز الشناير من أربعة جهات النواحي وحملت طوائف الاسلام وزاد الازدحام وفاق الهام وقل الكلام وحكم الحسام الصمصام وهشمت العظام وبطل العتاب والملام وزاد المدد على الاسلام وصاح الملك بالدين الاسلام وحمحمت بنو إسماعيل كانهم سباع الآجام وكذلك الامراء الكرام ودام الحرب على تلك الاحكام حتى فرغ النهار بالابتسام ودخل الليل بغياهب الظلام فصاح جوان دا لى يا أبناء الكرستيان ولا تعطوا تهاونا عن الحرب والطعان فصبرت أهل الايمان قدام أهل الطغيان ونظر الملعون جوان إلى صبر المسلمين فاغتاظ وراح الى البب روم وقال يا ب هذه الليلة مرادى أن أبلغك فيها المراد وتملك جميع العباد وتملك البلاد وتأخذ الظاهر برقبته وتملك جميع دولته فقال له بأى شيء ياجوان فقال جوان تترك هذه العساكر قدام المسلمين تقاتلهم بالليل وتأخذ أنت فرقة من البطارقة قدر مائة الف وترميهم خلف المسلمين وتاخذ فرقة ثانية تقسمها قسمين تجعلها يسارا ويمينا وتصرخ برا وتقدمك العسكر فينذهل دين المسلمين من قدامهم وورائهم من الشمال فتخاف المسلمين ويهجم أنه على دين المسلمين خذه أسيرا وأملك بلاده وأملك عساكره واجناده فقال البب روم صدقت ياجوان وكان المقدم جمال الدين مشاهدا هذه الافعال فعاد الى السلطان

واهله فقال السلطان وما النصر الا من عند الله ثم انه أوقف نصف الفداوية بكر خيهم يمينا ونصفهم يسارا وجعل الملك عرنوس بعساكره خلف وبقى السلطان والامراء فى صدر العساكر ودام الامر كذلك حتى أقبلت الكفار فكانت الاسلام متأهبة ولكن لهم يومين وليلة وهم يحاربون صابرون وحمل الملك بالامراء فما بلغ بهم عرضة فان المناكب كلت والاعصاب انحلت وازداد المدد على الاسلام فصار السلطان يرد عن الامراء بحملاته ويقويهم على الحرب بصيحاته وفى الحقيقة تعب السلطان

[قال الراوى] وبينما السلطان يقاتل فنظر الملعون روم وهو يحرض العساكر على القتال فطلبه السلطان وعطف عليه ومال بكليته اليه وقاتله وناضله وضرح فى وجهه أذهله ومع غيظ السلطان منه ضربه بالمنشة فى وسطه وكانت الضربة مشيعة تمام فقسمه من بين الحزام فوقع النصف الفوقانى والنصف الثانى على ظهر الحصان فنظر جوان إلى ذلك فرمى كبوسه الأرض وصاح على النصارى فقال لهم هاتوه يعنى البب حتى ابخره قبل خروج روحه فهاجت الروم وارتجت الارض والتخوم والنهار أظلم والجو أعتم وحكيم الحسام المخدم وجار فى حكمه وظلم وشابت المفارق واللمم وجرى على الناس ما خط بالقلم ونظر السلطان هذا الحال فخاف على ملكه من الزوال فرفع رأسه وبسط يديه إلى المهيمن ذو الجلال وقال هيا يارب ياعظيم العظماء يا من بسط الأرض ورفع السماء وعلم آدم الاسماء يا من جعل البيت الحرام آمنا الهى اسالك بحق نبيك الصادق الوعد الامين وبما جاء فى كتابك المبين وكان حقا علينا نصر المؤمنين يا ارحم الراحمين اللهم انى اسالك أن تجعل للمسلمين من هذا الضيق فرجا ومن كل ضيق مخرجا انك ارحم الراحمين [ياساده] فما تم السلطان دعواه حتى طلع من ناحية بلاد الغرب غبار وعلا وسد الاقطار وانكشف وبان للنظار عشرين الف فارس مغاربة طوال الاجسام معتدلين القيام على خيول تسابق الغزلان ويقدمهم فارس كانه البرج المشيد وهو مسربل بالحديد ولما أقبل ورأى طاحون الحرب دائرة فكب رأسه فى قربوص سرجه وحمل كانه ثنية الجبل وتبعه اصحابه وفعلوا مثل ما فعل

[قال الراوى] وقدمنا أن الكفار لهم ثلاثة ايام لم ينزلوا على خيولهم وهم طامعون فى هلاك المسلمين فلما رأوا هذه النجدة اقبلت وصاحت فانقطعت ظهورهم وحاروا فى امورهم [واعجب] ما روى أن الملعون جوان واقف ناشر شيبته على صدره وهو يحرض الكافرين على القتال فاقبل عليه غلام امرد وقال يا ابانا الحق ابرنقش فانه قبض على شيحة ومنتظر امرك هل يسلمه للنصارى يقتلونه فى ثار ملكهم

حولا تأخذه أنت إلى بحيرة يفرة تهنى فإليك منه فقال جوان وأين هو فقال فى صيوان البيب وما عنده أحد فسار جوان إلى باب الصيوان فرأى جدانا مربوطا والبرتقش واقفا فقال جوان أين شيحة يا سيف الروم فاشار الى الجدان ولم يتكلم فارتجفت أعضاء جوان وأراد أن يعود وإذا بالبرتقش قال يا أبانا أين تروح فقال جوان جرى إيه يا برتقش فقال البرتقش أنظر بعينك واعلم أن هذا الجدان ما فيه شىء وأنت ما بقى لك ملجأ ولا خلاص فان أبا محمد واقف يتفرج عليك وأنا وقعت وأنت كذلك

[قال الراوى] والسبب فى ذلك أنه لما أقبلت النجدة للاسلام فجمع شيحة أولاده وقال لهم الحقوا جوان لا يهرب فطلعوا وهم قاصدون عرضى النصاوى [يا سادة] وأما جوان فانه قال يا برتقش اكشف لى عن هذه النجدة التى أقبلت للمسلمين من أين فسار البرتقش قاصدا عرضى الاسلام فالتقاه شيحة واولاده وقبضوه فوقع فى عرض شيحة على أنه يقبض على جوان فارسل على الطويرد وأتى لجوان ودخل وراء البرتقش ووضعه شيحة فى جدان وسلمه لاولاد وكانت النجدة التى قدمت على السلطان مدينة فاس ومكناس والذى بها المولى عبد الرحيم والذى أغراه على القدوم إلى هنا ابراهيم بن حسن لانه صارى عسكر الركبة والسبب فى ذلك أن المقدم ابراهيم لما أجلسه الملك عبد الرحيم على ملكه وأرسل طلب الهدايا فجاءه شىء كثير وثقل ظهره بالمال الى قلعة جوان فحكى للملك عبد الرحيم فقال له والله يا خوندا أنا ما اقدر أفارقك فقال ابراهيم قاسمنى النصف فى المال والنصف لك اقسم هو وإياه بعد ذلك نادى منادى فى العسكر من أراد الملك ابراهيم فليبرز معه ومن أراد عبد الرحيم فليقعد هنا مقيم فاجتمع صحبة المقدم ابراهيم ما يزيد عن عشرين الفا خلاف اتباعهم فسار طالبا حوران فسمع بالوقعة التى على السويدية فسار اليها ونظر الاسلام كما وصفنا فقال المغاربة اثبتوا معى حتى تعاونوا الاسلام فاذا فعلنا هذا الجميل ما يضيع عند السلطان وانا أكتب اسماءكم جميعا فى الديوان واسكنكم فى قلعة حوران فقالوا نحن ما قصدنا إلا الجهاد فى طاعة الملك الجواد ثم أن الفداوى حمل كأنه ثنية جبل وحملت المغاربة وفعلوا مثل ما فعل وما دام المقدم ابراهيم يهبر فى الصفوف ويلوح فى الجماجم والقحوف والزبد على اشداقه كالقطن المندوف وهو هائج كما تهيج الجمال ويمد القدود والاوصال حتى ادرك السلطان فالتقاه يدافع عن الامراء ويمانع وملأ الارض قتلى من سائر المواضع فصاح المقدم ابراهيم شد حيلك يا ملك الدولة يا صاحب الهيبة والصولة وسار حتى قرن ركابه بركاب السلطان وصار معه كأنهم فرسين رهان وانعقد الغبار كأنه الليل الداجى وتترو الكفار

أفرادا وأزواج وكانت وقعة عسرة زاح من الجبان بصره والمغاربة ينثرون الجماجم خمسة خمسة وعشرة عشرة ونظرت الى هذا الحال فالقرالهم صبر على القتال وانقطع ثلثيهم بالحسام الفصال فاشتتوا فى البرارى والتلال ولم يبق أحد منهم يعرف اليمين من الشمال والمسلمون من خلفهم يضربون فيهم ضربا مثل فتوق الاعدال ودام الامر على ذلك الحال حتى مضى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال وعاد الاسلام الى المضارب والخيام وهم سكارى بغير مدام الا أنهم فرحانين بالنصر والظفر ونزل الملك فى صيوانه وحوله أكابر دولته وأعوانه وطلب المقدم ابراهيم فلما حضر وقبل أيادى السلطان فقال الله ماشاء الله عليك يامقدم ابراهيم والله ان الجميل الذى فعلته معى ما أنساه أبدا فقال له المقدم ابراهيم يادولتلى انا اذا قلت للخباز أعطينى رغيفا ويبقى الك على جميل يقول لى ما أعطى رغيفا الك الا بثمنه وأنت تكتب لى عندك جميلا أى شىء أعمل به أنا فقال السلطان أتمنى كما تريد فقال ابراهيم اتمنى جامكيتى التى غبت عنها تامر لى بصرفها حالا فانى أتيت من الغرب بعد الغياب الذى غبته ومرادى أروح عن أذنك الى قلعة حوران لابد لى ما أروح الحمام وأحلق رأسى وأشترى ترمس للعيال كل هذا بقبارصة فقال السلطان احسبوا له حقه واصرفوه له من ايراد هذه الغنيمة فكانت سبعين الف دينار قبضها بوقته فدعى للسلطان وطلب من السلطان الاذن ان يكتب أسماء المغاربة من ضمن عسكره فانعم له بذلك وشال السلطان بالعرضى وابراهيم سار الى قلعة حوران يقيم ليلة واحدة ويكتب المغاربة حورانية ويلحق السلطان بمصر يقيم فى مرتبته وبعده طلعوا سجانين القلعة وأخبروا السلطان ان جران هرب من السجن فقال السلطان فى جهنم

[قال الراوى] الى يوم من الايام قدم على الديوان نجاب بكتاب من حلب وكتاب مع نجاب من الشام وكتاب من البيراه وكتاب من الرها وكتاب من عكا وكتاب من ديار بكر وكتاب من حمص وجميع الكتب يذكر فيها ان عندنا حرق محلات وكلما طفى محلا ينحرق محلا آخر وذلك ليلا من العشاء الى الصباح ولم تعلم الغريم فلما سمع الملك ما فى الكتاب أحضر السعيد وأجلسه على مصر وأوصاه بالعدل وسافر وهو متخفى حتى وصل الى الشام ولم يدخل الشام وسار الى جبل على يمينه وطلع الى ذلك الجبل وصار يتفرج فيه فنظر الى شخص طل من مغار ونظر اليهم واختفى فى المغار فلما رآه السلطان قال ياابراهيم أنت ناظر على بعد مثل ما أنا ناظر فقال ابراهيم نعم يادولتلى فسار السلطان وابراهيم وسعد وتقدم ابراهيم واطلع من جرمدانه تما حة نحاس ووضع فيها نارا على فحم

مطحون ومعجون ووضع النار وخدفها فى المغار فشموا الذين فى المغار فتبنجوا وولع ابراهيم شمعة ودخل فى المغار فالتقاهم اثنين مبنجين فقيقيم وأتى بهم الى السلطان فقال السلطان لهم بلسان العجم أنتم من اين فقالوا له نحن من توريز من عند القان هلاوون وقد أعطانا قزايز نفط وأمرنا ان ندوروا على بلاد أهل السنة ونأتوا على بيوت السنية ونطرقوا قزازة النفط فى المكان الذى يكون فيه أخشاب فتولع النار فى الاخشاب مثل البارود يحرق المكان فحرقنا بذلك الفعل كم مكان شىء يطفوه الحكام وشىء يعدم فقال له السلطان وأى شىء لكم منافع فى هذا فقالوا له امتثالا لامر القان فقال لهم وانتم هنا واين باقى أصحابكم فقالوا له اثنين مثلنا فى حلب واثنين فى الرها واثنين فى ديار بكر واثنين فى حماه وهكذا كل مدينة فيها اثنين فى النهار يكونون فى الجبال لاجل ان لا يعلمهم أحد وفى الليل يدخلون البلد يضربون بيتا تعلق فيه للنهار فيتركونهم ويسيرون الى غيره فقال السلطان أى شىء قولكم فى التربة ودخالكم فى دين الاسلام فقال ابراهيم يا دولتلى وان أسلموا اسلامهم باطل لانهم أحرقوا الاماكن وأحرقوا قلوب الناس على متاعهم ثم انه حط يده على ذات الحيات وضرب الاثنين جعلهم أربعة وأرسل سعد جاء بباشة الشام بأمر السلطان فلما بقى قدام المغارة قال له السلطان يا كلب الباشات اثنين كلاب مثل هذان يغافلونك ويحرقوا بلدك وأنت مقيم على غفلتك ولا تلتفت فقبل الارض وقال العفو بعض شاه ومن أين لى عقل مثل عقل مولانا يحرز على قدر ذلك انما أرجو العفو من مولانا واجتهد غاية جهدى فى الخدمه فقال السلطان خذهم أشهرهم فى بلدك كانك أنت الذى قتلتهم لاجل اقامة ناموسك على الرعية ولا تجعل أنك رأيتنى فقال سمعا وطاعة فتسلمهم وسار بهم الى الشام ورماهم فى الميدان وكتب فرمان يقول هذا جزاء من يحرق أماكن الناس وبقوا ثلاثة ايام وهم مرميون وفى اليوم الثالث حرقهم فى الميدان

[قال الراوى] هذا ماجرى لباشة الشام وأما السلطان وابراهيم فانه انتقل الى حماه وتجسس حتى قبض على الاثنين اللذان بها وسلمهم للمسلم بالحياة وأمره ان يشهرهم ويخوزقهم على جسر السرايه وسار الى حلب وهكذا الى ديار بكير حتى نظف كل البلاد وعاد طالبا مصر فعبر فى طريقه على مغار فالتقى فيه ولده السعيد وأحمد سلامش وجماعة من الامراء

[ياسادة] وكان السبب فى ذلك هو ان الامير أحمد بن ايبك بعد سفر السلطان واقامة السعيد مكانه نزل آخر النهار من ديوان القلعة قاصدا أن يروح الى بيته فوجد ازدحام الناس وسمع صوتا مثل صوت الجروان بغنى وتلحين ونغم ففرق العالم ودخل ورأى

جماعة الآلاتية البعض ماسك بيده قانون والبعض ماسك كمنجا والبعض ماسك العود والبعض ماسك الناى والبعض ماسك طنبوره والبعض رق جميع عدد الآلات المطربات والجميع أولاد جالات بذوات جميلة وهم يغنون على تلك العدد بأصوات تبرى السقيم ولهم حركات أرق من النسيم والناس حولهم فى أحسن نعيم وكان الوقت مساء فالتفت إلى المماليك والسياس وقال لهم هاتوهم معكم إلى البيت فقالوا سمعا وطاعة فأتوهم وقالوا لهم قوموا إلى بيت الوزير فساروا معهم حتى وصلوا إلى بيت أحمد بن أيبك ودخلوا فامر بدخولهم إلى المقعد وأرسل لهم العشاء وبعد ذلك أحضر لهم ما يليق لهم من المدام وبعد ذلك قعدهم وأمرهم أن يغنوا فغنوا طول ليلتهم وثانى الايام لم يطلع إلى الديوان بل أقام يومه فلما تضاحى النهار سأل عنه الملك محمد السعيد ما عدم طلوعه إلى الديوان فقال الأمراء لم نعلم خبره فامر احمد بن الامير على الانكاوى أن يروح إلى بيت أحمد ابن أيبك فرأى الباب مفتوحا فدخل فرأى تلك الحانة فقعد للسماع ولا سأل احد ولا احد سأله فلما غاب على السعيد أرسل خليل بن قلاوون فلما وصل إلى بيت الامير أحمد فلم يجد أحسن من الجلوس والسماع فجلس ولم يسأل عن السعيد فارسل السعيد محمد فارس قطايه فقعد عندهم إلى سعة من الأمراء وآخر نزل محمد السعيد وسار فلقاهم مقيمين على الطرب والسماع فاقام معهم ولم يحرك ساكنا [قال الراوى] ولما جاء آخر النهار انتظر ارباب الديوان السعيد أنه يعود فلم يعد وباتوا إلى الصباح فاجلسوا الملك أحمد سلامش على الكرسى فلما جلس سال عن سبب غياب السعيد فاعلموه أن الاصل فى ذلك غياب الامير أحمد بن أيبك وأرسل له مراسل وكل من راح لم يعد ثم انه نزل هو الاخر فلم يعد

فقال وانا أروح أنظر بيت احمد بن أيبك هذا اى شىء فيه ثم انه صبر إلى الليل ونزل ينتقل وهو مختفى حتى دخل إلى بيت أحمد بن أيبك فالتقى تلك الحانة والآلة والمغانى ووجد السعيد قاعدا مع جملة الناس فقال الملك السعيد كيف قاعد يا أخى وتارك القلعة وأهل الديوان فقال السعيد اقعد يا أحمد يا اخى يبقى بيت أحمد بن ايبك اوسع من سراية القلعة قم يا اخى إلى محلك وان اردت فخذ المغنيين معك فقال محمد السعيد هيا قوموا يا مغنيين واخذهم وعاد بهم إلى قلعة الجبل واجلسهم فى محل الديوان وكان نهار جمعة فيه الديوان خالى فباتوا إلى ليلة السبت وبقوا فى عز الغنا فطلع احمد بن ايبك وبعده الامراء وبعده الوزير وكل من طلع يقف يتفرج وثانى يوم كذلك بقيت جميع الامراء قاعدون للسماع فقط ولا امكن احد ان يروح إلى بيته وهكذا عشرة ايام وفى اليوم الحادى عشر قام المغنى على حيله وهو الكبير على الجميع وقبل

أيادى السعيد وقال يادولتلى مرادى أنزل أروح واشق على بيتى واعود لانيا قلقان له فاخذ رفقاه ونزل ماستناه السعيد إلى العصر فاتى فبعث الوالى يجىء به فسار الوالى الى عرب اليسار وسأل عن ذلك المغنى فلم يجد أحدا يدله عليه فعاد الوالى أخبر السلطان انه ماله وجود فاغتاظ الملك محمد السعيد على عدمه وبعد ثلاثة أيام حضر إلى الديوان وقدم على السعيد وقبل الأرض فقال له السعيد ياولد انت نزلت على انك تزور اهلك وتعود بسرعة فلأى شىء طالت غيبتك فقال المغنى اعبت إلا لعذر يا ملك الدولة فقال السعيد أى شىء عذرك فقال أنا من بلاد الهند ولى واحد معلم علمنى يقال له قمرشاه وأنا اسمى بدر شاه فتركنا الغناء وأقمنا مدة أيام فى أمان وهناء حتى افتقرنا ولم يبق عندنا شىء إلا البيت الذى نحن فيه وعدتنا التى نغنى عليها فقال لى يا بدرشاه اعلم ان بر الهند لم يسعنا وإنما العب أنا وأنت ملعوبا فى كارنا إن غلبتنى أنت فخذ البيت والعدة وأنا اطلع من البلد وانزعها باسمك وإن أنا غلبتك آخذ البيت والعدة واخرج انت من جميع بلاد الهند فقلت له رضيت بذلك فلاعبنى وغلبنى وشهدوا الناس انه هو الغالب فتركت كل ما كان عندنا من عدة الغناء والبيت الذى نحن ساكنون فيه وطلعت من بلاد الهند أدور البلاد على حسب المعاش حتى وصلت إلى مصر وركنت على أهل الخير سلفونى دراهم صنعت لى عدة وصرت اشتغل كما ترانى حتى أتيت إلى عندكم وجرى لى ماجرى ونزلت أشق على بيتى فرأيت ابن معلمى قاعدا ينتظرنى فسألته عن سبب مجيئه فقال لى أنا بلغنى انك اشتهرت فى البلاد وأنا ما أرضى انك تكون صاحب مقام وأنا موجود وأريد أن تلاعبنى على مالنا فى الهند ومالك فى الهند ومالك فى مصر فان غلبتنى خذ الجميع وإن غلبتك أخذتهم أنا فلاعبتهم فى بعض الشرب والجلون لأن بيتى لم يسع الذين يتفرجون فلما لاعبته ولاعبنى حكم لنا الحاضرون لعبنا مساوى أول يوم وثانى يوم وثالث يوم فقالوا جميع الخواجات ان ملعوبكم بالسواء لا زاد احدكم على الآخر فقلت يا أخى أطلقنى فانى أتيت باذن السلطان ولا يمكنى أتوانا عن خدمته فقال لى روح وها أنا منتظرك حتى تعود وإلا عدت فاتيت لخدمتك وهذا سبب غيابى فقال السعيد هاتوا هنا والعب معه قدامى فقال المغنى ياسيدى إذا جئت به الى هنا فاذا غلبته يدعى على انى تستاوة بكم ولولاكم ما كنت أغلبه فقال السعيد ولعبكم هذا أى شىء يكون فقال فى فن الغناء وضرب الآلة والقانون وكل شىء له صنعة فالذى تطلع صنعته احسن وصوته فى الغناء اجمل الغناء وقواعد الادوار والطرائق فى الفن فيات ذلك المعلم وحلف هلا ما يقال يبقى هو الذى غلب فقال السعيد لا بد لى أن أروح محل ما تلعبون واتفرج وتكونوا

تحت التبديل حتى لا يعرفنا أحد ثم أن السعيد أخذه أخاه أحد سلامش واحد بن ايبك وخليل بن قلاوون وفارس قطابة وتمام عشرة من أولاد الأمراء وتبعهم جماعة من العسكر إلى عند الصرة والباستان على الغورية الآن فدخلوا فى بيت لقوه ملآن بالمتفرجين فاطلمهم المغنى إلى مقعد وأتباعهم معهم والتقوا المغنيين الاثنين مع بعضهم طول ذلك النهار حتى ضجت الحضار ولحقهم الانبهار وعند ما خاصوا أتوا إلى احمد ابن أيبك وقالوا له ياسيدى اقطع الحكم علينا أينا أفصح من الآخر فقال احمد بن ايبك لبدر شاه انت افصح وإنما هو خصمك الآخر فصيح لكنه صاحب خسفة ولكن مليح ولا فرق بين العين اليمين والشمال فكلاهما ترمى نبال تصيب مقاتل العاشقين ومن منكم أصبح فى قيد الهوى رهين فدعا له ثم انه أحضر لهم سفرة طعام ووضعها بين أيديهم وقال لهم يا أسيادى اجبروا عبدكم لأجل أن نفتمل ونلتمس من فضلكم فأكلوا وبعد أكلهم اكلوا توابعهم وبعده أحضر الشراب وسقى الجميع فرقدوا فوضعهم فى الحديد وفيقهم وكان النهار مضى وبقوا الليل فقالوا له لأى شيء فعلت معنا هذه الفعال فقال أنا مأمور بأخذكم إلى القان هلاوون صاحب ملك توريز العجم

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك القان هلاوون فى يوم من الأيام دقت الساعات جنب أذنه فتضايق وقال لوزيره سقلون طنار ماعندك حيلة تعملها على اتلاف كان العرب أو مكيدة فقال سقلون طنار يا قان الزمان اعلم أن مدينة الفلك العامرة بها واحد عيار اسمه طرطمرد وله مائة ولد وكل ولد من أولاده يقبعه مائة بهلوان وله وقعات كثيرة فى الروم وملك السفية والآن أولاده ونوابهم مالهم شغل إلا الصورصية والعيارة فارسل يا ملك احضره إلى عندك ونحن نوظبه على ما فعل فعند ذلك أرسل القان هلاوون احضره فلما سأله عن أولاده فقال له احضر معى منهم عشرة أولاد ومعهم مائة بهلوان فحكى له القان هلاوون على مقصوده وهى مكيدة قان العرب فقال له هذا أمر هين ثم انه أحضر تسعة أولاد وأعطاهم كل واحد عشر بهلوانات وأمرهم أن يروحوا إلى بلاد الاسلام وأعطاهم قرايز القارورات بالنفط لأجل حرق الأماكن وسافر لهم الملك الظاهر وجرى ماجرى من قبضهم وصلبهم وبعد الصلب احرقهم وأخذ هو الولد العاشر وتبر إلى مصر ومعهم عشرون بهلوان وادب ذلك الملعون وقبض على أولاد الملك الظاهر وتوابعهم

فلما بقوا عنده فى الحديد قام على حيله واشترى عشرين جملا حبوب ووضع أولاد الملك ومن معهم فى الصناديق حملهم مع الحبوب وساروا فلما أتوا على شيخ العرب ابراهيم شرارة وطاب

منه الجرك فحسب ثلاثين جملا واعطاه منهم ثلاثة اجمال حبوب وقال هذا العشر
وسافر من بلد الى بلد حتى بقى قرب المساء وهو يسير ليلا ويكمن بالنهار خوفا من
الفداوية اصحاب القلاع وآخر ليلة عبر على مغار عند الصباح واكمل مثل كل يوم
[ياسادة] ولاجل القضاء والقدرعبر السلطان على باب ذلك المغار ومعه ابراهيم
وسعد فسمع الحديث فى قلب المغار فوضع يده على الت الدمشقى ودخل فلقاهم فقال
لهم انتم من اين فصاح عليه الملعون طمطمرد وفى يده حسام وضرب السلطان فأخذ
الضربة على الت فانكسر سيف الملعون فخرج يجرى من المغار واراد ابنه ان يتبعه
فضربه السلطان بالا قسمه نصفين وصرخ الملك حوش يابراهيم فقمز الملعون فطلع
باقى العشرين بهلوان الذين فى المغار فصاح السلطان ومسك باب المغار واماابراهيم
فانه قال لسعد اتبع انت الذى هرب وأنا أدخل وراء السلطان وعاد ابراهيم وقال
ياملك الدولة انت عليك الباب وانا أدخل على الكريم التواب وما كانت الاساعة
حتى قتل المقدم ابراهيم كل من فى الغار ولم يبق منهم ديار وداروا فى المغار فرأوا
الصناديق والحبوب ففتحوا الصناديق لقرا الأمراء واولاد السلطان ومن معهم
فأخذهم السلطان وعاد بهم طالبا مصر وأقبل طمد وهو مجروح فسأله السلطان عن
حاله فقال يادولتلى ضربنى الملعون بنبلة وهو مطرود قدامى فاصابتنى فى نحرى ولولا
قدرة الله تعالى وطول الأجل والا كان قتلنى وما امهل

فقال السلطان كل من ظهر اسمه عندنا مسيره يقع لنا ونبلغ منه مرادنا ثم ساروا
طالبين مصر حتى وصلوا اليها وقدموا عليها فوصل السلطان وهو بالاده فرحان

[قال الراوى] هذا ماجرى للملك الظاهر فى هذا الديوان اسمع ما جرى للملك
هرنوس فى مدينة الرخام فانه طلع يوما يتسلى بالصيد والقنص فنزل فى وادى متسع
فعاين على غزال فطرده خلفه وذلك الغزال مطرود قدامه وكان راكبا على جواده
الاصفر الزعفران وكان ذلك الجواد اذا جرى لم تلحقه الخيل وكان آخرالنهار فاتسع
البر فى وجهه وهو طارد خلف الغزال فنطس منه بين الاحجار وكان هرنوس طارد
الغزال من العصر لكن على حد عزم الحصان وطمع فى الليل بسبب القمر وكان مراده
أن يتعب الغزال فنطس من بين يديه فطلع النهار فرأى نفسه فى وادى الجنبات كثير
الزهر والنبات فنزل على عين ماء جارية فتوضأ وصلى صلاة الصبح ثم أخذ من بعض
أثمار تلك الاشجار واكل وركب وسار يتفرج على ذلك الوادى لينظر آخره فلما وصل
إلى آخر ذلك الوادى رأى واديا احسن منه فسار فيه يومين فلاق واديا ثالثا فمشى فيه ثلاثة

أيام هذا وهو يأكل من تلك الثمار ويشرب من تلك الانهار وينتقل من وادى الى وادى حتى قطع سبعة أودية ودخل ثامنا وهو يتعجب من تلك الوديان حتى قطع الوادى الثامن فلما أتى على آخر الوادى الثامن وهو احسن من السبعة التى قبله فالتقى الطريق افترقت فى رأس الوادى أربع طرق طريقين يمين وطريقين يسار وبان له على بعد أربع قلاع كل قلعة على فم طريق وبحيرة بينهم كبيرة وحولها مائة وستون عامود من اصناف الجزع الملوق وبين كل عامودين وحش بارك وفوق كل عامود شخص من نحاس قابض بيده على وحش من الفضة والاوحش والشخوصة جميعا فمهم الى ذلك البحر فسار حتى قرب فرأى على رأس كل وحش طيرا من الذهب وكل طير جنس من أجناس لم يشبه واحد منهم الآخر وكذلك الوحوش والاشخاص كل واحد جنس قائم بنفسه وأفواههم نازله منها مياه مثل سبائك الفضة سائلة على تلك البحيرة فنزل عرنوس وشرب من الماء فرآها احلى من العسل وبعده قام توضأ وأكل من تلك الثمار فرأى على يمين البركة شجرة من الذهب عالية الفروع وعلى يسار البركة شجرة من الفضة عالية الفروع متصل فروع الشجرتين من أعلى والبركة بينهما وهما منصوبتان عليها كالسرادق فتعجب الملك عرنوس من هذه الاشياء وقعد على البركة فتوضأ وصلى وأكل من ثمار تلك الاشجار ونام تحت فروع شجرة الذهب وفاق فى عصر النهار فلما أفاق رأى فارسا راكبا على جواد من أفخر الخيل الجياد وسرجه من الذهب الاحمر مرصع بقطع الزمرد وفصوص الجوهر وعليه بدلة كنوزى تسوى خراج الروم وعمائم بنى الاصفر وساحب فى يده حساما بجوهر الحد صمصام فلما نظره عرنوس علم ان هذا ملك معلوم فكلمه بلسان الروم وهو يقول أهلا وسهلا ومرحبا فقال له ذلك الملك أنت من ثم انه نزل من على ظهر جواده وقعد بجانبه وأحسن ودادة وقال له أنت من اى البلاد وأى شىء اتى بك الى هذا المكان فقال له انا عابر سبيل وسبب مجيئ الى هذه البلاد كان عندى خزندار موكله على أموالى فأخذ مبلغا جسيما وجملة عقود جوهر وهرب وها أنا اقتفيت اثره الى هذا المكان وانت من تكن فى هذه الوديان فقال له أنا ملك من ملوك هذه الارض احكم على هذه الاربع قلاع التى أنت تنظرها فقال له وهذه البركة وهذه الشجيرات التى أراها هى لك فقال نعم فقال عرنوس وهذه الاشخاص وتلك الوحوش والطيور والماء الذى ينزل من أفواههم من أين فما هذا الاشيء عجيب فقال له كلما رأيته فهو محكم بالرصد اصطنعته كاهنة من تلك الارض وأنا انزل كل يوم اطوف حول ذلك المكان وأشرب من ذلك النهر وفى هـــذا اليوم جئت ولقيتك قم أعبر معى

فأنت ضيفى ثلاثة أيام وبعد ذلك أهديك بهدية على قدر هذا المقام لأنى حبيتك يا هندار فقام عرنوس معه ودخل معه الى المدينة ونظر عرنوس يلتقى مافى بلاد النصارى مثلها ولا صفتها حتى طلع إلى ديوان مملكته بين أكابر دولته فقاموا له وتلقوه ووقفوا جميعا وأجلسوه فأمر عرنوس له بالجلوس فجلس بجانبه إلى آخر النهار وطلع به إلى قصر فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وكان لذلك الملك بنت اسمها تحفة الروم فكانت واقفة قدام أبيها وهى تنظر الى عرنوس من تحت الى تحت وعرنوس لا يرفع رأسه لها ولا ينظر اليها فتعلق به آمالها وما زال الملك يكرمه ثلاثة أيام وفى رابع يوم أدغر له البنج فى الطعام فأكل عرنوس فرقد فلما علم الكاهن أن الملك عرنوس وقد قال مابقى على بلادى شر أبدا وكذلك الكاهنة كذبت فيما رصدت لأنها قالت ان عرنوس إذا دخل بلادى يكون آخر عمرى وأنا أحبسه فى موضع لو جاء له كل من فى الدنيا مايعرف له طريقا أبدا ثم وضعه فى الحديد وفيقه فرأى نفسه فى الحديد فقال له عرنوس لأى شىء فعلت معى هذه الفعال هل لك على دين تقضيه أم تستوفيه فقال له أنت الدبابرو عرنوس تحسب أنى ما عرفتك وإنما أنا طمنتك حتى قطعت خوفك وقبضت عليك لأنى لو قاتلتك كنت أتعب معك

[قال الراوى] والسبب فى ذلك أن الأرض الذى عبر فيها عرنوس تسمى أرض الكرج وكان فى قديم الزمان يحكم عليها كاهن يسمى سطارين وكان له أخ يسمى الكاهن تسطارين وكان يحكم على الاربع قلاع وكان استحكم بالرصد كنزا وجعل هذا البحر وما فيها فوق ذلك الكنز وضرب تخت رمل رأى بعد موته يظهر له ولد ويملك الكرج لكن يقتل على يد عرنوس وكان أوصى ولده وأعطاه وصفة عرنوس والحيلة التى يدخل بها على بلاده والأيام التى يأتى فيها فلما أتى فى هذه النوبة وعرفه وقبضه ونزل به تحت أرض القلعة الى سرداب تحت سور القصر وقفله عليه وطلع وكانت بنت الملك تحفة الروم واقفة فما هان عليها الملك عرنوس فدخلت الى خزانة من خزائن أبيها وأخرجت حقا ملآن سم خارق وانطلقت بين يدى أبيها فلما حضرت طلب الخمر منها فصارت تسقيه وتدندن له وهو يشرب حتى علمت أن الخمر أخذت فى رأسه فصبت له الحق السم فى قلب الكاس وأعطته اياه فشربه ومات لوقته وساعته وكانت تعرف السحر علمها جدها فدخلت الى باب الكنز وهمهمت عليه بعزمتها فانفتح فدخلت على الملك عرنوس وقالت له يا سيدى أنا من أجلك قتلت أبى قالت تقتل اباها من اجلك ما تتزوج بها فقال إن اسلمت اتزوج بك فقالت له اعلمنى الاسلام

فعلها وأسلمت على يديه فأعطاها عقد جوهر مقدم صداقها وعقد عليها وأزال بكارتها وكان ذلك في قصرها فارسلت عونا من أعوان الجان وأمرته أن يأتي بنواب القلاع الاربعة إلى بين يديها فلما حضروا قالت لهم اعلموا أنى أسلمت وتزوجت بالملك هرنوس هذا وقتلت أبي وها أنا أحضرتكم لأعرض عليكم الاسلام فالذى يرضى ان يسلم مثلي ويكون مسلما فليقم على ماهو عليه في قلعته والذى يبقى على دين المسيح ياخذ عياله وماله ويطلع من مملكتى ويسكن في أى بلد شاء والذى يريد ان يشخن صدغه ولا يمتثل لكلامى فانا اقسم بحق رب المسيح لانه إذا تفرقت الملل الرب واحد وآمر لكل واحد منكم بفرقة من الجان يهدمون محله الذى هو فيه وعياله ولا يموت إلا تحت الردم لانكم ما أنتم احسن من أبي الذى قتلته أنا في حب دين الاسلام فقالوا لها ياملكة نحن ماعبدنا ابدا المسيح كما وجدنا آباءنا واجدادنا لكن إذا كنت عارفة أن دين الاسلام هو الحق وتبعتيه فلا أحد منا يخالفك ونتبعك وتكونوا من تحت امرك ولانا حاجة بالباطل فعلمتهم الاقرار بالشهادتين وأسلموا على يد الملك هرنوس أى شيء تقولون في سكان القلاع الذى أنتم حاكمون عليها فقالوا لها علمينا على اى شيء يقتضى مرادك قالت مرادى فتوح القلاع اسلام حتى لا يبقى على أحد منكم ملام وأنا في غداة غد أنادى على سكان القلاع بذلك القول فالذى يسلم يقعد في بلادى والذى يفضل على الكفر يذهب إلى أى واد ثم إنها احضرت اربعة ارهاط وقالت لهم كل واحد منكم يمضى إلى قلعة وينادى عليها بعدما يزلزل ابراجها ويقول ياسا كنين هذه القلعة من ارادان يقيم فيها فليدخل دين الاسلام ومن أراد أن يقيم على الكفر فليرحل على أى وجه كان ولكن بكز كلامكم با راق وإرعاد حتى يتصور الناس أن الدنيا تغيرت من حال إلى حال فقالوا لها سمعا وطاعة وأرسلت النواب إلى أماكنهم وثانى الايام ظهرت الاهوال وتزلزلت القلاع بالزلزال وتصور الناس الدنيا غارت والجبال زالت والبحار فارت فاحتاروا في أمورهم ونادت ارهاط الجان بما ذكرنا وسمعت الناس وأسلمت النواب فامتنع عنا ما كنهم العذاب فاسلمت أهلها فنقل عنهم عذابهم وهكذا كل من ارتفع عنه ذلك الألم حتى أسلم الجميع فعند ذلك نادوا الامان الامان يا ملوك الزمان ونحن مرادنا اتباع الحق على اى وجه كان فنادا هم العون قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله اعلموا أن الله مطلع على ما في قلوبكم كل من كان اسلامه رياء ونفاقا انزل الله عليه الحاق ولا يجد له من دون الله من ولى ولا واق فهداهم الله تعالى إلى طريق الاسلام وما مضى ثلاثة أيام حتى رموا الصرابط من على رؤوسهم وأشهروا زى الاسلام على لباسهم وبعد ذلك دخل الملك هرنوس القلاع وأمرهم بهدم الكنائس

وإقامة المساجد والمدارس وعلم الناس الصلاة والعبادة وأقام على ذلك الحال ستة أشهر تمام فابتهجت تلك البلاد وشاع ذكرها فى البرارى والمهاد وبعده قال لها يا ملكة انت بقى احوك تحفة الزمان لأن الله تعالى أتحف على يديك هذه القلاع والبلدان ونقلها من الكفر إلى الايمان وأنا مرادى أروح إلى بلادى وأبصر رجالى وأولادى فقالت له يا سيدى لم أجد لى عنك صبرا ولا سلوان فقال لها الملك عرنوس وأنا أيضا لم تهون على ولكن يا ملكة قلبي على بلاد الاسلام فقالت له يا سيدى افعل ما تريد ولكن الملكة تحفة الزمان ذاقت حلاوة الايمان ولانت أعضاؤها وجوارحها لعبادة الملك الديان فودعت الملك عرنوس وقالت له ياسيدى خذ معك من هذا المال فقال عرنوس هذا شيء ما ينوبني منه منفعة فانى ما أسير إلا منفردا ولا أثقل على نفسى ولا على حصانى وركب على ظهر جواده وخرج إلى الطرقات الأربعة التى ذكرناها فى أول الديوان فوقف الملك عرنوس ونوى أنه يعود من حيث أتى فتذكر الأودية التى منهم لما خرج غضبان من عند الملك مغلوين وعبر الأرض البيضاء ودخل الكنز وأخذ منه قاسم الحديد وجرى ماجرى له من قديم ولما مر على ذلك الوادى عرفه واطمأن قلبه فسافر فيه مدة أيام حتى عبر على وادى البرهان فنظر الملك عرنوس يلتقى أوطاقا منصوبا فى البر من جهة المدائن وأوطاق ثانى قدامه بعساكر وجلبيات وغارة وكل الاوطاقات عساكرهم نصارى وشناير مرفوعة وبين العسكرين ميدان فسال الملك عرنوس عن ذلك الشان .

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك هو أن البب مغلوين كان جالس يوما من بعض الأيام فأتى له كتاب مع وزير يقال له مروين فاخذه وقرأه وإذا بمضمونه أن ابن ملك القيطلان يخطب بنت البب مغلوين الكبيرة فلما قرأ الكتاب أكرم الوزير وأدخله محل الضيافة وصبر إلى الليل فاجتمع بزوجته وأخبرها أن ابن ملك مدينة القيطلان يخطب منه بنته فقالت له كيف يخطبها هذا الكلب المجوس مع أنها زوجة الديابرو عرنوس ووضعت منه ولد يسوى ملك البرتقان ومدينة القيطلان وأنت تعلم أن عرنوسا فى مقام دين المسلمين وإذا فعلت ذلك لم تقدر أن تخلص نفسك من عرنوس ولا من ملك الاسلام وإنما إن كان كذلك فعندنا البنات غيرها فزوجه باحداهن فقال لها صدقت ثم انه بات وأصبح فاحضر الوزير مروين وأنعم عليه وكتب رد الجواب يقول فيه اعلم أن البنت التى أنت طالبها هى زوجة الملك عرنوس ومعها منه ولد ولا يمكن زواجها باثنين ولا يجوز فى دين المسيح وإنما نجابك لا أرده خائبا فانا عندى ثلاثة غيرها فاحضر إلى عندى وأنا أعرضهم عليك فالتى تريدها منهن

أكلل لك على يد البترك وأدخلك عليها وأما زوجة الدبابرو هرنوس فما أحد يقدر يسألها من خوف الملك هرنوس وثانيا معها ولد فعاد الرسول إلى القيطلان واعلم سيده فاغتاظ وقال بيتي يجوز من البب مغلوبين يفضل على مسلما من بعض المسلمين مع أنى أنا أحق بها لشدة دين النصارى وأنا ما أريد غيرها وإن لم يزوجها لى ركبت عليه وأخذتها غصبا بعد ما أخرب بلاده وأهلك عساكره وأجناده وارسل نجابه بذلك الكلام فاغتاظ مغلوبين وضرب الرسول ورده خائبا واستعد للحرب ولقاء النوائب فلما عاد الرسول بالخيبة إلى البب مرتين القيطلانى جمع عساكر القيطلان وماحولها من البلدان فكانت جريدة عساكره أربعين ألفا وسار بالجيوش حتى حط على المرتقان هذا فلما نظر البب مغلوبين إلى ذلك استشار دولته فى ذلك فقالوا له ياب أنت أى شيء لك غرض فى الدبابرو هرنوس مع أن البب مرتين أحق منه بنتك فقال لهم بنتى ماهى بكر وهى صارت ثيبا فقال له وزيره أرسل اعلمه أنها صارت ثيبا فعند ذلك أرسل مغلوبين يقول يا بب مرتين أنا ما منعت بنتى عنك إلا لكون أنها ثيب وأنا ما أردت أعطيك واحدة من أخواتها فلأى شيء أنت تحاربنى فارسل يقول رضيت بها ولم أرد غيرها فعاد البب مغلوبين ودخل على بنته واعرض عليها زواج البب مرتين فقالت له يا أبى لو قطعتنى قطعا لم يدخل على احد بعد الملك هرنوس فعاد مغلوبين وبرز خلاقاته واصطفت ابطاله وكماته وركب على ظهر حصانه وتبسم للحرب كما يتبسم الكريم الى لقاء الضيف وصاح من صميم فؤاده بلافزع ولاخوف ونادى يامرتين دونك والقتال فما عندى لك الا السيف وكان ذلك الوقت آخر النهار فنزل فى سرداقه وكان الغيظ ان يخنقه وبات تلك الليلة وهو يكابد الغرام حتى مضى الليل بالظلام واقبل النهار بالابتسام اسمعوا متى ما أقول اما ان البب مغلوبين يأتينى ببنته أتزوج بها باكليل أو يخرج يقاتلنى ويبطل هذا التعلل

[قال الراوى] وفى ذلك الوقت قدم الملك هرنوس وسمع البب مرتين يقول هذا الكلام فقفز إلى الميدان وتقدم اليه حتى صار بين يديه وقال له أى شيء أصولك يا كلب حتى أنك تقول هذا الكلام وتطلب بنت مغلوبين وهى زوجتى على دين الاسلام وقام فى ركابه وتمطى فى بداده وضربه بالطبر فى رأسه شقه إلى أحد افخاذه ونادى حاس يا كلاب الكفار ترونى الدبابرو هرنوس فلما سمعوا عساكر القيطلان صوت هرنوس ونظروا إلى ملكهم وهو قتيل ولوا الادبار وركنوا إلى الحرب والفرار وتركوا خيامهم ورحالهم وسمع مغلوبين حس الملك هرنوس فصاح فى ملوك

البرتقان وقال لهم اخرجوا لاقوا بن الديابر وعرنوس ودخل مغلوين البلد وأما ملوك البرتقان فانهم تلقوا الملك عرنوس وأدخلوه مدينة البرتقان فى موكب عظيم الشأن فلما وصل إلى الديوان قام له البب مغاورين ومشى على أقدامه إلى باب الديوان واعتنق الملك عرنوس وقبله فى صدره وعارضيه وقال له من أين قدومك فأخبره بالقلاع التى كان فيها وفتحها إسلام وزواجه تحفة الزمان وقال وما استدليت على منا إلا من الوادى الذى كنت مررت عليه لما غضبت منك فى حال صغرى [ياسادة] وكان هذا الكنز الذى حبس فيه الملك عرنوس هو كنز الكاهن مسطرين وكان الملك عرنوس فى حال صغره وهو عند البب مغاورين لما طلب منه مهر بنته ولا رأس الملك الظاهر فطلع بجهله وأراد ان يروح الى بلاد الاسلام ويبلغ آماله فنزل الى ذلك الوادى الشائق والشربون والثعبان واقام مده وكلما أرادتقله يضرب الرمل يلاق ماعلى يديه قتله فأنزله ثانى مرة الكنز وأخذ قاسم الحديد وهو السيف ومانع السلاح وهو الترس وثالث مرة أضافه وانزله الكنز واخذ منه عدة الجواد وأعطاه ذات النسور وهذا كان فى أول السيرة وبعده تودع منه وعاد إلى مغاورين مدة بالعساكر واربعين ملك أولاد ملوك البرتقان وسافر إلى بلاد الاسلام واجتمع بابيه وجرى ما جرى [ياسادة] وحكى عرنوس للبب مغلوين على ما جرى فى هذه النوبة من طلوعه من مدينة الرخام إلى وصوله إلى القلاع وقدومه إلى هذا المكان وقتل مرتين وهروب عسكره ثم قال البب مغلوين وهذا الكلب إلى شىء بينك وبينه حتى أنه يحاربك فاعلمه أن السبب فى ذلك خطب ابنته فاعلمه أنها زوجتك فاراد أن ياخذها بالحروب فاتيته أنت وأنزلت به الكروب فتعجب الملك عرنوس من هذه القضايا والأحكام وقال وأين زوجتى يا بب قال فى قصرها من حين سافرت أنت إلى المسلمين ودخلت بلادهم وأقمت عندهم لما ادعوا أنك ابنهم وأنا وحق دينى إلى هذا الآن ما رأتها عينى فقام الملك عرنوس وطلع القصر فدخل على زوجته فقامت وسلمت عليه وفرحت بقدومه وأقام عندها وفرح لما نظر إلى ولدها [يا سادة] وأما العساكر الذين انهزموا من قدام عرنوس وساروا إلى القسطلان وهم يبكون على ملكهم فدخلوا وهم يندبون ملكهم وما حصل عليه ودار الندب والبكاء فى السراية وكان البب مرتين الذى قتل ملك على مدينة القيطلان وله عم أخو أبيه فى جزائر القيطلان يقال له البب فرتين ولكنه فى الجبابرة المعدودة فى بلاد الكفار وتلك جزائر البحار وشغله فى الجهاد إذا مرت عليه مركب وكانت إسلاما يقبض عليها وياخذ شبابها يبيعهم أسارى للكفار وأما شبابها فاذا كانوا فقراء

يستخرج منهم اجزاء السم وإذا كانوا أغنياء يأخذوا أموالهم فاذا كان سكرانا وفرحانا أطلقهم وإذا كان مكدرا قتلهم هذا دابه فى الاسلام وأما إذا كانت مركب يهودى يفعل بهما كما يفعل بالاسلام وأما النصارى يأخذ منهم العشر على المال وأما الناس فانه ياخذ على راس كل نصرانى عشرة ذهب إن كانت انثى أو ذكر وهو فى تلك الحالات متملك جزائر البحر من حد جزيرة العرانيص إلى حد الجزائر المانعة والعدوماله عليه وصول لانه يعرف طرقا فى البحر ومنافذ من بين الجبال لم يعرفها أحد غيره من أهل الضلال وطالت أيامه فى ذلك البحر وهابته البيات والقرانات واجتمع عنده كل عائق ماكر فاجر وكان ابن أخيه فى القيطلان وهو فى الجزائر لما مات ابن اخيه فارادوا عساكره الذين انهزموا من قدام ملك البرتقان أن يرسلوا إلى البب فرتين ويقولون له تحضر تتسلم بلاد ابن اخيك فانه قد قتل على يد الديابرو عرنوس وماله من ياخذ بلاده ويحكم على عساكره وأجناده إلا أنت فلما بلغه ذلك وماجرى على ابن اخيه فرح واغتاظ فرح لكونه لم يبق له منازع لافى البلاد ولافى الجزائر واغاظته لكون ابن اخيه قتله عرنوس بقى لابد له أن ياخذ الثار ويقلع من عرنوس الاثر ويعاتب مغلوين لكون ابن اخيه طلب بنته فلم يرض أن يزوجها له وفضل عليه عرنوس وهو مسلم ابن مسلم ثم انه جعل عساكره قسمين قسم منه جعله فى البحر وأنزلهم فى أربعمائة مركب كل مركب فيها خمسمائة مقاتل والبعض ستمائة والبعض أكثر إلى حد الف فكانت جريدة المحاربين من البحر ثلاثمائة الف ومثلهم النصف جعله فى البر ورتب لهم الخدم والخيام والسرادقات والاعلام وقد خرج من القيطلان كانه النمرود بن كنعان وسافر وهو يقطع البحار فى المراكب والبر على الخيل والجناب وهو بهذا الفعل فرحان حتى وصل إلى ملك البرتقان وضربت طبوله وصهلت خيوله وامتلأ البر بالعسكر عرضه وطوله فنظر البب مغلوين إلى ذلك الحال فايقن الملك بالزوال وضاق صدره وحار فى أمره فهو كذلك وإذا بنجاب من عند البب فرتين ومعه كتاب

فلما أقبل على البب مغلوين قبل الارض قدامه وناوله الكتاب فاخذه وقرأه بعد طالعه بالصليب وماصاب عليه ونحن وأنتم نوحد الملك القريب ونحب النبى ونصلى عليه أما بعد فمن حضرة البب فرتين صاحب جزائر القيطلان إلى حضرة البب مغلوين ملك ملوك البرتقان تعجبنا يابب منك لكون انك ملك وتحكم على أربعين تحت لواكما وأنت على دين المسيح ويأتى اليك ابن اخى مرتين يخطب منك بنتك على انه يورد لك مهرها على قدر ما تريد وياخذها بالاكليل كما هو فى الانجيل تسلط عليه الديابرو

عرنوس يقتله ويكسر عسكره ياهل ترى هذا منك طيب ولكن كان الذى كان وها أنا
جمعت عسكرى وأتيت اليك اطالبك بدم ابن أخى ولكنى ما أبغى عليك فان أردت
حقن دم الكرستيان وتتخلى عن الحرب والضرب والطعان تقبض على الديابرو عرنوس
وترسله إلى فى الحديد حتى أقتله فى ثار ابن أخى مرتين فان فعلت ذلك تكون قد
أبطلت الفتنة وحقنت دماء الناس وان خالفت دونك والقتال والطعن والنزال وشكر
يا رب المسيح فلما قرأ مغلوبن الكتاب أعرضه على من حوله من وزرائه واستشارهم
فيما يفعل فقالوا له يا بب أى شىء الفائدة فى هلاك العساكر وهذا عسكر جرار فان
أردت تعتمد على الديابرو وتمكنه من النصارى حتى يقتل فيهم فهذا حرام عليك وأخيرا
يموت عرنوس ويعود علينا يطلبنا وما لنا على حربه طاقة فالصواب أن تقبض على
عرنوس وتسلمه له حتى يرحل عنا فقال له صدقتم ولكن اكتموا هذا الأمر ثم ان
البب مغلوبن صبر إلى آخر النهار وطلع إلى قصر بنته فالتقى الملك عرنوس جالسا فسلم
عليه سلام النصارى وقال له يا ملك عرنوس أنت لم تأت عندى قط من حين دخلت
بلادنا فقال عرنوس يا ابى ما انا إلا فى محلك ان كان عندك او عند بنتك ثم انه تحادثه
معه ووضعوا بين ايديهم المدام وبنت البب واقفة تشاهدهم حتى ادركهم النوم فناموا
سواء وصبر مغلوبن على عرنوس لما نام وغطى وجهه بمنديل مغموس من البنج فثقل
نومه فوضعه فى جمدان واحضر بعض البطارقة وامره ان يحمله وطلع به من القصر ليلا
ووضعه فى الحديد ثم نزل به الديوان واحضر وزيرا من وزرائه وكتب له كتابا
وسلمه عرنوصا وقال له اعط البب فرتين هذا الكتاب وسلمه هذا الديابرو عرنوس
فاخذه ليلا وسار به إلى قدام البب فرتين وسلمه عرنوس وسلمه الكتاب
فقرأه يلتقى فيه من حضرة البب مغلوبن قادم عليك الديابرو عرنوس افعل ما تريد
فهو الذى قتل ابن اخيك واما انا فلادم بينى وبينك ولا ثار فلما قرا الكتاب امر ان
يتحفظوا على عرنوس وقعد وهو بنفسه يخفره إلى ان طلع النهار فامر للملك عرنوس
بنطعة الدم وانتدب راسه سياف وإذا بصرخة من البر وقائل يقول حاس عن المؤمن
المجاهد يا كلاب الكافرين وضرب السياف رماه نصفين فصاح البب فرتين دالى
فانطبقت الكافرون على الذى قتل السياف فلم يبال بجمعهم وضحك على صريخهم عليه
وقال يا كلاب الكافرين ما انا ممن يبالى بكثرة الجموع انا فالق الهامات وقام الاظهر
والضلوع ثم انه صاح حاس الله اكبر يا كلاب المشركين يا اعداء الله والمؤمنين الغزو
حلال فيكم كما قيل

الغزو فيكم حلال ياذوى الكفر   حتى تولوا فرارا فى الفلا تفر

ان الجهاد علينا واجب فرض · كما أمرنا النبي الطاهر المطهر
هيا هلموا كلاب الشرك وابتدروا · حتى اشتكوا فى مهمهة قفر
أو تشربوا من حسامى منها صرفا · بئس الشراب بحد الصارم الذكر
أنا المسمى بحمزة البهلوان ولى · يوم اللقا ضرب لا يبقى ولا يذر
ونسبتى من بنى اسماعيل عنصرهم · قوم لهم شرف بالفتح والنصر
يجاهدوا فى سبيل الله لا خوف من · ورد الحمام ولا يستيقنوا الحذر
بل ويبتغون الشهادة يوم معركة · تحت الغبار ونار الحرب تستعر
فان من مات فى يوم الجهاد فقد · نال المنى هكذا جاء فى الخبر
ثم الصلاة على أزكى الورى شرفا · خير البرية من بدو ومن حضر

[قال الراوى] ان هذا الفداوى من بنى اسماعيل الملك الافخر واسمه المقدم حمزة البهلوان وهو ابن عم المقدم معروف بن جمر والسبب فى وصوله إلى البرتقان انه كان فى اللجج من مدة غياب المقدم معروف وظهر هذه الأيام ووصل إلى حصن صهيون وسأل عن المقدم معروف فاخبر عماد الدين علقم بكل ما جرى وان معروف خلف من بعد وفاته غلاما واسمه الملك عرنوس فى مدينة الرخام فسار إلى مدينة الرخام فلقى اسماعيل أبو السباع ابن عمه وسلم عليه وسأله عن عرنوس فاخبره انه والى الآن ما ظهر وأنا من أجله كتبت للملك الظاهر كتابا والظاهر أرسل إلى سائر البلاد يقتفى أثره ولكن ابن أخى ما يقع إلا على بنات الروم فانه يا ابن العم ما نظرته بنت من بنات الروم إلا تولعت به فقال المقدم حمزة أنا أعرف أنص جرته وإنما فرجونى على محل حصانه الذى هو راكبه فأروه محل حصانه فاخذ الجرة منه وسار يدور حتى رماه الأثر على البرتقان ومحل دخوله على عرضى الكفار فى الأول ورأى بعض بطارقة عارضوه وقالوا له يا غندار ان كنت تريد أن تتفرج هذا عرنوس ابن معروف الذى كان أبوه سابقا سلطان القلاع والحصون والنصارى يريدون قتله كان الذى كلمه هذا الكلام المقدم نورد فدخل المقدم حمزة وضرب السياف وما دام يضرب فى فى الكفار إلى آخر النهار فانكشفت النصارى من قدامه وأراد المقدم حمزة أن يفك عرنوس فلم يجده وكاد الغيظ أن يمزق كبده فقال والاسم الاعظم ما أطلع من هذا المرضى لابن عمى الملك عرنوس اقطع رأس ذلك الملعون فرتيها أو اقوده أسيرا واطلب منه الملك عرنوس والا ما أكون أنا من ظهر أبى ثم انه هاج فى الكفار كما تهيج الجمال وصار يهبر فى النصارى هبرا وينكسهم على الغبار ينثر رؤسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة

[قال الراوى] وكان السبب فى فقد الملك عرنوس وهو أن المقدم اسماعيل أبو السباع لما أرسل إلى الملك الظاهر أرسل كتابا إلى سائر البلاد يعلمهم بالبحث على الملك عرنوس وأعلم المقدم جمال الدين شيحة أيضا فأخذ أولاده وساروا متى سمعوا بالوقعة التى على مدينة البرتقان فوصل اليها ورأى هذه الغارة فتقدم شيحة والناس مشتغلون وفك الملك عرنوس وقال له شيحة قم الحق الفداوى هذا ساعده فقال يا عم أريد جوادى وسلاحى فقام المقدم على الطوبرد واتى له بجميع سلاحه وجواده فركب وإذا باسماعيل أبو السباع مقبل فركبوا الاثنين وأدركوا المقدم حمزة البهلوان وعاونوه إلى نصف الليل وأخذوه وانسلوا من طريق يعرفها شيحة حتى وصلوا إلى مدينة الرخام فلما جلس الملك عرنوس فى مدينة الرخام أرسل أعلم الملك الظاهر فامر بزينة البلد وعمل سنك فى مصر ومهرجان هذا ما جرى للملك عرنوس [وأما] ما كان من البب مغلوين فانه بات وأصبح إلا وجوان داخل عليه وكان بلغه خبر الوقعة التى على البرتقان فدخل على البب فرتين أولا وسلم عليه وأخذه ودخل به على مغلوين وقال له أنت يا بب مغلوين أردت أن يغضب عليك المسيح بما انك مال قلبك للمسلمين فقال مغلوين يا أبانا مرادى هلاك المسلمين ولكن مالى قدرة فقال جوان أنا أدبرك وهوانك تقوم تعبى متجرا من بلادك وتروح إلى بلاد المسلمين فى صفة تاجر وتأخذ معك مراكب توسقها عساكر وأسلحة وتجتهد فى دخولها على الاسكندرية ولم تزل كذلك حتى تملكها فاذا ملكتها وملأتها بالعساكر يبقى أخذ مصر قريب وهذا ما عندى من التدبير فقال مغلوين هذا أمر هين وساهل ثم انه جهز له متجرا وسار إلى الاسكندرية وطلع ودفع الكمرك وأقام فى الاسكندرية واستأجر له خانا على طرفه وصارت تقدم عليه المتاجر وهو يقبلها بعدما يعرضها على الكمركجى بموجب قوائم بكشف البضاعة يرونها حكم القوائم فصاروا يصدقونه ويأخذون منه الكمرك على موجب القوائم بغير كشف وصار عندهم أمين ولما عرف انهم آمنوا من طرفه صار يدخل رجالا وسلاحا يعطى قوائم باسم بضائع ويدفع الجرك بالكذب حتى بقى عنده ما ينوف عن الفين نفس فكاتب جوان وجهز له عمارة مقدار اربعمائة غليون والفين مع مغلوين فاوقف بطارقته على المينة ليلا وقبض على الكشافين والغفر البلا وتمكن من المينة حتى طلعت من فى المراكب بالليل ودار السيف فى الاسكندرية وقبض على البطريق وعلى باشة الاسكندرية نهبت أهل الاسكندرية وراحوا على رشيد وهم فى غاية التنكيد واحتوى مغلوين على الاسكندرية ثم جلس على كرسى الباشا وانتشرت عساكره فى البلد ولا بقى له مقاوم ولا معاند واما اهل الاسكندرية فانهم

كتبوا كتابا من عندهم وأرسلوا به جماعة إلى الملك الظاهر فلما وصلت الرسالة الملك الظاهر قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأمر السلطان بتبريز العساكر وسار بهم إلى اسكندرية وكان الملعون مغلوين برز بعرضيه لأجل قتال المسلمين فلما وصل عرضي السلطان وحط على اليمين وجعل الكفار يسار وأراد أن يكتب إلى مغلوين كتابا وإذا بالبطارقة ركبت وزحفت على الاسلام فالتقتها الامراء الكرام ووقع ضرب الحسام إلى نصف النهار وإذا ببني اسماعيل اقبلوا كانهم العقبان على خيول كانهم الغزلان وكل منهم صاح وحمل فاهتز لحملتهم السهل والجبل وغنى البتار وقل الانصار وتضايقت الكفار من كثرة العدد فدخلوا البلد وحصنوا أنفسهم بالاسوار خوفا من المسلمين الابرار وأقام السلطان وهو محاصر اسكندرية ثلاثة أيام إلى يوم نظر المقدم إبراهيم جماعة نصارى خرجوا من اسكندرية وداروا حولها وعادوا داخلين البلد آخر النهار فاختلط بهم المقدم ابراهيم وسار معهم حتى بقوا قدام مغلوين وجوان فقالوا ما رأينا حول الاسوار منافذ مطلقا

[قال الراوي] وكان هؤلاء ارسلهم جوان يدورون حول السور لان جوان يعلم ان سور اسكندرية فيه منافذ تنفذ ويخاف ان المسلمين يدخلون منه فارسل هؤلاء لينظروا حول السور فاجتمع بهم المقدم ابراهيم ودخل حتى بقي قدام جوان ومغلوين ونظر جوان إلى الذي قدامه فلم يخف عليه المقدم ابراهيم بن حسن فالتفت الى مغلوين وقال له يا بب هذا ابن الحوراني اقبض عليه فصاح مغلوين دالي يا ابناء الروم فما تم كلامه حتى وضع المقدم ابراهيم يده على ذات الحيات وضربه على وريده اطاح راسه من بين كتفيه فصاح جوان دالي فانطبقت الكفار فالتقاهم ابن حسن بالحسام البتار وصار يقاتل وهو طالب الباب وكلما تبعره الكفار يعمل فيهم بالحسام البتار فاذا هربوا من بين يديه يطلب الباب حتى وصل الى الباب في ظلمة الغلس وكان ابراهيم بقي على آخر نفس وانسخن بالجراح وتخدش جسده من أخذ السلاح فرفع قامته لمن يعلم بحالته وهواقه وقال أغثني يامولاي قصدتك

قصدت باب الرجا والناس قد رقدوا	وبت اشكو الى مولاي ما اجد
وقلت يا املي في كل نازلة	يامن عليه لكشف الضر اعتمد
اشكو اليك امورا انت تعلمها	مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد بسطت يدي اليك بالذل خاضعة	اليك يا خير من مدت اليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة	فبحر جودك يروى كل من يرد

[قال الراوى] فلما تم المقدم ابراهيم هذه الاستغاثة واذا بالملك الظاهر من خلف ظهره وعساكر الاسلام الامراء والفداوية وهى الحسام وفلق الهام وهشم العظام ومادام الامر على هذا المرام حتى مضى الليل بالظلام وأقبل النهار بالابتسام [ياسادة] وكان قدوم السلطان سبب ياله من سبب وذلك ان جوان لما هرب عند موت مقلوبين من يد المقدم ابراهيم نطلع ... ان الى الذين بقوا فى العرضى وقال لهم ان ابن الحورانى قتل البيب ألحقوه فى البلد وكان شيحة محاذيه فسمع كلامه وتبع على أقدامه حتى عرف السرداب الذى طلع منه وكان المقدم جمال الدين يعرفه سابقا فراح الى السلطان وأعلمه بموت مقلوبين وان ابراهيم بعد ما قتله ضايقه الكفار قم ياملك الاسلام خلص صاحبك وأنا أدخلك البلد حالا من غير الباب فقال السلطان ياأبو محمد أنت لم تزل تفرج عن الاسلام الكروب فانزله شيحة من السرداب وملك الكفار وجرى ماجرى واما ابراهيم فانه لما رأى السلطان قائما على حيله فمن كثرة التعب والجراح اتى الى محل خالى وقعد ولم يعلم بعدها ماجرى لانه سكر وترقت عليه الجراح فكان شيحة انفرد الى الابراج اطلق أبا بكر البطريق ورجاله فملكوا البحر والمينة وبعد ذلك اطلق الباشا ملك الديوان وأما النصارى الذين كانوا فى البلد فمحقهم السلطان والذين طلبوا البحر فمحقهم أبو بكر البطريق وكان السلطان لما ملك البلد واحتوى على مال النصارى وطلب شيحة فلم يجد له خبرا ورأى ابراهيم مشحطب فامر بارساله الى حوران فاخذوه ولده عيسى وساربه الى حوران وجمع السلطان كل ما كان مع الكفار من متاجر وأموال وسلاح وقسم الغنيمة واطلع قسمة ابراهيم فكانت عشرة آلاف ذهب نقدية وحملين قماش وحمل سكر وبعد ذلك أقبل المقدم جمال الدين فسأل عن ابراهيم فقال له السلطان وأنت أين كنت فقال كنت اسعى فى خلاص البطريق وباشة الاسكندرية فقال السلطان خذ قسم ابراهيم والحقه فى حوران داويه فانه من رجالك على كل حال فأخذ شيحة كل ذلك وسافر الى حوران ودخل على ابراهيم فقطب جرحاته فلما بدأ صلاحه قال يا حاج شيحة ايش قدر قسمى من الغنيمة فضحك بشيحة عليه وأعطاه اقسمه هذا ما جرى لابراهيم وأما السلطان فانه أخلع على نايب الاسكندرية وأوصاه باليقظة بعد ما وبخه على اهماله وأراد قتله فشفع فيه الوزير ثم ان السلطان سافر الى مصر فرحانا بالنصر والظفر وأقام فى مصر يحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبى جد الاشراف الى يوم من الايام والسلطان جالس يتعاطى الاحكام واذا بعون نطفه وأراد الملك ان يقرأ واذا بالعون يقول له ياملك الاسلام تفتنى والارض بعيدة عليك فاذا

وقعت تهلك نفسك فمسك السلطان حتى وضعه فى برج فى مركب وسافرت المركب حتى وصلت إلى ساحل ومينة على البحر فقال له اطلع يا ملك الاسلام فطلع الملك فلقى ناسا ارباب خدام منتظرين قدومه فلما طلع قبلوا الارض بين يديه وقدموا له الحصان فركب ودخل الملك الظاهر يلتقى بلد عمار وناسا اهل بيع وشراء ولكنهم نصارى فوصل إلى قلعة البلد ومن القلعة نزل ومشى الى قصر عالى البنيان مزين الاركان فوقف السلطان وإذا بينت طالعة جميلة المنظر كأنها البدر فى تمام كماله فقالت له اهلا وسهلا يا ملك الاسلام

فقال السلطان يا بنت لاى شيء احضرتينى الى المكان فقالت يا ملك الاسلام اعلم أن عمى كان يقال له الكاهن فسطرين وهو الذى صنع الملك عرنوس البلد والشربوش والجواد وعدته كان صاحب اربعة قلاع من ضمن قلاع البشقاط وهو عمى وابى اخوه واسمه مسطرين وهو يحكم على قلاع البشقاط جميعها وهى اربعون قلعة وفى حال حياته ضرب تخت رمل فلقى بعد موته يتحرك واحد جبار اسمه مرقومه يريد أن ياخذ قلاع ابى منى ويتزوجنى وإن قاتلته يقتلنى ولا لى احد يقتله الا الملك الظاهر فاحضر حصانا من خيل البحر ورباه وصنع له عدة مرصودة وكذلك صنع لك لباسا مرصودا لم تصب بسلاح مادمت لابساه وقد اصطنع مركبا وجعل فيها برجا واحضر عونا من اعوان الجان واقسم عليه اجلسه فى هذا البرج عند ما يتحرك ذلك العدو ويحضرك إلى عندى حتى تهلك العدو وها أنا قد اعلمتك ولولا أن العين مرقومة تحرك ما كان ذلك العون خطفك واحضرك إلى هذا المكان وأنا ابى كان اوصانى وقال لى تحرك ذلك العدو عليك فما يخلصك منه ويقتله الا الملك الظاهر

ولما مات أبى سمع العدو بموته فاتى الى برم ياخذ بلادى فاقم أنت يا ملك الاسلام فى البرج حتى ارسل الى هذا الملعون وان اردت اقم منا فى القصر فقال السلطان أنا اجعل مقامى فى البرج حتى يحضر ذلك الملعون والله ينصر من يشاء واقام السلطان تلك الليلة فى القصر وفى ثانى الايام عاد الى برج المركب وتبعه له البنت الخدام وهم مسلمون اسارى لاجل خدمته وفى ثانى الايام حضرت البنت إلى عنده وقالت له يا دولتلى جاءنى كتاب من عند العدو فاخذه السلطان وقراه وإذا فيه اما أن تتزوجينى أو تطلعى من القلاع جميعها فانى اتيتك فى ستمائة الف مقاتل فقال لها وأنت رددت الجواب فقالت نعم قلت للنجاب تمهل على إلى بكرة وخذ رد الجواب فقال الملك أنا فى

غداة غد ابرز له والنصر من عند الله فقالت له قم معى إلى قصرى فاركبته معها على سريرها وحملهم الخادم الى قصرها فاحضرت له الحصان معدد واحضرت له البدلة التى صنعها الكاهن فلبس السلطان البدله وركب الحصان ونزل إلى الميدان وصاح الله اكبر فلما سمع مرتومه كلامه ونظر اليه رآه واحدا وحده فامر العساكر ان تنزل مائة فنزلت مائة وكان السيف مرصودا فلاى جهة هوى به قتل فما كان غير قليل حتى صار كل منهم قتيلا فارسل له الما وهكذا ثلاثة ايام وفى رابع يوم امر العساكر جميعا بالحملة عليه مرة واحدة فقاتلهم إلى آخر النهار فاهلك منهم خلق لا يعد ولا يحصى من المخلوقات فتضايق البب مرتومه واحضر عاتقا يقال له عبد الصليب فلما حضر بين يديه قال له اعلم يا عبد الصليب ان الذى يحاربنا هذا رين المسلمين وقد افنى من النصارى خلقا كثيرا وانا اريد منك ان تسرقه وتأتينى به اسيرا حتى اعذبه العذاب النكير والبسك بطريق البطارقة فقال له هذا امر هين خرج الملعون من عنده وسار إلى الميدان وبقى يحاذى ركاب السلطان إلى آخر النهار وعاد معه بعد الانفصال ودخل معه الى محله الذى نزل فيه وهو يريد انه متولى خدمته فنزل السلطان وتوضأ له وصلى فرضه فاتى ذلك الملعون عبد الصليب بكاس الشراب ووضعه بين يديه وقال ياسيدى اشرب هذا حتى احضر لك الطعام فاخذه السلطان ولم يعلم بما قضاه الملك الديان وشرب فرقد مكانه ولفه ورفعه على اكتافه وسار به حتى وضعه قدام الملعون مرتومه فقال يا عبد الصليب خذه خليه عندك فى ضيعتك فاخذه عبد الصليب وكان فى بلده كنيسة وفيها طاق فوضع السلطان فيه ووكل عليه بنته وقال لها عاهديه بالاكل والشرب حتى يطلبه منى البب مرتومه فقالت له وهذا من هو فقال هذا رين المسلمين ورجع عبد الصليب الى مرتومه فاخلع عليه والبسه حكم ما وعده بطريق البطارقة [ياسادة] واما بنت الكاهن فانها ارسلت الخادم الى السلطان بالطعام والشراب فلم يلتقيه فى محله فعاد لها واعلمها فخافت على نفسها فحصنت قلعتها بالرجال وركب فى ثانى الايام مرتومه واراد ان يزحف على القلعة لياخذها فضربوا عليه الرجال الذين فى القلعة بالنبال وردوه غصبا ولم يبلغ آمالا فطلب عبد السراق وقال له اريد منك ان تسرق لى تلك البنت كما سرقت ابن المسلمين فصار عبد الصليب السراق واراد ان يدخل القلعة فصاحت عليه الغفرة وردوه بضرب النبال

[قال الراوى] ان المقدم جمال الدين شيحة عبر على القلعة مثل العادة ليقابل السلطان فاعلمه الوزير بما جرى وان السلطان خطفه عون ولم نعلم الى اين مضى

به فكر شيحة كتاب اليونان فاستدل على قلاع البشقاط فصار حتى وصل فرأى الحرب دائرا والبنت محصنة فى قصرها فتزيى بزى جوان وجعل الساقى فى صفة البرتقش وقال لباقى أولاده امسكوا البر وإذا أتى جوان احتالوا على قبضه ولا تمكنوه من العبور فدخل شيحة على مرتومه هو مثل جوان وانه مثل البرتقش فلما رآه قام اليه وقبل يديه وفرح بقدومه وسأله عن هذه الوقعة فأخبره مرتومه بالذى جرى فقال له ورين المسلمين لما قبضت عليه لاى شىء أبقيته اما تعلم ان هذا نقمة على النصارى والمسيح يأمر باتلافه مرارا وإنما أعلمنى بمكانه حتى اتولى عذابه فقال مرتومه يابابانا اما سلمته لعبد الصليب حتى أفضى من الحرب واعذبه وبعدها اقتله وهو عنده فى كنيسة بلده

فقال جوان كذا طيب ثم إنه قرأ قداس من الانجيل وفسره وقام من عنده بعدما وعده بانه يساعده على أخذ القلاع ويأمر بنت الكاهن انها لم تنطاع وقام وسار إلى بلد عبد الصليب السراق ودخل وهو يقرأ فى الانجيل ويشرح ما فيه من التحريم والتحليل حتى أبهت النصارى وقالوا له يابانا جوان رين المسلمين محبوس عندنا فقال لهم ياأولادى أبقيتموه لما تجعلوه قربانا للبارى حنا المعمدان وبه يرضى عنكم البتاركة والرهبان وسار معهم حتى دخلوا به إلى الكنيسة ودار به كل راهب وقسيس فقالوا له ياأبانا جوان هنا حبسنا رين المسلمين فقال لهم احتفظوا عليه ولا تتركوا أحدا غيركم ينظره ولا يأتى اليه وقعد يقرأ فى شرح لوقه والبرتقش يرد عليه حتى افتنهم وصاروا باهتين اليه وبعد ذلك ارتعش وقالوا هاتوا لجوان نار فان معه البردية المهلكة فاتوا اليه بمنقد ملان فحم ووضعوه بين يديه فقال بخرنى يابرتقش فاطلق البرتقش البخور فى النار فرقدوا جميعا ولم يبق إلا جوان والبرتقش فسفر على باقى أولاده فحضروا جميعا بين يديه فلما حضر واقال لهم نظفوا هذه الكنيسة فنظفوها من كل بنى آدم ونزلوا للملك فاطلقوه وأتوه بالحصان الذى كان يركبه والبدلة التى كان لابسها وقال له انزل ياملك الاسلام ادرك هذه البنت فان نصرتها على يديك فركب وخرج من الكنيسة

[قال الراوى] وأما ما كان من بنت الكاهن فانها أرسلت إلى البب مرتومه وقالت له أنت محاصرنى مدة أيام وأنا زعلت من الحصار وأنت تدعى أنك من الملوك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار فانزل أنت إلى الميدان وأنا أنزل اليك واحارب معك فان اسرتنى كنت لك ضجيعة ولقولك سميعة مطيعة وتأخذ بلادى وتطيعك عساكرى واجنادى وان أسرتك اطلقتك بشرط أنك ترحل عنى بعساكرك فاجاب إلى ذلك ونزل إلى الميدان وركبت بنت الكاهن وخرجت إلى الميدان وأراد مرتومه ان يحمل

عليها وإذا بالملك الظاهر مقبل فانطبق عليه انطباق الأسد وصرخ فيه صرخة الغضب والحرب وضربه بالحسام فى وسط جبهته فشقه إلى نصف قامته فنزل من على ظهر الجواد ووقع إلى الأرض والمهاد وزعق السلطان الله أكبر ومال على الكفار وضرب فيهم بالحسام البتار ونظرت بنت الكاهن ما فعل السلطان فانفتح صدرها للاعمار ونادت الله أكبر وقالت لعساكرها قولوا الله أكبر فان الله ينصركم على من كفر فسمعوا كلامها وقالوا مثل قولها وصاحوا الله أكبر فجاوبتهم الأرض والجبال بذكر الكريم المتعال والقى الله هيبتهم فى قلوب أهل الكفر والضلال ودام السيف يعمل فى أقفية الكفار حتى شتتوهم فى البرارى والقفار ونصر المسلمين الأبرار وعاد الملك الظاهر وبنت الكاهن بين يديه وكان اسمها مريم بنت مسطرين فلما وصلت قبلت يد السلطان وقالت ياملك الزمان جزاك الله خيرا فان قدومك إلى بلادى فيه فوائد كثيرة أولها منع العدو عنى وقتله الثانية حفظ بلادى والامان لقومى ورعيتى وعسكرى واجنادى والثالثة ان الله أهدانى إلى الاسلام واهدى جميع من معى من الاقوام وأنا ياملك الزمان فى بلادى جماعة مسلمون يريدون عن الغير المراد منك أن تنظرهم والذى يريد أن يقيم معى فى بلادى مرحبا به والذى يطلب بلاده خذه انت معك

فقال الملك احضرهم لهم فلما حضروا اعلمهم السلطان فقالوا حيث أن الملكة اسلمت نقيموا فى بلادها وتحت أمرها وكان فيهم أهل العلم والصلاح فأمرهم السلطان أن يعلموا الناس الصلاة والعبادة فقالوا سمعا وطاعة وأما الملكة مريم فاجتمعت ولائم وافراحا فرحا بالنصر والاسلام مدة سبعة أيام ولما كان فى اليوم الرابع اقبل المقدم جمال الدين على السلطان وقال يامرنا ان الغراب العظمى مقبل فى البحر وفيه قادم خادمك أبو بكر البطريق فقال السلطان اطلبه يدخل إلى المدينة يا بطريق فالقى الله صوته على الريح فحملته إلى القبطان فقال البطريق يامغاربة ادخلوا المينة فلاشك أن السلطان هنا فان الذى نادانى هو جمال الدين شيحة هيا ياولاد عيشة فدخلوا المينة وطلع البطريق وقبل ايدى السلطان فقال له من اين قدومك فقال ياسيدى من الاسكندرية

[قال الراوى] وسبب مجيء البطريق الملكة تاج ناس فان الوزير بعد سفر المقدم جمال الدين شيحة يقتفى اثر السلطان أرسل إلى الملكة تاج ناس يقول لها اعلمى أن السلطان انخطف من الايوان وسلطان القلاعين راح يقتفى أثره فارسلت اليك لكى تكشفى عن أخبارهم فلما وصلت اليها الرساله ضربت

التخت وعرفت مكانهم إلى البطريق وقالت له سر بالغراب المعظمى على قلاع البشقاط خان السلطان هناك وشيحة وأولاده فسافر حتى قدم كما ذكرنا فقال السلطان يا مريم بقى أنا متوجه وأنت الحاكمة على بلادك على دين الاسلام وان تحرك عليك أحد ارسلى واعلميني فقالت له يا ملك الاسلام والله فراقك وفراق روحى على حد سواء ولكن من أنا حتى اعينى مثلك عن بلاده ثم انها قدمت له البدلة والحصان بعدته واسمه القرطاسى البحرى الذى لم يحو مثله قط ولا كسرى ولا قيصر ولا غيرهم وعدته من الذهب الأحمر مرصعة قطع الجوهر وكذلك الذى صنعها له أبوها ووسقت الغراب من ذخائر بلادها مما خف حمله وغلا ثمنه من أسلحة وزرديات وطيب وعنبر واقمشة وما اشبه ذلك وتودعت من السلطان وقالت له اكتب اسمى فى دفتر بلاد الاسلام واعطيني تشريفا من انعامك حتى اكون حاكمة على بلادى من تحت امرك فأعطاها السلطان طلبها وتوجه السلطان فى الغراب المعظمى وشيحة واولاده ووصل إلى الاسكندرية فطلع إلى لقائه باشة الاسكندرية وارسل بطاقة إلى مصر يخبر بقدومه فزينت مصر اسواقها ووصل السلطان وانعقد له الموكب وطلع إلى قلعة الجبل واقام يتعاطى القصاص ويحكم بالعدل والانصاف كما امر جد الاشراف

[قال الراوى] اسمع ما جرى من امر الملك عرنوس فانه فى يوم من الأيام طلع يريد الصيد والقنص وبصحبته أولاد ملوك البرتقان وعمه المقدم اسماعيل ابو السباع وترك المقدم نصير النمر فى البلد يحفظها لما يعلم ان فيه لياقة لحفظها واخذهم وطلع إلى الخلوات وصار يقتنص الغزلان ويتسلى فى البر والكثبان إلى ليلة بات المقدم اسماعيل واصبح يلتقى عرنوس مفقود فقال المقدم اسماعيل لا حول ولا قوة إلا بالله العلى اتينا نصطاد الغزال فقدنا اعز الرجال يا ترى اين ذهب ابن اخى ثم التفت إلى اولاد ملوك البرتقان وقال لهم عودوا انتم إلى مدينة الرخام وارسل الملك إلى نصير النمر فقالوا سمعا وطاعة

ولما اقبل المقدم نصير اخذه وطلع يقتفى اثر الملك عرنوس

[يا سادة] واما عرنوس فانه اصبح ولقى نفسه فى مغار مكتف اليدين وموضوعا فى الحديد وقد نظر قدامه واحدا عاتقا طويل القامة فقال له انت من اين تكون واى شيء اسمك واى شيء اغراك على سرقتى وما ذنبى معك فقال له انا اسمى ميكال السراق والذى ارسلنى إلى سرقتك البب جندويل صاحب الحصون الأربع والدير المربع وانا يا مالك ما انا انسى بل انا عون من اعوان الجن ومأمور بخدمتك وعدم

أتيتك حتى أسلمك إلى الذى هو طالبك وأنا لى ستة أشهر وأنا منتظر أخذك وما قدرت عليك إلا إذا بقيت خارج البلد ولولا خروجك ما كنت أقدر على أخذك فقال له عرنوس ولأى شيء طلبنى صاحبك هذا فقال ياسيدى لا أعلم وسار به العون حتى وضعه قدام الملك فقام الملك إلى عرنوس وسلم عليه وأمر بالحمام فدخله وأمر الجوار الروميات أن يحموه ويكبسوه كل هذا عرنوس يتعجب وبعد ما طلع من الحمام أمر باحضار شراب مكرر من شراب التفاح وبعده أحضر الطعام وقال يا ملك عرنوس أنا أعلم انك لم تأكل إلا أكل المسلمين وهذا الطعام من دجاج وحمام والذى طبخه أسير على دين الاسلام فأكل الملك عرنوس من الطعام وبعده قدم له آنية المدام فلما تمكنت الخمرة من الملك عرنوس التفت إلى ذلك الملك وقال له أنت ما اسمك فقال أنا اسمى البب روم أبو اصبع صاحب الحصون الاربع والدير المربع فقال عرنوس ولأى شيء أتيت بى من بلادى فقال انى فى يوم من الأيام قلت للوزير هل تعرف واحدا جميلا وشجاعا وكريما مثلى فقال الوزير موجود فى مدينة الرخام واحد اسمه الملك عرنوس فسألت واحدا من الأصحاب يستخدم عونا من الجان أن يحضرك لى حتى أراك فهذا أصل اتيانك إلى عندى وقصدى أتفرج على جمالك رأيتك صحيحا جميلا ومرادى أتفرج على شجاعتك فان كان الوزير صادقا انعمت عليه وان كان كاذبا قتلته ثم انه أخذ الملك عرنوس وسار به إلى غابة وتقاتل معه فصاح به الملك عرنوس وهجم عليه وضايقه وطبق فى خناقه وجذبه فرمى رجله من على ظهر جواده ثم أطلقه من يده وقال له لا تؤاخذنى يا بب أنا أسأت الأدب فى حقك فقال له وديني ان مثلك فى الشجاعة لا يكون ثم انه أخذه وعاد به إلى بلده وعمل وليمة ثلاثة أيام وأحضر البترك وقال له هذا الديابرو وعرنوس كلل اكليل بنتى عليه

فقال البترك سمعا وطاعة وعمل الملك روح فرحا عشرة أيام وكلل اكليل بنته على الملك عرنوس وكان اسمها روض الزهور فلما كانت ليلة الدخلة لم يتصل بها عرنوس ولا ابتكرها فاصبحت أعلمت أباها فقال لها ناقشيه لعل تحملى منه بولد يطلع مثله فناغشته ثانى ليلة فاعلمها انه مسلم ولا يجوز عنده أن يواطئها إلا إذا أسلمت فقالت علمنى فعلمها فأسلمت وافتضها وأقام عندها مدة ستة أشهر الى يوم من الايام دخل عندها فالتقى واحدة عندها وهى مثلها فسألها عنها فقالت له هذه اختى لكنها راهبة وتأتى عندى كل ستة اشهر مرة فسكت الملك عرنوس فقالت له اخت زوجته وكان اسمها فتنة الروم يا بب الديابرو تتزوج و مثل اختى فقال لها لا يجوز جمع اختين فى

الاسلام واما إذا ماتت اختك اتزوج بك واما ما دامت طيبة فلا يجوز فصبرت فتنة الروم إلى الليل وذبحت اختها وهي نائمة واقبلت على الملك عرنوس وفيقته من النوم وقالت له اختي ماتت وانا بقيت زوجتك عوضا عنها فنظر عرنوس إلى زوجته فوجدها مذبوحة فقال لها من الذي ذبح اختك فقالت له انا لاجل ان تاخذني عوضا عنها فضربها بقاسم الحديد رماها قصفين وبعد ذلك افاق من غيظه وقال في نفسه إذا طلع النهار يقول ابوهم ما قتلهم إلا عرنوس وابقى انا تحت العقاب

ثم انه قام على حيله وصنع له خرجا من القماش وعباه اموالا وجواهر ووضعه على الحصان وركب عليه وسار إلى باب البلد وقال للبواب افتح لي

فقال له رايح إلى اي محل

فقال ان البب ارسلني في حاجة اقضيها واعود فقال له ما افتح إلا ان كان تعطيني بقشيش فقال عرنوس مرحبابك ففتح له الباب وقال هات البقشيش فضربه بالسيف رماه نصفين وسار الملك عرنوس قاصدا البراري والقفار هذا والبب صحي في ثاني يوم وسال عن عرنوس فلم يلقه فدخل القصر الذي كان به فوجد بنتيه مقتولتين فاحضر الوزير وقال له انظر افعال عرنوس الذي قلت لي عنه انه كريم وجميل وفارس فهاهو قتل بناتي ولا كفاه نهب مالي وسار الوزير يا بب اما زوجته فهي مذبوحة في نومها واما اختها فانها مقصومة بالسيف والدليل على ذلك ان فتنة الروم قتلت روض وهي نائمة فنظر عرنوس فعلها فقتلها فقال البب ولاي شيء اخذ مالي وسار فقال يا ملك اما مسيره بالليل فانه استحي ان يقابلك واما اخذ المال فانه يستعين به في الطريق لانك احضرته من بلاده وما معه مال ينفعه في عودته إلى بلاده ولكن يا بب ماينبغي إلا الصبر وكف الاذى فقال البب انا لا اروح وراءه ولا اعاتبه والعيش رمى الخائن واقام يتاسف بعدما دفن بناته

[قال الراوي] واما الملك عرنوس فانه سار لما امن على نفسه فاقبل على وادي تسمع وبه قلعة تسمى قلعة الطاروق وهذه القلعة دائرها بساتين وبها ملك اسمه البب جنداويل فلما وصل الملك عرنوس نزل بجانب البستان ونام في ظل اشجار البستان فرفع الحصان راسه واخذ بفمه فرعا من شجر مشماس فنظر الشيطاني اليه فاغتاظ واتى الملك وهو نائم وكان بيد الشيطاني عصا فضرب الملك عرنوس بالعصا فافاق وراى الشيطاني الذي ضربه وهو قائم يشتم الملك عرنوس فحط يده على سيفه وضربه رمى يده بما كان من الشيطاني إلا انه صار يجري حتى دخل على البب جنداويل فقال يا بب غندار ني وضربني بالهتمار كما

ترى قطع يدى فامر مائة من العساكر أن تأتى به اليه فساروا البطارقة وصاحوا على عرنوس فركب على ظهر جواده ومال عليهم حتى أهلك منهم نصفين فانهزموا إلى جندويل فاعطاهم مائتين واردفهم بمائتين وصار يرسل إلى عرنوس جماعة بعد جماعة وهو يضرب بالحسام حتى كثر العدد من الرجال والخيل وبقى حول عرنوس ما زيد على عشرة آلاف كافر وهو يقاتلهم فقال البب جندويل عرقبوا حصانه فلم عرنوس قصدهم فنزل عن الحصان إلى الأرض وقاتلهم فتزحلقت رجله فوقع فانكبوا عليه وأخذوه اسيرا وقادوه ليلا حقيرا قدموه قدام ملكهم

فقال له انت الذى قتلت عساكرى يا كناس فقال له الملك عرنوس يا معرون أنت الذى تعديت على انت وعسكرك فالتفت إلى جماعة وقال لهم خذوا جميع متاعه وحصانه وسيروا به إلى جبل المهراس وارموه فيه فانه مسلم فعند ذلك عروه من ثيابه وصاروا به قاصدين إلى ذلك الجبل فنظر اليه بطريق منهم وقال له أنت قتلت أولادى الاثنين وهاهم رائحون بك إلى جبل المهراس اذا خلصتك أنا منهم تعطيى الخرج الذى أخذوه منك فقال له الملك عرنوس ان خلصتنى خذ الخرج لك ولكن جبل المهراس اى شىء هو فقال جبل عالى وفيه جب عميق يبلغ عشرين قامة وعليه غطاء حجر مثل العامود يزن مائة قنطار فاذا اتينا بالرجل نكتفه ونرميه فيه ونرخى ذلك الغطاء عليه فيهرسه وأنا استل المسيح ان خلصك لاجل ا . تعطيى الخرج فقال عرنوس وديى ان خلصت لاعطيك الخرج فقال عرنوس له اذا وصلت إلى ذلك الجبل فلا تطلع معهم فانك اذا طلعت تموت فسار معهم عرنوس إلى الجبل وعندما ارادوا الطلوع عصى ولم يرضى أن يطلع معهم فصاروا يتعافرون معه ويطلبوا طلوعه وهو يمتنع فبينماهم كذلك واذا بغبرة من البر طلعت وعجاجة ارتفعت وبانت عن ملك ملوك ملك الأرض ومعه الف خيال وكان هذا الملك يقال له البب دمار وله شينار وذلك الشينار فيه قرصتين احدهما فضة والثانى ذهب اسمه الشمس والقمر وهو ملك قلعة مجمع البحرين فقال البطريق للملك عرنوس نادى وقل أنا فى عرض البب دومار وانا اروح اعلمه بك فصار عرنوس يتمعل والنصارى يجاهدونه وكان البطريق وصل إلى البب دومار واعلمه ان هذا الاسير واقع فى عرضك وا ؤه يريدون ان يقتلوه طلع البب دوما ونظر إلى عرنوس هجم على المائة بطريق أهلك منهم جماعة وهرب الباقون فاطلق الملك عرنوس وقال له خذ جميع متاعك الذى كان معهم ولبس الملك عرنوس بدلته واعطى البطريق الخرج حلاوة سلامته والبب دومار اخذ الملك

عرنوس معه إلى بلده وهو فرحان لكونه أنه خاص على يده ولما بقى فى ديوانه قال له ياقندار أنت اسمك إيش فقال أنا اسمى الملك عرنوس ومدينتى مدينة الرخام فقال له أنت الديابرو فقال نعم فقام الغلام على حيله وغاب وأتى بالطعام وقال له كل ياديابرو عرنوس فمد يده عرنوس وأكل فرقد فوضعه فى الحديد وفيقه فأفاق عرنوس فرأى روحه مكتفا فقال لأى شىء فعلت هذا الامر يا بب دومار فقال ياديابرو أنت خرجت أمى من زمان ولهامدة ايام تقول لى عليك وأنا كان قصدى أركب على مدينة الرخام وأجىء بك إليها فها أنت وقعت عندى بلا تعب وما بقى إلا أسلمك لأمى حتى تخلص حقها منك نظير ما جرحتها ثم انه أخذه ودخل به على أمه وناداها يا أماه هذا الديابرو عرنوس فخذى حقك منه فقالت اربطه لى فى السرير وروح الى عسكرك فربطه وراح فقالت بالسلامة يا ملك عرنوس انا زوجتك ميرونة الشمسية بنت البب شمس صاحب قلاع مجمع البحرين وهذا الغلام ابنك فانبسط الملك عرنوس منها وأقبل ابنها وسالها فقالت له ياولدى هذا أبوك الملك عرنوس وأنت تكذبنى فنسبتك مكتوبة فى الدملج الذى على ذراعك ففتح الدملج فرأى اسم أبيه وجده ففرح واسلم واحضر وزيره فاخبره فاسلم الوزير واسلم كل اهل المدينة وأقام الملك عرنوس مع ولده فى هذه المدينة

[اسمع ما جرى] للمقدم اسماعيل أبو السباع فانه صار يدور على عرنوس ومعه المقدم نصير النمر فمر على بلد البب روم فسمع النصارى يتذاكرون باسم عرنوس فدخل الديوان فالتقى الملك والوزير فى حديث عرنوس فتقدم اسماعيل سال الملك عن عرنوس فقال له نعم كان عندى ولكن انت إيش تقرب له فقال أنا عمه فقال ان الديابرو عرنوس كان عندى وتزوجته بنتى مدبحها هى وأختها وأخذ من عندى جانبا جسيما من مال وجواهر وراح وهكذا تفعل الملوك فقال المقدم نصير ان كان فعل ذلك الحق عليه فقال اسماعيل أنا إذا لقيته أحضره إلى بين يديك وأصالحك معه فقال البب روم هذا قصدى وأما أنا ما أبيع خاطر عرنوس ببنتين ثم انه عزم المقدم اسماعيل من عنده فالتقى به البطريق الذى اخذ الخرج من الملك عرنوس . فلما رأى المقدم اسماعيل قال له أنت قريب الديابرو عرنوس فقال اسماعيل أنت تعرفه فقال نعم وحكى له على الذى جرى للملك عرنوس

فلما سمع نصير النمر ما قال البطريق ضربه على حزامه قسمه نصفين وأخذ الخرج وساروا الى قلعة مجمع البحرين فدخلوا على البب دومار فالتقوا عرنوسا فسلموا عليه ثم حكى لهم عرنوس ان هذا الغلام ولده ففرحوا بذلك وقال اسماعيل

انه مررت على البب روم فى الحصون الاربعة فقال نعم فحكى له العباره فتعجب اسماعيل وقال له أنا حلفت له الا تعودوا عليه وأنت معنا فقال عرنوس ربما يغدر بنا فقال اسماعيل على أنا فقام عرنوس وابنه وساروا إلى البب روم فترحب بهم وأكرمهم . وفى ثانى الايام عبر جوان وعلم بعرنوس ومن معه فدخل أسر على البب روم وأغراه على الخيانة وأعطاه بنجا يضعه لهم فى الطعام وبعد ما أعطاه البنج ووضعه لهم فى الطعام لعبت مفاصل جوان فقال يا برتقش ان قلبى يحدثنى ان شيحة هنا وتأمل فوجد المقدم جمال الدين هو الذى عامل سياف فقال جوان امسكوه فهذا شيحة فقبضوا عليه فقال جوان منتار . فقال البرتقش يا بب روم لا تسمع كلام جوان ان كنت نارى تجاهد فى المسلمين احفظ الذى يقع فى يدك حتى مايبقى شىء واقبل الجميع واقاموا وأما جوان فقصده أن يقتل هؤلاء ويجىء دين المسلمين يحرق بلادك بالنار ولكن الصواب حبسهم حتى ينفصل الحال فاستحسن كلام البرتقش وحبسهم فخرج عقل جوان بينما كان جوان يتامل فالتقى فداوى واقفا يتفرج فقام جوان يمشى حتى وصل اليه وقال لسان عربى فصيح فى هذا العام يظهر فداوى ياخذ السلطنة من شيحة امله أنت ياغندار والتفت إلى الفداوى وقال له أنت من أى البلاد فقال له الفداوى كنت فى بلاد النصارى فقال له وأنت ما ترضى أن تجىء معى حتى ادلك على شيحة نقتله ونأخذ السلطنة من بعده فقال الفداوى وأين هو شيحة فقال جوان تعال معى وانا ادلك عليه فسار الفدواى مع جوان إلى السجن فنظر شيحة إلى الفداوى وجوان فقال يا عرنوس شاغل الفداوى فالتفت عرنوس وقال يا فداوى ما تستحى تقتل ناسا اشراف برأى جوان فقال الفداوى من أنت فقال أنا عرنوس وهذا اسماعيل ابو السباع وهذا ابنى فقال الفداوى وهذا شيحة الذى أنا جئت على طلبه فقال عرنوس اطلقنا واصطفل معه فقال صدقت ففكهم جميعا واندار عليه الملك عرنوس ولكمه فى صدره بضربة فاقبله على وجه الارض وطلع من السجن بعد ما حبس الفداوى وكان اسمه حسن بن ناصر الدين عون فلما انقبض قال له شيحة أنت من تكون ياغلام فقال له أنا حسن بن ناصر الدين عون فتركه فى الحبس وكتب تذكرة وحطها فى رقبه البب روم يقول فيها لولا معروفك الذى سبق منك لعرنوس كنت شنقتك على باب بلدك وانما اضرب جوان الف كرباج واطرده والفداوى احسن اطلقه وإن خالفت تستاهل كلما يجرى عليك فلما قرأ البب روم الورقه جاء بجوان واعطاه الالف كرباج وقال للبرتقش خده واطلع إلى حال سبيلك

والتفت حسن وقال له اترك عنك شيحة والاقتلتك روح الى حال سبيلك فنزل حسن متكاد من شيحة فسار حتى وصل الى قلعة ابيه وسلم عليه فقال له ناصر الدين يامقدم حسن قبل كل شيء طلع شيحة فقال أنا قابلته هو وعرنوس وأطلقتهم لكن ما ملك شيحة ان يكتب اسمي وقال لي سر الى أبيك وها أنا جئت اليك فقام ناصر الدين وعمل وليمة فرحا بقدوم ولده وجمع الرجال وذبح الذبائح فلما نظر حسن ابنه هذه الفعال وضع البنج فى الطعام فلما أكل الرجال الطعام رقدوا كلهم وأبوه معهم فحط الجميع فى الحديد وسجنهم فى قلعة أبيه وركب المقدم حسن وسار الى مصر ونزل علاء الدين البسترى كان واهيا ومترسا فصاح من فار الصياح بخط النحاسين فاقبل المقدم ابراهيم والمقدم شعد فصاح عليهم المقدم حسن بن نصر الدين وتقاتل معهم الى آخر الليل أرمى أرطاله تواقص فهرب المقدم حسن من قدام ابراهيم وسعد فتبعوه الى الدرب المحروق فكسر الضبة ودخل فادركه المقدم ابراهيم ولطشه بحجر حكم الحجر على صرصوره فوقع وكتفه فقال ابراهيم ياسعد تحبسه وبكره نقدمه الى السلطان فحبسوه فكسر الحديد الليلا وهرب ونزل على السلطان فلقاه فى الحريم فكتب تذكرة بطلب حوزة سلطنة الحصون وركب حجرته وطلب قلعته وكان سائرا فرأى فى طريقه رجل مبتلى فتقدم وتأمله اليه فشم منه رائحة واذا به رقد الى جنبه وكان الرجل هو شيحة فدخل يديه الى عناقه وأعطاه علقة وطيبه وفيقه وقال له أنت خفت منى يا شيحة ثم زاده علقة ثانية وسار به الى مصر وطلع به الى الديوان وجلس الى جانب السلطان وفيقه وقال له يامقدم حسن أنت الذى فعلت بابوك ورجاله وأنا مطول بالى عليك وها أنا وأنت الآن قدام السلطان فان كان أغراك الشيطان على العصيان اعلمنى حتى أقوم أسلخ جلدك وارتاح من طلعتك فقام المقدم حسن قائما على الاقدام وصاح طاعت الخوند اليك والاسم الاعظم فكتب اسمه على سلاحه وكتبه فى دفتر الرجال فهذا ما كان منه وأما ما كان من الملك عرنوس فانه يوم من الايام احضر ولده وقال له ياولدى هذه المدينة صارت اسلام اجلس بها ملكا وسلطان واحكم بالعدل والانصاف وتودع منه ومن أمه وركب هو وعمه والمقدم نصير وساروا الى مدينة الرخام يقع لهم كلام وأما ما كان من الملك الظاهر فانه طلع يوم الى الديوان واذا بصلاتى طالع يشكى ويقول ياأبادشاه واحد فداوى نزل على بالليل وضربنى ثمانين ضربة بالشاكرية وأخذ منى الف محبوب فقال له السلطان ما اسمه قال لااعرفه ياسيدى فأعطى له السلطان الفين دينار وقال له الف حق ضربك والف الذى أخذ منك وثانى يوم طلع بشنك يشتكى ولا زال

كذلك حتى شكوا جميع الامراء فاغتاظ السلطان وقال هذا شيحة آذية لى ولرجالى كلما أتاه ولم يلقاه ينزل على رجالى فما تم كلامه الا والمقدم شيحة اقبل وقال يا ملك لا يصعب عليك هذا ماهو خصم أنه التفت الى المقدم ابراهيم وقال له ماأنت مرسول الغصب لاى شيء ماتنزل وتقبض هذا الغريم فقال له الليلة انزل اليه وصبر الى الليل ونزل هو وسعد وداروا البلادوعند هودتهم التفاهم زوال فصاح فيه المقدم ابراهيم وانطبق عليه هو وسعد وتقاتلوا معه الى وقت الفجر فغطس من بينهم ودخل الى حارة فى سوق السلاح ولما أصبح الصباح طلع ابراهيم وسعدوأعلموا السلطان فقال لهم الليلة انزل معكم ولما جن الليل نزل معهم فالتقوا بالفـــداوى تحت القلعة فتقاتل معهم الى ان قرب الفجر وزاغ من بينهم يطلع السلطان الى الديوان وهو مغتاظ وقال ياابراهيم انده لنا على شيحة واذا به طلع الى الديوان فحكى له السلطان ماجرى فقال شيحة ياملك هل عندك محل يلقاه حتى أحبسه فيه فقال الملك العرقانة ماتحبسه قال له كم حبسنا فى العرقانة أنا فيق وخلصوا منها فقام واحد من الاكراد وقال يا مقدم شيحة هنا فى حوش الديوان حبس خلى الشيخ مرشد وبابه تحت السلم الذى يركب عليه السلطان فقال شيحة افتحوه حتى تتفرجوا عليه فنزلوا وحفروا تحت السلم حتى خلص الباب فنزلوا السمات كلهم بالمشاعل فنظروه محل واسع فساروا الى آخره فسمعوا حس نفس فصاحوا هذا الشيطان فقال شيحة ماهو شيطان هذا الفداوى الذى أنت طالبه فقال السلطان أنت قبضته قال له ضربته بذلك المهراش وقلت له بجى وديه الى الحبس فوضعه فى هذا المكان والكردى الذى أعلمه هو المقدم السابق فقال السلطان طلعوه حتى نصرفه فطلعوا واذا به الفداوى الذى ضرب الامرا فصاح فيه ابراهيم قبل الارض

فقال له اسكت ياحورانى انا ماأقبل الارض ابدا لاحد ثم قام السلطان وأطلقه ن وثاقه واجلسه بجانبه محل شيحة وتقدم قبل يده

فقال شيحة أى شيء هذا ياملك الاسلام هذا وليته سلطان فقال ما عملته سلطان وانما له على عهد وكان فى بلاد النصارى هارب من المقدم معروف وكان السبب فى ذلك ان المقدم جمر كان له بنتين واحدة اسمها اللبوه والثانية اسمها الكاسرة وكانت الدمطا من خبرها كل من قابلها من الرجال تقتله الى ان كان يوم قابلها المقدم بحر المرتمى فصاحوا فيه الرجال انزل قبل الارض فسفه عليهم وسار الى عندها فلما رأته هجمت عليه وخطفته من بحر سرجه وأرمته الى

الارض فقام وهو خائف ان لا تهلكه وقال لا بد ان اتزوجها حتى تنكسر نفسها فسار إلى أبوها وخطبها منه فقال له المقدم جمر يعني شارطة الا يتزوجها إلا الذى ياسرها .

فقال له رضيت بذلك فقام المقدم جمر إلى ابنته واعلمها فنزلت إلى الميدان وأسرته قدام الرجال فمن شدة ما حقد من الغيظ نزل عليها بالليل وهى نائمة وذبحها ونسى خنجره عند رأسها فرجع لياخذه وكانت امها انتبهت على حس شخيرها فاتت اليها فرأتها مذبوحة فاعلمت أبوها فاتى ونظرها ورأى الخنجر بجنبها فا كمن له حتى رجع وقبض عليه وامر بتقطيعه فقطعوه وارموه وقال لمعروف روح إلى نلمته واقتل كل من فيها وانهبها فراح معروف إلى أن وصل القلعة فقابلته زوجة بحر والنساء وقالت له أنا وابنى عاصف فى عرضك ونكون تحت حكمك

فقال لها مرحبا بكم وأخذ الولد ورجع اعلم أباه فقال له أخاف عليك منه فقال له انا حالف لامه واخذه ورباه ولما مات المقدم جمر وحكم على القلاع المقدم معروف وكان عاصف عنده اعز من نفسه إلى أن كان يوم لعبوا البرجاس فضرب عاصف واحد فداوى بجريدة فصابته فى اضلاعه فمن شدة غيظه قال له انشطر من قتل ابوك فقال له ومن الذى قتله قال المقدم جمر وحكى له على ما جرى فاغتاظ عاصف وحلف لا بد يقتل المقدم معروف ولما أتى الليل تقدم تحت سراية معروف وارمى مفرده وطلع وتمكن من القلعة ودخل على المقدم وركب على صدره فانتبه معروف وضربه بكفه على وجهه وقبضه وقال له من أنت قال له أنا عاصف وأتيت إلى عندك أتحدث معك فاطلقه وثانى ليلة نزل واراد أن يقتل معروف المقدم إسماعيل أبو السباع ولما أفاق المقدم معروف قدمه إسماعيل الى بين يديه فعاتبه على قبيح فعله واراد أن يقتله فوقع فى عرض الدات

فقال له معروف يا قرنان ربيتك عيب على ان اقتلك ولكن اذهب من قلاعنا مطلقا ونادى فى الحصون كل من وقع بعاصف بن بحر المرقسى يقتله فطلع هارب وليس اخذ معه شيء إلا قوس وركب حجرته وقصد الشام فالتقاه بيبرس واخذه وغداه واعطاه الف دينار فاخذهم وقال له الله يوقعك فى محذور وانجدك واقبل سرجويل المهرى وحاربه بيبرس وقبض عليه فى الليل بسبب العايق واتى عاصف اطلقه واداه إلى البلاد وعلمه رمى المفرد وقال له أنت بقيت مشدودى وتركه وراح إلى بلاد النصارى وقال له إذا صرت ملك تكبر نفسك على لخوف له بيبرس أنه لا يتكبر عليه ابدا واذا حضر يقوم اليه ويجلسه بجنبه ويقبل يديه فلما حضر احكوا له على الملك

الظاهر فقال له ذلك مشدودى واقبل إلى مصر وفعل ما فعل ومسكه شيحة واتى به إلى الديوان فقام له الملك كما اوعده واجلسه بجنبه وقبل يديه هذا ما كان على السبب

فقال شيحة خليه جالس يا مولانا السلطان ونزل إلى حال سبيله فعند ذلك امر له السلطان بالحمام والبسه بدلة عظيمة واجلسه إلى جنبه وصار كلما يتكلم يقول الملك مشدودى يقلق منه السلطان وهداه بهدية وقال لارباب دولته كل واحد ياتى بهدية فداروه فهادوه وقال له السلطان روح الى قامتك وشيحة بعيد

تم الجزء الرابع و الثلاثون ويليه الجزء الخامس والثلاثون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الخامس والثلاثون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوي] فقال له بقي شيحة مشدودي وركب وسار إلى قلعته وأقام فيها وقال لرجاله أنا سلطان الدنيا بأجمعها والظاهر مشدودي فهذا ما كان منه وأما ما كان من الملك هرنوس فانه لما قربت أيام النيل أحضر هدية سنية وأخذ معه عشرة من أولاد ملوك البرتقان ومائة فارس ومعه المقدم اسماعيل وسار قاصد مصر ولما عبر على قلعة عاصف قال لعمه انزل بنا هاهنا في هذه الارض فقال له يا ولدي هذه قلعة عدونا عاصف بن بحر المرقسي واحكى له حكايته فبينما كذلك وإذا بالمقدم عاصف اقبل وقال سلام فقال له المقدم اسماعيل سلام يا عاصف فقال له من أين أتيت ومن هو الذي معك فقال له قاصدين مصر للملك الظاهر فقال له الظاهر مشدودي وأنا كنت عنده وهذا هو ورجاله وأنتم تفوتوا علي ولم أهاديكم هذا عيب فقال له المقدم اسماعيل هات هنا الهدية فقال له لا يمكن لابد أن تدخلوا قلعتي وتأكلوا ضيافتي فدخلوا معه القلعة وأحضر لهم الطعام بالبنج وقبضهم وطلع الى الاتباع ليقبضهم فهربوا وتفرقوا في البر حتى وصلوا الى مصر وأعلموا السلطان بما جرى وأما المقدم عاصف فانه رجع الى القلعة وأعطاهم ضد البنج وفيقهم فلما أفاقوا قالوا له لأي شيء تفعل معنا هكذا فقال لهم المقدم جدي قتل أبي وأنتم ما بقي الا قتلكم في نار جدي والا لحق الآن احبسكم حتى يحضر شيحة قتله معكم في يوم واحد هذا ما جرى لهؤلاء. وأما ما كان من السلطان لما أعلموه الاتباع بما جرى بقي محتار كيف يعمل واذا بالمقدم شيحة قد أقبل فأعلمه الملك بما جرى وقال له دبر كيف يكون الى أين فقال له اذا رحت اليه يقول لي السلطان مشدودي بقي منك الكهرك اصطفل ثم ان السلطان ركب برجاله وصار الى القلعة المرقب فلما رآه عاصف قال هذا مشدود أتى يحاربني فنزل السلطان بالخيام على القلعة وشيحة دخل القلعة وصبر الى الليل وخلص هرنوس ومن معه وقبض على المقدم عاصف وقدمه الى قدام السلطان

فقال له السلطان خذه يا شيحة إلى بعيد واصطفل معك اليه فقال له أنا لأجل خاطرك ما أكلمه ثم انه أحضر حديد وقيده وكتب عليه ملعون من يفكه إلى أن طاع أو مات ورفعه بقيده إلى قلعة وقال كل من فك قيده والاسم الاعظم أسلخه ثم انه تركه وسار إلى حال سبيله ولما كان نصف الليل أفاق المقدم عاصف فوجد واحدا راكب على صدره وبيده خنجرا امضى من الصاعقة وقال له يا صاحب أنا المقدم اسماعيل الجاهري أتيت أقتلك إن لم تطع شيحة لأني كنت فى بلاد النصارى وسمعت ولد صغير يبكى فقالت له أمه اسكت بمريم والصليب والانجيل فلم يسكت فقالت يا شوحة المسلمين فسكت فنذرت على نفسى إذا قابلت شيحة أطيعه وإن أحد دعى عليه اقتله ولما نزلت فى البحر احترقت المركب ولعبت النار فيها ونفذت المياه منها فاشرفنا على الحرق والغرق فقلنا يا بركة الحاج شوحة فانطفت النار وسدت المركب وعامت بلا تعب ولما وصلت بلاد الاسلام سألت عن شيحة فقالوا هو سلطان الحصون فحلفت الا اطيعه وإن مات اخدم قبره حتى أموت ولما وصلت إلى قلعتى سألت عنه فقالوا الى على قلعة عاصف وها أنا أتيتك وإن لم تطيعه قتلتك فقال له عاصف يا أخى أطيعه ثم حله وطلع به إلى السلطان وحضر شيحة وحكى حكايته وطلعوا الاثنين وكتبوا اسمه على شواكرهم وأخذهم السلطان معه إلى مصر ولزموا الديوان وأقاموا على ذلك مدة أيام الى أن كان يوم من الايام كان السلطان جالس واذا بالقبطان أبو بكر البطريق طالع الى الديوان وهو يقول

ايظلمنا الزمان وأنت فينا * ونأكلنا الذئاب وأنت ليث ويروى من جنابك كل منا واحنا فى حماك وأنت شجاع الله معضان يا ملك الاسلام جميع الرزايا لها تدبير الا الرزية المرض فانه عار كبير فقال له السلطان من الذى تعدى عليك يا سلطان البحار

فقال يا مولانا ما أعلم الذى قد تعدى على من هو وانما كما تعلم بنى وبين أولادى وأنا مقيم فى الاسكندرية وفى هذه الايام اتانى نجاب من الانقية واخبرنى ان بنتى سرقت من فراشها ولم نعلم من الذى سرقها فلما سمعت ذلك أتيت اليك وجعلت معتمدى على الله وعليك فقال له الملك مرحبا بك ما تطلب بنتك الا منى فقال له فيم ها هنا فقال له طول بالك يا قبطان الاسلام والله تعالى يسهل كل أمر عسير ثم التفت السلطان الى اولاد اسماعيل وقال لهم هل فيكم من يعرف يفتش على بنت أبو بكر البطريق فقال المقدم اسماعيل انا يا دولتلى يسير معى الى المحل الذى سرقت منه وأنا اجتهد فى خلاصها ولو تكون فى سد الاسكندرية فقال له البطريق سر معى الى انقية فنزل معه وساروا الى الاسكندرية وأنزله فى اغراب وساروا حتى وصلوا الى اللانقية

وصاروا إلى محل مبيت بنته وقال له من هنا انسرقت فقال المقدم أنا عرفت الذى سرقها ولا أعود إن شاء الله إلا بها وطلع من اللاذقية وقصد بلاد النصارى وكان السبب فى سرقة بنت الرئيس أبو بكر وذلك أنه كان ملك من الروم فى قلعة يقال لها كونية وله ولد اسمه يعقوب فحصل له مرض وأراد أن يتنزه فى البحر فركب وسار يتفرج فى بر الاسلام حتى دخل اللاذقية ومر على قصر فاطمة وكان بالقضاء والقدر والست فاطمة طلت من شباك قصرها تنظر إلى الطريق فنظرها يعقوب فتولع آماله بها وعاد إلى بلده وأعلم أبوه بما وقع له من محبة تلك البنت فخاف على ولده وكان بالقرب من من قلعته قلعة يقال لها قلعة الناصرة وبها عايق يقال له ملك غادر فارسل له وأحضره إلى عنده وأعلمه بماجرى على ولده من حب فاطمة بنت البطرنى وقال له إن أتيتنى بها أعطيك عشرة آلاف دينار ذهب فنزل من عنده غادر وسار إلى اللاذقية وأقام فيها أيام حتى وجد فرصة وأرمى مفرده وطلع إلى السراية وبنجها ولفها فى جمدان ونزل بها ولفها إلى كونية وسلمها إلى عبد الصليب وأخذ من عنده المال الذى أوعده به ثم ان الملعون عمل فرح إلى ولده عشرة أيام وفى الليلة الحادية عشرة تبدلت أفراحهم باتراح وبعد الغناء صار بكاء ونواح وكان السبب فى ذلك أن المقدم اسماعيل كان يعرف غادر السلاح وبينهم صداقة من زمان وكان عارف بدناوته وهو الذى سرق ابنة البطرنى فسار إلى قلعة النصارى ودخل إلى بيته فلاقته امرأته وسلمت عليه فسألها عن غادر فقالت له من مدة يومين سار إلى كونية ومعه بنت مسلمة أراد بزواجها إلى يعقوب بن عبد الصليب ملك كونية وقد اكتراه على سرقتها بعشرة آلاف دينار ذهب فلما سمع المقدم اسماعيل ذلك الكلام لم يقدر يقيم بل سار إلى كونية ودخل خفية فوجد الافراح قائمة فعرف المعنى وصبر الى الليل وأرمى مفرده على سراية العروس ونزل فى الولد يهدد فى البنت ليزيل بكارتها فارمى دشنة بنج على الاثنين ونزل ذبح الولد وأخذ البنت وكان الكلب عبد الصليب واقف ينتظر ولده حتى يزيل بكارة العروس وكان يسمع مهارشته معها فلما انقطع الحس دخل عليهم فوجد ولده يخبط فى دمه فارمى القلنسوة من على راسه ولطم على وجهه وصاح فاقبل عليه غادر وكان من جملة الحاضرين فى الفرح وسأله فادخله القاعة فقال له لاتخف الخصم لم يمد بعيد وأنا أجيبه لك و انحدار من خلف السور فنظر الفداوى وهو نازل من على السريان فضربه بنبلة فى نحره نفذت من قفاه وتقدم اليه قطع راسه وأخذ البنت ورجع الى الملك عبد الصليب وناوله الراس والبنت وطلب حق تعبه [قال الراوى] فقال نعم وقام ليأتيه بشىء

حتى قطعه وترك الرأس قدامة وأخذ البنت معه فتأمل غادر فى الرأس فعرفه المقدم إسماعيل صديقه فطار عقله من رأسه وقال يا بب عبد الصليب هذا المقتول صديق وحط يده على سيفه وهجم على عبد الصليب يريد يقتله فهرب من قدامه فأخذ الرأس وعاد أخذ الجثة ودفنهم فى مغارة وقعد يبكى على المقدم إسماعيل يقول لا بد لى من قتل نفسى فى ناره ولكن بعد ما أقتل عبد الصليب الذى كان سبب هذه الرزية فهذا ما كان منه وأما ما كان من السلطان فانه فى ليلة من الليالى رأى فى منامه المقدم إسماعيل وقال ياملك الاسلام أنا قتلت غلطا والذى قتلنى غادر عايق من الروم ولكن ما يؤلم أنى أنا أخذت البنت وكان فى ذلك معذور وأما فاطمة بنت القبطان فانها فى قلعة كوتيه عند البب عبد الصليب وكان هذا المنام رآه جميع الأمراء والفداوية ولما أصبح الصباح صاروا يتحدثوا مع بعضهم بما رأوا فقال السلطان الوزير أنا رأيت المقدم إسماعيل فى المنام وقال لى كذا وكذا فقال الوزير يامولانا أنا رأيت مثلك فقال إبراهيم ياملك الدولة أنا رأيت منام وهو أن المقدم إسماعيل قتل غلطا والذى قتله غادر وذكر أنه فاطمة بنت البطرى عند البب عبد الصليب وما هى من المروءة ترك ثار رجل شريف عند النصارى وبنت القبطان فقال سعد والاسم الأعظم أنا رأيت هذا المنام وقال عيسى الجاهرى ونصر الدين الطيار كذا رأينا ذلك وهاج الديوان وماج فقال السلطان خذوا أهبتكم إلى السفر الى قلعة كوتيه ونصب العرضى وبات تلك الليلة وعند الصباح كتب كتاب وسلمه للمقدم ابراهيم فاخذه وسار الى القلعة ودخلها بقلب ملآن تقوى وإيمان حتى وصل قدام الملك عبد الصليب وقال له قوم على حيلك خذ كتاب ملك الدولة فقام أخذ الكتاب وقرأه فوجده من حضرة الملك الظاهر الى بين أيادى الكلب عبد الصليب كيف تعديت وسرقت بنت قبطان الاسلام وتجاسرت على قتل رجل شريف لحال وصول كتابى اليك ان أردت السلامة تاتى عارى الرأس حافى القدم ومفاتيح قلعتك فى رقبتك حتى أقتص منك ما يجب وتقدم أعذارك الذى قتلت بها الفداوى وأسبابها فان كان لك عمر باقى فى الدنيا أحاسبك على كلفة الركبة بعدما أقتص منك أما بدنك والأودية المقتول ان كان لك عذر مقبول وأجعل عليك الخراج سنويا فان فعلت ذلك لا باس وان خالفت اعلم أن دمك مهدور وسوف ترى ما يجرى عليك من الأمور والسيف أصدق والسلام على من اتبع الهدى فلما قرأ المأمون الكتاب التفت الى المقدم ابراهيم وقال له هذا الكلام ماعرفت معناه فقال ابراهيم لا تسألنى عن شىء أنت قرأت الكتاب هاته وهات ضد الجواب وحق الطريق فناوله الكتاب والتفت الى جلسائه وقال لهم أنا مرادى حرب بين المسلمين فقال له افعل ما تريد

فكتب ضد الجواب بالحرب وأعطى المقدم إبراهيم ألف دينار حق طريقه وعاد إبراهيم وسلم الكتاب وضد الجواب إلى السلطان فلما قرأه مزقه وأمر بدق طبول الحرب ولما أصبح الصباح فتحت أبواب القلعة وخرج عبد الصليب ورتب عسكره وأمرهم بالقتال فخرج فارس من النصارى صال وجال وطلب البراز فأراد الأمير أيدمر أن يبرز اليه وإذا بخيال أقبل من البر وانطبق عليه وضربه بالحسام على وريده أرمى رأسه من على كتفيه وقال فى ضربته الله ياثار المقدم اسماعيل الفارس النبيل فلما سمعه السلطان تعجب وقال من هذا يا إبراهيم فقال له أنا ما اعرف هذا الرجل إلا هذا الوقت ثم نزل بطريق ثانى قتله وثالث جندله ولا زال يقاتل إلى ان جن الليل وهو يقول ثارات المقدم إسماعيل .

ولما دقت طبول الانفصال سار ذلك الفارس الى قدام صيوان السلطان ونزل من على ظهر الحصان وتقدم ويديه خلف ظهره وبكى وقال يا أمير المؤمنين أنا غادر الذى قتلت المقدم اسماعيل وأنا أقول على يديك أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلنى يا ملك الاسلام لأجل يبقى دمى معادل دم المقتول لأنى قتلته وانا نصرانى واموت عوضه وانا مسلم فقال السلطان كيف كان قتله فاحكى له ما جرى من اوله الى آخره فقال له السلطان مابقى يجب قتلك فانك ماقتلته متعمدا وثانيا لما اسلمت بقى يلزم العفو عنك وانما يجب عليك الجهاد حتى يمحى بياض فعلك قبيح السواد ثم ان السلطان امر له بخمسة جنايب من احسن الخيل واعطاه صيوان وعشرة مماليك وقال له ماتروح معى الى مصر اجعلك امير من الأمراء واكتب اسمك فى دفتر المجاهدين وبصير عز وتمكين ففرح غادر ونزل فى الصيوان وخدموه الغلمان وصار له قدر وشان ولما اصبح الصباح نزل الى الميدان وجود الضرب والطعان واقام على ذلك الحال مدة خمسة ايام حتى وقع بالكافر الأهوال وضاق صدر عبد الصليب وزاد به الضجر والملال فبينما هو على ذلك الحال وإذا ببطريق دخل عليه وهو مسرور فرحان وقال ابشر يا ملك بقدوم عالم ملة الروم البرنكى جوان فقام اليه والتقاه وفرح به وشكى اليه حاله والذى جرى وما ناله فقال له وغادر الآن أسلم قال نعم وهو الذى كل يوم ينزل إلى الميدان ويقتل عباد الصلبان فقال جوان قوم بنا يا برتقش فأخذ البرتقش وسار بالليل وهو على صفة شيخ من أهل الطرايق وله قلب شقى غضب عليه الملك الخالق حتى وصل إلى صيوان غادر ودخل عليه فقام له وقبل يديه وأجلسه بجنبه فسار يفتح له أبواب البهتان والضلال حتى انقلب غادر عن الحق ومال إلى طريق الباطل والمحال فلما رآه الملعون انقلب عرفه بنفسه فأوعده أن يكون مع عبد الصليب على المسلمين فما خرج الملعون من عنده حتى أسقاه الخمر وأطعمه لحم

الخنزير وأعلمه على مكايد يبلغ بها غرضه فى هلاك المسلمين ثم تودع منه وعاد إلى الملك الصليب وأعلمه بما رتب من الترتيب وبقى غادر منتظر الصباح فرقد وجعل نفسه ضعيف وأوصى خدامه لا يدخل عليه أحد حتى يطيب ولما وقع الحرب نزل الأمير أيدمر وقاتل ذلك اليوم ولما أقبل الليل قام غادر وسرق أيدمر وسلمه إلى الكفار حبسوه وثانى يوم ذهب له السلطان وطل عليه ولما خرج من عند السلطان نزل إلى الميدان على صفة بطريق وأسر علاء الدين وبشتك وسنقر وصبر إلى الليل وسرق المقدم إبراهيم لأنه حرج يزيل ضرورة فالقى عليه البنج بنجه وقلعه ثيابه وعاد إلى باقى السعاة وهم سعد ونصر الدين وعيسى الجاهرى وقال لهم كلوا إبراهيم فتبعوه فأرمى عليهم دخنة بنج بنجهم وسلمهم إلى جوان ولما انتبه السلطان ونده على السعاة فلم يجدهم فتولى الحرس بنفسه إلى الصباح وضربت طبول الحرب وبرز الملعون غادر وهو فى زى الكفار وطلب الحرب والقتال وإذا قد أقبل من البرخيال وانقض عليه وضربه بالشاكرية على وريديه أرمى رأسه من بين كتفيه ونزل فك طرف الزلط وغطسه فى الدماء ونادى بأعلى صوته اشهدوا يا رجال ويا مقادم بنو إسماعيل أنا المقدم درب ابن المقدم إسماعيل وهذا غادر الكافر الفاجر قاتل أبى وها أنا قتلته وبلغت فيه مرادى ثم انه اخذ الرأس وسار على قدميه حتى وقف قدام السلطان وقبل الأرض وقال يا ملك الاسلام هذا غادر قاتل أبى فقال السلطان غادر اسلم وهو الآن ضعيف وأنا رأيته فى خيمته فقال له المقدم درب إذا كان غادر ثبت عندك مسلم يكون أبى كذب ولكن أنا أعلم أن أبى صادق فقال له أبوك مات ومن الذى أعلمك بقتاله فقال يا ملك الاسلام أنا كنت نائم فوقف على رأسى وقال لى قوم يا ولدى الحق هذا الملعون غادر فان جوان غره الكفر بعد الايمان وجعل نفسه مريض حتى نظره السلطان وسرق السعاة الأربعة وسلمهم لجوان فأدركه يا ولدى قبل ما يكثر شره واقتله وخذ ثارى منه فنزلت من منزلى وركبت حجرتى وأتيت لى الميدان وقتلت هذا الشيطان فقال الملك روحوا إلى خيمة غادر وانظروه فراحوا اليه فلم يجدوه واعلموهم الخدام انه يطلع بالليل ويرقد بالنهار والبارحة طلع ماعاد فثبت الأمر عند السلطان .

فقال المقدم درب يا ملك الاسلام انا ابى امرنى بقتل غادر واطلع شيحة وافتح هذه البلاد فقال السلطان دونك وما تريد فصبر الفداوى إلى الليل وقام دخل إلى عرضى الكفار وتجسر حتى وقف قدام عبد الصليب ولما نظره جوان عرفه فقال له تعال ياغدار أنت من اين قال له فداوى من الكرستيان وعابر طريق فرأيت هذه الوقعة فأتيت انكتب فى الديوان واجاهد مع الكرستيان فقال جوان مرحبا بك وقال

الى عبد الصليب أعطيه الف دينار واجعله باشة البطارقة فاعطاه ما أمر به جوان وأمر له باحضار الطعام فقال له جوان كل معنا لاجل يسبق بيننا الوداد فتقدم ليأكل وكان الطعام الذى قدامه مبنج فلما أكل رقد فرضه فى الحديد وفيقه فلما أفاق قال له جوان من ابن قال انا المقدم اسماعيل وأى شىء يطلع بيدك يافرنان والحاج شيحة وأنا موجود فاغتاظ جوان وقال احبسوه فنزلوا به الى السجن وكان السجان هو شيحة فعرفه جوان وصار يتجسس عليه حتى هود الليل وكان المقدم شيحة دخل البلاد ليفك ابراهيم وسعد وأولادهم وكان جوان لما عرفه حضر له جماعة من الكفار قبضوه وقال له أنت عملت سجان فاتم جوان كلامه الا وتدخينة بنج أخذت الجميع وكان الذى أطلق البنج محمد السابق وتقدم فك أبوه وابراهيم وسعد ومن معهم والمقدم درب واما تريد فانه ذبح عبد الصليب وملك القصر الذى فيه البطرنية وحفظ عليه حتى ان السلطان ملك البلاد وكان المقدم درب دحل قدام السلطان وصار يضرب ضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات فما أصبح الصباح الا والسلطان جالس على تخت البلاد وأقام خمسة أيام فتقدم المقدم درب الى السلطان وقال يا مولانا قلعة الناصرة متاع المأمون غادر الذى قتل أبى وهرب فى بيته منا فقال له المقدم جمال الدين انا أروح معك وخلى الملك هنا فأخذ شيحة أولاد اسماعيل وسار بهم الى قلعة الناصرة وأرسل أولاده ذبحوا البوابين وقعدوا عوضهم ولما جن الليل أقبلت المقادم ففتحوا لهم الابواب ودخلوا الرجال ووضعوا السيف فى الكفار فاطلع النهار حتى طلبوا الامان فقال المقدم درب لا أمان الا بالاسلام فاسلموا الذى تبقوا ونهبوا جميع أموالها وعادوا الى كونية فأمر السلطان عز الدين الحلبى ان ينتخب اثنين أكراد من طرفه يكونوا صالحين وأحد يوليه باشة على كونية كامل بن أيوب وعلى الناصرة سيف الدين بن كامل ولما انقضت الاشغال رحل السلطان بعسكره حتى وصل الى التكية فطلع البطرنى والتقاه وبالسلامة هناه ثم هنأ بابنته ففرح بانفاذها من يد الكفار فقال السلطان يا أبو بكر اعلم ان المقدم درب بن اسماعيل تعب على ابنتك تعب شديد حتى ان أبوه قتل بسببها وأنا قصدى ازوجها له فقال البطرنى سمعا وطاعة فعمل السلطان الفرح سبعة أيام وفى الليلة الثامنة دخل المقدم درب على فاطمة البطرنية وتملى بحسنها وجمالها وأقام الملك بعد عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر طلب السفر وركب المقدم درب مع السلطان وساروا الى مصر وكانت فاطمة حملت الفداوى ولما وصل السلطان الى مصر انعقد له الموكب كالعادة حتى وصل الى ديوان قلعة الجبل وأقام فى ديوانه يتعاطى الاحكام تقع لهم كلام وأعجب ان فى هذه الايام ظهر فدارى

من بنى الادرع يقال له دراج الاصم وكان غائب فى بلاد الروم نحو اربعين سنة ولما كثرا ماله وشكت رجاله من الغربة فماد القلاع وهو يزعم انه ماق الدنيا احد مثله ولما وصل الى القلعة واجتمع رجاله سألهم عن السلطنة فاخبروه عن الملك الظاهر وشيحة فقال أنا ما أرضى ان يكونوا هؤلاء سلاطين وانا موجود فى الدنيا كيف يكون واحد مملوك وواحد بدوى مملوك وأنا أكون من اتباعهم هذا أمر ما يرضى به الا من لا له عقل فركب حجرته وسار الى مصر وهو يزعم فى نفسه انه ماله مقاوم فى ذلك الزمان فلما اتى الى القلعة وقف يتفرج على الامراء والفداوية ونظر الملك جالس فى الديوان الى آخر النهار وكان أول من نزل من الديوان علائى الدين فأراد الفداوى ان يتبعه فرأى الامراء بعده نازلين واحد بعد واحد وهم بالخدام والحشم فقال الفداوى أى شىء هذه الذوات الا ما أعلم ان أحدا يتجمل بالملابس الا النساء وبات تلك الليلة فى مغائر الزغلية الى ان أصبح الصباح وقف فى الرملية واذا بالامير يدمر مر عليه فصاح فيه وضربه بالشاكرية على صدره صفحا تمتمه وارد ان يثنى عليه واذا بقلاوون الالفى قد أقبل وبعده أحمد بن أيبك وخليل بن قلاوون فهاج الفداوى فيهم كما يهيج فحول الجمال ولما تكاثروا عليه تأخر ربن وراء حتى ملك باب الوزير وطلع منه الى الخلا وكانت الفداوية نزلت من القلعة فلما رآهم قال يا بنو اسماعيل والاسم الاعظم كل من تعدى منكم اضرب رقبته والا حاربتكم ولا الكم على ثار فعادت الرجال وأعلموا الملك الظاهر فقال لهم ابراهيم خفتم من كلامه وعدتم عنه فقال السلطان انزل هاته يا ابراهيم فنزل ابراهيم وسعد وطلعوا من باب الوزير فنظروا الفداوى قاعد وواضع شاكريته على فخذه فقال له ابراهيم يا مقدم دراج قوم كلم الملك الظاهر فقال له روح يا حورانى لحالك هو انا خديم الظاهر يا قرنان فقال ابراهيم ها أنا جيتك وانطبق عليه وتقاتل معه الى عصرية النهار وكان الفداوى كلما زاوغ ابراهيم يعارضه سعد وكلما اشتغل بسعد اوعد ابراهيم فبينما هم كذلك واذا السلطان اقبل وكان قد بلغه الخبر انما هو الاثنين يتقاتلوا مع واحد صار موضع العوقانية على الكرسى ونزل من باب الجبل واوصى ارباب الدولة لا احد يتحرك من مكانه وسار حتى لحق ابراهيم وصرخ على الفداوى به بالليل فى جدور رقبته صفحا فوقع الفداوى الى الارض فقال السلطان كتفه يا ابراهيم هاته الى الديوان وعاد السلطان الى محله وجلس مكانه وكان النهار فرغ

فلما وصل ابراهيم وجد الملك طالع الى الحريم فوضع الفداوى فى السجن وطلع ابراهيم وسعد الى مخفر بيت السلطان ولما أصبح الصباح جلس الملك فى الديوان وطلب

الفداوي وإذا بالسجان طالع يقول ان الفداوى الذى كان عندى كسر الحديد وهرب فاغتاظ الملك وقال يا إبراهيم أنا قلت لك احتفظ عليه فقال يا ملك اوضعه فى جيب إذا كان فى سجن السلطان هرب كيف يكون الحفظ غير هذا كنت اوضعه فى وكاله فقال السلطان ياخائن هو هرب من غير علمك فقال إبراهيم والاسم الأعظم ما أعلم متى هرب فبينما كذلك وإذا بشيحة أقبل وسمع العبارة فقال يا ملك الاسلام ارتاح وأنا اجيبه من اينما كان ولا اعود لك الا به ان شاء الله الرحيم الرحمن ونزل المقدم شيحة قاصد جرت دراج الاصم وطلع إلى الخلاء وبص الجره حتى قرب من قلعة عزه فرأى الفداوى سائرا قاصد بلاده فسبقه إلى غابة يعلم انه مايصل اليها الا عند المساء فدق حيلته ووقف مثل الصياد حتى وصل الفداوى وكان المقدم شيحة على صفة حرمة نصرانية وعلى كتفها طفل صغير فلما رآها الفداوى قال لها يابنت هل هنا مكان يأوى الضيف قالت له على الرحب والكرامة انزل ومدت يدها إلى جنبها وأخرجت له قدح ملان من لبن الغنم وقالت خذ هذا تبرد به حتى اصلح لك العشاء فاخذ القدح شربه فرح وانقلب فقام وشده على حجرته بالارض وعاد به يقطع البرارى والقفار حتى وصل إلى مصر وقدمه قدام السلطان وفيقه فلما أفاق ورأى نفسه على ذلك الحال فقال ياظاهر أى شىء هذه الأفعال ياقرنان هذا من عجزكم على ما فيكم مقدرة للحرب ولا فيكم مروءة للكرم اولا تجمعتم على اثنين مقادم والظاهر حتى قبضتمونى وأنا تعبان لو كان عندكم انصاف وبارزنى أحد منكم كنت صبحته كامس مضى كانه ما كان ولما كسرت الحديد جانى هذا المعرص على صفة حرمة مع انى لو كنت اردت منكه كنت حشكته وبهذا تفتخر وتقول أنا اقبض الرجال تعس الزمان الذى فيه واحد مثلك حاوى يقول انا سلطان

فقال شيحة وهذا كله من اجل انك لاتدخل فى دين الاسلام وتعطينى وتكون من جملة رجالى ومن السلطان فان فعلت ذلك كان لك مالنا وعليك ماعلينا وان لم ترضى بذلك أنا اسلخك مثل ما سلخت غيرك والسلام فقال دراج ياقرنان تسلخنى هو أنا خروف والاعنزه وما تعلم ان خالى المقدم عاصى سلطان بنو الادرع وهو ابن عمى فلما سمع شيحة هذا الكلام قال له يامقدم دراج اعلم ان المقدم عاصى الذى تذكره فما يقبل منك سؤال الا إذا كان كنت طائع وأنا والاسم الاعظم لابد ان ابقيك حتى اكاتب المقدم عاصى اذا كان ينصرك على أخاصمكم الاثنين [قال الراوى] ثم كتب المقدم جمال الدين كتاب وقال للساقى خذ هذا الكتاب وسير به إلى المقدم عاصى وهات منه ضد الجواب فأخذ الكتاب وسار حتى وصل إلى المقدم عاصى

وناوله الكتاب ففضه وقراه وإذا فيه من حضرة المقدم جمال الدين إلى بين أيادى المقدم عاصى اعلم أن دراج الأصم ظهر وقبضت عليه وأعرضت عليه الطاعة فلم يطيع وفى الآخر قال ابن عمى عاصى يعاونى على العصيان فأبقيت عليه بالسلخ أرسلت لك هذا الكتاب فان كنت كما قال عنك ابن عمك تعاونه على العصيان عرفنى حتى أكون على بصيرة وان كنت مقيم على ما أنت عليه ولا تتعرض لابن عمك إلا إذا أطاع عرفنا أيضا حتى نعلمه لعل الله أن يمحى شقاوته والسلام فلما قرأ ناوله السابق وكتب له عن الجواب يقول فيه أنا متعلق بنفسى وأما ابن عمى الذى تقول عنه فما رأيته ولا رآنى وأيضا ولو كان أخى أو ابنى أو انا بنفسى كل من عصى عليك اسلخه وانا ما تدخلنى فى هذه السيرة ولا أتكفل إلا بنفسى فقط فأخذ السابق الكتاب وطلع من باب القلعة وإذا بخيال مقبل من البر راكب على حجرة كانها النمرى والفارس على ظهرها كأنه البرج المشيد وهو حامل صيده من غزلان وأرانب وقابض بيده شبل يمنى أسد صغير وهو يعافر على خلاصه فصاح فى الطابق وقال له أنت من أين يا صبى فقال نجاب من عند المقدم جمال الدين أتيت بكتاب وأخذت ضد الجواب فقال له سلم على ملك القلاع وقل له زهرة أخت اخت المقدم عاصى تقبل اياديك فقال يصل السلام فبينما هى تكلمه والشبل يعافر حتى تعلق بكلاليب البرقع فانكشف وجهها فبان لها وجه كأنه الهلال الكامل وجبينها كالشمس فى برج الحمل وعيون تصيب القلوب بسهام أينما حل قتل وعنق كعنق الغزال فحار السابق منها واندهش وغرق فى بحر السهى فعلمت البنت منه ذلك فتركته وصارت إلى حال سبيلها وأما السابق فانه صار حتى وصل حلب وهو فى أشد الكرب فطلع إلى الباشة وقال له خذ هذا الكتاب وارسله إلى مصر فانى لم أقدر أتنقل ولا خطرة واحدة وقل له يرسل يأخذنى فانى هالك لا محالة فكتب باشة حلب كتاب إلى المقدم شيحة يقول فيه ان يوم تاريخ الكتاب حضر عندنا محمد السابق ومعه كتاب وأمرنا بارساله لكم مع نجاب من طرفنا وهو قادم لكم على جرابنا هذا وأما السابق فهو عندنا ولكن وأمرنا أن نعلمك عرضه لعلكم تدركوه والسلام فلما قرأ المقدم جمال الدين الكتاب ماهان عليه ولده ولا افتكر فى دراج الاصم لاف عاصى بل انه اشتغل بولده وترك كل شىء من باله وسار إلى حلب ودخل على الباشه وساله عن ولده فقال له هو عندى وفى سرايتى فطلع اليه المقدم جمال الدين فوجده نائم على ظهره وهو تائه فى الهوى لانه ابتلى بداء لم يجد له دواء فقال له شيحة ياسابق وأراد أن يمتحنه بالكلام فقال له :

أصبحت فى شرك الهوى جسمى نحيل وأنت كيفما

فلما سمعه السابق قال له حالى كحالك بالسوى

فلما سمع شيحة هذا البيت قال له ياسابق لو تقول لى على التى تولع قلبك بها لا بد أن أدخلك عليها ولو كان دونها الالاف مهجتى دق له واقه ياأبى أنا ماأبلاني بهذه البلوة إلا أخت المقدم عاصى سلطان بنو الادرع وأنا ياأبى فى عرضك فقال له لولا الملك عيان لكنت ارسالك تخطبها منه فقال له انا طيب بس ارسلنى اخطبها على لسانى لعل الله يبلغنى المقصود لأن ياأبى إذا طال على الحال فانا مفقود لا محالة فكتب المقدم شيحة كتابا إلى المقدم عاصى يقول فيه اعلم يا أخى أن ولدى محمد السابق اشتهى على أن يكون نسيبك وساىٔلنى عليك انك تزوجه اختك زهرة وأنا مع أملى فى صدق محبتك ضمنت له ذلك وأرسلته اليك خاطب لنفسه وأرجو منك يا خوند أن تقول واجب واطلب كلما تريد من المال والذهب ولا تخيب قصدى فيك والسلام

ثم طوى الكتاب وناوله إلى السابق فاخذه وسار حتى وصل الى المقدم وسلم له الكتاب فلما قرأه التفت الى السابق وقال له وصلت وأختى جارية الملك لأجل صدق ابوك ثم كتب له هذا الجواب بالاجابة وناوله له فاخذه وطلع من القلعة فرحان فالتقته المقدمة زهرة وقالت له انت من أين جئت ياصبى فمن محبته اليها وراها الكتاب فاخذته وقرأته فاغتاظت وقطعته وحطت يدها على الشاكرية ففز السابق من قدامها وطلب الهرب حتى وصل الى المقدم عاصى وحكى له فقال له لا يصعب عليك فماها أنا احكم عليها ولايتجوزها غيرك وبات عندى تلك الليلة فنزلت البنت وبنجت الاثنين ووضعتهم فى الحديد وأرسلت كبخية من طرفها إلى مصر وأمرته أن يخلص دراج الأصم فخلصه وأتى به اليها فاجلسته على القلعة فصار يركب وينهب أموال التجار وكان المقدم شيحة رجع الى مصر وحكى الى السلطان على السابق فقال السلطان لابد نعمل فرح السابق سلخ دراج الاصم فقال له دراج هرب وأنا مرادى ياملك أن تركب الى الحصن الازرق حتى تفصل هذه الدعوة فجهز السلطان الركبة وسار الى الشام فدخل عليه تاجر وقال يا مولانا السلطان دراج الاصم نهب مالى ومال التجار فقال له السلطان هاأنا رايح اليه سير معى اتاخذ مالك فسار السلطان حتى وصل الى الحصن الازرق ودخل المقدم جمال الدين الحصن واندك على دراج بنجه وحمله ونزل به الى القصر وإذا بزهرة صاحت عليه فرمى الجدان وهرب فاخذت الجدان وفتحته فوجدت فيه دراج الاصم ففيقته وقالت له اصحى على نفسك يا مقدم وطلعت الى محل مبيتها فرمى عليها المقدم جمال الدين فبنجها وكتفها وأراد أن ينجرها فقالت له انت شيحة قال لها نعم يافاجرة قالت ياحاج شيحة والاسم الاعظم أنا أتوب على يديك

وأتزوج بولدك ولم بقيت أعصيك أبدا وفى هذه الليلة أبلغك المقصود فقال لها شيحة ها أنا أطلقك وإن خالفت انا أعرف شغلى ثم إنه تركها وراح فقامت وأطلقت المقدم عاصى وهدد السابق وقالت له ياأخى أنت وكيلى واريد أن اتزوج بابن شيحة فلما أصبح الصباح طلع المقدم عاصى والسابق إلى السلطان وسلم عليه وإذا بالمقدم شيحة أقبل بدراج وأراد أن يسلخه فأسلم وطلع وكتب اسمه على شوا كره وبعد ذلك عقدوا عقد البنت على السابق وعملوا الأفراح سبعة أيام وفى الليلة الثامنة دخل عليها ليزيل بكارتها وإذا بدخنة بنج ارقدت الاثنين وكان طالق الدخنة دراج الأصم ثم نزل رفيق البنت وقال لها طلقيه قالت له ما بقى ينفع ذلك فذبحها واخذ السابق وكتب تذكرة يقول فيها ما فعل ذلك الا دراج الأصم واخذت السابق اريد ذبحه فى قلعتى ثم انصرف .

[قال الراوى] ولما كان ذات يوم من الأيام دخلت ام زهرة الى مكان الخلو فوجدت بنتها مذبوحة ولم تجد للسابق خبر فظنت ان السابق ذبح بنتها وهرب فرعقت بصوتها وكان لها صوت جهورى فأقبل المقدم عاصى وقال لها ايش الخبر فقالت له انى رايت ابنتى مذبوحة وهذا فعل السابق الذى يدعى انه يحبها عاشق وما كان قوله الا محال حتى ذبحها وفعل هذه الفعال ولما دخل المقدم عاصى ونظر الى الورقة التى كتبها دراج الأصم فقال لوالدته يا لبوة السابق ما يفعل هذه الفعال ببنتك وهو مقدام ولم يهون عليه مع مروءته ان يذبح زوجته وانما هذه فعال الذى يدعى بابن العم وهو المقدم دراج الأصم وهذه العبارة انا والله ما اخلى دمنا يروح هدر ولا بد ما اعلم الملك الملك الظاهر وشيحة ثم انه وضع البنت فى تابوت ونزل الى الملك الظاهر وقبل الأرض وقال له يا ملك الاسلام انا طائع شيحة ما انا عاصى عليه وطول عمرى لا احد تعدى على ولا تجاسر على احد الا عبد تقرب من الحاج شيحة ويا ليت الذى تجاسر علينا قتل رجالنا الا قتل بنت ذات ضلع اعوج ولسان ملجلج وهذه فعلة ابن عمنا لما بقى جمال الدين سهرنا فقال المقدم جمال الدين يا مقدم عاصى والاسم الأعظم ما تدفن زوجة ولدى الا بعد ان اسلخ الذى ذبحها والتفت السلطان وقال له حصلنى بذلك على قلعة دراج الأصم ونزل شيحة يقع له كلام .

[قال الراوى] واما دراج لما وصل الى القلعة قدم السابق وقال له انت ابن شيحة لا بد لى ما اشويك على النار وآكل من لحمك حتى اطفى ما بقلبى من النار ثم انه شبحه وارادت رجاله ان يضرموا له النار واذا بغبار انعقد وبان من تحته عساكر الاسلام يقدمها الملك الظاهر وبيرق المظالل بالغمام فلما نظر دراج الاصم الى ذلك الحال زادت به الفجعة

وقفل باب القلعة وحبس السابق ودخل على أمه وقال لها يا لبوة اعلمى أنه قد جا الظاهر يحاربى وأنا ليس خائف منه وإنما خائف من شيحة يسرقنى فى الليل ومرادى أبات عندك هذه الليلة وإذا طلع النهار أتولى حربهم وأقتلهم وأهلكهم وأنفيهم .

فقالت له ادخل يا ولدى نام واستريح وإن كنت تريد الأكل ما هو عندك غزال مشوى كل واشبع منه ونام فرفع الغطاء فرأى غزالا مشويا رائحته مثل المسك الأذفر فأخذ منه قطعة وفتح حنكه مثل شاشية وحذف اللحمة فيه فما قدر أن يأكلها حتى رقد فى محله لأن شيحة لما دخل القلعة قبضها وبقى مكانها حتى قدم دراج وفعل ما فعل وكتفه وأخذه ونزل به أطلق السابق وكتب كتابا وعلقه على باب القاعة التى كان فيها دراج يقول لى اتباع دراج الأصم اعلموا أنى قبضت على دراج وفى هذا الوقت يكون سلخه قدام الملك الظاهر وأنتم فى القلعة متاعة وهى للسلطان وإن دخل السلطان ولقينا عدم مثاله قل شىء سلختكم جميعا مثله ونزل من القلعة ودراج الأصم معه فوصل به إلى قدام السلطان وفيقه وقال له يا دراج إيش ذنب البنت التى ذبحتها .

فقال له نعم ذبحتها ولا يأخذها ابنك السابق فقال شيحة وأنت أيضا سلخك خير من حياتك وغير المقدم جمال الدين ولبس جلدة السلاخ وركب على أكتافه كمثل من قال

رأيت على صخرة عقربا وقد جعلت ذيلها دندنا
فقلت أيا عقرب قصرى فطبعك من طبعها ألينا
فقالت صحيح ولكننى أريد أعرفها من أنا

[قال الراوى] وركب شيحة على أكتافه وطرق الكشافية على المسحق فنزل منها شرار النار وشق جلده أسد من جبهته إلى قفاه وصار إلى ظهره وأفخاذه وباقى حشه حتى كرم الجلاد على سرته وقطع السره خرجت روحه والتفت إلى السابق وقال له ادبغ جلده وأتقله فدبغه وثقله وكتب عليه هذا جزاء من يطارع الشيطان ويعصى الله والسلطان وعلقه على باب القلعة وقال المقدم عاصى خذ العصى عما فيه فى ذمة أختك قوم ادخله والذى يعارضك يكون دمه مهدور فدخل الفداوى فسلم قلعة دراج الأصم . احتوى عليها وشيحة أخذ ابنه وودع السلطان وراح إلى حال سبيله والسلطان توجه إلى مصر وانعقد الموكب وطلع إلى قلعة الجبل وأقام يتعاطى الأحكام مدة أيام .

[قال الراوى] فلما كان يوم من الأيام ضاق صدر السلطان فقام ووضع الفوقانية على الكرسى وسار إلى قاعة التبديل فتبعه ابراهيم وسعد فغير السلطان لبسه بصفته شيخ تكية وابراهيم وسعد بصفة دراويش ونزلوا على البلد فى ذلك التبديل إلى

الدرب الاحمر وجد قصر منصوب من الرخام وفيه عجائب لانه على أربعين عامود من المرمر وحيطانه من أنواع الرخام يكل عنها الواصف فوقف الملك يتفرج إذا بغلام طلع وقال له يادرويش تفضل عندنا وجابرنا وكل من زادنا فقال الملك قل له رفقائي يكونوا معى فقال على الرحب والسعة والكرامة والرضى تفضلوا فدخل السلطان وإبراهيم وسعد فنظروا فى ذلك القصر فرأوا القصر اسرته من العاج الهندى مصفحة بصفائح الذهب والفضة وأوانى من الذهب والفضة فقدم لهم الطعام ووقف فى خدمتهم حتى أكلوا الزاد وبعده قدم لهم شربات مفتخرة وبعدما اكتفوا طلع السلطان إلى الديوان وهو مشغول بهذا القصر والغلام

[قال الراوى] فقال السلطان يا إبراهيم احضر لى صاحب القصر الذى عزمنى فقال سمعا وطاعة ونزل المقدم إبراهيم وأحضر الغلام بين أيادى السلطان فأمره أن يجلس فلما جلس قال السلطان من أى البلاد فقال من مصر ياسيدى فقال له وهذا القصر الذى أنت بانيه وهذه المضيفة عاملها على قبول الافتخار أو على قبول الصدقة أو تصدك تضاهى الملوك وتتخلق باخلاقهم فان هذا القصر لايكون إلا للملوك فقال الغلام ياملك الاسلام أنا قصدى أن أنال الوصال بين يديك فانى مظلوم ولا أقدر أن أصل اليك حتى أشكى ظلومتى فتسببت بهذه الاسباب ولولا ذلك ماقدمت بين يديك ولا كنت تعلم بى انت ولا دولتك فقال الملك أخبرنى عن ظلومتك حتى أعلمها فقال يا ملك الاسلام أنا أصل أبى كان خواجة بالشام وله أخذ وعطا مع التجار ولما توفى أبى خلف لى أموالا كثيرة فأخذت فى كار التجارة مدة أيام وأنا أشترى متاجر من الشام وأبيع فى مصر واشترى من مصر وأبيع فى الشام مدة أيام حتى كثر مالى أضعاف ماخلف لى أبى وآخر ماانأسرت فى بلاد النصارى وبقيت أسير وانتهب مالى وساء حالى فباعونى الذين اسرونى إلى البب عبد الصليب ملك مدينة التكنا فاشترانى بعشرة دنانير وأعطانى لبنته أخدمها فاقمت عندها مدة إلى أن ضعفت وأنا متولى خدمتها فقال لى أبوها إنه طالبت بنتى اعتقك واكتب لك عتاقك وأرسلك بلادك فشفاها الله سبحانه وتعالى فأعطانى ورقة عتق كما قال وأعطانى الف ذهب وبنته أعطتنى الفين ذهب وسرت فى أمان حتى وصلت بلاد الاسلام واقمت فى أرض الشام وتعاطيت التجارة من غير سفر وأنا أبيع واشترى إلى يوم تذكرت فيه تلك البنت وأنا متعلق بمحبتها فبنيت سراية مثل سرايتها وبقيت ادخل السراية وانتظر أن أرى محبوبتى فلم أرها فيضيق صدرى وأقمت كذلك مدة أيام فلما كان يوم من الايام كنت مقيما فرأيت واحدا مغربى بامرجى ومعه جارية فنظرت

اليها وتأملت فى وجهها فاذا هى بنت الملك التى كنت أخدم عندها فى مدينة التكتكا واسمها نور المسيح فقلت له كم ثمنها فقال لى خمسمائة دينار فأعطيته الثمن وأعطيته خمسين دينار النفسه دلالتها وأخذتها إلى القصر الذى بنيته على اسمك ففرحت بى وقالت لى ياحسن اعلم ان مدينة أبى اخربها العدو بالحرب والقتال وأنا أخذنى العدو سبيا ولم اعلم أبى أحى أم ميت وكذلك امى وباقى أهلى وها أنا بقيت كما ترانى فقلت لها لابأس عليك واعلمى انى لما اعتقنى أبوكى وأعطانى الف ذهب وأنت اعطيتنى الفين ذهب وأتيت إلى بلد الاسلام أخذت فى المتجر هذه المدة حتى كثر مالى وحسن حالى ولو علمت بأبيك لأتيت به اليك وافديه بكل ماأملك من المال نظير مافعل معى من الجميل وأنا ياسيدتى كما تعلمى انى متعلق بهواك ولا أقدر ان اسلا كى تطيبى قلبك فاوقعت إلا عند من يعرف حقك وقمت واشتريت لها ملبوس طيب ولبستها وفرشت لها القصر حكم فرش قصرها فى بلادها وأتيت اليها بكل ماتحتاج اليه حتى طاب قلبها فقالت لى يا سيدى أنا بقيمته جاريتك وأنت كما تقول تحبنى فاجعلنى زوجتك فقلت لها لايجوز ذلك إلا أن تسلمى وأنا على ذلك ما اغصبك ولا أكدر عليك فى شىء وأنت معتوقة وحرة فان كان يهون عليك أن تدخلى فى دين الاسلام أمهرتك بعشرة آلاف دينار وا كتب كتابك برضاك وتكونى لى أهلا وأكون لك بعلا وإن كنت لم ترضى بالاسلام شأنك وماتريدى تقيمى عندى معززه مكرمة حتى تعلمى خبر ابيكى وأرسلك له مع معتمد يوصلك اليه وإن لم أجد من يوصلك أسافر بك أنا وأوصلك إلى أبيك نظير ماسبق لك على من الاحسان فقالت لى وأنا قصدى دخول دين الاسلام وتكون لى بعلا وأكون لك أهلا وإذا علمت بحال أبى فيما بعد فان اسلم كان ذلك مقصودى وإن لم يسلم بخاطره اتبرأ منه فانى راغبة فى دين الاسلام ومثل ماتحبينى أنا أحبك فلما سمعت ذلك أحضرت القاضى واسلمت على يده وعتقتها وامهرتها وعملت لها فرح وتزوجت بها وأقمت معها مدة ايام ودخل على أبوها وهو فى صفة تاجر فاخذته إلى بيتى وعرفته بنفسى واوريته بنته وعرفته انها اسلمت وأنا تزوجت بها

[قال الراوى] فقال لى يا حسن نعم ما فعلت وانا ايضا مال قلبى إلى الاسلام وقصدى ان اقيم عندك فى بلاد الشام فقلت له اهلا وسهلا واقام عندى حتى ارتاح من تعبه واطمأن على قلبه وبنته واسلم اسلام صحيح وبعد ايام قال لى يا ولدى انا قصدى منك ان تطيق بنتى اروح بها إلى بلدى واعلم وزرائى اننى جبت بنتى واجمع اموالى وانيب واحدا على بلدى واعود انا الى بلاد الشام واقيم على دين الاسلام حتى يدركنى الحمام فانى تصالحت مع خصمى واخذته

جلدى ولا بقى لى أخصام ولا أعادى ولا سافرت إلا فى طلب بنتى فاذا عدت وهى معى فيفرحوا الاحباب على فرحى واقيم حتى يأمنوا منى وبعد ذلك أقول لهم على مرادى أروح إلى القدس أظهر مالى وآخذ جميع ما أحتويه وأعود إلى عندك وبنتى معى فأعرضت هذا الكلام على زوجتى فقالت لى يا سيدى اعلم ان أبى صادق فيما قال فلا تخاف على منه فان شاء الله ما يحصل إلا الخير والسلامة فقلت لها وأنا أروح معكم فتجهزت أنا وزوجتى وسرت معه إلى بلده فلما وصل بلده ضربت المدافع لقدومه وشافونى الناس الذين كانوا يعرفونى وفرحوا بملكهم وعمل ولائم وأعطى وأوهب وفرق الفضة والذهب واقمنا ثلاثه أشهر وبعد ذلك أحضر وزيره وجعله قائما على بلاده وقال له أنا قصدى أروح القدس أظهر مالى فقال له افعل ما تريد فجمع أمواله وأمتعته وقماشه وأسلحته وكل ما تحت يده وحمل ذلك على الف بغل وصار من بلده قاصد بلاد الشام والحمارين يسوق الدواب وهو راكب على حصانه وبنته وزوجته فى تخت وأنا معهم حتى قطعنا بلاد الروم ودخلنا بلاد الاسلام قاصدين الشام فقلت له أنا قصدى أسبقك وأسير قدامك وأخلى لك أماكن تنزل فيها مالك ورجالك فقال لى افعل ما تريد فسرت حتى وصلت إلى الشام وأخليت محلات لنزول نسيبى وأمواله وخيله والخيول التى معه وبغاله ووقفت أنتظر قدومه أول يوم وثانى وثالث إلى بعد عشرة أيام وبعده سرت وعاودت إلى السويدية فلم أجد نسيبى ولم أعلم له مستقر فقالوا لى الناس اتبع جرته فالتقيت الجرة فسرت أتبع الجرة حتى وصلت إلى الحصون واختفت الجرة منى ولم أعلم أى الحصون التى دخل نسيبى فيها وسألت من أهل الشام فقالوا لى هذه أفعال مقادم بنى اسماعيل الذين مقيمون بالحصون وأنت ان تكلمت يقتلوك فقلت وإيش يكون العمل فقالوا لى روح إلى مصر واسأل عن ملك الاسلام واشكى حالك له وإلا ملك القلاعين فما أتيت إلى مصر ولم أعرف لى دليل أدخل به على مولانا السلطان ولا لى وصول فبنيت ذلك القصر واقمت كما ترانى تحت الترسل التمس شمول النظر من مولانا الملك حتى أراد الله بتشريف مولانا السلطان لمكانى وأحضرتنى إلى بين يديك وسالتنى وهذه حكايتى والتمس من مولاى كشف حكايتى فقال السلطان وزوجتك ونسيبك الآن لم تعلم خبرهم فقال الشاب لو كنت أعلم خبرهم أعلمتك يا مولانا السلطان

[فقال] السلطان يا بنو اسماعيل كل من جاب خبر زوجة هذا الشاب وأبو زوجته فى أى محل كان له عشرة آلاف دينار قال ابراهيم أنا يا دولتلى لا ذلك إلا منى ولكن

تعطيني اجازة أروح إلى الشام وأكشف الخبر قال السلطان أجزتك اذهب ولا تعود إلا بالخبر اليقين فركب المقدم ابراهيم وسار طالب الجرة والغلام قد أمره السلطان أن لا يقطع رجله من الديوان فقال سمعا وطاعة وأما المقدم ابراهيم سار إلى قلعة حوران وأمر أتباعه على تلك الاخبار وسار ابراهيم حتى دخل الشام وجعل مقامه في الخمامير وهو مختفي يوما هو كذلك واذا قد أقبل اليه شاب ودخل الخمارة وهو منكس الخاطر في شبه الخائف الفزعان فلما رآه امر الخرجي ان يعطيه خراجيبي عليه فاعطاه وبعد ما شرب قال له المقدم ابراهيم تعال يا شاب الى عندي حتى اتحدث معك فاتاه وهو منزعج

فقال له ما بال قلبك مشغول وانت مثل المذهول هل ضاع لك ضائع ام لك عدو وهو اليك تابع او انت مديون او عليك دما لاحد خائف على نفسك قل لي ولا تخاف فقال الشاب يا خواجة لا تسأل انا قصتي عجيبة وان اردت اشكي حالي فلا اجد صاحب مروة يتحمل اثقالي وانت من الرعايا وانا دعوتي لا يفكها الا من صاحب جاه ومقدرة فقال ابراهيم يا شاب ان كنت لا تعرفني انا ابراهيم بن حسن الحوراني صاحب قلعة حوران وساعي ميمنة السلطان فاحكي لي قصتك وان شاء الله تزول عنك غصتك قال الشاب يا خوند لا تؤاخذني لاني جاهل معرفتك وبقيت احكي لك وهو اني انا تبع وابي اتبع من اتباع المقدم جمر الافخر وهو يحكم ابن عم المقدم معروف ابن جمر لكنه فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق والله لما تولى المقدم معروف سلطنة القلاع والحصون وقد اسر سبعة عشر من رؤوس الفلاق وطاعوه جميعا وكان هذا المقدم جمر موجود

فقال يا ابن العم اريد ان اكتب اسمي على سلاحك وتعطيني مثل غيرك فقال له ان اسرتني اطعتك فرضي بذلك الشرط وتقابل معه مدة ستين يوم وبعد الستين يوم قال له المقدم معروف ايا مقدم جمر انت ابن عمي وكون انك تبقى من دون الرجال عاصي علي فهذا امر لا يكون ولو كنت غير ابن عمي كنت عاملتك من باب الجواب والاسراف واترك الانصاف واتسبب لك في الاتلاف وانما انت مخير اما ان تطيعني مع اقرانك من الرجال او تخرج من القلاع والحصون على اي حال كان ولا تقيم في الحصون الا وانت طائع فقال له المقدم جمر انا ما اريد الحصون ولا اقيم فيها فانا اروح بلاد النصارى وقلاعك بارك الله لك فيها واصبح جمع رجاله وانتخب

منهم عشرة آلاف نفر وسار إلى بلاد النصارى وكان فى تلك الايام بلغ عمره ثمانين سنة فاقام فى بلاد النصارى ثلاثة وثلاثين سنة وبعده حكم فصل وطاعون فمات من اتباع ستة آلاف وبقى معه أربعة آلاف فقالوا له ياخوند إيش آخر اقامتنا فى بلاد النصارى وتغيبنا على قلاعنا ما بقينا نعود إلا بلد الاسلام فقال جهزوا أنفسكم حتى تعودوا إلى بلدنا وصار بهم من بلاد الكفرة اللئام حتى وصل إلى بلاد الشام ودخل القلاع وسأل عن معروف فحكوا له أنه مات فى حلب والسلطنة مع شيحة جمال الدين فان أردت ياخوند أن تطيعه أو نأخذ منه السلطنة دونك وإياه فقال أنا معروف ما أطعته كيف أطيع شيحة ولكن لما العب منصب اما أغلب او اغلب وطلع يوما فنظر إلى قفل فيه الف بغل محملة قماش وأموال مختومة فساق الجميع إلى قلعة بشرط أن لا يؤذى أحد فتقدم اليه صاحب القفل وقال له ياخوند أنا كنت ملكا على مدينة فى بلاد الروم وتولعت بدين الاسلام وجمعت مالى وحريمى واتيت اريد المقام فى بلدكم فكيف تاخذنى وتنهبنى وأنا بقيت محسوب من المسلمين وتبرأت من الكافرين فقال له المقدم لا تخاف ولا يصيبك ضرر ولا يعدم من مالك ولا عقال وأنا متكفل باقامتك وعلوفتك حتى يتم لى المنصب فسكت الرجل صاحب القفل وبقى له مدة أيام إلى ان كان يوم من الايام كان ادوفى القلعة وإذا بجارية قالت له ياشيخ انى اريد منك ان تاتينى برمان لسيدتى فانها أمرتنى ان اجيب لها رمان وأنا ما اعرف اجيبه من اين فراح ابى واتى بالرمان وناوله للجارية فكان المقدم جبر مقبل فقال له يا نظار إيش أدخلك حريم مقيمين عندى وتحت جوارى حتى تهارشهم يا كلب فقال ياخوند هى الجارية التى طلبت منى لسيدتها الرمان فقال له وانت بستانى والا مرادك تنجس عرضى ياقرنان ثم انه شنق ابى وطلبنى فلم يجدنى وكنت فى الصيد فلما حضرت أعلمونى أصحابى وقالوا لى ان شانك الخوند يقتلك فهربت وأتيت هنا وانا خائف ان يلحقنى بابى وأتيت الى الشام وانا ما معى شىء انفقه ولا بقيت ادخل القلاع مادام المقدم جبر طالبنى فقال المقدم ابراهيم لا تخف فاجعلك كيخية فى قلعة حوران واعطاه مكتوب الى المقدم حسن الحورانى يقيم عنده فى حوران وعاد ابراهيم من وقته وساعته الى مصر حتى وصل ودخل الى السلطان واحكى له ما سمع فقال السلطان هذا المقدم جبر انا ما اعرفه ولكن على كل حال عرفنا خصمنا فقال ابراهيم هات العشرة آلاف دينار فقال السلطان أولا خذ كتابى وسر إلى المقدم جبر واعطيه له وهات لى رد الجواب منه قال عثمان اكتب يا دولتلى كتابك فكتب السلطان كتاب واعطاه لابراهيم فصار الى حصن الحصون فوجد

المقدم جر وهو قاعد على دكة من الخشب ودائرين به بعض كواخيه
[فقال] إبراهيم قاصد ورسول وما على الرسول إلا البلاغ قال المقدم جر اهلا وسهلا
هيا جيب كتابك وخذرد جوابك فقال إبراهيم انا نقوم على حيلك تأخذ كتاب السلطان
بأدب فقال جر وإن كنت لم اقم قال إبراهيم خدمة الملوك ما فيها ايقاف هنا إذا لم
تقوم يكون احدنا معدوم إما أنا وإلا أنت لانى ما أعطى كتاب السلطان لاحد إلا وهو
واقف وأنت إذا قلت ما أقول على جلالة قدرك فمن هذا الرشد ولكن أظن مثلك
يستقبح العيب إذا كان ما يرفع قدر السلطان [قال الراوى] فقال المقدم جر هات يدك
قومنى فمد إبراهيم يده فى يد المقدم جر وأراد أن يقومه فرآه كشجرة الجوز التى لا تتحرك
من مكانها وجذب المقدم إبراهيم قربه اليه فقال إبراهيم الذى تريده ما هو هنا فى
ديوانك بل يكون وأنت على ظهر حجرتك فى ميدانك بذلك يبان الافتخار فقال صدقت
وقام على حيله أخذ الكتاب جلدا وإذا فيه بعد إهداء ما يليق بالتحية والاكرام أنا
بلغنى عقلك ولكن تعجبت يا مقدم من عدم نقلك إذا كنت أنت لك عداوة حقد
الملوك إيش دخل الرجل الذى عابر سبيل تأخذ ماله من الطريق وتحيزه عندك مع ان
هذا أخذه ما فيه افتخار ولا أنه ممن يستحلى مال الرعايا أن يأخذه أرسل الرجل الذى
عندك يروح إلى حال سبيله وها نحن حاضرين اليك إن كنت طلبت خدمة الحرمين
بهذه مرتبتى أنا طالبها منى وإن كنت طالب سلطنة القلاع فهى لشيحة دونك وإياه
وإن كنت طالب الحرب دونك وما تريد والله ينصر من يشاء والسلام على من اتبع
الهدى وخشى عواقب الردى فلما قرأ الكتاب أعطاه إبراهيم وكتب له رد الجواب
فقال له إبراهيم هات حق الطريق فأمر له بعشرة آلاف دينار اخذهم ابراهيم وطلع
من عنده ركب حجرته وسار الى مصر أعطى الملك كتابه وأعطاه رد الجواب ففتحه
السلطان وجد فيه الناس الذى تسأل عنهم أنا اخذتهم صحيح عندى واحلف ما أطلقهم
وانت عرفت انهم عندى والذى تقدر عليه افعله فامر السلطان أن تخرج العساكر وبرز
الى العادلية وسار بعد ما تكاملت العساكر يقطع البر والقفر حتى حط قدام قلعة المقدم
جر فدخلت الرجال وقالوا له ياخوند الملك الظاهر حط على قلعتنا ومعه عسكر كثير
مثل الماء اذا سار أو الظل اذا طال فقال لهم خلوا باب القلعة مفتوح وأمر الكواخى
أن تتكفل بصواوين الامراء الذين مع السلطان كل كيخية يلتزم بامير وباش كوخة
يلتزم بالوزير وهو يتكفل بصيوان السلطان وأما الفداوية أرسل اليهم العليق من
قلعته وكل فداوى دقيق وسمن وأغنام على قدر رجاله وخيله وبات الملك أصبح

أقبلت عليه الفطورات فى الصواوين على أعناق الرجال وكذلك الوزير والامراء فسأله السلطان قالوا له يا ملك الاسلام هذه ضيافة المقدم جمر قال الملك نحن جيناخاربه أم ناكل زاده قال إبراهيم يا ملك الدولة فأكل الضيافة والحرب قدامنا فأقام الملك ثلاثة أيام والرابع فك اليب عبدالصليب من بعد ما أنعم عليه وطلع به الاتباع السلطان وحضر بعدهم المقدم جمر وقال ياملك الاسلام هذا التاجر الذى أنت طالبه وهاأنا بين يديك

فقال السلطان أما أنا فقد تعجبت منك ان كنت طالب القلاع تتسلطن بها ماأحد هنها فان مثلك من يستحق السلطنة وفيه لياقة الجهاد والغزو من أهل الكفر والعناد وكلامنا يكون لك مساعد ويجتهد معك غاية الاجتهاد غير أن المقصود اقامة شعائر الاسلام ومنع الكفرة اللئام والفرق بين الحلال والحرام فاعلمنى يا مقدم عن الذى طالبه ونحن نطاوعك عليه [فلما] سمع المقدم هذا الكلام صار كانه التجم بلجام واستحى من ملك الاسلام ونظر إلى المقدم جمال الدين وهو واقف وعلى وجهه علامة الابتسام فقال ياملك الاسلام أنا جاوزت فى العمر تسعين عام تمام ولا طلبت سلطنة الحصون أيام الصبا فكيف أطلب ذلك وأنا بقيت اختيار فكانت الناس تنسبنى الجنون وانما يادولتلى أنا طالب القانون فان الذى لم يعرف القانون فهو جاهل مفتون وأنا يا دولتلى أعلمك أنت لما أردت أن تتعلم وترى القوس العادى اخذته وعلمته رجما بالغيب او اتخذت لك كبيرا وانشديت له فقال نعم كبيرى المقدم عاصف بن بحر المرقسى فقال صدقت وانت يامقدم ابراهيم اخذت المقدم بذراعك ام لك كبير

فقال ابراهيم يا خوند انا كبيرى المقدم موسى بن حسن وسعدمثلى وانت والرجال تعلمون ذلك فقال المقدم جمر وانتم يا اولاد اسماعيل من فيكم خالى من المقام قالوا جميعا ما احد منا الا وله كبير فقال المقدم جمر اذا كانت جميع الرجال مقدورين فى هو اكبر منهم هل ترى سلطانهم من يكن حتى تعرفه الاتباع جدهم هو الذى كبير على سلطانهم فقال شيحة انا ليس لى كبير قال المقدم جمر كيف تنكر كبيرك الذى رباك وله عليك فضل التربية وهذا الغدر اقبح من الذنب واكبر العيب انكار الاصل وانا اعرف كبيرى فقال المقدم جمال الدين اما انا دخولى على سلطنة القلاع والله يا خوند لم اتخذ كبير وقولك انك تعرف كبيرى فأظن ان كلامك من باب المزاح والانشراح فقال المقدم جمر يا رجال هاتوا كبير شيحة فأقبلوا الرجال ومعهم الملعون جوان وهو يخطر فى الحديد فقال شيحة عيب يا مقدم كلامك فى حقى وانا مؤمن وتنسبنى ان اكون تبعا للكافر فقال المقدم جمر انا مارايتك خدمه ولا تابعه وإنما هو الذى قال هذا القول فان كنت انت برىء من ذلك اكذبه فقال

جوان ياشيحة أنت ما كنت تجرى وراء حوارتى بدل السنة اثنين حتى ربيتك وجميع ما تعلمته من الخيل الاصل فيه جوان ولكن كذا قيل فى مثل هذه المعنى بيتين فيهم الكفاية للعارفين

عاشرت من أصله خسيس فشاح على وانقلب
عاتبته قالوا الكرام ان الخسيس لا ينعتب

فلما سمع المقدم جمال الدين هذا الكلام قام على حيله وقال دستور ياخوند طاطت وظهرت وأنا سايق عليك ملك الاسلام وكل من حضر من السادات الكرام وتمام السياق الله الملك العلام وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ان تقبلنى يامقدم جمراً كونه لك مشدود ىغلام حتى يزداد بك شرفى وأفتخر بك على طول الدوام ما قبت السنين والاعوام قال المقدم جمر مرحبا بك قم يامقدم سليمان افتح بساط الطريق حتى يقول شيحة كل محب وصديق ويقال إنه مقدم سليمان الجاموس نقيب الرجال وقرأ الفاتحة وأفرد بساط الشد وأنشد شيحة للمقدم جمر وكان يوم جليل القدر وبعد ذلك قضوا باقى يومهم ولما كان عند الصباح قال المقدم جمر ياملك الدولة بقى علينا حاجة قال السلطان وماهى الحاجة قال ان الرجل هذا صاحب مدينة التكنا الذى كان سبب اجتماعنا يجب علينا ان نفتح له بلاده اسلام ويقيم فيها ويكون تحت أمان السلطان وكل من عارضه ننتقم منه غاية الانتقام فقال السلطان صدقت قال هذه شغلتى ولم يكن لى فيها شريك ثم أنه ركب على ظهر حجرته وسار وحده حتى وصل الى مدينة التكنا ونادى من عزم صرته يامعاشر الكفار المقيمين فى هذه المدينة اعلموا ان مليككم قبضناه وأسلم وسار له مالنا وعليه ماعلينا فالذى منكم يريد الاقامة فى البلد فيسلم ويبقى على دين الاسلام ومن أراد الكفر فيخرج من المدينة بسلام ومن أراد ان يصاحبنى كلام فدونكم وضرب الحسام فما تم كلامه حتى تقاطرت عليه الكفار وجردوا عليه كل حسام بتار فالتقاهم وتبسم عند ملتقاه وضرب فيهم ضرب القضاء والقدر وأشبعهم طعنا بالرمح الكعوب الاسمر وغاص معهم تحت الغبار وحوى الرؤوس كالاكر والكفوف كاوراق الشجر ومادام كذلك الى آخر النهار ودخل عليه الليل بسواد الاعتكار واذا بالليل أتى من جانب اليسار وقال ياخوند اعلم ان النهار قد قضى بضياه وأقبل الليل بظلماه فاترك الكفار يضربون بعضهم بعضا وسرأنت الى مكانى حتى تصلى ماعليك من الفريضة وتأكل شيئا من الزاد وتعطى العين حقها من الرقاد فقال له صدقت ثم أخذه الى مكان متسع فيه طيب الفراشات وأخذ الحجرة وأعطاه الاتباع حتى

سيروها بعدما سيروها ربطوها فى محل يصلح لها واتوها بالماء والعلف وأما المقدم جمال الدين تكفل بخدمة المقدم جمر وقلعه عدته وبدلته والبسه ثياب نظاف قدم له طشت توضأ وصلى الفرض الذى عليه وقرأ أوراده واتى له بزاد كل حتى اكتفى وشرابات تصلح للعافية شرب حتى هدى من تعبه قال المقدم جمر ياحاج شيحة لمن هذا المكان فقال يا خوند هذا املاك شعبان وهؤلاء الذى تراهم أولادى واتباعى وأنا واياهم فى خدمتك وبقينا فرض نعمتك فشكره المقدم جمر وقال له يامقدم جمال الدين والله ان الاخ والولد ماينفعوا مثلك وأنت والله جاملتنى بجميل ما أقدر أكافئك عليه طول عمرى فقال شيحة ياخوند أنا وأنت نجتهد فى اقامة شعائر الاسلام واقامة توحيد الملك العلام والله تعالى يساعدنا وينصرنا وبات المقدم جمر هذا ما جرى وأما النصارى تصور لهم كل من رأى رفيقه يضربه بالسيف ويظن أنه المقدم جمر وباتوا يخبطوا فى بعضهم حتى بدت غرة الصباح فلم يروا للفداوية أثر فظنوا أنهم ماتوا واندثروا وتباشروا بالنصر والظفر فهم كذلك واذا قد سمعوا مقاتل يقول الله أكبر يا كلاب المشركين يامعاشر المارقين دونكم والقتال ثم نادا يا كلاب الكفر مثلى ما يقع فاتركوا هذا التملل والطمع انى عن غروركم لاأندفع الا اذا خليت أعضاءكم قطع وتكبب وارتمى كصاعقة نزلت من السماء كحل المشركين بمراود العمى قرأ عليهم آيات الله العظمى بلاهم بالقيل والقال والذل والخبال وغنى البتار وقل الاصطبار ولحق الجبن الانبهار والندل ولا أحار منكم من رأس طار وما أد بصاحبه غار وجرت الدماء كجرى الانهار وقد افرشت القتلى على الارض يمينا ويسار وكثرت من الكفار الجراح وجرى الدم وساح وتلفت الاشباح وسمحوا بالارواح بعدما كانوا بها شحاح ودام الامر على ذلك العياد حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فرجع من القتال الى المكان الذى عزله شيحة وبات مثل أول ليلة وثانى يوم نزل الميدان وهكذا سبعة أيام ولكن فى اليوم السابع أقبلت غباير تايرة وخيل مقبلة غايرة وعساكر مثل البحار الزاخرة يقدمهم الملك الظاهر وخلفه رجال الحصون كأنهم سباع الآجام وامراء الاسلام وكبسوا البلد نهار جهار وطاحوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ونظرت أهل المدينة الى ذلك الحال وأيقنوا بالفناء والزوال فنادوا الورك يعنى الامان الامان فنادى المنادى لاأمان الالمن يقيم على الايمان فالذى يسلم وا أبقوه والكافر أهلكوه وطلع الملك جلس على كرسى البلد وتقدم المقدم جمر وسلم عليه وسأله عن سبب انزعاجه وقدومه فقال الملك يافداوى الواجب على فعلته فان بعد مسيرك عاتبت نفسى كيف اسمح لك ان

تدخل مدينة مثل هذه وحدك وتخاطر بنفسك ولوان فيك الكفاية لها ولامثالها فركبت وأتيت اليك لاجل المساعدة على نصرة الاسلام فصرو هلاك الكفار اللئام فقال المقدم جمر بسم الله ماشاء الله يا دولتلي ماأنت الاصاحب مروءة وأما الحاج شيحة ياملك فا فعل معي من الجميل وهكذا أقبل الخليل بالخليل ثم ان السلطان سأل الرجال عن الاسارى فقالوا الرجال عندما ينوف عن الف وستمائة اسير لان مولانا السلطان لما دعي في الكفار ونادى بالتهليل والتكبير فاندلت الكافرون وأرموا اسلاحهم فساروا الاسارى أكثر من القتلى بأمر السلطان باحضار الاسارى وأعرض عليهم الاسلام فأسلموا جميعا وكذلك أهل البلد من عسكر ورعايا أسلموا فما قام السلطان الا يومين وثالث يوم انقلبت البلد اسلاما وسارت نورا من بعد الظلام وأحضر السلطان الملك عبد الصليب وقال له أنت تقيم في البلد ملكا من تحت يدى وزوج بنتك يكون وزيرا فأجاب بالسمع والطاعة وبعد ذلك طلب السلطان الرحيل الى مصر بطلب من البب عبد الصليب يسميه الاسم الحسن فسماه عبد الرحمن وطلب منه عالم وفقيه يعلمه شرائع الاسلام فاعطاه السلطان الشيخ محمد عارف من تلاميذ الشيخ النووى وعشرة من اتباعه علماء وعشرة فقهاء وركب السلطان فركب الملك عبد الرحمن لوداعه يوم كامل وبعد ذلك رده السلطان وسافر الى الشام فعزمه المقدم جمر ثلاثة أيام وودعه وسافر الملك الظاهر الى مصر وانعقدله الموكب وطلع الى قلعة الجبل وأقام في عز وتمكين ونادى بحفظ الرعية وقلة الاذية

[قال الراوى] الى يوم تغير الملك للتبديل وشق البلد يلتقيها امان واطمئنان وبيع وشراء فانشرح صدر السلطان وعاد طالب القلعة آخر النهار فالتقى في الرميلة بهلوان بزرع بطيخ يوضع القاب في الارض ويسقيه الماء فيطلع بوقته بطيخ فيعطى الناس يقطعوه ويأكلوا منه يجدوه بطيخ طيب فوقف الملك واذا بالبهلوان طلع من خرجه ورقة وصورها مركب وقعدها على جنبها وطلع صيارات وقلع من ورق وفردلها القلع قامت بالهوى وصارت المركب تمشى على الارض كما تمشى المراكب في البحر والناس يتفرجون عليها والبهلوان يأخذ الدراهم من المتفرجين فقال السلطان يا ابراهيم هات البهلوان الى الديوان حتى يلعب وانفرج على لعبه فقال ابراهيم يادولتلي هذه الفعال صفة المسيح الدجال وهذه المركب ماهى الا شقشق ودهلش قال الملك هاتوا للديوان نتفرج عليه والسلام وطلع السلطان القلعة وابراهيم أتى البهلوان وقال له تفضل اجب مولانا السلطان فقال سمعا وطاعة وسار البهلوان معه الى قلعة الجبل وباس الارض وخدم وملك ودعى للملك بدوام العز والنعم فامر له الملك ان

يلعب فى الديوان حتى يتفرجون عليه الحاضرون فصار يلعب كما يلعب البهلوان قاله السلطان ازرع لنا زرعة حتى نتفرج فاطلع نواية تمر ووضعها فى قطعة طينة ورش عليها الماء وقال اطلعى واثمرى ومعه زمارة كلما زمر ترتفع النواية حتى ظهر لها خوص وصارت تعلوا وتفرخ حتى صارت نخلة وفرعت جريد وحملت تمرا واستوى وهزها بيده سقط التمر الى الارض وفرقه على الامراء والفداوية بعدما أعطى السلطان والوزير وفرغ النهار فانعم عليه السلطان وأمره أن يبات الى ثانى يوم فلعب ثانى يوم وزرع حنطة وطحنها وخبزها وأطعم الناس عيش عبوز فقال له السلطان هذا قبل المسيح الدجال فقال الرجل يامولانا هذا فن من فنون الحاوى وماهى الا تصاوير للناس على قدر المعايش فصدقه السلطان وأقام على ذلك سبعة أيام وقال فى غداة ألعب أحسن من الذى لعبته ولما كان فى اليوم الثامن طلب طشط كبير فاتوا له بطشت نحاس كبير فملاه بالماء وقال كل من له حبيب غائب ويريد أن ينظره فينظره فى الماء فلا يرفع رأسه حتى يرى ماهو طالبه فاول من نظر كان ابراهيم فنظر الى أبيه وأمه وزوجته فى قلعة حوران فرآهم فى غاية الامان فقال ابراهيم ياملك الدولة والله ان هذا الرجل لاعجوبة هذا الزمان فانى رأيت أبى وامى واهلى فى قلعة حوران فقال سعد خلينى أنظر ابويا ونظر سعد مثل ابراهيم فصارت الرجاله كل من نظر مطلوبه تعجب فاشتهى السلطان أن يرى اباه فقال قدموا الطشط الى عندى فقدموه بين يديه فنظر فيه فرأى خوارزم العجم ورأى اباه يقاتل فى عرضى ارفاض فامعن النظر فرأى هلاوون يقاتل ابيه فلما نظر السلطان ذلك قال ياشيخ هذا حق قال له نعم يا سيدى وان اردت أن تلحق ابيك ولا يصيبك من الماء بلل ولا ضرر فوضع السلطان رجله فى الطشط فقال البهلوان اوضع رجلك الثانية فوضع الثانية فصارت المياه حتى عمت على الملك وغطس السلطان وتبعه البهلوان وغطس ما بان فقاموا الناس ونظروا الطشط فلم يجدوا الا الماء فقط فارتج الديوان وهاجت الناس فقال الوزير هـذه مكيدة لعن الله من أنشأها وطلب محمد السعيد واجلسه على الكرسى ورفعوا الطشط وفى هذا الوقت طلع المقدم جمال الدين فاحكى له الوزير ماجرى فقال له شيحة سبحان من يعلم الغيب ونزل شيحة وسار الى مقام السيدة زينب وشكى لها وتوسل بها ونام بجانبها فرأى السيدة فى المنام فقال لها ياسيدتى ابن ذهب ملك الاسلام فقالت له الحقه على مدينة الابواب فياتيك القصر من الملك الحلاق فلما كان عند الصباح عاد المقدم جمال الدين الى القاعة وقال يارجال انا مرادى اتبع السلطان ولا أعود الا به ان شاء الرحيم الرحمن هل فيكم احد يرافقنى فى هذا المشوار فقال المقدم على الطرير وأنا

اروح وأينما سرت فانا اتبعك فأخذه وسار الى الاسكندرية وطلب ابو بكر البطرن وقال له ياقبطان أنا مرادى أن تفرجنى على سواحل البحر فقال سمعا وطاعة وأتى به اليه فصار يعلمه حتى رأى آخر الكتاب مدينة الا واق وهى فى الربع الخراب فقال ياقبطان سربنا اليها فقال سمعا وطاعة ولكن إيش تريد منهاقاعلمه بان السلطان هناك ولابد من السفر اليها فقال له سمعا وطاعة ولقفوا المراسى وفردوا القلاع وطلبوا مدينة الابواق

[قال الراوى] هذا ما كان من المقدم جمال الدين شيحة وأما ما كان من الملك الظاهر فانه لما نزل فى الطشت أغمى عليه قليل فأفاق فرأى نفسه قدام واحد كهين كافر وجوان قاعد بجانب ذلك الكافر والبرتقش قاعد معه فنظر الملك للبرتقش وقال إيش يا رتقش فقال البرتقش ياملك الاسلام هذا ملك من ملوك الافرنج اسمه الكهين عملاق وله بنت جميلة فخطبها منه اخوه اسمه الكهين السمحاق فقال له انت يا أخى لا يجوز عند المسيح أن يتزوج الأخ ببنت أخيه فقال السمحاق وإذا كان البترك يقول جائز ايش تقول فقال اجوزها لك ولا أخالف علماء الملة فقال السمحاق جمع علماء الملة التى فى البلد وقال لهم تحكموا لى بزواج بنت أخى وإلا أقتلكم جميعا فقالوا له امهلنا حتى نطلع على الكتب فأمهلهم حتى تجامعوا مع بعضهم وتشاوروا فى هذا الامر فقال لهم البترك هذا فى ملة المسيح لا يجوز وإن هذا الجبار لم يرجع عنا إلا إذا حكمنا له على مراده وإلا يهلكنا وأنا أفتح له بابا وهو أن جوان يدعى بعلم خلاف علمنا فاذا حولناه عليه فهو يفصل هذه العبارة بمعرفته ونتخلص من هذه الكريهة وقام ودخل على الكهين السمحاق وقال له يا كهين الزمان اعلم ان عالم الملة الرومية جوان عنده كتب لم يعرفها احد غيره وهى كتب الفنون يقول إن فيها البنت لابيها تجوز ولعمها واخيها وكذلك الولد يتزوج بأمه وأخته هذا صنعة جوان من علومه وعلو مرتبته ورفعة قدره وتخته فأرسل يا كهين احضره فهو الذى يحكم لكم بما فيه مقصودكم فقال هذا أمر ساهل وأحضر خادم من اعوان الجان وأمره باحضار جوان فلما حضر بين يديه أحكى له على ما هو طالب منه ان يكال له على ابنة اخيه فقال هذا يجوز إذا كان يوهبها إلى ابوها وتبقى تحت حكمى فقال العملاق اوهبتها لك فقال السمحاق وأنا خطبتها منك فقال جوان يكون مهرها ملك المسلمين فأرسل السمحاق هذا البهلوان وأعطاه خادم من الجن يساعده وفعل هذه الفعال حتى أتى بالملك وهذا ما جرى للملك فصار الملك فرآه فى قلب غليون مسافرين فقال الملك وإيش هذه المركب يا برتقش فقال التى سافرت بنا إلى البلاد لان الكهين أتى فى البحر وأرسل لك

هذه الحيلة وهو هنا فى المركب والبهلوان ذاته هو الكهين السمحاق وأما الذى تراه فهو العملاق فسكت الملك حتى وصلوا الى المدينة فاذا هى مدينة حصينة فطلع الكهين الى ديوانه وأحضر الملك الى بين يديه وقال يا رين المسلمين اعلم انك ماجئت الى عندى حتى أمتلك فى مهر زوجتى وأحكى له على ماوقع من جوان فقال السلطان أنت لا تقدر على قتلى فان خانى عسكر الاسلام فلا بد ما يأتوك ويخربون بلادك ويهلكون عساكرك واجنادك ولا ينفعك جوان ولا أعوان الجان

[قال الراوى] فلما سمع الكهين كلام السلطان قال له أنت تهددنى بهذا الهذيان وأنا وحق المسيح والصلبان ومارى حنا المعمدان ما أقتلك حتى اقتل عسكرك واجناد أرضك وبلادك ثم انه حبسه بين الاصوار [ياسادة] وان هذه اسمها مدينة الابواق ومتركب على أصوارها ثلاثمائة شخص فى أفواههم ابواق من النحاس ولهم صريخ مثل قعقعة الصواعق ويخرج منهم نار تحرق كل من كان يقرب لهم فلما كلم الملك الظاهر قدام الكهين حبسه بين الاصوار لاجل ما تزعق عليه تلك الاشخاص فينحرق السلطان ولكن الله قادر على نجاته منهم ومن غيرهم ولما سمع السلطان دويهم وعلم بحالهم ورفع قامته الى الذى خلقه وسواه وقال اللهم يامن بقدرته وعظمته أنجيت موسى من الغرق واغرقت فرعون وانجيت ابراهيم من الحرق واهلكت النمروذ ونجيت يونس بعد ما ابتلعه الحوت يامن هو حى لا يموت اسألك بقدرتك وجودك وامتنانك ان تصلى وتسلم على سيدنا محمد ان تنجينى من مكيدة هؤلاء الكفار يا عزيز يا جبار فما تم كلامه حتى اندارت تلك الاشخاص الى خلفهم ولا بقى يصيب السلطان من شرارهم ولا من اصواتهم وانا ام السلطان هاهنا محبوس له كلام اذا انصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يصلى عليه

[قال الراوى] واما ما كان من جمال الدين شيحة فانه صار فى الغرب العظمى مع أبى بكر البطرنى مدة ايام وهو يرسى على جزائر ومدائن وقلاع مدة ايام حتى بقى بينه وبين مدينة الابواق ثلاثة ايام فلبس المقدم على بدلته وجمله على صفته وقال له انا شرطت عليك انك تطاوعنى فاصبر على القضاء والقدر واخذ شيحة الجراب نفخة بعد ما اخذ كل ما احتاجه وطلب البحر وصار تارة يعوم على الجراب وتارة يركن ويسيره الهواء والعليان حتى قرب المدينة تعب من البحر لانه سار يوم وليلة والبحر وحده ولما اعياه الحال طلب الفرج من الكريم المتعال واذا بسنورة سيدى عبد الله المغاورى جى به فاخذ يده من البحر الاستاذ ووضعه عنده فى السنورة . قال له إيش جابك هنا يا شيحة فاحكى له على ماجرى السلطان فقال له هذا فعل العملاق والسمحاق

أولاد الكافرين ولكن ينصركم رب العالمين ثم ان الاستاذ قال له خذ هذا البشت البسه فاذا أخرجت يدك من أكامه فانك تطير مثل الطاير وترفرف كما يرفرف العقاب فترتفع فى البر والهضاب فلبس شيحة البشت ورفرف حتى وصل للسور فصاحت الابواق فعلم شيحة المقصود فترك السور ولم ينزل عليه بل وصل الى سقف دير خارج البلد ونزل على سقفه وصاح وقال يامسيح , كان له صوت حنين رطب ففتح وقرأ آيات من الانجيل ومن زبور داود عليه السلام فانخشعت عليه أهل الدير وقالوا هذا من حيث أتانا وقالوا له انزل ياأبى إلينا لتعم بركتك علينا فرفرف ونزل فتعجبوا من ذلك العمل وقالوا له من أى القوم أنت فقال لهم أنا حورى أتيت من ديرى لاجل أن أضع البركة فى هذا المكان ففرحوا به وقبلوا يده وأسافل قدميه ولما طلع النهار قعد يوعظهم حتى أشغف جوارحهم وكذلك البترك الذى معهم ولما مضى النهار وأقبل الليل قال البترك ان المسيح طالك فى هذه الليلة فانه أتانى حورى وقال لى قل للبترك يوكلك على الدير ويأتى هو حتى نهاديه بهدية من عندنا وان كان ما يجىء هو تعال أنت خذ هديتك وهديته ويكون فى هذه الليلة فقال البترك أتيت معك حتى يحضر حورى المسيح اما أروح أنا وانت واقام معه الليل فذبحه شيحة وتلمط فى صفته وعند الصباح قال للبطارقات الحورى أخذ البترك للمسيح وأنا أعطانى أجازة بالطهر ان مثله فالوا له بقيت أنت أحسن منه وأقام شيحة فى ذلك الدير هذا ما جرى منه

[قال الراوى] وأما أبو بكر البطرنى فانه صار إلى قريب البلد فقال المقدم على ظلمنى فمل البطرنى على الى البر واذا بالاشخاص صرخوا فسمع العملاق والسمحاق الى أن بقوا فى الخلا ونظر جوان الى المقدم على فقال امسكوه دا شيحة فاخذه الكهين العملاق وقال له ياجوان إيش نعمل فيه فقال له جوان المنتار يا كهين ولكن بعد ما تشفى قلبك بالضرب منه ولا يموت إلا تحت الضرب فلما قدموا المقدم على فاستغاث يا سيدة زينب وأنت له جهاد واحد ولم يستحس له بألم كرامة للسيدة زينب وبعد ذلك قال جوان اقتلوه والتفت للبرتقش وقال له انخرم كتاب اليونان وشيحة الوقت يموت وجوان لا بقى يقطع فقال البرتقش المسيح يحفظ عليك عنك حد يقول فى الدنيا يقول ان كتاب اليونان يخرم ولا احد من قطيعك على يده ولو توقع لك المسيح مايخاصك فاغتاظ جوان وقال اقتل شيحة واريح منه الكرستبان فقام له الملعون ليقتله واذا بنت اليه مقبلة كانها البدر اذا هل وبدر وقالت لابيها هذا الاسير اعطوه لى فانى أريده أن يخدمنى فقال أبوها خذيه الك فتقدمت فكته من الكتاف وأخذته فى يدها وجوان قاعد ولم يقدر أن يتكلم فقال له البرتقش انخرم كتاب اليونان يا أبى المقدم

تحضر القليمة قرب الوقت قال جوان بعد عمر طويل وأما البنت فانها أخذت المقدم على وأدخلته إلى قصرها وقالت يامسلم إيش اسمك قال لها اسمى على فقالت أنتم عندكم فى دين المسلمين يجوز زواج البنات الابكار الكبير الاختيار فقال لها لا يجوز للكبار يتزوج الصغار ولا يجوز الصغار أن يتزوجوا الكبار فضحكت وقالت له أنا مرادى أن أسلم وتعلمنى الاسلام حتى أبقى مسلمة زى المسلمين فقال لها إذا كان مرادك فى الاسلام فهو أحسن ما يكون فقالت له علمنى فعلمها وأسلمت على يده وأقام عندها

[قال الراوى] وأما شيحة فانه أقام فى الدير كما ذكرنا الى يوم دخل عليه العملاق وأخوه السمحاق وجوان معهم ونظر الى البترك فالتفت إلى الكهين العملاق وقال له يا كهين أنا قلبى خائف من هذا البترك فانه يكره ملة المسيح وأقول إنه شيحة المسلمين قال الكهين أنت قلت على شيحة الذى ضربناه وأخذته بقى عندها فقى كل من رأيته تقول عليه شيحة المسلمين وهذا منك محال ماهو معرفة وإنما أريد ابسأله وأبين الك صدقه من كذبه ثم تقدم العملاق من البترك وقال له ياأبى قتل المسلمين حرام أم حلال فقال البترك ومن الذى يحرم قتل المسلمين وإنما الواجب قبل قتلهم أن يطعمهم بالطعام الطيب وتبقيهم عندك حتى يكون يوم عيد الشعانين تقدمهم قربان الوزير فيكون هذا صواب فقال له صدقت ياأبى فيما قلت وعاد إلى جوان وأخبره فقال جوان لازم من الدخول الى الدير والاقامة فيه حتى نتفرج على هذا البترك ونعرف حاله

فقال البرتقش ياأبى هذا بترك كبير مغروس فى البركة ماله قط مماثل فى ذلك الزمان وأما قولك انك تضاهيه فى كرامته هذا مستحيل منك فقال جوان حتى تشوف ودخلوا الى الدير فوجدوا البترك جالس يقرأ شرح بولص على القربصة وحوله القسوس والرهبان يسمعون منه مايقرأه فقعدوا يسمعون ولكن جوان انذهل فقال البترك العملاق ياابن اذا اردت ان تقيم عندي اطرد هذا الكلب جوان فانه فضولى فى دين الكرستيان فقال جوان انت معلوم انك شيحة المسلمين ولما رأيتنى خفت ان اعلم بك البب يقتلك فقلت هذا الكلام فقال البترك انت اخطأت وتستحق الادب ياجوان ولكن انا لا افعل فيك شيئا الا بامر المسيح ومارعنا العمدان وهم البترك على حيله ورفرف حتى خرج من ملقف الدير وهو طاير حتى غاب عن اعين الناس وعاد بمدساة وتزل على جوان وبيده بوق من النحاس وانى الى وجه جوان ونفخ فى وجهه فطلع شرار ونار ودخان فصاح جوان فى عرضك ياابى فقال له انت تستاهل ياكلب من هذا لما انك

تتكلم فى حق البتاركة القديسين وتنسبهم للمسلمين فقال جوان ثبت فى عرضك يا ابى فقال له عملاق شفعنا فيه يا ابى فقال شفعتك فيه يا بب وتركه لكن بعد ما بقى وجهه مثل طيز القرد ما فيه ولا شعرة قط بل كل شعر وجهه انحرق وجلده تشوط بالنار وما صدق جوان أن يطلقه حتى أخذ بعضه وقام إلى كبس البلد يداوى وجهه من النار واما شيحة فانه قام فى الدير مدة شهرين كاملين حتى جاءت ايام العيد وامر العملاق باحضار السلطان واراد أن يجعله قربان وإذا بالمدافع تضرب على المينة واقبلت عساكر الاسلام والمقدم جمرالاخرور الملك عرنوس وعمارات تسد البحار وكان السبب فى ذلك ان البطرنى لما ترك المقدم على على البر ونظر ما جرى عليه فصاح من وسط رأسه وقال ادركنى يا مغاورى فأدركه استاذه وقال له لاتخاف وجذب الغراب العظمى وبعله خلف السفرة وقال بسم الله مجراها ومرساها على الاسكندرية تلقاها فما تم دعواه حتى جفى على الاسكندرية فقال له البطرنى مالك يا سيدى أن تساعدنى حتى اخلى السعيد يجهز عمارته وتساعدنى حتى نوصل الى هـــذا المكان فقال المغاورى وهو كذلك فعاد البطرنى وسار حتى دخل على السعيد وقال له جهز العساكر حتى نوصلك الى مدينة الابواق فى ايام قلائل فامر الملك بأخذ اهبة العساكر وسافر إلى الاسكندرية وأمر القبطنات أن يقدموا المراكب لاخذ العساكر فاجتمعت أربعمائة مركب عساكر والغراب العظمى فيه السعيد وساروا إلى مدينة الرخام وكان الخبر عند العرنوس ونزل وذات الابرج وجدتهم المغاورى اوصلهم كما ذكرنا وصبحـوا على تلك المدينة اشار الاستاذ على تلك الاشخاص ارماهم ونظر عملاق فطلع ينظر ما الخبر فرآه الاستاذ فقال له يا ابن الكافر إلى اين هذا التعدى على الاسلام وضربه بسيف الخشب تحت باطه فانقسم نصفين وصاحت اعوان الجان تقول جزاك الله خيرا يا قطب هذا الزمان كما ارحتنا من خدمة هذا الكافر والسمحاق ما وجد مكانا يهرب فيه الا الدير الذى فيه البترك فقال يا ابى أنا فى عرضك فقال له هات ملك المسلمين فعاد واتى السلطان اليه فقال البترك بعد ما قام على قدميه وقال يا ملك الاسلام هذا البب سمحاق إذا أراد أن يكـن تحت امرك يدفع الخراج سنوى وتبقيه حتى يعمر بلده وأنا أضمنه فقال السمحاق وادخل فى دين الاسلام قال البترك ومن حيث قلت ذلك ادخل قاتل فى دين الكفار مع السلطان فأخذ سيفه وصاح الله اكبر وسار جنب السلطان هذا وعساكر السلطان نهبوا كلما وقعت أعينهم عليه واحرقوا جميع الاماكن ولا ابقوا كبير ولا صـــغير حتى اهلكوا الجميع ونظر جوان إلى السمحاق وهو يقاتل الله اكبر فزاد به الغيظ ودخل فى وسط العساكر واختلط

بالدساكر واحضر نبلة مسمومة كان يدخرها لمثل هذه الامور وضرب السحاق حلمت فى فاه خرجت من قفاه فمات شهيد ووطئه الخيل بحوافرها وملك الاسلام والبلد واحتوى بمافيها واما شيحة فانه وقف يباشر الاسلام فنظر الى جوان البرتقش وهو يكد بالجرى فقال شيحة إلى ابن سائر هذا الملعون ثم صاح على البرتقش وقال له هات جوان حتى اندمه قدام السلطان وإلا وحق الملك الديان ان وقعت فى يدى سلحتك وانزلت بك الهوان فقال البرتقش ارجع بنا ياابى فان شيحة حاف وانت سامع كلامه عود بنا اليه حتى يقضي منك حقه ويقتلك على ماتستحقه وساقه قدامه حتى سلمه الى شيحة فأخذه الى عند السلطان كان على اخرج العروس وانزلها فى بعض المراكب وهلكوا كلما كان فى البلد وحرقوا اماكنها وعادوا الى المراكب ونزل السلطان عليها ملعون ابن ملعون من يعمرها ونزل السلطان فى الغراب العظمى طالب اسكندرية حتى وصلت العمارات الى مدينة الرخام طالع الملك عرنوس وأعطاه السلطان الربع من غنيمة ذلك البلاد وسار الى الاسكندرية اعطى البطرنى من الغنيمة شيء جسيم وسار السلطان لمصر ادخل بيت مال المسلمين شيء لا يعد ويفرق على الامراء والمداوية كلا على قدر استحقاقه وطلع إلى قلعة الجبل اطلق من فى الحبوس واقام يبطل المظالم ونادى بحفظ الرعية وقلة الاذية

[قال الراوى] وبعد ايام ورد كتاب من باشة الاسكندرية يذكر فيه ان يوم تاريخ الكتاب ورد علينا غليون من الخشب الصاج الهندى مصفح بالذهب وفيه فراشات من الكشمير وهو شيء لا له نظير ولها وزير مقيم بخدمتها ولها محافظ وفى ذلك الغليون بنت باعة كانها الشمس الطالعة واسمها الملكة نفوس لكنها معها اموال لاتعد ولا تحصى تفرق على كل من اتى من الناس وكل من اتاها ليسلم عليها تعطيه وان طلعت البر يكونوا خلفها الاتباع ناقلين اكياس الذهب على اكتافهم واذا رأت فى الطريق فقير تعطيه ما يغنيه وأقل عطيتها الف دينار فلما قرأ السلطان هذا الكتاب التفت الى الوزير وقال له هذه الست مكيدة من الكفرة اللئام والا راغبة فى الاسلام فقال الملك يامولانا سبحان العالم واظن انها مكيدة للاسلام وهذه لايعرفها الاالمقدم جمال الدين شيحة فقال الملك نادية يا ابراهيم واذا به مقبل فقام السلطان واجلسه واحكى له مافى الكتاب فقال شيحة اناأروح واحقق هذا الخبر ونزل غاب وعاد للملك وقال له حضر هدية الى هذه وارسلها اليها ومن جملة الهدية جارية من عندى رومية فاحضر الملك طبلتين من العنبر الخام وناقشه مسك وعليه طيب وعقد فى علبة من الذهب اربعة عشر فص جوهر كل فص يقوم بخراج الروم سنة كاملة وسجادة من

اللؤلؤ منظم فى سلوك الذهب وبساط من القصب المخيش فسج ببلاد الهند فعطاه الجميع المقدم إبراهيم وقال له تأمل يا إبراهيم بظ ك وسلمها الهدية وهذا الكتاب فقال سمعا وطاعة واخذ معه سعد وسار إلى الاسكندرية وقال يا سعد ماهذه الافتنة الله يحمى الاسلام منها وسار إبراهيم إلى المينة وقال يابط نى نزلنى إلى مركب هذه البنت التى ارسلنى السلطان اليها فنزل البطرنى حتى وصل إلى غليون الملكة نفوس وصاح قاصد رسول وسمعت الملكة نفوس فقالت اهلا وسهلا وقامت اليه وهى تتباها بالجمال حتى وصلت إلى جانب المركب ونظر اليها المقدم إبراهيم فقال سبحان الله العظيم ما أعظم قدرته يخلق ما يشاء قالت الملكة تفضل ياسيدى عندنا واعلنى على رسالتك أن كانت مكتاب او بخطاب ها أنا واقفة على اقدامى ومشطرة إلى اندامى فقال لها إبراهيم هذا كتاب من عند مولانا السلطان خذيه بادب قالت له يا سيدى انا حرمة ذات ضلع اعوج ومن أناحتى يكاتبنى الملك ثم انها وقفت فاعطاها الملك ابراهيم الكتاب ففتحته لتقرأه وإذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى واطاع الله الملك العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى اما بعد قد بلغنا ما فعلت فى الاسكندرية من تصدقاتك على الفقراء وما فعلت فارسلت اليك هذا الكتاب حتى اعلم ما مقصودك أن كنت راغبة فى الاسلام فهو اقرب من لمح البصر وإن كان مالك كثير وأنت على ملة الكفر فعودى إلى بلادى وانفقى على الفقراء من اهل دينك وإن كنت قاصده ترعين الاسلام فى عمتك فهذا اهل بعيدوها أنا ارسلت لك هدية وجارية جميلة فان كان لك رغبة فى الاسلام فهى تعلمك وتأتى إلى عندنا ولك ما لنا وعليك ما علينا والسلام على نبى تظلله الغمام فلما قرأت الكتاب طلبت الهدية والجارية من عند المقدم إبراهيم فقدمهم لها فاخذتهم بقبول وقالت للجارية ادخلى المقدم وادخلت الهدية معها وبعد ذلك التفت إلى المقدم إبراهيم والمقدم سعد وقالت لهم انتم اسمكم ايه فقال إبراهيم أنا ابن إبراهيم بن حسن وهذا سعد بن دبل سعادة السلطان ميمنته وميسرته قالت الملكة شرفتونى بقدومكم ثم انها دخلت إلى الغليون وطلعت صندوق فيه خمسين الف دينار واعطته للمقدم إبراهيم وصندوق مثله اعطته للمقدم سعد وقدمت لهم بدلتين من ملابس الملوك الكبار وقدمت لكل واحد سيف صقيل بجوهر بجراب من الذهب الاحمر وقبضته من الجوهر تاخذ بالبصر وقالت لابراهيم هذا حق طريقكم فاصبر حتى أنا أهدى السلطان كما هدانى وطلعت عشرة صناديق ذهب فى كل صندوق خمسين الف دينار وصندوق جوهر فيه خمسون عقد وكتبت لهم رد الجواب فاخذ المقدم ابراهيم رد الجواب ونزل

من المركب وهو مذهول وقال ياسعد والله ما هذه إلا محنة نعوذ بالله منها فقال له سعد
وأنت إيش رأيت قال ابراهيم ياسعد هل أحد اطلع على الغيب الحاج شيحة صار عندنا
لابد أن يطلع على أسرارها وسار ابراهيم إلى مصر قدام الهدية للملك وورد الجواب
بجلد يلتقى فيه من بعد التحية اعلم يا ملك الاسلام انى دائرة أتفرج على البلاد وفكرى
ضايع لأن علماء الكرستيان يقولوا لى ان دين المسيح حق والاسلام باطل أريد أطلع
عليه حتى أدخل فيه فارجوا منك المساعدة حتى أتحقق الله تعالى أن يهدينى إلى الحق
وأتبعه ومثلك يامالك من يصفح عن أمثالى شكرا يا مسيح فالتفت الملك إلى ابراهيم
وقال له ما رأيت فى هذه البنت بنظرك فقال ابراهيم والله أنا أظن أنها جاسوس
ولكن لا يعلم الغيب إلا الله تعالى وأما الحاج شيحة فهو عندنا ولابد له أن يعرف
المقصود فسكت السلطان هذا جرى وأما الملكة نفوس فانها من بعد انصراف ابراهيم
وسعد من عندها أحضرت البنت الجارية التى أخذتها منهم وهى شيحة فرأتها ذات حسن
وجمال فكلمتها بالعربية فردت عليها بلسان الروم فقالت لها أنت نصرانية قالت لها
نعم فقالت نفوس وإيش أدخلك عند المسلمين فقالت لها أنا أصلى بنت البب رومان
ملك رومة المدائن وقدمنى أبى إلى رين المسلمين هدية فلما دخلت إلى سرايته رأتنى
زوجته فانغاظت منى وأرادت ان تنزلنى مع الجوار فى المطبخ فقال رين المسلمين هذه
بنت ملك وما تصلح إلا شريدارة وعيب إذا أقمناها فى المطبخ ثم انه جعلنى شريدارة
حتى حضرت أنت فارسلنى اليك هدية فقالت لها ولما دخلت عند ملك المسلمين طلبك
للاسلام وأسلمت على يديه أم باقية على دينك فقالت لها أسلمت على يديه فى الظاهر وأما
فى الباطن كرستية فقالت لها ما بقى لك ثمن فى النصارة ولا فى المسلمين ثم انها جذبتها
من جناحها بيدها وربطتها فى صارى المركب ومالت عليها وأرادت تضربها فرأت فى
وسطها سوط فأخذته ومالت عليها به قدر ثمانين وتركتها وهى مربوطة فى الصارى
ودخلت الى مكانها فقال شيحة ان السوط الغضبان جعلته أضرب به الرجال حتى أتانى
من يضربنى به ويذوقنى طعمه من النساء لا من الرجال وبقى شيحة مربوط الى نصف
الليل واذا بولد مقبل يلعب بذكره ويشتكى من الغرام فرأى تلك البنت المربوطة
فقال لها افكك واحلك جناقة فقالت له طيب وحكمت على الملوك ان يرضوا بالخنات
وكان هذا المقدم محمد السابق فضحك وقال ياأبى أنا تايه فى هذه البنت ولكن سر بنا الى
البر لما نتبدل ونشوف ايش نعمل اذا فقدت الجارية واقاموا فى الاسكندرية وأما الملكة
نفوس فانها لما اصبحت لقت الجارية عدمت فارسلت الى باشة الاسكندرية تقول له استأخر

الى ملك الاسلام فى دخول مصر فارسل كتاب يخبر السلطان بحضورها فانتقلت من المالح الى الحلو وسارت الى مصر وطلعت الى الديوان وقبلت الارض فأمرها الملك بالاستتار لان نظر الحريم عندنا حرام فقالت ياسيدى اريد مكان استريح فيه مدة فانى قاصدة القمامة القدسية فامرها الملك ببيت ابن ابا ديس السبكى فنزلت فيه واقامت سبعة ايام وفى اليوم الثامن طلعت الديوان وقبلت الارض وقالت يا ملك الاسلام انا رايت منام فى هذه الليلة واريد ان تحضر لى اهل العلم حتى اقصها عليهم فقال لها السلطان احكى منامك وهؤلاء العلماء هنا قالت رايت الدكة والحساب ونصب الصراط وسارت النصارة تساق الى جهنم ورايت ملك المسلمين سائر وجماعته خلفه الى الجنة فقلت يا زين المسلمين خذنى معك فقال لا يتبعنى الا المسلمين فأسلمت على يديه واعطانى الى واحد من اتباعه وقال لى هذا يوصلك الى مرتبتك فى الجنة فانتبهت على هذا الحال واتيت اليك لاسلم على يديك فاسلمت وامرها الملك بالتزام بيتها حتى يأتيها من يتزوج بها وثانى الايام كل من الاولاد يطلب زواجها اولاد شيحة وعيسى الجماهرى ونصر الدين الطيار وجميع الاولاد قال الملك شاوروها والذى ترضى به تزوجه بها فكان الرسول ابراهيم لها تريدى من فقالت الذى يريدونى يفوتوا من تحت قصرى اختار واحدا منهم وارمى عليه منديل فامرهم السلطان ان يفوتوا فاختارت محمد السابق بن شيحة فامهرها بمهر جسيم وعمل لها فرح ثلاثين يوم ولعبت فيه ارباب الفنون وليلة الدخلة دخل السابق الى محل الخلوة وغاب ساعة واذا بجارية طالعة وقالت اين شيحة قال شيحة مالك يا بنت قالت سيدتى تقول لك خذ هذه الهدية منى اليك ووضعت الصندوق ففتحه شيحة فراى ولده مقطع اربع قطع وصاح آه ياولدى ودخل الى المكان نفوس فلم يجد لها أثرا ووجد صنادق مليانة بالمال ففتحهم واذا فيهم جميعا زلط وشقايف فخار وكان السلطان جاءته هدية فكشفها فرآها مثل ذلك وكذلك الذى مع ابراهيم فقال شيحة ابو خليل انظر هذه الجثة جثة السابق فقال ابراهيم هذا منصف وابنك طيب ياحاج شيحة لا تخاف عليه فقال شيحة لا بد لى ما ادور على ولدى ثم انه نزل من ذلك المكان وامر السلطان بقفل بيت ابن ابا ديس وطلع القلعة واما المقدم جمال الدين فانه صار الى الاسكندرية ينظر المركب فلم يجدها فسار الشام وهو يقتفى الآثار حتى وصل الى السويدية

فنظر الى جبل السويدية واذا برجل يقول على يا مقدم جمال الدين ان كنت تحب ابنك انا اجمعك عليه فطلع المقدم جمال الدين الى الجبل ووصل الى المتكلم فرآه

رجل اختيار فتقدم اليه وابدأه بالسلام وقال أنت تعرف ولدى فى اى جهة قال نعم وان اردت أنا اجمعك عليه حالا فقال شيحة هذا قصدى فقال له حط رجلك فوق رجلى فحط رجله شيحة فقال له غمض عينك فغمض عينه فرأى نفسه فى الحديد ورأى السابق محبوس بجانبه ورأى رجل كهين قاعد وجنبه جوان قالع عمامته واقف بين أيديهم

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك ان مدينة فى جزائر البحر اسمها برناط وبها قلعة مكينة حصينة على نهر اسمه نهر اشفق وبها كهين سحار يسمى الازرق وله بنت اسمها نعوص وهى التى جاءت وفعلت هذه افعال والسبب فى ذلك جوان لانه هرب من قدام شيحة بعد موت السحاق كان شيحة قبضه وقال البرتقش خذه وروح فأخذه ونزل به فى المركب وبالليل سرق قطيرة من قطاير المراكب وانزل فيها جوان وانا موا على وجه البحر يومين كان ذلك الكهين دارش بساطه على البحر فرأى جوان أخذه وسأله على حاله فحكى له على المسلمين فحلف الكهين ان يخرب بلدهم ويملك كهينهم وحريمهم واحضر بنته وعلى لها صناديق من الزناط وجملهم صفة ذهب وجواهر وصنع أيدمية من الورق وقد صورهم على هيئة بنى آدم وعلمها فعلت ذلك الفعال حتى أخذت شيحة وضربته أول مره وبعد ذلك اخذت السابق وامرت الخدام اخذوها والسابق معها ووقف الكهين على جبل السويدية حتى أقبل شيحة فاخذه وفاق شيحة فرأى نفسه جنب ولده فى الحديد وسأل البرتقش فحكى له بالقصة التى جرت ولما دبروا إلى البلد راى شيحة قمر فى البحر فسأل البرتقش عنه قال البرتقش وقصر الكهين فان من كثرة الجواهر يتصور للناس بالنهار انه شمس وبالليل قمر ولما وصل ذلك الملعون إلى بلده قال ياجوان أنا عندى واحد محبوس لو يكون برضى ان يدخل فى دين الكرستيان كنت أملكه الدنيا واسمه جمر شراب الدماء

فقال جوان هاته لى فاحضره بين يديه فقال له جوان انت جمر شراب الدما قال نعم فقال طلوع الكهين حتى يأخذ بلاد الاسلام انعم خذ القلاع والحصون والكهين يأخذ البلاد فقال جمر رضيت بذلك ففرح الكهين وقال له أنا اعطيك ذخيرة وهو هذا الخاتم اولا اذا لبسته لا احد يراك وثانيا له اربع حروف كل حرف يحكم على قبيلة تعمل مقرعة من الجريد وتقول لخدام الخاتم واحد منكم يخدم الجريدة فكل من مسكها خدمه خادمها وأنت عليك ماتفتح لى الشام وأنا افتح باقى بلاد الاسلام ولزوجك نفوس بنتى وتبقى شريكى فى سلطنتى فأخذ الفداوى الخاتم لبسه وعلم انه ملك الدنيا وسار على ذلك الشرط يقطع البرارى والاكام حتى وصل الى ارض

خسلط الله عليه الحمة فارتمى من شدتها فى الجامع الاموى يقع له كلام واقام الكهين يجهز عسكره حتى تقرب ايام الصيف ولما فرغ الشتاء امر العساكر بالرحيل قاصد بلاد الاسلام ومازال يطوى الارض بالمراحل حتى وصل الى حلب وكل بلد ارسى عليها من بلد الكفار يأمرهم أن يحصروا ملك الاسلام ويتبعوه ويسألهم عن المقدم جمر فيقولون مارأيناه ولاعلمنا له خبر ولما حط على حلب ضرب نائب حلب المدافع فلم يصب عرضى الكهين من المدافع لا كثير ولاقليل فأرسل له سيار يسأله عن ماهو طالبه فارسل الكهين يقول له خل بلادك مفتوحة وارسل اعلم ملك المسلمين فانا طالب حربه واخذ بلاده وما انت الا نائب ان كان له ولغيره

فقال اشة حلب سمعا وطاعة وارسل كتاب للسلطان فدخل السيار على الملك الظاهر وقبل الارض واعطى الكتاب اخذه يجد فيه من حضرة العبد الاصغر والمحب الاكبر كاتب الكتاب خادم الركاب عماد الدين ابو الجيش الى حضرة مولانا ملك القبلة وخادم الحرم اعلم يا أمير المؤمنين ان يوم تاريخ الكتاب مقيمين والغبار غبروبان عسكر جرار ويقدمه الكهين اسمه الازرق وامرنا ان لا نقفل البلد فما قصده الا السلطان وقال انتم رعايا لكل من ملك السلطنة فارسلت اعلمتك ادركنا بسيفك المسنون وامرك المكنون فاننا فى ريب المنون وبلادك محصورة وكل محصور مأخوذ الامر أمرك اطاع الله فى عمرك والسلام على نبى ظللت على راسه الغمام فأمر السلطان حالا بتبريز العساكر واقام فى العادلية ثلاثة ايام حتى تكامل العرضى وسار طالب البر مدة أيام حتى حط على مدينة حلب من الشام ارسل الى الفداوية التى فى القلاع والحصون أمرهم بالقدوم الغزاة والجهاد فى طاعة رب العباد فاقبلت الرجال وتسارعت الابطال فما وصل السلطان حلب الا والرجال متكاملة ونصب الملك الظاهر العرضى واخذ الراحة ثلاثة أيام وفى رابع يوم كتب السلطان كتابه والتمت الى ابراهيم وقال هذا ابو نفوس التى أرسلتك اليها فى الاسكندرية فقال ابراهيم بادولتلى هذه بنته اعطتنا القبارصة شقف فخار ولابد هو ان يكون مفلس ومعاملته زغل اعط الكتاب النوبة اسمه احسن يضيع تعبى قال سعد وحيات راس السلطان ماروح الا انا وانت ماتحب الا الذى عنده قبارصة بكثرة ولكن ان شاء الله إذا ملكنا بلاد هذا الملعون تكون ابنته نفوس لولدى ناصر الدين الطيار وأخذ سعد الكتاب وسار الى قدام الكهين وتقدم اليه واراد ان يقول قاصد ورسول وإذا بالكهين مد يده أخذ الكتاب من عمامته وقال له اسكت بلا غلبة ادينى اخذت كتابك لما اقراه فانغاظ المقدم سعد وسكت على مضض حتى قرأ الكتاب وإذا

فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وأطاع الله العلى الأعلى والعنة على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة ملك الاسلام إلى الكهين الازرق إيش الذى بلغك عنا حتى طاوعت جوان وأتيت تريد ان تاخذ بلادنا مع أن الله سبحانه وتعالى أوعدنا النصر المبين وانت تعديت واتيت إلى بلادنا فان أردت السلامة فاقبض على جوان وغلامه البرنقش وتاتى إلى عندى أحاسبك على كلفة وكبتى ابايعك نفسك بالمال وارتب عليك الجزية والخراج فى كل عام فان فعلت ذلك بلغت مناك وإن خالفت فلا بدلك من الهلاك والسيف اصدق وانبأ من الكتب وحامل الاحرف كفاية كل حقير والعمد على الختم حجة فيه والسلام فلما قرأ الكهين الازرق الكتاب وفهم مافيه انكا على الكتاب شرمطه وارماه فى وجه المقدم سعد والكتاب تقطع حط يده على شاكريته وضرب الكهين على رقبته اطاح راسه من على كتفيه فصاح جوان دالى يا ابناء النصرانية فانطبقت الامم على سعد ونظر سعد إلى ذلك فعلم انه لاملجأله من الموت ولافكاك فانفرد عليهم كما ينفرد الذئب على الغنم وناداهم انا بعت روحى فى سبيل الله يا كلاب المشركين ومال على ذلك الجمع وطلب له العطاء والمنع وعدم النظر والسمع وتخضبت الأرض بالدماء وزاد الويل والعمى وطارت كفوف وجماجم واشتد العطش والظمأ وتحسرت الاكباد على شربة من بارد الماء وقل النصر والحما هذا وسعد يهمز همزات الغزال ويضرب بشاكريته يمينا وشمال ويهد الدروع والاوصال وطاب له الحرب والقتال ولم تسمع عليه الجبال فقتل فاقصر كانه الاسد القصور حتى مضى النهار بنوره ودخل الليل بظلامه ونظر المقدم سعد إلى ظلمة الليل فسار يقاتل فى الاطراف ويتأخر حتى تمكن من الفضاء واعطى ساقيه الريح وطلب البر الفسيح ودام فى حربه وكده حتى دخل على السلطان ورأس الكهين معلقة فى يده فقال له السلطان ايش الخبر فقال سعد يادولتلى لاتقول عنى انى اهملت فى كتابك فان الكهين قطعه وانا قطعت راسه واتيت بها قال السلطان عفارم عليك يامقدم سعد فناوله سعد راس الملعون واذا بها راس خاروف مستوية تصلح للأكل بالكلية فقال السلطان ماهذا ياسعد فقال إبراهيم يادولتلى سعد معذور والاسم الاعظم سعد ابن خالتى ماكان الافى حرب وقتال تذل له صناديد الرجال لكنه مايده فى باب الاسحار فان الواحد منا ما يملك غير مهجته فيبذلها يادولتلى فى الجهاد بين يديك ولايبخل بها عليك هذا ماجرى هاهنا

[قال الراوى] ثم ان الملعون جوان لما نظر سعد ضرب الكهين وقاتل بعده هذا القتال بقى حاير فى امره وكان متكل على الكهين الازرق فرأى راسه انقطعت وجرى

ماجرى إلى نصف النهار قال جوان يابرنقش هات لى الحجارة فان المسلمين اذا وقعت فى ايديهم يعذبونى وانا كنت اظن ان هذا الكهين ينفع فخاب فيه ظنى ومات الى لعنة المسيح ننجوا نحن وندور للمسلمين على داهية غير هذه وإذا بالكهين انعدل وهو سليم وراسه على بدنه مستقيم فقال جوان ليلة مباركة يابنى قال له ابا ابنك من اين فانا سمعتك تقول مات الى لعنة المسيح كنت تقول الى رحمة المسيح لكن اصبر حتى اوريك لانك ما احد رباك ثم انه قال يمسك جوان فامسك وهو على كرسيه فقال يرتفع كبوسيه فارتفع فقال يضرب قدر خمسين كرباجا فنزل عليه خمسين ضربة ينقل ناسومه حلوا راسه مثل الطبل رقبته وقال له لولا انك عالم فى ملة المسيحية والا كنت امرت الاعوان يوقدوا فيك النار فقام البرنقش وقال له ياكهين الزمان احترامه يكون للجملص الذى هو من نسله فقال له صدقت وكذلك قال جوان يابنى لاتواخذنى فانى بقيت بجوا كبير فسامحه الكهين وكانت ارباب دولة الكهين الازرق لما رأوه احرقه بجوان البعض منهم ضحك على جوان والبعض اغتاظ لانه راس ملتهم فاراد جوان ان يشفى فؤاده من الذين ضحكوا عليه فقال له الكهين الازرق ياجوان انما احب امر الخدام ان يرموا على المسلمين احجار واوقد فى خيامهم نار حتى اهلكهم عن آخرهم فقال جوان ومايبقى لك افتخار على ملة الروم الذين قبلك اذا قالوا ان الكهين لقى عنده عساكر تقاتل المسلمين فاستعان عليهم بالاسحار وكذلك عساكرى يقولون لو امرنا الكهين بالحرب والقتال كنا اخذنا المسلمين على اسنة الرماح الدوال وقطعناهم بالسيوف الصقال فان طاوعتنى ياولدى لا تحارب المسلمين بالجان الا بعدما تترك لهم العساكر بالعجز وبعده افعل ماتريد فقال له الكهين صدقت وامر العساكر ان تنزل الميدان فنزلت الفرسان وطلبوا الحرب والطعان فامر الملك ايدمران يبرز فبرز وقاتل طول النهار وثانى يوم نزل حسن النسر بن عجبور مفتاح حرب الفداوية وقاتل واشفى الغليل وثالث يوم نزل قلاوون الالفى ورابع يوم نزل المقدم جبل بن رأس الشيخ مشهد وخامس يوم نزل الامير بهاء الدين وسادس يوم نزل المقدم منصور العقاب بن عامر وهكذا دام القتال مبارزة مدة اربعين يوما حتى كلت الكافرين وافترستهم بانيابها سباع المسلمين وقتل من الكفار مقدار عشرة آلاف هذا والمسلمين طمعوا فيهم وعلموا انهم منصورين عليهم [ياسادة] وأما البرنقش فانه قال لجوان ايش الفائدة فى هلاك النصارى لوكان الكهين اسر المسلمين بالجان والسحر وكانت النصارى باقية من غير منتار فقال جوان يابرنقش جوان لايبرد قلبه من اللهب الا اذا رأى الدماء صبيب.

[redacted] من المسلمين أو من النصارى على حد سواء ثم ان جوان بعد الاربعين يوم دخلوا عليه الأعيان الذى الكهين وقال له يا أبونا جوان الكهين أراد يحارب المسلمين بالسحر وأنت الذى قلت له ينزلوا العساكر أولا ونزلت العساكر وقتل أزيد من عشرة آلاف والمسلمين لم يقتل منهم ولا أحد وهذا غاية ما يكون من التلف على النصارى فالتفت جوان إلى الكهين الازرق وقال يا كهين لومان ذا الوقت عين الانتخار فان كان لك قدرة على نصرة دين المسيح افعل فقال الكهين أنت عليك أن تذكر لى أسماؤهم وأنا على أملك أقصامهم وأدنامهم فقال جوان اكتب أولهم ملك الاسلام بيبرس ويتبعه ابراهيم ابن حسن الحوراني وسعد بن دبل ونصر الدين بن سعد وسعيد الحائج وعيسى الجاهرى وصار جوان يسمى والكهين يكتب حتى كتب ستمائة بطل من أعيان المسلمين وأوضع القائمة بين يديه وأمر باحضار ستمائة باشة فى ستين خنزير فيه عشر باشات وبعد ذلك نبه على أعوان الجان وقال كل عشرة تأخذ خنزير من هؤلاء الخنازير ويأتوا به بين يدى فى الحال وفيه من هذه الأسماء عشر رجال فما تم الملعون كلامه حتى بقى كل المكتوبين قدامه ونظر جوان الى هذه الحال ما يقن ببلوغ الآمال وفرح وزقطط فقال البرتقش لما نقتصف يا أبى فقال جوان ما بقى أحسن من هذا الفرح ثم صاح على الكهين وقال مختار ما بقيت نصبر عليهم ولا ساعة أخذت بلادهم واحتويت عليها فعند ذلك التفت الكهين لارباب دولته وقال واحد منكم يقوم يمنتر ملك المسلمين فانتدب واحد وجذب الحسام فنظره جوان وقال الكهين ارفط يا كهين هذا ولد شيحة وكان هذا المقدم نور فاقبض وبقى معهم فقال جوان هاته يا كهين شيحة وابنه وحطهم معهم فحضروا فقال الكهين أنا أمنتركم بيدى فقال شيحة يا ملك الاسلام اطلب الفرج من الله لك لأن نفسك أنت أطهر من أنفاسنا جميعا فرفع السلطان قامته إلى السماء وقال اللهم انى أسألك يا عظام العظماء يامن بسط الارض على تيار الماء يا من بقدرته رفع هذه السماء يامن علم آدم الأسماء يا حكيم الحكماء إلهى أنت المدعو بكل لسان أنت الحاضر فى كل مكان يا من لا يعتريه عجز ولا وهم ولا يغيره الزمان عجزت جميع الخلائق عن إدراك شىء من بعض ما يحيط بعلمك يا من تنزه عن المشابهة والمثال والصفة والضد والمساعد والمنازع يا من هو الدائم بلا زوال وكل شىء دونه زائل أسألك بحق دين الاسلام وبكل آية من كتابك الذى أنزل على نبيك محمد ﷺ ان تنقذنا من هذا الكافر وتكون لنا عليه ناصرا فانك أنت الله العظيم القادر القاهر ولقد جاءتنا آيات فى كتابك المبين وكان حقا علينا نصر المؤمنين فما تم السلطان هذا الدعاء إلا والغبار علا إلى

الصفا وتكدر والكشف وبان من حجرة دهمة كأنها ليلة ظلمة مقبلة على ... تدفع الأرض دفعا وعليها فارس كأنه البرج المشيد مسربل بالحديد والزرد النضيد وما دام سائر حتى وصل الى صيوان الكهين ونزل من على ظهر حجرته وعند نزوله اختنق من أعين الناس وصرخ صرخة زعزعت المكان وقال وقعت يا ظاهر أنت وشيحة وحط على شاكريته وجذبها وضرب الكهين الأزرق على منبت شعره فطارت رأسه عن جسده فتصاحت أعوان الجان وقالت كثر الله خيرك فانك أرحتنا من خدمة هذا الجبار ولكن جميع الاسلام قروا بأرضهم لاخاصوا من اغلالهم فتعجبوا من ذلك وكان ظنهم بعد هلاك الكهين يخلصوا وتأمل الملك الظاهر إلى الذى قتل الكاهن وقال له يامقدم أنت من تكون من الابطال فقال الفداوى ياظاهر انا اسمى جمر شراب الدما وأتيت إلى خصمك قتلته قصدى أخلصك مما نت فيه ولكن أستاهل منك جزائى نظير ذلك فقال السلطان لك كل ما تقول فقال الفداوى طالب منك سلطنة القلاع والحصون فان رضيت بذلك لابأس وان لم ترضى أخذتها لطفا فان هذا شىء ماعليه فيه ضرر وأنا فرق وشيحة فرق وأنا أقاتل الكفار وانا أضر اعداءك من شادين الونام وافتح لك المدن والامصار والذى اقدر عليه انا لا يقدم عليه ولاغيره من الصغار والكبار فانطق بالصحيح من غير نفاق ولاتلويح فالتفت السلطان لشيحة ليشاوره فقال شيحة اعطه مطلوبه يادولتلى فان هذا ياخذ السلطنة على الحصون سبعمائة مرة وبهذا انقضى رب العالمين فلا تعرض القضاء واخذه بالقبول والرضا فقال السلطان والله يا اخى انا عندى الموت دون فرقتك فقال شيحة لا يادولتلى هذا مافيه إلا كل الخير والله يعلم ما فى الخلق ما نريد هذا كله يجرى بين السلطان وشيحة والفداوى ينظر إلى مشاورتها مع بعضهم فقال يا ملك الاسلام انت طولت فى السؤال ولا رديت على فقال السلطان يا فداوى انت سلطان القلاع والحصون انت ياشيحة معزول . فعند ذلك قال ينفعك الاسلام والسلطان وأكابر الاسلام فقاموا جميعا على اقدامهم وخلصوا من الاغلال فقال المقدم جمر اقعدوا فى أماكنكم حتى أفنى هؤلاء الكفار الذى لكم أيام فى سرهم وقتالهم ثم امددك الحاكم فقالوا له لبيك فقال انزلوا على عرضى الكفار ولا تبقوا منهم ولا ديار فما كانت إلا ساعة حتى انمحق جميع الكفار ولا بقى منهم لاقليل ولا كثير وأمر السلطان بجمع الخيول الشاردة والعدد المبددة وجلس المقدم جمر على كرسى الكهين الازرق وقال ياشيحة فقال نعم قال أنا اخذت منك الملك ولكن اذا طردتك تروح لحالك بغير عيب على وإنما ارسم لك وأجعل لك رأس مال حتى انك تبيع وتشترى وتتسبب

فاذا طال الحال يمكن انك تسير تاجر وتبقى أموالك مالها انتهى خذ الك هذا ذهب اجمله ذهب وراس مال كلما تشترى به بسبب وتبيعه خذ المكسب انفقه واجمله راس المال وان اتسع معك راس المال ينفعك ولكن إن رأيتك فى القلاع أو الحصون او رأيتك انحشرت مع أولاد اسماعيل أو اجتمعت على الظاهر واردت أنك تمنى نفسك ثانيا فى السلطنة يكون دمك مهدور فانا كنت ناوى انطع راسك ولكن انت ما فعلت شيئا تستحق عليه القتل اخرج فقال شيحة حاضر فنزل من السلطان واولاده معه باكيين حزانا على ما جرى والسابق يقول يا أبى كيف واحد مثل هذا ياخذ منصبنا ونروح ونتركه فقال شيحة ياولدى اسمع قول القائل حيث قال

اصبر ففى الصبر خير لو علمت به لكنت تبصر ما تلقى من النعم
واعلم بأنك لم تصطبر كرما صبرت كرها على ما خط بالقلم

فقال السابق الامر بيد الله وأخذوا بعضهم يكون كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه

[قال الراوى] وبعد ذلك التفت المقدم جمال الى السلطان وقال له سرت انت الآخر باليلوجية التى معك إلى مصر وكذلك الفداوية جميعا كل منهم يروح إلى قلعته حتى اسير انا ايضا الى قلعتى واقيم ليلتى عند مراتى وبعد ذلك احضر الى مصر وانظر اى محل يصلح لى اقعد فيه واطلبكم جميعا تحضروا الى عندى فركب السلطان وطلب مصر وتبعه الامارة والفداوية فأراد إبراهيم ان يروح مع السلطان فقال له المقدم جمال يا حورانى اذهب إلى قلعة حوران حتى تحضر ركن سلطتى فقال إبراهيم انا من جملة خدمتى انى غفير بيت السلطان فقال جمال فرغ خفرك والخفر على من اليوم انا فقال السلطان اذهب يا إبراهيم انت حتى نبصر على اى شيء تنقضى هذه العبارة وصار السلطان يقطع الارض والآكام حتى وصل الى مصر بسلام فضربت المدافع مثل العادة ولكن بقى على وجه الملك انكسار ويقول يا ليتنى قتلت على سيوف الكفار وارافق هذا الجبار ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم واقام ايام قلائل وإذا بباب الديوان انسد والستار ارتج والمقدم جمال شراب الدما طالع النمرود فقام له السلطان واستقبله حكم القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر واول ما تكلم قال يا امراء مصر كل رجل منكم يأتينى بمقرعة من الجريد فكل من الامراء ارسل جاب جريد فقعد وعمل مقرعة اول كل واحد

منكم يعمل مقرعة مثل هذه فقال علاء الدين احنا متاع فقط فقال الفداوى اخرص يا معرص فسكت وعملت الامراء مقارع فدعك الخاتم وقال كل مقرعة يتكفل بها خادم ثم قال يا امراء مصر انتم لكم عندى كل يوم ثلاث اكلات كفاية لكم ولكل من ينفعكم بالمقارع هؤلاء كل واحد منكم يضرب بها الارض ويقول عايز طعام كذا وعيش كذا وشرب وكلما احتاجه ياتيه من مطبخي أنا بشرط أن لم أحد منكم يكلف نفسه ولا بيته لاكثير ولا قليل وكذلك عليف خيلكم يخبط بالمقرعة ويقول عليف الخيل ياتى إلى الخيل بخدم معلقين وإذا أراد سراج بيته لكم مائة قنديل عند آذان المغرب يخبط المقرعة ويقول اوقد السراج فيوقد وانتم مرتاحين وإذا كساوى يخبط المقرعة ويقول عاوز سروال أو قميص او شال اوقفطان فياتيه بكل ما طلب وكذلك إذا أراد الغسيل يوضع الثياب الذى يريد غسلهم ويضربهم بالمقرعة ويقول انغسلوا ويتركهم فيلقاهم انغسلوا واذا طلب الخمر يسكر المقرعة ويقول يحضر لى خمر فياتيه فاخذوا كل واحد مقرعة وبعد ما استوفت الامارة فعل كذلك وقال يا جماعة اسألوا على ما امرتكم فاول من أراد أن يجرب كان المقدم إبراهيم ضرب المقرعة وقال يحضر قداى خاروف محمر صحيح على جانب فطير غرقان بالسمن البقرى محشى فستق ولو زوجوز فماتم الاوقدامه هو بلفه المشى ورائحة الطعام زكية قال إبراهيم اسم الله الله عليك يا مقدم جبر هكذا تفعل الملوك لك السلطنة والا فلا قال يا سعد كل قول سعد وأنا ما اجيب مثله نطلب سعد صينية بقلاوة بقشطه وعسل نحل وطلبت المقادم والامراء كل من هو على نفسه وبعد ما اكتفوا ارسلوا لبيوتهم والفداوية بالمثل وعند آخر النهار ضربوا الشورى الامر على بعضهم وقالوا إذا كان الذى نطلبه ياتينا مطبوخ بوقته بقى يلزم طباخ على ايه كذلك إذا كانت مقرعة يعمل ولع مائة قنديل وزيت من مقرعة هذا كان بقى ايش لازم فراش ايضا إذا كانت مقرعة هذا تجيب حصان مش لازم سايس ثم أن كل منهم طرد خدامه أول ما فعل ذلك علائى وقال لخديمه ياانى الله يسهل عليك احنا ما هو لازم خدام لنا فقال يا امير ايش الذى اوجب لذلك أن حصل ذنب منى فها أنا بين يديك وإن كان احدا ضرب فينا او نقص ما هيتنا لنا قانون قال علائى الدين الله الله يا أبى الله يسهل عليك والسلام فطلعوا توابع شذلك وكذلك توابع سقر وضجة الخدامين والطال المطال طلعوا للسلطان واحكوا له على دعوتهم فقال السلطان كان جامكيه الواحد منكم قدر ايه فقالوا خمسة ارغفة فى كل يوم والمغرب صحن طبيخ لبيوتنا والمغرب غداننا وعشانا على الطبليه فقال السلطان رتبوا لهم فى كل يوم عشرة

أرخمة وطاستين فى الضحى والمغرب وماهيتهم عشرة دراهم ذهب شيء ففرحوا
ودعوا له بالنصر فانفظ جمر شارب الدماء وقال ياظاهر أنت لايكون لك حكم وأنا
جالس أبدا وسامحتك فى هذه النوبة ولا بقيت تعيدها أبدا فقال السلطان طيب ولما فرغ
الديوان قال المقدم جمر سيدى امشى الى بيتى أتحدث معكم فقال الملك بيتك فين قال فى العادلية
فقال له السلطان الليلة دى أنت عندى والليلة الآتية أكون أنا عندك فقال جمر أنت
ودولتك كلكم عندى لاينتقل منكم أحد قوموا ولتلى معى فركب السلطان وسار معه
الى العادلية يلتقى ديوان لا نظير له وطلع يلتقى فراشات من كشامير وتيدار واسرة
وشيء ماحوى مثله كسرى ولاقيصر ولا الجندلى ابن كرك فتعجب السلطان وتذكر
قول الله سبحانه وتعالى (ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) (لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون) وقعد السلطان على سرير من الصاج
المصفح بالذهب الاحمر الوهاج وضرب جمر مقرعة وقال يحضر أربعين صحن كل صحن
جنس وشربات أربعين جنس وفطورات وشيء خارج عن الحد فقال السلطان ان ربى
على مايشاء قدير وكل من الزاد بحسب الكفاية وتعادنوا الى محل الكفاية فقال
المقدم جمر ياد انتلى هذا محل نومك تفضل وأنت ياوزير هذا مكانك وكل امير قال له
مكانك دخل السلطان الى محل ما شار له واذا به فى سرايته والملك أتباعه واقفين فى خدمته
فقال السلطان يا مثبت العقل والدين وكتم سره ودخل على محل مبيته وعرف ان
هذه عملة الكهانة وكتم ذات وأصبح طلع الديوان ولقى نفسه محل ما كان البارحة
فقعد عرف المضمرية وكذلك الوزراء والامراء حتى ان المقدم ابراهيم غالب لياليه
بياته فى قلعة حورا وبعض الفداوية الذى اطلع على ذلك الحال وأقام السلطان هكذا
مدة سنين الحكم والقضايا والامر والنهى للمقدم جمر شراب الدماء والملك الظاهر
لايبده حكم ولاربط مطلقا الديوان فى العادلية وديوان القلعة امجرجلة كاتبة الى يوم
من الايام طلع اثنان شاكيين بعضهم وقال واحد مظلوم يا ملك القلاع فقال المقدم
جمر ما حكايتكم اش ظالكم فقال واحد ياسيدى انا رجل بنادى اشتغل فى بيت الوزير ما أطلع
الا لمغرب وزوجتى أطليها المصروف تصرف على البيت فأتت الى أخى هذا وهو جزار
تشترى منه اللحم فمع رصة الناس عليه رفصها فى بطنها وهى حامل فقطت حملها فعلمت أنا بها فأتيت
اليه ومسكته وجيت به لمك لتحكم بيننا بالحق قال المقدم جمر أعطيه امرأتك تقعد عنده
تأكل وتشرب ويشكيها حتى تحمل مثل ما كانت ويردها عليك وهى حامل فقال البناء
يا خوند أنا ما اعطيه لا أعطيه زوجتى فقال له لايجوز ولا تاخذها الا حامل فقال

السلطان ايش هذا الحكم هذا خلاف الشريعة فقال له انت تراجعنى فيما احكم به فتمسك الظاهر واذا بالسلطان صار فى الحديد فقام الوزير والمقدم ابراهيم وسار وابده وركبته ويطلبوا منه العفو حتى عفى بشرط ان عاد يراجعه ثانيا فما جزاؤه الا القتل فقام السلطان وهو من الغيظ يقول

ما يبلغ الآمال الا مؤمل رغما على جور الهوى يتحمل
واصبر فان الصبر اعذب منهل للمرء ليل فى الهموم كدمل
عاجلته حتى وصلت لعجزه واصبر لما فاتك وما قد أتى
مثلا كحد السيف أو برد القنا فاحذر تحذرها فحق أو مق
ولقد تمر الحادثات على الفتى وتزول حتى لا تعود لفكره

وأقام السلطان يتجرع غصص الكيد والمشقة على ذلك الحال [قال الراوى] اما ما كان من المقدم جمال الدين شيحة فانه لما طلع من قدام المقدم جمر شراب الدماء ترك الدنيا وما عليها وسار الى مدينة قلوصة ودخل على الملكة تاج ناصر بنت ابطاويل الساحر فسألته عن حاله فأعلمها بما جرى عليه وباله فقالت له يا ملك القلاع قصنا من الله هذا الملعون يحكم القلاع سبع سنين كما حكم أبوه قطاويل مصر سبع سنين وبعد تمام مدته فان هلاكه قريب فأقام عندها تارة تلاعبه الشطرنج وتارة تحضر له أولاده بأسوامهم يتسلى معهم وتارة تأتيه بازواجه الذى هم هو ها وتراعى مزاجه حتى عرفت ان مدة المقدم جمر شراب الدماء فرغت فقالت له يا سلطان القلاع حل الوما واحتاج الدين صاحبه وشح المطالب ما بقى امهاله قم توكل على الله واطلب خصمك فان الله ينصرك فقام من عندها وافكر ان خصمه عرج عليه لا قيم فى مصر ولا فى القلاع فتجنب هذه الارض كلها ولم يدخلها على قلبه من ذلك الف غصة حتى انه وصل الى مدينة برصة وطلع على الملك مسعود ملك فقام له وترحب به وسلم عليه وقال له اين كنت هذه المدة فقال له ما الملك قال نعم افنى ان القلاع قد احتوى عليها جمر شراب الدماء وبرصة ما هى من القلاع كانت الواجب تأتى الى عندى اقضى زمانى معك وأنا نحن لا بيننا مال بقسم ولا سر يكتم فقال شيحة حصل خير وتحدثا حتى مضى النهار واقبل الليل صلوا صلاة العشاء وطلبت العين حظها للمنام فأمر مسعود بك ان تكون هذه القاعة الذى هم فيها برسم المقدم جمال الدين جمع الجوار الوافين وهبة منى اليه فالذى يريدها وتريده تاتى اليه تبيت معه فقال شيحة ايش هذا الكلام يا ملك مسعود فقال مسعود يا مقدم جمال الدين لو اوهبتك المال والروح ما اجازيك على محاسنك فى تمت منك لى ولو اعلم انك تقبل مملكتى

ذلك وهبة انزلت عنها قال أيادبك مقدمه على باجيل ثم التفت الى الجوار وقال لهم الذي تريد ان تصلح شأني تحب شيحة وتهواه كما تحبني وتهواني فقالت واحدة منهن والله ياسيدي أنا أحبه فيساعفني حتى أبات عنده فقال لها وأنت له موهوبة وتركها عنده وطلع فقالت الجارية ياملك القلاع مالك ان لهذا القرطان يزول عنك مع أنك تعلم أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ولو كنت التي من يساعدني لم يتم شهرنا هذا وأنا سالخ جر شراب الدماء وجالس على مملكتك وحاكما فقال لها بس قولى على إيش المساعدة وأنا أجود فيك فقالت له ان الملك مسعود يحبك محبة زائدة على الوصف فاطلب منه عشرة جوار لكن مايكون فيهم جميل الا أنا وتأخذهم وتسير الى العادلية وتهاديه بهم فاذا قبلني منك على هذه الحالة مايتم ليلته الا والخنزر في رقبته فقال شيحة امهذا شيء قريب وقام شيحة من وقته وطلب الملك مسعود بك وطلب منه عشرة جوار بكار فاتي اليه بما طلب وانزله في مركب من مراكبه من برصة الى الاسكندرية فلما وصل الاسكندرية طلع من المالح وسار الى العادلية فلما وصل الى الديوان فصاح نعم يا ملك القلاع أنا بك مستجير فقال جر ايش جابك الى هنا يا قصير فقال يا خوند مافي ملك غيرك أشكي اليه ظلومتي وأنت حكمك عام على الدنيا وأنا اضام وأنت موجود فقال جر إيش ظلومتك فقال يا سيدي أنت لما عطيتني الدينار جعلته رأس مالي فاشتريت به دجاج من بلاد الريف وبعته في مصر كل ب اثنين فاشتريت بالثلاث دنانير أغنام وبعتها في مصر بعشرة أشتريت من مصر صابون وبن وبعته في الريف بالقمح والفول والشعير بعته في مصر بعشرين دينار وسرت أتاجر حتى بقى رسمي الف دينار فصرت أشتري دقيق أبيض وأبيع للحكام ووقعت هذه الجارية بيدي ومرادي أعتقها وأتزوج بها فقالت لا يمكن ذلك فقلت لها أنت ملكي والملك يتصرف في ملكه فقالت الا أمكنك من نفسي أبدا لانك رجل كبير وأنا بنت صغيرة فحلفت الا أشكي اليك وأنا في عرضك يا سيدي تهددها بالقتل لعلها ان ترضى وتطيعني وأنا على كل حال من أتباعك فقال المقدم جر ادخلي يا جارية سرايتي وأنت يا شيحة امرق وبعد سنتين تعال يكون ربنا أطاعها النخشك ابقى خذها هشكها هل ماأعلمها أنا أول مرة تبقى ترضى فقال شيحة طيب ونزل وقال يا خوند أبات فين قال المقدم أنا أعرف تبات فين بات في جهنم فقال سمعا وطاعة نزل شيحة وراح الى مصر لقاعته التي في عابدين يلتقيها منقوشة نقشة جديدة ومكتوب في بابها

دارنا قد أنست رجالها فهي أعز نزهة الناظرين

كتب السعد على أبوابها ادخلوها بسلام آمنين

قد دخل شيحة كلام [قال الراوى] والمقدم جمر صرف الناس من القصر وقام ودخل
محل خلوته وطلب الجارية فقالوا لها الخدم انها فى الحمام فقعد ينتظر خروجها حتى
خرجت العشاء لعنه فانكبت على ركبته وقبلتها وقالت يا سيدى فى عرضك لم تطلق
شيحة وبكت وتشهقت بفتح وحنانة فبقى جمر مثل مثل الابريق الفخار منه يرمح قصره
وبزره فقال لها ما أعطيك لشيحة أبدا أنا أخذت السلطنة فكيف ما آخذ ذلك منه وان
تكلم فاقتله فبكت وضحكت وقالت يا خوند شيحة كان يسلخ الفداوية ما أحد غلبه
إلا أنت فقال لها أنا غلبته بخاتم جوهر ما أحد حوى مثله فى الدنيا فقالت له ياسيدى
والخاتم تضرب به وإلا إيش تعمل فانى أراه فى صباعك لا له سلاح ولا هو ثقيل لاجل
يخلف أجراح فقال لها هذا له خدام إذا دعكته يقول هذا هو لبيك فكل ما احتاج
شيئا أقول لهم عليه فقالت يا سيدى فرجنى عليه فقالت أخاف عليك تنفجع إذا
دعكتيه وطلعوا خدامه فقالت فى عرضك وتمرغت على صدره فقال لها بقى أول لما
أحشكك فقال له لما اتفرج قبله فمن شدة الحب والهوى قلع الخاتم وناوله لها فوضعته
ودعكته فرحة من الجانب الاكبر فصاح الخادم أكبر الجميع وكان اسمه بردة قال
لبيك قالت له أنت ايه قال ياسيدى أنا خديم هذا الضلع الذى دعكتيه فاطلبى تنالى
فقالت طالى حاجة أولهم اضرب جمر شراب الدماما تفوته الى الصبح وتحملنى وتوديني
عند شوحة كان جمر ماسك ذكره ومنتظر الجارية حتى تتفرج وتعطيه له ثانيا إلا وكف
نزل على عمته حضم الارض بخلقته وبقى مكتوم إلى أن طلع النهار قام ولبس عدته وطلع
الديوان وجلس فى مرتبته وأحدقت رجاله به مثل العادة ولما تضاحى النهار طلب
الناس يأكلوا فأول ماضرب المقرعة المقدم إبراهيم وقال يحضر كمف شريك وقطعة
جبنة وشوية عسل على المطور فخبط ثانى وثالث وقال يحضر ولو عدس وبصلى فلم
يحضر فخبط المقرعة وقال ولو رغيف ناشف حاف فلم يحضر فالتفت إلى المقدم جمر
وقال له اليوم ما جاءنا فطور فقال أم عيالين ويعبروا ويطبخوا الصبر مروءة المار وأعناق
الرجال تتهايل وباب الديوان استد والستار احتجب وستة وثلاثين مقدام من مقادم
بنو اسماعيل المعدودة كل منهم بالدرع أصحاب الشواكر المحدودة والرماح الممدوده
والخيل الاعوجيات المشدودة والايادى التى للجهاد والحرب دائما ممدودة قال
الشاعر فى حقهم

قوم إذا نودوا ليوم كريهة والخيل بين مداكس ومداعس
لبسوا الحرير على الحديد تشرفا يتزاحمون على ذهاب الانفس

وينهم الفيل متاع سلطان القلوع من قاد من الابطال كل فارس شجاع وخضعت لهيبته في فلاتها السبوع والنمورة واضاع اشبار الارتفاع في الجبال والبقاع طاعته الاحناش والآفات والآفاع وذكره في الروم والعجم والعرب قد شاع وطاشت السماع ذكره الابصار والاسماع

فان قاعات الحصون وعزها ‏ ‏ شيحة جمال الدين نعم الظاهر

سلطان من حاز الشواكر للقا ‏ ‏ يوم الجهاد والاعادي قاهري

[قال الراوي] ونظر المقدم ابراهيم بن حسن الى المقدم جمال الدين شيحة وهو في ذلك الزي العظيم فصاح أهلا وسهلا أكثر من الصلاة على النبي وحل سلطان القلاع الاسماء عليه والحصون القدموسية وهي طاقة الحوزند لك حتى تدوم الجبال والرمال في ماوات البحار ولمن تمادى صدق لم تصادق أي والاسم الاعظم فالتفت المقدم جمر شراب الدما وقال له من أمرك أن تستقبل القصير يا حوراني امسكوا شيحة فقال له شيحة على ا شرودعك الخاتم وقال يمسك جمر ويوضع في الحديد فامسكه جمر فقال له شيحة ابن الجارية التي أخذتها مني أمس فقال جمر والله ما وقعني في يدك يا فرزان غيرها الله لا يرحم أبوك ولا أبوها فقال شيحة يا مقدم جمر انت خسارة في الموت لانك فارس شديد وبطل للحرب جليد ومثلك من يقع الاسلام في الجهاد نعم انك اخطأت في حقي وحق السلطان ولكن احنا نسامحك بشرط أنك تخرج من الضلال الى الهدى ومن الظلمات الى النور وتدخل في دين الاسلام تجاهد معنا في الكفرة اللئام وتغنم هذه العافية التي أعطاها لك المولى في الغزاة والجهاد في طاعة رب العباد فان فعلت ذلك نجوت من العقاب في يوم الحساب فان الله كريم تواب وبعد ذلك تطاعني وتكون من جملة رجالي واكتب اسمي على سلاحك ويدوم سعدك وأفراحك وان خالفت وأغرك الشيطان ولا قبلت نصيحتي وداومت على معاندتي وحق الذي تفرد في ملكه بالدوام والبقاء وحكم على خلقه بالسعادة والشقاء أسلخك وأحرق لحمك بالنار واحشو جلدك تبن واعلقه على باب قلعتك ولا ينفعك الجمل الجبار ولا الذى لا جرب تشرب شرب الموت واعطب ما ظرف فقلت ومين في تلك حتى أعرف ما بدا لك وأجازيك في فعالك فقال جمر يا ابن السعاية ملتقى ابقى اسمي جمر شراب الدما سلطان الدنا سعد ما كنت سلطان ارجع أطيع لك مع أني ما أوصيك تكون ست عندي خدم لك واحدهوى لانا مش لا مقدم واتم كلامه حتى صار المقدم جمال الدين في ... فه وشق جمجمة رأسه بالكشافية ونزا على

زنوده وعلى ظهره وأفخاذه وأعاد أجنابه وبطنه حتى جمع الجلد على سرته وقال له يا مقدم جمران أسلمت وطعتني أو دعاك كما كان تبق مقارنى مع هؤلاء الأعداء فقال جمران يا معرص اقطع حتى جمران يموت وأنا لو أمرنى الجمل الجمران انى عليك ما أصدقه ولا أطيعك ولا ندخل دين الاسلام ولو شربت كاس الحمام فقال شيحة والاسلام ما هو مخصوص وانكى على سرته قطعها خرجت روحه إلى جهنم وأمر بحرق لحمه وعظامه ودبغ الجلد وحشاه تبن وعمل له عيدان قزاز وكتب عليه هذا جزاء من يخالف السلطان ويتبع الكفر ويفوت دين الاسلام ثم انه قال خذه يا سابق علقه على باب قلعته فأخذه نور الدين وقال أنا أعلقه لا السابق يا بى ما هو حاضر وأين ذهب السابق فقال محضر فعند ذلك سار شيحة لبيته الذى فى عابدين وقصده أن يسأل عن السابق فعادت له الجارية التى أصل قبض جمران بسببها فلما رآها قال لها والله يا بنتى ما قصرتى فيما فعلتى تمنى على كل ما تريدى فقالت له تمنى عليك ان تكتب لى سلطان القلاع من بعد حياة عينك فقال شيحة أن الفداوية لا يطيعوا الحريم فقالت له ابن الحريم أنا ابنك محمد السابق فقال له والله يا ولدى تستاهل الف سلطنة فان الذى فعلته لا يقدر عليه أحد غيرك يوم الحق أخوك المقدم وعلقوا جلد جمران وخذ هذا فرمان علقه على سرايته واختم على بابها حتى يدخل ماله بيت مال المسلمين فانه كافر وماله فيه فأخذ الكتاب السابق ولحق أخاه لقاه معلق فنزل هو وأباه ليلا ختموا على متاع جمران وعلقوا الفرمان وعادوا وأما كواخى المقدم جمران اصبحوا رأوا الفرمان معلق ومكتوب فيه من حضرة سلطان القلاع والحصون جمال الدين شيحة الى كواخى جمران ان عندكم جلد مقدمكم على باب القلعة معلق ومن ينزله أعلقه مطرحه وختمت على أمواله ومتاعه بأنها حق السلطان وها أنا ملاحظها حتى يرسل السلطان وكل من تعرض لأموال جمران وأخذ منها قليل ولا كثير فيكون ماله ودمه وعرضه مهدور والحذر ثم الحذر من المخالفة فقالت الرجال هيك يا أخى تسلطن مقدمنا على القلاع والحصون وهذه عاقبة السلطنة التى أولها الحكم على الرجال وآخرها سلخ وأخذ أموال ويقيم باشى الكواخى حريص على ماله حتى يقدم المقدم سليمان الجاسوس يجمعه ويوديه بيت مال المسلمين بأمر السلطان وأما الذى جمعه فهو سلطان الحصون هذا كان فى مصر عزون هذا ما جرى وبعد ذلك رجع الديوان الى قلعة الجبل وأيام الملك الظاهر يتعاطى الأحكام بالعدل والانصاف كما أمر جد الأشراف مدة أيام وليالى بتمام الى يوم طلع ابن الرزاز الى الديوان يقول فالله زاد اشارة الى ان البحر تكامل فى الزيادة ولازم قطع سد الخليج وجرى النيل فى البلد مثل العادة فأعطى السلطان لابن الرزاز

حدرته وكساه وأمر بقطع الخليج وانتصب وطاف السلطان على السد وكذلك الأمراء والوزراء وكان يوم عظيم الشأن وآخر ما انقطع السد دخل السلطان قاعة المقياس وإذا بمركب قادمة من ناحية الصعيد وفيها جماعة من العبيد ومعهم نقاربة يضربون عليها وهم فى فرح وأقبلت إلى البر فقال السلطان انظر يا ابراهيم هذه المركب إيش فيها فصار المقدم ابراهيم إلى تلك المركب ينظرها فالتقى فيها خمسة وأربعين عبد وفى صدر المركب ولد حبشى قاعد ومعه كلب قاعد بجنبه وذلك الكلب لابس جلال قطيفة وأبو عمر والقائد جالس قدام ذلك الولد فلما قدم إبراهيم سلم على أبو عمرو القائد وقال له إيش الذى جاء بك من حصباء العين إلى هذه البلاد فقال له اعلم يا أبو خليل ان ملك الحبشة الصحصاح معه هذا الولد فاشتهى على أبيه انه يتفرج على البلاد فأرسله معى بكتاب لملك الاسلام فقال له السلطان هنا عند النيل ان كان لك شغل عنده قم اليه فقام أبو عمر وأخذ معه الولد وصار به إلى قدام السلطان فباس القلاع الارض وكذلك أبو عمر وقدموا الهدية وهى الف وقية ذهب سنارى وأربعين ربطة ريش نعام وكتاب فاخذ السلطان كتابه وحله وقراه وإذا فيه من الملك الصحصاح ملك حصباء العين إلى بين أيادى ملك البيضان اعلم أنه قادم لدولتك ولدى ولم يكن عندى غيره وأرسلته يتفرج على بلادكم وهو من عرضى لعرضك فالمراد يا ملك الاسلام أن يقيم تحت أمانك مدة إقامته ويعود إلى بلاده ومعه مصروف يكفيه مدة إقامته وما قصده إلا التنزه لأن بلادكم أطيب من بلادنا فلما قرأ السلطان الكتاب قال للولد تقيم عندى فى قلعة الجبل أو أسكنك فى وسط البلد فقال يا ملك أريد بيتا يكون على البحر لا أفارق البحر لا صيف ولا شتاء فأمر له السلطان ببناء قصر له فى مصر العتيقة وانزله فيه ونادى منادى كل من عارضه يستاهل كل ما يجرى عليه لانه نزيل السلطان فأقام أياما وهو فى مدة الامان إلى يوم من الايام شاقق الولد فى السوق وكان رجل زيات متغاظ من الفيران لانهم كانوا يماكسوه فى الزيت والعسل وما أشبه ذلك فربى قطا وجعله خفير على دكانه من الفيران فاتفق أن ذلك القط وقف قدام دكان صاحبه والولد الحبشى فايت والكلب ماشى معه فنظر ذلك الكلب إلى القط فاطبق عليه بانيابه قتله فنظر الزيات إلى الكلب لما قتل القط فاخذ ساطور وهجم على الكلب وضربه بالساطور فلق رأسه ومات فاغتاظ صاحب الكلب وحط يده فى السيف وضرب الزيات أرمى رقبته فلما نظرت أهل مصر العتيقة ان واحد عبد قتل منهم رجل فما كان منهم إلا أن اجتمعوا على ملك العبد قتلوه وبعد ذلك اجتمعوا مع بعضهم وقالوا كيف العمل إذا درى السلطان فانه يهلكنا ويقال

علينا اننا عاصيين فاشار لهم واحد شيخ من أهل الطريقة وقال سيروا معى السلطان وحضروا البيارق ووضعوا الكاب والقط فى تابوت والاثنين فى تابوت وصاروا وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله حتى طلعوا إلى قلعة الملك فوجدوه جالس واهل مصر العتيقة طالعين بالبيارق والاعلام فقال السلطان إيش الخبر اسألهم بالإبراهيم فسالهم إبراهيم عن حالهم فحكوا له على ماحصل فاعاد إبراهيم على السلطان الذى جرى فقال السلطان ياناس انا نزلته عندكم وقلت لكم لاأحد يتعدى عليه فكيف فعلتم هذه الفعال فقال الوزير يامالك وإيش حصل من الرعايا أولا كلبه قتل قط الرجل فكان الرجل اخبر من الكلب فهجم على الكلب قتله ولو كان ماقتلش الزيات كنا نحن نجازى الزيات ونقاصصه على قتل كلبه الاحكم مجنون وقتل الزيات وكذلك أهل البلد يعرفوا شرعا أن القاتل يقتل ولاأجر له ومافعلوا إلا الصواب فالقاتل يقتل بلامخالفة فقال السلطان وبقينا نعمل إيش فى أبيه فقال الوزير حضر علماء الاسلام واكتب صوره الواقعة عاجرى وختم علماء الاسلام عليها وارسلها مع العبيد الذين أتوا معه من عند أبيه فان كان يقبل العذر ويعرف أن ولده مات تحقيق وسكت لاباس وإن افترى علينا فالعفو من عند الله فامر الملك باحضار العلماء وكتبهم حجة عاجرى وختموا عليها العبيد وامرهم أن يسيروا إلى ملكهم وكتب له كتاب وصاروا إلى بلدهم وأقام الملك يتعاطى الاحكام

[قال الراوى] فلما كان يوم من الايام السلطان جالس وإذا بسيار من حلب ومعه كتاب قدمه السلطان فقرأه فاذا فيه من حضرة عماد الدين بن الجيش باشة حلب إلى بين أيادى مالك الاسلام ان يوم تاريخ الكتاب نحن مقيمين وإذا بعساكر اعجام مقدار سبعة آلاف فارس وترابعها يريدوا الدخول إلى بلاد الاسلام فسألناهم عن أنسابهم فرأيناهم مسلمين فاقمنا الحصار وأردنا أن نحاربهم فارسل لى كبيرهم يقول لا نتسبب فى إهراق الدماء بيننا فانا اسمى القان بكتمر السعدى وقصدى حرب السلطان بالبراز فان أسرنى خدمته وأكون من رجاله وإن انا أسرته أطلقته على ما أحب وأختار فلما سمعت منه ذلك الكلام أرسلت لك ذلك السيار فادركنا وارسل لنا من يدركنا والسلام فلما قرأ السلطان الكتاب وفهم ما فيه التفت إلى أيدمر البهلوان وقال له هذا عجمى مصارع مثلك خذ عسكرك واذهب ولا تأتى إلا به إن شاء الله إلا أسيرا وإن قدرت على قتله لا تقتله فانه مسلم على كل حال فركب الامير ايدمر برجاله الف خيال وصار يقطع الارض حتى حط على حلب وباتت ليلة وعند الصباح ... أيدمر كتاب وأعطاه إلى ... من عا ... حتى وصل إلى عرضى

اعجم وقال قاصد أخلوا له الطريق فدخل على القان كتمر السعدى وسلمه الكتاب فقرأه وإذا فيه بلغ من قدرك أنك تركب على بلاد الاسلام أما تعلم أن سيف السلطان طويل حتى أغرك الشيطان على إتلاف مهجتك يعني انت أكثر من هلاون مع أنه رافضي ولكن كان الذي كان وانت بقيت تحت القضاء فان أردت السلامة من الندم والوجود من العدم تعلق سيفك فى رقبتك وتأتى إلى عندى آخذك معى الى الملك الظاهر يبايعك نفسك بالمال وتتوب على يده عن الضلال فان الاسلام لا عليهم جزية ولا مال إلا خراج الأرض فان فعلت ذلك أمنت على نفسك وإن خالفت اشمر بفناء عمرك وإخماد حسك والسلام فلما قرأه التفت إلى حامل الكتاب وقال له هذا كتاب السلطان فقال له لا هذا كتاب ايدمر البهلوان فقال وايدمر هذا وزير فقال لا وإنما هو أمير من جملة الأمراء فأعطاه الكتاب وسار يضحك وكتب له رد الجواب

فقال المملوك هات حق الطريق فأعطاه ألف دينار فعاد المملوك إلى ايدمر وأعطاه رد الجواب فقرده فالتقى فيه يا أمير أنت معك ألف مملوك وأنا معى عساكر كثيرة وأريد منك أن تنزل أنت إلى الميدان فان أسرتك ابايعك على ما اريد وإن انت أسرتنى أكون لك من جملة العبيد وأول الحرب بينى وبينك فى الغداة والسلام فبات آيدمر يصلح فى نفسه إلى الصباح وبرز إلى الميدان فالتقاه كتمر السعدى وتقاتلا والتحما وتقاتلا وطال عليهما المطال وهم فى ضرب حسام وتجرع الحمام حتى قال الله بالظلام وولى النهار بالابتسام وانفصلوا عن الصدام وعادوا إلى الخيام وعملوا كذلك ثانى يوم وثالث ورابع وكل منهم فى أخذ خصمه طامع ودام بينهما ذلك الخصام مقدار خمسة وأربعين يوما فلما كان يوم الستة والاربعين وهم مع بعضهم مشتبكين وإذا بفارس من البر قد أقبل ودفع الحصان واليهم قد وصل وصاح على ايدمر البهلوان رده عن الميدان وطلب بكتمر السعدى وهو لا يعيد ولا يبدى ومال بكليته له فأراد بكتمر أن يحاوله فرآه نار لا تصطلى وجبلا كلما قارب منه شمخ وعلا فعلم أن الفرسان لا تقايس وانه ما هو من رجال ذلك الفارس فانه ضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرائقه ومد يده وطبق على جلبابه ودعه وعصر عليه كاد أن يخرج مقل عينيه وهزه اقتلعه من سرجه ورماه لايدمر وقال كتفه فارادت عساكره أن تحمل عليه فرفع اللثام عن وجهه وإذا به الملك الظاهر وقال كل من خرج منكم قطعت رأسه فالتقى الرعب فى قلوبهم وقل طمعهم عن مطلوبهم .

[قال الراوى] كان السبب فى قدوم الملك الظاهر وهو أنه لما أرسل ايدمر

البهلوان كان منتظر قدوم ملك الحبشة إلى هذا المكان أو يقنع بما كتب له السلطان فقال لما ل قال ربما أن الذى قدام ايدمر يدوم عسكرجسيم لا يكون ايدمر له طاقة على قتاله فاكون أنا بعثته إلى الحرم أخبر الوزير بذلك فقال يا مولانا لقد انظرت موضع النطر فاحضر السعيد وأجلسه مكانه وركب هو حصانه وسار الليل مع النهار حتى أدرك ايدمر كما ذكرنا وأسر بكتمر السعدى وعاد إلى الخيام فالتقاه ايدمر البهلوان وقبل رجله فى الركاب ونزل السلطان وطلب بكتمر لما بقى بين يديه قال هيا يا أمير ايدمر اقطع رأسه وبكرة اكبس عليه عرضيه انهبه حتى يقل طمع كلاب العجم فى دولتنا قال بكتمر يا ملك الاسلام تامر بقتلى وأنا مؤمن وقتل المؤمن عمدا حرام فى دين الاسلام لا سيما وأنا أخو خديمك ايدمر البهلوان .

قال سلطان صحيح يا أيدمر هذا أخوك .

فقال ايدمر والله لا أعلم يا ملك ولكن ساعنى حتى أساله

فقال الملك اساله فقال ايدمر انت اخى كيف تكون وأنا لا أعلم لى أخا والدنيا لأن أبى وأمى ما خلفوا غيرى قلت أخى من أين

[قال الراوى] وكان السبب أن أبو ايدمر البهلوان يقال له درويش شاه صاحب قلعة القمر وماتت زوجته أم ايدمر البهلوان وكان ايدمر هذا صغير فقالوا له الوزراء يا قان الزمان الزواج من شرط الديانة فقال لا أزوج حتى يكبر ايدمر ولدى وصار يجتهد فى تربيته حتى قرأه القرآن وبعده اركبه الخيل فصار يتعلم الكر والفر ووافقوه أربعين غلام امثاله من أولاد العسكر فصار ياخذهم ويغيبهم على الغابات ويصطادوا الأشبال واللبوات ويدور بهم فى الجزائر الخاليات ويقتنص مراكب الروم ويسر منها مدة أيام الى يوم دخل الى جزيرة بجانب البحر ومعه أربعين غلام رفقته فامسى عليهم المساء فباتوا فى تلك الجزيرة فاصبحوا وجدوا أنفسهم أسرى عند النصارى

فقال ايدمر وقعنا ياإخوتى ولا بقى لنا خلاص من هذه الوقعة ولا مناص فامتثلوا الى حكم الله فصاروا بهم النصارى إلى برصة وباعوهم فيها إلى الملك مسعود بيك فاشتراهم واتى على بن الوراقة اخذهم هذا ماجرى لايدمر واما ابوه القان درويش شاه فانه حلف لا يتزوج حتى يطلع لى خبر ولده وطالت الايام وبعده اتاه الخبر ان ابنه ايدمر فى مصر عند الملك الصالح ايوب فارسل هدية لولده وهدية للسلطان واوصاه على ولده فارسل الملك الصالح له رد الجواب يقول له انه ولدك نظير ما تحق الابوة والآن صار ولدى انا بحق الملة الاسلامية ليكون مجاهدا فى سبيل رب البرية

ولما أتاه رد الجواب بذلك اطمأن على ولده وأقام فى تخت ملكه وخطب من القان مرزبانه بنته وكانت تسمى دررفلك ولكن كان القان مرزبان يكره درويش فردخاطبه وهديته فأرسل له يعاتبه على ما فعل فاستحى من وزرائه لأنهم قالوا له لابد لبنتك من الزواج ولا تجد احسن من هذا القان درويش شاه فأنعم بالزواج وجهزه بنته وأعطاها خف سم وقال لها إذا دخلت معه فاسقيه له فى الشراب قالت له سمعا وطاعة ولما عبرت البنت ودخل بها القان درويش أحبته وحبها فأسلمت على يده لأن أبوها كان رافضى وهى مثله فأهداها الله تعالى وأعطت زوجها الحق السم وأعلمته بما أوصاها أبيها فلم يعاتبه وقعد معها حتى خلفوا ذلك الغلام وسماه بكتمر السعدى كانه لما كبر سار يغزى بلاد الأرفاض ويهود لسعادة هذا سيده كنيته بالسعدى فان أصل اسم بكتمر فقام وأقام كذلك وكبر وانتشى وصار حربى إلى يوم افتكر أبوه فبكى على ولده ايدمر كانه كان فارس خيال وجرى عليه ما جرى من ذلك الأحوال فساله بكتمر على بكائه فقال له ياولدى كان لى ولد فلك اسمه ايدمر البهلوان وكان اتخذ أربعين ولدا صحبته من أولاد الأمراء واستاسر فى بلاد العرب عند قان العرب فلما اطمانيت عليه تزوجت بامك وخلفتك فطلعت تشابهه فى الخصال والأفعال وهذا سبب بكائى .

فقال بكتمر وحق الصديق وعمر وعثمان وعلى حيدر لا بقيت أنظر فى هذه البلاد حتى أنظر أخى ايدمر وأجيبه يقعد معى فى هذه البلاد وكان قان العرب يمنعنى عنه أقتله حتى أخلصه منه وجمع ذلك العسكر وأتى على حلب كما ذكرنا وجاء ايدمر وحاربه وأقبل الملك الظاهر واسره وأراد أن يقتله فحكى هذه الحكاية كما ذكرنا فلما سمع ايدمر هذا الكلام من اخيه بكتمر قام قائما على الاقدام وقبل الملك السلطان وقال يا ملك الاسلام هذا أخى وقوله حق وأنا سمعت عنه أنه اخى وخلفه أبى بعد أخذى من عنده .

فقال الملك إذا كان أخاك لكن صار أسيرى وكان محاربا لى وأسرته من الميدان فان أردت أقتله فما على فى قتله من جناح لأنه محارب ولكن يا امير ايدمر إذا كان اخوك ما يهون عليك قتله لكونه اخوك وانا مايهون على اسيرى اطلقه بلا شىء وانا تعبت فيه لما اسرته إلا إذا كان يخدم عندى ويكون مثلك اميرا على مائة مقدم على عساكر الف

فقال ايدمر يا مولانا ومن الذى يطول هذه المرتبة وينزل عنها

قال السلطان قل له إن كان يرضى فقال بكتمر يا مولانا إيش الذى يقول لى انا

ن رايت من يتسبب لى فى خدمة مولانا السلطان اشتريها بجميع ما أملك من المال
والانعام فقال السلطان هات معك ايدمر وركب الملك وسار حتى دخل مصر ليلا
وجلس على تخت ملكه واقام ايام قلائل وصل ايدمر البهلوان وصحبته بكتمر اخوه
امر له الملك بمركب وجاءت وراءه إعساكره الآلاف مملوك وعسكر بكتمر سبعة
آلاف وللمطالع الديوان امر السلطان لبكتمر بكرسى نطلع عليه وكتبه سنجق سلطان
مير مائة مقدم على جيش الف وفرح ايدمر البهلوان لأخيه بخدمته عند السلطان إلى
يوم كان الديوان متكامل وإذا بعشرة من العبيد قد اقبلوا وطلعوا الديوان وباسوا
الارض قدام السلطان واعطوا له كتاب وهدية ففتح فيه موجود من حضرة ملك
الحبشة والسودان إلى بين ايادى ملك البيضان فالقادم لك من عندنا هدية تنعم علينا
بقبولها وتفهم كيفيتها وانا ملك الحبشة والسودان وملك البيضان

تم الجزء الخامس والثلاثون ويليه الجزء السادس والثلاثون

من سـيرة الظاهر بيبرس

الجزء السادس والثلاثون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فقال الملك مقبولة هات الهدية فقدموا له الهدية وإذ فيها شجرة من الذهب الأحمر ولها ثلاثمائة وستة وستون فرع وكل فرع فيه ثلاثمائة وستة وستون ورقة ووجد تحت الشجرة شخص من فضة وسبع من ذهب والسبع ماسك وعنق ذلك الشخص بانيابه وواضع يديه على اكتافه فقال الملك هديته مقبولة فقال الوزير يا ملك الاسلام هذه الهدية مبنية على كلام لأن هذه الشجرة عقدة ولها تفسير والحكم لله العلى القدير فقال السلطان عقدة يعنى ايه فقال الوزير ان ملك الحبشة يقول ان بلاده مثل هذه الشجرة بها ثلاثمائة وستة وستون اقليم وكل اقليم فيه ثلاثمائة وستة وستون تخت وكل تخت به ملك وقلعة وبها عساكر رجال وفرسان وأبطال ثم يقول له مثل ذلك هذا الأسد وأنت مثل ذلك الشخص وانه يفترسك ويمسكك من عنقك بنابه ويضع على اكتافك يديه مع انه كذب فى قاله وتقصر يديه ومد أمثاله ان يبلغ من مولانا السلطان ما يؤمله من آماله فقال السلطان صدقت يا وزير فيما قلت من التدبير وانت بمثل هذه الاشياء خبير ولكن بقى عليك أن ترد له الجواب وتناقض هذا الخطاب فقال الوزير سمعا وطاعة ثم ان الوزير احضر ارباب الصنائع وأمرهم فاصطنعوا شجرة من الذهب ولها ثلاثمائة وستة وستون فرع من الفضة وكل فرع ثلاثمائة وستة وستون عود على كل عود أوراق وأثمار لا تعد ولا تحصى وجعل تحت الشجرة شخص من حديد والبسه لباس ملك الحبشة وجعله مقيد وجعل صورة السلطان من الفضة وفى يده حربة وسنها فى عين ملك الحبشة وأحضر جانب من الدخن ووضعه تحت رجلى ملك الحبشة وجعل تحت رجلى ملك الاسلام ديك حاضرين يلتقطون بمناقرهم حب الدخن من الأرض ثم انه كتب كتاب مضمونه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك الأعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة

ملك الاسلام الملك الظاهر إلى بين ايادى ملك الحبشة والسودان اعلم ان هديتك اخذناها وعرفنا مضمونها ومنشاها تقول ان اقليمك مثل هذه الشجرة وبها ثلاثمائة وستة وستون اقليما فيه ثلاثمائة وستة وستون قلعة وكل قلعة بها تحت وملك وعساكر وأن الحبشة مثل هذا الدخن وجعلت تحت الشجرة مثل شخص ابيض وأسد يفترسه بنابيه ووضع على اكتافه يديه هذا مضمون عقدتك مع ان ممالك الاسلام مثل هذه الشجرة تحتوى على ثلاثمائة وستة وستون قطرة وفى كل قطرة ثلاثمائة وستة وستون تخت وكل تخت له امامه قلعة وإمامه مدينة فاذا انت قسمت بلاد الحبش تجدها قطرا من جملة أقطارنا وقولك ان الحبش مثل الدخن فعلى هذا إن عساكرنا مثل ديوك الدجاج يلتقطون كل الدخن الذى يرونه من الارض كلمح البصر وصورنى وصورتك مصورين تحت الشجرة إذا رأيتهم تفهم مضمونهم والسلام فميز بنفسك وقس فى كل ما ترى فان اردت خراب بلادك دونك وما تريد ووضع الشجرة فى صندوق وأعطى الكتاب إلى العبيد وسلمهم الصندوق وأمرهم بالعودة فعادوا إلى ملكهم وكان اسمه سيف الملك فدخلوا عليه وأعطوا له الكتاب وقدموا الصندوق إلى بين يديه ففتحه ونظر إلى تلك الشجرة فلما نظرها التفت إلى وزيره وقال هذه حكاية عرفوها

[قال الراوى] وكان السبب أن الصمصام ملك حصيا المين لما ارسل ابنه إلى مصر وجرى ما جرى وأتت له الحجة بخطوط العلماء فزاد غيظه على ولده وأراد أن يركب وكان له أخ يقال له القمقام وهو وزير الملك سيف الملك ملكا بلد الحبشة فارسل الصمصام أعلم اخاه القمقام يقتل ولده فى بلاد البيضان وآخر الكلام يقول ومرادى نسير بعساكر السودان آخذ بثار ولدى وأهلك جميع البيضان حتى تنطفى نار كبدى فأعرض هذا الخطاب على الملك سيف فقال له كان عنده وزير يعرف فكيف فنحن إذا ركبنا عليهم يغلبونا فقال أرسل هذه الشجرة كما ذكرنا وجاء له ردها كما وصفنا ونظرها سيف الملك وقال لوزيره القمقام ان عقدتك عرفوها وعلمنا من ذلك أن ملك البيضان عنده مثل وزير صاحب معرفة وتدبير فقال له صدقت ياملك ولكن الصواب انك ترسل له وتقول له أرسل لى هذا الوزير حتى ننظر اليه فان ارسله احفظه عندك ولا تفرط فيه حتى تملك البلاد بتدبيرى وملك البيضان لم يبق عنده من يعلمه وإن كان ملك البيضان يخاف على وزيره ولم يرسله فنحن نجتهد فى تدبير ثانى فعند ذلك كتب الملك سيف الملك كتابا الى الملك الظاهر يقول اطلعنا ما أحاط بفهمكم من الشجرة وصورتها مع اننا ما عندنا شيء مما أحاط

فى ضميركم ولم يكن هذا فى ظننا وانما نريد منك ياملك ارسال الذى عرف المضمون هذا حتى اعرفه بعينى وبهذا يحصل التقريب بيننا والوداد والصفاء وعدم العناد وأرسل الكتاب مع سيار حتى وصل السلطان فقدمه له الكتاب قرأ فتعجب وقال ايش هذا الكلام وهم السلطان أن يقتل السيار فقال الوزير اصبر ياملك الاسلام أكتب له رد الجواب فان كل ملك لابد له من وزير وعلى ما تعلم ان الوزراء هم اصحاب الحل والربط عند الملوك فكيف أرسل لك وزيرى وأقعد بلا وزير فان كان مرادك أن أرسل لك وزيرى فأرسل لى وزيرك يقيم مكانه حتى يعود لأنى لم استغن عنه والسلام وعاد السيار الى ملك الحبشة وأعطاه الجواب فرآه فاغتاظ وقال أنا طالب منه وزيره يرسل هو يطلب وزيرى منى وحق بيت عداتين ما مراده الا يقتلنى وأنا لم أقعد حتى أملك بلاده وأملك عساكره وأجناده وضرب الطبول فارتجت بلاد السودان عرضا وطولا فبينما هم كذلك واذا بالاخبار وصلت وقالوا أكار دولته ياملك ان أختك الملكة ميمونة ومرادها ان تسلم عليك

[قال الراوى] وكان لهذا الملك اخت كهينة اسمها ميمونة الحبشية وهى ساحرة ماكرة فاجرة ملعونة ولها بنت ألعن منها اسمها مثل امها ميمونة والبنت أعظم من أمها كما قيل كان فى الحارة كلب أقلق الناس من عوائه فلما مات خلف جروا فاق فى النبح عن اباه فلما علم الملك بقدوم اخته ميمونة الحبشية وكانت غائبة فى مدينة الخرطوم عند ابن عمها يقال له الملك برقان فقام اليها واستقبلها وفرح بقدومها وهى أيضا سلمت عليه وفرحت به وقالت له مالى اراك منزعج الحواس فقال لها يا أختى أن الصمصام وزيرى أرسل ولده الى بلاد البيضان يتنزه فقتلوه البيضان فلما علمت بذلك أردت أركب عليهم فاصطنع الوزير القمقام حقدة قال انهم لم يعرفوها فعرفوها وأرسلوا الى ضدها ثم انه أعاد عليها كلما جرى فقالت له أقعد مكانك وأنا أقبض على جميع البيضان وأذلهم بالحرب والطعان وأنت لا تتعب ولا تأتى يدك على صدرك ثم انها أمرته ان يقدم لها عشرة آلاف من فروخ السودان وركبت وسارت لمدينة الايوان ملكتها ووضعت فيها نائب من طرفها وأتت الى مدينة حصباء العين ونزلت بالعرضى فبلغ الشيخ ابر هير بقدوم هذه الكاهنة ويعلم انه اذا قابلها ليس له بها طاقة ولا يقدم على حربها فجمع كلما كان تحت يده من عسكر وسودان وعربان وقال لهم هذه الكافرة اذا اخذت حصباء العين تسير الى بربر وتعبر وادى حلفا وتدخل الى اقليم الصعيد وتحوج الملك الظاهر الى التعب وان وقفنا لها فى الطريق لم نقدر على ردها فالصواب نروح الى مصر

وتعلم الملك الظاهر ثم انه أخذ حريمه وعياله وعساكره ورجاله وسار الى مصر ودخل على الملك الظاهر وقبل الأرض وبكى بين يديه فقال له السلطان مالك يا أبا عمر فقال يامولانا ملكت البلاد وقتلت العساكر والاجناد فقال الملك ومن الذى فعل هذه الفعال فاعلمه بأمر ميمونة الحبشية وأنها ساحرة ماكرة فقال السلطان ان الله تعالى أوعد الاسلام بالنصر لقوله تعالى فى الكتاب المبين (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

ثم التفت السلطان وقال يا معاشر الاسلام أنا مرادى منكم واحدا أجعله مقدم ركبى ويسير من طرف إلى بلاد الحبش وإذا فتح بلدا وأعجبته وأراد الاقامة فيها تكون له اقطاع بلا مال فسكتوا أهل الديوان لما يعلموا أن الحبش جيش غزير قام الامير بكتمر السعدى ووقف قدام السلطان وقال يامولانا فانا أروح الحبش وأقاتل وإن شاء الله الرحمن الرحيم لا أعود إلا منصور بسعادة مولانا السلطان ففرح به السلطان وعرف أنه بطل جسور وعلى الحرب غيور فقال الملك أنت عندك كم خيال قال يامولانا كما تعلم أن عسكرى سبعة آلاف بخيولهم وعددهم وسلاحهم فقال السلطان وعساكرى مطيعين لأمرى وإذا سرت إلى بلاد الحبش يسير وامعك فقال نعم يامولانا فعند ذلك أخلع عليه السلطان أن يكون قائد جيش وصارى عسكر التجريدة وقال للأمراء اعلموا انكم لكم سنين وأعوام مقيمين تأكلون عيش على بساط السلطان ولما سألتكم على التوجه إلى الحبش سكتتم ولا أحد تصدر منكم إلا هذا الأمير مع انه غريب فالواجب عليكم انكم تهادوه بمماليك وعساكر وخيل يستعين بها على السفر والحرب فقالوا سمعا وطاعة فاول من هاداه أيدمر البهلوان فاعطاه خمسمائة مملوك مشنية بخيلهم وسلاحهم وأعطى كل واحد منهم الف دينار ذهب وأعطاه نقدية خمسين الف دينار وقدم له خمسين خيمة كل واحدة تسعة عشر مماليك بخيولهم وأعطى لأخيه صيوان كبير وقدم له زخرة وعليق والأمير قلدون فعل مثل ايدمر وكذلك بقية الامراء وا يذ بكتمر السعدى وعدى على الجيزة حتى تكامل عرضيه سبعين الف مقاتل وقدم ا السلطان اثنى عشر بطارقة ومن المدافع ثمانية كبار وأربعة صغار والبطارية الكبيرة ستة مدافع والبطارية الصغيرة اثنى عشر مدفع بجبخاناتهم وخليهم وطباخاتهم وسافر الأمير بكتمر السعدى فى مثل الملوك الكبار وأصحاب الاقاليم والامصار ومادام سائر يقطع الاودية والخوال حتى وصل أول شلال فالتقى بعساكر الملكة ميمونة

[قال الراوى] كانت ميمونة لما أرسلت قدامها العساكر وخرجت من خصباء المين كما ذكرنا فى عشرة آلاف من عند أخيها وجمعت من مدينة الأبواق والخرطو

وعساكر لا تحصى حتى بقي جيشها يزيد على مائة الف فارسلت العساكر طالبة بلاد العربان إلى آخر الشلال فالتقى بالعساكر بكتمر السعدي ووقعت العين على العين وتقابلوا الفريقين وزعق على الجميع غراب البين وفزعت السودان بكل سيف يمان وكل رمح كعوب مزان واشتغل السلاح في تراعم الابدان ووقع الضرب خطأ وصواب وضاقت بالجميع الاسباب وطارت الكفوف والرقاب وانعقد الغبار والضباب وقاتل كل قرم مهاب وتقطرت الخيل والدواب وانصب عليهم العذاب وبكت الاحباب على الاحباب وقال الجبان ياليتني كنت تراب ولم ير مثل هذه الامور الصعاب فكم من رأس طاير ودم فار وجواد غار وقد تحسرت الانفس على ذهاب الاعمار ودام الامر على هذا العيار إلى آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونظر بكتمر السعدي بعد الاعداء لم يطلبوا الانفصال فاحضر الطبجية وأمرهم أن يضربوا الاعداء بالنار وظلام الاعتكار وأرسل إلى رباط العسكر ان يروحوا بالعسكر إلى الخيام حتى ياخذوا الراحة للمنام فردهم كما أمرهم الامير بكتمر ونظر السودان إلى رجوعهم وعودتهم فطمعوا فيهم وارادوا أن يدخلوا خلفهم لحين ذلك صاح الامير طقطم على الطبجية وقال اضربوهم بالنار فما تم هذه الكلمة حتى خرجت ستة وسبعون مدفع نار لحشت فيهم كشن العجل القرار وثاني يوم وثالث ورابع ودامت الطبجية تضرب مقدار ساعة من الليل فالذي وصل للخيام قطعه العساكر بالحسام والذي اصابه القوم المدافع صار على وجه الارض قطع ورباق السودان اشتتوا في الجبال والاودية الخوال وبات الامير بكتمر السعدي تلك الليلة وقد أيقن بالنصر والظفر حتى مضى الليل والفجر انفجر فقام على قدميه فلم يجد من الاعداء شي الا من يخبر بخبر فامر العساكر بنهب متاعهم فكبسوا أمكنتهم فلم يجدوا فيها غير جراب وبعض نبال وفراوي وجلود من جلود الوحش وأجربة فيهم دخن وحب اودرة فقال بكتمر وهذه البلاد التي نحن قادمين عليها وماهي إلا على هذا المثال ليس عندهم مال ولا نوال وليس لهم خيل ولا جمال

فقال له أبو عمر يا امير هؤلاء القوم أموالهم في لادهم وأما محل القتال ايش يعملوا فيه بالمال فقال بكتمر صدقت هيا الرحيل فحملوا حولهم وشدوا رحالهم وساروا قاصدين حصناء العير هذا ما جرى لبكتمر السعدي وأما ما كان من السودان الذين انهزموا فانهم وصلوا حصناء العين وقد هلك منهم في اليوم والليلة اربعين الفا وكسور ونظرت ميمونة إلى جيشها عاد مكسور ومقهور فزاد بها الغيظ وصرخت بما نالها من الويل والحرب وهاجت في احشاها النار وجرت دموعها على خدودها غزارا فا

كان لها إلا الدخول إلى البلد وغلقت الأبواب ودخلت إلى بيت الارصاد وولولت وهمهمت وعزمت وجمعت خدامها وزادت في عزايمها وأمرت أعوان الجان أن يدرروا بعساكر البيضان ويرموا عليهم شرار ونار حتى يشتتوهم في البراري والقفار وكل من وقف اضربوه بشهاب من نار فقالوا لها سمعا وطاعة وتحضروا من تلك الساعة ولما وصل بكتمر السعدي إلى حصباء البين فكان قدومه وقت المغيب ولم يعلم بانقضاء لربه القريب المجيب قال أمر بنصب العرضي وإذا بالزوابع خرجت والخيام تمزقت وتقطعت وخرج من البر شرار ونار وأظلم الليل على الاقطار وزاد سوادا واعتكار فتشتت العسكر في الخلا والقفار ولم يثبت أحد من هذه الامم ولم يبق لهم على ما رأوا اصطبار وما مضى الليل والنهار إلا ولم يبق من عسكر الترك ولا إنسان وكانه ما كان وأما بكتمر فانه أخذ في وجهه وصار يصرخ على الترك وهو يقول لهم ارجعوا إلى الشلال فان ليس لكم قدرة على هذا الحال وبعده غشي عليه فارتمى في الطريق وقدم عدم السعادة والتوفيق

[ياسادة] وعادت العساكر منهزمة على أعقابها يتلو بعضهم بعض يجرون في الجبال والاودية والتلال حتى وصلوا إلى الشلال وصاروا كانهم الماشي ولم يكن عندهم شيء يأكلوه فاقتضى نظرهم انهم ياكلون الخيل ويشربون من ماء النيل وقد أقاموا على ذلك الحال مدة وأما الامير بكتمر السعدي فانه غشي عليه وتهيأ له أن القيامة قامت والدنيا كلها صارت أحجار ونار وشرار فاقام مغشيا عليه ثلاثة ايام وقام في اليوم الرابع ومشى في الحر والقيظ فاشتد به العطش والظمأ وصار يتحسر على شربة من بارد الماء فلقى شجرة عالية فقعد يستظل تحتها فبينما هو قاعد وإذا بثعبان أبيض مطرود وثعبان أسود طارده فسار الثعبان إلى أن قرب من بكتمر السعدي والتمسه فيه كالمستجير فعرف بكتمر السعدي ان هذا الثعبان الاسود طرح راسه من على الجسد فما تم بكتمر ذلك العمل حتى حتى انتفضت تلك الحية فصارت ادمية وقالت يا سيدي لقد أرحتني من هذا فقال لها بكتمر انت إيش تكوني وهذا إيش يكون كيف كنت ثعبان والآن صرتي من بني آدم فقالت له اعلم ياسيدي أني أنا يقال لي مرجانة بنت الملك المرجان وهذا الذي قتلته اسمه العفريت شيهوب وكان خطبني من أبي فقال له أبي لا يجوز لك ان تتزوج بنتي وانت رافضي خالف الا يأخذني غصبا ورا صدني سنة كاملة وانا لا اظهر إلا في هذا اليوم اردت ان اتنزه على البحر فصورت حية وكان ذلك الملعون يراصدني فصور ثعبان وطردني واراد ان يتمصى بنا ساحة غصبا بلا عقد نكاح لولا انت الذي قتلته وارحتني منه فشكر الله فضلك كما أرحتني منه خذ يا سيدي سيفه

تقلد به فانه ذخيرة لانظير لها الا انك اذا جرته في الميدان فانه يقطع في الانس والجان وانا قصدى منك ان تسهر معى لابى وامى حتى انهم ينظرون وتمى عليهم فانهم يطلبونك وقبل ذلك أريد ان اعلمك اذا قال لك ابى تمنى فقل له اتمنى ان تكحلنى بكحل الجلالات فهذا الكحل اذا اكتحلت به تنظر الجن والانس واما امى اذا قالت لك تمنى فقل لها اتمنى ان تلبسنى بعض تبشير فان هذا البشت اذا كان لابساله انسان لا يحرك فيه السحر ولا تقدر به الجان فقا لها عسكرى اين هم يا مرجانة فقالت له لا تخف على عرضيك فى هذا اليوم ارسل لهم كتابة وذخيرة تكفى جميع الناس والدواب قم اولا معى الى ابى كما قلت لك فسار معها وادخلته على أبيها وحكت له على مارات من شيشير العفريت وكيف خلصنى هذا الانس وضيعت على يديه وقتلة ارتاحى منه

فقال أبوها يا انسى تمنى كلما تريد فنحن لك مثل العبيد فطلب منه الكحل منه كما امرته مرجانة فتميا لبكتمر انه ينظر النجوم فى النهار وصار ينظر كل جنى ان كان ماشيا او كان طيار وكذلك اخذته لامها وحكت لها ففرحت بهلاك ذلك العدو وقالت لبكتمر تمنى يا انسى فطلب البشت فاعطته له وقالت له البسه فلبسه فتصورله ان الدنيا كلها اقل منه وهو فائق على كل من فيها قدرا فقالت له مرجانة يا اخى اعلم ان هذه الثلاثة ذخيرة لا يملكهم انس ولا جان فلا تفرط فيهم فقال لها يا مرجانة كملى الجميل واوصلينى الى عسكرى فقالت له سمعا وطاعة ثم انها حملته على كتفها كما يحمل الحرمة ولدها الصغير وسارت به الى وسط عسكره فرأى العسكر ليس لهم خيام يتظللوا فيها ولا ملبوس الا الذى على اجسادهم فقال لهم بكتمر اين الخيام فقالوا راحت منا فى انهزام فقالت مرجانة ايهن جرى انا آتى لك بكل ما راح منك ولا يعدم لك ولا خيط فى ابرة ثم انها أمرت خدامها ان ينقلوا الخيام امتاع بكتمر من على حصبا المعين الى الشلال وكذلك الخيل والجمال والامتعة وجميع المال وكلما اخذته ميمونة باقى فى الحال وماتم ذلك اليوم حتى اتم العرضى كما كان وسال عن من مات من رجال فكان ستة آلاف ما بين مماليك وعسكر فصعب عليه فقالت له مرجانة يا امير ان عسكر ميمونة قتل منهم اربعون الفا واكثر

فقال لها يا أختى ان ميمونة فى بلادها اذا هلك عرضى تجمع غيره وأما انا غريب إذا مات لى انسان يظهر فى عسكرى النقصان وبات واصبح امر عسكره بالرحيل وشال إلى حصبا المعين فقالت له مرجانه يا أمير لا تضرب الا بسيف العفريت وودعته وسارت إلى جبل عالى وجلست تنظر اليه هذا وميمونة نظرت إلى ذلك العسكر فعلمت انه بكتمر فأمرت العساكر بالخروج فخرجوا كانهم ياجوج وماجوج فصاح بكتمر على

الطبجي . فقال استحضر لما اطلبك ونزل الامير بكتمر إلى الميدان وتبعه عسكره كانهم العقبان فصار يعارض الجيوش ويفرق الصفوف ويقطع الجماجم والقحوف يضرب ضربات قاطعات ويطعن طعنات نافذات وعساكره من خلفه كالاسود الضاريات وداموا كذلك إلى آخر النهار دق طبل الانفصال فرجعت السودان وكذلك عادت عساكر بكتمر من الميدان وباتوا فى امن وأمان فطلبت ميمونة العسكر وقالت لهم اما تخشوا من العار ان تكرهوا انتم اولاد حام الكرام وتعجزوا فى قتل فرقة ضعيفة من البيضاء فقالوا لها يا ملكة احنا ما عجزنا عن قتال البيضان ولم يكن مرادنا الانفصال عن القتال ولكن نحن عارفين ان هذا الامير يحاربنا فانه فى النهار يحارب بالبيضان وأما بالليل اذا أردنا نحاربه يسلط علينا شىء يخرج منه نار تهلك به السودان وعمرنا ما رأيناه واما احنايا كهينة الزمان لم نحسب حساب البيضان نخاف من الذى معهم فقامت ودخلت بيت رصدها وطلبت ان تستعمل باب السحر فقالوا لها قدامها يا ملكة ليس لنا مقدرة على بكتمر السعدى قال الملكة مرجانة اعطته سيف شبشر العفريت وابوها الملك البرعجان كحله بكحل الجلا حتى صار يرانا ويضربنا بذلك السيف فيمحقنا واما البسته البشت المطلسم ولم يحط فيه الان علم القلم وان قتلتيه فما تبلغ من أرب ولا ينفعك يا كهينة الا الهرب فما سمعت الملعونة وخرجت من بيت رصدها وركبت على ظهر الحصان وجذبت السيف ونادت يا ال حام فجاوبتها فرسان كانهم العقبان وزحفوا على بكتمر فكان الامير بكتمر امر الطبجية ان يحضروا الى لقاء الاعداء فالتقوهم بالمدافع والنار وكانت ليلة معتمه ودامت المدافع حتى افنوا خلق كثير ولم يطلع النهار حتى صارت الدنيا رمم وجميع السودان على الارض تنداس بالقدم فاحتارت مرجانة من فعل المدافع وعلمت ان الكهينة ميمونة لم تبلغ من بكتمر السعدى ارب فتركته فى حاله وراحت إلى حالها واما ميمونة لما نظرت الى فناء رجالها وان علوم الاقلام لم تساعدها على عدوها فالقت ارفق من الهزيمة لان سلامة الروح اوفى من كل غنيمة ونظر بكتمر الى هزيمة السودان فتبع منهم الاثر وملك حصباء الفين وساق من حصباء العين ودخل على مدينة الايوان ملكها وملك القلاع الذى حولها ولما علم بهزيمة ميمونة نهب جميع اموالها وسار بجميع العساكر طالب مدينة الدور والسبع القصور فلما علم الملك سيف الملك بانهزام اخته فاطلع وصف عساكر واراد ان يحارب فبينما هو كذلك واذا بالامير بكتمر اقبل فرأى قدامه ناس بعدد قطر المطر فوقف على قدر رمى النار ووضع المدافع الكبار فى وسط الميدان والصغار قسمهم وجعل نصفهم يمين ونصفهم يسار وقسم العسكر قسمين

وجعلهم ميمنة وميسرة ووراى المدافع واحضر الف نفر وامرهم ان يجمعوا قطع الزلط من الارض والصوان وامر الطبجية ان يملوا المدافع ويضرب بتلك الاحجار بدلا عن الجلل فقال سمعا وطاعة هذا ما جرى واما الملك سيف الملك فانه لما نظر عساكر بكتمر مقبلة صف عساكره وانتظرهم حتى يقربوا منه فرآهم وقفوا ونهلوا كما ذكرنا فقال لمن حوله ما يقول البعدان لما وقفوا فى هذا المكان فما تم هذه الكلمة حتى نظر المدافع ضربت وراى عساكره تهوى وتقع ودام الامر كذلك مقدار ساعتين فراى اغلب العساكر يتمرغ على التراب والبعض طار كفه والبعض رجله والبعض كتفه والدماء صبغ الارض مثل الجلنار والقتلى ملقحة اغمار .

فقال سيف الملك لاكابر دولته إذا كان حربهم هكذا وهم بعيد عنا فكيف يكون حالنا إذا قربوا منا وحق بيت عصاتين إن وقفنا قدامهم لا بدان يفنونا كما افنوا عسكر حصباء العين ثم إنه جمع عسكره وشال من على مدينة الدور وطلب مدينة الخرطوم ولما كان ثانى الايام نظر بكتمر السعدى إلى هزيمة ملك السودان فتصور له ان الدنيا بعد ذلك صارت ملكه وليس فيها له شريك الا الملك الظاهر فى مصر ملك وبكتمر السعدى مثله ملك على هذه البلاد فشال ونزل على مدينة الدور ونادى على اهلها بالامن والامان من قبل مولانا السلطان وقال لهم انتم رعايا لكل من حكم بلادكم تكونوا له له طائعين وجلس على كرسى مدينة الدور وكتب كتابا إلى الملك الظاهر يبشره بالفتح والنصر وجمع الاموال وفرق على العساكر حتى اغناهم وطلع قطعة جيدة من اموال وذخائر واحضر واحدا من عسكره اسمه الامير منصور القاومانى وقال له سر إلى مولانا واعطيه هذه الاموال والكتاب فصار الامير منصور حتى وصل إلى مصر ودخل على السلطان وقدم المال بين يديه واعطاه الكتاب ففتحه بعد طالعه من حضرة العبد الاصغر والمحب الاكبر بكتمر السعدى خادم الركاب وكاتب الجواب إلى بين ايادى ملك الاسلام اعلم اننا لما توجهنا إلى بلاد السودان افترست بنا ميمونة الساحرة وشتت عساكرنا واتعبتنا أشد التعب وأبعدتنا النصر بسبب حرمة من الجان اعطتنى سيف وبعدت ورجعت على ميمنة اهلكت عساكرها وانهزمت فأخذت القلاع التى كانت اخذتهم من ابى عمرو وبعدها اخذت حصباء العين وهربت ميمونة فتبعتها إلى مدينة الدور والسبع قصور فتعرض لى سيف الملك فقاتلته بالمدافع يوم وليلة فانهزم منى إلى الخرطوم فاخذت مدينته واقمت بعسكرى تحت نظرك يا امير المؤمنين وحررت هذا الافادة لمولانا السلطان يروم الامر بما يراه موافق فيكون العمل بموجبه ادام الله تعالى

بقاءكم والسلام فلما قرأ الملك الكتاب انسر قلبه سرورا عظيما وأمر بشنك ومهرجانه فرحا بالنصر والأمان وأخلع على النجاب وأمر بدخول الأموال الخزنة وكتب فرمانا إلى بكتمر السعيد أن يكون سلطانا على جميع بلاد السودان وينيب تحت يده من يشاء على القلاع والقرى والبلدان وأرسل طيلخان وجه له ملك من تحت يده وأرسل له أقمشة وسير له النجاب بهذا التشريف فلما وصلت اليه تلك الاشارات وعلم أنه صار صاحب أمر ونهى على كل الحالات وأقام يحكم على البلاد وانقادت له العربان وطاعته ملوك السودان فافتخر على أبناء جنسه وأعجبته نفسه ولم يقدر أحد يكلمه إلا قصة ويخوله الافتخار لانه أذل ملوك تلك الديار وأقام حاكم على تلك الأمصار إلى أن كان يوم من الأيام ركب في جماعة من خواصه وقصد التسلي بالصيد والقنص واغتنام اللهو واللذة والفرص وتفرقت عساكره لأجل الصيد والقنص وملوا البرارى والبيد وداموا كذلك إلى آخر النهار فنظر الأمير بكتمر فلق غزالة تسرح في البرارى وتهود فطرد خلفها ليصطادها فلما لحقها قفزت منه إلى بعيد ووقفت فطلبها ثانيا فقرحت حتى بعدت عنه ووقفت فقال بكتمر لا بد لى من أخذها ولا أرجع إلا بها وطرد خلفها حتى دخل الليل وكلما بعدت عنه تقف وهو يتحسر على قبضها ويتلهف فطال عليهم الليل وفي الصباح جريت من قدامه وغطست ما بانت كأنها ما كانت فدور عليها فلم يجد لها خبر فأراد أن يرجع إلى جماعته فتاه عن الطريق وقد عدم السعادة والتوفيق فاحتار في أمره وغاب فكره واشتد به العطش والظمأ ولم يعلم أهو في الأرض أم في السماء وتحسر كبده على شربة من بارد الماء ودام كذلك ثلاثة أيام فنظر إلى جبل على بعد فسار حتى وصل اليه فوجد أشجار وأنهار وأطيار توحد المولى العزيز الغفار فنزل من على ظهر حصانه وكان حال الحصان مثل حاله وذلك من الجوع والعطش فقدمه وسقاه وجمع له حشيشة ليأكل منه وقعد هو يرعاه ساعة من الزمان فقام على رجليه فرأى على البعد نارا ودخانا فسار اليها بعدما ركب الحصان وإذا بمائة جارية سود رابضين تحت الجبل مثل الأسود وبينهم جارية حبشية لها جبين أنور من الكواكب الزهرية ولفتاتها كلفتات الظبية الجرية وعندهم النار تضرم وعليها قدر ملآن من لحم النعام فلما قدم بكتمر السعدى وقفت له تلك الجارية وتقدمت اليه وقبلت يديه وقالت له أهلا وسهلا بمالك بلادنا الحاكم علينا وعلى أسيادنا فقال لها الأمير بكتمر هل عندك ماء بارد .

فقالت له عندى يا سيدى ماء زلال وأتت له بالماء فشرب حتى ارتوى وبسطت له فراشا على الزهر وقالت له اقعد يا سيدى فان الطعام استوى فقعد عندهم حتى راح الطعام وكان كما ذكرنا من لحم النعام فأكل معها حتى اكتفى وقال لها ما اسمك أيتها المصونة فقالت له

له يا سيدى اسمى ميمونة فقال لها هل انت متزوجة أم خالية من الزواج فقالت له والله يا سيدى انا بنت لم أعرف زواج الرجال ولا ذقت طعم الوصال فقال لها ومن هو أبوك حتى أخطبك منه فقالت أبى مات من أيام ماضية وأنا بعده عشت ورييت كما ترانى يتيمة ماضية لأن أمى ماتت قبل أبى وأريد أن تكون انت من الدنيا مطالى فقال لها اترضى أن تتزوجينى فقالت له كيف لم أرضى بمثلك وانت ملك الأرض والبلاد وطاعتك العساكر والاجناد وأنت والله من الدنيا مطالى وزواجك ابلغ ارب فقال لها إذا كان كذلك فهاتى يدك وقال لها خذى هذا الكيس فيه الف دينار مقدم صداقك فقالت قبلت وزوجتك نفسى بهذا المهر المعدود وبعد ذلك دخل معها فى خباها واتصل بها وقام إلى العين وقلع الثوب والبشت الذى كان لابسه واغتسل وطلع من العين فوضعت له الفراش ليستريح فقعد واضطجع ومسته الطراوة فنام وغطس فى النوم فنظرته الجارية لما نام فاخذت البشت حرقته بالنار وكسرت السيف ونزلت على بكتمر السعدى فشدته بالكتاف وقرت منه السواعد والاطراف وبعد ذلك فيقته فقام فرأى نفسه على تلك الحالة فقال لها لأى شيء فعلت معى هذا فقالت له يا ملعون أما تعرف لم فعلت معك هذا لانه واحد زيك من أقل البيضان بملك بلاد الاسلام ثم انها حملته على ظهر حصانه بالعرض وقالت له ياهذا أنا مالى أمر فيك بقتل وإنما الامر لخالى وأمى وأنا اسمى ميمونة الصغيرة بنت ميمونة الحبشية وخالى الملك سيف الملك هو الذى أرسلنى وتصورت لك بصورة الغزالة حتى بعدتك عن عرضيك ولما طبقنى بد المنقود حالت بينى وبينك جنية حتى بلغتك مرادك واحتويت عليك وقبضتك فابك على نفسك وحق بيوت مصاتين لو يأتى وراءك كل بيضان الدنيا لم يبق لك منى خلاص فاقطع اياسك من الدنيا فانك ما بقيت تعيش فيها أبدا

ثم انها شدته على جواده بالعرض وصارت به إلى الملك سيف الملك كان مقيما خلف ذلك الجبل فى عسكره فجاءت ميمونة اليه وقالت له خذ هذا بكتمر السعدى الذى أخذ بلادك وأهلك عساكرك وأجنادك فقال لها ياميمونة هذا جميل لم أنساه عمرى أبدا كيف فعلت فحكت له على الذى فعلته من أمر الغزالة وكيف أضافته وتزوجته وكيف طمع فى زواجه حتى زال بكارتها وقبضت عليه وأتت به اليه فعند ذلك أمر بضربه حتى قطع جلده بالاسواط وبعده أراد قتله فقال بكتمر والله ما تقتلونى إلا ويأتيكم الملك الظاهر يخرب بلادكم ويذبح رجالكم وأولادكم وكانكم به وقد وصل اليكم فى رجال يرون الحياة مغرم والموت مغنم فقال له سيف الملك أنت تهددنا بالبيضان وحق زحل فى علاه لابد أن أجيب لك ملك البيضان واقتلك انت وإياه ثم انه وضعه

فى السجن والتفت إلى أخته ميمونة الحبشية وقال لها بنت أختى مكنتنى بكتمر السعدى وأنت ما تساعدينى على شىء فقالت له اركب لما أملك البقاع التى أخذوها منك البيضان ثم أخذته وعادت إلى مدينة الدور فلم يجد فيها أحدا لا رجال ولا متاع ولا مال فانتقلوا إلى قلعة الايوان فوجدوها كذلك خالية إلى حصباء العين فلم يجدوا إلا أهلها الرعية الذين مقيمين بها فسألوهم عن العسكر فقالوا لهم انهم من مدة ثلاثة أيام طلبوا الشلالات وكان السبب فى ذلك أن على شاه كيخية الأمير بكتمر السعدى لما غاب سيده

فقال للعسكر أنا أظن أميرنا نصيرا له مكيدة هؤلاء السودان وأهلكوه وبأنوا يهلكونا من بعده لأنهم يطالبونا بأموالهم التى أوسلها بكتمر لملك الاسلام ويشتفوا أمتنا بالعذاب ويعاقبونا أشد العقاب والرأى عندى أننا نرحل بالمال حتى نحط على الشلال فان كان الامير طيب وأتانا سالم يجد الاموال والرجال بين يديه وان كان أمر الله جرى عليه نكون نحن بلغنا الارب رأسا فى الامان ونرسل كتابا نعلم به السلطان فقالوا اله أفعل ما بدا لك فشال بالاموال والرجال حتى وصل إلى الشلال وأقبلت ميمونة وسيف الملك إلى بلادهم واحتووا عليها وقر قرارهم فيها ثم انه على شاه كتب كتابا إلى الملك الظاهر ويقول فيه اعلم يا ملك الاسلام أن بكتمر السعدى بعد ما ملك جميع البلاد وجلس فى مدينة الدور والسبع قصور وأقام بها مدة أيام إلى يوم طلع إلى الصيد والقنص فما بعده وأقمنا ننتظره فما سمعنا له خبر فرجعنا وأقمنا بالشلال خوفا على العساكر والاموال وأرسلت لك هذا الكتاب حتى تكون على بصيرة والامر أمرك أطال الله فى عمرك والسلام

فلما سمع السلطان هذا الخطاب اغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد فقال ايدمر لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فى وداعة ربنا يا أخى والله العظيم أخوه زمان قتلوه الحبشة وبقى عظمه مكاحل وبخروا بعظمه فقال السلطان يا أمير أيدمر أنا الذى أرسلت أخاك وها أنا طالع وراءه فان كان أخوك على قيد الصحة والسلامة خلصته من العدو وأنقذته من الهلاك ان شاء الله وأما ان كان قتل وراح غلطا فانا أساوى مدينة الدور والسبع قصور وأقيم الجلسة على الذى قتل أخاك ولم أمد حتى نأخذ بثار وأشفى قلبى من ناره وأرسل خطاب الملك عرنوس يأمره بالقدوم فانى فى جانب من العسكر وترك الباقى لحفظ البلد وبرز السلطان إلى الجيزة وأعرض باقى العساكر

وكذلك الفداوية قدمت من القلاع وامتلأت بالعساكر الاراضي والبقاع فجعل الملك عرنوس صارى عسكر الركبة وباشة العرضي وسلم له في المسير وفق المشيئة والتدبير وشال العرضي من الجيزة وصار يقطع الارض والتلال حتى وصل إلى أول الشلال فقال الملك عرنوس الصواب أن نترك الثقل وتسير على حرائد الخيل وهذه الحملة تتبعنا من بلد الى بلد فكان هذا الرأى الملك عرنوس فوافقه السلطان على ما قال وركب عرنوس وتبعه بنو اسماعيل وكذلك عسكر بكتمر فانها طارقة بالبلاد وأتوا الى مدينة الايوان حصروها وهدموا أسوارها وأخذوها وبعدها حصباء المين ولم يزالوا واحق وصلوا الى مدينة الدور والسبع قصور فالتقاهم سيف الملك وكانت المدافع الذى مع بكتمر البسعدى لما انهزمت عسكر بكتمر تركوها في البلاد لكنهم فارغين فصارت السودان ترضع فيهم الحلفا وبوقد فيها النار وكل قصدهم أن ينظروا النار كيف كانت تخرج منهم وتروح الى السودان لاجل أن يطلعوا بهم ويقتلوا البيضان ولما عجزوا عن معرفة ضربهم كسروهم ولما كان في ذلك اليوم وقع القتال بين الملك سيف الملك وعسكر الملك الظاهر فصارت السودان ترمى بالنشاب والحراب فتصيب المقاتل والالباب

فعند ذلك صاح على شاه فى عساكر بكتمر السعدى وأمرهم بالنزول عن الخيل ويضربوا بالنبال فيصيبوا بها مقاتل الرجال ودام الامر على هذا الحال حتى مضى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال وانفصلوا الطائفتين ودخلت السودان المدينة لان على شاه وجماعة بكتمر قرطوهم بالنبال

ولما دخلوا الى البلد وقفلوا الابواب

فقالوا له وزراؤه كيف تقفل الابواب وتقيموا تحت الحصار ويمسكوا علينا البيضان الطريق

هذا لا نطاوعك عليه افتح البلد وانزل الميدان واقبض لنا على هذا الذى فرق البيضان وتحن علينا هلاك البيضان

فلما سمع سيف الملك هذا الكلام

قال أنا أرسل أجيب أختى ميمونة فقال له له ارسل هاتها حتى تساعدك هذا ما جرى

[قال الراوى] وأما ما كان من أمر الملك الظاهر فانه لما عاد من الميدان نزل عن ظهر الحصان وهو ينفخ كالثعبان فقال الملك عرنوس يا عمى

لا تتغاظ فاحنا إن شاء الله بنفسك غالبين وها هو سيف دخل بلده وتحصن فيها وصار أخذ البلاد صعب بسبب الجدران وليس عندنا مدافع فقال السلطان النصر لا يكون بالمدافع بل النصر من عند الله وأنا والله لم أرجع عن هذا الملعون حتى اقبضه وأعرفه قدره فقام اليه المقدم جمال الدين وقال له يامولانا أنا كنت عنده وسمعته يقول لابد أن يرسل إلى ميمونة فقال السلطان بخاطره نحن نتوكل على الله فنزل شيحة قاصدا إلى سور البلاد حتى عرف محل خالى فرمى مفرده ودخل هو فى صفة عبد أسود بصاص فالتقى الملك سيف الملك قاعد يكتب فى كتاب ولما فرغ من كتابته التفت إلى من قدامه وقال من يذهب بكتابى هذا إلى أختى ميمونة ويأتينى منها برد الجواب فقال شيحة أنا أروح لها ولا أعود إلا بالملكة ميمونة ورجالها وأبطالها فناوله الكتاب فأخذ معه خمسة عبيد من عبيده وعشرة من عبيد الملك سيف الملك وطلع مسافرا قاصدا مدينة ميمونة وسأل عنها فقيل له انها عند خالها برقان فسافر المقدم جمال الدين حتى دخل على الكهينة ميمونة وناولها الكتاب ففتحته تجد فيه من عند ملك سيف الملك إلى أختى الملكة ميمونة اعلمى أن ملك البيضان اتانى فى عسكر جرار وها أنا تحت الحصار ادركينى فطوت الكتاب ورفعت رأسها إلى شيحة وقالت له أخى محصور فى مدينة الدور فقال لها نعم يا ملكة وأرسلنى لك بهذا الكتاب حتى تنجديه فتأملت فيه وقامت ودخلت بيت رصدها وأحضرت بعض خدامها من الجان وقالت لهم أخى محصور صحيح فقالوا لها نعم محصور والنجاب الذى أتاك فهو من عسكر البيض واسمه شيحة سلطان القلاع والحصون فقالت امسكوا شيحة فما يشعر شيحة إلا وهو فى الحديد وقالت للملك برقان احفظه عندك حتى أعود من عند أخى وكان برقان فى تلك الايام مريض فأوصى عليه الخدام وركبت ميمونة وسارت طالبة مدينة الدور وأما الملك الظاهر فدخلوا عليه خمسة من العبيد وأعلموه بما جرى على أبيهم شيحة وأن ميمونة قادمة عليك ونحن جينا فملك لتأخذ حذرك وها نحن راجعين إلى أبينا لعلنا ندبر على خلاصه فقال الملك الله يعنكم فرجعوا الخمسة قاصدين بلاد ميمونة ياسادة فلما صاروا أولاد شيحة غير أيام قلائل فالتقوا ميمونة ومعها خمسة عبيد قاعدين يأكلوا فقال السابق يااخوتى هذه الملعونة التى حبست أبى وهى والله بغيتى ومطلبى فقفوا حتى أريح الملك منها أو تجمعنى مع أبى ثم ان السابق صار يجرى حتى قدم على العبيد وقال ياالحام يالحام هل فيكم الملكة ميمونة اخت الملك سيف الملك فقالت له أى شىء عندك من الاخبار فقال لها الحق أخاك فانه قتل على يد ملك البيضان وامتلكت البلاد فلما سمعت ميمونة هذا الكلام انذهلت وقامت وهى فى انذهال فاستقبها السابق بخنجر

أمضى من القضاء والقدر وضربها فى صدرها نفذه من ظهرها وقطع رأسها وهجم على العبيد فقتلهم وساعده اخوته عليهم وبعد ذلك أخذ راس ميمونة ورجع إلى السلطان فسلمها اليه وقال يا ملك الاسلام هذه ميمونة التى حبست أبانا فخذها اليك ونحن ذاهبين نفتش على أبينا وأما السلطان فانه علق الرأس على باب الصيوان ونادى المنادى من طرف الملك الظاهر يقول يامعشر السودان اعلموا أن ميمونة التى تنتظروا قدومها فانها قتلت وهذه رأسها فسلموا أنفسكم من غير مطاولة ونظر سيف الملك إلى رأس أخته وعلم أنها ماتت فزاد جنونه وضاق البر فى عيونه فالتفت الملك إلى الوزير القمقام وقال له ميمونة قتلت كما ترى وكيف يكون العمل فى الحرب والقتال فقال له يا ملك حيث انك تعلم انك ماليس لك قدرة على هؤلاء الاعداء فارسل إلى الملك برقان ينجدك بالعساكر من عنده والا ابعث له يأتيك بغرطال الوحشة حتى يخطف ملك البيضان ويوديه إلى قلعة شنهاب وبرج العقاب والتابوت المجنح عند الملك فرطوسه ويلبسه أثواب ريش

[قال الراوى] ان هذا الملعون غرطال الوحشة هو من توابع ميمونة الحبشية طالعه له اثواب باجنحة مثل أجنحة الطير إذا لبسه الانسان يخرج يديه فى مثل الاجنحة ويرفرف بالاجنحة ويديه من داخلهم فيطير بهذا الثوب كما يطير الطير وهو ثوب جلد نيص وريشه النيص وان هذا النيص شىء خلقه الله فى تلك البلاد صورته مثل الفراخ لكنه كبير ورجلاه وذيله مثل المعز فكان غرطال هذا إذا قصد أن يخطف احدا يلبس هذا الثوب لاجل أن يطير كما ذكرنا وأما الملك الفرطوس فانه إذا غضب على إنسان صنع له تابوت وجعل فيه اجنحة يعلوا فلوع ظواطين الهوى فى دورانها وعنده هذا الثوب من ريش النيص الذى يلبسه غرطال الوحشى حين احتياجه اليه إذا أراد أن يخطف انسان وباقى الايام يكون ذلك الثوب عند الفرطوسة فاذا غضب على انسان فيأتى به إلى بين يديه ويقلعه ملبوسه حتى يصير عريان ويلبسه ذلك الثوب الذى بريشة جلد النيص ويحزمه فان جدور الريش مثل المسلات فيؤلمه فى جثته فيوضعه فى ذلك التابوت المجنح ويتركه يدور به فيتقلب عليه فتدخل جدور ريش النيص فى جثته فيتعذب بها فنعوذ بالله من هذا البلاء فان التابوت حين يدور ينقلب الذى فيه فيرمى كل مافى جوفه من جوفه وذلك الريش يدخل فى البدن كالفساقيد فهم ناس كفرة لم يرحموا خلق الله تعالى

[قال الراوى] ولما قال وزير ملك سيف الملك له ماقال وقال له اعلم الملك برقان أن يبعث لنا غرطال الوحشى يخطف الملك فقال له هذا رأى صواب وكتب إلى برقان

كتاب يقول له فيه يا أخى اعلم انى بليت بهذا الملك الذى ملك البيضان فانه يحاربنى بنار وعساكره جبابرة فجار فارسلت لاختى ميمونة على أنها تساعدنى عليهم فصادفها فى الطريق شيطان منهم فقتلها وأتى برأسها الملك البيضان فعلقها على باب صيوانه وأنا فى كرب عظيم وها أنا ارسلت لك يا أخى اريد ان تلبسه ثوبك المعهود وتجتهد فى خطفه ملك البيضان وتسير به الى قلعة شتهاب وبرج العقاب عند الملك قرطرسه أبى الرؤوس يلبسه ثوب ريش النيص ويضعه فى التابوت المجرح لاجل ان نرتاح من عقابه ونشتفى بعذابه وهذا ما عندى والسلام فلما كتب ذلك الكتاب أرسله مع نجاب فسار يقطع الارض والقيعان حتى دخل على الملك برقان وأعطاه الكتاب فقرأه وأرسل فى الحال لقرطان فلما حضر اليه أعلمه برقان بما طلب سيف الملك فقال له هذا أمر هين ولا يمكن التهاون فيه ولا يقال ان الملك طلب شيء منى ولم أعتنى فيه ثم أنه قام من وقته وساعته قصد عرضى السلطان وعسكر الاسلام فرأى رماح القتلى ملأت الارض والفلا فقال لذا قامت البيضان عندنا فى بلادنا شهر من زمان أفنونا عن آخرنا ومادام سائرا حتى وصل الى خيمة السلطان ونادى مظلوم يا ملك البيضان فقال السلطان ما ظلومتك فقال ظلومتى منك ولم أحكيها الا اليك حتى تنقذنى منها فقال السلطان احكى حكايتك وها أنت عندى فقال يا ملك ان سيف الملك ملك السودان أمرنى ان أخطفك هكذا ووضع صدره على السلطان ووفرت فانشال السلطان معه ونظرت الدولة الى السلطان فرأوه على عن الارض مقدار ذراع فردوا الخيل ليخلصوه فعلى عن الارض الى الى فوق فقال علاء الدين أنا أتبع بعض شاه وأعود به فقال ابراهيم بن حسن اقعد مكانك يا علاء الدين أحسن تروح والاسم الاعظم كل من طرد حصانه قتلته اقعدوا حتى نحرص ما بين ايدينا ونرد بالسيف على أعادينا وأما الملك ايش جرى عليه فالآن أو بعد ان يعود اليه فامتثلت العساكر كلام المقدم ابراهيم يا سادة أما غرطال فانه أخذ السلطان فقال له السلطان لاى شيء تفعل معى هذه الفعال وها أنت قادم له فدونك واياه وهكذا دخل غرطال على برقان وقال له خذ هذا ملك البيضان فقال له سر به الى الملك القرطوس وقل له هذا بعثه لك الملك برقان فانه أسى على بنى حام وأوردهم موارد الحمام فافعل به مثل غيره لانه ظهر لنا شره وبعيد عنا خيره فقال سمعا وطاعة فأخذ السلطان وسار به الى قلعة شتهاب وبرج العقاب ودخل الى الملك القرطوس أبى الرؤوس فدخل غرطال الوحشى عليه وقال له هذا ملك البيضان الذى اتانا يحرب بلادنا وان الملك سيف الملك متضايق منه فخذه عندك واعلم انه أكبرنا على البيضان وها هو فاحتفظ عليه

قدام عينيك حتى توضعه فى التابوت المجمح فقال سمعا وطاعة وتقدم إلى السلطان وقلعه ثيابه وألبسه ذلك الثوب الريش وحزموه ورقدوه ودعكوه فدخلت حب . ر الريش مثل الابر فى بدنه فغاب عن الوجود فوضعوه فى التابوت المجمح وعلقوه بدولاب الهوى فوق برج العقاب وقال له يامالك البيضان لم يبق من عمرك الا الساعة التى لم يتحرك فيها الهوى وإذا طلع الهوى يدور بك الدرلاب ترى فيه أنواع العذاب وتركه وراح وابقى الملك هناك ويقع له كلام واذا وصلنا إليه نحكيه والعاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه

[قال الراوى] وأما عساكر السلطان لما تكلم معهم المقدم إبراهيم وسكتوا ولزم كل واحد مكانه فبين ماهم كذلك وإذا بفداوى مقبل كانه البرج المشيد وعليه بدلة كاملة من الزرد والحديد ودخل على صيوان السلطان كالأسد الغضبان فما ايل يهتز من تحت السلاح كانه ريحانة لعبت بها ريح الصبا فى كل منبة شعرة من جسمه أسد عمد إلى الفراسة خلبا إذا صاح فى العشاق يا آل حفاجة فتجاوبوا من كل جنب هيلباقد قد اطلبوه وقلدوه بصارم لو أنصفوه لقلدوه بكوكبا وكان هذا مقدام من مقادم بنى إسماعيل الفلك يقال له الهول بن شاكر وهو من الأبطال المعدودة بخوض الأهوال وسبب وجوده وإقامته فى هذه البلاد وهو أنه لما طلع مثل الرجال يفتش على المقدم معروف بن جمر طالت عليه الايام ولم يجد معروف فى الروم ولافى الأعجام فدار حتى وصل إلى هذه البلاد فاستطاب هو ها وأراد الاقامة فيها فعلم أن واحدا أبيض ليس له إقامة بين السودان فاحتال وصبغ نفسه حتى بقى مثلهم وتعلم لسانهم وصار معهم كانه منهم . ولما دخل ذلك اليوم على صيوان السلطان وكان بلغه خبر ما جرى على السودان من السلطان لانه يعلم الفداوية الذين مع السلطان أولاد عمه والسودان صاروا مثل أهله لانه مقيم عندهم ستة وثلاثين سنة فلاجل ذلك اتى يتوسط فى هذه النوبة لاجل حقن دماء الفريقين ولما دخل صيوان السلطان ورآوه العسكر ظنوا أن هذا هو الذى خطف الملك الظاهر فقاموا عليه بالسيف فصاح كفوا أيديكم يارجال أنا ابدا ى منكم واسمى الهول بن شاكر فلما سمعوا بنو اسماعيل كلامه كفوا أيديهم ، تقدموا له فقالوا له أهلا وسهلا بالسلامة مقدام اش أتى لك يا ابن العم إلى هذه البلاد فحكى لهم وقال لهم وانتم لما جيتوا هنا يالبتكم أعلمتمونى فقالوا له ومن يعلم انك هنا فقال وايش الذى جرى عليكم وأين السلطان فأخبروه بما جرى لهم وكيف انخطف السلطان فقال من يفعل هذه الفعال الا غرطال وليس أحد غيره يعرف هذا الحال وانا أكشف لكم هذا الخبر فى ظرف ثلاث سنين

فقالوا له الثلاث سنين ليس لنا جلد على صبركم فقال أنا وأنتم والله يساعد يمكن فى نصف سنة يحصل الخبر ثم ان المقدم الهول ذهب إلى مكانه وأحضر حجرته ولبس عدته وخاض فى لاماته وركب وطلب البر طالب بلاد برقان لينظر غرطال الوحشى فلقيه فى الطريق فسلم عليه سلام المحب وبعد السلام قال له يا مقدم غرطال انت أخذت ملك البيضان فقال نعم أخذته ووصلته إلى الفرطوس لبسته ثوب الريش ووضعته فى التابوت ولابد له أن يموت وها أنا رايح بلادى فان أردت أن تتفرج عليه فهو مثلنا غير أنه أبيض فقال له الهول لابد لى من الفرجة عليه ثم ان الهول ن شاكر صار يقطع الاودية والهضاب حتى وصل الى قلعة شنهاب فلما دخل البلد فقال الواجب لى الدخول عليه فان رأيته طيب أرجع الى وزرائه وأسلمهم وأساعدهم على خلاصه وإن مات أعود اليهم وأعينهم حتى يطلعوا من هذه الديار فجعل مقامه فى الديوان عند الفرطوسة حتى عرف الذى يروح للملك بالطعام فسار معهم حتى وصلوا للتابوت المجنح ففتحوا باب صغير وأعطوا منه للسلطان الطعام وقالوا له يا ملك البيضان اطلب من رجالك رجل أن يخلصك مما أنت فيه فوقف الهول يسمع كلامهم فعلم أن السلطان طيب فقال للعبيد يا بنو الخال بحق زحل فى علاه اصبروا على حتى أكلمه بلسان البيضان الذى كنت تعلمته وأنا صغير فقالوا له كلمه وكان المقدم الهول يعرف بلسان الترك فقال للسلطان فى أول الكلام اعلم يا ملك أنى من بنى اسماعيل أتيت من عند الملك عرنوس وباقى رجالك لاجل أن أكشف خبرك فلا تخف وإن شاء الله تعالى من قريب يأتوك ويخلصوك فرد عليه السلطان وقال له يا فداوى اذا وصلت الى رجالى قل لهم ان السلطان مات فلا تتعبوا فى خلاصه فان خلاصه وعدمه على حد سوى وانما قل للوزير شاهين وإبراهيم بن حسن وصيتكم أولادى والسلام فقال له الهول يا ملك والاسم الاعظم لم يتأخر أحد من رجالك أو يعز روحه عليك ثم ان الفداوى التفت للعبيد رآهم يضحكون على كلامه فضحك معهم وركب على حجرته وكان أتوا فى ثمانية وعشرين يوما ولما عاد صار يقطع فى الليل والنهار المراحل حتى وصل الى عرضى الاسلام فى أحد عشر يوم ودخل على الوزير وقال يا بنو اسماعيل الغارة على أموال تنهبوها وخيول تركبوها وأمتعة تكسبوها حتى تخلصوا ملككم وتعودوا إلى اماكنكم فقالت الفداوية وأين السلطان يا اخى سر قدامنا واضرم النار واحنا ندوس عليها فقال اركبوا فركبت الفداوية عن آخرهم فى موكب واحد والامراء فى موكب واحد والزم الملك عرنوس ان يقيم على مدينة الدور مع عسكره وايدمر البهلوان معه على عساكر أخيه بكتمر السعدى وقال الهول بن شاكر اعلم

أن أخاك فى هذه البلاد لما تخلصوا الملك ترجعوا وانخلصوا أخاك من عند سيف الملك واخذهم الهول وسافر بهم من طرق يعرفها وأوصل سير الليل بسير النهار حتى نزل بهم إلى قلعة شنهاب ونظر الملك الفرطوس إلى عساكر الاسلام فتخبل فى نفسه واحضر وزيره الصمصام وقال له البيضان اتونا لاجل ملكهم الذى عندنا فقال يا ملك اعلم انهم تعبانين من السفر فلا تتركهم يستريحوا اركب وانزل لهم فقال له صدقت ونظر بعسكره وزحف ونظر الهول خرجتهم (قال الراوى) فقال يا بنو اسماعيل قصدى منكم تسعة ابطال وأنا العاشر نشق هذه الجموع وباقى الرجال يحموا ظهورنا من الاغتيال فقال إبراهيم أنا واخى سعيد واخى عيسى ومنصور العقاب وجبل وصيوان وعماد الدين علقم وسليمان الجاموسى واسد الدين العبوسى وأنت يا هول عاشرنا وهذا يومك يا طل الزمان ليس يومنا وأما المقدم سعد وابنه ناصر الدين فانهم طيارين يشقوا قدامنا المواكب ثم انهم العشرة اقرنوا عنانهم بعضهم بعضا وكل منهم صاح وحمل فارتجت الارض سهلا وجبلا وتبعوهم باقى الفداوية والامراء فصاروا يخرقون وسط الصفوف ويضربون بالسيوف ويطرحوا الجماجم من على القامات والقحوف فما وجدوا موكب الاحقروه ولا جمع الا مزقوه وكل منهم اعطى الضرب بالسيف حقه واجاد للرمح بالطعن ما يستحقه واكل الطير والوحش لحم القتلى رزقه ونظر الملك فرطوس إلى هذه الفعال فخاف عسكره من الانفصال فانهزم على المدينة فى الحال وتبعته رجاله والابطال ولكن زنقوهم الفداوية فى حصرة الباب أهلكوا منهم الشيوخ والشباب وقطعوا منهم جماجم ورقاب وبددوهم على التراب ولم يدخل البلد الامن كان فى أجله تأخير فدخل الملك فرطوس البلد وهو فى غاية النكد فرأى الوزير الصمصام فقال له حاربنا البيضان يا صمصام حتى اسقونا كاسات الحمام وانتقموا منا غاية الانتقام فقال له الصمصام يا ملك أنت ملك عسكرم ولك ملك كبير يحكمك وهو الملك الاكبر الذى يأخذ منك الخراج والعدد فارسل اليه واعلمه بما جرى عليك واعلمه انك أنت قبضت الكبير الذى على البيضان فهو فى حبسك وخليه يركب يجى على البيضان ويكسرهم لان الخراج الذى تدفعه له ليس الا على حماية مكانك من البيضان والذى فوق البيضان وغيرهم فأما أن يأتى ويردعنا العدى والا انقطع عنه الحمل فلما كان عند الصباح ارسل الملك فرطوسه إلى المسلمين يقول امهلونا حتى يأتى صاحب البلاد وبابرونا على ابطال الحرب كل يوم يمضى بمشروقات ذهب وقادم لكم حالا قدر مائتى أوقه ذهب حق الميدان عشرون يوم فلما وصلت الرساله ومعها الذهب فنظر إبراهيم فقال الو اجب

علينا عدم حربهم قدر سنتين او ثلاث ثم قال للرسول عد إلى من ارسلك وقل له إذا مضت العشرون يوم ولم يستعد ليزحل انا تبارصة واخنا نعطيه فسحة مرحباً به فقال علاء الدين البيسري و الله إذا كان نكسبه بالازل تخلص السلطان إبراهيم لم يتحرك احدا أنا وكيل المرضى حتى يخلص السلطان فان طاوعتوني مشيت برأي جيدوان خالفتم فحاذروا على انفسكم [قال الراوي] وأما الملك فرطوس لما الرسول الذي بعثه للمسلمين بابطال الحرب اخبره بما قال إبراهيم بن حسن ففرح بذلك واستبشر واحضر وزيره وكتب له كتاب وقال له مرادي منك أن تسير إلى الملك الاكبر بهذا الكتاب وتحثه على القدوم الينا ويساعدنا والا هلكونا البيضان وشتتونا في كل مكان فأخذ الوزير الكتاب وصار به إلى مدينة الحبشة والملك الاكبر اسمه الملك الطارود ياساده وكان هذا الملك الطارود فارس شجاع وقرم مناع من العمالقة اصحاب القلاع طوله خمسة وعشرون ذراع إذا هز الرمح الكعوب يقصفه وإن مسك قوائم الجواد الجاري يوقفه وإذا لكم الجمل اتلفه وهو يقاتل بسائر السلاح ويركب على فيل لانه لا يؤمن منه على الخيل وكان عمود من النحاس الاحمر وحربته من البولاد المجوهر ثقل ذلك العمود الف ومائة رطل لقبان وله سبع ذوائب من الشعر مرخية على رقبته وإذا نزل الميدان وصرخ سمع أحد صرخته مات من وقته وساعته فلما صار وصل الوزير الصمصام ووصل إلى ذلك المقام فسالوه النواب الذين مقيمون في القرى والبلدان وهو سائر بينهم يقولون له ما جا جنك وما الذي تريد فيقول لهم أنا حاجتي عند الملك الاكبر فان سيدي امرني لا اكلم أحدا سواه ولا ابلغ لرساله الا اياه فلما صار على باب الديوان قال وزير الملك الاكبر ان كنت قصدك تدخل على ملكنا سد اذنيك فالملك إذا سمعت صرخته تموت فسد اذنيه واخذه الوزير ودخل به إلى سرير الملك فرآه نائم فانحنى الوزير على أصبعه وعضه فصاح صيحة يتهيا لكل من سمعها انها الرعد القاصف ولم يثبت لزعقته أحد الا ويصير خائف فلما افاق قال له وزيره أن الملك الفرطوس ارسل لك وزيره يطلب منك نجدة على اعدائه لان البيضان قد أخذوا منه بلاده واهلكوا عساكره واجناده ويذكر لك في كتابه انه قبض على كبير البيضان وهم مضايقينه وقصدهم هلاكه وليس له أحد مساعده ولا معين ولا اجناد الا أنت لانك صاحب البلاد وهكذا وزيره اتى اليك وجعل معتمده بعد زحل عليك فقال له أنا طول عمري اعيش في الدنيا وابي من قبلي وجدي من قبل ابي يقولون أن البيضان لم تر ولم تسمع انهم قاموا من العتبة الزرقاء أبدا فكيف دخلوا الى تلك البلدان ثم انه امر الوزير أن يجمع الحبشة من كل مكان فجمع خلق لا تحصى ولا تعد سبحان من يعلم من

خلق وهو اللطيف الخبير فبينما المسلمون مقيمون واذا بعساكر لا تعد ولا تحصى ان قلت مائة الف قليل وان قلت الف الف لا تستقيل فقال الامير علاء الدين والله العظيم ان كان ملك الحبشة يمرتنا فذنبنا فى رقبة المقدم ابراهيم لانه اخذ الذهب من فرطوس وقال الحرب بطال فقال ابراهيم ياعلاء الدين احنا اذا بطلنا الحرب يوم نشغله سنة ليس تحس مثلك نحن نقدر نحمى الميدان يوم واثنين وسنة واما القيارصة التى عاير تنى بأخذها فأنا أخذتها وآخذ أيضا مثلها فلا تطول الكلام وان كنت خايف من الحرب والصدام فلا تتعب نفسك فى هذه القضية ودع الحرب للفداوية فسكت علاء الدين وثانى الايام قال ابراهيم يابنو اسماعيل أنا مرادى تسعة مثل ولدى حسن وأنا أكون العاشر فاجتمعوا العشرة أولهم ابراهيم وسعيد العايش اخيه وعيسى الجاهرى وعماد الدين وصوان بن الافعى وجبل بن رأس الشيخ مشهد وسليمان الجاموس وأسد الدين العبوسى ومنصور العقاب بن كاسر وعاصف بن بحر المرقسى وسعدو ناصر الدين الطيار يسار وصاحوا وحملت العشرة والاثنان الطيار ان عن يمينهم ويسارهم يشقوا بهم المواكب وحملت خلفهم باقى الامراء والفداوية وخاضوا تلك المواكب ونشروا الفرسان من على المراكب وداروا على ذلك الى آخر النهار قال رواة هذه السيرة العجيبة ان الاسلام فى ذلك اليوم فعلوا فعل الابطال وملأوا الارض بالقتلى وأجروا الدماء على الارض جللا وقطعوا الطرقات سهلا وجبلا وضرب بهم فى ذلك اليوم المثل وما فرغ النهار وعادت العشرة من القتال الا وقد أشرفوا على الويل والنكال وأمسى المساء ولم يعلم أحدا أحسن اليه الدهر أم أسيء فنظر الوزير الى هذه العشرة أبطال وقد ملأوا الدنيا قتلى على الارض والتلال ولكن عادوا وهم فى غاية الويل الطويل والذل والنكيل وأجسادهم بالدماء تسيل فتأسف على أبطال الاسلام ثم انه صبر الى ثانى الايام ركبت السودان فتلقتها أعظم من الاول وهكذا سبعة ايام ونظر الوزير الى عساكر السودان متتابعة مثل العيون النابعة ونظر الى الاسلام وقد بان فيه النقص وجرح اناس كثيرة بالسهام والنبال فضاق صدره وعيل صبره فكتب له كتاب وقال من يوصل هذا الكتاب الملك الطارود فقال ابراهيم انا فاعطاه له فسار ابراهيم به فالتقى الغول بن شاكر فقال اين رايح ياحوراتى فقال له الى ملك السودان فقال ارجع الا يا كلوك فقال يلزمك تسير معى فانى غريب وانت ابن حى فقال له الغول انا اروح معك واينما سرت اسعد وأجعل روحى فداك ولم أتركك لاعداك فسار معه حتى أوقفه قــدام الملك الطارود فاعطاه ابراهيم الكتاب فقرأه فوجد فيه من وزير الملك الظاهر الى بين الايادى

الملك الطارود اعلم يا ملك ان ملكنا عندكم محبوس فلم نعد لبلادنا وتفوته ولا أنتم تسلموا لنا ملكنا وقد ملك خلق كثير فيا ملك اطلق ملكنا وان بقى على كرسيه درك وإياه إما يبايعك بلاده واما تبايعه أنت على بلادك لانه انقطع منا ومنكم خلق كثير وصرنا مثل الغنم التى بلا راعى فلما سمع الكتاب الطارود وكان الذى يقرأه الهول بن شاكر فقال له أنا لم نعرف ما يقول البيضان فقال له الهول بن شاكر ان البيضان وقعوا فى عرضك أنك تطلق لهم ملكهم فانهم ناس مساكين فقال الملك الطارود ان كانوا وقعوا فى عرضى على خلاص ملكهم فانا أطلقه لهم ولكن يطبخوا لى جمل بهريسة راذهب آكله عندهم ونصطلح فعاد إبراهيم ومعه الهول بن شاكر وأعلمه الوزير بما قال ملك الحبشة السودان ففرحوا الاسلام ونحروا جملا وطحنوا غرارات قمح هريسة وجعلوا الهريسة فى أربع قصع ووقفوا ينتظرون قدوم الملك الطارود فلما كان ثانى الأيام أقبل الطارود ودخل الصيوان وجلس على كرسى الملك الظاهر وصارت العسكر واقفة قدامه فقال أفيكم وزير ملك البيضان فقال الاغا شاهين أنا يا ملك الزمان فقال له هات الأكل فقدم له القصع فاكل قصعتين ونصف الجمل وكان معه ثلاثمائة من أتباعه أكلوا الباقى فالتفت وقال يا بيضان الذى يأكل هذا الأكل ما يبقاشى فارس من الفرسان وفى غد الملتقى الميدان فقال له الوزير أنت ماقلت نصطلح فقال حتى أنزل أنا وتعرفونى وأحاربكم وتحاربونى ثم انه قام وعاد نزل إلى الميدان فنظره كانه الجبل الشامخ أو الطود البارخ فقال هذا إذا نزل اليه أحد من الاسلام أهلكه وأنا لا بد لى أن أحمل عليه حتى أكفى الاسلام شره ثم انه قال له جيتك دونك واللقا ان كنت من الابطال فانطبقوا وسعوا المجالا طولا وعرضا ومالوا على بعضهم بعضا وأظهروا ما معهم من القوى والحيل ووقف الطارود فى ركابه وضرب ابراهيم أربع لطاش إذا نزل على جبل يقصفه فانكسر من المقدم ابراهيم أربع طوارق كل لطاش كسر طارقة فلما نظر سعيد الحايس إلى طوارق أخيه انكسرت خاف على أخيه فلطم الطارود وقاتل معه نصف ساعة فضربه بالعامود نزل على أكتافه فأشرف على اتلافه فلطمه المقدم عيسى الجماهرى وناصر الدين الطيار وما حل واحد منهم لطاش إلا وتممه إلى آخر النهار حمى الميدان وأزال جميع الاقران واندق طبل الانفصال وهانت على الخلق الأهوال وهدر الحرب والقتال وبات الناس فى قيل وقال وثانى الأيام جرت عجائب وأهوال ونزل الطارود القتال وأرادوا الرجال أن يقاتلوه وإذا بخيال انطبق عليه وقاتله ساعة فضربه الطارود بالعمود قتله فتبعوه الرجال وإذا هو المقدم عاصف بن بحر

المرقسى ونزل بعده المقدم عجبور فقتله الطارود واليوم الثالث قتل أربعة من أكابر بنى اسماعيل وكان السلطان تركهم عن السعيد فلما طالت غيبة السلطان أتوا يسألوا عن الخبر فالتقوا الوقعة فنزلوا فقتلوه وبعد ذلك طمع فى الرجال وهابته الأبطال لان له صرخات قاتلة وأفعال هائلة فقام الاغا شاهين طلع كيس وعد فيه خمسة آلاف دينار وقال لقلاوون هات مثلهم وقال يا أمراء مصر كل أمير منكم يجيب الف دينار وكل فداوى الف دينار وإبراهيم وسعد كل واحد خمسة آلاف دينار فقال ابراهيم لمن هذه الجزية حتى تدفعها فقال الوزير أردت أن أكرى بهذا المال فارس يكون يلقى عنا هذا الجبار الطارود ملك السودان فقال ابراهيم والله يا وزير لم يصلح لهذه الشغلة إلا انا وان رحت لغيرى ظلمت نفسك فقال الوزير وأنا لم أرض أن يأخذ هذا المال غيرك لكن اخاف أن لا يكون لك مقدرة عليه فقلت هذه شغلة صعبة عليه فقال ابراهيم ليست صعبة هات لى حجرتى يا ابن شباح أنا والسعدى كل فرصى واحد خير من الطارود فأصبح المقدم ابراهيم نزل الميدان بعدما أفرغ على جسده درع أورد صنعة نبى الله داود وهو ضيق العيون كثير العدد كأنه الجرد لا يعمل فيه الصارم الهندى ونزل للطارود رتقوى بقدرة الله وتلاطم معه من الصبح إلى آخر النهار فرآه جبار من الجبابرة الفجار وكذلك الملك الطارود ميز ابراهيم فرآه نارا لاتصطلى وجبلا كلما قرب منه شمخ وعلا فتقاتلوا أشد قتال حتى ولى النهار بالارتحال وافترقوا عن الجدال وثانى الايام كذلك مدة سبعة عشر يوم إلى الليلة الثامنة عشر تضايق المقدم ابراهيم فأخذ سجادته وصار إلى شاطىء البحر وقعد يتفرج على مياه البحر ويقول سبحان من أجراك ويعلم مستقرك ومجراك سبحان من تسقى الطين والاشباح وهو الواحد الفتاح فبينما هو كذلك وإذا بسيدى عبد الله المغاورى قال السلام عليكم فقال ابراهيم عليكم السلام فقال ياولدى ما على الرسول إلا البلاغ جدك أمرنى أن أبشرك وخذ هذه الورقة ضعها على جبهتك وحارب هذا الكافر ولا تضربه بحربة ولا بنبل فانها لاتقتله ولا تضربه الا بسيفك ذى الحياة فان قتله به لا محال فبات ابراهيم فرحان ولما كان عند الصباح نزل الطارود الميدان فقال ابراهيم يا ملك أبشرك فقال بأى شىء فقال ابراهيم يرمى رقبتك فاغتاظ منه الطارود وانطبق عليه ومال بكليته اليه وتقاتلا أشد القتال وظهر والعجائب والاهوال فضربه بالعمود واحدى عشر مرة كسر احدى عشر طارقة وعاد اليه فى الثانى عشر مرة فخاف على نفسه فضرب العمود بذى الحيات فقطعه نصفين فاغتاظ وضرب ابراهيم بالهدف الذى فى يده فزاغ ابراهيم فراحت خائبة بعدما كانت

صائبة فوقف إبراهيم فى ركابه وصرخ بها ورأسه ياأبا غوث يا ساكن حلب وضرب
الطارود على رقبته فطارت راسه عن جثته فطب الأرض صريع يعج علقها ونجيع فنظر
الوزير إلى ذلك الحال فأمر العساكر بالحمل فحملت على بعضها الفرسان واشتد الحرب
والطعان وشك النبل نواعم الابدان وخرس اللسان وتمكنت الفداوية من ضرب
السيف اليمانى وطعن الرمح الكعوب المزان ونظرت الحبشة إلى أنفسها انها ليس
لها سلطان ولا وزير فتبعت انفسهم وولوا الأدبار وركنوا إلى الهرب والفرار
وهجموا المسلمين الابرار وملكوا البلاد بالسيف البتار وكان الهول برشاكر نظر
إبراهيم بن الحسن لما ضرب الطارود قتله فقال هذه الضربة ما يضربها إلا كل بطل
شجاع وقرم مناع ووقع فى قلبه لابراهيم هيبة عظيمة ولما ملكوا البلد قال إبراهيم
للهول أين الملك يافداوى فسار به إلى التابوت فتقدم المقدم إبراهيم فك السلطان
وباس يديه فقال السلطان من أنت قال عبدك ابراهيم بن حسن فقال السلطان ياأبا
خليل أنا عدمان فان أحذتنى ياإبراهيم لاتمرج على الأمراء ففيهم صديق وفيهم عدو
فقال إبراهيم يا ملكنا وحق الدائم على الدوام لو يسعوك عيونى لجملتك فيها وأنا
أسأل الله تعالى ان لايحرمنى ياملك من طلعتك ثم انه وضعه فى اودة فى الصيوان وغفر
دايراه بالف حورانى وحلف أن كل من دخل على السلطان يقطع رقبته لأن السلطان
أمرنى بان أمنع الداخلين فبينما هو كذلك وإذا بشيحة مقبل فدخل فقام له إبراهيم
وتلقاه وقال له يا أبا السابق تعال تفرج على الملك الظاهر الذى نحن كلنا غرس نعمته
فقال شيحة يا أبا خليل أنا كنت محبوس عند برقان ولم تنجينى إلا بنت اسمها جيلة الملك
بنت برقان والسبب فى ذلك ان برقان لما حبس شيحة بأمر ميمونة جلس يقرأوا
القرآن وكان لبرقان بنت اسمها جيلة الملك فسألت شيحة وقالت له إيش يقال لهذا
الكلام المليح فقال لها هذا القرآن وحكى على الاسلام فهدى الله قلبها للاسلام وأسلمت
وقالت له تزوجنى فقال لها لما نسيب الملك اجى أتزوجك فجيت إلى هنا وحكيت لك
يا إبراهيم على ما جرى فقال إبراهيم أناقتلت الملك الطارود وخلصت الملك فقال شيحة
أما قتل ملك الحبشة واطلاق السلطان فليس بشارة وإنما البشارة للذى يقوم السلطان
ويرجعه كما كان فقال إبراهيم يا أخى إن فعلت ذلك نجملك ملك القلاع والحصون
وبعد ما كنت تقول عليك قصير نقيل دقمبر ياشيحة هذا مطلوب منك فرض لازم
فقال شيحة صدقت ثم انه تقدم ونظر للسلطان فقال هاتوا لى جانب بصل فعصر ماءه
حتى ملأ منه دن فخار وأوقف الملك فيه يوم وليلة ثم صنع جسر من خشب وعلق

الملك فيه بثلاثة أحبال ثانيا ورفع ماء البصل من الدن وملأه خل وأوقفه فيه كذلك يوم وليلة ثم رفعه بالثلاثة أحبال ثانيا وأبقاه مرفوعا قدر ثلاثة ساعات وغير الخل بزيت حار وأوقفه فيه يوم وليلة ثم رفعه ثلاث ساعات وبعده زيت سيرج وبعده زيت طيب وبعد ذلك نصب خيمة على جانب بعيد عن الناس وأدخل الملك فيها وطرحه على ظهره ومسك إبراهيم يد وسعد يد وقصر الدين الطيار رجل وعيسى الجاهري رجل وقال لهم قلبوه على جنبه وظهره وبطنه وخضوه مثل القربة ففعلوا ما أمرهم ثم قال لهم انتشوا وشدوا ومسك رأس الملك وهزها وإذا به انسلخ من على بدن الملك الثوب الذي فيه ريش النيص ولكن ظهر جلد الملك من تحته ذايب فلما نظر إبراهيم وسعد إلى هذا الحال بكوا على السلطان فقال شيحة هذا الذي كان تالف السلطان ثم وضع طاسة على النار ووضع فيها دهن وعشب يعرفه وصيره مرهم ودهن به جسم الملك فقفلت الجراحات وقوى جلد السلطان فحس بشيء من العافية وكان السلطان مبنج فقايا البنج وحس بأنه ممسوك فقال بصوت ضعيف من الذي ماسكني فقال إبراهيم فقال له نعم فقال وشيحة لم يجيء فقال شيحة كيف لم اجيء وأنت روحي هل رأيت جسم يعيش بلا روح فقال السلطان يا شيحة أنا لم بقيت أشرف لو كان لي نظر لكنت رأيتك فقال شيحة اصبر ثم بنجه ثانيا ومسح له عينيه وأذنه وكحل عينيه ودهن له أذنيه والبده بدلته وأعطاه ضد البنج فصحى فوجد نفسه سليم وشيحة واقف بين يديه فقال عافية عليك يا شيحة نصرت الآن سليم وقصدي بمن يأتيني بغرطال الوحشي حتى أفعل به مثل ما فعل بي فقال شيحة يا دولتلي الجزاء قريب لما يرتاح فؤادك سافر بنا إلى بلد برقان فان غرطال عنده فقال السلطان أنا طيب سافر بنا من هذا الوقت وأمر العرضي بالرحيل بعد مانهب بلاد الطارود وقال السلطان للهول بن شاكر يا أخي جزاك الله عن الاسلام كل خير فان شئت تسير معنا وإن شئت تحكم هذه البلد حتى نعود فقال سيروا قدامي فسار السلطان قاصد بلاد الملك برقان هذا ماجرى هنا

[قال الراوي] وأما ماجرى على الذين انهزموا بعد قتل الطارود فانهم وصلوا إلى برقان وهم يشتكوا مافعل فيهم عسكر البيضان وإطلاق ملكهم الذي خطفه غرطال الوحشي ولابد ما يأتوا إلى هذا المكان ويحاربوا الملك برقان أنا أعلم ان البيضان يأتوا وإن حاربنا هم يغلبونا فقال غرطال الوحشي أنا على أن اخطف ملك البيضان وآتي به إلى هذا المكان ثم انه تجهز وصبر حتى نزلت عساكر الاسلام ونزل غرطال خطف السلطان فقامت القيامة عليه فنظر شيحة إلى ذلك فقال لم ينزعج منكم أحد أنا اخصم هذا الملعون فنبرزيه ودخل بلد الملك برقان وسار إلى الملكة جميلة بنت برقان وقدمنا أنها أسلمت على يديه واعتمدت في زواجها

به عليه فلما أتاها شيحة فى هذه المرة قالت له ماتريد أنا فعلت فعلة ان كانت لك فيها فائدة افعلها وهى ان عندنا واحد راهب متعبد فى دين النصارى وكان يحبنى ويقرئنى فى الانجيل فلما جاءنى أمس قلت له ياأبانا سألتك بالله الحى القيوم أنت تعلم ان عبادة هذا على الحق فقال لى على الباطل وأما الذى على الحق عبادة المسيح فقلت له وتعلم ان هذا المسيح هو الخالق ام فيه له خلقه وخلق امه بقدرته فقال نعم الله الذى خلق المسيح وغيره وهو الخالق الاكبر فقلت له اذا كنت تعلم ذلك فادخل فى عبادته واترك عبادة المسيح فاغتاظ منى فقبضت عليه وخنقته بعدما أعرضت عليه الاسلام ولم أعلم ان كان فعلى هذا حلال أم حرام فقال شيحة وبعدما ذبحته أين ملبوسه فقالت ها هو عندى وأقول إنه ينفعك تغير فيه زيه وادخل على أبى فقال لها شيحة صدقت وأخذ البدلة فوجدها من جلد حرز أحمر واسود وازرق واخضر فلبس البدلة شيحة ودخل على الملك برقان وهو يقرأ فى كتب الانجيل ويشرح مافيها من التحريم والتحليل فرفع برقان رأسه اليه وقال ياراهب متى جئت الى هذه الازم فقال ياملك انا كنت الليلة سارح فى الجبال فنزل على زحل من علاه وقال ياحورى البيضان ركبوا على بنى عام وهلكوا منهم خلق كثير فانزل من هنا الى برقان وأمره ان يركب على البيضان ولايخاف من حربهم ولامن طعنهم فأنا أنصره عليهم لانه يقبض أولا على ملك البيضان وثانى الايام أنصره على باقيهم فماتم كلامه حتى أقبل غرطال الوحشى فتقدم باس يده وكان غرطال لما أخذ السلطان سلمه الى برقان وصار ينزل ويخطف ويعود فى تلك الساعة حتى أسر خمسين من الجماعة فقال له شيحة زحل ينصرك ياابنى وحكى برمان لغرطال ماقاله شيحة وماأتى به من عند زحل فلما سمع الغرطال ذلك المقال قال ياأبانا عمال أجاهد لزحل حتى فنى عمرى ولم يعطنى حصان اركب عليه زى الناس وكلما أسرق حصان يقتله فقال له فى هذه الليلة اطلب من زحل حصان وهو يعطيك بلاسرقة فقال غرطال طيب وقعد يتفكر كيف زحل هذا فى السماء والكواكب والنجوم كلها فى السماء ولاى شىء قاعدين الناس يعبدون زحل ولاشك أنه موجود خالق خالق زحل ومايليه من النجوم والاقمار [قال الراوى] وأقام الملك برقان الى الليل وأخذ شيحة معه ودخل الى محل بيته ونام واذا ببنته وشيحة أقبلوا عليه ابتنجه وشيحة وكتفه وفيقه وقال له يا برقان أنا جمال الدين شيحة وهذا عسكر ملك الاسلام حط على بلدك وانت أرسلت غرطال فسرقه وأنا أتيت الك أسرقك ولكن لقيت سرقتك ليس فيها فائدة ففيقتك لاسألك عن فائدة تنجيك من الظاهر ومنى ومن زحل ومن جميع البشر وهى انك تقول أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول

الله واعلم أن بنتك اسلمت فانطبق بما امرتك فاحمرت عيناه وهدر كما يهدر رأسه الاحمر فضربه شيحة بكفانية على جدور رقبته ازاحها عن جثته وطلع شيحة قاصد غرطال فرآه مقبل ومجرد سيف ووراؤه جماعة تابعون له فقال شيحة من هذا فقال أنا غرطال يا ملح طعام الاسلام وأنا بقيت من رجالك يا سادة وكان السبب أن غرطال نائم تلك الليلة رأى الملك الصالح وقال يا غرطال قم من منامك واجتهد فى اصلاح ما فات من ايامك تنبه ايها المغرور واسأل الملك مرة من بعد مرة ولا تركز إلى الدنيا ففيها من الاحزان ما ينفى المسرة فكم يطلب من الدنيا ويسعى ليجمعها ويحويها بكثرة ويقضى عمره شوقا اليها ويتركها ولم يحض بذره وناس فى رضا الدنيا ترام لها يبغون وهى لهم مضره وناس يزهدوها عين يقين وسلوتهم حقيقا مستمره قم على حيلك وصفى نيتك لدين الاسلام ياقليل الادب تقبض ولدى مرتين والله لولا علمى انك من أهل الايمان لقتلتك جزاء لما فعلت فى حق ولدى ملك الاسلام ولكن قل أشهد أن لا اله الا الله واشرب من هذا القدح وادخل معنا لتنال من السرور والفرح فاسلم وشربه ونزل فك السلطان وخمسين اميرا معه وطلع ليقتل سيده فلقاه شيحة فقال الملك لم يبق وقوف ووضع يده فى السيف ونادى الله اكبر

أرى الاسلام عزا لا يزل ... وضرب السيف فخرا لا يقل
به تضحى بلاد الكفر قفرا ... إذا لم يرشدوا حقا وضلوا
الا يا معشر السودان جمعا ... لكم بالكفر ارغام وذل
فاما تسلموا أو تحاربونى ... فانى عن لقاكم لا املوا
وسوف ابددكم بالسيف ضربا ... فاى الارض فيها تستقل
فانى الظاهر المنصور أدعى ... بيبرس له مجد وفضل
وخلفى من بنى اسماعيل قوما ... رجال لا يهاب الموت أصلا

[قال الراوى] ونظر المقدم ابراهيم إلى الملك حين نزل فتبعه وصاح الله اكبر لعينك ياملوك العصر علو جهاد الكافرين حتى يغلوا وتروى الارض شربا من دمائهم وعظمهم وقال

هلموا معشر السودان نحوى ... وسوق الحرب منصوب ويحلوا
أنا ابراهيم قيدوم البوادى ... ولى عزم على الفرسان يعلوا
خلقت من الحديد أشد قلبا ... وقد بلى الحديد ولست ابلوا
اقاتل فى سبيل الله جهدى ... إذا طاب القتال فلا املوا
ولى فى الحرب وقعات وعزم ... إذا سمعوا بها الاعداء ولوا

صلاتى والسلام على محمـــد رسول لمن له فخر وفضل

وبعده صاح المقدم سعد بن دبل الله أكبر يا كلاب السودان .

أنا لى ولقا الهيجا علا جليلا لا يقاومه محل
إذا ما خضت فى بحر المنايا على ساق وقدم لا يمل
فكم من فارس أضحى قتيلا بسيف حاده لا يستقلوا
وكم جيش أتانى باجتماع فداه الروع إن كثروا يقلوا
ففرقهم حسامى فى البرارى وشتت جمعهم فرقا وولوا
أنا سعد الذى قد زاد سعدى على الفرسان إن عقدوا وحلوا
خدمت الظاهر المنصور حقا وعن طرق الهداية لا أضلوا
وصلى الله عن خير البرايا نبى هاشمى له قدر يعلوا

وبعده تجمعت أهل الايمان والسبب فى اجتماعهم أن شيحة لما رأى السلطان كان أسرع من البرق فتح البلاد هو والملكة جميلة الملك وأدخلوا عساكر الاسلام وأول من حمل وتبع الملك الظاهر كان إبراهيم وسعد وبعدهم بقية الاسلام ولم يطلع النهار إلا والسلطان على كرسى البلد ونظروه أهل البلد فطلبوا الأمان .

فقال السلطان لا أمان إلا لمن يؤمن بالله فامنت أهل البلد وقالت جميلة الآن حيث أن أهل بلدى أسلموا وأنا مسلمة وغرطال الوحشى مسلم فانا أقيم فى بلدى وغرطال الوحشى يكن عندى فى خدمتى وأما بلدى لم يحصل فيها شىء فانا صرت زوجة المقدم جمال الدين .

فقال السلطان والفرح على قائم الفرح بيومه ودخل شيحة على جميلة الملك وقال لها يا حبيبة القلب تروحى معى فقالت له أنا أقيم هنا فقال لها لربما تخلفى ولدا فاجعلى هذا على عضده ووصى عليها غرطال وشال السلطان إلى مدينة الدور يجد ايدمر البهلوان ومعه عساكر بكتمر السعدى فى قتال ونزال فصاح السلطان على الفداوية وقال انتم ميمنة والأمراء ميسرة واخذهم مواسطة واراد سيف الملك ان يهرب فادركه السلطان وضربه بالمقشة فى راسه فشقه إلى دكة لباسه وكبسوا على مدينة الدور ونهبوها وخربوها والمدافع هدموها بعد ما حصلوا بكتمر السعدى وفرح السلطان بذلك النصر والظفر وطلب الرحيل والسفر ومادام يقطع البلاد حتى وصل إلى الديار المصرية وانعقد له الموكب وطلع إلى قلعة الجبل

[قال الراوى] واعجب ما وقع واغرب ما اتفق للملعون جوان انه لما ضاقت به

الحيل وطلع هارب إلى السويدية ونزل فى مركب وأراد الهروب إلى بلاد النصارى فبينما هو ساير وإذا بأربع غلايين أحاطوا بالمركب التى فيها جوان وكتفوه فقال لهم كيف تكتفونى وأنا عالم ملة الكرستيان فقالوا له أنت جوان فقال نعم فقالوا له احنا دايرين عليك ثم انهم أخذوه وساروا به إلى جزيرة فى البحر وسلموا على الملكة فلقى عساكر مجتمعين بكثرة والعرضى منقسم قسمين والسبب فى ذلك أنه كان ملكة يقال لها الملكة عروة وهى جامعة عساكر بكثرة وقصدها أن تغزى بلاد الاسلام لأن عندها أموالا كثيرة وقصدها أن تنفق مالها كله فى الجهاد فى طاعة المسيح وهى تجهز عساكر فقالوا لها وزراؤها لو كان جوان معك فهو الذى يدلك على بلاد الاسلام ولكان يأمر ملوك الروم أن يمدوك بالعساكر فقالت لهم وجوان هذا أين مكانه فقالوا لها تارة يكون فى بلاد الروم وتارة يكون فى بلاد الافرنك وتارة يكون عند المسلمين يدبر لهم على مكيدة فأحضرت أربعة قباطين وقالت لهم سيروا دوروا على جوان ولا تأتونى إلا به فساروا فالتقوه كما ذكرنا فلما حضروه بين يديها قامت له وسلمت عليه وأجلسته وحكت له على ماهى طالبة من جهة الجهاد فقال لها كم عندك من العساكر فقالت له أنا ربيت أربعين فيلا وعلى ظهر كل فيل برج من الحديد وجعلت على كل برج أربع مدافع هؤلاء جعلتهم إذا كنت أسافر للمسلمين ركب المدافع والأبراج على ظهور الأفيال وأما إذا كنت هنا فى بلادى فتكون مدافعى فى أبراج قلعتى التى بانية للقلعة سور من حجر الرخام واثنى عشر برج من الرخام وجاله فى كل برج أربعين مدفع ودائر السور المدافع بكثرة والذى يحكم على الجميع بطريقين لم يكن تحت قبة السماء أفرس منهم أحدهما اسمه الحايم والثانى اسمه الكاسر فقال لها جوان إذا كان عندك قدر كذا عساكر وأموال لاتخافى من المسلمين عند الحرب والقتال ولكن ياترى إذا سرت من هنا وقصدتى بلاد الاسلام تروحى على حلب وعلى مدينة الرخام فقالت له أنا ما أتيت بك الا لاسألك فى المناسب حتى أنك ترشدنى الى الطريق الجيدة فقال جوان أما حلب فانك اذا رحتى عليها يجيكى ملوك المسلمين على بعض وأما اذا رحتى على مدينة الرخام يلقاكى الديابروغرنوس ومعه أولاده ملوك الابرنقاش واسماعيل أبو السباع ونصير النمر وهدير الرعود والطاق واردونش وكل واحد يتبعه عساكر كانها السيل اذا سال أو الظل اذا مال فقبل ماتشرعى فى قتال المسلمين وتغرى نفسك بكثرة الجنود والمال الممدود وأنا أروح من هنا وآمر ملوك الروم أن يمدوك بالعساكر وتكون الركبة قسمين قسم يطلب مدينة حلب وقسم يطلب مدينة الرخام

وتكون وقعة تذكر على طول السنين والايام فقالت له يا أبانا اجتهد لى واجمع لى العساكر حتى تساعدنى على الجهاد فقال لها مرحبا بك وأخذ البرتقشى وسار ليجمع لها عساكر وله كلام يأتى

[قال الراوى] وكان فى تلك الجزيرة اثنان أتباع من رجال المقدم موسى بن حسن القصاص فقالوا لبعضهم لما شاهدوا ما فعل جوان وعرفوا أن هذه الركبة تنقسم ركبتين نصفهم على مدينة الرخام والنصف الثانى على حلب فقالوا لبعضهم نحن نروح الى مدينة الرخام ونعلم الملك عرنوس بهذه الاحكام حتى ينحصر الى لقاهم ويقطع اقصارهم وأدناهم وساروا حتى وصلوا الى مدينة الرخام ودخلوا على الملك عرنوس ودعوا له فقال لهم ما معكم من الاخبار فقالوا له يا ملك وردنا على جزيرة فى البحر اسمها جزيرة المرمر وبها ملكة اسمها بحرونة قاصدة الغزو على بلاد الاسلام وقاسمة عسكرها قسمين تريد ترسل قسما على مدينة الرخام فلما سمعنا ذلك ألزمنا الحال الى الحضور بين يديك لنعلمك ثم نسير نعلم ملك الاسلام فأمر لهم الملك عرنوس بأربعة آلاف دينار وقال لهم روحوا الى مصر لتعلموا السلطان فقالوا سمعا وطاعة ثم ان الملك عرنوس صبر الى ثانى الايام وقال لعمه أنا قصدى أركب وأتسلى فى الصيد

فقال اسماعيل وأنا معك فقال له نطلع أنا وأنت ونترك البلد خالية منا الاثنين ما هذا صواب وانما أنت تقيم وأنا لم أغب الا قليلا وأعود فان قلبى مشغول بهذه العاهرة التى مرادها تركب علينا وهى حرمة وقصدها أخذ بلاد الاسلام فقال له عمه يا ولدى أخاف عليك أن تروح لها وحدك فقال له لاى شىء أروح لها ما هى قادمة علينا والله ينصرنا عليها فركب الملك عرنوس وسار يقطع البرارى والقفار قاصدا جزيرة المرمر

[قال الراوى] وما وقع أن بحرونة انتظرت جوان مقدار عشرين يوما فلم يأت فقسمت عساكرها قسمين وقالت قاتلوا بعضكم بعضا فقاتلوا فجماعة منهم انتصروا وجماعة انكسروا فتركت المنكسرين وأحضرت الغالبين وقسمتهم قسمين وقالت لهم حاربوا بعضكم بعض فحاربوا حتى غلب قسم فأحضرت الذى غلب وقسمتهم وقالت لهم حاربوا بعضكم بعض وهكذا حتى بقى أربعة اثنان منهم غلبوا اثنين فأحضرت الغالبين وقالت لهما أنتما اثنان أى منكما قتل خصمه اصيره زوجا لى واجعله صارى عسكر على نصف العسكر وأرسله الى مدينة الرخام بنصف العسكر وأسير أنا بالنصف الثانى على حلب فانطبق الاثنان وكان أحدهما كبير عجوز والثانى غلام أمرد

فقال العجوز للغلام خلنى أقتلك وأتزوج بها وأفتح لها بلاد المسلمين

فقال له الغلام أنت ليس فيك نفع حتى اذا تزوجتها لا تنفع بشىء وانما أنت أهل معروف وخلينى أنا أريحك من عيشتك وأقتلك وأحظ بها بشنيدة وأنا

فليون نبقى مثل بعضنا وانت روح موروثة وانركتنا فلا الكبير هانت عليه نفسه ولا الصغير يرضى باخماد حسه فبينما الاثنان يتقاتلان وإذا بالغبار غبر وانكشف وبان عن فارس فى الحديد غاطس وتحته جواد يطوى الارض والمهاد فاقبل كانه طود من الاطواد ودخل بين هذين الفارسين وقبض على أحدهما بالشمال والآخر باليمين وطرقهما على بعضهما فخرجت أرواحهما هذا ماجرى والملكة بحرونة تنظر وترى فلما رأت هذه الفعال اشتغلت غاية الاشتغال وأمرت باحضار هذا الفارس بين يديها فلما حضر قالت له يافتى أنت من اى البلاد واين عساكرك والاجناد ولماذا أنت سائر وحدك فى البرارى على حالة الانفراد فقال ياملكة أنا سواح أدور الاراضى والطبايع وليس لى من يقاومنى لان المسيح بالسياحة أمرنى وصرت له تابع ولامرالمسيح سامع وطائع فقالت له وما اسمك بين التوابع فقال لها اسمى عزم المسيح القاطع فقالت دستور يامسيح ثم انها قامت اليه وهنته بسلامتها عليه وقالت له قصدى اجعلك نائب على نصف عسكرى وأرسلك إلى مدينة الرخام تملكها وانا أروح على حلب والاقى ملك المسلمين وأملك عسكره واجناده وأملك أرضه وبلاده فقال لها عرنوس سمعا وطاعة ففتحت له صيوان بجانب صيوانها ورتبت له كلما يحتاج اليه من طعام وشراب وخدم وأقام الملك عرنوس عندها عشرة أيام وهو بالنهار عندها يلاعبها الشطرنج وإذا نام ينام على ظهره ووجهه إلى السماء فتقف بحرونة تنظر اليه وتتمنى وصاله وهى على رأى الذى قال

أمر ما القاه من ألم الجوى قرب الحبيب وما اليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

وكان الملك عرنوس جماله زايد لان اباه معروف فى صباه انفرد بالجمال والشجاعة بين الرجال وأمه مريم الزنارية وانفرت بالجمال بين النساء وخرج منهم عرنوس وحاز جمال الاثنين وزاد بالمحاسن وأذهل الناظرين فصارت الملكة بحرونة إذا نام فى صيوانها تقعد تهوى على وجهه وتتفرج على محاسنه وشم ثله إلى يوم كان عرنوس ركب إلى الصيد والقنص وإذا بضجة ارتفعت والاعين اليها نظرت ووصل جوان والبرنقش الخوان ودخل جوان على بحرونة واعلمها أنه قام من عندها وسار إلى ملوك الروم وامرهم أن يملكوها كل ملك بالف عسكرى والاربع بنات كل بنت بعدها بعشرة آلاف وكل قران يرسل لها عشرين الف فصار القادم اليك مائة وستون الف من الروم والافرنج فتبلغى من المسلمين اربك وتنولى طلبك

فقالت له ياجوان أنا مابقيت محتاجة عساكر لان المسيح أرسل لى واحد من أتباعه

برن البون اسمه عزم المسيح القاطع اذا كان معى ملك الدنيا براو بحرا وقال لها جوان جاءلك من أين حكت له على مافعلت فقال جوان لا بس طربوش جرهر قالت له نعم فقال هذا وصفة الديايروا عرنوس الذى يأكل بنات الروم وهو مسلم وأصله رباه مفلون وهو ملك مدينة الرخام الذى أنت سائرة اليه تحاربيه وتأخذى بلاده ولو كان جوان أبه ماجاشى كان أخذك من وسط عسكرك ومنترك وأكله وكانت بحرونة عشقة عرنوس لكن لما قال جوان أنه يأكلها خافت على نفسها من الاكل فقالت له وكيف تكون الحيلة والعمل يا أبانا فقال لها خذى هذا القرص البنج واوضعيه له فى كاس البيلار فاذا شرب ورتداقبضى عليه وأنا خبينى لانه اذا رآنى لم نقدر نمسكه ويقتلك فى اعساكرك فانه جبار وبطل كرار فقالت بحرونة ماهو الابون ولكن اذا كان يأكلنى فما اريده ثم اختفى جوان واتى الملك عرنوس آخر النهار لم يعلم ماقضاه الملك الجبار فقامت بحرونة اليه وأظهرت الفرح وباسطته حتى طمنته بالكلام ثم قدمت له الطعام واكلته معه وبعده قدمت له الخمر وادغرت له فيه البنج فرقد فأحضرت جوان فـ تفه وبعد كتافه فيقه فأفاق عرنوس فوجد نفسه على رأى من قال

يا أخا الحزم تد تحير فكرى ... فى أمور على الخليفة تجرى
بين عفو و نقمة ظل خبرى ... لست أدرى ولا المنجم يدرى

ما يفعل القضاء بالانسان

كل نفس تجزى بما املته ... من مليح او قبيح فعلته
صح فى القول عن ثقات رونه ... كل من كان محسنا قابلته

بجميل يقابل الاحسان

فقال الملك عرنوس الامان الامان من نكبات الزمان أنا فين فقال جوان أنت عندى يا ديابرو وعاجل دربت وجيت ساحب بالوصك وقصدك تعمل الملكة بحرونة جناقة وتفتح بين سقيها طاقة وتملأ بطنها فلايين فقال عرنوس وهى ايش تقرب لك يا ملعون واذا تزوجت بها أنا تكون على الايمان فقال جوان سيف منتار يلا كثرة كلام فما تم كلامه الا والمقدم اسماعيل ابن السباع اقبل وقال حاسر يا كلاب المشركين ووضع يده على قبضة شاكريته فقال جوان دالى يا أبناء الروم قال المقدم عن الملك عرنوس وكان فى عصر النهار حتى مضى بنوره وتكاثرت الكفار فعثر الفداوى جماجم القتلى فوقع فقبضوه باليد وشدوه كتاف وقرروا منه السواعد والاطراف ووضعوا الاثنين فى الحديد فقالت الملكة بحرونة اذا كان صاحب مدينة الرخام قبضنا عليه بقى أخذ بلده قريب ولم أروح الا على حلب

حتى أتى آخذها ومنها أمير الى بلاد الشام ثم أنها شالت فى ذلك المكان بالركبة وصارت تقطع الارض بالمراحل حتى نزلت على حلب وقد ذكرنا ان الملعونة عندها أربعين فيلا وكانت ارادت ان تركب عليهم من الحديد أبراج فنهاها جوان عن ذلك وقال لها الافيال فى الكبسة يدوس المسلمين وهذه الابراج ليس لهم نفعة الا فى الحصان فاعتمدت على كلامه وصارت كما ذكرنا الى حلب فنظرها باشة حلب فارسل كتابا للسلطان وكنا قدمنا ان أتباع المقدم موسى بن حسن القصاص بعد ما عادوا الملك عرنوس فساروا حتى وصلوا الى مصر وأعلموا السلطان فجهز عساكره ولما أتى الجواب كان السلطان برز للعادلية وصار السلطان يقطع الارض والقفار حتى وصل الى حلب ونزل بالعرضى وأقام ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع كتب كتابا وأعطاه الى المقدم ابراهيم فصار به الى العرضى وصاح طريق فاخلوا له الطريق حتى وصل الى صيوان الملكة بحرونة وقال قاصد ورسول فقالت له الملكة بحرونة هات كتابك وخذ رد جوابك وعد بالامان فقال لها نوميه على حيلك خذى كتاب السلطان واقرئيه وردى لى الجواب وأعطينى حق الطريق بادب وأنا اطلع بادب واصحى تفعل قلة الادب فقامت أخذت الكتاب تجد فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك الاعلى واللعنة على من كذب وتولى الى الملعونة بحرونه بلغ من قدرك ان تسمعى من جوان وهو كم اغرى ملوك على غزوة بلاد الاسلام يعود بالارغام فان أردت السلامة فاقبضى على جوان وأتى به الى صاغرة ابايعك نفسك بالمال وآخذ عليك الجزية فى كل عام وان خالفت فغدا تمرى فى مقام الندم اذا حل البؤوس والنقم والسلام على النبى البدر التمام فردت الكتاب للمقدم ابراهيم وأعطته رد الجواب وطلب حق طريقه فاعطته الف دينار وأخذ رد الجواب وعاد سلمه للملك قرآه بالحرب فشرمطه ورماه وأمر بدق الطبل حربى فجاوبته طبول طبول النصارى ولما كان فى الصباح خرج للميدان بطريق ممزقا للكفر تمزيق وسمى روحه وجاله فنزل اليه ايدمر البهلوان فقتله والثانى جندله والثالث رمله الى آخر النهار فقتل عشرون من الكفار وأسر خمسة وثانى الايام كان الحرب على الفداوية فنزل المقدم حسن النسر بن عجبور قاتل حتى أتى الغليل وأرضى الملك الجليل ودام الحرب على الامراء ويوم على الفداوية مدة عشرين يوما ضاقت الافرنج وقالوا لجوان ماهذه النجدة التى جبتها لنا فما أتت الا بالهلاك فقال جوان لا تخافون المسلمين فانهم فشارون ما حاربناهم الا فى المنتار فقالوا له هذا شىء مشهور عنهم ان كل من نزل لهم منثوره وليس لنا على حربهم طاقة وايش الفائدة كل من نزل منا يموت ولا يرجع وتبقى الملكة وحدها بلا

خدم ولا تبع فقال أنا جوان أنا أقول أن بكرة تبطل البراز ويطلع واحد ويفتح باب الحرب وأى من خرج نهز الشنابير وتطلق الكرستيان على عسكر المسلمين ويجعلها وقعة واحدة والمسيح ينصر من يشاء فقالت عجرونة كذا مناسب ولما كان عند الصباح اصطفت أهل الايمان واصطفت الكفرة عباد الصلبان وأرادت أن تحمل على بعضها الفرسان وإذا بالغبار قد ثار وعلا وتكدر وانكشف عن فارس فى الحديد غاطس وصرخ حاس يا كلاب المشركين وكبس عرضى النصارى وقاتل قتال أرباب القوة والجسارة واتبع الربح وترك الخسارة هذا والاسلام من ذلك الفارس يتعجبون ومن قتاله متحيرون إلى آخر النهار وقد أشفى من الاعداء الغليل وفعل فعلا يعجز عنه كل فارس قيل وآخر النهار مثل ماجاء من البر راح فى البر ولم يعلم أحد له مستقر وثانى الايام اصطفت الصفوف وتحضرت المئات والالوف فأقبل ذلك الفارس وأعطى ظهره للكفار ووجه لعرضى الاسلام وطلب الحرب والصدام فنزل اليه الامير قلاوون الالفى فأخذه أسيرا وأخذ بعده الامير بهاء الدين والجاولى والحصيرى وقفجت الديلى ودق طبل الانفصال وعاد ذلك الفداوى بعد العشاء حامل أربعة مزاريق على كل مزراق رأس أمير وشق المزاريق قدام صيوان السلطان وقال يا ظاهر هذه خمسة من كتاكيتك الذى تريد أن تحارب بهم الرجال وتلقى بهم الابطال فى الحرب والقتال وبعد ذلك عاد إلى البرارى والتلال وأصبح الملك يرى هذه الخمسة أمراء رؤوسهم على المزاريق فأضرمت فى قلبه نيران الحريق وفى اليوم الثالث بعدما اصطفت الجمعان أتى ذلك الفداوى وقاتل فى النصارى حتى روى من دمائهم حصباء الاراضى والحجارة وعاد الى البر مثل ما أتى والرابع قاتل فى الاسلام أخذ خمسة أمراء وخامس يوم قاتل فى النصارى ودام الامر هكذا ثمانية أيام فانغاظ السلطان وقال يا إبراهيم إيش هذا الفداوى فقال إبراهيم يا ملكنا هذه مالها إلا شيحة وإذا بشيحة مقبل والعشرون أميرا راكبين على خيولهم والمقدم جمال الدين قدامهم والفداوى على ظهر حجرته مشدود بالعرضى فتأمل السلطان شيحة وقال يا أخى الآن كان واحد فداوى جاب لى رؤوسهم على مزاريق فقال شيحة وأنا جبت لهم رؤوس أحسن منهم فقال السلطان أعلمنى يا أخى ما الذى فعلت بهذا الفداوى ومن هو ومن أى محل أتى وكيف أنه يحارب الكفار ويعود يحارب الاسلام وأنت كيف بعد قطع رؤوس الامراء أتيت بهم على قيد الحياة والسلامة فقال شيحة إن هذا الفداوى يقال له المقدم نجم العامرى وكان ظهر من اللجج ووصل إلى قلعته وسأل الرجال عن السلطنة فحكوا له على شيحة والظاهر فعبر مصر نسأل عن شيحة والملك الظاهر فأخبروه بالركبة التى على حلب فصار حتى أقبل إلى ذلك المكان

ورأى مصادمة الاسلام والكفار فعبر على دير قتل الذى فيه ولم يبق غير البطريق غير البطريق فقال له اقتلك والا تخدمنى فقال يا سيدى أخدمك فقال له اعلمك امارة إذا قلت لك هات اسقينى وإذا قلت لك اشرب هات لى الطعام والاقلت لك ودى الحجرة الطويلة شدها وان قلت لك شد الحجرة اسقيها واعلفها ووديها على معلفها وان قلت لك اقفل الباب افتحه وأن قلت لك افتحه اقفله وإذا قعدت تقدم ارضع اصبعى فان نسيت حاجة من هذه الاشارات تغيرت فأقتلك . ولما حصل ذلك المكان شيحة فى مخدع وسمع شيحة كل ما قاله فقعد مواضبه يومين فغير شيحة وقتل البترك وقعد فى مكانه ولما نزل المقدم عمر وأسر الخمسة الامراء أول يوم قال خذهم اقطع رؤوسهم وركبهم لى على خمسة مزاريق فأخذهم وأخفاهم فى مخدع وأتى بخمسة رؤوس من رؤوس الكفار ولطهم فى صفتهم وأعطاهم له فزرعهم قدام صيوان السلطان وهكذا إلى آخر يوم نسى شيحة ان يرضع صباعه فقال تغيرت يا قرن فقال له ياخوند أنا لم أتغير وتأمل شيحة فى المقدم عمر فوجده قاتله لاعالة فمد يده ومسك شنبه وقال له وحياة شنبك هذا ياخوند أنا ماتغيرت ولكن كان فى يد شيحة بنج سائل فشم عمر البنج فرقد فكتفه شيحة وأحضره على ظهر حجرته وأطلق الامراء وهذا هو الاصل والسبب وأتى الجميع الى السلطان وفيقوا المقدم عمر فرأى روحه مكتف فقال أنتم جماعة من عجزكم عن القتال تقبضوا أعداءكم بالبنج والاحتيال وهذا شيء لم يفعله إلا أنذال الرجال ونطى فى الكتاف فقطعه ووضع يده على شاكريته وقال طريق فأخلوا له الرجال الطريق فطلع على حماية

وكان للبرتقش واقف تلك الساعة ينظر ماذا يجرى فلما رأى الفداوى خاص من قدام السلطان غضبا فقال والله ما هو الا فارس وبطل وعاد إلى جوان وأعلمه بما رأى فقال جوان أنا فى عرضك ياسيف الروم انك تجيب لى هذا الفداوى لاجل أن يحارب معنا فى المسلمين فقال البرتقش من أين أجيبه هذا راكب على حجرته وصار فى أمان فقال جوان اعطى لك عقد جوهر ثمنه خمسة آلاف ذهب خذه لك وهذا الفداوى أنا طالبه منك فعند ذلك أخذ البرتقش العقد وطلع يقتفى أثر ذلك الفداوى فوجده شده على حجرته وطالع من الدير فقال له ياخوند ماتسير معى وأنا أملك مقصودك من شيحة والظاهر اللذين أغاظوك واحنا لو عليك وقبضوك وان علم ملك الروم جوان أرسلنى اليك ومراده أن تكون معنا على المسلمين حتى اذا أخذنا بلادهم تتمكن انت من شيحة وتحكم على جميع الفداوية حتى يطيعوك وتتسلطن عليهم حتى تبلغ ارك وتنال طالبك وكان البرتقش غلام جوان فقال له نعم فقال الفداوى سر قدامى

اليه فسار البرتقش والفداوى معه حتى دخلوا على جوان فقام اليه جوان ورحب به وخلع عليه فقال له أنا ما كايدنى الا كون الملك من أكبر مقادم الحصون ويحكم عليه ذلك البدوى شيحة مع أنه قعد عندى سنتين يخدم حمارتى حتى علمته المناصب والحيل وملك الارض سهلا وجبلا فقال المقدم نمر أما أنا فلا أرجع حتى أقتل شيحة والظاهر ولو تعلقوا منى بأفلاك السماء فقال له جوان اعلم ان هذه الملكة بحرونة جمعت هذه العساكر ومرادها أخذ بلاد الملك الظاهر فاذا كنت أنت معها فتجعلك نائب على بلاد الاسلام كلها والقلاع والحصون من ضمنها وانت الحاكم على الجميع فقال المقدم نمر وأنا على أن أقاتل وأحتال حتى أملكها جميع الفرسان الذى أسره والذى أقتله والذى يتعسر على اسرقه ولا ارجع حتى املكها الظاهر وشيحة وأتباعهم جميعا ففرح جوان بكلامه وخلع عليه وكذلك الملكة بحرونة فانها أوعدته بكل جميل فبات وأصبح نزل الميدان وصال وجال فى أربعة أركان المجال ومد واستطال وقال ميدان يا ظاهر ميدان يابزباشية ميدان يافداوية ميدان ياامراء الظاهر من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فليس بى خفى أنا صاحب العزم الجرى والرمح الاصم السمهرى انا المقدم نمر العامرى هلموا الى القتال ومعاملات الحرب والنزال إن كنتم من الفرسان الابطال فخرج اليه المقدم حسن النسر بن عجبور وقاتله ساعة زمانية فاتعبه وأكربه وتعلق فى جلباب درعه وجذب رجله من على حجره واخذه اسيرا ثم برز اليه صوان بن الافعى فاسره ثم نزل جبل بن رأس الشيخ مشهد فجرحه وعاد آخر النهار وهو يتعاجب فى حل العز والافتخار فقال له جوان طيب انت نونو وجاءت الملكة بحرونة وضحكت فى وجهه واوعدته انها تسلم على يديه وتتزوجه ويبقى هو سلطان القلاع وزوجته سلطانة مصر والشام

[قال الراوى] فلعب الشيطان بعقله وأغره حتى نزل وسرق قلاوون الالفى وبكتمر السعدى وثانى الايام نزل فاسر من بنى اسماعيل سبعة وجرح ثلاثة وبالليل سرق خمسة أمراء وثالث يوم أسر من الامراء عشرة وسرق بالليل ثمانية ودام الامر كذلك حتى اخلى كرسى الفداوية وآخر ماسرق المقدم ابراهيم بن حسن فقال له سعد انا قلبى يحدثنى ان المقدم نمر فى هذا الوقت فى العرضى مختلط بعساكر الاسلام فاتق بالك من السلطان حتى اشق واعود اليك فنظر ابراهيم وكان نمر واقفا يسمع فصبر حتى راح ابراهيم الى بعد فوقف فى مكان ظلمة وقال ادركنى ياسعد فظن انه ابراهيم فراح اليه فلم يشعر حتى ضربه بالشاكرية صفحا على اتصاب رجليه فوقع سعد

فركب على صدره وكتفه ووقف مكانه فاقبل المقدم ابراهيم فاصطنع قارورة من ماء مبنج وعند إقدامه عليه تحققه ابراهيم فصاح به اين يانمر فاقعده بالقارورة فاحكمت فى وجهه ودخل البنج فى فمه ومناخيره فوقع وتقدم اليه وحمله وعاد فلقى السلطان خارج باب الصيوان فعارضه بقارورة مبنجة وأخذه وداه إلى جوان وعاد أخذ سعد ولما طلع النهار كانوا الجميع فى صيوان الملكة بحرونة وجوان طفح الفرح على صدره فقام وقعد منتار الجميع وتأمل فوجد سياف واقف على رأسه فقبضه من خناقه وقال امسكوه هذا شيحة ولكن أودع الجميع فى السجن وجوان يخفرهم الى الصباح فساروا بهم للسجن فنظر الى السجانين فاذاهم أولاد شيحة فقبضوهم وحطوا الجميع فى الحديد والله يفعل مايريد [يا سادة] وقد ذكرنا أن الملكة بحرونة عندها اثنين عياق مقادم أحدهم اسمه الكاسر والثانى اسمه الحاتم وكانوا الاثنين تلك الليلة قاعدين واذا بالمقدم الشهير معروف ابن جمر دخل عليهم عيانا وقال لهم أنتم أشراف وانسابكم مكتوبة معكم على أدرعتكم أما الكاسر فهو ابن منصور العقاب وأما الحاتم فهو ابن سليمان الجاموس فقالوا البعضهم بعدما عرفوا أسماءهم حيث انا مؤمنون والاسلاد أهلنا نطلقهم ونقبض على جوان وبحرونة ونسلمهم للمسلمين يقتضوا معهم واحنا نطلع ندور على آبائنا بعد ما نسأل أمهاتنا ثم انهم أطلقوا الاسلام جميعا وحكموا الشيحة وسلموه بحرونة فاعرض عليها الاسلام فلم ترض فقتلها ودور على جوان ونمر العامرى فلم يجده فقال شيحة يا ملك اكسر الغرض هذا أنت راهبه حتى الحق أنا المقدم نمر اما يطلع والا اسلخه وسار شيحة طالب قلعة النمورة وأما السلطان فكبس النصارى وأهلكهم ولم ينفع الامن كان جواده سابق وفى أجله تأخير وأراح الله الاسلام وأما المقدم نمر فانه سار طالبا قلعته فلقى شجرة مكتوب عليها ورقة فقرأها فوجد فيها يا نمر كان غيرك أشطر منك وله مناصف اعرف منك وأنا شيحة ان أمكنك تمسح اسمى من هذه الورقة حقيقة تبقى سلطان فلما قرأ الورقة لحس اسم شيحة بلسانه يريد أن يمحيه منها فكانت الكتابة بالبنج فرقد النمر فاخذ شيحة لانه كان بالبعد منه مدفون فى الرمل فدخل به فى الغابة وفيقه وعاتبه فلم ينفع العتاب ولم ير منه الا الوقاحة وعدم الآداب فضربه ثمانين سوطا حتى أذاقه انواع العذاب وأراد أن يكتفه ويأخذه الى مصر واذا بصوت يقول حاس يا قران ضربه شيحة على وجهه فارماه وتقدم فخلص المقدم نمر وسلم عليه وكان هذا فداوى أخو المقدم نمر واسمه المقدم مفيز وكان أتى من اللجج فى جره أخيه لحين وصل القلعة أعلموه انه سار طالب شيحة فطلع فى جرته ووصل الى حلب فسمع بخبر الركبة

وبعروقة وما حصل وان المقدم نمر هرب طالب قلعته فمشى يقص جرة أخيه وكان يعرف المقدم حتى دخل إلى تلك الغابة وعرف أن هذا أخاه وهذا خصمه شيحة فاطلقه وقبض على شيحة وسلم على أخيه فقال المقدم نمر لاخيه يا أخى خذ شيحة وروح به إلى القلعة حتى اروح أنا أجيب الظاهر وأخذ نفسه وسار إلى حلب واختلط فى الفداوية وهو مختفى وصبر إلى الليل وسار من خلف صيوان السلطان وأراد أن يقلع وتد ويدخل فرآه السلطان فصبر عليه حتى قلع الاوتاد وأراد أن يدخل فرفع جانب الصيوان رفعه عياق أمعن النظر فرأى السلطان باله معه فأخذ الحذر فى دخوله وكانت يد الظاهر على اللت فقال له الظاهر تاوى شاكر يتك أنا المقدم نمر واخذت شيحة عندى فى قلعتى كان قصدى أخذك فرأيتك صاحى فان أردت خلاص شيحة فى قلعة النمورة وتلتقى الخيل والمشاة وطلع من العرضى على حماية فقام السلطان وبعثه قال ابراهيم يا دولتلى الحماية حماية الله تعالى فاصبح السلطان وشال بالعرضى إلى قلعة النمورة ونزل السلطان بالعرضى واحتاط بالقلعة بات وأصبح فنزل المقدم نمر وقال يامعشر الامارة الظاهرية دونكم والقتال فقال الملك يا ابراهيم اما أن تنزل أنت إلى هذا الجبار أو أنزل أنا فقال ابراهيم يا ملك الدولة كيف تنزل الميدان وأنا قدامك قدم لى حصانى ياابن الشباح وركب ونزل إلى الميدان وقال يامقدم نمر ان كنت من الابطال فدونك والقتال فقال نمر جئتك فانطبقوا الاثنان على بعض وأصواتهم مثل الرعد وكان لهم حرب يشيب منه الوليد وضرب يذوب لهوله الصم الجليد فانطبقوا كجبلين وافترقوا كانهم بحرين وتحيرت من أعمالهم الطائفتين ووقع بينهم ضربتين واصلتين قاطعتين فاما ضربة المقدم نمر وقعت على فخذ المقدم ابراهيم فجرحته وأما ضربة ابراهيم وقعت على عنق حجرة المقدم نمر ابردته فوقعت الحجرة فطب ابراهيم وقبض على خناق المقدم نمر ونظر عيسى الجماهرى والمقدم سعد إلى المقدم ابراهيم وهو مجروح فاركبوه وقبضوا على المقدم نمر وكتفوه فعند ذلك هجم كثير وخرجت أهل قلعته وخرجت أهل قلعة النمورة يرومون خلاص صاحبهم فرأوا عروس المنايا شمرت عن زراعها ومدت افرسان الوغا طول باعها فعند ذلك بطل اللوم والعتاب ووقع الضرب خطأ وصواب وقطعت الجماجم والرقاب وضاقت بالناس الاسباب وشاب من هول تلك الوقعة الشباب وتباشرت الارواح بالذهاب وتقطرت الخيل والدواب ودام السيف يعمل والرجال تقتل والدم يبذل حتى ولى النهار بالابتسام ودخل الليل وأرخى أجنحة الظلام وخفيت مواضع الاقدام وانفصل الطائفتان عن ضرب الحسام ولكن ملك أكثر أصحاب القلعة ونظر المقدم كفير إلى ذلك

الحال فقام إلى القاعة ودخل على شيحة فاطلقه وقال ياحاج شيحة لاتفجعني في أخي فان الذي يكون سلطان مثلك يتحمل جور الرجال وفعل الخير لايضيع عند أولاد الحلال وأنا عارف انك لست محتاجا لمثلي أن يطلقك من الاعتقال ولكن سمعت عنك انك أهل مروءة وكرم فلا تواخذاخي بما تقدم وبكى فقال شيحة يامقدام وحق من رفع القبة الخضراء قدر أبي قبيس وحرى لوفعل أخوك مهما فعل فاني مسامحه ونزل المقدم جمال الدين ليلا إلى عرضي السلطان وسأل عن المقدم نمر فقال إبراهيم ماهو عندي فدخل شيحة فطيب جرح إبراهيم وأطلق المقدم نمر وقال له روح إلى قلعتك وإن طابت نفسك للاطاعة الحقى على مصر وإن دخلك الغرور فدونك وماتريد وكل مافعلته آقابلك عليه وأزيدك أوفى مزيد ونزل فاعلم السلطان بذلك وكان السلطان أمر العساكر تهيئ عرضي بحرونة كما ذكرنا ثم انه لما أعلمه بمافعل كثير اخو المقدم نمر فقال له هذه علامة الصلاح ونسأل الله أن يهون كل عسير وسافر السلطان إلى مصر وهو فرحان ولما وصل للعادلية أرسل بطاقة إلى مصر فزينت بغير مناداة ودخل بالموكب إلى قلعة الجبل وأطلق من في الحبوس وقام يتعاطى الاحكام كما أمره الملك العلام

[يا سادة] وأقام الملك الظاهر على ذلك الحال إلى يوم من الايام والملك جالس وإذا قد أقبل عليه كتاب من الاسكندرية وقدمه البراج إلى بين أيادي السلطان فأعطاه لمن يقرأه وإذا فيه من حضرة العبد الاحقر والمحب الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب إلى بين أيادي سيد سلاطين بني آدم وظل الله في العالم ان يوم تاريخ الكتاب نحن مقيمون ورد علينا غليون من الروم واقمنا الحصار وضربنا عليه بجلل النار فأقام لنا بيرق الامان فأرسلنا الجاسوس فأعلمنا أن هذا تومة بن مرتين الابرش ملك مدينة برشنون وقصده أن يأتي الى مصر ليسلم على أخته الملكة صفية زوجة المقدم جمال الدين شيحة فامرناه أن يبقى في البحر حتى نأخذ اجازة من السلطان بطلوعه وأرسلت هذا الكتاب أريد الافادة بما يوافق اما بوصوله أو رجوعه الامر أمرك اطال الله في عمرك والسلام فأمر السلطان بحضوره إلى مصر فدخله الباشا وطلعه اسكندرية وسافر الى مصر وطلع قلعة الجبل ودخل على الملك الظاهر فسلم وقبل الارض وخدم فأمره السلطان ان يجلس وبعد جلوسه قال له السلطان لاي شيء اتيت يا تومة فقال يامولانا اريد أن ازور اختي صفيه زوجة المقدم جمال الدين شيحة فدعى السلطان بالاغا ريحان وأمر ان يسير إلى بيت المقدم جمال الدين ويعلم الست صفية بقدوم اخيها فان اذنت له بالدخول عليها فلاباس فراح الاغا جوهر واعلم الست صفية فقالت له انا ماار يدلي اخوات ابدا ان

كان مراده يدخل البيت فلا يمكن إلا باجازة صاحبه فقام الاغا وأعلم السلطان فأمر تومة أن ينزل دار الضيافة حتى يحضر شيحة فنزل وأم فيها ينتظر قدوم شيحة وفى تلك الايام قدم الملك عرنوس من مدينة الرخام لاجل التنزه فى بساتين مصر والفرجة على بحر النيل فاقام مدة أيام إلى يوم قام الامير أيدمر وقبل أيادى السلطان وقال يا ملك الاسلام أنت تعرف ما كان بينى وبين الملك عرنوس سابقا من البغضة والعناد وأرجو على يديك أن تتبدل بمحبة ووداد واضع له عزومة لاجل التقرب لقلبه وإزالة جميع الاحقاد فقال الملك يا أيدمر إذا عزمت عرنوس وحده يبقى فيه كسر خاطر لاخوانك الامراء الذين معك فى الديوان فاذا عملت عزومة فيكون الاسم للملك عرنوس ولكن تفرح جميع الامراء معه حتى أن كل من كان له عسكر حاضر يتبعه وبعد ذلك كل من الامراء يعمل عزومة وخذوا معكم صاحب برشنون البب تومة لاجل يتفرج لانه نسيب المقدم جمال الدين وصاحب مقام وتمكين فقال أيدمر يا ملك هكذا يكون ونزل الامير أيدمر وأحضر كلما لزم العزومة وأمر الطباخين باصطناع الطعام والحلاوات وما يحتاج اليه من أنواع الشربات وآخر النهار تقدم قدام السلطان وقال للملك عرنوس ياسيدى أنا سايق عليك حرمة مولانا السلطان أن تجبرونى فى هذه الليلة وتسير معى إلى منزلى حتى أتشرف بدخولك معى مكانى ويعلو قدرى وشأنى فانه يا سيدى ليس بعار ولا ندم سعى الموالى الخدم فقال السلطان مرحبا بك يا أيدمر أنا سياقى على الملك عرنوس مقبول ونزل عرنوس فقال أيدمر يا امراء مصر أنتم جميعا اخوانى وأنا سايق عليكم مولانا السلطان أن تشرفونى فى مكانى لاجل أن تسلوا الملك عرنوس البطل المأنوس فقالوا جميعا مرحبا فالتفت أيدمر إلى البب تومة وقال له يا بب وانت أيضا تفضل معنا ومولانا السلطان من فضله يسامحنا فالتفت تومة يستأذن السلطان فاذن له وقال له روح معه فنزل تومة وسار معهم الملك عرنوس مقدم الجميع حتى وصلوا إلى بيت أيدمر البهلوان فادخلهم فى قصر يزيل الهموم وينفى الحصر وقضوها ليلة تعد من الاعمار بسبب ما عاينوا من السرور والفرح والاستبشار

ولما كان عند الصباح قدم أيدمر البهلوان للملك عرنوس تقادم من جوار روميات ومماليك وخيل فابى أن يأخذها هدايا وقال يا أيدمر انت صرت نعم الصاحب وأما إيش منفعة الهدايا التى لا يحتاجها إنسان وإنما المودة والاحسان خير من كل ما كان وركب الملك عرنوس وطلع إلى الديوان وهو فرحان بمصادقة أيدمر البهلوان لانه عزيز عند السلطان و الليلة الثانية قام الامير علاء الدين وفعل مثل ما فعل أيدمر البهلوان وعزم

الجميع قدام السلطان فراحوا عنده وقضوا ليلتهم وبعده بشنك وسنقر ودار الدور من الامراء واحدا بعد واحد وكان آخرهم الامير قلاوون الالفى وكان الملك عرنوس صحبته العلن ورودنش ونصير النمر عن يمينه ويساره فلما كان يوم الامير قلاوون دخلوا جميعا بيته فادخلهم فى مقعد يكشف على حوش البيت والملك عرنوس كما قدمنا أنه أهل خلاعة فقال يا امير قلاوون أنا لم أطق أقعد فى مكان الا اذا كان على بستان وأنا أتعجب منك لاى شىء ما عملت فى بيتك تنته ولا جنينة فقال موجود يا سيدى تفضل وفتح تنته من داخل المقعد وقال تفضل ياسيدى فدخل عرنوس وأخذ فى يده تومة لعلمه أنه ضريب من دون الحاضرين واذا تكلموا لا يعرف كلامهم فدخل به الى تلك التنتة فراى كرسى وموضوع عليه حجارة الشطرنج فقال لتومة تعرف تلعب

فقال نعم فقعد يلعب عرنوس مع تومة الشطرنج حتى قدم الطعام فاكلوا الغداء ودارت عليهم الشربات وانهمكوا فى اللذات هذا وعرنوس وتومة يلعبوا الشطرنج فى تلك المكان ويتنزهون على ذلك البستان فهم كذلك واذا بشباك ارتفع بابه وطلعت منه بنت وجعلت تنظر الى ذلك البستان وتلك البنت لها جمال فتان كانها من حور الجنان بصدر كانه شاذروان فيه نهدان كالرمان قال فيها الشاعر

في غاية الرماح او ان النبوت   قتلت الالحاظ عليا شـــهود
يا الحسب لاتهجرونى اموت   وبقال عنى مات قتيل النهود

وكان المقدم نصير النمر واقف بجانب الملك عرنوس ونظر إلى ذلك البيت نظرة أعقبته ألف حسرة وتاه وسكت حياء من سيده الملك عرنوس فسأل من بعض الخدم الواقفين وقال لهم هل تعلموا هذه بنت من فقالوا له ما هى إلا بنت سيدنا الأمير قلاوون الألفى فصبر حتى انقضى يوم الضيافة وسار عرنوس إلى بيته هنالك تقدم نصير النمر اليه وقد أذله العشق الذى أذل الجبابرة وخضعت له الملوك والأكاسرة وانحنى نصير النمر مثل القنطرة وباس رجل الملك عرنوس وقال له يادولتلى أنا دخيل عليك اعلم ياملك عرنوس أنى لولاك ماأبقانى شيحة إلى هذه الأيام بل كنت أنا وهو دائما فى مجادلة وخصام أما أن يسلخنى مثل ما سلخ غيرى من الرجال أو كنت أقتله أنا وأشفى قلبى من الادغال وها أنا كما تعلم أنى مقيم تحت ظل سيفه وأنا يادولتلى فى عرضك من ألم الهوى والعشق وصبابة الجوى الذى هد منى الحيل والقوى .

فقال الملك عرنوس يامقدم نصير إيش جرى لك اخبرنى بحالك فقال المقدم نصير وبكى اعلم ياسيدى أنى لما كنت معك فى بيت الأمير قلاوون نظرت بنته لما رفعت راجع الشباك فزادت بى الاحتراق وأنا يادولتلى لا يكون لى من يخطبها لى إلا أنت وأنا خدامك

ومنسوب اليك وليس لى معول الا عليك فقال عرنوس يامقدم نصير أنا أخطبها على اسمك وكلما طلب من المال أعطيه لاجلك يامقدم وأنت بهذه البنت أحق من الغير فدعى له المقدم نصير وشكره ولما كان ثانى الايام تقدم عرنوس السلطان وقال يا ملك الاسلام المقدم نصير سافى عليك لعله أنى أنا محسوبك وأريد من جملة انعامك ان تكلم الامير قلاوون ان يزوج بنته للمقدم نصير النمر فقال السلطان ياملك عرنوس والله لو تكون بنتى وطلبها المقدم نصير وكنت انت الواسطة لوفيتها له ولكن أنت تعلم مابين الامراء والفداوية من المعاندة والمضادية وهذا قلاوون الالفى ليس من أهل المروءة حتى اذا كلمه انسان يستريح معه لكن لاجل خاطرك أنا أكلمه حالا ولكن اذا لم يرضى ماتحكمشى عليه بالغصب فقال عرنوس لايكون ذلك الا بالرضا وعدم الجور والعدوان فالتفت السلطان الى الامير قلاوون اعلم انى جئتك خاطبا فى بنتك بمنزلة يا ابى والزواج المقدم نصير النمر ساعى ركاب الملك عرنوس ولدى وأعز من ولدى كانت آذاقلت وجب علينا مانسكفيك من الفضة والذهب فلما سمع الامير قلاوون الكلام زاد به الوحيد ولم يقدر ان يضبط لسانه فى الكلام وقال يابعض شاه كيف ازوج بنتى الى نصير بتاع نمر فلاح بتاع الشام عفريت بتاع جبل والله بنتى اذا كان تشوفه مرة تموت فانا يابعض شاه لم أزوج بنتى له أبدا ولو يتقطع لحمى لى سيوف العدى فقال نصير وعلى أى شىء ياأمير تجعلنى فلاح قل لم تزوجها والسلام ولو لا تتطاول على بالكلام ولكن ماعينا والايام بيننا فقال الامير قلاوون ايش ماعليتا وتقول إنك تضع حبل طويل وتطلع به بيتنا تسرقها الحمد لله بعض شاه سامع كلامك اذا عدمت بنتى تكون عندى فقال نصير لما تعدم الزرقى بها فنظر السلطان الى ذلك فخاف من وقوع الفتنة فشخط فى قلاوون فسكت وكذلك نصير وانفض المجلس على عدم الزواج وبطل الكلام والعجاج وثانى الايام تقدم تومة الى السلطان وقبل الارض وطلب الاذن بالسفر الى بلاده فامره السلطان بالسفر فسافر الى بلاده وبعد ثلاثة أيام طلع الامير قلاوون الديوان ووقف على رخامة الطالب وبكى وقال مظلوم يابعض شاه فقال له الملك ماظلومتك ياأمير قلاوون فقال بنتى عدمت فى هذه الليلة من فرشها وليس لى خصم الا المقدم نصير بتاع النمر فهى عنده يا ملك وانالم أفتر عنه حتى يأتى لى بنتى فقال خبر ايش لم تفترعنى وايش يطلع من يدك ياقراز والاسم الاعظم ان كنت أنت وألف مثلك قدامى ماأعدكم الا أقل من النسوان وهاأنا فى الديوان وبنتك التى تتهمنى إبها عندى وأدى مافى خيالك اركب وامحض مافى طاقتك اشرب ووضع يده فجرد شاكريته فى وسط الديوان وقال طرق فاخلوا له الطريق ونزل من الديوان على

سحية وسار الى قلعة فالتفت الملك لعرنوس وقال كذا يا ملك عرنوس فقال الملك عرنوس يا ملك الاسلام نصير ضمانه على وقام الملك عرنوس وأخذ معه المقدم اسماعيل وجماعة من رجاله وسار حتى حط على جبل عكار وطلع الى قلعة البويضة فعلم نصير بقدومه فنزل اليه واعتذر عما جرى منه بعدما سلم عليه وقال يا دولتلي ومن أنا حتى تركب وتأتي الى قلعتي فانا يا دولتلي مظلوم وحق من يعلم عدد النجوم واني لم أسرق بنت قلاوون ولا سلطات عليها ولا أعلم أين هي فقلاوون ظالمني وأنا خفت من السلطان ان يقبضني من جانب الظلم والمحال ففعلت هذه الفعال فقال عرنوس لا بأس عليك أنا آخذ لك بخاطر السلطان وأعيد الاعتدي في غاية الامان فقال المقدم نصير تفضل مع خدامك الى القلعة حتى أتشرف بخدمة سيدي فقال عرنوس مايلزمني فقال نصير والاسم الأعظم الا تقوم معي تشوف قلعتي فقام المقدم عرنوس وطلع معه الى القلعة وصحبته المقدم اسماعيل والملك الطن وردونش وهدير الرعود وجماعة من خواص دولة الملك عرنوس ودخلوا القلعة ففرح المقدم نصير وأمر الطبجي بضرب أربعين مدفع شنك لقدوم الملك عرنوس فقعدوا في غاية الحظ ساعة من الزمن وبعد ذلك قدم لهم الطعام وكان الطعام فيه البنج فلما أكلوا رقدوا لخبثهم . وضع القيود في أرجلهم وكتفهم وفيقهم فقال عرنوس أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا نصير أنت بعد اقامتك عندي هذه المدة تقبضني بالبنج يا قليل الادب وتضعني في الحديد يا كلب هذا جزاني بعد ما حميتك من شيحة هذه المدة ولكن ان قتلتني أنا وعمي يأتيك شيحة يوفيك باقي حسابك الذي لك عنده فقال المقدم نصير يا ملك عرنوس أنا لا يهون علي ان افعل معك هذه الفعال وانما قصدي اقيم عذري عند الظاهر بأني عصيته وقبضت عليك لعله يركب ويأتي عندي لاجل ان أتفرج على الذي يقول لم أزوج نصير بنتي لانه فلاح وأنظر كيف يطلب بنته مني وأشوف الظاهر ايش يطلع من يده واما أنت عندي سيد مكرم ثم أنه تركهم وركب على ظهر حجرته وسار الى العسكر الذي مع الملك عرنوس وقال لهم أنا قبضت على الملك عرنوس فروحوا الى الظاهر واعلموه ان أقمتم الى غد قطعت رؤوس أسيادكم ورميتكم بها هيا روحوا للظاهر وقولوا له على ماجرى والسلام فركبوا العساكر خيولهم وساروا الى مصر ودخلوا على السلطان وأخبروه بما جرى فزادت نيرانه وكثر هيمانه وقال لعن الله نصير الذي ما هو الا رجل جبار عنيد وشيطان مريد ثم انه ركب وبرز الى العادلية وأمر العساكر ان تتبعه حتى تكامل العرضي وسار حتى حط على قلعة البويضة فضربت المدافع من القلعة فامتنع السلطان على قدر ضرب النار ونصب العرضي وبات الملك تلك الليلة وفي

الصباح أراد أن يكتب كتابا يرسله إلى المقدم نصير النمر وإذا بالقامة انفتحت وخرج المقدم نصير النمر راكب على حجرته وغاية فى عدته وصال وجال ومد واستطال وصاح بعلو صوته وقال ميدان يا بازبجية ميدان يا أمراء ظاهرية ميدان يا أمراء أيوبية ميدان يا بدرية اسماعيلية ميدان يامن تأكلون بحكم ميدان يا محاربين أديانكم يا كامكم هلموا الى القتال ومعاناة الابطال فارس لفارس عشرة لفارس مائة لفارس ألف لفارس كلكم جميعا لفارس لم يبرز لى جبان ولا عاجز ولا قطيمة ولا دون ولا يبرز إلا من كان فارس فى قوته ونشاطه وكفنه مطوى تحت باطنه من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فليس فى خفاء أنا أعرفكم بنفسى أنا المقدم نصير النمر بن المقدم أسد الدين البويعنى بن المقدم داغر العنيد يامن يريده دونكم وإياه هنالك أراد الملك من غيظه أن يركب وينزل اليه فتعلق به الملك رعدمنط أحد أولاد ملوك البرتقان وقال له يا دولتلى هذا نصير النمر خدام الملك عرنوس والملك عرنوس وأمثاله من بعض خدامينك فكيف أنت تقابل خدام خدامك فأنا يا ملك الاسلام انزل اليه اما أن آتى به أسيرا اليك أو يعطى عن سيدى فى الحبس فما أنا أفضل من الملك عرنوس فقال المقدم إبراهيم وحياة راس مولانا السلطان أنكم بجدتم من لا يستحق التمجيد اقعد يا مولانا فى مرتبتك وأنا المطالب بنصير النمر اما اقدمه بين يدى مولانا أسيرا أو اتركه على وجه الارض عقير فضحك السلطان من سعة صدر المقدم إبراهيم بالكلام وقال يا إبراهيم كل ماجرى نسبته الا فيا مه فى وسط ديوانى وشاكريته فى يده ويقول طريق وبعدها يلحقه عرنوس فيحتال عليه حتى قبضه وجازاه على ما فعل معه ولكن يا مقدم إبراهيم انا أعرف أنه جبار والفداوية الذين حولى فى الحرب دونه وكان قصدى أنزل له وأعرفه قدره فأنتم الذى منعتمونى عنه فان نزلت اليه وجرحته لك عندى خمسة آلاف دينار وإن قتلته لك عشرون ألف دينار والله على ما نقول وكيل فقال ابراهيم آه يا دولتلى المغنيين قالوا موال وهو قلت للفاردى شيله وحطه * خذ لك شربقى وابرم شارب القطه * فقال له العار كامة قط ما أخطه * ان الكراحلو لكن الطريق شطه ولكن يا ملك النصر من عند الله وركب الفداوى المقدم ابراهيم ونزل الى الميدان وقال جيتك يامقدم نصير فقال نصير النمر عجيبة وأنا إيش ذنبى معك نازل تحاربنى فقال الذى يحاربك السلطان ونحن خدامه لو امرنى براسن أبى لم أعد اليه إلا بها وأنت يامقدم نصير أوقعت نفسك فى المحذور بمعاداتك لملك الاسلام فان سيف السلطان طويل ولا يقاومه إلا كل عادم العقل هبيل وأنا ضمنت السلطان جرحك بخمسة آلاف دينار وأسرك بعشرة آلاف

وأما قطع رأسك فبعشرين الف دينار فاذا حملت معروف تمدلي رقبتك حتى أقطعها واقبض العشرين الف ذهب واشكرك فى كل وقت على هذا الجميل فقال نصير الله لا يرحب بابى قلعة حوران ولا من بعناها دونك يا قران والقتال ليس هو شحاتة رؤس الرجال فانطبقوا الاثنين كانهم جبلين وانهدموا على بعض كانهم جسرين ونعوذ بالله من أفعال الجبابرة فانهم لم يبالوا بضرب الشواكر ولا بطعن الرماح والخناجر كانت لهم ساعة ضيقة عسرة يزوغ بصر الناظر اليها تكافحوا مكافحة الاسود وطحنت حوافر خيلهم الحصا والجلمود وانطبقوا انطباق جبال الاخدود وافترقوا افتراق وادى زرود وكل منهم على خصمهم زعق وهمهم وانحمق وازور منهم الحدق وخضموا فى بحر من العرق واداموا فى كر وفر وهراج ومصتقر حتى كلت منهم المناكب والاوصال وطال عليهم المطال ونظر ابراهيم من المقدم نصير النمر مايدل على انه فارس صنديد وقرم على الحرب جليد وفارس شديد والوصول اليه صعب وبعيد وكذلك المقدم نصير ميز المقدم إبراهيم فرأى منه نارا لا تصطلى وجبلا كلما قرب منه شمخ وعلا وداموا على ذلك وكلا منهم أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد وهم فى القتال حتى ولى النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال وقد افترقوا على سلامة وعاد نصير النمر إلى قلعته والغيظ كاد أن يخنقه فتلقوه رجاله وهو ينفخ كما تنفخ الافعى ويقول آه يا ابن حوران يا معرص وفضل يحكى حاله على إبراهيم بن حسن وماقاساه من حربه وقتاله وأما المقدم إبرهيم فانه لما عاد من الميدان ووقف قدام السلطان فقال الملك كانا رايح يطول علينا المطال ويبقى لنا علقة بهذا نصير النمر ونتعب فقال ابراهيم يامولانا هذا شيء ليس فيه أحد يعطى إمهال لانه حرب وقتال وفى مثل ذلك قال القائل

أثرنا بحرب وقالوا اليوم نكرمكم وكدروا عيشنا الصافى مقاومة
لما سمعنا كلام الزور الخصبا قلنا كذبتم فما فى الحرب مكرمة

فقال السلطان انتم اولاد عم لم تقطعوا فى بعضكم فقال إبراهيم والله يا دولتلى لم انافق فى خدمتك ولم اخبر عليك أحد فى الدنيا لا سيما إذا كان معمول لى على قتاله عشرون الف دينار ذهب والله لو كان أبى القباوصة عندى أحسن منه فبينما هو فى الكلام وإذا بالمقدم جمال الدين مقبل فسأل عن الخبر فحكى له السلطان على أصل العبارة وانه قدم عرنوس يتنزه على بحر النيل وتومة بن مرتين وعزومات الامراء ونظر نصير النمر بنت قلاوون وخطبها فلم يرض قلاوون بزواجها له فسرقها وطلبناها منه فقال اعطه وسحب سيفه وراح قلعته فراح عرنوس يأتى به فتحيل

عليه وحبسه فركبت أنا واردت أن انزل لنعني إبراهيم ونزل هو فلعب واياه طول النهار وعاد كما ترى فقال شيحة وما تريدون فقال الملك نريد خلاص عرنوس والقبض على نصير النمر فقال شيحة على ونزل ودخل من صور القلعة وخش على محل الطبيخ فوجد الجارية تشوى فى خروف لسيدها يتعشى به فى الليل لاجل أن يتقوى على الحرب بالنهار فاد خر له شيحة البنج فى الخروف ودخن فى المطبخ فبنج جميع الجوار ووقف ينتظر الطالب وإذا بنصير مقبل مثل ثنية الجبل وقال يامريم فلم يرد عليه أحد فدخل يجد مريم قاعدة تدور الخروف على النار فدكفه وكبس على صـــدر ذلك الخروف وفتح فمه كانه طابونه ورمى فيه صدر الخروف فما قدر أن يمضغه حتى رقد عليه فقام اليه شيحة وكتفه ونزل به من بعـــد ما أطلق الملك عرنوس ومن معه من الحبس واخذهم وصعدوا نصير على حجرته فاراد أهل القلعة أن يتكلموا فقال الملك عرنوس لا يحرك أحد منكم ساكن فان هذه فتنه ينتج منها خراب البلاد وهلاك العباد فقالوا صدقت يا ملك والمقدم نصير من خدامك فلانؤاخذه بما فعل وفتحوا البلد وطلعوا فبينا السلطان جالس وإذا بالمقـدم جمال الدين مقبل والملك عرنوس واصحابه وقدم شيحة نصير بين اربعة شباحات حـديد فى اربع سكك ففيقره فرفع رأسه وقال أنا فين فقال شيحة أنت عندى فقال من قبض فقال شيحة أنا طالب منك بعت قلاوون فقال المقدم نصير يا حاج شيحة والاسم الاعظم أن بنت هذا البيلونى لم اسرقها ولم أسلط عليها ولا قتلتها ولا أعلم لها مستقر وأنت يا شيحة أنت تعديت على وظلمتنى حسبك الله أنا دخيلك يا ملك عرنوس فقال عرنوس ياعم شيحة بعد هذا اليمين لم يبق على نصير ملام فقال شيحة لم يمكن اطلاقه الا بعد أن صح خبر بنت قلاوون فى أى الجهات والا اسلخه فما تم كلامه وإذا بنجاب من بلاد الروم من عند ميخائيل ملك القسطنطينية ومعه كتاب قدمه للسلطان فاخذه السلطان وسلمه لعرنوس فقراه فوجد طالعه صليب وسفيله صليب وعنوانه صليب أما بعد فانه من مدة ايام قريبة فات علينا البب تومه صاحب مدينة برشنونة مقبلا من ناحية الاسكندرية فاقام على مينة بلادنا ينتظر اعتدال الهوى فنزل ولدى منويل يسلم غليه فرأى عنده بنت مسامة واخبره انه اتى بها من بلاد الاسلام وهى بنت الامير قلاوون الالفى وسبب أخذها انه لما أراد أن يتزوج بها نصير النمر فلم يرض أبوها ووقعت الفتنة بين نصير وقلاوون فارسل تومه لها عند السفر فسرقها ونصير اتهم بها واتى بها تومة إلى القسطنطينية فقابله منويل ابن ميخائيل فرأى البنت فقال له يا بقت تومة أنا عندى اختى فاعطنى هذه البنت وأنا اعطيك اختى

فقال له هات أختك حتى أشوفها فان أعجبتني بادلتك بها فطلع منويل وجاء بأ
فقال له ليست هذه مثل الذى معى فان هذه أحسن فقال منويل أزيدك الفا دوة
فقال له هات الدواقيت فطلع منويل ليأتى بالدواقيت فخرجت الارياح فترك تو
البنتين فى المنبر وسافر طالب برشنونة ونزل منويل فلم يجد منحن على أخته وعلى
عشقها فطلع وأعلم أباه البب ميخائيل فأرسل أعلم السلطان هذا الذى جرى لبا
الامير قلاوون وفى آخر الكتاب يقول الملك ميخائيل يارين المسلمين كيف أكو
طائع وأدفع الخراج وتؤخذ بقى نهبا من مينة بلدى وها أنا أعلمتك وشكر و
المسيح فقال عرنوس بق بنت الامير قلاوون أخذها تومة ونصير برى فقال شيحة
ولكن يستحق السلخ لاجل عصيانه على السلطان فقال عرنوس نصير برى و
مسامحه ومولانا السلطان ايضا يسامحه فانه مظلوم أولا وثانيا وقام عرنوس أحا
نصير وقدمه للملك قبل يده فسامحه وقال السلطان بقى علينا خلاص بنت قلاوو
من برشنونة فتبعه العساكر يأخذون الاهبة بعد ثلاثة أيام ويطلبون مدينة برشنو

[قال الراوى] اسمع ماجرى لتومة فانه راح إلى بلده فتلقاه وزيره ورأى معه هذ
البنتين فقال له من هاتان يابب فأخبره بأن واحد سرقها من المسلمين والثانية ب
ميخائيل ملك القسطنطينية وقصدى أن أتزوج المسلمة ولم أعلم هل يجوز فى د
المسيح أم لايجوز فقال له الوزير يابب ان أردت أن تخلص من الحرمانية فهات جو
يكال لك إكليلها فانه عالم ملة النصارى على كل حال ويفرق بين الحرام والحلا
فارسل احضر جوان وأعلمه فقال له ان هذا عند المسيح جائز لكن بعد ما تق
أباها فان لم تقدر على أبيها فاكسب لك غزوة وقاتل المسلمين فما تم كلامه الا والغ
التى فى الدروب أتوا اليه وقالوا له يابب ان عساكر المسلمين أقبلت فى أمم لاتحصى بع
الرمل والحصى وملك المسلمين مقدمهم وعلى رأسه بيرق كبير مثل قلع المرك
فترك الرواج وخاف فقال له جوان لا تخف هذا المسيح لاشك انه اتى بهم اليك
تاخذ بثارك وتمحى عنك عارك هذا والملك الظاهر لما وصل الى برشنونة ح
بالعرضى وبات تلك الليلة واصبح كتب كتابا واعطاه لابراهيم فاخذه وسار إ
برشنونة ودخل على تومة فوجد جوان بجانبه فقال المقدم ابراهيم قاصد رسول يا أ
زوج البتول الامام على بن ابى طالب فقال تومة هات كتابك وخذ رد جوا
فقال إبراهيم قم يا قرن على حيلك وهذ كتاب السلطان بادب واعطى رد الجوا
بادب وحق الطريق بادب فقام واخذ الكتاب فقرأه وإذا فيه من حضرة م
الاسلام الى ايادى الملعون تومة بن مرتين حال وصول هذا الكتاب تحضر منا

صاغرا ذليلا ومعك بنت الأمير قلاوون وبنت البب ميخائيل ملك القسطنطينية تسلمهم الى أهلهم وثانيا تستحضر على كلمة ركبتى إلى بلدى من مصر وثالثا تقدم لى اعذار بالذى الجاك إلى هذه الفعال وتدفع خراج العام الماضى والقابل فان فعلت ذلك أمنت على نفسك ومالك وبلدك وان خالفت راحت رأسك وبلدك عاجلا أيضا أتى بجوان فى الحديد والبرتقش العنيد وان خالفت نعوذ بالله من المخالفة والسلام على النبى البدر التمام فلما قرأ الكتاب أعطاه لابراهيم وقال لجوان أنت الذى قلت لى روح بلاد المسلمين وادعى انك تزور اختك لعلك تقبض على شيحة أو تعمل مكيدة وها أنا فعلت ذلك وانتهى الامر إلى حرب المسلمين وها أنا وقعت فى المحذور فكيف العمل الآن يا ابانا فقال جوان اكتب لهم بالحرب فكتب بالحرب وأعطاه إلى ابراهيم وحق الطريق وعاد للسلطان فمزق الجراب واندق اطبل حربى فجاوبته ترنبطات النصارة ولما كان عند الصباح وقع الحرب نزل أيدمر البهلوان أشفى الغليل وفعل فعال الرجل الجليل وثانى الايام نزل فداوى من بنى اسماعيل أهلك من الروم شيء كثير فدخل تومة على جوان وقال لهم لم يبق لى براح إلا ان كنت أقبضك وأوديك للمسلمين فقال جوان أنا أخلصك من هذه العبارة ان طاوعتنى قال تومة أطاوعك فقال له هات البنات واعطيهم جناقة وبعد ذلك اذبحهم وارميهم للمسلمين ينكسر ظهرهم فاركب فى جميع عسكرك واكبس المسلمين فقال تومة أخاف ان فعلت ذلك تأكلنى المسلمين فقال له جوان لاتخف هذا ما جرى هنا [وأما] ما كان من المقدم جمال الدين فانه كان غايب فى كل هذه المدة يجدد ركنا فى القلاع وبعد الرنك فرق جماكى الرجال بعد أن لم أموال الزراعات التى تخص الحصون وعاد إلى فدخل بيته ليلا واجتمع بحريمه فاتت له صفية وقبلت يده وحكت له على الفتنة التى شورها أخوها فنزل ليلا وسار إلى برشنونة فلقى عرضى الملك الظاهر منصوب فتركه وسار حتى عرف له طريق فدخل منه إلى الصور وهو عارف البلد من أيام سيرون الراهب فدخل قصر تومة فوجده قاعد يضرب اشورة مع جوان فصبر حتى تم الحديث على هتك عرض البنتين كما ذكرنا ودخل البرتقش وأتى بالبنتين فغاب شيحة شيئا قليلا وطلع وفى يده شمعة والعة وكلها مجموعة من البنج كل من شم رائحتها ينام مكانه فرقد كل من كان هناك ثم أخذ الشمعة ودار على الغفرا والبنتين معه وكل من رآهم يبتهل لحسنهم فيقوم يريد أن يسال عن الخبر وعينيه تنظر للبنات فتاخذه رائحة الشمعة حتى أخلا الطريق وكانوا البنتين والبرتقش وشيحة وفتح باب البلد دخل السلطان وعسكر الاسلام ولم يطلع النهار إلا والسلطان على تخت البلد فطلب تومة فاحضره شيحة

يديه فقال السلطان ياتومة أنت كنت جيت تزور أختك أم تعمل مكيدة فى المسلمين فقال تومة يامك ماأغرانى إلاجوان فقال جوان هذا عذر باردام تعلم أن المسلمين قتلوا أباك من قبلك انت رايح تعيش فى الدنيا فما تم جوان كلامه وإذا بالغبار غبر وانكشف عن الملك عرنوس ونصير النمر أتوا ليعارنوا السلطان لأن الملك لما سار طالب برشنونة كان الملك أخذ نصير وسار إلى مدينة الرخام حتى يطمئن على بلده فوجدها فى أمان فقال نصير النمر يادولاتلى دخيلك اعطنى اجازة الحق السلطان على برشنونة وأشفى فؤادى من ذلك الملعون الذى سرق بنت البيازيجى وتركنى أنامتهوم فى جرتها ولولا تقدير الله وإلا كنت رحت أنا غلط فى مثل تلك القضية .

فقال عرنوس وأنا أروح معك وأخذ معه بعض أكابر دولته وسار إلى برشونة فوجد الدنيا خالية من الحرب وجوان والبرتقش وتومة قدام السلطان فى عتاب فلما أقبل الملك عرنوس ورأى ذلك الحال فقال نصير يامعلم تومة ياقرن انت تسرق وأنا انسلخ بسبب سرقتك ويده على قبضة شاكريته وضربه على وريديه اطاح رأسه من على كتفيه ونظر جوان إلى ذلك الحال فرشح فى ثيابه وكذلك البرتقش وأماشيحة فانه قال كذا ياعرنوس فقال ياعم قلبه محروق منه لا تؤاخذه والتفت إلى نصير وقال له انت مجنون أم عاقل حتى تقتل تأدب فى حق السلطان أما تعلم أن السلطان إطاعته فرض على كل مؤمن فقال نصير ليس أنا قتلت أحد من أتباعه أو من أقاربه حتى يغضب على أنا قتلت عدوه وعدو شيحة وعدوى أيضا فضحك السلطان وقال صحيح يا مقدم نصير لكن الاسراف فى القتل حرام لعله كان يسلم فبينما هم كذلك وإذا بركبة نصارى مقبلة مقدار ألفين خيال فقال السلطان اكشفوا الخبر فقال إبراهيم لم يحتج كشف هذا ميخائيل جاء يطلب بنته كان ذلك صحيح لأن البب ميخائيل جاء إلى ملك القسطنطينية لما علم السلطان توجه الى برشنونة أخذ معه ألفين فارس من بلده وأجلس ابنه على التخت وتوجه يلحق السلطان لأجل خلاص بنته فلما أقبل رأى برشنونة ملكها السلطان ففرح بذلك وتقدم الى السلطان وباس الأرض بين يديه فأمر له السلطان بتسليم بنته وقال أنا قصدى هدم برشنونة وأحرق أرضها .

فقال ميخائيل يا دولتلى ادفع كلفة ركبتك عشر خزانات مال وأورد خراج برشنونة سنوى خزنة فى كل عام واستلمها والعمار أحسن من الخراب لأن عادة الملوك العمار وضمانى على سيفك ان حصل منى أدنى خلل فسيفك يامك طويل فانعم له السلطان وتسلم البب ميخائيل مدينة برشنونة يولى عليها من طرفه نايب وسلمه السلطان بنته وأمره أن يروح الى بلاده فصاح جوان على البب ميخائيل وقال له أتروح بلادك وتترك عالم

ملتك عند المسلمين اشترتى منهم انا والبرتقش وريحنى من ضرب المسلمين فقال ميخائيل ياملك الاسلام تسلمنى جوان بعشرة آلاف دينار فقال ابراهيم ائت بهم حالا وخذه الله يكسبك فيه واما لاجل فلانبيع فدفعهم حالا وقبضهم المقدم ابراهيم فقال شيحة هذا حق وحق السلطان فقال ابراهيم أنا خديمكم وشريكك ياحاج شيحة من أيام طبرية فضحكوا الجميع وشال السلطان من برشنونة إلى مفرق الطرقات فتودع عرنوس من السلطان وقصد مدينة الرخام وسار السلطان حتى وصل العادلية وطلع السعيد ومعه الوزراء واكابر الدولة لقاء السلطان وكان الأمير قلاوون استأذن فى ارسال بنته إلى بيتها واركبها على حصان وأمر السياس أن يوصلوها فلما أتى السعيد كما ذكرنا نظر إلى الست صفية بنت الأمير قلاوون وهى راكبة على حصان ومن جنبها اثنين طواشية على خيولهم والسياس دايرين بهم والهوى ثاير والست ملفوفة فى ملاية حرير فنفخ الهوى فى ملاية جعلها مثل قلع المركب فبان بعض ما فيها ونظر السعيد اليها فوضع يده على احشاه واشتعلت نار الجوى فى مهجته وأعضاء فتحسر وقال آه

خلقت الجمال لنا فتنة وقلت لنا يا عبادى اتقون
فانت الجميل تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون

وسار السعيد حتى قرب أبيه فنزل من على الحصان وترجل ومشى حتى لقى أباه فقبل يده وسلم عليه وانعقد الموكب للسلطان وسار إلى قلعة الجبل وجلس على تخت ملكه يتعاطى الاحكام واما السعيد فانه لزم الوسادة وطال عليه الرقاد مدة أيام فقلق الملك على ولده فقال يامقدم ابراهيم ادخل طل على السعيد عسى الله أن يشفيه على يدك وتبقى لك عندى رشوة فقال ابراهيم على الراس والعين فدخل المقدم ابراهيم إلى سراية السعيد حتى وصل اليه فسمعه وهو يهتف ويتلهب بالغرام ويقول

يارب ان العيون السود قاتلة وان عاشقها لاشك مقتولا
وقد تعشقتهم من نظرة حكمت ليقضى الله أمرا كان مفعولا

فسمع المقدم ابراهيم كلامه فقال له ياسيدى افندى فقال السعيد نعم يا نور العين وياروحى التى بين الجنبين فقال ابراهيم من أنا الذى كلمك ففتح السعيد وقال له أهلا ياخال فقال له ابراهيم هم أولاد الملوك يعشقوا ياملك محمد قال السعيد أنا فى عرضك ياابا خليل وناوله عقد جوهر عشر فصوص كل فص بألف دينار فقال ابراهيم كل الناس على هذا الحال يتجرعون كاس الهوى والبلبال ولكن من التى تولع قلبك بها اعلمنى ولاتطلب حاجتك الامن فقال السعيد ياابا خليل أنا لما طلعت أنابل أبى عند قدومه

من برشتونة نظرت إلى بنت قلاوون وهى قادمة مع خدامها فلمع الهوى ملابتها فنظرتها وتولعت بها وهذا سبب بليتى وها أنا حكيت لك قصتى فاطلب منك قضاء حاجتى فعلم ابراهيم ودخل على الملك وقال لهاان الملك محمدالسعيد عشق بنت قلاوون فالمراد منك ان تسألى اباه فى خطبتها له وأنت يا سعيد قم اقعد وأنا اقول للسلطان السعيد جاءته العافية والملكة ترسل للسلطان بخطبة بنت قلاوون للسعيد فكان الامر كذلك فارسلت الملكة كما ذكرنا بكتاب للسلطان فقال السلطان ايش هذا الكلام اخطب للسعيد بنت قلاوون هذا امر لايكون فقال المقدم ابراهيم يادولتلى ايش يجرى اذا كان يتزوج السعيد بنت قلاوون ليس فيها ضرر فقال السلطان قلاوون عدوى ياابراهيم فقال ابراهيم إذا كان عدوك والله ما هو الا أذل من كلب واحقر من دب واحنا إذا خفنا من قلاوون فليس لنا مقام فى الدنيا وان العشق يادولاتلى ذل الجبابرة ولا ينفذ منه الا كل جبان بليد وأما الرجال المعدودة والفرسان المشهودة يلعب بهم الهوى كما تلعب الفرسان بالاكر والصولجان وفى هذا المعنى قالت أرباب الهوى من قديم الزمان

ان بحر الغرام للشرب عذب ولا يحود عنه الا البليد
قال قوم لا تعرف العشق الا قلت كونوا حجارة او حديد

وأما يا ملك ارباب المكارم والانعام لا بد ان ينوشهم الغرام وما زال ابراهيم مع السلطان حتى ليه وأرسل إلى قلاوون واحضره بقاعة الجلوس وقال له مرادى بنتك للسعيد ما تقول فقال حاضر ياسيدى فأخذه السلطان وطلع للديوان وأمر حسن شمتر الخزندار ان يدفع لقلاوون عشرة آلاف دينار ذهب وعقدين من خالص الجوهر بعشرين الف دينار وحلى من فصوص ولولى والماس وذهب كانت حلى الحريم بمائة الف دينار ونزلت الشربات من الصراية وشربت الفداوية والامراء وأمر القاضى ان يعقد عقد صفية بنت قلاوون للملك محمد السعيد فانعقد العقد بوقته وفرق السلطان الخلع على الحاضرين وشرع فى الافراح مدة احدى عشرة يوم هذا كله جرى وقلاوون كادت مرارته أن تنفطر فمن شدة ماجرى عليه اجتمع بعلاء الدين وشكاله ما به ذلك الحال فقال له علاء الدين لاى شىء رضيت كنت تقول ما نعطيش لى للسعيد لكانوا ساداتنا علماء المسلمين يقولون لك بخاطرك ايس ذلك غصبا عنك فقال قلاوون أخاف من السلطان يقتلنى لانه إذا قتلنى من يرده عنى أما سمعت الذى قال

من لعب الثعبان فى كفه هليت أن يأمن من لدغته
ومن عاشر الجاهل عن جهله هليت أن يوقع فى حفرته
من اعلم النـاس على سره قد زحزحوه الناس عن رتبته
من عاند السلطان فى قوله أضحى عديم الرأس عن جثته

وأنا ياامير علاء الدين قصدى تدبير انال به من هذه الدعوة مقصدى فى اتلاف السعيد وابيه فقال علاء الدين اعطى لبنتك حق سم فاذا اختلت مع السعيد توضعه له فى شراب او فى طعام حتى اذا ادركه أبوه يكون قد شرب كاس الحمام يموت بعض شاه من أجله قوام فعند ذلك قام قلاوون واحضر حق سم وأعطاه لبنته وقال لها اذا اختلى معك السعيد ضعى له هذا فى الشراب أو الطعام فاذا شربه أو اكله يموت فاخذته منه وعلقته من داخل شعرها إلى ليلة الدخلة فعبر السعيد على البنت لاجل ان يبتكرها وجميع ارباب الدولة مقيمين وإذا بالملك اخذته سنة من النوم وبعد ذلك قام وسار إلى محل الخلوة وصاح على السعيد فقال إلى الآن لم افعل شىء فضرب الباب بالله كسره ودخل بزمجرة كانه الأسد وقال للبنت أين الحق السم الذى معك فاعطته له فاخذه منها وقال للسعيد اتركها واطلع وأنا اقول وحق من رفع السماء وبسط الأرض على تيار الماء وعلم آدم الاسماء لم تقرب هذه البنت يا سعيد طول ما أنا فى دار الدنيا وانقلبت الافراح اتراح وباتوا الناس إلى الصباح وأمر السلطان ان الاغا ريحان واغات الملكة ان يأخذ بنت قلاوون يوصلها إلى بيت أبيها فهذه البنت تبقى بكر ويدخل بها السعيد بعد وفات أبيه وتكون سببا فى قتل اولاد الملك الظاهر فى كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه والسبب فيما فعل السلطان انه رأى استاذه الملك الصالح فى المنام وقال له ادرك ابنك يامجنون والا تقتله بنت قلاوون فان أباها أعطاها حق سم تقتله به فقام السلطان وفعل مافعل فلما راحت لابيها فرح بعودها وأقام الملك وهو فى غاية الامان إلى ان طلع قاضى الاهلة وقال ان هذه الليلة اول الشهر وكانت هذه عادة السلطان لا يتصل بالملكة الا ليلة الهلال فاعطاه الملك الصرة وانصرف قاضى الاهلة فامر السلطان الاغا جوهر أن يأمر الجوار ان يفرشوا القصر الذى على الجبل المقطم وان يعلم الملكة ان هذه الليلة أول الشهر فأمرهم الاغا كما أمر السلطان فاصلحوا الخدم شان القصر ولما كان بعد العشا عبر السلطان إلى القصر وطلع وكشف رواجع القصر من ناحية الجبل فرأى نور وطارق فقراء وذكر دائر وانشاد بضجة فقال السلطان اظن ان هذا المكان محل اقطاب الدايرة ومجمع الاولياء

وأنا أقوم وأروح اليهم عنى أن ينالنى شربا من حوضهم أو التمس من بركاتهم فنزل الملك من باب السر الذى للجبل وسار الى ذلك الجميع فرأى ذكر وانشاد فوقف واذا به رأى شيخ هايم فى الذكر والزبد على أشداقه مثل القطن المندوف فتقدم اليه السلطان وقبل يده وقال يا سيدى من عادة العرب اكرام النزيل بهم

فقال الشيخ مرحبا بك يا محمود العاقبة خذ اشرب من حوض الكوثر وشوف هو احلى او ماء النيل فأخذ السلطان الابريق وشرب فتبنج ورقد مكانه فقام اليه كتفه واخذه هو واتباعه ليلا وساروا الى الاسكندرية فى البحر وفيق السلطان فوجد الشيخ الذى سقاه من بحر الكوثر هو جوان

[قال الراوى] وكان السبب ان جوان لما اشتراه ميخائيل ملك القسطنطينية واطلقه له السلطان فطلع منغاظ وبقى عند النصارى ذوعة لم يقبل احد كلامه فلم يجد له مكان فراح جزاير يابسة ودير الأخوى ودخل على البب بختورين وبكى وقال يا والدى دين المسيح ضاع اركب يا والدى واغز لك غزوة فقال له انا لاأركب على دين المسلمين فانى سمعت عنه انه نقمة على النصارى

فقال جوان قبل ماتركب انا آتيك به فى الحديد فقال له ان فعلت ذلك اركب ويبقى الحرب هين فاخذ عشر عياق وسافر الى مصر وطلع الديوان يتفرج وفى وقتها حكم قدوم قاضى الأهلة وسمع ماقال السلطان للاغا وفهم المقصود فعمل شيخ والعياق تلامذة وشافهم السلطان ونزل اليهم فقبضوه وساروا به الى ان صاروا فى البحر المالح

تم الجزء السادس والثلاثون ويليه الجزء السابع والثلاثون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء السابع والثلاثون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فنيق السلطان فقال له الملك لم فعلت كذا ياجوان فقال له تظن أن جوان ينام عنك بل كلما التقى داهية يأتى بها اليك حتى يقتلك أو يطول عمرك فيقتل جوان فقال السلطان هذا الذى اقتضاه عقلك وهذه النوبة على فين فقال له على جزيرة يانسة ودير الاخنق للبب بخترين ثم ان جوان بنج الملك وساروا على ظهر البحر ليلا ونهارا حتى دخل به الجزيرة وقدمه قدام البب بخترين فتعجب من فعل جوان وقال وحيث انك قدرت على رين المسلمين لم لا تقتله فى بلاده وتريح النصارى منه فقال جوان هذا اقتله فى السر حرام ولا يكون قتله إلا جهارا حتى يشيع ذكرك وتقول الملوك الروم أن الذى توردون له الخراج والعداد أنا قتلته وأرحت منه العباد فقال بخترين صدقت ياجوان هيا مشتار فقال البرتقش لا يا بب قبل أن تقتله شدحيلك وقاتل أولاده وعسكره وأجناده حتى تأخذ أرضه وبلاده وبعد ذلك قتله قريب وأما إذا قتلته وجاءت رجاله وغلبوك فى الحرب ربما يقتلوك وأما إذا كان عندك محبوس ورأيت الغلب فاصطلح وياه وأطلقه برجل عنك بعسكره وتبقى بلادك عمار فعند ذلك انزلوا السلطان للحبس وحلف البب بخترين لم يقتله إلا بعد أن يهلك عسكره وأجناده ويملك أرضه وبلاده [قال الراوى] وكان تبع من أتباع المقدم موسى بن حسن القصاص الملوومين بقصجرة بلاد الروم وما يجرى فيها كان حاضرا ونظر السلطان وسمع ما قال بخترين وجوان والبرتقش وعلم أن الملك محبوس فتركه وسار إلى مقدمه موسى وحكى له على ما رأى فى جزاير يانسة فقال له مقدمه سر إلى مصر واعلم الوزير والملك محمد السعيد وربما تلاقى سلطان القلاع شيحة حتى يسعوا فى خلاص السلطان فسار التبع إلى مصر وطلع إلى الديوان [ياسادة] وانه لما نزل الملك ليلا وطلع النهار ولم يرجع أرسلت الملكة أعلمت ولدها السعيد وقالت له ان أباك فى هذه الليلة نزل من باب السر إلى جبل الجيوشى ولم يعد فقام واعلم الوزير وجلس على الكرسى

أيام قلائل وإذا بالتبع طالع على الديوان وقال يا ملك الاسلام أمدك الله بالعمر الطويل كما أمد نوحا بعمر نال فيه شفاه فقال له السعيد من أنت يا شيخ فقال أنا تبع من أتباع المقدم موسى مررت على جزائر يانسة فرأيت السلطان عند بختربن والذى أخذه جوان وهو موضوع فى السجن وأوعده جوان أنه يملك البلاد ويهلك العباد فأتيت إلى مقدمى موسى فقال لى سافر الى مصر واعلم الملك السعيد والوزير حتى يجتهدوا فى خلاصه وها أنا أتيت كما أمرنى فقال السعيد السلطان فى جزائر يانسة فقال له نعم فأمر له بألف دينار وكسوة وامر العساكر بأخذون الاهبة للسفر والجهاد وبرز بالعرضى حتى تكامل فى العادلية وضرب مدفع الحتم وشال السعيد وسار الى الشام وأمر المقدم سعد وابنه المقدم ناصر الدين الطيار أن يحث بنى إسماعيل على الجهاد ويكون الاجتماع على جزائر يانسة وسار الملك محمد السعيد حتى نزل على جزائر يانسة وأخذت العساكر مراتبها وكتب السعيد كتاب وأعطاه لابراهيم فسار به إلى بختربن وقال قاصد رسول فقال جوان هات كتابك فقال إبراهيم أنت إيش يخصك يا ملعون حتى تتفضل بالكلام وبالاسم الاعظم إن لم تقم من قدامى لضربتك قسمتك نصفين فقال البرتقش يا أبا خليل اتركه ولم تخضب سلاحك بدمه ثم انه التفت إلى بختربن وقال له قم يا ابن خذ الكتاب منه واقراه واعطه رد الجواب وحق الطريق بأدب وخليه يرجع بأمان فهنالك قام بختربن واخذ الكتاب وفتحه ولقى فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى واطاع الله الملك الاعلى والامة على من كذب وتولى من حضرة الملك محمد السعيد الموفق الرشيد الى اعادى بختربن صاحب جزائر يانسة يا ملعون عملت حيلة انت وجوان وتحايلتوا على السلطان وها انا اتيت بعساكر الاسلام فان اردت ان تحقن الدماء اطلق السلطان وتقبض على جوان حتى تفدى نفسك وبلادك واذا خالفت فما ترى غير الدماء وخراب الديار وقلع الآثار والسيف اصدق وانبأ من الكتب وحامل الاحرف كفاية كل خبر فطوى الكتاب واعطاه لابراهيم وكتب له رد الجواب واعطاه الف دينار حق الطريق وسار إبراهيم إلى صيوان السعيد وقال يا دولتلى هذا كتابك سالم وهذا رد الجواب فاخذه وفتحه فلقى فيه ما عندى إلا حرب يصد الرجال وطعن يهد الجبال وضرب يقد النبال واول الحرب بينى وبينك فى غداة غد وشكر يا رب المسيح فلما قراه مزقه ورماه وأمر بدق الطبول واهتزت البطايل وعند الصباح خرج على المسلمين بطريق من عسكر الجزائر ونادى يا مسلمين ميدان فخرج له آيدمر البهلوان فقتله والثانى والثالث ودام الامر إلى آخر النهار فاندق طبل الانفصال وعاد ايدمر بعدما

قتل سبعة عشر وأسر أحدعشر فقال له السعيد تقبل الله منك الغزاة يا أمير أيدمر فقال مناومنك وجلس فى مرتبته وثانى الايام نزل المقدم حسن النسر بن عجبور وحارب حتى أشفى من الكفار الغليل وارضى بفعاله الملك الجليل ودام الحرب يوم على الامراء ويوم على الفداوية عشرين يوم ففضجت النصارى وشكت لجوان فقال بخترين كذا يا جوان فتحت علينا باب أوريتنا من العذاب فقال جوان أنا على قفل هذا الباب وارحك من الطعن والضراب ثم انه التفت الى البرنقش وقال يا سيف الروم قصدى منك أن تأتينى بعبد الصليب الغضبان من قلعة العروض حتى انه يشفى فؤادى من كافة المسلمين فقال البرنقش اكتب له كتاب وهاهى قلعة العروض قريبة فكتب جوان كتاب يقول فيه اعلم ياعبد الصليب ان فى هذا العام ينتصرون النصارى على المسلمين فكتبت لك هذا الكتاب تحضر مع البرنقش بان كسرة المسلمين ونصرة النصارى على يديك فاذا حضرت لك على جوان ان يعيد لك مائة سنة زيادة فى عمرك ولك أيضا مائتان قدان فى سقر وعشر مساطب فى الهاوية ويبقى لك الفخر على ملوك الروم اذا أهلكت المسلمين واعلمك أن اضار ملك المسلمين عند الب بخترنز محبوس وحلف لا يقتله الا بعد ما يقبض على أكابر المسلمين حتى يقتلهم فى يوم واحد فبادر وأحضر مع البرنقش حتى تنال الصواب وشكر يامسيح وختمه واعطاه للبرنقش فسار به الى قلعه العروض ودخل على عبد الصليب الغضبان وناوله كتاب جوان وقال له قم فان المسيح اختارك لنصيرة ملته وتكون نائبة على امته وأعطاه الكتاب فرآه ففرح وقام من وقته وساعته وسار مع البرنقش حتى حكم على جزائر بانسة ودخل على جوان وسلم عليه فقال له جوان هياشد حيلك ومنتر المسلمين والبلاد التى تعجبك من بلادهم خذهافبات وأصبح ونزل الميدان وكان هذا الملعون جبار ونظر به أبطال الاسلام فتبادروا اليه ورموا أرواحهم عليه فأسر منهم سبع أمراء وأربع فداوية

وخرج جماعه من الاكراد الايوبية فى ظرف أربعة أيام فالتفت السعيد الى ابراهيم وقال يا ابا خليل قصدى شترى منك رأس هذا الملعون بوزنها ذهب فقال المقدم ابراهيم احلف لى اذا جيت بها تعطينى وزنها

فقال الملك محمد السعيد وحق الذى على فاقتدر وأنبع الماء من الحجر وأنار الشمس بقدرته والقمر واطلع علينا السمع والبصر وهو الله الذى لا اله هو خالق الخلق ومنشى الصور ان نزلت يامقدم ابراهيم وأتيتنى برأس هذا عبد الصليب الغضبان أعطيك وزنها ذهب أى وحق من عن عيون خلقه احتجب فقال المقدم ابراهيم قنعت يا ملك بهذا اليمين وانا

لقتل هذا الكلب ضمين وان رجعت قبل أن أقتله من ميدان انى لم أكن من ظهر حسن الحورانى حجرتى يا ابن الشباح فركب المقدم ابراهيم ولكم عبد الصليب لكمة مكدرة تعتعه باعا وذراعا إلى وراه وأخذ منه وأعطاه وبايعه وشراه وكان لهم يوم ثقيل ودام الحرب بينهما حتى تحكمت الشمس فى قبة الفلك وأيقنوا الاثنان بالهلاك هنالك وقف ابن حسن فى ركابه بعدما أتعب خصمه وأكربه وجذب ذات الحيات وضربه على وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه وأراد أن ينزل ياخدها ليقبض ثمنها من السعيد حكم الشرط الذى وقع وإذا بجوان هز الشنيار فاطبقت على المقدم ابراهيم الكفار وماجوا كموج البحار فنظر ابراهيم عروس المنايا شرعت عن ذراعها ومدت لفرسان الوغا طول باعها فتبسم كما يتبسم الكريم للقاء الضيف وقال فيه غير هذا اليوم يا كلاب الروم حاس الله أكبر

دع التلاهى ولبس الخز والتنعيم إلى الأسنة التى أطعمت تطعيم
كونوا ابرزوا المعامع واتركوا التوهيم ومن تنمرد فما خصمه إلا ابراهيم

واخترق الصفوف ولوح الحقوف وطير الجماجم والكفوف وقاتل قتاله الذى به موصوف ونظر السعيد إلى ذلك الحال فصاح السعيد فيمن حوله من الابطال فخرج سعيد الهايش وسعد بن دبل وابنه ناصر الدين الطيار وعيسى الجماهرى وقام الحرب على ساق وقدم وماج بحر المنايا وانتظم وقطعت النواصى والقمم وحكم الحسام المنحدم وجار فى حكمه وظلم وحملت بنو اسماعيل ومالوا على الكافرين كل الميل وكالوهم كيل وسقوهم شراب الويل وغنى الحسام البتار وقل الانتصار ودام الامر كذلك إلى آخر النهار فاندقت طبول الانفصال وعادت أبطال الاسلام إلى مالهم من الخيام وكذلك عادت الكفرة اللئام إلى أوطانهم وتلك الآكام ودخل المقدم ابراهيم على الملك السعيد وقال هات لى يا دولتلى حقى فقال السعيد مرحبا بك ياأبا خليل قال سعد وأين الرأس حتى تاخذ وزنها ذهب كما وقع الشرط فقال ابراهيم عايز الرأس تعملها قمعة يا سعد الرأس قطعتها ورميتها فقال سعد لم يبق لك شىء عند السلطان فهم كذلك وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل فقام السعيد اليه وفعل كما يفعل أبوه وأجلسه إلى جانبه وقال له أبى هنا محبوس وأنا ضاقت حياتى فقال شيحة وإذا كان محبوس أبوك إيش الذى يخوفك عليه وأنا روحى تفديه وقام المقدم جمال الدين وهو متوكل على رب العالمين وقصد إلى قلعة الجويرة مراده أن يجتهد فى خلاص السلطان فخاف إذا دخل البلد يعرفه الملعون جوان فيغمز عليه أهل الطغيان ويطول سجن السلطان فقصد إلى دير الاخشى وتوكل على الرحيم الرحمن

[قال الراوى] وكان هذا دير الاخفى بناية الكهان مبنى على أربعين عمود وهو متركب عليهم ومطلعه من قلب عمود منهم وذلك العمود من دون العمدان بجوف وفيه سلالم قطع بالازمير ولكن ذلك العمود مخفى بين العمدان لم يدخل منه إلا الذى هو متردد عليه وأما الغريب لا يمكنه الدخول وليس له اليه وصول لان العمود الذى فيه السلالم والباب لم يعرفه أحد لكونه مرصود والوجه الثانى على عتبة الدير شخص بالحكمة كل من عبر فى الدير يصيح بصوت عالى ويقول يا أهل الدير جاءكم فلان وما سمى دير الاخفى إلا لكون بابه مخفى لم يراه أحد إلا إذا كان من أهله خاصة وأما الغريب على ذلك الحال فليس له وصول ولا دخول بسبب إخفاء الباب وان عرف الباب صاح عليه الشخص وأوقعه فى يد أعدائه هذا وشيحة عند إقباله قاصدا باب الدير فرأى أربعين عمودا مثل بعضهم ولم يعلم الباب فى أى واحد منهم فاخذ يتأمل إلى محل دوس القدم حتى عرف العمود وأراد أن يجتهد فى فتح الباب فصاح الشخص جاءكم شيحة ودخلت هذه الكلمة فى أذن جوان فزاد به الجنان وصحى من بعدما كان سكران وقال دالى حوله الدير يا أبناء الكرستيان فخرجت منه عوالم فالتخم شيحة وإذا بالذى أقبل يقول ان لله رجالا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا * والتفت الشخص وقال أكذب بقدرة الله تعالى فصاح الشخص وقال هاهو شيحة نزل البحر وكانت هذه الكلمة آخر كلمته لان سيدى عبد الله المغاورى أبطل حركته ودفع شيحة أدخله فى دير الاخفى وقال له أودعتك عند لطيف الالطاف فلما صار شيحة فى قلب ذلك الدير شكر الله تعالى وصار يتفرج على ذلك الدير حتى عرف مخادعه وعند المساء جاور مكان البطرق وصبر الليل ونزل على البطرق ذبحه وأحضر مراية الانقلاب وصار يصلح فى وجهه وشيبه جعل نفسه فى صفة البطرق بذاته ولبس ملابسه وقعد فى مكانه بعد ما أرسل جثته جهة جهنم من طريق البحر وأما ملابسه فلبسهم شيحة كما ذكرنا وكان أعرض عليه الاسلام قبل ذبحه فلم يرض لانه من البطارقة الراسخين فى الكفر عن أجداده وأقام شيحة مكانه وهو ينتظر العرضيات من رب الارض والسموات

[يا سادة] وكان عبد الصليب الغضبان الذى قتله المقدم ابراهيم أسر سبعة من الامراء أولهم أيدمر البهلوان وآخرهم الامير حرش قدم وأخذ أربعة من الفداوية ففى يوم من الايام اراد جوان أن يغرى بختريز على قتل هؤلاء المأسورين وقال له إيش مرادك فى ابقائهم فقال بختريز لجوان ياجوان أنا ما رأيت منك شورة أمرتنى بها إلا وطلعت بخس لا لك قبل عمل شىء أمرتنى أن أقتل رين المسلمين مع انه ليس لى عنده دم ولم يفتن لى أحد حتى آخذ ثارى منه وأنت تقل لى هذا جهاد فى

المسيح فمن ذلك رأيتك أن مرادك أثارة الفتنة فقط وأنا خائف أطاوعك تخرب بلادي وتهلك عساكري وأجنادي وإن خالفتك فالنصارى يقولون عنك أنك رأس ملة الضلال وإبليس هذا الوقت يخالفك يروح جنة المسلمين فأنا خائف أيضا من ذلك وإنما أنا أعلم أن دير الاخفى فيه بطرق كامل المعانى وحكمه نافع على كل نصرانى سر معى اليه حتى أسأله فان أمرنى أن أطاوعك فى قتل المسلمين طاوعتك وان أمرنى بخلافك خالفتك ثم انه أخذ جوان وسار به إلى دير الاخفى وعندما دخلوا ذلك المكان فصت مصارين جوان فقال يا برتقش روح أنت مع البب واسألوه والذى يأمركم به البطرق افعلوه فعند ذلك دخل البرتقش وحق الزول فرأى العلائم الذى يعرفها فخبط على محل البطرق فقال البطرق من فقال له يا أبانا افتح ففتح البطرق ودخلوا فقال البطرق أهلا وسهلا فقال البرتقش يا أبانا ان عالم الملة جوان أشار على البب عفترين أن يقتل المسلمين والبب أراد أن يستشيرك حتى تأذن له فى قتلهم ان كان يجوز وانا أتيت أسألك فقال له البطرق وجوان نفسه كبر لم يأتينى يسألنى وأنت أيضا عملت واسطة يا كلب ولكن الاسم الاعظم ان نصحت معى والا مسيرى أخلص وبعده أسلخك فقال البرتقش أنا مالى منك لجوان تطفل وأنا أحضره بين يديك فالتفت إلى البطارقة الذى مع البرتقش وقال لهم قولوا للملك هات المسلمين الذى عندك وتعال للبطرق فى دير الاخفى حتى ننظرهم ان كانوا من كبار المسلمين نجعلهم للمسيح قرابين وأوصى عفترين أن يخالف البطرق يدعى عليك فعاد والبطارقة إلى البب عفترين والبرتقش معهم وهو يقول وحق دينى ما فى ملة الكرستيان أعلم من هذا البطريق لا فى الروم ولا فى الافرنج فقال جوان ايش رأيت يابرتقش فقال البرتقش رأيت بطرق ابن بطرق حتى أنه كانت بطرقة فقام عفترين وجوان وأخذوا معهم المسلمين الاسراء الذى عندهم والملك معهم فلما وصلوا إلى الدير صاح جوان وقال امسكوا البطرق هذا شيحة فقال البطرق ايش قلت يا جوان فقال جوان أنت شيحة بتاع المسلمين فقال البطرق وأنت عالم الملة فقال جوان ايوه أنا جوان عالم الملة عن امر المسيح فقال البطرق عالم الملة ليس هو بالكلام وإنما المسيح يعرف أولاد ملته ويعلمهم صناعته فان كنت يا جوان علمك المسيح شيء من علمه لا باس وأنا من يسجد بين يديك وان عجزت نلعن والديك فقال البرتقش نعم هذا شرط ليس له نظير فالتفت جوان فرأى رجل مرمى فى الدير والجدام والبرص متمكن منه وأحد عينيه عادمة والثانية عليها زر فقال جوان يابطرق ان

كنت صادقا فيما تقول فخذ هذا الرجل ورده سليم وأنا أعتقد أنك بطرق قديم فقال البطرق لا يعظم على رب المسيح يا برتقش اقبض على أستاذك حتى يظهر البرهان فقبض البرتقش على جوان والبطرق أخذ البطرق المريض وأدخله مخدع وأراد أن يجتهد فى دوائه فقال له ما يلزمشى تتعب نفسك هاهو انا طيب فقال له من أنت فقال ابنك السابق ولما رأيتك عملت بطرق فى هذا الدير فعملت تلك الحيلة بامكان حتى نقيم انت الحجة على جوان لأنى أعلم انه يمتحنك فى هذا المكان فعند ذلك أخذه شيحة وطلع به ونظرته النصارى فقالوا هذا بطرق صحيح لا شك فيه ولا تلويح فقال البطرق يا كرستيان انتم كفرتم إذا سمعتم كلام جوان ثم التفت إلى البرتقش وقال له إيش رأيت يا سيف الروم فى البطريق الذى قلت عليه وجوان ينجسنى وانت ساكت فقال البرتقش وحياة صلاتك على من تحب انك لاتحشرنى مع جوان فى الذنوب منك فانه رجل كذب فقام إلى جوان وقبضه وقال يا بخترين إن كان عندك فى بلدك مرضا أ ضعفا لحد الذى بلغ الموت حضرهم لى حتى أعطيهم العافية وأزيد لهم فى أعمارهم وأما جوان فلابد من تطهيره لأنه راس الملة على كل حال وأنا أسامحه فيما قال بعد أن أؤدبه ثم كتفه وطلع السوط وقال له يا عالم الملة لا تؤاخذنى بضربك لأنه فرض لازم وانت مستحق ومال عليه حتى أعطاه ثمانين طيبين وبعد ذلك قعد وقرأ قداس وبخر الدير فرقد كل من كان حاضرا فأطلق السلطان ومن معه من أبطال الاسلام وصفد بخترين وجوان على ظهر حصان وفيق البرتقش وقال له خذهم إلى عرضى الاسلام فقال البرتقش حاضر فسار بهم إلى عرضى الاسلام فقال إبراهيم ما هذا الزوال فى ظلام الليل فقال شيحة أنا على راسك يا أبا خليل فما أنا شريكك على طبرية وهذا الملك وأبطال الاسلام ومعنا بخترين وجوان والبرتقش ففرحت بذلك الاسلام ودخل إبراهيم إلى المعبد وأعلمه بقدوم أبيه وضربت المدافع وقضوا ليلتهم بالافراح وفى الصباح جلس السلطان على التخت وأحضر له شيحة بخترين جوان والبرتقش فقال السلطان يا بخترين قتلتنى وقتلت عسكرى يا ملعون أين ايمانك التى حلفتها اقطع يا ابراهيم راسه وراس جوان واكبسوا البلد اخربوها حتى احرث أرضها بالسكة والفدان فقال بخترين أنا فى عرض سيدى شيحة ندفع كلفة ركبتك بالتمام وأورد الجزية فى كل عام وإن حصل منى أدنى خلل فسيفك يا ملك طويل

فقال السلطان لم أرد عليك أبدا فقال شيحة يا مولاى كيف تخرب حزائر عليهم خراج خزاين مال وإنما بخترين تأخذ عن رقبته خزنتين وعن حبسك عنده خزنتين وكلفة ركبة السعيد خزنتين ما الذى تقول يا بخترين فقال بخترين ادفع ولا أقول شىء وكتب

كتاب لوزيره يأمره بفتح الخزنة ويزن منها ستة خزن حالا فعند ذلك حضرت الاموال وأطلق بختزين من الاعتقال فلما قام قال له جوان اشتريى يا ابنى فقال له بختزين ولا بجديد يكفى خراب بلدى وهلاك عساكرى وأجنادى ولولا أن شيحة خلصنى والا كان رين المسلمين صلبنى فقال ابراهيم يامعلم بختزين اشتره بكل ما كان ولو بالف قبرصى أحسن من أن تضيعه فقال بختزين ياسيدى ان كان بالف دوقانة فانا أدفعهم فقال ابراهيم جىء بهم نقبضهم ابراهيم وقال له فاما أن تزيد الف دوقانة ثانية والا يأكل الف كرباج فقال بختزين اضربوه الذين فقال جوان فى عرضك يا ابنى فدفع بختزين الف ثانية وسلموا له جوان وقام ابراهيم ومسك البرتقش فقال فى عرضك يا أبا محمد فقال شيحة اطلقوه فاخذه جوان وطلع يبرم الدنيا فلم يقبله أحد أبدا وقيل انه قعد سنين وهو أى بلد دخلها يضربونه ويطاردوه فجعل اقامته فى الخلوات ولم يقدر أن يدخل بلاد أبدا مدة زمان الى يوم وهو قاعد تحت هدفة جبل فى زمن الحر والهجير وخلف ذلك الجبل البحر المالح طلع البرتقش الى أن وصل الى ظهر ذلك الجبل فوق البحر من خلفه

فبينما هو كذلك واذا بغليون مقبل من وسط البحر كانه مدينة على ظهر البحر فاقبل حتى وصل الى تحت ذلك الجبل وأوقف المركب بجانبه يقول لعل أن الهوى يخبطها فى ذلك الجبل يكسرها ونزل من تلك المركب ورمى نفسه فى البحر وكلما يضيق نفسه يطلع البر ولما يستريح يرجع يغرق روحه وحين ضيق نفسه يطلع فعل هكذا عشرين مرة ثم أخذ من الارض حجرين وصار يخبط على صدره حتى جرح كل صدره نزل منه الدم على جثته ثم قعد بعد ذلك يبكى على نفسه فتعجب البرتقش من فعاله فنزل من على الجبل وأتى له فرآه رجل قبطان ولكن صاحب قدر وشان

فقال له لاى شىء تعمل بنفسك هذه الفعال اخبرنى لانقذك من هذا الحال فقال له القبطان وانت من تكون انا وقعت فى شىء لم يقدر أحد يخلصنى منه ولم اشك الا للذى اعرف انه يخلصنى من بلوتى وينقذنى من شدتى فقال له البرتقش ان كنت فى ذلك وهوان قم أشتكى لعالم ملة الروم البركة جوان فقال القبطان جوان فى السما وأنا ايش يوصلنى لجوان فقال له البرتقش جوان فى الارض ثم وأنا نوصلك اليه وقص قصتك عليه فانه يقضى حاجتك ويخلصك من بليتك فقال القبطان فى عرضك يا سيدى خذنى لجوان فاخذه البرتقش وسار به الى جوان وأوقفه بين يديه وقال يا ابانا اسمع دعوة هذا الرجل المسكين فانه ما اتى لك الا هالك وضاقت به المسالك فقال جوان احك لى يا قبطان فقال اعلم يا ابانا انه قد ظهرت بنت من الجوائز المانية وهى فريدة فى

الجمال والقد والاعتدال وراكبة على بلاد المسلمين فأمرت كل قبطان فى البحر ان يسير إلى خدمتها ويسارع لطاعتها فاخذت غلايين بكثرة من جملتهم أنا وبقى لنا سنة ونصف الغلايين واقفة لا هى سافرت ولا خلت الناس تروح بمراكبها فانا من كيدى منها أخذت مركبي ليلا وخرجت من المينا ولم اعلمها وطلع النهار فاعلموها وقالوا لها القبطان شماط أخذ مركبه وهرب فكتبت إلى كافة ملوك الروم جوابات ومرسلت تقول لهم اعلموا أن القبطان بشماط هرب من عندى فكل من ادخله فى مينته يكون خصمي ودم القبطان بشماط مهدور فكل من رآه يقتله وكذلك يقتل كل من تعرض له أو شفع وسمعت بهذا الخبر فلم اقدر أن ادخل مينة ولم اقدر أن اعود لها تقتلني ولى اربعة اشهر تايه فى البحر حتى رأيتك فى هـذا المكان قدير على يا ابانا جوان فلما سمع الملعون جوان هـذا الكلام فقال مرحبا بك يا قبطان أنا انزل معك واسافر إلى الجزاير المانعة نصالح بينك وبينها وأمرها أن تعتقك وتعطيك فرمان ليس أحـد يعارضـك ففرح القبطان بما قال له جوان وانزله فى مركبه وسار به مدة ايام حتى وصل به الجزائر المانعة فطلع ووضع يده على كتف القبطان حتى صار قدام الملكة مريم فسألت من حولها من الملوك لان معها اربعين ملكا اتوا لمعاونتها وكلا منهن طامع فى زواجها فقالت لهم من هذا القيجوا الذى اتانى مع القبطان فقالوا لها يا ملكة هذا عالم ملة الروم البركة جوان فصبرت حتى اتى جوان اليها وبقى بين يديها والبرنقش بجانبه فقالت الملكة مريم مالك ياأبانا جوان أنا ارسلت لك من زمان ادور عليك فما أحد ارشدنى اليك حتى انى رأيتك فى هذا الوقت مع القبطان فقال لها يا بنتى أنا اتيتك اسالك أن تعفو عن هذا القبطان فانه اتانى واستجارني فقالت يا أبانا هو فى كرامتك وحطمت يدها فى حسام وضربت القبطان قسمته نصفين فقال جوان ما فعلت الا كل خير لانه تاخر فى الجهاد دين المسيح هذا فعل غير صالح فقالت الملكة مريم أنا لم أخذ أحد بلا شىء ولم اغصب أحد حتى يهرب منى وإذا سامحته فيما فعل فان الباقى يهربون ولم يسافر معى أحد ثم انها امرت جوان بالجلوس فجلس هذا والبرنقش يتفرج على الملكة مريم وما حوت من المحاسن والبها ولها لفتات تفوق من لفتات المها فقال لجوان يا أبانا ان أردت أن تقعد مع تلك البنت فحاذر على رأسك لانها والله حقه كاسمها واذقتلتك لم يطلبها أحد بدمك وعندى النظر لوجهها ولهذه المحاسن احسن من الكنايس والصور والجواهر والمعادن فاعمل لنا طريقه وخلينا نروح من عندها فانى نظرت الموت يلعب بين عينيها فقال له صدقت يا برنقش فالتفت اليها وقال ياملكة البنات

التى على الملوك والقرانات ما أرسلوا الك نجدة تعاونك على الجهاد فقالت أنا اخرجت من بلادى للجهاد فالذى يتبعنى مرحبا به والذى لم يتبعنى لم أغصبه وأنا قدر المسلمين وازيد بعون المسيح فقال جوان انا اركب وادور على البيات والقرانات وامرهم ان يسارعوا فى نجدتك ويجتهدون فى خدمتك فقالت له روح فركب جوان حمارته واخذ البرتقش واما مريم فانها قالت إذا سافرت فى البحر يمكن ان الهوى ما يسعفنيش وبطول المطال ولم ابلغ الامال بل انا اسافر فى البر ثم انها امرت المنادى ان ينادى على مينة الجزائر المانعة كل القباطين يروحوا لان الملكة مريم سائرة فى البر فلما سمعوا ارباب الغلايين هلبوا ولم يبق احد منهم وثانى الايام امرت عساكرها بالرحيل وكان عرضى جسيم وسارت تقطع الاراضى والطلول حتى وصلت إلى وادى الزهور ومرج الفصلين ومرتع الظبا فنصبت خيامها وانتظرت جوان ان يرسل لها عسكر فلم يبين ولا يظهر فعرفت انه كذاب وكان معها اربعون ملكا كما ذكرنا فقسمتهم قسمين وقالت لهم حاربوا بعضكم حتى انظر من هو الشاطر فيكم فتحاربوا مثل ما امرتهم ففرقة غلبت فاخذت الغالبين وقسمتهم قسمين وقالت لهم حاربوا بعضكم لجماعة غلبوا الجماعة فقسمت الغالبين وامرتهم فحاربوا بعضهم وهكذا حتى بقى اثنان فقالت لهما كل من قتل خصمه منكما اتزوج به واجعله قائد العسكر حتى تأخذ بلاد المسلمين فاجعله ملك البلاد وانا زوجته الزم بيتى فصار الاثنين يتحاربان [قال الراوى] فبينما الملك عرنوس جالس فى مدينة الرخام فاتى له تبع من اتباع المقدم موسى بن حسن واخبره انه قد اتت بنت من الجزائر المانعة صحبتها اربعون ملك طامعة فى اخذ بلاد الاسلام وهى الان فى وادى الزهور ومرج الفصلين فانعم على التبع وركب ليلا وسار يقطع البرارى والقفار حتى وصل إلى وادى الزهور فرأى الاثنين يتقاتلان فى ذلك المكان فصاح عليهم وهجم على الاثنين ضرب الاول بسيف الحديد قسمه وضرب الثانى بالفرس خسفه ووقف يتفرج عليها

فقالت الملكة مريم اما هذا الغندار لا نظير له فى الدنيا ثم انها تقدمت له وقالت له على السلامة يا غندار انت من اين اتيت إلى هذا المكان ولاى شىء منترت بطارقى وإيش ذنبهم منك فقال عرنوس انا قتلتهم وان كان تريدى ان تقتلينى على شأنهم فدونك وما تريدى فقالت انا لم احاربك والذى منترتهم بخاطرهم ولكن اريد منك ان تكون معى حتى اعطيك نصف العسكر وتروح مدينة الرخام تحارب الديابرو عرنوس وانا آخذ النصف الثانى واروح على حلب احارب رين المسلمين وبعد اخذ البلاد اتزوج بك وانت تبقى ملك على البلاد وانا الزم بيتى

فقال عرنوس طيب فقالت له وأنت من أى البلاد فقال أنا سواح بامر المسيح ادور وأطوف الاراضى والمواضع فانى للسيد المسيح تابع ولقوله طائع وسامع فقالت له وايش اسمك بين الناس والتوابع فقال اسمى عزم المسيح القاطع فقالت دستور يا مسيح صاحب الذكر الشائع أترضى بما قلت فقال نعم رضيت فامرت له بصرات وخدم ورضيت له كلما يحتاج إليه من طعام وشراب وقالت له تروح أنت على حلب مع الملكة مريم وضبوا فى تجهيز العسكر ايام فلا يزل الى يوم من الايام كان الملك عرنوس يتسلى صيد الغزلان فان ذلك الوادى كله غزلان واذا بالملعون جوان أقبل ودخل على الملكة مريم واعلمه انه جمع لها عسكر وأى عسكر ضرب طبلها ونفر فقالت له يا بابا أنا جاءنى غندار لم يكن مثله فى الدنيا لا فى الحسن والجمال ولا فى الحرب والقتال ووصفت له عرنوس فقال لها هذا الديابرو عرنوس أنت ملكتى نفسك للمسلمين ولولم يجى لكان احتال عليك وأخذك عملك جناقة ولا ينفعك عسكرك ولا أجنادك بل كان هلك الجميع وصنع بهم أقبح صنيع فقالت له وكيف العمل فقال لها خذى هذا القرص البنج وأوضعيه له فى الطعام فاذا تبنج انا أقبضه وأضعه فى الحديد ثم نركب على بلاده ونهلك عساكره وأجناده ولا لزمه ذلك الامر الا فعند ذلك أخذت منه القرص البنج وأمرته ان يختفى فى بعض الاماكن فاقبل الملك عرنوس ولم يدر ما كتب الله له فى غيبات الغيب فلما رأته الملكة مريم قامت اليه وتبسمت فى وجهه وسايرته وجلسته بجنبها وأمرت الجوار ان ياتوا بالنبيذ ووضعت له البنج فى الكاس فلما شرب الكاس رقد مكانه فاحضرت له جوان كتفه فلما أفاق الملك عرنوس ورأى نفسه مكتف قال لها لاى شىء ياملكة مريم فعلتى معى هذه الفعال بلا عيب حصل منى ولا حرب ولا قتال فقالت له ما عرفتك أنك الديابرو عرنوس لزم لى ان أقبضك واقتلك وارتاح منك فقال لها ومن أعلمك انى أنا عرنوس فقالت له قال لى عالم الملة جوان فقال عرنوس واين جوان فاحضر جوان فلما حضر قال له الملك عرنوس وأنت ياملعون ايش ادخلك فقال جوان بقى نسكت حتى تضحك عليها وتعملها جناقة وهى يعجبها بالوصلك فتسلم وتروح معك عند المسلمين فانا قلت لها عليك لاجل ان تقتلك وارتاح انا من رؤيتك فقال عرنوس الله يلعن طلعتك بينما هم كذلك واذا بالمقدم اسماعيل داخل الصوان والمقدم نصير النمر بجانبه وصاحوا الله اكبر فقال جوان دالى فا طبقوا عليهم فمسك اسماعيل الميمنة ونصير النمر الميسرة وضربوا ضربات قاطعات هبروا النصارى هبرا ونثروا الجماجم نثرا وقد بضعوا الكفار خمسة خمسة وعشرا وعشرا وكانت لهم ساعة عسرة والدنيا صارت ضيقة منحصرة ردامواعلى

هذا الحال حتى ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال فبالامر المقدر تزحلق المقدم نصير فى دم القتلى ووقع فقبضوه باليد وقاتل اسماعيل الى نصف الليل وأخذوه أسيرا فقالت الملكة مريم اذا كان اثنان مسلمان فعلا هذه الفعال فكيف اذا كان مصافهم فى القتال وأنا أقول هذين الاثنين والديابروهرنرس يقوموا مقام العرضى بتاعى فاذا كان المسلمون بمثل ذلك أسقوا النصارى شراب المهالك فقال جوان لا ياملكة المسلمون كلهم فشار لا يعرفون شيئا الا المنتار فقط وأما غير المنتار لم ينفعوا أبدا فقالت الملكة مريم يا جوان وهذه صارت ثلاثة مسلمين نعمل فيهم ايه فقال جوان ايه غير قتلهم فقالت هيا منتار فقال البرتقش منتارهم ليس بصواب لانك ياملكة الى الآن ما صفتهم وانما تبقيهم عندك فى الاعتقال حتى تفرغى من الحرب والقتال فان غلبت المسلمين اقتليهم معهم وان غلبوك ورأيت الغلب صالح دول يكونوا واسطة لك فى الصلح مع ملك المسلمين فقال جوان ... شيحة يخلصهم وتعبك يروح بلاش فقالت الملكة مريم أنا أرسلتهم الى لأمى فى الجزائر البائمة وأوصيها عليهم فقال البرتقش هذا الصواب فأحضرت وزيرها جرجيس وقالت له خذ هذا الكتاب وهذين الاسيرين سلمهم لامى فى الجزائر وكن عندها حافظ عليهم فأخذهم وصار يقع له كلام وبعد ذلك قالت الملكة مريم لجران بقى مرادى من يكون معتمد تجعله قائد العساكر على مدينة الرخام وأروح أنا على حلب فقال جوان لاى شىء ذلك اجعليها ركبة واحدة على حلب فاذا أخذنى حلب ازحفى على الشام واذا انكسر ملك الاسلام طابت لك مدينة الرخام وغيرها من الارض والآكام فعند ذلك شالت العرضى وسارت تقطع الارض والمهاد حتى أتت الى حلب فنظر باشة حلب الى ذلك العسكر الجرار خاف على المدينة وطلب الحصار وأمر بقفل الابواب وضرب المدافع من على الابراج حتى منعوهم عن الاسوار ثم كتب للسلطان كتاب وأرسله مع نجاب فسار يقطع المهامة حتى وصل الى مصر ودخل على السلطان وهو يقول

سلامى على هذا المقام وذا الحمى مقام به كرسى الخلافة قد نما
يعم أمير المؤمنين وجيشه وقد حفت الكرسى ملائكة السما

فقال ابراهيم من أين قال له من حلب ومعى كتاب فأخذ ابراهيم الكتاب وناوله لمن يقرأه ففتحه واذا فيه من حضرة باشة حلب الى ايادى مولانا السلطان ان يوم تاريخ الكتاب مقيدين واذا قد ورد علينا عسكر جرار كأنه البحر الزخار فمنا عليه الحصار وضربنا بالمدافع حتى منعناهم عن الاسوار وأرسلنا الجاسوس فوجدناها بنت أسمها

الملكة مريم قادمة من الجزائر المانعة ومعها جوان والبرتقش وأربعون ملكا ومعهم الف قاتل فكتبت هذا الكتاب لتكون على بصيرة ادركنا والا ارسل لنا من يدركنا فان الحصار علينا شديد وكل محاصر ماخوذ أدركنا والسلام على النبي البدر التمام فلما سمع السلطان ما في الكتاب تعجب وقال عجزت ملوك الروم ان يحاربونا فتحدرت لنا البنات لان يقاومونا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم انه امر العساكر ياخذ الاهبة وبرز العرضي للعادلية عمل مولد لسيد المرسلين وضرب مدفع الختم وبعده مدفع التنبيه وسار يقطع الارض والقفار حتى حط على قريب قدام عرضي الملكة مريم على جانب وجعل عرضي الكفار ميسرة وعرضي الاسلام ميمنة وبات تلك الليلة وعند الصباح كتب كتاب وأعطاه لابراهيم أخذه وسار به الى عرضي الملكة مريم وصاح دستور قاصد ورسول وتأمل بجد الملكة مريم قاعدة في صدر الصيوان بذلك الحسن والجمال الفتان كأنها من الحور او الولدان كما قيل فيها

هيفاء لو خطرت في جفن ذي رمد لم يستحسن له من مشيها ألما
خفيفة الظل لو ماست بقامتها رقصا على الماء لم يبلل لها قدما

والمقدم ابراهيم لما نظرها تعلق قلبه بالمحال وأضرمت في أحشائه نار الاشتغال واصطاده الهوى وتمكنت منه صبابة الجوى وبلى بداء لم يجد منه دوى هذا والملكة مريم فتحت الكتاب تجد فيه من حضرة ملك القبلة وخادم الحرم المحفوف بالبند والعلم الى أيادى الفاجرة العاهرة مريم الحمقى يا ملعونة أنت ايش قدرك حتى تركبي بعسكرك على بلادى وأناسيفي خضعت له العجم والروم والترك والافرنج وأنت حرمة ذات ضلع أعوج ولسان متلجلج وان أغراك الشيطان على هذا الشان فقد أوقعتي نفسك في التلاف وهلكت أنت وعسكرك فان أردت السلامة من القدم والوجود من العدم تقبضي على جوان والبرتقش وتأتى الى عندى اما ان تسلمي وأزوجك الى من يماثلك في المقام وتلزمي بيتك كما تفعل بنات الكرام وان خالفت هذا الكلام فما جزاؤك غير ضرب الحسام والسيف أصدق من الكتب وحامل الاحرف كماية كل خبر فاعطت الكتاب لابراهيم وأعطت له رد الجواب وقالت له روح للذي أرسلك فاخذ ابراهيم الكتاب ورد الجواب ولم ينتقل فقالت له الملكة مريم انذار بالامان فقام ابراهيم وسار حتى خرج من الصيوان وركب حجرته وسار ولم يعلم الطول من العرض ولا السماء من الارض ولم يزل سائرا حتى دخل بالحجرة الى صيوان السلطان وصاح بصوته المعروف لبيك يا ملكة مريم فقال الملك ذا أنا فاطمة ايش جرى عليك ففتح ابراهيم عينه ونظر السلطان فاستحى ونزل عن حجرته وهو تايح في بحر الغرام واقلقه الشوق والهيام كما قيل

أكلم الناس ما أدرى ما أقول لهم وان كلمونى يرونى غايب الفكر

فلما رآه السلطان قال له أين كتابى يا ابن حسن فاعطاه كتابه وأعطاه رد الجواب فاخذه فوجده بالحرب ما عندى إلا طعن يهد الجبال وحرب يقد الابطال وضرب يقصر الأعمار الطوال وأول الحرب فى غداة غد وشكر يا مسيح فمزق السلطان رد الجواب وامر بدق الطبل حربى . ولما كان عند الصباح وقد اصطفت الصفوف وترتبت الالوف وارباب المراتب عادت وقوف خرج من النصارى بطريق مزقه الكفر تمزيق راكب على جواد ادهم وبيده سيف محذم وعلى عاتقه رمح مقوم يخطف الأرواح ويترك الأرض الواح فصال وجال فى اربع جوانب المجال ومد واستطال ولعب برمحه حتى حير الابطال ونادى برفع صوته وقال ميدان يا مسلمين ميدان يا اسرجاين ميدان يا امراء من فارس لفارس من عشرة لفارس من مائة لفارس من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى ليس فى الميدان الا العودوين جرر باطلابة فما تم كلامه حتى صار الأمير ايدمر البهلوان قدامه وصرخ فيه ازعجه وهجم وسد عليه طرائقه وضربه بالسيف يلمع من علائقه ونزل عليه الثانى فأهلكه لا توانى والثالث والرابع خلاهم لمن قبلهم توابع والخامس والسادس جعلهم نواكس والسابع والثامن جعلهم مكامن والتاسع والعاشر جعلهم دوائر ودام الى آخر النهار فاهلك خمسين من الكفار وعاد وهو منصور مؤيد فالتقاه السلطان وتبسم فى وجهه وقال له تقبل الله منك الجهاد وثانى الايام نزل المقدم حسن النسر بن عجبور مفتاح حرب الفداوية وكان هذا المقدم حسن من الفداوية المعدودين إلى لقاء الكفار ولم يختفى ايام ظهوره ومافعل من كبر نفسه وتجبره وكان ذلك اليوم اشفى فعله الغليل وارضى الملك الجليل ودام يقاتل الى آخر النهار ورجع من الميدان وهو بالنصر والظفر فرحان وثانى الايام نزل الأمير فارس قطاية ورابع يوم منصور العقاب بن كاسر وهكذا يوم بعد يوم حتى أن النصارى ضجت ودخلوا على جوان وقالوا له كانك ماأتيت بنا إلا لتجعلنا غنيمة للمسلمين يقتلونا وينهبوا اموالنا والدليل على ذلك انه ما نزل واحد منا للميدان وعاد سالما ابدا ولم يمت احد من المسلمين ولا انكسر ولا انجرح وكل واحد من المسلمين ينزل مثل الاسد ويعود مثل السبع وانت اوعدتنا انك تنصرنا على المسلمين فصرت المسلمين علينا فقال جوان لا تخافوا من هذا الحساب فان الذى قتلوه اعيده بالحياة ثانيا اشترى لى بدرهم نضة لحم صنصاف واسبكهم فى البواط يرجع بالباطل جدد لخ من لخ فقالوا له إذا كان قولك صحيح اسبك الذى ماتوا حتى اذا رأيناهم عادوا طيبين نطمئن ونقاتل بقلب قوى فقال لهم

حتى تكمل الطبخة فقالوا له هذا شيء لا تسمعه وإن كان عندك معرفة فرجنا عليها وإن كنت كذاب فهذا كذبك ثابت عند كل الناس فالتفت جوان إلى الملكة مريم الحق وقال يا ملكة قومي انزلى الى الميدان واجتهدى فى قتال المسلمين ان أردت أن تكونى من المقاربين فعند ذلك قالت احضروا لى حصانى لا فرج البركة جوان على حربى وطعانى واعرف المسلمين قدرى وارتفاع شأنى فقدموا لها حصان من أفخر الخيل الجياد معد لخوض النقع فى نهار الجلاد فركبت بعد ما تسربلت بدرع ولادقوى ونزلت إلى حومة الميدان كأنها قمر ظهر فى أربعة عشر ولكوت الحصان فقفز كانه الغزال اذا انذعر وصار ولهان فاول ما لطمها ايدمر البهلوان فنظر إلى ذلك الجمال الفتان فانشغل وزاد به الخبل فقالت له مريم جيتك يا مسلم فقال ايدمر اصبرى شوية يا ستى فقال له الصبر ايش يكون اما انت جاى للحرب والطعن والضرب فقال ايدمر البهلوان يا ستى انا ما نحاربش انا جيت الك خدام فقالت له يا كلب المسلمين الحرب فيه كلام مثل هذا ثم انها مدت يدها فى خناقه وانحنت عليه فسلم نفسه ولم يقاتلها فاخذته اسيرا وقالت غيره نزل علاء الدين ايضا ففعلت به كما فعلت بايدمر وهكذا واحدا بعد واحدا حتى اخذت عشرين اميرا من كل خودة رواح ومن كل صنطة مفتاح واليوم الثانى كان اول من برز حسن النسر بن عجبور وتقدم الملكة مريم فارتخت اعضاؤه فتبسمت الملكة مريم عن ثغر كانه اللؤلؤ المنظوم وظهر جبينها كالقمر بين النجوم وقالت له يا رجل انت جاى تحاربنى فقال المقدم حسن كل من حاربك يبقى معرص وانا ما جيت الا قلت لعلك تكونى محتاجة خدامين فانا أخدمك فضحكت وشاغلته بعيونها حتى تمكنت منه واخذته اسيرا وبعده نزل منصور العقاب وطال الجمال حتى اخلت كرسى ديوان السلطان بالكلية من الامراء والفداوية اراد السلطان ان يامر ابراهيم بن حسن بالنزول فقال الوزير يا ملك أن إبراهيم عنده أضعاف ما عند غيره ان إبراهيم بن حسن يتمنى أن يكون عندها وكل يوم تضربه بيديها وكان للسلطان اخ اسمه قطمر اسم المودة وسبب هذا الاسم لاجل انه عمره ما ضحك فامره السلطان ان ينزل هذا اليوم فنزل ولما رأى الملكة مريم فتخبل ولكنه ثبت نفسه عسى ياسرها فما امكنه لانها صارت تتقلب قدامه على ظهر الحصان بافعال يعجز عنها الثعبان حتى انذل قطمر الى ذلك الجمال الفتان الذى فاقت به على الحور الحسان فقالت له انت يا زين المسلمين فقال نعم فقالت له وما تعلمت شيء تفتخر به فى الحرب على غيرك من المخالفين فقال لها ايش الذى تعلمه انا قصدى منك ان تدخلى فى دين الاسلام وتسيرى معى حتى اتخذك

زوجتي وتكرني على الفراش صجيعتي فما تم كلامه حتى ضربته بالحسام نحكم على كتفه قطع الزرد وغاص في اللحم إلى حد العظم فقال آه ولكن نزلت الضربة كنزول الماء البارد على فم العطشان وقال لها اصبري كان مرة يا سيدتي فان ضربك تبري السقام وتشفي من الامراض والآلام هذا وقد نظر السلطان إلى اخيه

[قال الراوي] وقد انجرح فزاد به الويل والترح وخرج من تحت البيرق النبوي وقلبه على اخيه منكوي وصرخ على الملكة مريم صرخة تفلق الحجر وتملخ الشجر فارادت أن تشاغله لمقتلها وتريه حسن انعطافها وحركاتها فكان الملك الظاهر لم يلتفت إلى ذلك وهو كانه الهزبر الضاري الفاتك فصرخ فيها واذهلها وخيل عقلها وبلبلها ومدلها زندملان تقوى وايمان ومسكها من منطقتها ورفعها على زنده وسلمها للمقدم سعد فنظر جوان إلى الملك الظاهر وقد أسر مريم الخفي فانقاض واحتار وكان في رأسه عقل فطار فهز الشنبار فخرجت الكفار وتسابقوا للموت والدمار ونظر السلطان إلى ذلك الهان فماد عرده الاسم الضيغم الغضبان وخرج على عبدة الصلبان وقال حاس الله اكبر

إذاحميت حرورات الجهاد واشتد اللظى بالانقاد
وحمحمت الرجال على لظاها وكرت عند مانادى المنادى
تروني اقتحم كرب المنايا على ظهر المضمرة الجياد
أنا محمد أنا بيبرس اسمي أنا المنصور من رب العباد
أنا خصم لجيش الكفر جمعا إذا ما جيشوا يوم الطراد
وابطال القلاع الكل حولي تخوض مجاجها والسيف حادي
ومن حوران إبراهيم عندي صبور لايمل من الجلاد
وأما سعد حقا نعم مهدي لضرب السيف والسمر الصعادي
وأماسادة الاسلام جمعا اسود يصدموا جيش الاعادي
وفيهم كل ذي بأس شديد بقلب قد من صخر جمادي
وصلى الله على أحمد محمد نبي قد اتى الخلق هادي

وانفرد السلطان وضرب بالسيف اليماني ودحرج الرؤوس من على قامات الابدان وزعق من خلفه المقدم إبراهيم بن حسن مقدم حوران وهو يقول حاس الله أكبر لعينيك يامولانا السلطان روحي فداك عندي الحرب والطعان

إذا ثار العجاج بكل وادي وابرقت المهندة الحدادي
وغنت بيننا بيض وسمر على رقص المضمرة الجياد

وحمحمت الصوافن فى عجاج وزاد ميلها والسيف حادى
دعونى من دماء الكفر اروى سنان المهريات والصعادى
انا ابراهيم وذكرى شاع جهرا على فم الحواضر والبوادى
خدمت الظاهر المنصور شرفا لكسب المجد فى يوم الجهادى
اقاتل فى سبيل الله جهدى بعزم صادق عند الطرادى
عسى ان ارتقى درج المعالى ويمحو ذلتى رب العباد
واختم بالصلاة على محمد نبى جاء بالقرآن هادى

وتكبب وارتمى كصاعقة نزلت من السما وكحل الكفار بمرود العمى وقرا عليهم آيات الله العظمى ابلاهم بالقتل والذل بالحبال وغنى الحسام العضال والرمح الكعوب العسال وزلزلت الأرض بالزلزال ونظر المقدم سعد بن دبل إلى طاحون الحرب دارت والغبابر من النقع استجارت فاحتاج ان يحمل ويقاتل وكان بيده الملكة مريم الحقى فسلمها لباش كواخى البياسنة ورمى روحه خلف المقدم ابراهيم ونادى حاس الله اكبر

إذا عقد الغبار على الجيادى ونادى فى لظى الهيجا منادى
انا سعد الذى قد زاد سعدى علوا وارتفاعا وازديادى
اسوق الخيل سوقا فوق ساق ولم اطوى المهامة والمهادى
خدمت الظاهر المنصور حقا بقلب صادق صافى ودادى
إذا ما ابرقت بيض وسمر وقد السيف قدات الاعادى
اخوض لمهجتى بحر المنايا واطفى نارها والسيف حادى
واختم بالصلاة على محمد نبينا المصطفى خير العباد

وبعد ذلك حملت عصبة الاسلام وغنى الحسام الصمصام وانفلت الهام وهشمت العظام وقل الكلام وبطل من الجميع العتب والملام واستظهرت الاسلام واندعست فرقة الكفرة اللئام ودام الحرب على ذلك العيار إلى آخر النهار فنظرت النصارى إلى الاسلام فعلموا أنهم ليس لهم على حرب الاسلام طاقة فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وتبعتهم المسلمون الابرار وشتتوهم فى البرارى والقفار ولم ينج إلا من كان جواده سابق وفى أجله تأخير وكبست أبطال الاسلام على مضاربهم والخيام ونهبوا كلما كان من الحطام من مال وانعام وخيول وجنايب وصواوين ومضارب وعاد السلطان وجلس فى الصيوان وطلب المقدم سعد وقال له أين الفاجرة مريم هيا احضروها فقال حاضر ونده إلى باشة الكواخى وامره باحضار مريم فأحضرها وقدمها سعد قدام السلطان فوقفت الدولة جميعا يتفرجون عليها وكانت عند كمرة

الكفار فرجعت العساكر واطلقوا جميع الاسرى من خيم النصارى ولما وقفت مريم قدام السلطان فأول من تكلم المقدم ابراهيم بن حسن وقال يا دولتلى ان هى إلا ذات حظ أعوج ولسان عند الكلام يتلجلج ليس عليها شطارة وعساكرها الذين كانوا معها هربوا ولم يبق لها ناصر ولا معين ولا ملجأ ولا حمى فارحمها يرحمك رب الارض والسماء فلما تكلم ابراهيم بهذا الكلام ساعده كل من كان حاضرا فى ذلك المقام من الفداوية والامراء فقال السلطان ما يلزمنى كلام هات ياابراهيم رأسها فانهافتنة فقال ابراهيم الشفقة من الايمان لعل الله أن يهديها فانها يادولتلى خرجت من بلادها فى عسكر جرار فأصبحت فريدة بين يديك وليس لها ناصر ولا معين إلا رب العالمين فقال السلطان أنت يامقدم ابراهيم تجادلنى على امرأة كافرة فقال ابراهيم أعوذ بالله من ذلك يا دولتلى العبد لا يقدر أن يجادل مولاه رأيا ياءولاناهذه حرمة قصيرة الجناح ونرجوا من المولى الصبر لعل الله أن يهدى قلبها للاسلام هذا والدولة جميعا يساعدون المقدم ابراهيم وعرف السلطان ان هذه البنت أفتنت رجاله فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا وإبراهيم يقول لمريم لا تخافى والله ما يجرى عليك ولا تنزل منك قطرة دم وأنا فى الدنيا فاطمأنت مريم بكلامه وقالت له إذا فعلت معى هذا الجميل لم أنساه أبدا قولع ابراهيم [يا سادة] هذا والسلطان يقول إن كانت تسلم لها مالنا وعليها ما علينا فما تم الملك كلامه وإذا بغبار غبر وعلا إلى الصيفى وتكدر وانكشف عن ثلاث خيالة مقبلين ورابع ضارب على وجهه لثام فتأمل ابراهيم التهم وكان نظره صحيح وإذا به الملك عرنوس واسماعيل أبو السباع وقصير النثر والرابع لم يعلمه فقال ابراهيم ضاع تعبنا لأن الملك عرنوس يحب البنات الجميلات ولابد أن يأخذ مريم وأنا تعبى يضيع فما تم كلامه إلا والملك عرنوس يقول له ارجع يا ابراهيم فان هذه بنتى فقال ابراهيم الحمد لله وتقدم عرنوس فكها وضمها إلى صدره وقال لها أنت بنتى وهذه أمك الملكة روم قيصر زوجتى وأنا أبوكى فتعجب السلطان وسأل الملك عرنوس عن هذا السبب [قال الراوى] وكان السبب أن الملكة مريم لما أرسلت الملك عرنوس إلى الجزائر المانعة عند أمها كما ذكرنا فلما وصل وضعوه فى السجن فصبر على قضاء الله تعالى والمقدم اسماعيل يلومه ويقول له يا ابن أخى أبوك عمره تم يتزوج غير أمك مريم الزنارية وانت كلما سمعت خبر بنت تولع أمالك بها وينتج منها مثل هذا أو أكثر وإيش الاخر يا ابن أخى ولكن ياولدى أنت معذور رطعم الهوى مر والله تعالى يجعل العواقب سليمة هذا وعرنوس يضحك على كلامه فبينما هم كذلك إذا بكفل يخب وخلخال يرن وشمعة تضوى وباب السجن انفتح

ودخلت بنت بارعة كأنها غزالة رائعة وقالت يا ملك عرنوس هكذا تفعل الملوك في أزواجها أنا زوجتك الملكة رومقيص الذى أوعدتنى أنك تدور على وكان أملي انك لم تفتنى ولم تقصر عن كشف أخبارى فكان ظني بخلاف ذلك ولكن الحمد لله الذى أنت على قيد الصحة والسلامة ومريم التى أرسلتك إلى احبسك فهى بنتك من ظهرك وأنا أمها واظن أنك ما أتيت اليها إلا لتتزوج بها ولم تعلم أنها بنتك ولكن المولى يجعل لكل شيء سببا فقال الملك عرنوس وأنت الان هنا وحدك فقالت له ان البلاد كلها بلادى وليس لى فيها منازع ولا معارض فان كان قصدك أخذها فليس أحد يمنعك ولكن لم يعلموا أهل البلد انى مسلمة وأنا مرادى قبل كل شيء تاخذنى معك وترجع إلى المسلمين لنلحق بنتك قبل أن يقع قتال قال عرنوس صدقتى فى هذا المقال فعند ذلك حلفتهم من الوثاق وأحضرت لهم خيلهم وعددهم وأحضرت لها حصان وركبت معهم تحت الليل وساروا حتى وصلوا كما ذكرنا ونزلت الملكة رومقيص على بنتها وقبلتها فى خدودها وبين عينيها وأعلمتها أنها مسلمة والملك عرنوس أبوها فعند ذلك أمر السلطان بإحضار النجارين من حلب وأمرهم أن يصنعوا تخت لمريم وأمها ودخل السلطان حلب وأفرد إلى رومقيص وبنتها سراية وأقاموا حتى أخذوا الراحة من كرب القتال فقال السلطان يا ملك عرنوس أنا قصدى منك أنك تاخذ زوجتك هذه وبنتك وتسير معى إلى مصر حتى تتفرج بنتك على بلاد الاسلام وتتمتع بالمشاهدة والاحترام وكذلك بنات عمك يسلمون على زوجتك وبنتك فقال عرنوس على الرأس والعين وثانى الايام أمر السلطان العساكر بالرحيل وسافر بالعرضي يطوى الأرض والبلاد حتى وصل إلى العادلية أرسل بطاقة إلى مصر زينت ودخل السلطان فى مركبه المعتاد والملك عرنوس بصحبته وأما مريم وأمها فانهم دخلوا السراية وانعزموا ثلاثة أيام وفى رابع يوم نزل السلطان وجلس على تخت مصر مثل عادته وتكامل الديوان وقعد الملك يحكم على ما جرت به العادة ثم نظر إلى أمراء الديوان فوجدهم تمام إلا أخاه الوزير تقطمر رسم الموت فسأل السعيد لانه لما أقام السلطان فى ضيافة عرنوس الثلاثة أيام كان الذى قاعد على كرسى الديوان السعيد فسأله السلطان وقال له أين عمك تقطمر فقال والله يا أبى من يوم حضر معك من السفر ما رأيته فسأل الملك عنه ايدغدى وايدغمش فقالوا له انه راقد فى بيته فاغتاظ السلطان على أخيه وقال واجب علينا نطل عليه فانه أخى على كل حال فتمشى الملك حتى وصل إلى بيت اخيه تقطمر وطلع إلى أعلى المكان فرأى أخاه تقطمر حقيقة عيان فسأله عن حاله فقال يا ملك أنا سايق عليك النبى العربى لا تلمنى لانى وقعت فى شرك الهوى وتمكنت

من الصبابة والجوى وقد عدمت الحيل والقوى وأنا ياأخي معذور ولم أقدر على كتم مابليت به وانظر ياأخي الذي أحوجني أن اشك اليك بما لم أقدر على كتمه والله يا أخي لو قدرت على كتم الحب لما حكيت وأنا ياأخي فى عرضك تجرني من هذه النار التى أحرقت مهجتي وتنقذني يا أخي من بليتي ولا تتركني أموت من حسرتي ثم بكى وتنهد وتحسر حسرات متتابعات فرق له قلب السلطان وقال له أخبرني بالذي جرى عليك فقال تقطمر يا أخي إذا مت فاعلم انى مقتول الملكة مريم الحقي بنت الملك عرنوس فانها هي التى تركتني كما ترى وبكى فظن السلطان أن أخاه يشتكى من الجرح الذي جرحته فى كتفه فقال له ياأخي أما لوكانت على دين النصارى كنت ذبحتها بين يديك لكنها أسلمت فلا يجوز قتلها وثانيا طلعت بنت الملك عرنوس فكيف يا أخي أقتلها فقال تقطمر يا ملك الاسلام أتمنى على الله وعليك أن تخطبها لى منه حتى أتزوج بها وأكون لها وهي تكون لى أهلا فقال السلطان هذا أمر سهل ولا تطالبه إلا مني أنا فدعى له تقطمر واطمأن قلبه وفى الحال جاءت له العافية وقام وأكل واطمأن ولما رآه السلطان طاب فقام الملك وركب وقصد الديوان فلقى به الملك عرنوس وكان قادم من قلعة الكبش فاراد أن ينزل ليقبل اتكه فمنعه السلطان وطلبه حتى صار بجانبه قبل يده فقال له السلطان ياملك عرنوس اصحى تغلط واعلم انى مرادى أن أزوج الملكة مريم بنتك لأخي تقطمر سم الموت فعليك يا ولدى الذي تقول له وجب وأنا اعطيك كلما أردت من الطلب فقال الملك عرنوس على الرأس والعين فقال له لربما يطلبها إبراهيم ابن حسن وهو ابن عمتك فكيف ترده فقال عرنوس أنا أرده وصار هذا القول بين الملك عرنوس والسلطان ولما كان ثاني الايام وتكامل الديوان قام المقدم إبراهيم ابن حسن وقال يا ملك عرنوس أنا سابق عليك هـــذا الجمع ومولانا السلطان والوزراء وكالة السياق الله والنبي انى جيتك خاطب راغب فلا تردني خائب فى السمت المصونة والجوهرة المكنونة بنتك الملكة مريم الحقي عليك ماتقول وجب وأنا اتاقها بالذهب وأوفى بكل ماتقول عليه من الطلب فما تم كلامه حتى التفت الملك عرنوس اليه وقال له يا مقدم إبراهيم انت طماع بنتي لاتصلح لك ولاانت تصلح لها لأنك انت فظ غليظ وبنتي مزاجها رقيق فكيف أزوجها لك وانت إذا زحفت على صدرها بجثتك هذه وكرشك تقتلها وأيضا يمنى بنات الحصون فكيف بنتي يا ثقيل والله ماهذه الفعال إلا من جملة الرخاصة اقعد محلك ولا اقعد فى خدمتك التى انت مرتب لها واترك الطمع فيما لاتصل اليه [قال الراوى] فلما سمع المقدم ابراهيم هذا الكلام زادت

به الآلام فقال يامالك عرنوس وعلى إيش تردني بذلك القول قل ما نعطيشي والسلام كذا تقبضني وتهزل مقامي إن ما زوجتني بنتك يامالك بخاطرك والذي قلته لي تعد أني ما سمعته منك وما علينا فقال الملك عرنوس ما علينا يعني إيه قسما بالله العظيم ما تنسرق بنتي أو تفقد لم يكن غريمي فيها غيرك لما سمعوا الفداوية والامراء ما قال الملك عرنوس المقدم إبراهيم لم يتعرض أحد منهم بخطبة الآن كان شباب مثل احمد بن ايبك وخليل ابن قلاوون وناصر الدين بن سعد فقال عرنوس أنا لم أزوجها في هذه الايام حتى ترتاح من السفر ويظهر على وجهها نور الاسلام فعند ذلك انقطع الطلب إلى يوم طلع الوزير تقطمر سم الموت ووقف قدام السلطان والملك عرنوس وقال يامالك عرنوس أنا تقطمر وهذا الملك أخي وأنا اعلم ان لي عندك إكرام لاجل خاطر أخي وانا سايق عليك السلطان والوزير وابوك الشهيد انك تزوجني بنتك ولك علي كل ما تقول عليه فقال الملك عرنوس يادولتلي وزير وأنا ليس لي غرض في زواجها ولكن انت عندي عزيز في المحبة لاسيما هي هذا السلطان الذي انا مترغد في نعمته وما أنا خطبتك مثل ما خطبتني وزوجتك بنتي ورضيتك لها بعلا وهي لك أهلا والوكيل السلطان في قطع المهر والصداق فقال السلطان قبلت التوكيل وانت يا أمير تقطمر يلزمك كساوي كل من كان في الديوان والمهر خمسين عقد جوهر كل عقد بعشرة آلاف دينار وأربع خزاين مال الفدية وعشرين طبلة عنبر وعشرين نافجة مسك أذفر ومائة جارية من بنات الروم ومائة مملوك بخيلها وسلاحها وعشر عبيد قرزار واختهم وما يليق لسراياتها من فراشات ومساند وطرح وبسط وساعات وآلات التحف وكلما قال يليق لحد آلة الطبخ فقال تقطمر حاضر رضيت بذلك الشرط وفي تلك الليلة وضب السلطان كلما قال عليه وثاني الايام انساق كلما قال عليه السلطان إلى بيت ابن اباديس السبكي وشرعوا في اصطناع الولايم فقال السلطان قبل كل شيء ينكتب الكتاب كل هذا يجري والمقدم ابراهيم ينظر ويرى ولكنه لا يقدر أن يحرك ساكن من خوف الفتنة فانكتب الكتاب على أخ السلطان فمن ذلك صبر على نيران الجوى وقد عدم الحيل والقوى ودام صابرا إلى ليلة الزفاف والملك الظاهر مشاهد حال إبراهيم ومتحسر ولكن باويله راجله وهو عنده أعز من أخيه إلى ليلة الدخلة اجتمع العالم في بيت الوزير تقطمر

[قال الراوي] وأما السلطان طلع القلعة ودخل إلى محل مبيته وقصد بذلك اشتغال إبراهيم بخدمته ووقف ابراهيم وسعد لغفر مبيت السلطان مثل العادة فلما مضى ربع الليل قال ابراهيم ياسعد انا في عرضك يا ابن خالتي كن انت متولي غفر السلطان وحدك حتى انزل أنا وأستنشق رائحة مريم من قريب بيت الوزير

تقطمر فانى والله ياسعد أنا ميت مع الاحيا فقال سعد ايش ينوبك منها الا التعب بعد ا . أخذها تقطمر ولكن انزل وروح مثل ماتريد فنزل المقدم ا راهيم من القلعة حتى وصل للرميلة فرأى انسان شايل على ظهره شيلة وطلع يحذف كانه الطير فصاح المقدم ابراهيم ماهذا الزوال فى ظلام الليل ويلك اسرع قرى بقاصصات عمادى كل قصاصة برجالى فلم يرد عليه فضربه بنبلة حكمت فى كتفه فصرخ ورمى الشيلة وجرى كانه الجراد العربى فتقدم المقدم ابراهيم إلى تلك الشيلة التى رماها الغريم وإذا به جدان فقال ابراهيم فى عقله أظن أن هذه أموال وسرقهم هذا المعرص فهم من نصيبى أنا ثم أنه فتح الجدان وتامل بجد على رأى الذى قال

قال العذول المستهزى بكره تواصل من تعشق
فصادفت حبى وواصلنى وجاء المقال مؤكد والمنطق

[قال الراوى] وان المقدم ابراهيم لقى الملكة مريم الحقى فى قلب الجدان ففرح وزالت عنه الاحزان وقال والله أن قطعونى قطعا وبضعونى بضعا لم اسلمها لانسان ولو اجتمع فى طلبها كل آدمى وشيطان والجن الذين عصوا عن نبى الله سليمان وكان المقدم ابراهيم له واحد خياط معرفة وبيته فى التبانة فسار اليه وقدم عليه ليلا فنزل وقال أهلا وسهلا فقال له ياالسطى حسن أنا عندى الك امانة ومرادى أضعها عندك ولكن إذا حكيت عليها لاحد والاسم الاعظم اقطع رقبتك وأتلف مهجتك فقال الاسطى حسن يا أبا خليل كيف أبيح سرك وأنا خدمك فقال له اخلى لى مكان فاخلى له أوضة مفروشة فدخل فيها واصرف الرجل الخطيط وفيق مريم فنظرت إلى المقدم ابراهيم فقالت له ياأبا خليل انا الذى أخذنى عايق وأنا أعرفه وبالى معه وهو نازل لكى غشنى بالبنج

[قال الراوى] فقال ابراهيم وأنا ضربته بنبل مسموم لاينفذ منها وكلام المقدم إبراهيم صحيح لأن الذى سرق مريم عايق يقال له شمتمر بن شريحة من بحيرة يغرة أرسله جوان يسرق مريم فضربه ا راهيم بنبلة مسمومة ويروح إلى دير مصر العتيقة يموت وليس له كلام [ياسادة] وأما إبراهيم فاتى لمريم من بيت الخياط حلاوة مربة جنزبيل واطعمها ثم بنجها وتركها فى الاوضة بعدما دقلجها لاجل عدم معرفة برجها شرقى وغربى وعاد قفل الاوضة ونزل فوجد سعد واقف فوقف بجانبه حتى طلع النهار هذا ما جرى لابراهيم [قال الراوى] وأما ما كان الامير تقطمر سم الموت فانه لما دخل إلى محل الخلوة رأى الحوار راقدين والعرسة ليست معهم فطلع وهو حاسر على وجهه واخبر الحاضرين والملك عرنوس سمع بذلك الخبر فقال ما فعل

ذلك الا المقدم ابراهيم ثم انه طلب الحصان حالا وأراد ان يركب فقال له المقدم اسماعيل ياابن أخي هذا الوقت الملك في محل مبيته اصبر حتى يطلع النهار ولما كان الصباح ركب عرنوس والامراء وكان السلطان صلى فرضه وقعد يذكر الله واذا بالملك عرنوس والامراء أقبلوا وتقدم عرنوس للمقدم ابراهيم وقال له هات البنت ياابن عمي واستحي هذه منك واليك وعارها يلزمك واذا عدمت أنت الذي تدور عليها ماهو شيء تسرقها فقال ابراهيم أنت تظن انى سرقتها فقال عرنوس يعني لنا خصم غيرك فقال ابراهيم ياملك عرنوس وحق إله تفرد في ملكه بالوحدانية بنتك ماسرقتها انا ولاسلطت عليها ولم اعلم من وجهها شرقا وغربا فقال عرنوس اذا حلفت لى على الماء وجدك لم أصدقك ولا اطلب بقى الامنك واذا بالمقدم جمال الدين شيحة طالع فسأل عن الخبر فحكى له عرنوس على اعدام بنته وليس له غريم الا المقدم ابراهيم فقال شيحة وأنت ياابراهيم ماسرقتها فقال لا والاسم الاعظم ولاسلطت عليها ولم أعلم من أخذها ولا أعلم وجهها شرقي أو غربي فقال شيحة يمينك صادق وأنت ياملك عرنوس بنتك عندي وأنا الملزوم بها بعد سبعة أيام وانقضى المجلس ونزل ابراهيم قاصدا قاعة الحورانة بالنهار عبر على السكرية أخذ ملبس وحلاوة ولوز وجوز وفستق ووضع ذلك في منديل وأخذ عيش وكباب من السوق وهريسة ولوز وسار قصد الرميلة وحين فات من سوق السلاح سمع رجل اعمى يقول العبد الفقير طالب من الله ولايكثر على الله لوزة وجوزة وبندقة وزبيبة وملبسة وقطعة حلوة وحتت كباب ولقمة عيش فقال ابراهيم في نفسه عرف المنديل وعرف الذى فيه وكان ابراهيم ماشي في صفة فراش حتى وصل الى بيت الخياط وفتح ودخل والشحات كان هو شيحة وتبعه الى البيت وطلع من خلف الدار وقعد على السطح ونظر الى ابراهيم فتح وطلعت مريم وأعطاها أكلت وشربت فقال له ياأبا خليل والى متى هذا فقال ياملكة مريم لم أطق بعدك وفي هذا النهار حضر الحاج شيحة وضمن انه يأتى بك لابيك وأنا والله يامريم لم أقدر ان اسلم فيك الا ان كان شيحة يقتلني ويأخذك ونظر شيحة اليها فقال ان ابراهيم حلف باطل فصبر حتى أطعمها وبنجها ثانيا ولمها في الجدان ووقف أعطاها ظهره ورفص الجدان برجله فتدحرج الى صدر الاوضة قال شيحة يمينه ضاق

ثم انه صبر حتى نزل ابراهيم ففتح الاوضة بمعرفته وطلع مريم وأخذها وسار بها الى بيته وفيقها وسلم عليها وقال لها يامريم انا اباك رجل ملك وكلمته مسموعة وابراهيم عاشق بك ومولع بجمالك لكن مابقى شئ ينحره وهو الذى انكرك وأنا أخذتك ورايح الى محلك

فاذا سألك أبو كي وقال لك من أخذك فتولى أخذنى جوان والذى خلصنى شيحة وان قلت غير ذلك توقعى فتنة فى الدولة فطاوعينى وكيف غرضك فقالت غرضى سليم وأنا مطوعة لك فيما قلت فأخذها وأدخلها بيت أبيها وطلع الى الديوان وقال ياملك عرنوس بنتك فى بيتها عند أهلها وامها فقال عرنوس من الذى كان أخذها فقال واحد عنيد وعرته وخلصتها منه وسمع ابراهيم فزادت مرارته وقوى جنانه فكتم غيظه وقال الحمد لله الذى ظهرت وأنا كنت متهم بها ففرح السلطان وقال لازم تجدد الافراح ثانى مرة منه فرح بظهور مريم وثانيا باجتماع أخى بعروسته وكان الامر كذلك الى ليلة الدخلة اجتمعت الناس عند الامير قطمر سم الموت وكانت ليلة تعد بليالى هذا وأبراهيم وسعد فى خدمة السلطان فلما كان فى ثلث الليل قال ابراهيم ياسعد أنا أشرفت على الموت ومرادى ياأخى ان تقيم حتى انزل وأروح الى ناحية الرميلة لعل ان أكرف ريحة مريم فقال له سعد ياابن خالى ماأنت الا من جملة المجانين ودائما متولع بمريم حتى تهلك بسببها وأنا والله ياأخى خايف عليك وأما رأيك تروح جهة الرميلة وأنا أقف وحدى على رأسى وعينى ياأخى انزل كما تريد الله تعالى يزيل عنك التنكيد ولكن اصح تروح جهة مريم فقال ابراهيم ما أروح ونزل ابراهيم وسار من الرميلة الى الحبالة ووقف يتجرع غصص الغرام واذا بمشاعل مقبلة من جهة الصليبة وعرنوس والعساكر مقبلين على عجل وهم يقولوا ماأخذها غير ابراهيم ابن حسن بصحيح فقال عرنوس ان وقعت عينى عليه أحرمته من شم نسيم الهوى فلما سمع ابراهيم بن حسن ذلك عرف ان مريم فقدت وطالعين على أثرها وان لقيه عرنوس لم يخلص منه فعاد ابراهيم فلقى حارة دخل فيها وقفل بابها

(ياسادة) وكانت هذه الحارة متسلط عليها حرامى يسرق منها وأهلها متلبدين له فى العراقيب لعل ان يقع ويقبضوه فلما دخل ابراهيم ظنوا أنه حرامى فاطبقوا عليه ومالوا بالضرب فيه فصار يمانع عن نفسه ويقاتل واذا بعرنوس فايت فى السوق فظنوا أنه الوالى فصاحوا عليه وقالوا له ادركنا هذا واحد حرامى متسلط علينا وقد قبضناه فى هذه الليلة تعال خذه وريحنا منه فدخل الملك عرنوس لينظر الحرامى فوجده المقدم ابراهيم فاخذه ورد الناس عنه وسار به الى بيت قطمر وقعد الملك عرنوس وقال يا مقدم ابراهيم ايش هذه الفعال ان بنتى مريم فقال ابراهيم بنتك فى جيبى مديدك خذها فقال عرنوس هاتوا العدة فقدموا الفلقة ورموا ابراهيم ودار الضرب عليه واذا بمنديل نزل على رجلين ابراهيم وكان الذى رمى المنديل الملكة تاج بخت فأخذ عرنوس المنديل ووضعه فى المشعل ونظرت الملكة ذلك فنزلت وقالت للاغاوات لى حمار اركبه فاحضر لها حصان

من خيل الملك واركبها وعند ركوبها قالت يا ملك عرنوس ان منديلى يقوم من تحت سيف السلطان وانت تحرقه فلم يرد عليها فسارت إلى القلعة واخبرت السلطان بماجرى فركب وسار فوجد إبراهيم داير عليه الضرب فحط يده فى الت وهجم على عرنوس وضربه فقفز عرنوس ودخل الحريم فقال له ياكلب من يحميك من يدى إلا الله حرقت منديلها ولكن سوف آخذ حق إبراهيم منك واعرفك قدرك وقوم إبراهيم وساقه قدامه ماشى على أقدامه إلى القلعة وقال ياإبراهيم انت إذاقعدت رجليك يألموك خليك واقف كذا للصبح وانت ياسعد تحدثنى وإن نمت انت قطعت رأسك فقعد سعد يساهر السلطان وإبراهيم واقف فأدرك الملك النوم فخاف سعد ان السلطان ينام وإبراهيم يجلس والسلطان خائف ان نام يقطع راسه فحط صوابعه فى أذنيه وصاح من قلبه إيش الزوال فى ظلام الليل فانتبه وقال له كذا يا سعد

[قال الراوى] فقال سعد إن نمت ثانيا ازعق زعقة أكثر من كذا لانك حلفت انك تقطع رأسى ورأسى ليست خيارة حتى اشترى غيرها فقال الملك صدقت احك لى حكاية سلينى بها حتى يطلع النهار فقعد سعد يساهر السلطان حتى طلع النهار وصلى السلطان صلاة الصبح وقرأ أوراده وإذا بالملك عرنوس وتقطمر وباقى الدولة مقبلين ودخل عرنوس يقبل يد الملك فنتر فيه السلطان قال عرنوس يا ملك الاسلام انه صعب عليك المقدم إبراهيم ولم تصعب عليك بنتى وانا ابن اخيك فى مقام عهد الله والعهد لا ينقض ولا ينداس ومن يخون فى الدنيا ياما القيامة تفضح ناس فانغاظ السلطان وقال له إذا كانت هى بنتك وزوجة أخى كاتقول وفقدت بقى يلتزم بها إبراهيم انت كنت جملته فغير عليها فقال عرنوس المقدم إبراهيم ابن عمتى وأنا ضربته وله على حق كل كرباج بدينار فقال ابراهيم عشرة آلاف كرباج انضربت أنا فقال عرنوس ادى عقد عشر قطع جوهر كل قطعة بألف دينار يبقى حق الضرب خالص وادى عقد مثله صلحة قال ابراهيم أنا مالى بركة إلا ابن خالى ودائما الناس يتخانقوا والشيطان لم يغفل عن أحد فقال عرنوس مرادنا الصدق مريم فين فقال ابراهيم والاسم الاعظم لم اعلم لها خبرا مطلقا فقال عرنوس تفتش عليها معنا وان ظهرت على يدك بثقلها ذهب فقال ابراهيم والله يا ملك عرنوس مريم لو أملكها واعلم انها تفدى بذهاب الروح لفديتها ولكن أنا لم افتش وحدى وإنما كل من الرجال يفتش وأنا بالجملة قال السلطان وأنا افتش معكم ايضا فتقاسموا الرجال كل عشرة مقادم قسم والسلطان وعرنوس قسم وطلعوا فى التبديل كل جماعة قصدت جهة شىء على الروم وشىء على

العجم وشوه على بلاد الافرنج واتفقوا على أن يكون الاجتماع فى القسطنطينية وساروا جميعا يفتشوا عليها سنة كاملة ثم اجتمعوا فى القسطنطينية بلا فائدة وكل من الناس شكى الغربة وطلب بلاده واجتمع معهم السلطان وعرنوس وسألوا عن المقدم إبراهيم فلم يجدوه فأقاموا فى انتظاره هذا ما جرى لهم [قال الراوى] وأما ماكان من أمر الملكة مريم الحقى والسبب فى أخذها أن هلاوين خاف ولد اسمه الهرقل سمع بوصف مريم الحقى مدة ماكانت راكبة على بلاد الاسلام فجعل نفسه من جملة الملوك الذين كانوا ساروا معها طمعا فى فتح بلاد الاسلام وجواز مريم لما عاد لافائدة وعلم انها أسلمت فاحضر واحد عايق يقال له المنحدر وجعل له عشره آلاف وكسوة وحصان فطلع يجتهد فى سرقتها وكذلك ميخائيل ملك القسطنطينية أرسل عايق من طرفه اسمه المنعبر وجعل له على سرقة مريم الحقى كسوة وحصان ويرتب له شهرى مائة دينار على خزنة القسطنطينية فاتفق أن العايقين اجتمعا فى الطريق وأعلم بعضهم بعضها وعرفوا أن كلا منهم طالب مريم واذا أخذها واحد يبوز الآخر فاتفقوا على الشرك وتحالفوا بالصليب ولكن اعتمدوا الخيانة ودبروا مصر فوجدوا الفرح دائر فتزيوا بزى تجار وارتكبوا إلى رجل له دكان بجانب بيت تقطمر وأعلموه انهم غرباء ليسوا من هذه البلاد وإذا تفرجنا على الفرح فليس لنا مكان نبات فيه فقال لهم صاحب الدكان باتوا فى دكانى فأعطوا له عشرة دنانير يصطنع لهم عشا فصنع مايكفيهم وأخذ الباقى فصاروا يدوروا فى المكان ويباتوا فى الدكان والرجل رغبوه بالمال إلى ليلة الدخلة فوقف واحد تحت القصر والآخر طالع وبنج مريم ونزلها له أخذها وسبقه حتى فك عدته ولحقه وطلعوا من باب الجبل وملكوا الخلا وسافروا إلى أن قربوا من رأس الوادى اجتمع عليهم اثنان اعجام وشافوا البنت معهم وحققوها انها مريم وكان أرسلهما هلاوون لاجل سرقة مريم الحقى فلما علموا بها عادوا يروموا أخذها منهما فلم يخف ذلك على المنحدر والمنعبر فقالوا لهم لا تمشوا معنا فانكم اعجام وانا أخصام فقاتلوهم وقتلوهم وسافروا إلى أن وصلوا بين طريقين طريق على القسطنطينية وطريق على البرتقان فقال المنحدر للمنعبر روح هات لنا غدانا فراح المنعبر وأتى بالطعام ووضع فيه السم وقال إذا أكل يموت لاجل آخذ أنا البنت وأروح إلى بلادى وأما المنحدر فانه أوتر نبله فى كبد القوس وصبر حتى أتى المنعبر وضربه بالنبل فى لبته طلعت من نقرته وقعد المنحدر وأكل فمات هذا ومريم قاعدة وعلمت أن الاثنين ماتوا بسببها فاخذت حصان ركبته وسارت فى البر راجعة ولكن لم تعلم طرقا تسير منها وطال عليها السفر مدة أربعة أيام واشتد عليها الجوع

والعطش ومات الحصان واشرفت على الهوان فرأت جبل عالى وعلى ذلك الجبل قبة وبها شيخ يقول على يا أم العزيز على يا بنت عرنوس فطلعت الملكة مريم اليه فقال لها يا مريم أنا اسمى عمر المكى فقالت له يا سيدى انت من أين تعرفنى فقال لها يابنتى الله يلطف بك فيما قدر عليك لكن لا تخافى من الغربة يأتى عليك غربة وشتات ولكن عاقبتها سلامة ويكون مسكى دزيز يحكم مصر وهذا شىء بأمر صاحب الارادة فقالت له ياسيدى إذا كنت عارف ذلك فاعطنى تحويطة تكون منك ذخيرة نستبارك بها فقال لها عندى لكى ذخيرة على قسمك ينصرك الله بها على خصمك ولكن حتى تأكلى وتشربى لأجل أن يزول عنك ألم المشقة والتعب ثم انه اتاها بقرص من الحنطة وشىء من التمر وبعدما أكلت قال لها أنت فى حفظ الله تعالى وأعطاها تعويذ مكتوب وقال لها علقيه على ذراعك اليمين ففعلت ذلك وباست يده وطلبت منه الدعا فقال لها يابنتى صاحب الدعا حاضر الله تعالى يلطف بك فى المقدور فنزلت الملكة مريم من عنده وهى لم تعلم أى طريق تمشى منها فنظرت بعينها فرأت بستان على بعد فسارت حتى وصلت اليه ودخلت إلى ذلك البستان فوجدت آخره على البحر المالح فسارت الى البحر وقعدت واذا بمركب قد اقبلت إلى ذلك المكان وارست وطلع القبطان لقضاء حاجة فنظر الى مريم وهى قاعدة فظن انها ولد فسلم عليها سلام اشتياق وقال لها يا فليون انا عمرى اعبر على هذا المكان لم تجد فيه الا النوبة وكان كلامه لها بلسان الافرنج فقالت له انا بنت ما انا ولد ولكن تايهة وكنت فى مركب فانكسرت وطلعت انا على لوح واتيت الى هذا المكان منتظرة عواطف الرحيم الرحمن فقال لها يا ستى انزلى معى فى مركبى وانا نوديكى اى بلاد تريدى فقامت ونزلت معه فى المركب وفردوا الاقمشة وسافروا يومين . وفى اليوم الثالث اغراه الشيطان على الضلال فقال لمريم انا قصدى اعمالك جناقة فقالت له عيب عليك وانت بين رجالك وفى مركب على ظهر البحر مع انك كنت معى فى البر ولم تعمل جناقة وإنما إذا رسينا فى البر اعمل جناقة كيف تشاء ففرح بقولها وسار بها حتى اتى على بر وطلع بها على غابة لها يا ستى هذا هو البر قالت هات الديار والأكل حتى يتم الصفا فقال لها صدقتى واتى بالخمر العقار وملا وشرب على وجهها اولا وثانى وقال لها قومى وارقصى فقالت لما ارقص بالسيف فقال لها افعلى ما تشائى فرقصت وقالت له الجناقة جنسين جنس شامى وجنس مصرى اما المصرى ارقص واقعد على حجرك وحضنك فى حضنى وأميل عليك

انيمك وارفع يدى ورجلى وأنام تقوم انت تعمل جاقة فقال هكذا مقصودى تكون الجناقة شامى فرقصت الملكة مريم وأتت اليه وارتمت على صدره وضمته فى صدرها وقرصت على أضلاعه كيستهم على بعضهم فاما احس تكسير أضلاعه ولم يجد له من يدها خلاص فقال لها مصرى فلم تتركه من حضنها حتى خرجت روحه ونيمته وقعدت بجانبها وأتى المستعمل وسألها كيف حال القطار فقالت له عمل جناقة ونام فطلب الآخر مثله فقالت له مرحبا والعمته حتى نيمته جنب القبطان وهكذا واحد بعد واحد حتى أفنت الكبار ولم يبق إلا الصغار فطلعت المركب والسيف فى يدها وأهلكت الجميع وبعد ذلك تركت المركب وسارت فى البر وهى لاتدرى اين تسير وإذا بغبرة مقبلة وملك على رأسه شنيار مفرود ويتبعه عساكر وجنود فنظر إلى الملكة مريم وهى مقبلة فخرج من تحت الشنيار وأتى اليها ونظر إلى وجهها وقال لها أنت من اين يا ملون وسائر إلى أين فى هذا الخلا فقالت له مريم بلسان الروم أنا بنت وكنت فى مركب مسافرة فغرقت المركب وطلعت أنا على لوح إلى البر والآن سائرة ولم أعلم من أى طريق أسير وأنت من اى البلاد وإلى أين سائر فى هذا البر والهجير فقال لها أنا اسمى البب تيمورد ملك مدينة الجمجير والبر الطويل ومن حيث أنك بنت فانا آخذك بلدى وأحكمك على عساكرى واجنادى وإذا بقيت فى قلعتى أتزوج بك وتبقى زوجتى وأحكمك على كل مدينة فقالت مريم طيب فاحضر لها حصانا من افخر الخيل شديد القوى والحيل وركبها عليه وجعلها عن يمينه وكان البب تيمورد أيضا جميل يشابه الملكة مريم الحقى فى حسنها وجمالها وسافر أيام قلائل وقد تولع بحسنها وجمالها حتى وصل إلى مدينة ودخل بها إلى والدته وقال لها هذه البنت وجدتها فى الطريق فخذيها عندك واعرفى كيف تروجينى بها فقالت له خليها عندى حتى أعرف حالها فان كانت تصلح لك زوجتك بها فتركها وطلع إلى محل حكمه عند دولته وأما أمه فقالت لها أنت من اى بلاد فقالت لها أنا أصلى من الجزائر المالحة وأمى الملكة رومقيص ولما كبرت أردت أغزى الاسلام وقامت معى ملوك الروم وجرى حرب ثم أثبت الحال أن أبى الملك عرنوس وأعلمتنى بذلك امى وبعدها زوجنى أبى لأخى السلطان فانسرقت وصرت من جهة الى جهة حتى لقينى هذا البب وأتى بى اليك

فلما سمعت أم تيمورد هذا الكلام تعجبت فى قضاء الملك العلام وما يجرى من الاحكام وقالت لها أنت اسمك مريم وأنا أيضا اسمى مريم وزوجى الملك عرنوس وهذا البب ولده تحقيق فقالت الملكة مريم لها وكيف يكون التدبير هل يجوز

أن يتزوج بى أخى فى أى ملة فقالت أنا أدبر لك حيلة عليه حتى أمنعه عنك ولا بد من اجتماعنا على أروكى ان شاء الله عن قريب

فلما أقبل البب تيمورود على أمه قال لها ايش رأيك أنا مرادى هذه البنت أحملها جنافة فقالت له يا ولدى هذه لم تعلم أهلها ولكن إن كان قصدك فيها فاطلب عالم ملة الروم يكال لك عليها الآن جوان هو الذى يعرف الحلال والحرام وليس له نظير عند الكرستيان فقال هذا أمر هين أنا أجيب عالم الملة يكال اكليك ونزل إلى الديوان فقالت الملكة مريم ياخالى وهذا جوان ملعون أحب ما عليه فساد الاسلام فقالت لها على مايدور على جوان يكون قد أتاك عرنوس وبلغتى كل الآمال وأما البب تيمورود فانه نزل فى مركب وقال للقبطان أى بلد يكون فيها جوان روح بى اليها فقال القبطان فى مدينة القسطنطينية فقال له وديني اليها

[قال الراوى] وأما الملك الظاهر فانه دور فى بلاد النصارى على مريم فلم يجدها فعاد إلى القسطنطينية فلم يجد أحدا من الرجال فأقام ينتظر وبعد ايام اقبل الملك عرنوس واجتمع بالملك وسأله عنها فقال لم اجد لها خبرا واقبلت الرجال جماعة بعد جماعة حتى كملوا ولم يعطى احد خبرها فقال السلطان لما يأتى شيحة الزمه بها واطلبها منه ثم انهم ساروا إلى جهة البحر تحت قصر البب ميخائيل فرأوا طابق مصرعين وكان هناك فرع فتفرقوا حول ذلك الطابق واذا بواحد حط رجله على رجل السلطان وقرط وغمزه ومشى فظن السلطان ان هذا شيحة فتبعه وسار خلفه وغمز إبراهيم وإبراهيم غمز سعد وسعد غمز الرجال وتبعوا بعضهم بعضا حتى دخل الى بيت فيه قاعة واسعة ولم يجدوا الذى غمز السلطان فقال إبراهيم إيش الخبر يادولنلى فقال السلطان شيحة غمزنى ودخل هنا وانا محتار فى اى جهة راح واذا بدخنة طلعت من القاعة فشموها جميعا فرقدوا فلما فاقوا إلا وهم فى الحديد وكان الذى فعل تلك الفعال الملعون جوان ولما فيقهم قال لابراهيم تحرق جوان فى الرميلة وانت لأجل مريم قتلت غلامى وفعلت ما فعلت واخذت مريم فما تم كلامه إلا وكف نزل على حلقته وكر من حلقة وجنزير انحط فى رقبته وكان الذى فعل ذلك شيحة وكتف جوان ونهب كل ما كان فى القاعة واخذ السلطان والرجال والملك عرنوس فقال عرنوس ياعم هل سمعت لبنتى خبر فقال شيحة والله ياملك عرنوس انا ما وقفت لها على خبر ولكن راحتها فاحت فان هذا الغليون المقبل يظهر منه خبرها وانما أنتم انتظرونى وتركهم وتحشر فى مينة البحر حتى اقبل الغليون فانحدر على القبطان وسلم عليه وسأله هل معك تجارة للبيع فقال ليس

مقى تجارة وانما معى البب بتمورج صاحب ملك الجهجير والبر الطويل وهو
يفتش على جوان فقال له ولاى شىء عايز جوان فقال له إنه رأى بنت فى البر اسمها
مريم وأراد أن يتزوج بها فقالت له أمه لا يكلل لك اكليلها الا جوان فنزل معى
يدور على جوان حتى وصلنا إلى هذا المكان فقال شيحة ومريم الذى تقول عنها
الآن فى مدينة الجهجير فقال نعم فتركه شيحة ونزل على عجل حتى دخل على السلطان
واعلمه بالخبر وكذلك الملك عرنوس فقال السلطان وايش فى نيتك أن تفعل
فقال سوف ترى ما أفعل ثم انه غير ودخل ليلا على البب ميخائيل وهو نائم فأيقظه
فنظر وجد شيحة عنده فى السراية فقال له يش الخبر فقال له أنا جيت لقطع رأسك
بأمر السلطان ولكن أنا الذى ضمنتك بعدم المخالفة وإن البب بتمورج تلك جبال
الكبريت ومدينة الجهجير فى غد يقدم عليك ويطلب منك جوان فقل له جوان
غايب وعندى من هو احسن منه هو البطرق لمدعين فى كنيسة الذهب فسلمه حتى
يقضى له حاجته هذه أول حاجة والثانية تحضر غليون ثانى وتحط فيه عشرة ارادب
دقيق خاص وخمسين قنطار بسماط نظيف وعشرين قنطار سمن وعشرة قناطير
عسل نحل وخمسين رأسا من الغنم وكلما يحتاج من ماكول ومشروب مدة شهرين
كاملين حتى يوصلهم إلى وادى الجهجير والبر الطويل فان كان ذلك يوجد فى
غداة غد فلا بأس وإن خالفت وحق رب المسيح اسلخك واعلق جلدك على باب
القسطنطينية وهاانا اعلمتك وأنت تعرف أفعال جمال الدين شيحة وتركه ومضى
إلى حال سبيله ولما كان ثانى الايام دخل البب بتمورج إلى القسطنطينية ودخل على
البب ميخائيل فى قلب الديوان وقال له ياأب ميخائيل أنا طالب منك البركة جوان
فقال أهلا وقام اليه وسلم عليه وقال له ياأب يتمورج أن جوان غايب وايش
مرادك منه فاعلمه انه يريد أن يكلل له اكليل مريم فقال عندى فى كنيسة الذهب
البطرق ملدعون احسن من جوان فأنا احضره بين يديك يكلل لك اكليل مريم
وغيرها فقال له انت ده ايسير معى فعند ذلك ارسل احضر البطرق ملدعون وأمره
أن يسير معه ويكلل له كما هو طالب فأخذه وسار وبعده مسيره جهز غليون ووضع
فيه كلما قال عليه ونزل شيحة والسلطان وساروا وهم طالبين ملك الجهجير والبر
الطويل اسمع ما جرى للملك بتمورج فانه لما ادخل الملكة مريم الحمقى عند
امه وشاع الخبر بحسنها وجمالها وكان فى البلد واحد عايق يقال المقدم شايع من
عند الملك الرقشوان فسار إلى مدينة الرقش واعلم البب بما سمع من حسن الملكة
مريم وجمالها وكان عنده غلام اسمه الملك قطلونج المصفح قالت الرواة فهذا انه

كانت اضلاعه صف لوح واحدولكنهم اصلب من الصوان صنعة الملك الديان الرحيم الرحمن الذى اذا أراد شيئا وقال له كن فيكون فلما بلغ الملك الرقشوان بذلك الخبر أى خبر الملكة مريم الحق فطلب البب قطلونج وقال له يا قليوبى أنا ربيتك وليس لى أحد فى الدنيا غيرك وأنت عندى أعز من ولدى وأريد منك أن تأخذ عسكر على قدرماتريد وتركب على ملك الجهجهم وتأتينى بهذه البنت الذى قيل عنها لم يكن أجمل منها فاذا فعلت معى ذلك الفعال تكون مجازيتنى على ما ربيتك فى العز والدلال فلما سمع البب قطلونج هذا الكلام دخل فى قلبه مثل ضرب الحسام وهو لا يعلم ان الملك الرقشوان أبوه فلما سمع ماقال بأن له وجه المحال ودخل على أمه وهو باكى العين حزين القلب وفى يده حسام فقال لها ياأمى اعلمينى بصدق الكلام وحق رب المسيح اذا تفرقت الملل مالرب واحد اذا لم تعلمينى بصدق الكلام قطعتك بحد الحسام فقالت له اسأل وأنا أرد عليك ياقرة عيونى ويامن فيك رغبتى وشجوتى فقال لها على ماربيت اعلم ان الملك الرقشوان هو أبى وأنت أمى وفى هذا اليوم يقول لى أنت أعز من ولدى وهذا دليل على انى لست ولده فياترى عملك أحد غيره جناقة حتى حبلتى بى وان كان أتيتى بى من غيره فكيف قول له ياأبى اعلمينى بابى والا وحق من خلق المسيح اجعل هذه الساعة آخر عمرك من الدنيا فقالت له أمه ياولدى ياقطلونج أما الملك الرقشوان فهو أبى أنا وأما أنت فأبوك هو البطل الهمام وأسد الآجام أفرس من تقلب على ظهر الحصان يوم الحرب والخصام وافرس من اعتقل بالرمح الكعوب المعتدل القوام واشجع من تقلد بالحسام الصمصام الليث الشيوس والبطل المأنوس أفرس من تفخذ على ظهر القربوس وضرب بالات والطبر والدبوس الملك محمد سيف الدين عرنوس فلما سمع البب قطلونج هذا الكلام كأنه التجم بلجام وقال لها أبى الدبارو عرنوس فقالت نعم والسبب فى ذلك أنه أتانا من بعدموت أبى فى باب أنطاكية على حلب حين طالع هائج ورآنى أنا هنا فاسلمت على يديه وتزوجنى وواقعنى فحملت بك وراح عنى ولم أعلم بالآن الى الآن وربيتك من غير أب وصرت تقول لابى ياأبى مثل ماأقول له أنا وهذه أصل حكايتى وان قتلتنى يا ولدى يفرتك الشرف مع أنك مسلم على الحقيقة والتعويذ الذى على ذراعك هو نسبك على الصحيح انك ابن عرنوس بلاشك ولاتلويح وهذا ماعندى أعلمتك به وانت وشأنك أخبر

فقال لها وأنا أيضا نفسى لم تقبل طائفة الكرستيان لان ظفارنهم صعبة وايش الذى يجمعنى بالملك عرنوس ويعلمه بأنى ولده ولو كنت أعلمتينى بذلك من الاصل

الكبد اسير لبه واسلم واقيم معه فى بلاد الاسلام ولكن انا اروح الى ملك الجهجير واجتهد فى تلك البنت وان كانت جميلة اجادل عليها كل من يطلبها بالحسام ثم ركب فى عشرة آلاف فارس من عساكر الملك الرقشدوان وعساكره وصار البب فلونيح طالب ملك الجهجير يقع له كلام واما البب بتمورج فانه لما أخذ البطرق ملدعين وسار حتى وصل الى بلاده فدخل على امه وقال لها انا ما رأيت جوان ولكن اتيت ببطرق اسمه ملدعين اعطاه لى ملك القسطنطينية واعلمنى انه احسن من جوان فقالت حضره لى حتى انظره فاحضره لها فقالت له يا بطريق ملدعين انت تعرف تكلل اكليل ابنى على عروسته فقال نعم يا ملكة فقالت له لما نصنع له الفرح ويكون الاكليل ليلة الدخلة فقال البطرق مليح فباتوا تلك الليلة وثانى الايام طلعت غبرة وعقدت حتى ملأت الدنيا فارسل البب بتمورج يكشف الخبر فاعلموه ان هذا يقال له الملك بطلونيح المصفح ابن البب الرقشدوان طالب الملكة مريم الحمق بعدما يخرب بلادكم ويقلع آثاركم ويهلك كباركم وصغاركم وينهب اموالكم اذا لم تعطوه الملكة مريم الحمق فقال تيمورج كذب فى مقاله وامر عساكره صحوا القلعة وطلع برجاله وصف فرسانه وابطاله وفى الحال اشتكت مخاليب الحرب ووقع الطعن والضرب وغنى الحسام العضب وصار الحين صعب وقامت الحرب على ساق وقدم وقطعت المفارق والقمم وحكم السيف بين الطائفتين وجار فى حكمه وطلع وقعت الابدان ونفذ فى الصدور السنان وغنى اليمانى وتجلى الملك الديان ودام السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى ان ولى النهار بالارتحال واقبل بالانسدال وافترقوا عن ضرب الحسام الفصال وعادوا الى خيامهم تعبانين مما جرى لهم فى عودة البب بتمورج نظر الى غليون اقبل الى مينة المدينة وكان فى دهشة العشاء وانحشر وسط الغلايين الواقفين وطلعوا منهم رجال طوال عراض كل رجل منهم كانه الجمل

فقال بتمورج اما دول اذا كانوا معى فانا اغلب بهم قطلونيح المصفح فى اقل من خمسة ايام واشتغل عساكره فى البر والآكام وصار يتسلل حتى وصل اليهم فاعترضه واحد منهم قصير دونهم وكلمه كلام اهل بلده وقال انت من الذى قادم علينا ومرادنا ان نطلع متاعنا لاننا اس قادمين فى هذه الساعة من البحر فقال بتمورج ولم يتركه ليتم كلامه انتم كنتم فى البحر لاى شىء فقال له مغارين على دين المسيح اذا راينا بلادا يحاربوها مسلمون نساعد البلاد على المسلمين حتى نكسرهم ونأخذ بقصيص من بيانة الكرستيان ونرجع بأمان واذا آمنت جميع بلاد الكرستيان وبطل

الحرب والطعان تقيم فى دير نجران فقال بتمورج وها أنا محتاج لكم لكن الذى يحاربنا نصرانى ويحكى له على مريم الحمق وقدوم البب قلونج يطلبها وأريد منكم أن تساعدونى عليه وإذا انكسر عندى الكم البقشيش الزايد على ما تحبون فقال له هذا يكون من بعد ما تعرض عليه الصلح بعد أسره ووقوفه بين يديك فان اصطلح اطلقه وان جادل منتره ونحن بعد منتاره نكسر لك عساكره هيا اخلى لنا محل نقيم فيه فقال على الرأس وطلع أخلى لهم سراية بجانب سرايته ودخل على أمه أعلمها فانشغل قلبها بماجرى ونزل البب بتمورج وطلع الجماعة للسراية ونظرت أمه اليهم فعرفت عرنوس فقالت لولدها فيهم واخذ لابس شربوش من الجوهر ائت به إلى عندى حتى أسأله عن دير نجران وعين سلوان ومعابد الكرستيان فغاب بتمورج وقال لعرنوس قم يا قندار هنا ناس يعرفوك وهم طالبين ينظروك فقام الملك عرنوس ودخل على الملكة ورمقيص فماكبته وأعلمت ولدها بتمورج بانه أباه وقالت له فى آخر الكلام الكلام إذا قالوا دول فى بلاد الله أكبر دخلوا من أولها خرجوا من آخرها فلما سمع بتمورج ذلك الكلام اهدى الله قلبه إلى دين الاسلام وأما الملك عرنوس سأل زوجته على امرأة الخانجى فقالت له عندى فى أمان فقال بتمورج وكيف يكون الرأى فى دولتى فقال عرنوس يا ولدى أنت استريح واحنا نتولى الحرب ثم ان السلطان كتب كتاب يقول فيه البب قلونج أنت جمعت هذه العساكر وأتيت تروم تأخذ مريم وهى صيدتى التى أنت معى من البرقان أردت يا بب تأخذها صفف عسكرك وانزل إلى الميدان وحدك وأنا انزل لك وحدى فان أخذتنى جعلت مريم فداى منك وان أسرتك أنا أجعل خلاصى معك واحقن دماء العسكر وهذا ما عندى وشكرا يا مسيح وراح بالكتاب ابراهيم بن حسن فاعطاه قطلونج عشرة آلاف دينار وعاد ابراهيم ، قال لعرنوس ان كان بتمورج عرفته بأمه وأظن أن قطلونج ، لدك وانه مسلم ابن مسلم وباتوا امطمئنين ولما كان عند الصباح برز قطلونج إلى حومة الميدان ولعب على ظهر الحصان ونادى يامعاشر الكرستيان دونكم والقتال فاراد بتمورج أن ينزل إلى الميدان فسبقه الملك عرنوس وقال له دونكم والقتال ان كنت من الأبطال

فقال البب قطلونج وأين البب بتمورج الذى كاتبنى أمس على نزوله اليه وهاهو انتقض الكلام ومن حيث أنك نزلت أنت لى فانا كان أرسل لك واحد من عسكرى فقال الملك عرنوس أن ترسل احدا وتحارب أنت على حد سوى لانه لم يمكن النزول وانت قدامى فلم يبق لك بد فاما أن أقتلك أو أ أسرك فقال له كذبت يا كناس انا أعلم أن عزم أبى يقوم بمقام ملوك

الروم جميعا وأنت إذا طاوعتني تعود لتيموورد وتأمره أن يرسل الى مريم حتى آخذها واعود بسلام فقال عرنوس مريم صارت اخته لانها بنت الملك عرنوس وامها رومقيص وايضا بتمورج بن عرنوس وامه تحفة المسيح بنت عبد الصليب صاحب مدينة الجمجير فلما سمع قطلونج ذلك قال وانا ايضا ابن الديابرو عرنوس وامي الملكة رقطة بنت الملك الرقشوان فقال له هل تعرف اباك فقال لا ولكن اظن انت هو لان خلقتك تشابه خلقتي وحديثك يشابه حديثي سوى فاعتنقا في الميدان وعاد الملك قطلونج مع ابيه في امان وعادوا الى بتمورج واعلموه بالخبر ففرح واستبشر ثم عادوا الى مدينة الجمجير وعمل بتمورج وليمة بتدبير المقدم جمال الدين شيحة وجمعوا مال الجمجير عن بكرة ابيه وكذلك قطلونج ارسل مكاتبة الملك الرقشوان يطلب أمه حتى اذا اخذ مريم الحق يقعدها معها في التخت في السفر وكان الملك الرقشوان عرف المقصود فارسلها واقتصر واجتمعوا على بعضهم واخبر قطلونج عرضيه بانه مسلم وقال لهم من اراد الاسلام يتبعني ومن اراد الكفر فيمضي الى حاله بامان فأسلم معه مقدار الف فارس والملك بتمورج كذلك فعل فعله وأسلم معه مثل ذلك ثم أخذ عرنوس اولاده وازواجه واتباعهم وطلبوا الرحيل مع السلطان بعد ما نيبوا نايب على مدينة الجمجير وساروا مع السلطان الى مصر وجلس السلطان وارادوا ان يدخلوا مريم على زوجها فقالوا اخواتها لابد من الفرح فامر السلطان بفرح سبعة ايام وليلة الدخلة قال السلطان انتم دخلوا عروستكم على زوجها وانا نتولى الغفر واما ابراهيم بن حسن فلا يراكم ولا يحضركم بل يكون معي حتى يطلع النهار واما والله ان انتقل إبراهيم من قدامي لاقطع راسه بحسامي واخذ ابراهيم وسعد وطلع القلعة ودخل بهم الى قاعة الجلوس واقام عنده ابراهيم وسعد يسامروه وهو يسامرهم

[قال الراوي] واما تقطمر فانه سار مع الملك عرنوس وقطلونج وبتمورج الى مقام الحسين والحسن قرأوا شيئا من القرآن وفرقوا على الخدام والفقهاء احسان حتى صلوا صلاة العشاء وعادوا الى بيت الامير تقطمر قال عرنوس ياامير تقطمر اطلع في شغل زوجتك فطلع تقطمر والجماعة جميعا قاعدين وكان تقطمر من خوفه عمل تختبوش في وسط القاعة معلق على اربع عمدان من الخشب وادخل مريم فيه من خوفه عليها ولما طلع كما ذكرنا والجماعة قاعدون واذا بالمقدم ابراهيم داخل عليهم وشاهر ذات الحبات في يده وصرخ صرخة اهتزت لها الاوطان واندهش كل من كان حاضرا في ذلك المكان وقال يا قرون كيف يحتظي بمريم ام

سواى وشاكريتى مجردة فى يدى ثم ضرب عردا بالشاكرية فانكسر ومال دالك التختبوش ومد يده اخذ مريم على زنده وطلع من باب البيت هذا وجميع الناس له ناظرون والى نحوه باهتون حتى خرج إلى بره وفاق به عرنوس فقال امسكوا يا جماعة إبراهيم فقام كل من كان قاعد وطلعوا من الباب طالبين إبراهيم فلم يجدوا له خبرا ولم يعلموا ان كان راح شمال او يمين كما قيل شعرا

ساروا وسار الربع يندبه الثرى ان قلت بانوا بى بمثلك بانوا
فاسأل منازلهم تجيبك يافتى كانوا بها وكانهم ما كانوا

(قال الراوى) فقال عرنوس يا أمراء قد رأيتم المقدم إبراهيم وما فعل فقال علاء الدين كلنا شايفين وكذلك قال كل من كان حاضرا فقال عرنوس احسن السلطان يكذبنى ويقول إنى ظالم عليه وها أنتم شايفين ومرادى تحكون للسلطان على ما رأيتم وداموا فى قال وقيل إلى أن مضى بقية الليل فركبوا جميعا وساروا فبينما السلطان جالس وإذا بجميع الأمراء قادمين عليه والملك عرنوس قدامهم وقال يا ملك حصل النهب على رؤوس الاشهاد اسأل الامراء يحكوا لك على ما نظروا فقال الملك ايش الخبر فحكوا له الأمراء على ما ذكرنا

فقال السلطان ابراهيم له كم جنه أما والله الذى تقدست اسماؤه رب القدرة والعظمة ابراهيم لم ينتقل فى هذه الليلة من قدامى وأنا ما انتقلت من مكانى وهذا الذى تقولوه ما فعله ابراهيم ولا يعلمه قال عرنوس يا ملك كل ارباب دولتى نظروا ذلك لكن أنا قاعد بعينى مع الرجل طول الليل فكيف اصدق بشىء اعلمه أنا انه كذب وانما هذا شىء لابدله من دليل وبنتك هذه ليس ساهلا علينا الذى يجرى عليها من العدى ونحن فى الاحباب والأصدقاء فبينما هم كذلك وإذا بالمقدم جمال الدين مقبل فانقطع الخصام وقابل السلطان شيحة مثل العادة واجلسه وحكى السلطان لشيحة على قصة مريم بنت عرنوس فقال شيحة هذا فعل كهين من كهان العجم ولازم التدوير عليها وكل مؤمن يلزمه ان يجتهد فى التفتيش عليها فقال السلطان وأيضا أنا أكون معكم فقال شيحة كل جماعة فى طريق والاجتماع يكون فى بغداد فسار ابراهيم وسعد وحدهم والرجال كل اثنين سوى وأما السلطان فاخذ عيسى الجماهرى ونصر الدين الطيار وقال لهم انتم تتولوا خدمتى عوضا عن آبائكم فقالوا مرحبا وساروا وكاد كرنا

(قال الراوى) وكان السبب فى عدم مريم الحقى فى هذه النوبة انه فى بلاد العجم كهين فاجر يقال له الكهين كشوير شغله دائما البحث عن خبايا الملوك القدماء

وما ادخروه تحت الارض الحكماء وكان من جملة ما أطلع عليه خاتم الكهين الدهداد الذى صنع كنز المليلجة وهو كنز متسع تحت أطباق الثرى ولم يكن له نظير فى الكنوز وله أبواب كثيرة ومن جملتهم باب الجيزة الذى عليه الاهرام فاتفق ان كشوير هذا اراد أن يأخذ ختم الحكيم الدهداد لاجل ان يحتوى على جميع خدامه ويصير كلها فى الكنز ملكه فلما اجتهد وتعب تعبا شديدا حتى تمكن من الوصول اليه قالوا له الخدام ياكهين هذا شىء ليس لك اليه وصول والخاتم لا يحتوى عليه أحد غير صاحبه وانما تأتى بنت اسمها مريم الحقى بنت الملك عرنوس وهى مفردة فى الجمال فاذا وقفت قدام الحكيم وطلبت ذلك الخاتم فان الخدام لم يمنعوها بل يعطوه لها وأما أنت فليس لك اليه وصول فلما علم الكهين بذلك صار يجتهد حتى عرف الملكة مريم الحقى أنها ظهرت فى بلاد الروم وتزوج بها اخو السلطان وانسرقت أول مرة واتهم بها ابراهيم ابن حسن وثانى مرة كذلك وهو برىء من سرقتها وفى هذه الليلة دخلتها على زوجها فقال وأين ابراهيم المتهوم بها فاعلموه انه عند الملك يسامره لاجل اذا أخذت مريم يكون ابراهيم برىء فاحضر عونا من أعوان الجن وأمره أن يتصور فى صورة ابراهيم ويدخل يأخذ مريم ويأتيه بها على باب كنز المليلجة عند أهرام الجيزة فالقى باب من السحر على الحاضرين اذهلهم حتى ان العون أخذ مريم وجرى ما جرى هذا أصل السرقة

[قال الراوى] ولما أتى بها العون إلى الكهين وهى فى زينة الجلا قال لها الكهين أنت مريم الحقى فقالت له نعم فقال لها لا تخافى انزلى فى قلب هذا الكنز وخدامى يدلك حتى تقفى قدام الحكيم الدهداد فتقولى له أنا مريم بنت عرنوس ابن معروف بن جرن اسد ابن اسماعيل الملك بن محمد بن الخولية بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فاذا قلت له ذلك فانه يقلع الخاتم من يده ويناوله لك فاذا اتيتنى بالخاتم اردك إلى عائلك تتم أفراحك ويكمل سعدك وفلاحك فقالت سمعا وطاعة وسارت معهم حتى اوقفوها قدام الحكيم وقالت كما اعلمها الكهين فاعطاها الحكيم الخاتم وعند رجعتها قالوا لها خدام الكنز ياملكة مريم أنت مؤمنة فكيف تملكى رقابنا إلى ذلك الملعون يخدمنا ونحن مؤمنون فصعب ذلك على مريم واعتمدت على أنها تنكر الخاتم ولكن خافت من الخدام فلما صارت بين يديه صرخ عليها وقال أين الخاتم يامريم فقالت معى فقال هاتيه فحذفته له فمد يده ليأخذه من الارض فلم يجده فعلم انه لم يقدر على تحصيله ثانيا فقال لها أنا كنت اذا أخذت الخاتم منك اردك إلى أهلك وأنت ضيعتيه فلم

يبق لك إلا الهلاك ونظر إلى وجهها وهو مغضب وأراد أن يتلفها فألق الله تعالى حبها فى قلبه وقال لها أنت تخدميني وأجعلك عندى تناديمنى لكن من غير مرزبانه وإن مال قلبك للمرزبان أقتلك فقالت له افعل ما تريد أسلمت أمرى إلى الحميد المجيد فأخذها وسار بها إلى الكوفة وبنى لها قصرا بعلوم الاقلام من الحجر المرمر والرخام بشبابيك من الفضة والذهب وفى رؤيته عجب وأجلسها فيه وجعل حوله بستان فيه جميع الفواكه من الفضة والذهب على أشجارها بمثلها وجعل حول الجنينة سور من النحاس الاصفر بعساكر من الذهب الاحمر على كل عسكر فص جوهر نوره يأخذ بالبصر فأقامت مريم فيه بعد مافرش لها القصر بخاص الحرير ومساند من ريش النعام وجعل حوله أربعين مقصورة ملآنة من صنف الذهب والدنانير شىء لا يعد ولا يحصى وأمر الخادم أن يتوكل بخدمتها وكان اسمه سندبان وأقامت على ذلك الحال وأصبحوا أهل الكوفة شافوا هذا القصر ولم يعلموا من الذى بناه فصار يأتى الناس ليتفرجوا عليه ولم يقرب أحد اليه وبقى حوله كثرة عالم وازدحام وفى الليل ضوء الجوهر يجلى الظلام مدة أيام الى ان ورد المقدم إبراهيم بن حسن ونظر لذلك القصر فتولع قلبه بتلك الاشجار الذهب فقال يا سعد أنا أتمنى هذه الاشجار أن تكون عندى فى حوران ورفع رأسه فنظر شباك عال والملكة مريم الحتى رأسها خارج من الشباك وعليها من أصناف الجوهر والزمرد واللؤلؤ الكبير والالماس شىء يتوه فيه العقل ومن ينظره يتوه عن العقل فصاح ابراهيم اين يامريم فنظرت مريم اليه وقالت اهلا وسهلا ياأبا خليل فقال لها ما تعطنا شىء من ذلك البستان فقالت قل على ماتريد وأنا أحذف لك فصار يقول احذفى مشمش خوخ تفرج حتى ملا المينزية وشالها وراح الى الخان فلم يجد إلا زاط فاتى ثانى الايام وقال يا مريم تقدرى تخلى هذا الكهين يفتح لنا باب القصر فقالت له وهو كذلك فعند المساء أتاها الكهين فقالت أريد منك فتح الباب فان لى أقارب تريد يدخلون عندى يسلمون على فقال الباب ينفتح وقعد حتى أدركه النوم فنام عند الصباح وركب سريره وراح وأقبل ابراهيم وسعد فالتقوا الباب مفتوح فدخلوا وطلعوا إلى مريم وسلموا عليها فسلمت عليهم فقالوا لها من أين تأكلى فقالت لهم مريم إش تريدوا خروف محشى على أنجر فطير وصينية حلاوة أو بقلاوة فقالت يحضر الجميع نحضر أنجر فطير بخروف محشى وصينيتان واحدة بقلاوة والثانية حلاوة فقال إبراهيم ما شاء الله وقعد هو وسعد وأكلا فقالت مريم ينشال النحاس فانشال فقام إبراهيم يتفرج

حتى المقاصر فرأى أكوام الذهب فملا المحيترة وقال شيلى ياسعد فأراد سعد يشيله فوجدها ثقيلة فقال له خففها فرمى منها شرفى فلم تخف قال له سعد أنت طماع وفرغ منها شرية وقال له شيل فرآها خفيفة فعاد ابراهيم ملاها ثانيا فثقلت فنقصها سعد فخفت فرجع ابراهيم ملاها ومازالوا فى خفتها وثقلها واذا بالكهين دخل عليهم وقال لهم أنتم حرامية فقال إبراهيم نحن قرايب الملكة مريم وتروح فقال لهم أنتم وسختم الرخام لما دستوا عليه فاغسلوه وروحوا ثم أتى بهم إلى بير عليها دلو وقال واحد منكم يملا وواحد يغسل فقال ابراهيم انا نملا ودلى الدلو فى البير فطلع ماء نظيفا ففرغوه وغسلوا به ثلث الاوان وملا ثانى دلو وفرغوه فطلع سراب وصار اللون مثل الكنيف وصار كلما يملا واحدا نظيفا يغسل به والثانى يوسخ به ولم يقدر يبطال الملو ولا الغسل . وأما ما كان من الملك الظاهر وأبطال الاسلام فانهم وصلوا الى بغداد ولم يجدوا أحدا فسمعوا بخبر القصر الذى فى الكوفة بعدما اجتمعوا فى بغداد ودخل السلطان على نايب بغداد وسأله على المقدم ابراهيم بن حسن فقال له بات ليلة هنا وسافر طالبا الكوفة وأرض العراق فقال السلطان روح فسار والملك والرجال ووصلوا الى الكوفة فوجدوا القصر فداروا به فوجدوا طرايق ومسارعين حول ذلك القصر فقال السلطان هذا القصر مستجد فى هذا المكان وهو بعلم القلم واحنا اذا دخلناه فليس لنا شغل فيه وان اشهرنا أنفسنا فقد لا نستريح فتصبروا حتى يأتى لنا شيحة وإذا بشيحة أقبل وسلم على السلطان سرا فقال له السلطان يا اخى هل تعلم عبارة هذا القصر فقال كيف لا نعلمه ونحن طلبنا فيه وهو بانيه كهين سحار ووضع الملكة مريم الحقى فيه فقال عرنوس سيروا بنا له فقال شيحة اصبر ياعرنوس لما نعمل طريقة هذا الملعون يشاغلنا باعوان الجان لابالانس فقال عرنوس أنا عايز بنى والسلام ثم ان عرنوس سار وتبعه نصير واسماعيل فبالضرورة سار السلطان وشيحة وأبطال الاسلام ومازالوا سائرين إلى صدر القصر فالتقوا إبراهيم وسعد كما ذكرنا ومريم الحقى حكت لهم على ما جرى من حين أخذها اللعين ودخول الكنز والخاتم فما تمت كلامها إلا وذاك الكهين مقبل ونظرهم فقال حطوهم فى الحديد فصاروا جميعا فى الحديد وقالوا هاتوا إبراهيم وسعد معهم فصاروا معهم فقال ابراهيم احنا كنا عمالين نغسل فلاى شىء تقتلنا ولكن هكذا فعل الكافرين الذى غضب عليهم رب العالمين وهذا الوقت انت مقترل ونحن خالصين [ياسادة] فلما تم كلامه ابراهيم حتى أقبل الشيخ عمر المكى وضرب الكهين بنبلة فى صدره خرجت من ظهره وانفكت الاسلام

وتقدمت مريم باست يده وقالت له يا سيدى ما انقضى عنى وعدى فقال لها لم يبق الا القليل فتقدم السلطان قبل يده وكذلك عرنوس وقال له يا سيدى بنتى وديعتك فقال يا عرنوس هذه وديعة الله ومنها عمار الممالك إن شاء الله فعند ذلك أخذه السلطان ودخلوا مدينة الكرفة واقاموا فيها ثلاثة ايام فطلبت الملكة مريم من الاستاذ يكتب لها تعويذ فكتب لها تحويطة حفظا لعرضها من الفساد وبعد ذلك طلب الملك السفر فقال عرنوس لعمه اسماعيل ابو السباع ونصير النمر انتم تكونوا خفر مريم فقالوا له سمعا وطاعة وجعلوها فى تخت وصار اسماعيل فى اليمين ونصير النمر فى اليسار فقال إبراهيم أنا أخفرها فقال عرنوس أن خفرتها إلى مصر لك عشرة آلاف دينار ثم انهم ساروا من الكرفة طالبين بلادهم ليالى وايام حتى قاربوا ارض الشام فتأخر إبراهيم بن حسن لازالة الضرورة وبعدما ازالها سار طالبا اثار الجماعة باكرام وإذا بزعقة تفلق الحجر وتملخ الشجر وقايل يقول أنا إبراهيم بن حسن وضرب التخت كسره واخذ مريم على زنده وراح فى البر فلما نظر المقدم إبراهيم إلى ذلك فقال اعوذ بالله والله لو حلفت لهم بكل الايمان التى فى الدنيا انى ما اخذتها لم يسمع لى احد كلام واول ما يضربنى الملك الظاهر بالحسام وسمع السلطان يقول ما علينا يا كلب يا خاين فاركن ابراهيم فى باب كهف فى الجبل لما عاد الركب كله فى طلبه وطردوا الخيل فى ظلام الليل على اثر الذى أخذ مريم فقال ابراهيم فى نفسه الهرب اولى

ونفسك فز بها إن صبت ضيما	وخلى الدار تنعى من بناها
فانك واجد ارضا بارض	ونفسك لم تجد نفسا سواها
وما لفظت رقاب الاسد حتى	بانفسها تولت ماعناها
مشيناها خطا كتبت علينا	ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بارض	فليس يموت فى ارض سواها

[قال الراوى] وأما الجماعه فانهم ركضوا بخيولهم وهم طالبون اثر الذى أخذ مريم فلم يقعوا لهم على خبر فقال السلطان انا كنت اظن أن ابراهيم مظلوم حتى رأيت بعينى فقال شيحة يا ملك الاسلام لا تقول ابراهيم وماهو الا مظلوم لان ابراهيم ليس له قدرة أن يهجم علينا كلنا وهو يعلم افعالنا فقال عرنوس ياعمى أنت رجل صالح فاين ابراهيم فقال شيحة ابراهيم شاف الذى جرى راح لحاله فالصواب عودتنا نفتش كما كنا إن لقيناها مع ابراهيم خلصناها وغيرهم كذلك ثم انهم عادوا راجعين فقال شيحة نتفرق ويكون الاجتماع على مدينة النهروان ثم انهم تفرقوا كل جماعة فى ناحية [ياسادة] وأما إبراهيم فانه رجع سافر وهو

يقطع البرارى والوديان مدة من الزمان حتى دخل بلاد العجم ووصل مدينة خراسان ولكن جيعان وقشلا لأنه كما ذكرنا لما فارقهم كان يزيل الضرورة ولم يقدر أن يدخل ليأخذ ولو حجرته بل مشى على الأقدام صابر على حكم الملك العلام ولما دخل مدينة خراسان فر على رجل طباخ فى دكان فلما رأى ذلك دخل الدكان وقال هات يا معلم فقال الطباخ بكم فقال له بكل ماقلت عليه فاتى له الطباخ ايش وحط له طبيخ ولم يعلم انه قشلان فاكل إبراهيم حتى اكتفى وقال له أخاف الله عليك ياشيخ أنا والله ما معى ولا درهم واحد ولكن إذا أراد الله اكافئك على ماخدمتنى فقال له الطباخ انت غريب فقال نعم غريب فقال الطباخ اقعد معى وساعدنى فانى رجل قليل البخت ولكن شاطر فى صنعتى والسعد ليس بالشطارة فاقعد معى عسى يكون لك بخت فنسترزق فقال ابراهيم اقعد معك وأشاركك فقال له طيب رضيت فقال سر معى انشترى اغنام فسار معه واشتروا غنم ودفع الطباخ الدراهم فلما عادوا قعد إبراهيم وغسل النحاس وذبح خروف وأتى المعلم بالخضار واشتغل وإبراهيم طول الليل ولم يطلع النهار إلا والحال كلها ملانة لحم وخضار وكباب وكفته وقف ابراهيم يبيع إلى أن اضحى النهار فباع جميع الطبيخ وقال يا معلم اذبح خروف فذبح واستوت الوجبة عند العصر فانباعت على المغرب ففرح الطباخ بابراهيم وكثر ماله فقال لابراهيم انت تستحق النصف فى المال خذه فقال ابراهيم وأين نوديه خليه عندك فحكى الطباخ لزوجته وقال أخاف أن يفوتنى ويروح بلاده فقالت له زوجه بنتك مريم فان الزوجة قيد الرجال فصدقها وعزمه ليلة وتعشى معه وبعد العشا طلب بنته مريم تغسل لهم أيديهم ونظر ابراهيم إلى بنت الطباخ فقال لها يامريم ايش جابك هنا فقالت له أبى قال لى اغسلى يدين ابراهيم فقال لها اين هو أبوكى فقالت له هذا الحاج على الطباخ فقال لها أما أنت مريم الحمقى فقالت له الحق على إيش أنا مريم الطباخة وهذا أبى فقال ابراهيم حاشا لله انتى بنت الملك عرنوس الذى سبب تشقيق وغربتى إلى هذه البلاد وحكى للطباخ على ماجرى له وقال فى آخر الكلام إن كانت هذه بنتك فانا جيتك خاطب راغب فقال الطباخ مرحبا بك بنتى جاريتك وأنا خدامك فقال ابراهيم اقطع المهر على قدر ماتقول فقال له اصبر لما نحاسبكم وقام الطباخ وأتى بصندوق ملان دراهم ودنانير وقال له هذا نايبك فى الشركة خذه فقال ابراهيم خذهم جميعا منهم المهر والباقى كلف به زفافها وأنا ادخل عليها فلم يمض ثلاثة أيام إلا والمقدم ابراهيم متزوج ودخل على مريم فوجدها درة لم تثقب ومطية لغيره لم تركب فنسى بها مريم الحمقى لأن تلك البنت فريدة أهل زمانها وبعد ذلك أقام يبيع

الطبيخ فى الدكان الى يوم هو قاعد فاتاه رجل درويش تغدى عنده وأعطاه دينار
ففرح ابراهيم وفى آخر الليل بعدما تم الطبيخ واذا بالدرويش قال افتح ياطباخ فقال
ابراهيم لما يطلع النهار فقال تنفتح الدكان فانفتحت ودخل الدرويش وبيده مقرعة
فصار يخبط الحلة ويقول تعال فايشعر ابراهيم الا وجميع الحلل طارت وانشق السقف
وطلعوا معه وكانوا أربعين حلة فقال له الدرويش كم حقهم فقال ابراهيم كل واحدة
بعشرة قبارصة فالجميع بأربعمائة ذهب فأعطاه الدرويش الف ذهب وقال له كاف لنا الغدى
فقال ابراهيم هات الحلل فقال الدرويش يحضروا الحلل جميعا مغسولين وقال له كل
ليلة أريدك تطبخ لى مثلهم فى الليل ومثلهم فى النهار فصار ابراهيم وشركه متكفلين
بهذه الخدمة لم يلتفتوا لغيرها وكل يوم يعطيهم العجمى الف دينار وأخيرا قال له ياشيخ ابراهيم
ماتجىء تطبخ عندى وخذ تمم كماياتك وسمن ورز والذى تريده وكل يوم الف دينار
ذهب فقال ابراهيم حاضر فصور له صورة حصان وقال له اركب فقال ابراهيم أنا
لم أسر الا ماشى وأما هذا حصان تشقش وتهش ما أركبه فقال له خذ عدتك وسر معى
فسار معه الى مغار ورسم على ابراهيم ودق الارض انفتح اثر على ابراهيم فنزل هو
والدرويش حتى بقوا فى كنز متسع وبستان مثل الذى كان على مدينة الكوفة ونظر الى
قصر عالى والملكة مريم فيه صحبها أربعين بنت ولكن من كل سنطة مفتاح فقال ابرهيم
ياملكة مريم من جاء بك هنا فقالت أنا معى اربعين بنتا ملوك

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك أن الكوهين كهوير لما قتله الشيخ عمر الملكى
وكان له اخ اسمه كاهور كان قاعد فى بلده فضرب زايرجة فرأى أخاه قد قتل من تحت
رأس مريم وأعلموه خدام أخيه بابرهيم بن حسن وتهمته بها فارسل خادمه وكان
اسمه شيطبان وقال له تصور مثل ابرهيم وهات مريم فسار ولحقهم وفعل ما فعل
وأتى بها اليه وكان هذا الملعون يحب البنات الجالات الا ان نصفه التحتانى ميت من
انوما كه فى الكهانة لان كل جبار عليه ملك جبار وكان يحب ان البنات الجيلات
قدامه حتى يتسلى برؤيتهم وكان كل ماعلم بنت جميلة يأمر الشيطبان يأتى له بها حتى كملت
اربعون ولما أتى بمريم الحق كان قصده قتلها فرآها اجمل من الذى عنده

فقال لها اتركك بلا قتل لكن تتولى خدمتى فقالت له وهو كذلك فأمر الخدام
أن ياتوا بالطعام وهو طبيخ الجان

فقالت له مريم احنا احدى واربعين اما أن تطعمنا طبيخ الانس أو تامرنا
نطبخ لنفسنا فنزل خراسان فنظر ابراهيم واشترى منهم فاعجبهم طبيخه فداوم على
الاخذ منه مدة وبعدها قالت له مريم الذى به يطبخ لنا هنا فتحيل عليه حتى أخذه

ولما شاف مريم وعرفها زعق مين جابك هنا فقالت له الذى جابك جابنى فقال الكهين
يا طباخ هذه مقرعة خذها معك واطلب غنم واطبخ منهم ودقيق وسمن وعسل ومطلق
ماطلبته يأتيك بهذه المقرعة فاطبخ البنات مطلوبهم واما انا فاطبخ لى فرخة الصبح وفرخة
العصر تموهم خنق من غير ذبح ولما يفسطوا حطهم فى الماء على النار حتى يذوبوا صق
دسمهم وارم العظم وبعد ذلك أعط الدسم النار حتى يصير مثل المرهم هذا هو أكلى
أنا واحدة فى الصبح وواحدة فى العصر فقال حبا وكرامة وأقام ابراهيم على ذلك مدة
أيام وكان الخادم الشيطبان تعلق بحب مريم الحمق وقال لها يا ملكة مريم ان خلصتى من
ذلك الكهين تتزوجينى وأنا أتسبب فى خلاصك واذا تزوجتينى لم أجىء الك الا فى
صفة أجل مايكون فى الرجال فقالت له وكيف يكون يا شيطبان فقال لها أنا أعرف
ان فى خزائن ملك الصين احقاق سم خارق اذا نقطت نقطة على رأس عرق فيه لوقته
وساعته فاحنا نقسم قتله ثلاثة أقسام أنا أجيب السم وأنت تبهريه بجمالك وابراهيم
يقدم له الطاسة ويكون قد ذاب ذلك السم فيها فقالت له افعل ماتريدوهات السم فغاب
الشيطبان وأتى بسم خارق فنزلت لابراهيم وحكت له وأعطته السم فقال لها توكلنا على الله
وصنع المسلوقة ووضعه فيها ولما أقبل الكهين قامت مريم وقلعت جميع ثيابها حتى بقيت
كما وضعتها أمها وأتت عريانة الى بين يدى الكهين وقعدت على حجره وتأمل الكهين
اليها بعدما كما قيل عنها فايقة فى الجمال فانبهر الكهين وتمكن الهوى منه بيقين الا انه كما
قدمنا عديم الحركة وفى تلك الساعة تقدم المقدم ابراهيم ووضع الطاسة بين يديه فتأمل
وقال يامريم أنت أرسلت الشيطبان أتاكى بالسم من بلاد الصين وأعطتيه للطباخ وضعه
فى أكلى أنا حتى أموت مسموم وتعودى لبلادك سليمة يحضر ابراهيم فلما حضر قال
له اشرب هذه الطاسة فقال ابراهيم حاضر ورفع الطاسة على يده وصرخ يا سيدى
عوث ياساكن حلب وضرب الكهين بالطاسة فدخل السم فى عينيه وفمه ومناخيره
وآذانه وعلى صدره مع باقى جسده ومات من وقته وساعته فصرخت أعوان الجان
أراحك الله ياأبا خليل كما ارحتنا من خدمة هذا الكهين فقال ابراهيم مات فى لعنة الله
وأقام الى وقت العشاء وضرب المقرعة وقال يحضر خروف فاورمه نتعشا به على ابجر
فطير فلم يحضر شىء فقال ابراهيم يقى استقليتوا علينا الخروف هاتوا عدس فلم يأتيه
شىء فعلم من ذلك انه مابقا شىء يأتيه مأكول فقال ابراهيم يامريم قولى للبنات ينزلوا القسهم
من هذا المكان وليس لنا فيه اقامة وان أقمنا فيه نموت جوعا وعطشا فنزلوا جميعا وقفل
الخادم باب الكنز وأقبل الشيطبان فقال له ابراهيم ايش تريد فقال ابراهيم روحى له يامريم

فقالت مريم تفرتنى يا أبا خليل فقال ابراهيم هذا عون وليس أنا طوله حتى أقاتله
فقالت مريم يا شيطبان إلا إذا انصفت ابراهيم وقاتلته بالانصاف فقال لها الشيطبان
ياستى إيش الانصاف وأنا أنصفه قالت له تقصر لحد حزامه قال الشيطبان على الرأس
والعين ووقف جنب ابراهيم وصار يقصر حتى بقى لحد منطقته فضربه ابراهيم بذى
الحيات رمى دماغه وقال للبنات سيروا فساروا إلى حد باب الكنز فرآه مقفول ورأى
عامود رخام مكتوب ياواصل إلى هذا المكان ان كنت ابراهيم بن حسن الذى قتل
الكهين وخادمه الشيطبان الخت جنب العمود تلقى قوس وثلاث نبلات فاوتر واحدة
واضرب بها الطير فان أصبته ينفتح لك باب الكنز وتطلع وان لم تصبه تبلعك الارض
الى أفخاذك فاضرب الثانية فان أصبته ولا تبلعك لحد حزامك فاضرب الثالثة فان أصبته
والا تبلعك الارض وهذا قبرك إلى يوم القيامة ففحت ابراهيم فطلع قوسا وثلاث
نبلات فاوتر واحدة منهم فى القوس ضرب الطير فدار الطير وقامت النبلة خائبة وبلعته
الارض إلى أفخاذه فضرب الثانية فبطلت وبلعته الارض إلى أبزازه فقالت مريم الموت
ولا تموت بالجوع والعطش فقال ابراهيم توكلت على الله وأوتر النبلة الثالثة وتلا
آيات الله العظاما وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وضرب النبلة الثالثة وقعت فى
حوصلة الطير خرجت من دبره وفرقعت الارض وانفتح باب الكنز فقال ابراهيم
يا بنات كل واحدة منكم تشيل من الذهب على قدر ما تطيق فاخذت كل واحدة تشيل
على قدر عزمها وطلعوا من الكنز

فما ساروا غير قليل وإذا بواحد شيخ عرب مقبل ويتبعه أربعون خيال فلما رأوا
البنات وابراهيم ميلوا عليهم وقالوا لهم اخلعوا ثيابكم فقال ابراهيم من هو شيخكم فتقدم
شيخ العرب وقال علامك يا شيخ

فقال ابراهيم احنا ناس تعبانين وهؤلاء الذين معى كلهم بنات فان كان عمل معروف
فأتوا خيلكم حتى نحمل عليهم ما معنا ونركبهم وإذا عصيتم قتلتكم وأخذت خيلكم فان
معنا ذهب بكثرة والذهب ثقيل فلما سمع شيخ العرب مقاله ضربه شيخ العرب بالسيف
فبطل فقال له ابراهيم يا قرن أنا كلمتك بالمعروف تضربنى أنت بالسيف لكن قرب
أجلك وضربه بذات الحيات فى وسط رأسه شقها إلى حد أضراسه وركب حصانه
ومال على العرب حتى أفناهم عن آخرهم وقال للبنات كل واحدة منكم تأخذلها حصان
تركبه فركبوا جميعا وقسموا الذهب على الخيل بعدما عملوا من أحزمة العرب اخراج
ورصوهم بالاموال وسار بهم ابراهيم يقطع البرارى والقفار فاقبلوا على بستان
فدخلوا فيه وأكلوا من ثماره ورأوا فسقية فقالت مريم والبنات يا ابراهيم مرادنا

فستحمى فى هذه الفسقية وأنت تخفرنا فقال إبراهيم استحموا فما عليكم باس فنزلوا جميعا يستحموا وإبراهيم اعطاهم ظهره مقدار ساعة فأقبل واحد ووقف يتفرج فقالت له مريم أما تستحى ياشيخ حتى كتفرج علينا واحنا مكشوفين يا إبراهيم فالتفت إبراهيم فوجد واحد مثل هلاوون لكنه ليس هو فقال له إبراهيم ايش تريد فقال يا افندم وقت بسرجى فقال إبراهيم ايوه ايش تريد فقال اعطنى جارية من هؤلاء الجوار فقال ابراهيم اهم جبتك فقال هذه واشار على مريم فقال إبراهيم هذه احتى فقال زوجنى بها فقال أنا حالف لم ازوجها الا الملك من الملوك او قان من القانات ولا اقبض مهرها إلا إذ كان يقرل عنى انى ابن عمه ويكتب لى حجة بالسلطنة بعد حياته خاف كان يهون عليك ذلك أنا ادخلها فى هذه الليلة عليك وترى ما تقر به عينيك فقال القان وكان اسمه عبدالله وهو فى الباطن رافضى اسمه عبد نار قضى بذلك وكتب المقدم ابراهيم حجة بالسلطنة بعد حياته وختم عليها القان وبعده ختمت الوزراء وارباب الدولة وعمل لها فرح ثلاثه ايام ومريم التفتت لا براهيم وقالت له يا ابراهيم أنت عداوة ابى مرادك تخلصها منى فقال لها ابراهيم لا تخافى من شىء وليس عندى عداوة لابيك وهو ابن خالى ر اعا أنا عاينت هذه الملعون فرأيت انه فى الظاهر مسلم وفى الباطن كافر فزوجتك عليه بمهرك السلطنة لى لاده بعد موته وأنت خذى هذا القرص البنج وفى حال الخلوة معه أوضعيه له فى الشراب فاذا شرب ورقد حطى مخدة على نفسه واقعدى عليها حتى تسمعى خرج منه ريح فتعرفى انه مات فسمعت كلامه الى ليلة الخلوة فلعبت معه حتى ابهرته وملأت الكاس وسقته وادغرت له فيه البنج بنجته ووضعت المخدة على فمه وقعدت عليها بردف مثل قناطر الخليج وبقيت قاعدة حتى سمعته سيب مدافع السلامة فعلمت انه مات فقالت وصرخت بصوت عال اذهلت الناس وجاء الطواشية الى المقدم ابراهيم وقال الحق نسيبك وابن عمك واعلموه الخبر فقام ودخل السراية فقالت مريم القان شرب من الخمر فشرق ومات فقال الوزير لابراهيم اذا كان مات فانت ملكنا فقال ابراهيم أنا لا يهون على ابن عمى فقالوا له كل من عليها فان وهذا تخت سلطنة اقعد على كرسيه بموجب الحجة التى بيدك واعمل عزاه وادفنه فعند ذلك قعد المقدم ابراهيم على مملكة البلد واقام يتعاطى الاحكام بعد ما دفن القان فقالوا له يا قان ابراهيم اعلم أن القان عبدالله كان أعطى فسحة للارفاض أن يقيموا فى بلادنا ويعبدون النار أو ترضى بذلك فقال لا بل كل من كان مسلم يقيم فى بلدى كل من عرفته انه يعبد النار قطعت رأسه ونادى منادى بذلك فخرجت جميع الارفاض من البلد واقام شعاير الاسلام على الصحيح ونصب الديوان وكل من علم انه رافضى

بقتله حتى بقت البلد كلها على دينه الاسلام وحكمت سنة سعدورخاء وافراح والرعية رأت الخير على قدومه وأما مريم والبنات فانهم أقاموا فى السراية وملكوها لان الذى مات لم يكن له حريم بل كان رافضى محب المالك وأقام ابراهيم فى تلك المدينة وكانت اسمها مدينة ارقشبان له كلام [وأما الملك الظاهر] فدور على مريم فلم يجدها فأقبل على مدينة النهروان قعد فى خان وبعد قلائل اقبلت رجاله تتبع بعضها ببعض وشيحة وكل القادمين ولم يطلع أحد منهم على خبر مريم وجميعهم سمعوا بسيط القان ابراهيم فى ارقشبان فقال الملك لابد من السفراليه ثم انهم سافروا حتى عبروا الى البلاد التى فيها القان ابراهيم وقال السلطان لسعد اطلع ياسعد اتفرج على ابن خالتك وهو عامل قان على مملكة العجم فطلع المقدم سعد الديوان ونظر فيجد ابراهيم

فقال فى نفسه انزل احسن مايندهلك ويتلا عليك بديوانه ونزل سعد فصاح القان ابراهيم ابن سعد فقال سعد أنت ملاحظنى وتقدم سعد خدم كما تفعل الرعية قدام راعيها فقال ابراهيم كرسى فوضع كرسى لسعد وطلب له شربات فشرب وقال ياسعد أناصرت ملك هذه المدينة اقعد معى أجملك وزيرى فقال سعد أنا لم أقدر على بعدك ولا ساعة قال ابراهيم انا اعلم أن معك السلطان وعرنوس قادمين يفتشوا على مريم الحقى وها أنا يا سعد قاسيت من أجلها مشقة ولكن الله تعالى عوضنى بغيرها وحكى لسعد على كل ماجرى له وقال له فى آخر الكلام ويهون ياسعد على ان اتعب لتقطع ولكن لاجل خاطر الظاهر ليس هو كثير فقال سعد ياابن خالتى انت وشانك ان أردت ان تسافر مع السلطان الى مصر أو تعطيهم مريم وتقعد انت هنا أو تمضى بخاطرك وأنا ان أردت أن أعصى معك لم اقصر عنك ويقضى الله ماهو قاض وبقى يمازحه حتى انتهى فى دعوة فقام سعد يتمشى ونزل من محل ماأتى فقال السلطان رأيت ابراهيم ياسعد فقال سعد رأيت نمرود زمانه وفرعون وقته وأوانه هاهو قدامكم ان كنتم عايزينه دونكم واياه ولاتحضرنى فانه ملك البلاد والارض تضرب مع أهلها فقال الملك عرنوس أنا أطلع واتفرج على ذلك الحكم الذى يحكمه ابراهيم ثم انه أخذ عمه اسماعيل ابو السباع وطلع الى الديوان وصاح انعام ياقان الزمان قال ابراهيم اهلا فقال عرنوس مظلوم ياقان والذى ظلمنى هذا الرجل الاختيار وأنا طالب منك أن تخاص لى حقى وهو خمسة آلاف تلك ذهب فقال ابراهيم ياالاختيار ماتدفع لعميلك حقه فقال المقدم اسماعيل ليس له عندى شىء فقال القان ابراهيم عندك بينة تشهد عليه بحقك فقال عندى ونزل عرنوس فاحضر صوان الافعى والمقدم جبل بن رأس الشيخ شهد وتقدم قدام القان ابراهيم فالتفت ابراهيم عن يمينه وقال خذ هذا عندك بعيد ياوزير فقام الوزير اخذ المقدم

جبل بين يديه وقال له يا شيخ قل الذى يخلصك من الله أنت تعلم أن هذا الرجل له على هذا دين فقال نعم وهو خمسة آلاف دينار فقال إبراهيم هذه الشهادة الصادقة فقال له حق إيش كان باعه له فقال المقدم جبل لم يبيع له شىء وإنما هى قبارصة عدد نقدية فالتفت إبراهيم عن يساره وقال لوزيره خذ هذا عندك إلى بعيد وطلب صوان وقال له اليوم دنيا وبكره آخرة هل تعلم أن هذا مديون لهذا فقال نعم فى خمسة آلاف دينار فقال له ثمن إيش اشتراه منه فقال ثمن قماش قال أحدكما كذاب انت قلت ثمن قماش وقرينك قال نقدا فأيكما الكاذب حتى أقاصصه على شهادة الزور فقال له اسماعيل الاثنين باطلية أطلقهم يروحوا لحالهم فأنا ليس على شىء لانقدية ولاثمن قماش فقال له إبراهيم هات المحصول فقال اسماعيل لأى شىء أقاضى أنت فقال القان إبراهيم لا يمكن نزولكم فان المدعى ليس له حق والمدعى عليه مستهزىء بالحكم والبينة زور فالأربعة يجب القبض عليهم حتى تنفذ فيكم الحكومة هيا اقعدوا عندى فى الديوان لكون انكم أعزاز أقوام وأما غيركم يحبس فقعد عرقوس معهم وكان سعد خلفهم من بعيد فجاء السلطان وأهله فهم كذلك والمقدم شيحة مقبل فحكى له السلطان على ماجرى فقال شيحة إذا كان إبراهيم هنا ومريم عنده وحاجتكم قضيت فما معنى التمادى فيه فقال شيحة وأنت طلبته فقال لا فقال السلطان أريد أن أقطع الشك وآخذه قهرا إن أبى أو أراد فقال شيحة سر معى ثم ان شيحة أخذ السلطان ودخل الديوان وتقدم شيحة وقال يا قان الزمان احكم بينى وبين أخى هذا وهو أن لى معه مدة طويلة وحصل منه فى حقى أذية مرارا عديدة فجفيته وقلت ربى أكرم فتبعت باب المولى وتركته فاتانى يرضينى فقال ابراهيم لم تروح فقال بينى وبينه سابق العهد والميثاق ولم أقدر أخالفه فقال ابراهيم إذا كان هو الباغى فلا تخف من العهد ولا يضر إلا الذى خانه فقال له شيحة لكن هنا حاجة توقفنى وهو كما قيل من استرضى ولم يرض فهو جبار ومن استغضب ولم يغضب فهو حمار فقال إبراهيم إن كان كذلك فيجب عليك ان تراعيه وتحفظ حرمته وتكون من تحت طاعته فقال له شيحة قل لنفسك وقم على حيلك واحفظ قدر أمير المؤمنين واتبعه حتى يتوجه إلى بلاده والزم أدبك فان مقامك عند السلطان كبير ليس صغير فقال ابراهيم يا حاج شيحة انا ليس لى صبر ان اتخلف عن خدمة السلطان وأنا على علمك انى رجل صاحب عيال وهذه المدة التى تغربت فيها لاد رعلى مريم الحقى ايش تقول فى جامكيتها فقال شيحة ومن الذى يقطع جامكيتك اما انت غائب فى خدمته فقال ابراهيم وأنا إخدامه ان شاء يصبغنى عبد أو يبعنى فليس أحد يعارضه فى ولا أنا عن يعز نفسه على خدمة أمير المؤمنين فقال شيحة

قم على حيلك وافعل الواجب عليك فقام ابراهيم وقبل ايادى السلطان وسلم على الملك عرنوس وأخذهم وطلع بهم الى السراية وأراه مريم الحقى فسلمت على أبيها وعلى السلطان وشيحة وحكت للسلطان بما وقع لها وماقاسى المقدم ابراهيم من أجلها وباتوا ينقشوا ألوان الحظ على بساط الانشراح وثانى الايام جمع ابراهيم كل ما كان مدخر فى القلعة وقال للوزير اعلم انى أناقاصد الحج الى بيت الله الحرام صحبة هؤلاء وأنت نائب من قبلى على البلاد تجمع ايرادها وتنفق منه جماكى الدولة والخدام وباقى الايراد يحفظ فى الخزنة لاتسلمه لاحد الا بخطاب بختم ملك الاسلام الملك الظاهر فقال الوزير ياقان الزمان سمعا وطاعة وثانى الايام احضر ابراهيم البنات والبسهم لباس مماليك وأركبهم خيل وكذلك الملكة مريم الحقى ركبت على جواد من ارق الخيل الجياد وحملوا المال على الجمال وحضرت بنواسماعيل وركبوا أرباب الدولة يودعوا القان هلاوون فرأوا الرجال والسلطان بينهم فعرفوا المعنى فعندها تقدموا الوزير الى القان ابراهيم وقال ان هذا قان العرب وهؤلاء رجاله فقال ابراهيم ياوزير الزمان وأنامن خدامه وكنت غضبت وأتى فى طلبى فاحفظ ياوزير ما أمرتك به فقال سمعا وطاعة ثم انه تودع منه وسافر مع السلطان حتى وصل الشام فقال ابراهيم لما أوصل المال والبنات الى قلعة حوران فقال السلطان لم أمنعك من المال وأما البنات يروحوا معنا مصروكل من تتزوج نعطيك مهرها فقال كل واحد بالف دينار فقال له لك ذلك وسلم ابراهيم المال الى على ابن الشباح بكتاب لابيه وسار هو مع السلطان والملك عرنوس حتى وصلوا مصر وطلع السلطان الى قلعة الجبل ودخل البنات سرايته وعمل الفرح للملكة مريم وقال يا ابراهيم أنت الغفير عليها حتى يدخل بها أخى فقال ابراهيم سمعا وطاعة وتولى ابراهيم المحافظة عليها الى ليلة الدخلة راح تقطمر وصلى العشا فى الحسين وأقبل فالتقاه ابراهيم وحط يده على الفاكرية وقال ياقلها من ليلة فناوله تقطمر عقد جوهر ثمين وسيفه المجوهر فقال له ابراهيم آخذهم أناحق نعمى على السلطان فأمر له السلطان نصرف كلما هو متأخر ولابنه وأخيه جماكى مدة ماكان غائب ومدة ما كان حاضر وجهز للبنات كل ما يلزم للبنات على طرف السلطان فدعى ابراهيم للسلطان وأنعم عرنوس على ابراهيم واستسمحه ودخل تقطمر على مريم وتملى بحسنها وجمالها فوجدها درة لم تثقب ومطية المهرة لم تركب فتملى بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها تخلف منه غلام وسميه أحمد العزيز أول ولادتها يتوفى أيام رضاعه وتاتى ببنت وتسميها فاطمة الفتنة ثم تحاف ولدا يسمى سعد منيته قصيرة يزن وعمره شهرين ويدفن بجوار الامام وتطلع امه تزور

تربيه وأخو العزيز معها يقف يلعب مع الخدام وامه داخل المدفن ويحتال عليه جوان فيذبح الخدام ويسرقه يكون له كلام فى ظهوره وكذلك البنت فاطمة الفتنة تنسرق ويتبع أثرها ابراهيم بن حسن ويتعب فى خلاصها تعب شديد اكثر مما قاسى فى امها يكون له كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه [قال الراوى] وقد أقام السلطان على تخت مصر يتعاطى القصص ويزيل الغصص ويحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبى جد الاشراف الى يوم تحدث السلطان مع الوزير فى عقبلات الدنيا والخلف فقال الوزير يا ملك أنا من خدامك وانعمى على جنابك فقال السلطان أنت عندى فى مقام الاب ولست وزير وانما الوزارة مرتبة فقط فقال الوزير اذا كان كذلك أرجو أن يكون ولدى تابع لنجلك متشرف بثوب الوزارة يعنى كما أنى معك يكون ولدى مع ولدك فقال السلطان وهو كذلك وولى حمد اسكندرون وجعله وزير السعيد ونزلى بالتكرك فى موكب عظيم وعظموا قدره الامراء وصاروا يعملوا له عزومات وآخر من عزمه الامير شاه برطق ولما دخل بيته ووضع السماط فاقبلت بنت الامير الى عل ابيها وهى تظن أنه قاعد وحده فدخلت على المكشوف فرأت ابن الوزير فعادت من حيث أتت ولكن تولع بها وكتم سره ولما عاد الى بيت أبيه ارتمى على الفراش وامتزج جسمه بالهوى وقعد أربعة أيام وهو عادم الطعام والمنام فبلغ الخبر الى أبيه فاتى اليه وسأله فقال يا أبى انى مغرم ببنت الامير شاه برطق فقال يا ولدى سأخطبها لك من أبيها [واعجب ماوقع] ان البنت كان خاطبها ايدمر بواسطة السلطان فلما كان ذلك اليوم أراد الملك ان يعقد العقد عليها لايدمر والتفت للقاضى وقال له اكتب يا قاضى الكتاب فانكتب حالا وعلم الوزير ان الكلام لايفيد وان ولده لايرتاح وأما السلطان فعمل الفرح وليلة الدخلة أراد ان يدخل عليها [باسادة] وأما ابن الوزير فدخل على أيدمر من جملة الداخلين فتلقاه الحاضرون من الامراء وهم فى حظهم فالتفت الى أيدمر وقال يا كلب المماليك أتتزوج بامرأتى فقال له متى تزوجتها هذه بكرة فقال له ايش أنا مجنون وضربه بالسيف ولكن أيدمر مسارع فزاغ عن الطش وهو يضربه الى عشرين شىء صاب وشىء خاب فقال الحاضرون مات ايدمر وذهب أحد الى بيت أبيه كالمجنون وأما أيدمر فوضعوه فى تابوت وشالوه الى الديوان ووضعوه قدام السلطان وحكوا له على مافعل ابن الوزير فغضب وقال انزل هاته يا ابراهيم فقال حاضر وغمز ابن الصباح وذهبا جريا الى البساتين وأعلموا الاغاشاهين فركب هو وابنه وخرجوا من مصر هاربين وعاد ابراهيم الى السلطان وقال ماوجدته يا ملك فقال كان غرضى كبس بيته

فقال ابراهيم ان هذا لم يسبق ولكن سيف السلطان طويل فامر بالمناداة عليه لاحضاره وأما الوزير فقعد يوبخ ولده وقال اذهب بنا لرجل عمرى ماعملت معه ولابيه طيب وهو احمد بن أبيك فساروا ودخلوا عليه بصفة قواسه

فقال احمد مالكم فقال الوزير سؤال سرا فاخذهم واختلى بهم فاعلمه الوزير بنفسه وولده فقال مرحبا على الرأس والعين فشكره الوزير على ذلك واخلى له ولابنه قاعة ورتب لهم كل ما يلزم ورجع لخدمة السلطان [ياسادة] إلى يوم استوحش الوزير وأرسل لابيدمر فوجده قد طاب فقال السلطان كل من أتانى بالوزير له على تمنية فأجاب احمد بن أبيك بعد ما وقف على قدميه وقال يا ملك الاسلام الوزير وابنه عنده ونحن كلنا تحت حكمك فكتب له السلطان تذكرة وختمها بختم الامان وقال لاحمد خذ هذا ختم الامان انزل هات الوزير فقال سمعا وطاعة ثم أن أحمد أخذ ختم الامان وسار إلى مكانه وسلمه للوزير فركب وطلع إلى الديوان وخدم ودعى للسلطان بدوام العز والنعم فأمر له بالجلوس فى مرتبته وعاتب أحمد على فعله فقال ياملك أنا كنت سكران فقال جئت بعذر اقبح ثم أمر بضربه وحبسه وعند الصباح اتوا السجانة والحديد مكسور واعلموه بعدم ابن الوزير من السجن وورقة وجدناها عنه فأخذ الورقة وإذا بها تطلبنى بالامان وتخوننى فانا أخذت ولدى وكل ما تقدم عليه احمد فاغتاظ وقال ياإبراهيم هات الوزير فقال حاضر اسبقنى ياعيسى على بحر بلاده وهات حجرتى ياعلى وركب إبراهيم وفعل كما فعل وعاد أخبر السلطان فقال أنا خفيف العقل الذى أرسلك فقال ابراهيم أنالست بمنافق على المملكة والا الوزير ولكنه ليس فى بيته فسكت السلطان

[قال الراوى] وكان السبب فى عدم احمد سكندرون جوان لانه كان فى مصر مقيم حلته ووقف فى الديوان ونظر الفتنة الذى جرت واحمد سكندرون لما ضربه السلطان وسجنه فصبر إلى الليل ونزل على السجن بنج أحمد وسرقه ووضع الورقة مكانه وطلع بها إلى البر وفيقه من البنج فنظر أحمد نفسه مع جوان فقال له ياجوان لاى شيء سرقتنى وايش مرادك بذلك فقال جوان أنا يصعب على كون أبوك هو ربى زين المسلمين وعلى قدره وانقذه من المكايد كذا وكذا ولم يراعى حرمته لما بقى وزير فى خدمته وأنا لما رأيت هذه الفعال فما قدرت أن أصبر فنزلت عليك أخذتك ومرادى ان أقوم معك ملوك النصارى بعساكر لاتعد ولا تحصى حتى إذا رأى الملك نفسه ذل وثقلت عليه الحروب يرسل اليك ويطلبك للصلح فلا تصطلح حتى انه يعطيك ذاك البنت بالكتاب والسنة وان لم يرضى ولا تصطلح الا على غرض

نفسك فقال أحد يا جوان كلما تملته أناوياك فيه فأخذه معزز مكرم بعد ماكتب ورقة ورماها فى السجن كما ذكرنا

[قال الراوى] وسار به إلى بلاد الروم ودخل على البب دردريك وقال ياولدى ان المسيح يأمرك بالغزو فى دينه وأماقعادك حرام وهذا العام يكون النصر كله للروم وأنا لما عرفت ذلك أحضرت لك أحد سكندرون بن الوزير ليكون معك على قتال المسلمين ويتبعه أبوه لاجله ومرادى أن تركب أنت ويكون هو فى صحبتك إذا رأوه الأمراء فالذى له غرض يتبعه ويأتى معه والذى لم يأت بالرضى يجيبه غصبا من الميدان حتى تأخذ كل المسلمين وتملك بلادهم بذلك التدبير [ياسادة ياكرام] ولم يزل جوان يغرى البب دردريك الركوب حتى نعم وأجاب وجمع عسكره وعنابيره وبرز من بلاده وأعرض عساكره وأجناده فكان عدة من يتبعه من عساكره تسعون ألف كافر وانفردت العنابير وتمت العساكر مواكب وساروا حتى أتوا الى حلب ونظر عماد الدين أبو الجيش باشة حلب إلى تلك العساكر التى لا تحصى ولا تعد فخاف على مدينة حلب أن يأخذوها الكفار فقفل أبواب حلب وأقام الحصار وحصن الابراج والاسوار وزد العدو بضرب المدافع منعهم عن قدر رمى النار وأرسل الجواسيس أخذت أخبار العرض وكتب كتاب بما جرى وأعطاه انجاب وقال له سلمه للسلطان فسار النجاب إلى مصر ياكرام فبينما الملك جالس والنجاب طالع يقول نعم ياأميرالمؤمنين أمدك الله بالعمر الطويل كما أمد نورحا بمصر نال فيه شفا فقال السلطان من أين قال من حلب ومعى كتاب وفيه كل الامور والاسباب فأخذ المقدم إبراهيم الكتاب وسلمه لمن يقرأه ففتحه لينظر ما فيه وإذا فيه

ان الذى كتب الكتاب بيده   يقرى السلام على الذى يقرأه
وعلى الذى يقرأه ألف تحية   ممزوجة بالمسك حين يراه

من حضرة العبد الاصغر والمحب الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب الى بين أيادى سيدملوك بنى آدم رجل الله فى العالم وهو أننا يوم تاريخ الكتاب مقيمين هو علينا عسكر وأى عسكر ضرب طبله ونقر الحصار وضربنا المدافع فى الاسوار منعنا العدو على قدر رمى النار وكشفنا الجاسوس فرأينا البب دردريك وهو قادم بتسعين ألف كافر افرنك وروح وصحبته جوان والبرتقش ومحاصرين علينا البلاد وكل محاصر خوذا كنا بسيفك المسدد وجوادك الميمون فاننا فى ريب المنون أدركنا والا ما لنا من يدركنا الامر أمرك أطال المولى فى عمرك والسلام فقال الملك هيا تبرز برز العساكر سائر الملك الاهام وأمر سعد أن يجمع الرجال ويلحقه على حلب

وشال من الهام وسار حتى حكم حلب ولحقته الفداوية وتكامل عرضى الملك وكتب كتاب وأرسل مع المقدم إبراهيم وقال له انظر ان كان احمد بن الوزير معهم أولا فقال سمعا وطاعة وسار إبراهيم وأعطى دردريك الكتاب بعد ماتهدد عليه فقرأ الكتاب دردريك بعد كلام الملك إيش الذى أغراك ياملعون حتى أتيت بهذه العساكر وصلت بها إلى بلاد الاسلام ولكن هذا يدل على أن الله تعالى أزال ملكك من يدك على يدى فان أردت السلامة والنجاة من العدم تقبض على جوان وتضعه فى الحديد تأتى به إلى عندى وان كان عندك أحمد بن الوزير تحضره معك وتأتى وسيفك فى رقبتك حتى أحاسبك على كلفة الركبة أوأبايعك نفسك بالمال واضرب عليك الجزية فان فعلت ذلك نجوت وإن خالفت فمالك إلا ... يكون جزاءك والسيف واصدق أنبأ من الكتاب وحامل الاحرف كفاية كل خبر والسلام . فلما سمع البب دردريك ما فى الكتاب التفت الى جوان وقال ياأبانا خذ كتاب رين المسلمين شوفه فقال جوان أشوف فيه ايه أنا عارفه وهو كذا وكذا فقال له البب دردريك كيف الرأى فقال جوان اكتب له بالحرب فكتب رد الجواب بالحرب وأعطاه لابراهيم فطلب حق الطريق فاعطاه ألف دينار وكان ابراهيم نظر لابن الوزير أحمد سكندرون فسار حتى وصل الى الملك وأعطاه مكتوبه ورد الجواب سالم وقال يادولتلى رأيت أحمد سكندرون بن الوزير مقيم عند ذلك الملعون فقال الملك ماعلينا وأبوه رأيته معه فقال لايادولتلى أبوه ما رأيته فأمر الملك بدق الطبل حربى فجاوبته طبول الكفار ولما كان عند الصباح اصطفت الصفوف وتحضرت المئات والالوف وبرز من عرضى النصارى فارس وطلب الميدان فنزل له الامير قلاوون الالفى وقاتله أتعبه وأكربه وضربه بالحسام على الهامة أطاح رأسه قدامه والثانى والثالث إلى آخر النهار قتل ثلاثين وأسر عشرين وثانى الايام نزل من الفداوية حسن النسر بن عجبور قاتل الافرنج الى آخر النهار قتل خمسة وأربعين وأسر ثلاثين وهكذا الحرب مدة أربعين يوم براز قتل الكفار ثلاثة آلاف فارس أجلاد من المعدودين للحرب والجلاد فشكت النصارى لجوان عجزهم عن الميدان فأراد أن يخدعهم بالبهتان فلم يقبلوا كلامه فقال لاحمد سكندرون هنا فرجنا على مروءتك فنزل وقاتل أسر من الامراء خمسة عشر وخرج من الفداوية سبعة فى ظرف ثلاثة أيام وكلما نظر إبراهيم بن حسن أحوال يفرح بفعاله . فلما رأى الملك ذلك قال يا إبراهيم مرادى أحمد سكندرون فقال إبراهيم بكرة يادولتلى فلما كان عند الصباح ونزل أحمد الى الميدان وصاح بعلو مخه وقال ياعساكر دين الاسلام أنا أحمد سكندرون كل من برز لى اسقيه كاس المنون فما تم كلامه الا وخياله مقبل من

البر راكب على جواد أدهم كأنه ذكر النعام وضارب على وجهه اللثام ولطم أحمد سكندرون لطمة مكدرة تتبعه باع وذراع إلى وراء وهجم عليه ولاصقه وضايقه وسد عليه طرايقه واتعبه واكربه ومسك فى خناقه كاد ان يخرج اصداغه وجذبه من بحر سرجه واخذه اسيرا ذليلا حقيرا ومادام به على زنده حتى وضعه قدام السلطان وقال له يادولتلى دونك وولدى افعل به ماترى فانا وابى لك من جملة العبيد وكشف عن وجهه اللثام ونظره السلطان واذا به الوزير الاعظم الاغاشاهين الافرم بن عثمان بك فلما نظره السلطان ونظر الى ابيه حين اسره وقدمه بين يديه فقال ضعوا كرسى الوزير بن الوزير يعنى والوزير الصغير ومرحبا به لو ما فعل يكرم واما أنت يا وزيرى فاقعد مكانك فقعد الوزير فى مكانه والتفت الملك لاحمد سكندرون وقال له أنت وزير وابن وزير كيف غرك الشيطان حتى انك طاوعت جوان واعتمد على أن تقاتل الاسلام مع أن مرتبة الوزيرة اقوى للاسلام من مرتبة السلطان لان السلطان اسم وأما قطع الحكم والتدبير فهو للوزير

فقال أحمد يا ملك الاسلام اعلم أن قلبى تعلق ببنت الامير شاه وتعلقت آمالى انى إذا فعلت ذلك أخذها وها أنا يا ملك بين يديك فقال ايدمر البهلوان هاه بكره بعض شاه يقول طلقها

[قال الراوى] وأما البب دردريك لما نظر الى أحمد سكندرون وقد أخذ من الميدان فالتفت الى جوان وقال له كذا يا جوان قعدت تغرينى حتى أوقفتنى قدام رب المسلمين للحرب والمسلم الذى قلت لى عنده انه ينفع أخذوه المسلمون فقل كيف العمل اقبضك اوديك لملك المسلمين واشترى نفسى منه بك او دبر لى حيلة على خلاصى من يديه

فقال جوان أنا اجيب لك من يأتى الى المسلمين ويهلك كبارهم وصغارهم فقال من قال جوان أنا عارف وقام على حيله كتب كتاب وسلمه للبرتقش وقال له وديه الى البب عبد الصليب صاحب قلاع الملايا فأخذ الكتاب البرتقش وسار الى عبد الصليب وناوله الكتاب ففرده يجد فيه بالصليب وما صلب عليه ونحن نوحد القديم المجيد ونؤمن برسوله ونصلى عليه

أما بعد فمن حضرة جوان الى عبد الصليب حال وصول هذا الكتاب تحضر عندى على حلب فان البب دردريك قدام ملك المسلمين فى الحرب

والقتال فالعجل العجل وشكو يارب المسيح فلما قرأ الكتاب قال يا برتقش يبقى جوابه ما ارسل لى الا وهو مرتوق مع رين المسلمين وانا المسلمون لم يحاربونى ولا طلبونى ولو كان بدله مار كب للبب دردريك جانى أنا كنت كفيته مؤنة المسلمين فأنا يا برتقش لم أقاتل المسلمين الذين لم يقاتلونى ولا طلبونى فلما سمع البرتقش ذلك الكلام تأمل فى وجهه وقال يا مقدم عبد الصليب انت ابن الدير فقال البرتقش متى سمعت ان الدير يولد بنى آدم أظن أن لك أبا من الناس والمسلمون هم الذين قتلوه حين كانت أمك حاملة بك فسموك ابن الدير فقام عبد الصليب ودخل على أمه ويده على سلته تنفذ فى الحجر وقال لها وحق رب المسيح إن لم تقولى لى على الذى قتل أبى والا أضربك فى صدرك أنفذها من ظهرك فقالت له أبوك قتله شيحة لكن أنت تقدر تفعل بشيحة مثل ما فعل بأبيك .

تم الجزء السابع والثلاثون ويليه الجزء الثامن والثلاثون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثامن والثلاثون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فقال لها وايش فعل شيحة فقالت له على ما سمعت أن أباك قتل أبا شيحة فى الأول فلما كبر شيحة قامت أمه أعلمته فجاء شيحة وتحايل على أبيك وأخذه بالحياة وأعطاه لأمه قتلته بيدها فان كنت أنت ابنى وفيك شطارة تاتى لى بشيحة هنا تقتله قدامى لأجل أن آخذ من دمه وهو سخن وأحطه على الجرح الذى جرحه لى لأجل أن يطيب لأنه بعدما قتل أباك دخل على هنا وأنا قاعدة وحدى فضربنى بفرخ نشاب فجرحنى وجميع الجروح تطيب الا هذا الجرح لم يطب الا بالسلاح الذى انجرح به فانا على كل حال طالبة شيحة أولا أداوى جرحى لى بالفرخ النشاب الذى جرحنى به وثانيا أقتله بيدى حتى يبرد قلبى على أبيك الذى قتله فقال لها مرحبا بك ونزل المقدم عبد الصليب وركب وسار مع البرتقش حتى وصل الى حلب ودخل على البب دردربك وجوان فقام له جوان واستقبله وقال له يا ولدى أنت مكتوب على جبينك نصرة الكرستيان حتى يقبلك المسيح قال سمعا وطاعة وثانى الأيام ركب ونزل الميدان ونادى وقال مسلمين دونكم والقتال والطعن والنزال فصارت تبرز له الأمراء واحدا بعد واحد وهو تارة يأسرهم وتارة يخرج منهم حتى ان الأمراء ضجت فقال الملك أين المقدم ابراهيم فقال نعم ياملك الاسلام فقال له انزل هات هذا الولد النصرانى فقال ابراهيم على الرأس والعين ياملك الاسلام

اتخذنى كدرع داود حصينا ولا تصغ لفتنة العنكبوت
والفتى فى اللظا فان غيرنى عنك يوما فلست بالياقوت

هات حجرتى يا ابن الشباح وركب المقدم ابراهيم وأراد أن ينزل الميدان والغبار ثار وعلى وتكدر وانكشف وبان عن خيل تقطع الأرض ويقدمهم خيال فنزل الى الميدان ولطم عبد الصليب وضايقه ولاصقه وتفاق فى جلباب درعه وعصره على نخناقه

كاد أن يطير مقل احداقه وجذبه وأخذه على زنده وعاد به من الميدان ووضعه قدام السلطان قال الملك كاس وإذا بالمقدم جمال الدين اقبل ونظر إلى أخذ الغلام فقال ياملك الاسلام الولد فى الخلقة يشابه أولادى وأنا قلبى عليه رءوف وإذا بالسابق مقبل وقال أما هو ابنك راخى فقال شيحة من أين عرفت فقال ياأبى أنا كنت فى عسكر دردريك ورأيت جوان أرسل البرتقش إلى قلعة الطوبرد يأتى بذلك الغلام فلما طلع ذلك الغلام دخلت أنا أورد القلعة ودخلت السراية لقيت أمه تتضرع إلى الله وتقول إلهى وسيدى ورجائى ان تهدى على ولدى لدين الاسلام ولا تميته على الكفر ياعزيز ياعلام فقلت لها من هو ولدك فقالت لى وأنت من فقلت لها أنا السابق بن شيحة فقالت وأنا زوجة شيحة بنت الطوبرد أخذنى بالكتاب من بعد ما أسلمت على يده وهذا ولده واسمه على فلما سمعت ذلك أخذتها ليلا وأتيت وهذه أمه وهو على ابنك فقال شيحة يا بنى هذه أمك وأنا أبوك فان كنت يا ولدى تتبع دين الاسلام تكون معى على الكفرة اللئام فعند ذلك أسلم وسموه على الطوبرد فقال ابراهيم يا حاج شيحة هذا يكون مشدودى بخلاف أولادك لكونه بركب الخيل وكامة عزومته على فقال شيحة وهو لك ياأبا خليل لكن بعد ما أكسر لكم الركبة هذه فى هذه الليلة وطلع المقدم جمال الدين اندك على عرضى الكفار فرأى دردريك قاعد ووزراؤه حوله يتشاورون فادغر عليهم البنج وحلق دقن جوان وحطها على صدر البرتقش وذبح كل من حول البب دردريك وكتب تذكرة وعلقها فى رقبة البب دردريك ونزل من عندهم وأتى للملك وعاد الصباح قام العسكر ينتظر البب والوزراء وجوان فلم يطلعوا من الصيوان فدخلوا فوجدوا الوزراء مذبوحين وجوان دقنه عارقة وعلى صدر البب ورقة ففيقوه وأخذ التذكرة يجد فيها من حضرة جمال الدين إلى الملعون دردريك يا ملعون أنا أتيت لك فى هذه الليلة والمراد أنك تضرب جوان الف وتطرده من العرضى وتشيل من وقتك وساعتك وتفوت خيامك وحملتك غنيمة للاسلام وان خالفت فالليلة الآتية آتيك واقطع راسك السلطان بدور السيف فى كل من كان حولك أعلمتك وانت أخبر بنفسك فعند ذلك أتى بجوان وضربه الف كرباج وأمر العساكر أن تركب الخيل جرايد ويتركون الحملة ويطلبون بلادهم وقال يا جوان وحق من خلقنى وخلقك وخلق المسيح ان دخلت بلدى لأقطعك أنت والبرتقش بالسيف فلا تورينى وجهك وتعرينى على خراب بلادى ثم انه ركب وسار طالب بلاده وترك كلما وراءه من ثقل وخيام وزخرة وعليق لم ياخذ من ذلك شىء نهذا يروح بلاده ويجمع الخراج ويرسله للسلطان يطلب المسامحة ويعتذر له فيسامحه وأما جوان فياخذه البرتقش والسلطان أمر عساكر الاسلام لم

الغنيمة التي تركوها الكفار وركب الملك الظاهر من على حلب يطلب مصر وقبل أن يركب تقدم له ابراهيم وقال يا دولتلي تصدى تشرفنى فى حوران حتى أشد المقدم على الطويرد ويكون بحضرتك لأنى تولع قلبي بحب هذا الصبي والمتقدمين قبلنا يقولون

لا يعار ولا ندم سعى الموالى إلى الخدم

فقال الملك وهو كذلك سيروا على حوران فسار العرضى حتى حط على قلعة حوران وعمل شنك لقدوم السلطان وأخرج ابراهيم الاقامات والعلوفات من حوران مايقوم بالعرضى وذبح أغنام ودارت المطابخ وحلف المقدم ابراهيم برأس الملك الظاهر أن لا يطلع أحد من عنده شيء لا لماكول ولا لركوب إلا من عند ابراهيم ونقلت الرواة أن ابراهيم كفى العرضى سبعة أيام تمام وكان الذى اجتمع على حوران من الأمراء وتوابعهم تسعين الف وأكرادو نوابهم ثلاثين الف ومماليك مخصوصين بالركوب خلف السلطان أصحاب المراتب ستين الف والرجال الفداوية مائة وعشرون الف وأما توابع الوزير الأعظم والوزير تقطمر عشرين الف والملك عرنوس ومن بصحبته وأتباعهم فكان الذى اجتمع على حوران ثلاثمائة الف خلاف أهل حوران وقام المقدم سليمان الجاموسى وفتح بساط الطريق وشد المقدم على الطويرد للمقدم ابراهيم بن حسن الحورانى ولما كان فى اليوم الثامن بعد ما فرغوا من الحزام والشد اراد المقدم على الطويرد يركب ويتسلى بالصيد فركب على ظهر حجرته واشتغل ذلك النهار بالصيد وحين عودته قاصد قلعة حوران وإذا به رأى خيال مقبل من البر وصاح عليه وقال له من الذى اقدمك على هذا المكان تصطاد اما علمت ان هذه الأرض للمقدمة فاطمة الحورانية بنت حسن الحورانى فكيف لك مقدره أن تدخل ارضنا بغير اجازة من اهلها فقال المقدم على يامقدمة أنا لست بغريب لأنى انا على الطويرد بن المقدم جمال الدين شيحة وثانيا انى صرت مشدود اخوكى المقدم ابراهيم بن حسن فقالت له حيث انك ابن سلطاننا فانت الحاكم على ارضنا وبلادنا واموالنا وهى طاعة الخوند إلى ابيك وعندما ضربت الاطاعة نزل البرقع عن وجهها فبان عن وجه كدايرة القمر ليلة تمامه وعيون كل من نظرهم ازداد به هيامه فقال المقدم على آه فقالت له فاطمة سلامتك يا نور العيون لا تقل آه فان كنت انت حبيبى فانا والاسم الأعظم حبيبتك لا تخف روحى انا لك الفدى وتحدثوا مع بعضهم وتحكم عليهم سلطان الهوى وبعد ذلك افترقوا بعلة ليس لها دواء ولما دخل المقدم على الطويرد اعلم المقدم جمال الدين شيحة قال له يا ابى انا تولعت بحب فاطمة الحورانية وانا فى عرضك يا ابى تسبب لى فى زوجها فقال شيحة مرحبا بك وأرسل حالا أحضر ابراهيم بن حسن وقال له اعلم ان المقدم على ابنى من الصغر وقد صار ابنك بالمهد ولكن تولعت آماله بحب اختك

فاطمة الحورانية وأريد أن تكون معي ونزوجها له فكيف العمل فقال المقدم ابراهيم هذا شيء ليس فيه ضرر لأن المقدم علي ليس بغريب أولا ابن سلطاننا وثانيا انعقد بناته معنا فلم يمنعه عن زواجها إلا شيء واحد وهو انه لابد له من اسرها فقال شيحة من جهة أسرها هذه أقرب مايكون لأنه إذا كان لها الغرض يبقى أسرها قريب كما قال القائل من السعاده أن تحب وأن تحب وأن يحبك من تحبه ومن الشقاوة ان تحب ولا تحب ولا يحبك من تحب .

[قال الراوي] ثم قال المقدم جمال الدين وانت ياابا خليل يجب عليك أن تساعد ولدك فقال على الرأس والعين ولما كان تلك الليلة طلب المقدم إبراهيم أخته فاطمة في قاعته وقال لها يافاطمة الحرمة إذا عاشت على قدر ما عاشت لابد لها من الزواج وقد طلبك مني الحاج شيحة لابنه وابني المقدم على الطويرد والله يا اختي ماهو إلا واحد زمانه وفريد عصره وأوانه وأنا مرادي منك انك تقبلي سؤالي وأزوجك هذا المقدم الذي لا نظير له بين الأنام فقالت فاطمة يا أخي إذا كان فيه لياقة انه يقهرني عند القراع أكون له ضجيعة ولقوله سامعة مطيعة

فقال لها ابراهيم في غداة غد تنزلي إلى الميدان ومقاومة الفرسان وأنا آمره أن ينزل اليك والله يفعل مايشاء ولما كان عند الصباح ركبت وبرزت الى الميدان وطلبت المقدم على الطويرد فقال إبراهيم ياحاج شيحة امره ينزل ويأسرها فاذا فعل ذلك فهذا مهرنا في بلادنا فما تم كلامه حتى خرج المقدم على الطويرد وانطبق على فاطمة فما كانت الا قدر ساعة حتى جذبها من خناقها ورجلها وقال اشهدوا لي يابني اسماعيل فقالوا الرجال تستاهل وقال لها عودي إلى خدرك ما بقيتي تركي فقالت سمعا وطاعة ثم ان المقدم على الطويرد اقبل قدام السلطان وهو فرحان وقبل الأرض وطلب فاطمة من المقدم حسن الحوراني فوجب الزواج وأمهرها المقدم جمال الدين بمهر على قدر مقام ولده وشرعوا في فرح سبعة أيام ودخل المقدم على الطويرد على فاطمة الحورانية يجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ماركبت تملي بحسنها وجمالها وأما والدته أرادت أن تسير مع ابيه فقال لها الا يمكن ان تكوني الا معي ايما كنت لأن اني متزوج بغيرك واما أنا فلم اجد والدة غيرك واني سامحني في ذلك وزوجتي ان كان تحفظ خاطري تراعي والدتي فقالت فاطمة يا سيدي هي صاحبة الأمر والنهي وانا جارية لها [قال الراوي] وبعد ذلك أراد السلطان أن يخفف عن ابراهيم الكلف وأمر بالرحيل وشال طالب مصر وفي ايام قلائل وصل الى العادلية وزينت مصر بغير مناداة وانعقد المركب بسماة الركاب ومشى

على الطوبرد مع المقدم ابراهيم عن يمين السلطان حتى طلع لقلعة الجبل وجلس يعاطى القصص ويزيل الغصص ويحكم بالعدل والانصاف كما امر النبي جد الاشراف

[قال الراوى] فأقبل نجاب حلب بكتاب أخذه ابراهيم وأعطاه لقارى الديوان فقرأه يجد فيه من حضره باشة حلب الى بين ايادى الملك فى يوم تاريخه ركب علينا كافر يقال له البب الكندفرون المتمسح ومعه عساكر لاتعد صحبته جوان والبرتقش فالعجل يا ملك الاسلام ادركنا أو ارسل لنا من يدركنا الأمر أمرك أطال الله فى عمرك والسلام على النبي البدر التام فلما عرف الملك مضمون الكتاب أمر العساكر بالتبريز الى العادلية ثلاثة ايام وحط على الشام جمع الفداوية وسار الى حلب ونصب عرضيه قدام عرضى الكندفرون وبات الملك وأصبح كتب كتاب واعطاه لابراهيم وقال خذ هذا واعطيه الكندفرون وهات رد الجواب فقال سمعا وطاعة .

اكتب كتابك أسافر بها والقط   واشط بالسيف اعناق الاعادى شط
واقول لفرعة دماغى قبل ما تنقط   اكثر من الموت لم يجرى على قط

اكتب يا دولتلى كتابك وانا اوديه لخصمك وآتيك منه برد الجواب فاعطاه الملك الكتاب فاخذه وسار الى عرضى الكفار وصاح طريق فاخلوا له الطريق ودخل على الكندفرون وقال له قم على حيلك وخذ كتاب الملك بادب واقراه بادب واعطينى رد الجواب بادب وحق الطريق بادب واعلم ان الملك كتبه فى ساعة غضب فاذا اغاظتك كلمة وغزت الكتاب تكن رأسك سابقة له على الارض فقام على حيله واخذ منه الكتاب وقرأه ورماه على طول ذراعه فاغتاظ ابراهيم وضربه بذى الحياة فلم يقطع فيه

فقال له ايش يا حرامى تضربنى فقال ابراهيم انت لاش قطعت كتاب الملك فقال له ويعنى لما ضربتنى ايش نفع ضربك واعما انت نجاب لم يقطر عليك انسان خذ رد جوابك وعد الى ملك المسلمين بامان فقال ابراهيم اذا كان على ماذكرت فاعطنى حق الطريق فاعطاه الف دينار وعاد المقدم ابراهيم الى ان وصل الى الملك

فاعطاه الجواب ورد الجواب بالسلامة فقرأه الملك فوجده بالحرب فمزقه وأمر بدق الطبل حربى فجاوبته طبول الكفار ولما كان ثانى الايام واصطفت الصفوف برز من عرضى البب الكندفرون بطريق وطلب القتال فنزل له ايدمر البهلوان قتله وطلب غيره فنزل الثانى جندله والثالث رحله والرابع فما أمهله وادام الى آخر النهار قتل عشرين واسر ثمانية وثانى يوم الحرب على الفداوية نزل حسن النسر بن عجبور فقاتل ذلك اليوم الى آخر النهار واهلك جما كثيرا من الكفار

وثالث يوم ورابع يوم يمسى المساء والكفار فى أشد الهموم فعند ذلك اشتكوا النصارى لجوان وقالوا له أكثر من خمسة آلاف كافر قتلت وانت ناعد تقول لنا انزلوا الحرب وإيش نايبنا من الحرب الا الانتظار كانك أنت نقمة على ملة النصارى فقال جوان يا بب كندفرون العادة ان الملوك ينزلوا الميدان يحاربوا المسلمين فالواجب عليك تنزل فقال بكرة انزل وفى ثانى الايام نزل البب الكندفرون فاول ما لطمه ايدمر البهلوان قاتله ساعة ثم أخذه أسيرا واخذ بعده عشرين اميرا ورجع وهو يفتخر على النصارى وثانى الايام نزل أسر من الفداوية جماعة وثالث يوم ورابع وخامس وهكذا فشطب كراس الامراء والفداوية أراد الملك يبرز اليه سبقه سبع الاسلام المقدم إبراهيم بن حسن وتقاتل معه لآخر النهار وعاد وهو فى غاية الملل عما جرى له ذالك اليوم وثانى الايام كذلك وثالث لغاية سبعة أيام . ولما كان فى الليلة الثامنة قال السلطان يامقدم إبراهيم ايش حال ذلك الملعون كانك طولت للمقاتل هو افرس منك فقال إبراهيم لا واقه يادولتلي أنا متعجب من ذلك الملعون أنى أضربه بذى الحيات لم يقطع فيه لان عظامه عظم تمساح لم يقطع فيه السلاح فما تم كلامه إلا وشيحة مقبل وقال يا أبا خليل حيرتنا وانت لك سبع جوامك فى باب السلطان وتشتكى من كافر ذليل جبان فقال ابراهيم انا لى سبع جوامك وأنت لك كم جامكية انت واخذ مرتبة لم يسبقك عليها من هو قبلك ولا من هو بعدك وتقول ان الحيل التى عمال تعملها فخر فان كان لك افتخار فى السلطنة وتعطيك الرجال اكفنا شر هذا الكافر حتى تشهدلك بالمروءة فقال شيحة يبقى الذى يقتل لكم هذا الكافر الكندفرون يفتخر عليكم فقال إبراهيم نعم فقال أنا انزل اليه واقتله ولكن اقطع قسمك من الغنيمة فقال ابراهيم رضيت بذلك ولما كان عند الصباح ركبت العساكر وبرز الكندفرون إلى الميدان وطلب الحرب والطعان وإذا بالمقدم جمال الدين مقبل راكب على جواد من أرق الخيل الجياد وعليه سرج من خشب الجميز وركابات من أحبال ليف قدم ولجامه حبل ليف أيضا وفى يده زراقة شوى كانها ثعبان وبرز إلى الكندفرون فلما رآه ظن انه مجنون فقال له ارجع من الميدان واترك هذا الجنان فقال له شيحة دونك والحرب والطعان وخل عنك الهذيان فانطبق الكندفرون عليه وكان إبراهيم بن حسن ناظر اليه فالتفت السلطان وقال يا درلى انظر شيحة كيف رجع إلى أصله لانه بدوى على كل حال وليس له قدرة على الجمال قال له الملك اسكت يامقدم إبراهيم لما تشوف يجرى إيه وأما شيحة فانه صار يحاول الكندفرون واعجب ما وقع وأغرب ما اتفق فى هذا الديوان العجيب أن هذا الكندفرون خلقه الله تعالى مثل خلقة التمساح لم

يقطع فيه مطلقا سلاح وانه ملك جميع جزائر الانكابر ويده تدور على كل من سكن الجزائر وسبب ركوبه على بلاد الاسلام كان الملعون جوان لما حلف عليه البب دردريك وقال ان رأيتك فى بلادى قتلتك أنت والبرتقش فأخذه البرتقش وقال له يا جوان أنت تعلم ان البب دردريك حلف ان وقعت عينه عليك يقتلك ويقتلنى معك وأنا أخاف أن ينتقل من جهة الى جهة فى بلاد الروم فيشوفنا فيقتلنا أنا وأنت فيا تختار أتقيم فى بحيرة بقرة حتى تنقضى الايام ويأتى شيحة يأخذنى ويقطعك والسلام وأنا أقول الكلمة التى تعرف أنى أقولها من كتاب اليونان والآن أردت الجهاد فى المسلمين وليس لك صبر عنهم ابعد بنا عن البلاد التى يحكمها البب دردريك فقال جوان أنا رضيت بذلك وسار به حتى دخلوا جزائر الانكابر وبلغه عن هذا الملك الكندفرون المسيح انه هو الحاكم على هذه الجزائر فارسل البرتقش ينادى قدامه وطلع جوان على أثر البرتقش يقرأ قداس وهو يغلط فيه ويلحن ويستاهل من يلعنه فى الحياة وبعد الممات ولما دخل على البب الكندفرون تلقاه فقعد جوان يبكى قال له البرتقش لاتبكى يا جوان فان الارض لم تحمل بواحد مثلك ملفق من واحد وأربعين قسيس فى ليلة واحدة قال الكندفرون لاى شىء هذا البكا يا أبا جوان فحكى له على أفعال الملك الظاهر بالنصارى وانه أخرب الكنائس وعمر المدارس وأخرب الديور وبناها قصور وأخرب الصوامع وعمر الجوامع والمسيح يامر ملوك النصارى بالجهاد وجعل جوان نائبه على ذلك وأنت يا بب الكندفرون يامرك المسيح ان تركب بعسكره وتاخذنى معك وغلامى البرتقش حتى أفتح لك بلاد المسلمين وتسقى خيلك من الروضة والمقياس ودير النحاس فقم يا ولدى اركب كما أمرنى المسيح ولا تلتزم أخذ بلاد المسلمين الا منى أنا فاستند الكندفرون على كلام جوان لعلمه أنه رأس ملة الكفر وركب بعسكره وسار الى حلب وجرى ما جرى الى آخر يوم الذى نزل فيه شيحة كان الكندفرون ذلك اليوم قال لجوان بخرنى وارقينى واعطينى النفس فقال جوان طيب وأتاه البرتقش بعلبة البخور وأطلق العود القمارى والعنبر الخام والجاوى وأضاف من فوقهم قطعة ودحة أصلها من شعر القعر معزوزة بالبعر وكتم نفسه فوق ذلك حتى تمكن البخور منه وقال له اكتم يا ولدى نفسك حتى يتمكن دخان البخور من جسدك بخرتك ارقيتك أعطيتك النفس لاهناك تصل ولا هنا تعود اركبوه عمرك فرغ وانت معبود اركيوس اركيوس سنانك سوده معكوس انزل الميدان ولا تخشى لجمه فانهار وحلك ما نيها رجعة ولما بخره قصر اجله ونزل الميدان وجاء شيحة كما ذكرنا يقاتله فى ذلك اليوم معه توفيق من الله تعالى ومن زوجته الملكة

فاح ناس وبقى الكندفرون كلما يضرب ... من الضربة بالا ... الى الكندفرون انحمق وشال يده بسيفه واراد أن يضرب شيحة الى بقمة تحت باطه بيضا ... المسيح وانهم لايقتلوا الامن تحت باطهم فزرقه بالزراقة فى تلك العلامة البيضا فدخلت فيها فقطعت امعاءه وتشرمطت أعضاؤه ووقع من على ظهر الجواد الى الارض والمهاد فكبرت الاصنام ونظر جوان الى ذلك الحال والكندفرون مال الى الاوص والرمال فهز الشنانة وحملت النصارى صغيرا وكبيرا فالتقاهم المقدم جمال الدين وحمل المقدم على الطوبردور وركب السلطان وعسكر الاسلام وغنى الحسام الصمصام وأما السابق فترك اباه والسلطان فى القتال ودخل عرضى النصارى أطلق جميع النصارى من فداوية وأمراء وقدم لهم الخيل والعدد وقال لهم هيا ادركوا أبى فى القتال فحملت عصبة الاسلام ودام القتال الى آخر النهار وولت الكفار وطلبوا البرارى والقفار واحتوت الاسلام على خيامهم وأموالهم وخيلهم وسلبهم وكتبت هذه الوقعة للمقدم جمال الدين وفرق الغنايم على المجاهدين وكان قصده المزاح مع ابراهيم لأنه فرق الغنيمة ولم يعط له قسمه فقال ياشيحة قسمى من الغنيمة فقال له وقع الشرط بينى وبينك انى أنزل أقاتل الكندفرون وان قتلته آخذ قسمك من الغنيمة

فقال ابراهيم يبقى أنا أجاهد وابذل روحى للجهاد على عدد الدرج وأنت طول عمرك ماتقاتل زلمة يا قرن تقطع قسمى فى الركبة والاسم الاعظم ان لم آخذ قسمى لم اخدم السلطان وأنا بعت صحبتك فقال شيحة والاسم الاعظم ان بعت صحبتى لايهمك بيع العبيد فقال ابراهيم تقشر طريق وحط يده على شاكريته فاخلوا له الرجال طريق وطلع من الديوان على حماية سيفه فقال سعد ياشيحة أنت مجنون كيف تقطع حق المجاهدين قال شيحة ان كنت ناوى تلحقه وأنا والاسم الاعظم أبيعكم مثل ماتبيعونى فقال سعد الذى يطلع بيدك اعمله وطلع على حمية سيفه وتبع ابراهيم فقال سعد جيت انالم أقعد بلادك ياسعد فساروا الاثنين مع بعضهم طالبين لهم قلعة يقيمون فيها يارق العصيان ثم ان شيحة التفت الى السلطان وقال له توجه الى مصر ولاتلتزم هدمتهم ثانيا وأدبهم الامنى فركب السلطان طالب مصر له كلام يأتى واما ابراهيم وسعد ساروا مسافرين مدة خمسة أيام فنظر ابراهيم شيحة سائرا وحده فتجنب عن الطريق وأخذ عن جهة اليمين وقال ابراهيم ياسعد أنت روح من قدامه قاطعا عليه وأنا من خلفه ولو كان هو طير فماينفذ منا فجرى سعد وقطع عليه وابراهيم زعق من خلفه فين ياقصير فقفز شيحة الى ناحية يمينه وكان بالقرب منه دير فدخله وقفل الباب فقال ابراهيم ياسعد اقعد على الباب وأنا أدخل

الدير اجيبه وطرق باب الدير فقال له بطريق الدير من فقال أنا ابراهيم بن حسن افتح والا اطلع لكم من الصور واقطع رؤوسكم ففتح البطرق باب الدير وقال له أهلا وسهلا بسيدى ابراهيم الحوراني مالك فقال ابراهيم هاتوا شيحة حتى أضيقه فقال البطرق أنت ما أنت مشاركه على طبريه ايش جرى بينك وبينه فقال ابراهيم لا تكثر كلام اطيعه اعصيه هاتوا والسلام فقال البطرق ياسيدى أنتم مسلمون فى بعضكم واحنا مالنا دعوة فيكم الدير قدامك خذ منه كل ما كان خصمك حتى أنا ان كنت تأخذنى حذنى فدخل ابراهيم رفتش جميع المخازن فبينما هو كذلك واذا بشيحة بقلب طابق تارة يرطى رأسه يتدارى وتارة يظهرها فقال ابراهيم اطلع ياقرن فلم يرد عليه فضربه بذى الحياة قطع رأسه فأخدها وقات الجثة فى الدير وطلع لسعد فقال له سعد ايش عملت فقال قطعت رأسه وهاهى جبتها معى وأنا اعمل سلطان القلاع والا ابالى بكل من فى الدنيا فقال سعد يامقدم ابراهيم ان طاوعتنى ترمى هذه الرأس وأترك هذا العجاج احسن تثور علينا نار لا تطفى ويفتح علينا باب لا ينسد من جهة الملك والرجال الفداوية وأولاد شيحة ارميها ونجعل انفسنا ليس معنا خبر ولما يدروا بنوا اسماعيل بموت شيحة يأخذوك ويعملوك سلطانا ثم انهم فاتوا الرأس وراحوا إلى قلعة حوران فدخل ابراهيم وسعد على المقدم حسن الحوراني ففرح بهم وقعدوا مدة عشرة أيام فقال المقدم حسن ياولدى كيف تركت خدمة السلطان فقال ابراهيم تركتها وحكى له على ما جرى فقال له المقدم حسن كذا ياولدى الحاج شيحة له عليك الف جميل اذا لم يعطيك شيئا من الغنيمة بخاطره مسيره يروق ويعطيك أكثر مما يخصك فقال ابراهيم ياأبى نفذ القضا وسكتوا على ذلك الحال مدة ايام إلى يوم قال ابراهيم ياسعد قم بنا نتسلى فى البستان فسار معه حتى عبروا البستان وقعدوا على الفسقية فقال له ابراهيم لما استحمى وقلع ثيابه ونزل الفسقية واستحمى فطلع اعمى لم ينظر ولا كفه فبكى ابراهيم وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم روح بى ياسعد فاخذه سعد وعاد الى القلعة فقال ابراهيم ياسعد دور لى على حكيم فصار سعد كلما يجد حكيم يحضر فلم ينفع وطالت الايام والعمى مر فقال ابراهيم ياسعد حكماء القلاع لم تنفع فقال سعد أنا ادور على حكيم وسافر المقدم سعد إلى الشام فرأى على باب البريد ازدحام فكشف الخبر واذ به واحد كحال يأتيه الاعمى يكحله مرة واحدة فيقوم مفتح فقال سعد هذا المطلوب ووقف سعد ينظر ذلك الحكيم إلى آخر النهار حتى فض من الناس تقدم له سعد وقال له ياحكيم الزمان امشى معى فان عندى رجل اعمى فاذا طيبته اعطيك كل ما تطلب من الاموال فقال له أخى لا يمكن ان اروح

الغنى واترك الفقرا فقال سعد والرأى هذا لم يقدر على المجىء لأن له أعداء كثيرة وان شافوه يقتلونه فقال له أما أوريك بيتى وائت به معك إلى البيت أكحله لك بطيب فخذه وعد به إلى محله فقال سعد هذا رأى طيب فعاد إلى ابراهيم وقال له يا مقدم ابراهيم لقيت لك حكيم وحكى له عليه فقال ابراهيم هيا يا سعد روح بنا اليه فساروا إلى الشام إلى بيت الحكيم وكان سعد وابراهيم لابسين لبس أعجام فلما وصلوا إلى بيت المكحل وجدوه واقفاً ينتظرهم فلما أقبل ابراهيم قال انظرنى يا حكيم فقال له لا تخف وإنما أنت يصلح لك الكحل سبعة أيام كل يوم بتكليف بالف ذهب فقال ابراهيم مرحبا بك خذ كل ما يكفيك فجاء بكحل وكحله فانكشف نظر ابراهيم فقال أما هذا حكيم شاطر هاوت الأمر فقال الحكيم اعطنى الأجرة فقال ابراهيم خذ هذا شربق واحد منى ولما أطيب أعطيك شربق ثانى وان تكلمت رميت رأسك فضحك الحكيم وقال له ياهذا أنا لم اخذ أجرة من أحد وكلامى لك مزاح وأما انا شغلى كله لله تعالى فقط وانا معى صنعة أسبك النحاس يخرج ذهب فقال ابراهيم فرجنى ياحكيم على هذه الصنعة فقال ياهذا خذ هذه خمسة ذهب هات لنا بهم نحاس فاخذ سعد الخمسة محابيب واتى بهم مقدار قنطار نحاس فوضعه الحكيم فى بوطة وأوقد عليه النار حتى انسبك والقى عليه اجزاء فخرج ذهب فلما نظره ابراهيم انجن وقال علمنى هذه الصنعة فقال الحكيم هذه صنعة بلادى والأجزا التى كانت معى فرغت فان كنت تسير معى إلى بلادى اعلمك فقال ابراهيم اروح معك اى محل اردت لأننا احنا الاثنين فى هذه بطالين فقال لهم انتم إيش كانت صنعتكم فقال ابراهيم احنا منا سعاة السلطان وحصلت لنا مشاجرة وحكى له على شيحة وانه قتله وخايف ان السلطان يعلم فيغضب علينا فقال إذا كان كذلك فانتم لا تروحوا معى هكذا يعرفوكم الناس ويعلموا السلطان بتبع اثرنا وإنما انا اسبغكم عبيدا فاذا رآكم احد يقول هذا تاجر وهؤلاء عبيده ونسير إلى جبال المعادن فقال ابراهيم افعل ما تريد فنحن لك اطوع من العبيد فقام فى الحال واحضر اعشاب يعرفها ووضعها فى ندر على النار حتى استوت على حكم طلبه واحضر الاثنين وصبغهم حتى جعلهم عبيد والبسهم لبسا يليق بحالهم وقال لهم اذا جمعنا المعادن التى تكفينا نعود إلى ارضنا ونبقى نسبك من الرصاص يطلع ذهب واحنا مرتاحين بلا تعب فقال ابراهيم ياسيدى علمنى هذه الصنعة حتى اعود ابيض فمتى عرفت هذه الصنعة فانها اكسب من خدمة الظاهر ومن الظاهر فسار بهم إلى السويدية ونزل بهم فى مركب حتى طلع على مدينة قبرص تركهم فى المركب وطلع هو إلى البلد وكانت هذه البلد تشتغل مراسى المراكب فسار

لى رجل كبير على الحدادين فوجده مرتب الكور ستة رجال ينفخوا على الغلية ويقعدون الراحة وتأتى ستة غيرهم من عظم كبر الكور وثقل الحديد الذى يشتغله وأما الذى يدقوا له فأربعون رجلا كل عشرين يدقوا على غلية فقعد وتساير معه وقال له أنا عندى عبدان واحد منهم يقوم مقام الاثنى عشر النفاخين والثانى يقوم مقام الاربعين الدقاقين تشتريهم منى وتعطينى بثمنهم مراسى مشغولة فقال له اشتريهم فعند ذلك أخذه معه الى الخان فرجه عليهم فقال له ومن يقدر عليهم حتى أنه يشغلهم فقال شيحة أنا أعمل لكل واحد طوق فى رقبته بشباحات بولاد يبقى بينهم ويشتغل وان بطل اضربه أنت بالسوط يشتغل فقال ياسيدى افعل ماتريد فعند ذلك أخذ خروف وعاد به إلى المركب وذبحه وسلخه وطبخه وعشاهم تلك الليلة وكان اللحم مشغول فرقدوا فصنع لهم كل واحد طوقا فى وسطه وطوقا فى رقبته بجنازير حديد والبسهم تلك المدة وحملهم على بغلين إلى دكان الحداد ثم انه أوقف كلا منهما فى محل شغله وشحطهم باطراف الحديد وشمهم ضد البنج فنظر إبراهيم وقال والله ياقرن إكان قلبى نافر منك وانك شيحة ولكن الطمع آفة الرجال وأنت عرفت ياقصير كيف أشغلتنى وابن المعادن التى صبغتنى لاجلها فقال له العربى لما تشتغل فى الحديد قدر كام سنة وبعد الحديد تشتغل فى النحاس كام سنة وبعده الرخام كام سنة والقزدير بالمثل فى كل معدن قدر أربعين سنة وبعدها تشتغل فى الفضة مائة سنة وفى الذهب مائة وبعدها أشغلك فى التبر الذى أنت طالبه فبينك وبينه هذه المدة وقدرها أربعمائة سنة حتى تعمل الى التبر فقال إبراهيم وكام سنة بدك تعيش حتى تنقضى الاربعمائة عام وبعدها يحصل التبر الله لايرحم أباك ولا أبا كل من ربه منك لقد دبرت وما قصرت فى أفعالك حتى قبضتنى وفعلت بى هذه الفعال فتركهم شيحة فى ذلك المكان وأخذ بحقهم مراسى من ذلك الحداد

(قال الراوى) وأما المقدم حسن الحورانى فانتظر ابنه انه يعود من محل سفره فلم يعد وطالت الايام فأرسل إلى قلعة بيسان يسأل عن سعد فعرفوه انه غاب ولم يرجع من يوم سار مع ابن خالته المقدم ابراهيم فقال المقدم حسن قم بنا يامقدم دبل نروح الشام وننظر ذلك الحكيم ونسأل عن أولادنا فان شيحة لابد أن يكون سطى عليهم عما فى قلبه من ولدى المقدم ابراهيم فأخذوا بعضهم وساروا إلى الشام وسألوا عن الحكيم فقالوا لهم الناس صحيح كان هنا رجل حكيم شاطر وراح من مدة أيام فعرفوا المعنى وقال حسن الحورانى لم يبق لى الا اعلم الملك الظاهر ولم أترك ولدى فقال دبل أنا مثلك فسافر الاثنان إلى مصر ودخلوا على الملك وبكوا على أولادهم وأعلموا السلطان بغيبتهم

ولم يعلموا لهم طريق السلطان هذه فعال سلطانهم لان ابراهيم تشاجر معه ما تما ولكن لما يأتى شيحة أنا أسأله عنهم وإذا شيحة قد طلع فسأله السلطان فافتكر فحدمه فحكى له على ما جرى قال السلطان لا بد من الاجتهاد فى خلاصهم وتساعهم يامقدم جمال الدين لانهم رجالك على كل حال قال شيحة دول فى مدينه قبرص إن شاء الله تعالى نروح لهم قال السلطان وأنا أروح معك فأتوا بهم ثم التفت الملك الى عيسى الجاهرى وسعيد الهايش والغندور وناصر الدين الطيار وباقى السماه وقال لهم تقدروا تسافر الى خلاص إبراهيم قالوا سمعا وطاعة وركب الملك وسافر الى السويدية فوجدوا البطرقى بالقراب المعظمى فنزلوا فيه وأخذ وامعهم بضائع تصليح للمبيع هناك وساروا حتى وصلوا الى المينة ودخلوها وطلع شيحة وحده وسار الى دكان الحداد فوجدوا ابراهيم وسعد وقال للحداد أنا عندى بضائع كذا تصلح لهذه البلاد ومرادى آخذ بها كلها مراسى قال الحداد طيب اسير معك ارجنى على البضاعة التى عندك فأخذه للمركب وقبض عليه واعرض عليه الاسلام فقال لا يمكن أن أبوه وجده كافر فلا يموت الامثلهم فقتله ورماه فى البحر وتلمط فى صفته ونزل الى الدكان فك ابراهيم وسعد وأعلملم بحاله وصالحهم على أن جميع ما يأخذونه من الحداد فهولهم فسار شيحة معهم الى بيت الحداد فاخذوا المراسى الذى كانوا فيه وقال لزوجة الحداد أنا قصدى أزور القيامة وأشرب من عين سلوان وأظهر مالى فقالت له زوجته خذنى معك لها واتى كلما فى البيت من مال وذخاير وجميع كلما يملك الحداد فى قلب القراب المعظمى ثم التفت شيحة الى زوجه الحداد وقال لها زوجك مات وأنت إن كنتى تسلمى سيرى معنا إلى بلاد الاسلام وإن كنت تقيمى على الكفر خليكى فى بلادك فقالت أريد الاسلام وأروح معكم ثم خرج البطرقى بالقراب من مينة قبرص وسافر للسويدية فلما وصلوا لها قال إبراهيم ياحاج شيحة اعطينى مال الحـــداد الذى أخذ منى عافيتى حتى انمتع به ويطيب خاطرى على اطاعتك وعلى خدمة السلطان فاعطاه كلما كان للحداد فاخذه ابراهم إلى حوران وأما المراسى فابقرهم عند الجركشى يبيعهم ويرسل الاموال حقهم للسلطان مع سعاة ركابه جميعا وقصد الى مصر وجلس على تخت قلعة الجبل يتعاطى الاحكام كما أمر النبى عليه السلام

[قال الراوى] وكان يوم من ايام تخفى السلطان ونزل الى محل سوق الغزل فوقف يتفرج وإذا برجل يقول حسبنا الله ونعم الوكيل على الملك الظاهر الله يخلى سرجه فى . هذا الايام فوقف السلطان يتامل فيه ، وقال له اعطنى

غزل اشترى فصار يعطيه ذراع بعد ذراع حتى فرغ الغزل منه فقال له هات الباقى فقال ياشيخ لم يبق معى كتان فمد يده السلطان للمخلة وقلبها فوقع منها رأسين أولاد صغار فقال ياشيخ دول ايه ومن قتلهم فقال يادرويش لا تسأل عن مالا يعنيك فقام السلطان وأشار لابراهيم على الرجل فجاءه ابراهيم وقال ياشيخ قم على حيلك كلم الملك الظاهر وهو الذى كان قدامك فأخذه وسار به الى قلعة الجبل قدام السلطان فلما رآه قال السلطان ياشيخ دول أولادك فقال نعم ياملك الاسلام أولادى وأردت أن أظهرهم فى هذا العام فقالت لى زوجتى خذ هكذا الغزل بعه فى مصر وهات لنا ثمنه فتعاون به على ظهورهم فأتيت الى المعدية ونزلت فيها فقال المعداوى هات لى الكرا فأعطيته ثلاثة فضه وليس معى غيرهم فقال دول كراك وكرا الغزل فما تكرى الولدين فقلت خذ ما يكفيك من الغزل لانى لم يبق معى فلوس فقال الغزل اخذت كراه هات كرا أولادك والا اغرقهم فى البحر فقلت له تغرق أولادى أما تخف من السلطان فقال والله يا كلب والله ماأنت إلا قليل الادب ثم ذبح الولدين ورمى الجثة فى البحر وأعطانى الراسين وقال له روح بهم للسلطان اعلمه وخليه يركب الخيل على ويحاربنى وأنا أسقيه نصف البحر فأتيت بهم كما رأيت وهذه حكايتى والسلام فأمر السلطان بالفين دينار دية الولدين وأمر بدفن الراسين ونزل السلطان والمقدم ابراهيم والمقدم سعد وأولادهم وساروا الى شبرة ونزل المركب لاجل المعدية فلما صار فى البحر قال له المعداوى هات الكرا فقال له خذ هذا المهراش عندك رهن حتى أعود من عند قائم مقام فأخذ المهراش وكان من الذهب مرصع مفصوص الجوهر وسار الملك قاصد قليوب فلقى فى الطريق رجل شيخ عرب قاعد وحوله خدامينه فقال الملك السلام عليكم يا شيخ العرب احنا ناس دراويش فاتشى عليك عزام فقال شيخ العرب أنا اعرف عزام مين يامعرص انت وياه روحوا بلا سلبطة على خلق الله فتركه السلطان ومشى فلقى رجلا فلاح شايل على راسه حزمة حطب قال له السلطان يا شيخ احنا دراويش ومسى علينا المسا وليس لنا من يأوينا اما فات عليك عزام قال الرجل نعم فات على وهو عندى فى الدار سر معى اليه فسار معه السلطان إلى منزله وكان عنده عنزة فذبحها لهم ووضعها لهم فى قصعة قال السلطان ياشيخ أليس عندك عيش قال حاضر وخرج من محله وغاب قدر ساعة وأتى ومعه مقدار خمسة عشر رغيف شىء ذرة وشىء شعير قال السلطان يا شيخ هذا ليس هو جنسا واحدا بل كل رغيف من عيش جنس قال يادرويش هذا الذى رزق به صاحب الرزق فأكل السلطان وابراهيم وسعد ومن معهم ثم قال السلطان يا شيخ كنا وردنا على واحد شيخ عرب وسألناه على عزام

شتمنا وقال لم أعرفه وأنت عزمتنا مع انك رجل فقير قال الرجل يادرويش قل معى بالله اسأل الله العظيم أن يقلب تحت الملك الظاهر عن قريب قال له لأى شىء ياشيخ مع انى أنا السلطان قال يا ملك ان كنت انت السلطان أما تعلم أن الله سبحانه وتعالى يسأل كل راع عن رعيته يوم القيامة قال السلطان نعم قال ولأى شىء مولانا يسأل عن رعيته قال السلطان احك لى على ما جرى لك قال ياملك الاسلام أنا يقال لى شيخ العرب محمد الشواربى وأنا صاحب اقليم القليوبية من أيام جدودى لم يتعد على أحد أبدا فاتفق انى فى زمان الصبا رأيت بنت غازية فتزوجت بها كان معها ولد فتربى فى الدار حتى كبر وبلغ مبالغ الرجال وكان سابقا التزام القليوبية للوزير شاهين وأول عام أول أعطيتها أنت يا مولانا لعلاء الدين البيسرى فطلع الولد مفسود ونهيته عن الفساد فلم ينتهى فطردته فاتفق الولد مع قائمقام وقتلوا رجلا فلاح ورموه فى بيتى ليلا وصبحوا اتهمونى به وأرادوا قتلى فهو ونهبوا بيتى فشىء أخذ الملتزم وشىء أخذ القائمقام وعزلونى من حكمى وأجلسوا ابن الغازية فى محلى وبقى شيخ العرب وأنا صرت أدور الم الحطب وننبيعه ونتقوت منه أنا وعيالى قال الملك لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وكتب تذكرة وختمها وقال له اكتم هذا السر حتى اطلع القلعة وبات الملك وأصبح وخرج من عند الرجل ومشى للبحر ونزل فى المركب فحكم جلوسه بجانب حرمة على كتفها ولد فلما لم المراكبى الكرى جاءها فاعطته نصف فضة قال لها والولد فقالت لم يبق معى شىء من الفلوس فاخذ الولد منها ورماه البحر فالتفت الملك لسعد وقال له الحق هاته فنزل سعد أتى بالولد وأعطاه لامه فلما نظر المراكبى ذلك شتم الملك فقام ابراهيم وسعد وناصر الدين وعيسى الجماهرى ومحمد الفدور وسعد العايش قبضوا على المراكبى والنوتية وأتوا بالمركب إلى البر وأرسل السلطان أحضر شيخ العرب حسن ابن الغازية وقائمقام وأحضر الأمر من مصر وأمر بقبض علاء الدين البيسرى أمر بقطع راسه قال الوزير يا ملك الاسلام علاء الدين معذور ولم يعلم ما يفعلون الذى فى البلد ونرجو من مولانا العفو والمسامحة قال السلطان إذا كان قصدك ان أسامحه فخذ القليوبية انعم عهدتك والملتزم بها شيخ العرب محمد الشواربى فهى التزمه والتزم حلفه من بعده لا يرفع إلا بالموت وبعده لذريته وكذلك النسل إلى ان تفنى الدنيا ويكتب له ذلك فرمان ويذكر فيه ان ذلك فى مقابلة ضيافة السلطان حتى لا يبقى له منازع واطيان قليوب ذاتها تكون بلا مال ينفقها على مضايفه وباقى الاقاليم يكون هو الذى يقبض خراجه الثلث له والثلث لك انت والثلث للسلطنة وكتب السلطان

تشريف الشدوارى بذلك كل هذا يجرى وإذا بالأحجار حضرت وأمر الملك بفحت الجدارات وبناء قناطر فى ذلك المحل ليمشوا عليها الناس ويستغنوا عن المعدية وعند نزول الجدارات أمر الملك بوضع منجة الفداوى وحسن ابن الغازية وقائمقام تحت جدارات القناطر ويدفنوا بالحياة وأقام الملك حتى تمت القناطر أقرب وقت ورجع الملك إلى قلعة الجبل يتعاطى الأحكام كأمر الملك العلام مدة أيام [قال الراوى] وأما الأمير علاء الدين البيسرى لما خلع من هذه القضية بشفاعة الوزير وعرف أن اقليم القليوبية راح من يده وصار للوزير فاقتضى عقل الأمير علاء الدين أن يعمل مكيدة يرى فيها الوزير من اغاظته عليه الذى راحت قليوب من يده وصار فى حكم الوزير مع انه لولا شفاعة الوزير فيه لكان الملك وضعه تحت القناطر مع الفداوى فكتب خطاب للوزير يستعطف خاطره ويقول بكرة أنا خايف من الملك فان كنت تعلم يادولتلى انه لم يبق على بأس فاشرح لى بالأمان على ذلك من جانب الملك فشرح له الوزير يقول له لا بأس عليك وان صعب عليك اقليم القليوبية فاصبر حتى تتناسى الأمور وأنا أسال مولانا السلطان أن يردها لك أو يعطيك بلدغيرها وختم الكتاب ورده اليه فاحتفظ على الكتاب الذى فيه ختم الوزير وأحضر الركبدار بتاعه وقال له أنا مرادى أن تاتينى برجل صايغ فاحضر له صايغ قبطى فوراه ختم الوزير الذى على الكتاب وقال له مرادى يصنع لى ختم مثل هذا والا اقتلك فمن خوف النصرانى صنع له مطلوبه ثم أمره أيضا أن يصنع له ختم باسم البب ميخاتيل ملك مدينة القسطنطينية فصنع له حكم طلبه ولما خلص الختمين سلم الصانع للماليك كسروا رقبته ورموه فى الجب وراح كأنه ما كان وبعده أحضروا واحد من أرباب الخطوط وكتبه مكتوبين أحدهم عن لسان الوزير الى ميخائيل والثانى عن لسان ميخائيل الى الوزير ثم احضروا واحد عايق من اللصوص وأعطاه مائة محبوب وقال له تحط هذا الكتاب فى البشتختة الذى فى قاعة الوزير المعدة للمكاتيب فقال سمعا وطاعة وراح ليلا رضعه كأمره وبعد ذلك احضر خمسة نصارى من حارة الروم وأعطى لكل واحد عشرين دينارا وقال لهم تاخذوا هذا الكتاب وتسيروا القرافة فان سالكم أحد عن قدومكم فقولوا من القسطنطينية جئنا للوزير بكتاب وأخذنا رد الجواب وراجعين الى بلادنا ففعلوا ذلك وكان صبيحة جمعة والقرافة تجمع فبالاتفاق اجتمع قلاوون والحسينى وعلاء الدين ونظروا الى تلك النصارى فمسكوهم وسالوهم فقالوا كل ما علمهم علاء الدين البيسرى فلما سمع الوزير قلاوون أراد أن يتركهم فقال علاء الدين لا بد من حضورهم قدام الملك وساقه قدامه وكان الديوان خالى

والملك فى قاعة الجلوس وابراهيم وسعد واقفين فى خدمته ولما رأوا الامراء قادمين بتلك النصارى سألوهم لحكوا اليوم الديارة فادخلوهم للملك فاخذ الملك الكتاب يوجد فيه من حضرة عبد الصليب إلى ابن عم البب ميخائيل أنا زعلت مد خدمه ملك المسلمين فاجتهد وازحف بعسكرك على بلاد الاسلام أنا اقتل السلطان وأعطيك بلاده وأفى لك عساكره وأجناده والختم ختم الوزير شاهين قال السلطان كذا يفعل السلطان شاهين قال ابراهيم يادولتلى هذا الكتاب رد الجواب أنى من عند البب ميخائيل فالنصارى دول يروحوا الحال سبيلهم وتكتم ذلك الخبر وفى الليل ننزل على بيت الوزير وهو نايم نمسك منه الكتاب الذى جاء له من ميخائيل وقبله حجرة عليه وبعد ذلك يفعل مولانا ما يشاء فقال السلطان صدقت سيبوا النصارى فقال ابراهيم خذهم يا سعد واصحى أحد منهم بعدم أعدمك رقبتك فقال سعد عارف وأخذهم حبسهم فى قاعة الحورانية وصبر السلطان لليل وأخذهم إبراهيم وسعد وسار لبحر بلامة والبساتين ورمى ابراهيم المفرد وطلع السلطان قدام وطلع بعده ابراهيم وسعد وعاين السلطان لبشتختة المكاتيب وقرص على الغطى رفعه فرأى الكتاب فوق المكاتيب فقرأه على الشمعة وسمعه ابراهيم وإذا به أوله إلى حضرة ابن عمى عبد الصليب الذى اسمه الآن شاهين جاءنى منك جملة كتب تذكر لى أنك تملكنى تخت المسلمين فها أنا جمعت العساكر ومنتظر وعدك حتى تأمرنى ازحف على بلاد المسلمين وأنت عليك قتل السلطان كما قلت وأنا على أقتل جميع من يكون له اسم من أتباعه وارسل إلى رد الجواب أعتمد عليه وشكر يامسيح فاخذ السلطان الكتاب ونزلوا من بيت الوزير [قال الراوى] وكان الوزير ذلك الوقت مستيقظ ونظر إلى ما فعل السلطان وعرف أن هذه مكيدة وتنتج منها فتنة وان وقف قدام السلطان اهلكه فقال لم يبق لى إلا أخاطر عن وجهه حتى ان الله يدبر لى من هذه الفتنة ويبقى وابنى يحميهم المولى فكتب ورقة وأعطاها إلى زوجته وقال لها كل من أتى من دولة السلطان أعطيه تلك الورقة واخذ بغلة وجانب اموله وركب ليلا ولم يصبح إلا وهو بعيد عن مصر وعند الصباح جلس السلطان وقرأ الجوابين على ارباب الديوان وقال لهم ماذا تقولون فى حق الوزير قالوا خان ومن يخن لم يكن فقال قوم يا ابراهيم اقتله وانهب بيته فقال ابراهيم حاضر ونزل معه اثنين من الامراء فقال ابراهيم يا امراء مصر تجعلوها عادة عليكم إذا غضب السلطان على احد منكم يأمر بقتله ونهب بيته فقالوا الامراء احنا مالنا يا سيدى قال ابراهيم ردوا الرعاية القادمين لأجل النهب وسيروا معى نتم حتى تنظروا كيف العمل فهذه فتنة

الله تعالى ينجينا من هذه المحنة فعندها ردوا الناس وساروا إلى بيت الوزير و دخل المقدم ابراهيم فقابلته الست سكندرونة أم احمد فقال لها أين الوزير فقالت الوزير ركب ليلا وأعطانى مكتوبين واحد لك وواحد للسلطان فخذ جوابك فأخذه فوجد فيه يامقدم ابراهيم أنت بدلى فى الديوان وفطرك صحيح انى فعلت ذلك ولم أفعله ولكن أنا هجيت على وجهى وتركت بيتى وحريمى وولدى فهم وديعتك والذى تفعله فيهم تلقاه بين يدى الله تعالى وعرضى وعرضك على حد سواء فلما قرأ إبراهيم الكتاب أمر الذين حوارنى والذين يسانى وأمر عليهم عيسى الجماهرى وناصر الذين الطيار وقال لهم تولوا خفر بيت الوزير وكل من عبر عليكم وأراد الدخول اقتلوه فقالوا سمعا وطاعة ورجع المقدم ابراهيم إلى السلطان ومعه كتاب الوزير قال الملك ايش عملت فقال ابراهيم اعمل ايه الوزير هرب فاولا ندور عليه ولما يقع فى أيدينا نعمل مايليق فعند ذلك كتب السلطان دور عمومى لكافة دائرة الملك الظاهران الوزير الاغا شاهين الافرم غضب عليه السلطان وهرب فكل من آواه فى بلده يكون بزوال نعمته وبعد ذلك قال ابراهيم يادولتلى سبحان العالم بالمظلوم والظالم ثم طلع كتاب الوزير يجد فيه ياملك الاسلام انا بينى وبينك مقام عهد الله وأنا والله برىء من هذه المحنة وأعوذ بالله من الخيانة ولكن أنا تركت مملكتك ولم يبق لى فيها غير ولدى أحمد وانت معك ثلاثة فالذى تفعله فى احد ابنى تلقاه فى أولادك الثلاثة وكذلك حريمى ليس لهم غير وجه الله تعالى والدهر ليس له أمان وأنا لوكنت خائن ماكان الله تعالى نجانى بل كان أوقعنى فى خيانتى وسوف يظهر من فعل هذه المكيدة وينتقم الله منه بعدله فان الله حليم لايعجل فلما قرأ الملك ذلك الخطاب اشتغل قلبه وقال ياابراهيم وانت تقول ان الوزير مظلوم فقال ابراهيم مانعرف الذى يخلصك افعله فسكت السلطان على مضض وأما ما كان من الوزير فانه سار من وسط الليل حتى طلع النهار كان قطع سطح الخانكة وسار طالب بر الشام وهو فى صفة درويش يقطع الأراضى والقفار والليل والنهار وكل ما وصل الى مدينة يستنشق الاخبار فيجد الطالب وراءه من السلطان وهكذا حتى فات الشام ودخل بلاد الروم فصار يدخل البلد التى يمر عليها يأخذ منها أكله وشربه ومؤونة بغلته ويبيت ليلته حتى وصل الى برصة فقال إذا أقمت هنا أجيب الى ابناء عمى داهية فدخل الى بلاد العجم الى مدينة خراسان وأهلها ناس سنية وبها ملك يقال له بهرماز شاه مؤمن وكلهم يحبون القرآن ولكن لم يحفظوا القران إلا فى المصحف فدخل الوزير الى جامع فرأى الامام يقرأ ياسين فى المصحف فصبر لما قرأ وصلى فقرأ الاغا شاهين عشر قرآن على الغايب

وسموه المصلين فانبسطوا لكون انهم عمرهم ما نظروا واحدا يقرأ غايبا إلا ا
اتعجبوا منه وقال له الامام اقعد عندي وكل ما تحتاجه أنا أجيبه لك فأقام عند الا
وهو فى غاية الرفعة والاكرام ورأى فترة عسرت عليهم لا يفكها إلا هذا الافاشاه
افندى وشاع ذكره فى بلاد العجم بالعلم إلى يوم جاء القان بهرمان رجل من ع
المجوس وقال ياقان بهرمان ان علماء المجوس أقوى من السنية فهما ويقينا فقال له كي
تقول يا أغا شاهين فقال يكذب ياقان الزمان ان الاسلام نور فقال المجوسى اض
قار واوضعنى أنا وشاهين فيها ومن أخذته قربان فهو عدوه ومن نجا منها فهو صاح
البرهان عن الآخر وظن المجوسى بأن شاهين يخاف فلما أعرض عليه القان الكلام ا
رضيت فأضرمت النار وتقدم الوزير ولسانه لم يغفل عن ذكر الله تعالى وقال بسم
توكلت على الله وداس عليها فلم يتألم ونفذ من الجانب الآخر ونزل الملعون تابعه
وصل اليه بل أكلت النار جميع اعضائه وصار عبرة لمن يراه فاعتقدت الاعجام فى شا
وكان هذا أقوى البراهين ولما دخل القان بهرمان على زوجته وحكى لها على ما رآه
هذا الرجل وكيف نزل النار ولم تحرقه فقالت له ياقان الزمان هذا بركته عمت على علك
فزوجه بنتك وقاسمه فى نعمتك واجعله وزيرك ومدبر شورتك فعند ذلك عزمه الق
وامر بنته أن تخدم عليه فسأله الوزير فاعلمه انها بنته وأعرضها عليه فقال هكذا قص
فقال بشرط انك إذا سافرت بلادك تقعد بنتى عندى فقال رضيت بذلك وانعقد اله
وأقام الفرح ودخل الوزير على الملكة حسنة بنت بهرمان يزيل بكارتها ويقيم فى ت
البلد وزير .

[قال الراوى] وأما الملك الظاهر فانه قاعد يوما يتذكر فى الوزير كيف أغ
عقله مع انه رجل كامل وليس له عادة على تلك الفعال وإذا بشيحة طلع الديوان فلم
الوزير فسأله عنه قال الملك ياأخى لا تقل وزير لأن الدنيا لم يبق فيها أمان وحكى لشيـ
على المكاتيب التى رآها مع النصارى وفى بيت الوزير وورآهم له ثم أوراه الكتاب ال
كتبه الوزير حقا فى الآخر للسلطان فقال شيحة قبل هذه كنت أنعمت على الوزير
فقال الملك بالقليوبية وحكى له ما جرى فقام شيحة ووزن الخدامين بجد الركب
فى العين المليانة فعرف شيحة انه فى القابل فغير زيه وتزيا بزى ركبدار قدم اخ
ولكنه غنى غنى تام وأتى معه بعشر كحايل اناث وسار إلى بيت الركبدار فلما رآه
عليه قال له ياولدى انا كنت ركبدار الملك الصالح أيوب فى شبوبتى ولما انتقل إلى
القرار دعالى دعوة خير فصرت أسافر الشام وأتسوق من العرب الخيل الكحل
المقرومة السليمة من العيوب وآتى هنا ابيع للوزير فلما جيت النوبة هذه سألت

الوزير فقالوا لى غضب عليه السلطان فقلت فى بالى اذا لم نجد من يشترى هذه الخيل اروح بهم الى مدينة الرخام وأبيعهم للملك عرنوس فقال الركبدار بتاع الامير علاء الدين ياعمى اعلم انى أنا فى هذه الايام لى كلمة عند الصنجق مسموعة فانا أمدح له فى هذه الكحايل فاذا اشتراهم يبقى لى على جنابك القانون فقال ليه ياولدى انا أتيت بهم من اما كنهم الجميع بعشرة آلاف دينار وأنا أعرف انهم هنا أقلها كحيلة منهم تساوى الف دينار فاذا بعناهم أنا واياك اجعل لك النصف فى مكسبهم ينوبك خمسة آلاف ذهب لم تحصلهم عند المخدوم بتاعك وثانيا المخدوم لم ينعم عليك بقطعة قفطان الاجة اذا كان له عندك حاجة وقصده قضاءها منك فقال ركبدار علاء الدين صدقت أنا والله مدة خدمتى عند ذاك الصنجق لم يطعمنى خلاف العدس واما فى هذه الايام يقعدنى معه على الصفرة وسبب ذلك انه طلب منى واحد صايغ قبطى فجئت له به ولم اعلم ابن وداه وجئت له بواحد عايق من حارة اسمه تومة فاعطاه كم محبوب لم اعلم على ايه وانما هى مكيدة فى الوزير عملها لانه أخذ بلاده وحكم هجاج الوزير منها وبعدها ليس أحد يعرف اين راح الوزير ولكن انا أعلم ان الصايغ عمل ختوم وهم فى جيب الامير علاء الدين ولكن ياسيدى حصل لى الاكرام فى شأن ذلك ورتب لى رغيف جراية زيادة كل يوم وكانت جامكيتى شهرى خمسة عشر درهم فضة فجعلها الى عشرين واما والله ياعمى هذه العبارة ماهى بخاطرى الاانلى بانه رجل جبار وان خالفته طردنى وقيل انه يقتلنى ولم يسأل عنى احد ولا ينفعنى السلطان ولا الوزير فقال له شيحة صدقت ياولدى ولكن من الذى ادخل الكتاب فى صندوق الوزير فقال له واحد عايق اتيت به من حارة الروم وأعرفه حق المعرفة وحسبنا الله ونعم الوكيل على كل ظالم فقال له شيحة والنصارى الذى أعطوا الكتاب للسلطان راحوا فين فقال له أخذهم ابراهيم ابن حسن وقال اسعد خذهم دول برقبتك فلم اعلم فين وداهم فضل شيحة يحدثه حتى طلع النهار وقام شيحة من عنده وراح الى السلطان وقال ياملك الاسلام ظالمت الوزير مع أنه يتجازى منك بما فعلت فى حقه وانا فى هذا النهار أظهر لك الحق من الباطل فلما تكامل الديوان وجلس الملك وشيحة فقال شيحة ياسعد قال نعم فميل عليه فى اذنه وقال له هات الركبدار بتاع علاء الدين فنزل سعد وجاء به ولما تقدم قدام السلطان قال له شيحة ياشيخ أنا الركبدار الذى كنت عندك البارحة وهذا منديل الامان لك من الملك وأنت رفعناك من خدمة علاء الدين وجعلناك ركبدار الملك محمد السعيد ابن السلطان لم يبق لعلاء الدين سلطة عليك واحكى على الذى جرى على يديك كما حكيت لى البارحة تحمى نفسك

والوزير وان خالفت تعرف أنت قادم على ايه فانا طالب منك تحكي بالصحيح من غير شك ولا تلويح [قال الراوي] فلما سمع الرجل ذلك الكلام وتحقق ان الذي كان عنده هو سلطان الحصون فما قدر ان يخفى شيء وحكى بالصحيح فلما تم كلام حتى امتزج الملك بالغضب قال شيحة يا أمير علاء الدين طلع من جيبك الاختام الذي صاغهم لك الصايغ وقتلته ظلما وعدوانا فاراد ان يتململ فتقدم ابراهيم بن حسن اليه وطلع الاختام من جيبه وأعطاهم الملك وقال شيحة الركبدار هات لنا العايق الذي دخل بيت الوزير قال ياسيدي هذا رجل مقيم بخمارة حارة الروم اسمه مترى فنزل سعد وأتى به وسأله شيحة فانكر فضربه بالسوط فاستقر وقال المقدم ابراهيم وأنت التجابين طالبهم منك قال ابراهيم هاتهم ياسعد فاحضرهم قال لهم شيحة أنتم الجواب الذي اردتم ان تعطوه للوزير كان من ملك القسطنطينية ميخائيل فقالوا ياسيدي احنا في عرضك لا تعرف القسطنطينية ولا عمرنا رحناها وانما هذا الركبدار أخذنا من الخمارة وادخلنا على هذا الامير أعطانا كل واحد عشرين محبوبا وقال لنا خذوا هذا الكتاب وروحوا به الى القرافة وأنا آخذكم واذا سألتكم فقولوا احنا تجابين من القسطنطينية جينا بكتاب الوزير وأخذنا رده ففعلنا مثل ما أمرنا وبقي لنا مدة في الحبس واحنا في عرضك قال شيحة وايش تقولوا في الاسلام قال يا سيدي أنا جدودهم نصارى وهم نصارى وهم تابعين لهم فأمر الملك بصلبهم هم والعايق الذي دخل بيت الوزير ووضع الكتاب فيه والقبض على علاء الدين ورمي رقبته قال المقدم ابراهيم اصبروا لما انزل أنهب بيت الوزير كما أمرني الملك قال شيحة والله لو نهبت ما كان يبقى لك ذكر قال ابراهيم ياحاج شيحة وعلاء الدين هذا ما نبقيه بلا تضييع حتى يحضروا الوزير نضيعه قدامه قال الملك احبسوه وأنا والله الذي تقدست اسماؤه لم أجلس على كرسي مصر الا اذا كان من يميني الوزير ثم انه أحضر السعيد وأجلسه على تخت مصر وأوصاه يحكم بالعدل وأخذ ابراهيم وسعد وركب طالب البر فقطع بلاده الشام وانتقل حتى هداه الله الى البلاد التي فيها الوزير ولكن بعد المشقة الشديدة فرآه مقيم وزير على مدينة خراسان فلما عاينه السلطان سار الى عنده وكان في صفة درويش فلما رآه الوزير قام قائما على قدميه فلما نظره القان بهرمان ظن ان هذا من أكابر النقشبندية الذي اصطفاه الله فقام اليه وسلم عليه وسأل الوزير شاهين عنه لما رآه وقف في خدمتك قلت له الوزير ياقان الزمان هذا الذي طاعته فرض واجب على كل المؤمنين هذا ملك القبلة وخادم الحرمين فعند ذلك قام بهرمان شاه وقبل أتك الملك وأمر بضرب المدافع هنك ومهرجان وأمر بزينة البلد سبعة أيام ومامن يوم يمضي الا والقان بهرمان

يخدم الملك حق الخدمة وقال له ياملك الاسلام انا بلادى هذه محكومة من ضمن مملكة خوارزم بلاد ابوك أنا من جملة اتباع القا ـ شاه جنك فامره انلايدفع خراج سبع سنين لكون انه اكرم وزيره وزوجه بنته ففرح القان بهرمان وبعده قال السلطان للوزير بق الرحيل الى بلادنا فاجاب بالسمع والطاعة واعلم القان بهرمان فتقدم للسلطان وقال ياملك الاسلام أما هذه أرضك وبلادك ونحن كلنا نتمنى خدمتك فقال السلطان نعم ولكن تخت مصر لايجوز أن اتركه انقدم له مائة مملوك بخيلها بعددها وقدم للسلطان كرار ومطبخ وحملة كاملة وركب القان بهرمان فى الف خيال من اكابر دولته فى خدمة السلطان ولم يرجع لاهو ولا عسكره حتى دخل السلطان مدينة برصة وطلب الاغا شاهين يأخذ زوجته فقال بهرمان ياسيدى ان اخذتها افرت أناعلمكتى وأسافر معك وأقيم فى خدمتك حتى أموت فقال الوزير خليها عندك ولكن لابد من المراسلة وخذ هذه نسبق معها وإذا جاءها مولود توضعها عليه قال سمعا وطاعة وسافر السلطان الى برصة ولما علم مسعود لك بقدومه طلع إلى ملتقاه ولما وقعت العين على العين ترجل إلى الأرض وقبل ركاب السلطان وسأله عن قدومه من بلاد العجم فاخبره بالفتنة التى وقعت فقال ولاى شىء لم تأت عندى فقال اخاف من الفتنة تطول فلم أجد أحسن من الذى فعلته وبعده تودع بهرمان شاه وراح الى بلاده ونزل الملك فى غليون برصة الى الاسكندرية ووصل إلى مصر وطلع الى قلعة الجبل وجلس يتعاطى الاحكام كما أمر الله الملك العلام

[قال الراوى] فبينما الملك جالس فى الديوان واذا بواحد مغربى طلع يقول مظلوم قال الملك ايش ظلومتك قال أنا جيت من بلاد الغرب قاصد الحج ومعى الف ذهب واردت أن اعدى من الجيزة الى مصر العتيقة فقال الريس هات الكرى فلم أجد معى فلوس فقلت له اصرف لى دينار ذهب قال هات وأنا أصرف لك ففكيت الكمر من على حزامى واردت ان أطلع منه دينار فضربنى الرجل اوقع الكمر منى فى البحر فانت صاحب البلاد والبحر وأنا غريب وطالب منك مالى فقال الملك الحق بيدك اعطوه الف دينار فلما اخذهم قال ياملك الاسلام خذ هذا من بركة الوالدة فان أمى خبزت لى هذا الخبز وحيث انك كرمتنى يجب على اكرامك واعطاه رغيف مقدد فقال الملك مقبول واخذ الرغيف واعطاه للأغا جوهر وقال له تبقى تاتى به مع الغدى قال سمعا وطاعة وراح المغربى الى حاله ولما جاء وقت الغدى قدم الرغيف للسلطان مثل ما قال فاخذ السلطان الرغيف ليكسره فوجده يابس فكسره بقوة فرأى فيه مطمورة ذهب وفيها كتاب ففرد الكتاب وقرأه فامتزج بالغضب قال له ابراهيم ايش الخبر

يادولتلى قال السلطان يا إبراهيم فلما أمرتك بحضوره ولم تحضره اقطع راسك واخربه بجوران فقال إبراهيم لم اتأخر عن طلبك يا دولتلى لأنى شايف هذه الدولة كفرة فقال هات الوزير شاهين فقدمه بين يديه فضربه بالمشة طارت راسه وقال هات نقطمر فقدمه له فضربه قسمه وقال هات ايدغدى فقدمه اليه فضربه فى وسطه وقال هات أيدغمش وبعده ايدمر البهلوان وخمسة وثلاثين أميرا وبقوا أربعون جثة واربعون راس وامر باحضار توابيت خشب من الحوانيت ووضع كل واحد فى تابوت وطلع إلى الديوان فلقيه الوزير ثلاوون الالفى قال يادولتلى ابن الذين اخذتهم لأن الذى يجرى عليهم يجرى علينا فقال إبراهيم كلهم قتلهم الملك فوضعوا الامراء أيديهم على السيوف فقال السلطان انتم صعب عليكم ذلك

فقال علاء الدين وكان شفع فيه الوزير وانطلق فقال كيف أبطال المسلمين تقتلهم فى أى مذهب يحل فقال السلطان قبل ان تقاتلونى من أجلهم اكشفوا عليهم فقالوا كيف نكشف على ابطال المجاهدين فقال الملك ان كانوا كفرة يبقى يستاهلوا القتل وان كانوا مؤمنين اقتلونى فيهم فبعد ذلك تقدمت الامراء وأول ما كشفوا على الوزير وإذا هو نصرانى وكذا ايدمر ونقطمر والكل هذه الحالة حالتهم فقالت الامراء يا ملك الزمان دول لهم معنا ستين واعوام على دين الاسلام وأنت إيش الذى اعلمك بكفرهم فى هذه النوبة وقتلهم فاراد الملك أن يحكى وإذا بر ح أسود قام فى الديوان وسقطت الامراء على كراسيها وتزلزلت الدنيا ساعة وفاقوا فوجدوا أرواحهم جميعا معلقين على دواليب من الهوى ومعهم الوزير ونقطمر وايدمر والذى كان قتلهم السلطان وعادوا على قيد الحياة والسبب فى ذلك الكاهنة اسمها القرصة صاحبة قلعة الطينه ولها ولد اسمه سلبوط وهى تحبه محبة زايدة لكون أنها بقيت عجوزة وليس لها ولد غيره إلى يوم من الايام قال لها أنا قصدى اغير الهوى واتفرج على بلاد المسلمين فصنع غليون ونزل فيه ومعه مائة بطريق وسافر فى صفة تاجر حتى وصل إلى بلاد الاسلام ودخل من بغاز ذيتاد ووصل إلى المينة وطلع البلد كما ذكرنا فى صفة تاجر وصار يتفرج على دمياط وبالاتفاق فان الامير على بن الخوجى باشة دمياط له بنت تسمى حسنة فاتفق أنها نزلت فى بعض الايام إلى عيد مينة النصارى تتفرج فرأت غليون ابن الكهينة فسألت لمن هذا الغليون فاعلموها أنه لواحد كافر تاجر فوقفت تتفرج وكان سلبوط فى مقعد الغليون وباله من البر فنظر إلى الست حسنة بنت الجراخى باشة دمياط فعاق بمحبتها ومن شدة الحب الهوى صنع صنعة غريبة

وأرسلها مع بطريق من توابعه فسار بالصينية إلى الخيمة وقال معى هدية من البب سلبوط إلى الملكة فدخل الطواشى وأعلم الست فقالت هاتوه بهديته لننظر إيش طلبه فأوقفوه قدام الست وهى ملفرقة فقالت خذوا منه الهدية وهاتوها إلى عندى فقدموا لها الصينية بالغريبة فصارت تتفرج وأعطت البطريق مائة دينار وقالت له عد إلى من أرسلك وصارت تقلب الغريبة ثم رأت ورقة ملفوفة فقرأتها تجد فيها ياستى أنا رمانى هواكى ولا بقيت أسلاكى فضحكت الملكة وقالت إيش قصد الملعون هذا إلا الخيانة والفساد والقهر قتله أفضل من الغزو وكانت تلك البنت على عبادة وصلاح جيد فكتبت للملعون ورقة تقول له وأنا أيضا جيتك فان كنت تعلقت بهواى فمكن عندى الليلة الجاية فى السراية وقالت أين البطريق الذى جاء بالصينية فقالوا هاهو فاحضرته وأعطته الصينية مغطية كما كانت وقالت له عد اليه وسلم عليه وعاد البطريق إلى الغليون والأميرة حسنة عادت إلى سرايتها وأعلمت أبوها وأمرته أن يرسل لها مائة مقاتل وأكمنتهم فى السراية وأما سلبوط صبر إلى الليلة القابلة وتخفف ونزل وسار إلى السراية وكان عارفها من النهار فلقى الباب مفتوح ولا مانع ولا عايق فثبت نفسه ودخل إلى باب قاعة الملكة حسنة وإذا بالعساكر جميعا مالوا عليه بالسيوف حتى جعلوه قطع وأمرتهم حسنة أن يرموه على شط المينا ففعلوا ذلك وارموه فلما طلع النهار نظروه بطارقته وهو مقطع فاخذوه وعادوا قلعة الطينة ودخلوا على أمه وقدموه بين يديها فطار عقلها وقالت من فعل بولدى هذه الفعال فقالوا لها اننا وصلنا إلى دمياط وطلع من الغليون ليلا وأردنا أن نسير معه فمنعنا وقال لا يتبعنى منكم احد وسار وحده وبات ليلته ولما كان الصباح رأيناه على المينة مقطع فحملناه ونزلناه فى الغليون وسافرنا به إلى قلعة الطينة هذه حكايته ياكهينة الرومان وحق المسيح والصلبان فلما سمعت الملعونة ذلك قامت إلى ولدها وصارت تجمع أعضاءه على بعضهم وتقلبهم وتضمهم وتبكى على ولدها فقال لها وزيرها ياكهينة الرومان هذا البكاء لم يفد وإنما ولدك ادفنيه واطلبى أخذ ثاره من أعاديه فقالت صدقت وجهزت ولدها ودفنته ودخلت بيت رصدها وغابت ساعة حتى عرفت التى قتلت ولدها وهى الست حسنة بنت الجوحى باشة دمياط فارسلت رهطا من الارهاط وقالت له لاتأتينى إلا بها فسار إلى دمياط وخطف البنت وأتى بها إلى الكهينة فلما نظرتها الكهينة قالت لها أنت التى قتلت ولدى وأحرقتى عليه مهجة قلبى وكبدى فقالت لها الست حسنة أنا ماقتلت ولدك إلا لما علمت أنه يستحق القتل لأنه طلب منى الخنا والفساد فما كان له جزاء إلا قتله فقالت لها وأنا لابد أن أقتلك فى ناره فقالت الملكة حسنة ان كان أجلى قد دنا فمرتى

شهيدة أحسن من الزنا ولكن يا ملعونة أنا خلفني أبي وملك الاسلام سوف تريهم ياتوكي ويحولوا بخيلهم على تلمتك ويعجلوا مديك فانغاظت الكهينة وقامت دخلت على رصدها وأمرت أربعين عونا يأخذوا اربعين كافرا ويوضعوا كل كافر محل أمير على كرسى الديوان ويأتوا بالأمر إلى عندها فاشالت الأمراء والوزراء كما ذكرنا واحطط فى عاهم النصارى وأمرت عون من أعوان الجان دخل على السلطان فى صفة مغربى وكتب له أن سيدى عبد الله المغاورى يأمرك أن تطالب الوزير وفلان وفلان وتكشف عليهم تجدهم نصارى فاقطع رؤوسهم حالا فطلب السلطان الوزير وباقى الامر وكشف عليهم واحدا بعد واحد فوجدهم كفار فاقطع رؤوسهم كما تقدمنا وفعل قلاوون وباقى الامراء مافعلوا وسأل السلطان قلاوون وقال دول لهم مدة زمان مسلمين مجاهدين إيش الذى غيرهم من الاسلام الكفر ومن أعلمك بكفرهم حتى قتلتهم فاراد الملك أن يحكى فتزلزل الديوان وجرى ما جرى فما ما تواجها إلا وهم على دواليب الهوى كما شرحنا والسبب فى خطفهم جميعا وقدومهم إلى ذلك المكان الملعون جوان لأن الكهينة ضربت تخت رمل فرأت المسلمين يغلبوها ويقتلوها فلما رأت ذلك أحضرت وزيرها وقالت له غص على علوم الافلام التى لم تيلفنى ارى ولا ينجح بهم طالبى فقال لها يبقى علوم الأفلام سفلية والسفلى لاينفع فاجتهدى على الذى يعرف علوم علوية فقالت ومن الذى يعرف علوم علوية فقال الوزير يا كهينة الذى يعرف ذلك جوان لأنه عالم ملة الروم فاحضرت عون وأمرته أن يأتيها بجوان فقام العون وخطف جوان من بحيرة يغرة هو والبرتقش وأتى به إلى بين يدى الكهينة فلما رأته قامت اليه وعظم على قدره وحكت له على ما جرى لها من قتل ولدها وما فعلت حتى أحضرت المسلمين وقصدى قتلهم فى ثار ولدى ولكن رأيت أنهم يغلبونى وان حاربتهم يقتلونى فقال جوان لا تخافى من المنتار لان جوان نائب المسيح ومتولى أمر الكرستيان وإن قتلوا المسلمون واحدا منهم وأراد جوان أن يحييه بامر الحورى منفحون ينفخ فيه ثانيا فتعاد روحه اليه كما فعل المسيح فى زمانه فقالت له يا أبانا وأنا أحضرتك لأجل ذلك حتى أشاورك على قتل المسلمين فكتب لها جوان اسم أبطال الاسلام أولهم الملك الظاهر وآخرهم قلاوون الألفى فامرت أعوان الجان بخطفهم وتعليقهم فى دواليب الهوى فهذا هو السبب ونظرهم جوان وهم على ذلك الحال فقال يا برتقش ان كتاب اليونار بطل عمله ولم يبق عليه اعتماد وهذا الوقت الكهينة تقتل المسلمين فى ثار ولدها وجوان ما بقاش ينقطع فقال البرتقش أما كتاب اليونان لا ينخرم أبدا فالتفت جوان الى الكهينة وقال لها لا تفعلى شيء بالمسلمين حتى

تملكي بلادهم فقالت له ارتاح يا أباما ثم انها نزلت من قصرها وحضرت عشرين غليونة فى كل غليون ألف مقاتل ونزلت ومعها جوان والبرتقش بعد ما سجنت أبطال الاسلام وسافرت حتى وصلت الى دمياط وأمرت الجان ان يوقدوا النار فى أطراف البلد من جهة البر وتكون عالية الزفير حتى التهبت الناس فى طفيها وكبست هى بالمراكب ملكت المينا وطلعت بعساكرها ونادت يامعاشر المسلمين اعلموا أن الكهينة أخذت بلادكم وأنتم رعايا لكل من يحكمكم فاثبتوا فى أماكنكم ولكم الامان والذى يتحرك منكم فماله الا قطع رأسه وخمد أنفاسه فامتثلوا كلامها لانهم رعايا على كل حال فرتبت قواعد الحكم بمعرفتها وأعلمت الناس أنهم صاروا رعيتها و يبت عليهم وسارت الى رشيد فعلت بها كذلك وكذلك المنصورة وما بعدها بلد بعد بلد حتى ملكت بولاق وطلعت من البحر وسارت الى باب الحديد قال لها جوان لم يقدر أحد أن يفعل فعالك لا من قبلك ولا من بعدك فلم يبق عليكى إلا دخول مصر وانطاعت لك الدنيا فقالت له ياجوان هذا قريب ولا بد من دخول مصر والقعود على كرسى قلعة الجبل وكل من تعرض لى قتلته فما تمت كلامها حتى وصلت الى باب الحديد تجده من بولاد أزرق لا يقطع فيه سلاح وليس لها سبيل على فتحه بمفتاح فقال لها جوان يا كهينة الزمان ان أردتى الدخول لمصر فادخلى بعساكرك من باب النصر فسارت بجانب السور حتى وصلت إلى باب النصر وإذا به مقفول ومحصن بالمدافع وكان هذا فعل الملك محمد السعيد الموفق الرشيد فاغتاظت الملعونة واصطنعت دايرة بعلوم الاقلام من الجاد ورسمتها بالطلاسم وألقتها على مصر فصارت كأنها قطعة غمام وصارت جميع شوارع البلد وأماكنها ظلام ونظرت أهل مصر إلى هذه الأحوال فاستغاثوا إلى الملك المتعال وقد بكت النساء والاطفال ودخلوا مقام الحسين والاولياء أحياء الدارين فما يشعروا إلا وطيور بيض وحمر وسود وخضر أقبلوا من الجو طائرين ومزقوا بمخاليبهم تلك الدايرة وانكشفت الغمة وأضاءت بالنور بعد الظلمة وصارت جميع الاطيار يرمون شرار ونار ورجم بالاحجار على جميع الكفار فانهزموا جميع الكفار واحترق المرضى وانهزمت النصارى الى العادلية لما رأوا تلك القضية ونظرت الكهينة الفرصة إلى هذا الحال فأرادت أنه تدخل بيت رصدها وتأمر الجان أن تساعدها وإذا بالملك الظاهر مقبل بعسكر الاسلام وعلى رأسه بيرق المظال بالغمام وقدامه سيدى عبدالله المغاورى والسبب فى ذلك أن العون الذى تصور فى صفة مغربى سرح وعليه سيدى عبد الله المغاورى وأحضره بين يديه وقال له إيش الذى أغراك حتى تصورت فى هذه الصورة ورميته

وجال الاسلام فى بحر الهلاك قال له ياسيدى أنا فى ذلك معذور فلا تؤاخذنى وأقول على يديك أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قال له حيث انك أسلمت نجيت من غضب الله تعالى ولكن عليك أن تسير معى إلى قلعة الطينة حتى نطلق الاسلام وتأتيهم بالخيل والانعام ونلحق مصر ترد منها تلك اللعينة الساحرة الكهينة فقال سمعا وطاعة وسار مع الاستاذ إلى قلعة الطينة فالاستاذ أطلق السلطان ومن معه بالسوية من بعد ما كانوا معلقين على دواليب الهوى والعون احضر لهم خيلهم وسلاحهم وركب السلطان وعصبة الاسلام جميعا وسيدى عبد الله المغاورى للكهينة وضربها بحربته فى صدرها خرجت من ظهرها وصاح السلطان على الكفار وتبعه المسلمون الابرار وغنى الحسام البتار وقطعوا جميع الكفار ولم ينجح منهم ولا من يوصل الاخبار فاقبل شيحة ورأى تلك الواقعة فلم يلق له شغل إلا القبض على جوان وانعقد الموكب للسلطان وسارت الرجال قدامه الى قلعة الجبل وجلس على كرسى صلاح الدين يوسف وحبس الملعون جوان وأقام يتعاطى الاحكام كما أمره الملك العلام

[قال الراوى] الى يوم دخل الملك قاعة الجلوس يلتقى جميع ما فيها من صنف الصينى والبللور مكسور مجمول اربعة أكوام فى اربعة اركان القاعة والبساط مقوم أربع قطع وشاكرية وخنجر بغير قبضة وخنجر وتذكرة مكتوبة فاخذ السلطان تلك التذكرة قرأها فوجد خطابا من حضرة السلطان بن السلطان الذى له مائتين جدفى السلطنة إلى سلطان مصر والشام الذى اصله معلوم انه مملوك اعلم يا ظاهر انى فى هذه الليلة ما أتيت إلا أقتلك ولكن اخذتنى عليك الرأفة لكون أنك لم تخالف امرى ولا علمت منك عداوتى فحال إطلاعك على تذكرتى هذه تاخذ شاكريتى وخنجرى وتحضر الصاغ يعملوا لى قبضتين من الجوهر وجرابين من الذهب الاحمر وترسلهم لى مع حجة بسلطنة القلاع والحصون وهدية على قدر مقامى وان كان شيحة عندك موجود تقطع رأسه وترسلها مع من يأتينى بالهدية والحجة والخنجر والشاكرية وها انا مقيم فى العادلية منتظر جوابك فان فعلت ذلك كان لك الحظ الاوفر وإن خالفت أنزل عليك مرة اخرى اقطع رأسك واحرم عليك أهلك وناسك وإن أردت أعرفك باسمى فانا المقدم زنبيق اليشمى صاحب قلعة يهمب وقد أعلمتك وأنت على نفسك بصير والسلام [قال الراوى] فلما قرأ السلطان ذلك الخطاب صرخ على جوهر أغاة القاعة وقال له هات إبراهيم بن حسن نطاع الاغا وقال ياأبا خليل تفضل كلم السلطان وكانت صبيحة الجمعة وابراهيم وسعد فى قاعة الحروانية والذى مقيم على حرس الملك دولة الاكراد والباشا عز الدين الحلبى وكان المقدم إبراهيم

أقبل بالسعاة فى تلك الساعة وطلع مع الاغا جوهر ونظر إلى قاعة الجلوس وماجرى فيها فتأسف فقال له الملك وزنبيق اليشمي هذا من قال المقدم إبراهيم يادولتلى إن كان هذا الفدارى ظهر خلى شيحة يروح يبيع ترمس وحمص ويترك السلطنة لهذا الجبار فان هذا له ستة كواخى كل واحد منهم يقاس باربعين مثل شيحة واسماؤهم قصاص الجرة وهو اسم على مسمى يتبع جرة خصمه من يوم إلى سنة ولا يعود إلا به والثانى اسمه شمام الريحة من جملة فكان إذا مسك رمل الأرض وشمه يقول هذه فيها مقتول أوخبية أو دفين كذا وكذا أو كنز فيفتحوا الأرض فيجدوا قوله صحيح والثالث اسمه اللص الملاعب هذا يا دولتلى كلهم فى حماه وهو يعيش زيادة عن أربعين عام ولكن ياتى تارة غلام ابن اربعة عشر سنة وتارة عبد أسود وتارة حبشى وتارة مملوك وله ملافظ فى المنادمة تذهل العقول ويدخل على خصمه أى مدخول وله وقائع وتذكار فى بلاد الكفار يفوق على شيحة مرار والربع اسمه الحرامى سرقاته رجال ينزل على أى ملك من ملوك الروم يحمله من فرشه ليلا ويدخل به غابة أو مغار ويطلب منه كلما أراد ان كان مال أو سلاح وبعد ما ياخذ منه مطلوبه يطلقه وكل الملوك تتقيه وتخشى من غائلته والخامس اسمه كاشف العار وهو كاره إذا كان أحد له خصم قتل له أحد ولم يقدر على أخذ ثاره فيدخل عليه يقع فى عرضه فان كان فقير الحال فيطلع ولا يعود إلا بدماغ خاصمه وإن كان غنى فيأخذ منه مايكفيه من المال والسادس اسمه خايض الصفوف مهلك الالوف وهو بطل من الأبطال المعدودة لايعبأ بكثرة الرجال ولا يهوله ملاقاة الأهوال وهو فحل من الفحول وكل من برز فى الحرب اليه أمسى مقتول وهذه صفة كواخى المقدم زنبيق اليشمي فاذا كانت هذه أوصاف كواخيه فكيف تكون صفته هو وإنما يادولتلى إن كان الحاج شيحة يقدر على افتراسه فلا يكون إلا بسبب دين الاسلام لان زنبيق اليشمي ادعى يأكل القط والكلب ويعبد القمر والنجوم دون الملك الحى القيوم وأما المقدم جمال الدين رجل مؤمن مجاهد فى سبيل الله فلأجل ذلك يأتيه النصر من عند الله .

فما تم إبراهيم ذلك الكلام حتى أقبل سلطان الرجال جمال الدين فاستقبله الملك وطلع به إلى الديوان وحكى الملك لشيحة فضحك على ذلك الحال وقال يا ملك اكتب له حجة بالسلطنة وحضر شيخ الصباغ وأنا أعطيه الذهب من عندى يكفى الجرابين وقبضتين جوهر للشاكرية والخنجر وتقدم له هدية من عندك وأنا أقدم له هدية من عندى فهديتك انت بدلة ملوكى وهديتى انا عبد حبشى آلاتى يسليه إذا بقى سلطان

ويونسه أينما كان فاذا فرغت عمائل القبضتين والجرابين وكتبت الحجة وقامت الهدية فالذى يأخذهم يعوت على قاعتى ليأخذ العبد الحبشى هديته والله تعالى يفعل ما يشاء وتزل شيحة إلى شغله وأما الملك فارسل أحضر واحد سيوفى وأعطاه الشاكرية والخنجر وحوله على شيحة يعطيه ذهب الجرابين وجوهر القبضتين كما قال واحضر الملك البدلة وطيلسان وبيرشان وسلم الجميع لأيدمر البهلوان وأمره أن يفوت على قاعة شيحة لياخذ العبد ويفوت على سوق السلاح لياخذ الخنجر والشاكرية ويسير إلى العادلية ليسلم الجميع لسلطان القلاع والحصون فسار أيدمر وأخذ الجميع وسار إلى العادلية وصاح انت فين ياسلطان الحصون وإذا بالغبار ظهر وعلا رتكدر وانكشف عن حجرة كانها الآر وعليها فارس طود من الاطواد أومن بقايا قوم عاد وصاح اين يا يكربجى فلما نظره الأمير أيدمر ترجل إلى الارض وقبل ركبته كما تفعل الدولة والملوك وقال يامقدم ان ملك الاسلام ارسلنى اليك بهذا الخنجر والشاكرية وهذا العبد وهذه الهدية وهذه البدلة وهذا الكتاب فاول ماأخذ الكتاب وقرأه يجد فيه مكتوبا من بعد إهداء مايليق له من الملافظة اعلم يامقدم زنبيق أن لنا زمان ننتظر واحدا مثلك ياخذ سلطنة الحصون لاجل أن ينفعنا فى قتال الكفار وان شيحة ليس له مقدرة على القتال وحمدنا الله الذى رزقنا بواحد مثلك يعين الاسلام على قتال الكفرة اللئام رها أنا أرسلت لك حجة بالسلطنة على القلاع والحصون وصنعت لك جرابين وقبضتين للشاكرية والخنجر مثل طلبك وأرسلت الك تاج وطيلسان وبيرشان تلبسهم على التخت بين الرجال إذا حضر بين يديك للاطاعة وأرسلت لك بدلة الملك وأرسلت لك عبد حبشى مغنى وآلاتى تتسلى به ساعة تكون صافى البال وإن شاء الله تعالى يحصل لك مايسر ناويناجيما ثم أعلمك أن هذا العبد طالبه منى جمال الدين شيحة مرارا عديدة فلم تسمح له أبدا ولكن انت من محبتى فيك ارسلته هدية منى اليك حتى يطمئن خاطرك فان أردت قدومك وإقامتك عندى فى قلعة الجبل أهلا وسهلا وإن أردت أن تروح قلعتك وتفتخر فى وسط كواخيك وأتباعك ودولتك افعل ماتريد والسلام على نبى ظللت على رأسه الغمام فلما قرأ الكتاب التفت إلى أيدمر وقال له أين الشاكرية والخنجر فقدمهم بين يديه فتامل فيهم فوجد قبضاتهم تضوى وهى من الزجاج المجلى فظن انهم جوهر والقرابات من النحاس الاصفر المطلى فظن انهم ذهب فمال على قفاه من الفرح والطرب وبعد ذلك طلب الحجة بالسلطنة فقرأها يجد فيها استخرت الله العظيم وأوليت المقدم زنبيق اليشمى أن يكون سلطان القلاع والحصون لما فيه من الفروسية ومن الشجاعة

وعزلت المقدم جمال الدين لعجزه عن الحرب والقتال ففرح الفداوى بذلك الحال وبعد ذلك طلب العبد فتقدم بين يديه واذا به عبد حبشى جميل الصورة أحمر اللون فقال له أنت عبد ياصبى فقال له أنا عبد السلطان الذى يحكم الخلق جميعا فقال له وهاأنت صرت ملكا طلقا وايش صنعتك عند الظاهر فقال له أغنى على العود ولى صوت يطرب إلى العقل اذا كنت ياخوندى قاعد بين أحبابك وطلبت ان تتسلى فانا أغنى على العود كما كنت عند السلطان فقال المقدم زنيق وشيحة يعرفك فقال نعم يا خوند مرارا عديدة يقعد مع الملك ويسمع غنايا وطلبنى من السلطان ليأخذنى لنفسه فلم يرض ان يعطيه له وأنا أيضا تمنيت على السلطان ان لا يعطينى لشيحة لان شيحة ليس هو من الفرسان المعدودة للحرب بل أنه صاحب خيل فقط وأنا لا أحب الا الفارس فقال له وايش اسمك فقال اسمى نقمة الزمان فقال زنيق اليشمى أنت صرت ملكى فقال العبد طيب ياسيدى وفرح المقدم زنيق وأمره ان يغنى قدامه فى هذا الوقت فغنى له حتى أطربه والتفت زنيق اليشمى الى الامير أيدمر البهلوان وقال له يابيلربجى أنا فى هذا المكان ليس عندى قبارصة ولكن خذ منى تذكرة بنصف أردب شعير انعام من عندى وتبقى تأتى عندى فى قلعتى أعطيك اياه فقال أيدمر البهلوان فى عقله والله لو قسموا السلطنة بالفدان لم ينوب هذا المعرص ولا حبة واحدة وأخذ التذكرة ودعى له وعاد على عقبه طالب قلعة الجبل وعاد الى السلطان ودخل قبل الارض واعلمه بما جرى وأما المقدم زنيق اليشمى فانه أمر رجاله بالركوب وكانوا ستين مقدام كواخى فركبوا اصحبته وساروا طالبين بلادهم وهم فى غاية الافراح بما قال المقدم زنيق اليشمى وكون أنه صار سلطان القلاع والحصون ولم يبق أحد فى الحصون ينال هذه المرتبة ولما ساروا المساء نزلوا المبيت ونصبت لهم الخيام واصطنعوا الطعام وقعدوا يأكلوا وبعد أكلهم قدموا آنية المدام فأمر المقدم زنيق العبد ان يغنى له على الخمر فقعد العبد وغنى انداب حتى حير عقول أولى الالباب وداموا كذلك حتى أدركهم المنام فناموا الى الصباح وكان المقدم فى ست خيم كل خيمة فيها عشرة أبطال فلما طلع النهار وجدوا فى كل خيمة رجلا مذبوحا واما خيمة زنيق اليشمى سليمة لم يحصل فيها ضرر وكان العبد نائما تحت رجلين المقدم فلما أفاق المقدم زنيق وجد العبد نايم فنبهه برأفة وقال قم يانقمة الزمان النهار طلع فقام العبد يدعك فى عينيه وكان زنيق تولع بمحبته واذا بالرجال داخلين عليه واعلموه بقتل ستة كراخى من كل خيمة واحد فقال زنيق ومن قتلهم فقالوا لا نعلم ياخوند فقال لهم اذا كانت الخيمة فيها عشرة رجال ينامون جميعا لم يقعد أحد الغفر واحنا فى الاعداء وأنا سلطان

القلاع والحصون ويقتل منى ستة أبطال فى ليلة واحدة فهذا أكبر عيب فى السلطنة ولكن حاذروا يا رجال على أنفسكم ثم انه ركب وركبت الرجال وسافروا طول ذلك اليوم ونزلوا فى المساء وباتوا وعند الصباح أقاموا فوجدوا فى كل خيمة رجل مقتول فدخلوا اعلموا المقدم زنبيق فاغتاظ غيظا شديدا ونظر الى العبد فرآه ضعيفا بالحمة فقال له يا نقمة فبكى وقال نعم يا سيدى فقال له ايش جرى عليك ما أنت بايت طيب فقال لم أعرف يا سيدى ماجرى لى وبكى فقال له هذه الحمة يا نقمة معاك من زمان فقال يا سيدى من زمن ولكن كان السلطان لما رأنى محموم يحضر شيحة يعمل لى دوى فاطيب وأنا شيحة لا أرضى ان يرانى ولا أراه لانه بدوى جبار وأنا على كل حال عبد فقال اظن يا نقمة ما دهانى من رجالى الا هذا القرن شيحة فقال العبد صدقت والله ياسيدى انه يدخل على المقدم ويقول له افتح وانظرنى انا المقدم جمال الدين شيحة وأنا الذى قتلت رجالك ولا بد لى من سلخك وتعليق جلدك على قلعتك ولو تعلقت بالسحاب وهذه أعماله فخذوا حذركم منه لانه رجل محتال فقال زنبيق اشر وان وقعت عينى عليه ادقه دق الكفتة فى الهون وسوف ترى يا نقمة ما أفعل معه ثم انهم ركبوا وساروا الى المساء وكانوا كما ذكرنا ستين مقدم قتل منهم اثنى عشر والباقى ثمانية وأربعون وباتوا تلك الليلة وأصبحوا فوجدوا أنفسهم اثنين وأربعين مذبوحين فلطم زنبيق على وجهه وهكذا مدة عشر مراحل لم يبق الا هو والعبد فقط وكان وصل الى الشام فاجتمع بالستة كواخى الذى قدمنا ذكرهم وسلم عليهم فسألوه عن ما فعل فأخبرهم بالذى جرى وموت الرجال فى الطريق ولم يعلم الغريم

فقال المقدم قصاص الجرة أنت ايس لك خصم الا هذا العبد فضحك زنبيق وقال له اذا كان العبد خصمى وهو نايم معى كان بدل ما يقتل رجالى يقتلنى فنصحوه فلم يقبل منهم نصيحة لانه كما ذكرنا تولع بحب ذلك العبد والقى الله محبته فى قلبه لاجل انفاذ الارادة وسمع العبد كلامهم وعرف أنهم ذوفهم وادراك فكتم سره وسافروا الى حصن ... فضربت المدافع واجتمعت الرجال وذبحوا الذبائح وافتخر المقدم زنبيق ورجاله حجة السلطنة وملبوس المملكة فقالوا له يا خوند هذه المرتبة لم يسبقك احد عليها من قبلك ولا ينالها أحد بعدك فقال يا رجال لولا ان الظاهر كتب لى حجة السلطنة والا كنت ذبحته على فراشه وحكى لهم على ما فعل فتعجبوا من قوة قلبه وجسارته وعلموا أنه ذو بأس شديد فجددوا الافراح الى الليل فاغتنموا الحظ فى لهوهم والعبد نديمهم وساقيهم فادغر عليهم البنج وارقدهم وتركهم وسار الى مكان حريمهم فوجدهم

مثل رجالهم تايهين فى بحر السرور والكاسات عليهم تدور فرمى عليهم تمفينة بنج أرقدهم ودخل الى زوجة زنبيق وعرفها من دونهم وعاد الى محل الرجال وحلق لكل واحد نصف لحيته اليسار وشنبه اليمين واما زنبيق حلق كل لحيته وصوره فى صفة زوجته ونظف وجهه وخططه وكحل عيونه والبسه ملبوس امرأة على صورة زوجته وأوقفه بين الرجال ومسك دكة اللباس بيده وسار الى محل النساء والبس زوجته ملبوس وركب دقنه وشواربه على وجهها وجعلها فى صورة والبسها سلاحه وعدته وأوقفها بين النسام وسار الى محل نومه وبنج روحه ونام وعند الصباح افاقوا فالتقوا الخدم والكواخى مبنجين فاحضروا ضد البنج وأطلقوه فى مكان الرجال ومكان النساء فلما أفاقوا الحريم ونظروا الى زوجة المقدم زنبيق وهى فى صفة زوجها فقالوا لها زعم يظنون أنها المقدم زنبيق يامقدم اما تخف من العيب ان تقف هكذا بين الحريم ولا تخشى من عاقبة الجهل والندم ونحن حريم نايمين وأنت تقف هكذا تنظرنا ونحن مكشوفين فقالت لهم ماأنا راجل أنا مثلكم حرمة وهذا الملبوس لم اعلم من الذى البسنى اياه ثم أنها كشفت نفسها حتى صدقوها ونتشت اللحية فانقلعت من على وجهها فتعجبوا النسا من هذا الحال واما المقدم زنبيق اليشهى لما فاق هو ورجاله نظروه الرجال وهو على صفة زوجته فقالوا له يالبوة اذا كنت مرادك فى زوجك كنت ترسلى تأخذيه يختلى معك ولا تجىء هنا وأنت على هذا الحال

فلما وبخوه بالمقال قال لهم أنا سلطانكم وما أنا حرمة وكشف عن نفسه فتعجبوا ووجدوا تذكرة مكتوب فيها يارايح قل للجاى لا فكرة ذى الوى من حضرة زمانه القيان جمال الدين شيحة الى زنبق اليشهى ياقليل الادب احتفظ على نفسك أنا كنت فى هذه الليلة قاتلك أنت والعبد الذى أعطاه لك الظاهر ولم يرض يعطيه لى مع انى أنا هذا العبد طلبته مرارا من الظاهر فلم يعطه لى وانا والاسم الاعظم قاعد معكم آكل وأشرب معكم وان لم ترجع يا زنبيق وتعود للسلطان تخدمه وتعطيهنى والا على طول الايام اسلخك وها انا أعلمتك والسلام فطلب زنبيق العبد فرآه مبنج ففيقه

فقال العبد أنا فين فقال له لا تخف أنت عندى وشيحة جاءنا هنا وفعل هذه الفعال فقال العبد أنا شيحة أعرفه طيب ومتى رأيته قبضت عليه فاعتمد كلامه وانصرفوا الناس ولما كان فى الليلة الثانية حلق باقى شواربهم والليلة الثالثة دوخهم بالنار والرابعة قال المقدم زنبيق يارجال أنتم اقعدوا فى القاعة ولا تناموا الا

بالصبرة وأخذ العبد وطلع به إلى برج القلعة يكشف على الملا حتى ينظر من يدخل القلعة وأقام يكابد الصبر إلى ثلث الليل الأول والعبد ينادمه ويمازحه على قدر عقله حتى تمكن منه وبنجه وربطه بالمشرياق بعد ما لفه فى ثيابه ودلاه من طاقة البرج إلى الارض وأراد أن يحمله فرآه ثقيل فلقى فى البر هجين العرب مزضية ولكن قليل الخطا فحمله على ذلك الهجين وضربه بالسوط على أجنابه فصار يجرى كأنه الغزاله ويقطع البر والتلال فصبح على قلعة المعرة فدخل على المقدم سليمان الجاموس وقال له انظر لى مكان حتى أضع فيه زنبيق البشهى وأؤد به فانه قليل الادب قال له المقدم سليمان هذا وراءه أتباعه لابد يلحقوك فقال له اذا حضروا هنا وسألوك عنى فقل لهم أنا خبيته فتشوا عليه ان لقيتوه خذوه قال له أصبت وكشف له عن طابق فى وسط الديوان وأنزله فيه ورد عليه التراب وأمر السقا أن يرش الارض هذا وشيحة فوق زنبيق البشهى وقال له كيف رأيت نفسك يا قليل الادب ها أنا المقدم جمال الدين شيحة وشبحه ومال عليه بالسوط القضبان . وأما ما كان من أمر رجاله وهم الست مقادم الذى قدمنا ذكرهم فانهم أفاقوا عند الصباح ينتظروا مقدمهم فلم يأتى ولم ينزل لهم مكانه فطلعوا له فى المكان الذى هو بايت فيه فلم يجدوه ولم يجدوا العبد الذى بصحبته فركبوا خيولهم وتبعوا جرته حتى وصلوا إلى المعرة ودخلوا على المقدم سليمان الجاموس وقالوا له يامقدم ان شيحة لعب ملعوب وأخذ مقدمنا وأتى به إلى قلعتك هذه ولم ينتقل منها فاطلعه لنا حتى نأخذ منه مقدمنا وان قتله نأخذ بثاره وان كان بالحياة نخلصه منه فقال المقدم سليمان يامقادم أنتم تعلموا أن شيحة سلطان وأنا من رجاله اذا قال لى خبينى أخبيه وها هى قلعتى قدامكم فتشوها ان لقيتموه خذوه وأنا لا أحاربكم ولا أقاتلكم فعند ذلك تقدم شمام الريحة وأخذ من الارض رملة وقال افتحوا هنا ففتحوا فانكشف الطابق فنزلوا فوجدوا مقدمهم على آخر نفس من شدة الضرب الذى أكله من شيحة بالسوط القضبان فقبضوا على المقدم جمال الدين شيحة وأطلقوا المقدم زنبيق وقالوا له سر بنا إلى قلعتنا فقال لا وحق الجبل الجربان لم أعد حتى أفرح شيحة على أنواع العذاب وإن مات قطعته ورميت لحمه للكلاب إنما واحد منكم يعطينى حجرته ويروح الى القلعة يأتينى بحجرتى ويكون الاجتماع على وادى الرياض فقالوا سمعا وطاعة ونزل واحد منهم وأعطاه حجرته فركبها وأخذ شيحة وربطه بحبل من رقبته وأعطى الحجرة بالركاب الحديد فطارت فى البر فصار شيحة يجرى على قدر جرى الحجرة وأعانه على ذلك رب القدرة حتى وصل إلى وادى الرياض

ونزل من تلك الحجرة وجذب شيحة وربط يديه كل يد فى شجرة ورجليه كل رجل فى شجرة وصار يجمع من فروع الشجرة الاخضر حتى جمع شيئا كثيرا قال شيحة لاى شىء جمعت هذا الحطب فقال له اكسره على أجنابك فقال هذا قليل اجمع كان تجمع حقدة أكبر من الاولى وتقدم ليضرب فسمع ضحكة من بطن الوادى فانشغل ومشى إلى صدر الوادى فوجد بنت أفرنكية راقفة وبيدها سل من البوم ملان فواكه وبيدها طرحة من الشعر تحذفها على الشجرة وتشدها فيميل الفرع عليها فتأخذ منه الفواكه فلما رآها المقدم زنبيق تولع بحبها قلبه فقال لها يا بنية على ايش تضحكى قالت عليك لانك طويل وعريض ومعك رجل لم يساويك فى طولك ولا فى عرضك ورابطه وقصدك تضربه قال لها يا بنت هذا شيحة الذى أخرب بلادكم وأهلك ملوككم فقالت البنت يا سيدى ان كان هذا شيحة المسلمين فانه قتل زوجى البطرق فريمه الذى كان يحار فى هذا المكان وسبب قتله انه كان مرتب عليه فى كل عام الف دوقانة ذهب ياخذهم عند استهلال شهر ادار الى أن كان فى هذا العام كان زوجى اشترى بها باليواقيت التى كانت معه ولم يبق معه شىء فأتاه شيحة وطلب منه الالف دوقانة قال له امهل على قدر شهر فلم يقبل سؤاله وقال له يا كلب فتح عينك وقعت فى شرك السابق واتكأ عليه قتله وأنا فى عرضك ياسيدى أنك تقطع رأسه وتفرجنى عليه وهو مرمى على الارض جثة بلا رأس قال المقدم زنبيق مرحبا بك وتقدم الى تلك البنت وطقطق على ظهرها فتنهدت بغنج ودلال فتاه عقل الفداوى وطلعت تفاحة من السل وأكلت نصفها وأعطته النصف الثانى ففتح حنكه وأكلها . فلما استقرت فى جوفه وقع مغمى عليه هذا كله جرى وشيحة ينظر فعالها قال لها أحسنت يا بديعة الجمال فقالت فتح يا ابى انا السابق ولدك وتقدم اليه ففكه وشبح الفداوى مكانه وفيقه يجد نفسه مشبوح قال يا بنت لاى شىء فعلتى هذه الفعال قالت له ليس انا بنت واما انا اسمى محمد السابق بن المقدم جمال الدين فالتفت إلى شيحة وقال له انت لك سابق ولا حق قال نعم وحط شيحة يده فى العصى الذى جمعهم زنبيق الوحشى واخذ عقدة منهم والسابق اخذ عقده ثانية ومالوا على زنبق مثل دق الحداد طالعين نازلين حتى تاه عن الوجود وفنى الحطب على اجنابه فبين ماهم واذا بالكواخى الستة مقبلين طالبين ذلك المكان قال شيحة يا سابق اطلب يمين وانا اطلب يسار فانفردوا ودخلت الكواخى فوجدوا مقدمهم مشبوح فأرادوا ان يفكوه قال لهم الحقوا شيحة وابنه لا تعوقوا الابهم فانهم عذبونى وقصدى اعذبهم فطردوا الخيل خلفهم وتركوا الفداوى المربوط على حاله واذا بشيحة والسابق قادمين فمسكوا واحد سوط

غضبان وفوقوه العذاب الوافى حتى اقبلت الخيل من البر وقد هلكت من الحر فهرب شيحة والسابق ودخلوا الكراخي قال زنبق لحقتوا نورد فقالوا لم نلق أحدا قال لهم تعالوا فكونى والاشيحة واولاده بهلكرفى فتقدموا اليه يفكوه فوجدوا ضرب السياط على جسده مثل رص السمك المملوحة رأس على ذنب وذنب على رأس قالوا يا حماية الله من شيحة وفعله ما هو الاخبار ثم انهم اتوه بادوية واعشاب ودهنوا له براهم حتى بردت اعضاؤه وقالوا له ايش دولت أن تفعل قال لم ارجع عن شيحة ولو يعلق بالسحاب اعطونى حجرتى حتى الحقه ابن ماكان وركب حجرته وسار فى البرارى والقفار وهو لا يقر ولا يهدى فاقبل الى بستان فواكه واشجار وانهار واطيار ترحد الملك العزيز الغفار فدخل لاجل أن يستريح من الحر والهجير فلقى رجل اختيار قاعد بجانب نهر جارى يذكر الله تعالى فتقدم له الفداوى قبل يده وقال له لاتخف فان حاجتك مقضية عن قريب قال ياشيخ ادع لى الى الله يوقع شيحة فى يدى لاتشفى بعذابه غليل كبدى قال له عن قريب يقع فى يدك ويقول لك هاأنا شيحة جمال الدين يافارس الخيالين فقال له المقدم زنبق ياشيخ أنا قلبي يحدثنى بانك عدوى بالاسم الاعظم ما أنت شيحة قال له أنا بذاتى امسكنى طيب فشرط الطير الحر إذا وقع لم يتململ فانقض عليه كتفه كتاف شديد وجمع من الغابة حطب ناشف وضرب فيه النار وقال لا اموتك يافرن الاحريق قال شيحة النار يامقدم لم تحرق المسلم ولايعذب بالنار الا الرب الجبار وإذا خلصت من يدك فى هذه النوبة لابدان افرقك حرارتها قال يافرن اين باقى اولادك حتى انى احرقهم معك قال له هاهم قاعدين لك بالمرصاد اين ماسرت يتبعوك وعلى ماتفعل معى يجازوك قال زنبق يافرن لابد لى بعد ما احرقك بالنار احرق اولادك بعدك فما تم كلامه الا ونارنجة من النحاس وفيها زيت نفض وقعت فى قلب النار واشتعل الزيت بربعة عالية فشمها شيحة وزنبق رقدوا بجانب النار وطاق الدخنة محمد السابق وتقدم فاطلق اباه ورفيقه ثم كتفوا الفداوى وفيقره فرأى روحه مكتف وشيحة وابنه واقفين قال يا فرن أنت من الانس اومن الجن الله يحرقك ويحرق اولادك معك قال له شيحة يافداوى طع وادخل فى دين الاسلام واترك العند فما أنت من رجالى ولاتعتمد على رجالك الذين يتبعوك فانا لو اردت هلاككم جميعا لم يبعد على وانما أنا منتظر ان الله يهديكم للاسلام فاذا لم تطع وتسلم اسلخك مثلما سلخت غيرك من اولاد عمك قال زنبق يافرن كيف تقول هذا الكلام وانا معى حجه بالسلطنة من الظاهر وأنت معزول قال شيحة الحجة التى معك أنا اخذتها

وقطعتها واضربك بالسوط على جلدك بعدد حروفها ولا تنفعك حجة ولا غيرها لان السلطان له البلاد وأنا سلطان على المجاهدين فى طاعة رب العباد فقال السابق يا أبى خذه وسافر على مصر قال شيحة أولا اخذ توابعه معه ثم انه شده على حجرته بالعرض بعدما بنجه وسار طالب مصر فقال له السابق يا ابى أنا اعمل لك حيلة تقبض بها ومعه اخوته نصبوا لهم خيمة فى الطريق وقعد أحدهم يبيع عيش والثانى يبيع جبن وسمن وزيت والثالث يبيع بطيخ وأما السابق أتى بزير ملاه بالماء وجعله سبيل ووضع زنبيق اليشمى على جنب وربط حجرته إلى جانبه ورقد شيحة بجانب الزير وما فرغوا من اشغالهم حتى اقبلت المقادم اتباع زنبيق الستة وهم يقلمون الخيل فلما وصلوا إلى ذلك المكان وجدوا حجرة المقدم زنبيق واقفة تلوك فى لجامها وجنبها رجل نائم والمقدم زنبيق مصفد فى الجدان فقالوا للسابق ياصبى لمن هذه الحجرة ومن أتى بها إلى هذا المكان فقال لهم يامقادم انظروا صاحبها نائم جنبها اسألوه ان كنتم تعرفوه فتقدم واحد منهم لشيحة وهو نائم كتفه وفيق المقدم زنبق فلما افاق ورأى شيحة مكتف قال لرجاله احملوا هذا المعرص وعودوا بنا إلى القلعة حتى أنى اشتفى منه بالعذاب واذيقه الضرب والعقاب ولكن حتى نتغدى فانى صار لى يومين لم آكل فقالوا له ونحن كذلك فعند ذلك قال زنبيق لصاحب العيش بكم الرغيف فقال له بجديدين فاخذ منه خمسة رغيف بثلاث دراهم فضة واخذ بطيختين بدرهم واخذ جبنة بدرهم واصطفوا حول الطعام فقدم لهم الماء واكلوا وشربوا ورقدوا مكانهم فصفدهم على خيولهم وساروا بهم يقطعون الارض طولا وعرض حتى وصلوا إلى مصر ارسل شيحة ولده المقدم نورد فاعلم السلطان بقدومه ونزلت الرجال والمقدم سعد وتلقوا المقدم جمال الدين وضربوا له الاطاعة هذا وزنبيق اليشمى مكتف وكواخيه مثله مكتفين وناظرين الرجال لما اطاعوا شيحة فقالوا بعضهم بعضا والله مامقدمنا إلا متعرض الشىء ليس هو قياسه وهذا من جملة الحسد لشيحة وبهذا يهلك نفسه ويهلكنا معه يا اخى إذا كان النسر بن مجبور ومنصور العقاب وجبل بن رأس الشيخ مشهد وصوان بن الافعى وابراهيم بن حسن وسعد بن دبل ومن يجرى بجراهم من تلك المقادم الذى كل طل منهم إذا ركب ترتج الارض لركبته وهم جميعا طائعين شيحة بالله إذا كان المقدم زنبيق التشمى اعطاه ربنا السلطنة وكانوا هؤلاء المقادم التى انتم ناظرين لهم ياهل ترى يرضوه أن يكون سلطانا عليهم وهم كل واحد منهم له قلعة اكبر من قلعته وله رجال كواخى اكثر من رجال زنبيق وكواخيه وإنما الحاج شيحة هذا وقد أعطاه الله تعالى اسرارا لم يعطها لغيره والصواب

انذا نقع فى عرضه ونطيعه وندخل فى دين الاسلام قبل مايفرط الفرط فينا ويسلخنا الحاج شيحة ولا ينفعنا زنبيق اليشى ولا غيره هذا كله يجرى وشيحة وضب الموكب وركب ومشوا فى ركابه سعاة السلطان إبراهيم وسعد وناصر الدين وعيسى الجماهرى ومن يلوذ بهم وسار الموكب إلى قلعة الجبل ودخل شيحة الدوار وقام السلطان استقبله وأجلسه من يمينه بينه وبين الوزير وأوقفوا زنبيق اليشمى ورجاله فقال الملك يا مقدم زنبيق انت طالب سلطنة القلاع والحصون وأرباب القلاع يعنى ارتضوك أن تكون سلطانا عليهم وإنما شيحة حكمهم بعدما جرى له منهم عجائب وأهوال وعند ما أطاعوه ساعهم فى كل ما فعلوه وساروا له اتباع وأراحوا انفسهم من الصداع وأنت أتيت بجهلك وعدم عقلك وتطلب أن تعارضه فليس أنت من أمثاله ولا تعد من أشكاله وهاهو قبضك وقبض رجالك وجاء بك هنا لأجل سلخك وتعليق جلدك على قلعتك وأنت ظلمت نفسك وظلمت رجالك فما تقول فى دين الاسلام وإطاعة شيحة وتبقى من رجاله مثل غيرك فقال زنبيق يادولتلى لو يكون فى القلاع مقدام معدود ما أطاع هذا التقصير ولكن من عجزهم وذلهم أطاعوا وأما أنا لم أطعه وإن كان يسلخنى هو وشانه فان السلخ أحسن ما يقال ان زنبيق اليشمى خاف من الموت وأطاع بدوى قرقيطى راعى جمال وغنم وأما رجالى فهاهم حاضرون فمن أراد أن يكون معى أو ينسلخ مثلى لا بأس ومن خاف من السلخ وأطاع شيحة فيفعل مايريد فقال الملك لما نسألهم والتفت إلى الستة مقادم وقال يامقادم أنتم سمعتم ماقلت لمقدمكم وماقال والعاقل يعتبر ويحفظ مهجته وأنتم ايش تقولوا فى دين الاسلام واطاعة سلطان الحصون فقالوا جميعا عن لسان واحد يادولتلى احنا نقول على يديك اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وهى طاعة الخوند إلى ملك القلاع والحصون الحاج شيحة عز نصره ونحن نكون تحت طاعته نوافى من وافاه ونعادى من عاداه اى والاسم الاعظم فقال شيحة مرحبا بكم وفرح بهم وقام على حيله أطلقهم من وثاقهم وكتب اسمه على شوا كرهم وكتب اسماؤهم فى دفتر الرجال وانعم عليهم وسأل إبراهيم بن حسن عن اسلامهم واصلهم فقال اسلامهم صحيح لاشك فيه وكذا اطاعتهم بقلب صاف ونية صادقة كل هذا وزنبيق اليشمى أراد أن يتفرقع لما رأى رجاله اطاعوا شيحة فالتفت السلطان إلى زنبيق اليشمى وقال له رجالك هداهم ربنا للاسلام وانت ايش بقى عندك فقال زنبيق يا ملك الدولة المقدم نصير النمر أماهو ادرعى وحماه الملك عرنوس وأنا يا ملك الاسلام دخيل عليك احمينى من شيحة وأخدمك مثل ما خدم نصير الملك عرنوس وهى طاعة الخوند لك ما هو

لشيحة وأكون فى حمايتك من شيحة قال له السلطان وان حصل منك غدر قال يا دولتلى ان حصل منى خلل فسيفك طويل وتبقى خصمك وخصم شيحة وان مشيت فى أدبى تبقى فى حمايتك وشيحة يرفع عنى فقال السلطان يا مقدم جمال الدين الفداوى طاعنى وانا أطعت الخوند لك حتى يبقى نصير ما خرجش عن الاطاعة فهو أطاعنى وانا طعتك فتعتقه لى كما عتقت نصير النمر لعرنوس فقال شيحة يا ملك الاسلام أنا لم نرجع كلامك عن رجل احتمى فيك وانا اكرمته لك وها هو عندك ومنى عليك السلام ونزل شيحة إلى بيته وأما السلطان فلم يمد والمقدم زنبق فانطلق وقام قبل انك السلطان فقال له السلطان له تمنا على تعطى قال يا دولتلى اكون ساعى ميمنتك وغفير مبيتك وحجابك ورسول الغضب ورسول الرضى وراحات الحرب وسياج العذارى فقال السلطان اما الستة الأول اعطيتها لك واما سياج العذارى فهى لابراهيم لأنه اخو الملكة وغيرها ولا يمكن يتولى خدمتها إلا هو فقط فقال ابراهيم إذا كنت اعطيته ست مراتب فاعط اليه السابعة فانا مليت من هذه المراتب التى شبعت عليهم حسد فانا آخذ بسيفى من بلاد النصارى اكثر من جامكيتك ولا احد يحسدنى ولا يعاندنى فقال السلطان انا انعمت عليه بذلك واما انت جامكيتك على حالها نقبضها ولا ينقص لك شىء فقال ابراهيم إذا كنت خدام اطلب جامكيتى وان كان غيرى هو الخدام بقيت انا اطلب جامكيتى على إيش وانت عزلتنى وعن خدمتك منعتنى فخدم من تشاء ومنى عليك السلام ونزل المقدم ابراهيم فدنوا فيه الرجال وفافص منهم فوقع الخنجر الباش من المنطقة ومع الجذبة نزل كالبولاد على قبضة الخنجر فانفكت الفصوص من القبضة فلمهم المقدم على ابن الشباح من الأرض وصرهم واعطاهم للمقدم ابراهيم واعطاه الخنجر فصعب على المقدم ابراهيم ذلك فسار من القلعة إلى سوق السلاح إلى الاسطى رميح السيوفى وهو شيخ السيوفية وقال له هذا خنجرى ركب فصوصه كما كانت وخذ هذا الكيس بالف دينار كلف به الخنجر كما كان قال سمعا وطاعة قال له لا تعطيه لأحد إلا إذا ارسلت لك تذكرة بختمى فقال على الراس والعين، ركب المقدم ابراهيم وسار إلى قاعة الحرارنة فلحقه المقدم سعد قال ابراهيم جيت يا سعد فقال سعد انا لم اقدم مع احد غيرك فجمع كل ماله فى قاعة الحوارنة واخذ رجاله واتيا وهو طالب قلعة حوران هذا ما جرى لابراهيم واما زنبق الشهبى فانه وقف فى خدمة السلطان ذلك النهار وآخر النهار تولى خدمة السراية طول ليلته واقام كذلك إلى ليلة الجمعة فاعطاه الملك سياح للمبيت فى قلعة الحرارنة فركب برجاله وصار قاصد قاعة الحرارنة فلقيه اثنان اعجام فتقدموا باسوا رجله فى الركاب وطلبوا منه إحسان فاراد

ان يعطيهم صدقة فقالوا له يا مقدم نحن ما نريد اموالك وإنما مرادنا اكل الطعام فانه عندنا اخذ الدراهم حرام فقال لهم سيروا معي إلى القاعة وكلوا مني من طعامي فساروا معه إلى القاعة ولما جلس امر باحضار الطعام فقالوا له الطعام لا يحلوا إلا بالمدام فقال لهم وهذا عندي موجود انتم تشربوا خمر فقالوا نعم هات فأمر باحضار المدام وشرب معهم فلما لعبت بعقولهم الخمر تشقوا رؤوسهم وإذا هم لابسين ملبوس نصارة فقال المقدم زنبيق انتم من فقال جوان وهذا الرنقش إيش عملت مع شيحة وإيش جرى الك حتى تركت سلطنة القلاع التي انيت من اجلها وخدمت عند الظاهر ورضيت بذلك فقال زنبيق آه يا جوان عقلي ذهل من شيحة وفعله وحكى له على كل ما جرى فقال جوان ان طاوعتني انا املكك سلطنة القلاع والحصون وسلطنة مصر والشام ولم يبق غيرك في الدنيا سلطان فقال زنبيق في عرضك ياجوان دلني فقال له جوان بكره البس بدلة بيضا وخذ في يدك سبحة واطلع الديوان وانت تتشهد اشارة الى انك اسلمت واذا سألك السلطان فقل له اسلمت على يد معروف بن جمر وعلمه جوان على طرايق الاحتيال وبات معه يدبران في انواع النجاسة الى الصباح وركب زنبيق اليشهبي وطلع الديوان بملابسه بيض كما اعلمه جوان وبيده سبحة فلما رآه السلطان فرح باسلامه وسأله فقال يادولتلي رايت المقدم معروف بن جمر في المنام وقال لي يا مقدم زنبيق أنت تكون من المجاهدين في طاعة الله ولا تموت الا شهيد الجهاد فاسلمت على يديه وهو الذي علمني الذكر والتسبيح وأصبحت كما ترى فقال السلطان نعم ما فعلت يامقدم زنبيق والله انك سريت خاطري باسلامك وانشرح صدر السلطان ووقف في الخدمة لآخر النهار وروح الى القلعة واجتمع بجوان وأعلمه بما جرى فاعطاه جوان أربع فصوص الماس وقال له فرج عليهم السلطان وقل له مرادي اعمل لي خنجر مثل خنجر المقدم ابراهيم فقال له مليح ولما كان عند الصباح طلع زنبيق ومعه الفصوص فنظرهم السلطان وسأله فقال ياملكنا مرادي في خنجر مثل المقدم ابراهيم بن حسن فضحك السلطان وامر الخزندار أن يعطيه فصين جوهر ومايتين دينار فاخذهم وسار الى رميح السيوفي واعطى له الفصوص الستة وقال له اعمل لي خنجر المقدم ابراهيم بن حسن فقال له ياخوند أما السلاح يقارب سلاح الخنجر بتاع المقدم ابراهيم وأما الجوهر فهذه الفصوص ستة وأما الفصوص التي على قبضة خنجر المقدم ابراهيم ستين فص فيبق الفرق بعيد بين ستة و بين ستين فقال الفداي كذاب فقال رميح الخنجر هاهو عندي فقال له وريني اياه فوراه له فقال اعطه لي حتى اوريه للسلطان وأطلب منه فصوص مثل تلك الفصوص فقال له هات سندعليك

عندك فاعطاله سند عليه وكان هذا بتدبير جوان واخذ الخنجر بتاع ابراهيم واتى به الى جوار فلما رآه جوان ارسل البرتقش اتى له بصايغ رومى وقال له مرادان تعمل لى خنجر يكون مثل هذا وخذ كلما تريد وانت عندى فى مكانى قال مرحبا ياابانا واجتهد الصايغ حتى تم الخنجر مثل خنجر ابراهيم فنظر جوان فوجد الخنجرين لم يفترقا عن بعضهما ففرح وقال يابرتقش أطعم الصايغ قربانه من هدية المسيح فعرف البرتقش المقصود واتاه بقربانة ممزوجة بالسم الخارق فاكلها الصايغ فذاب وواره جوان فى التراب وبعد ذلك احضر واحد نقاش وامره أن ينقش ختم اسم المقدم ابراهيم بن حسن ففعل ماأمره وفعل به كما فعل بالصايغ والتفت الى زنبيق وقال له فى هذه الليلة تذبح السلطان وتأتى الى السور تجد سرياق على حرف السور من الحرير يسحب السرياق عندك تجد معلق فيه جدان افتح الجدان تجد فيه انسان مقتول صورته مثل صورتك ولابس بدلة فداوى مثلك وملبوسه مثل ملبوسك فاذا رايته لبسه شواكرك وسلاحك وخناجرك وضع هذا الخنجر فى منخره ونيمه فى مكانك وضع هذا الكتاب على صدره وهات السلطان هنا عندى حتى اريك كيف العمل واملكك مصر والشام وسائر بلاد الاسلام وتبقى القلاع والحصون وجميع المملكة لك أنت فقط ولايبقى الظاهر حكم عليك ولا غيره قال له صدقت وسار المقدم زنبيق اليشهبى الى الديوان ووقف فى خدمة السلطان لآخر النهار وفرغ الديوان ونزلت الدوله الى اماكنها والملك دخل الى قاعة الجلوس وصلى المغرب والعشا وطلب النوم وكان الفداوى قاعد له بالمرصاد حتى نام فدخل ووضع على وجهه منديل مبنج فغط النوم على النوم وطلع الى صور القلعة وكان الملعون جوان ارسل البرتقش الى حارة اليهود وجاء بواحد يهودى وجهه مثل وجه زنبيق اليشهبى والبسه بدله بعدما بنجه وذبحه وحطه فى جدان وربطه بسرياق وحذف باطرف السرياق على صور القلعة وكان زنبيق قضى شغله وكان فى ذلك النهار وجع خنجر المقدم ابراهيم الى رميح السيوف ووضع فى نحر القتيل الخنجر الذى اعطاه له جوان على صفة خنجر ابراهيم ووضع القتيل على الصور قدام قاعة الجلوس وأخذ السلطان ونزل بكر الى أن وصل الى الكنيسة التى فيها الملعون جوان فلما رآه فرح به وقال أين حجرتك قال حجرتى فى اصطبل السلطان مع الخيل فقال جوان بخاطرها وقدم له حجرة غيرها وركب جوان حارته وكذلك البرتقش وأخذوا السلطان مبنج وساروا تحت الليل ولم يصبحوا الا فى بلاد بعيده وجدوا سيرهم الى الاسكندريه وكان الملعون جه ان عاطى رموز قدامه لقبطان رومى من بحيرة يغره يقال له القبطان بسطه فحضر له الغليون ونزل جوان

والبرتقش وزنبيق اليشمي ومعهم السلطان ورفعوا مراسي الغليون وساروا على وجه البحر مدة احدى عشرة يوم هذا وزنبيق اليشمي يفيق السلطان وهو فى الجدان مكتف ويطعمه ويسقيه ولم يكلمه مدة عشرة ايام فلما كان يوم الحادى عشر قال زنبيق اليشمي هكذا ياظاهر لقيت فعلك لكون أنك كتبت لى حجة بسلطنة القلاع والحصون ورجعت اخلفت قولك وجعلت شيحة باقى سلطان اين بقى ينفعك شيحة أو غيره هاأنا قبضت عليك واتفقت أنا والمعلم جوان على أخذ سلطنة مصر والشام منك وآخذ السلطنة على القلاع والحصون من شيحة وأنت مابقيت تنظر مصر أبدا فقال السلطان هاأنت زنبيق اليشمي قال نعم قال السلطان وهذا جزاتى منك لما خلصتك من شيحة من بعدما كان أراد ان يسلخك وأنت قلت لى احمينى من شيحة كما ان الملك عرنوس حامى نصير النمر ومنعته عنك ولاجل خاطرك أغضبت المقدم ابراهيم بن حسن وجعلتك مكانه فتجازينى أنت بالفعل الذميم وتتبع هوى النفس ولكن سوف ترى اذا دارت عليك الدواير وتندم ولاينفعك الندم قال زنبيق ياظاهر وليس أنا أعد الى بلاد الشام الا وأنا ملك الدنيا بقى على ايش اندم اذا كانت الدنيا كلها ملكى وحدى ولم يبق لى معارض ولا ممانع وهذا جوان معى اوعدنى ان يركب معى جميع ملوك النصارى آخذ بهم البلاد فقال السلطان سوف ترى فينجه كما كان وساروا على وجه البحر فاختلفت الارياح وغضب البحر وتعالت أمواجه وتلاطم مع الهوى وأظلم الجو وطال المطال مدة سبعة عشر يوم بلياليها والثامن عشر راق الهوى فطلع الناظور يكشف ونزل يخبط كف على كف فقال القبطان ايش عندك فقال الناظور قدامنا عروق الذهب ومروج الديباج وهاهى ظاهرة قدامنا قلعة الفتش فبكى القبطان فقال جوان ياقبطان اخبرنى عن هذه القلعة وايش الذى خوفك منها فقال القبطان ياأبانا هذه قلعة الفشى وهى بين ثلاث جبال من الثلاث جهات التى حولها والبحر من الجهة الرابعة وأرضها ملونة طولها وعرضها سبعة ايام مسير طول وعرض ومن البر ليس لها أبواب لان أسوارها الجبال ولها باب واحد على البحر ولم يأت اليها أحد ولا يعرفها ولا يدخل مكانها الا المراكب التايهة وملكها اسمه البب بارين ووزيره اسمه صطربن واسم الارض عروق الذهب ومرج الديباج لان فيها زرع مثل العنكبوت كل صبح يجمعونه البنات ويأخذونهم الى أهاليهم يسبكون الرصاص فى النار ويضيفوا عليه من هذا الزرع يخرج ذهبا وأما اذا حميت الشمس فيصير شركا ويسد عروق الذهب وتجد الارض ناعمة كأنها الديباج ولم يعلها غبار بل هى أنعم من الحرير وملكها البب بارين جبار وله مراكب تفرض فى البحار كلما ورد

عليهم ينهبوه والذى يتعاصى يقتلوه فقال جوان ادخل البلد ولاتخف أنا أكفيك شر هذا الملك ولا يصيبك منه ضررا أبدا

ثم ان جوان قال قم يابرتقش واطلع اعلم البب بابرين بقدوم جوان فقام البرتقش وتزين بأحسن الملبوس وسار الى القلعة ودخل على البب وقال له قم على حيلك يا بب وقابل يا بب المسيح عالم ملة الروم والامر المحتوم وهو البركة جوان

فقال له البب بابرين اين جوان أنا سمعت عن جوان انه مقيم فى السماء عند المسيح وايش جابه لبلادى فقال البرتقش أمره المسيح ان ينزل الارض ويقيم ناموس شريعته فى الارض ويطرح البركة فى البلاد لاجل ان تمطر المطر ويطلع الزرع للناس والبهائم وأنت من جملة المسيحيين الذى أمره المسيح ان يطوف عليهم فقام البب على حيله ونزل مع البرتقش ومر بعقد موكب لجوان لانه عالم ملة النصارى وسار الى المركب وسلم على جوان فقال له جوان يا بب أنا أمرنى المسيح ان أطوف على ملوك الروم احثهم على غزو المسلمين واقيم ملة الكرستيان وأرسلت الحواريين قبضوا على ملك المسلمين ووضعته فى الحديد وهاهو معى وأتيت به اليك ومرادى ان تقتله هنا فى بلدك ويبقى لك الافتخار على الملوك الذين يوردوا له الجزية فتكون أنت الذى قتلته ورفعت الجزية عن ملوك الروم فقال البب ياأبانا جوان كان بدل ماجبته عندى فى الحديد كنت قتلته أنت وريحته الكرستيان من شره وأنا بقيت محتار فيه ان قتلته لربما ان يكون له وزراء وأرباب دولة ويعلموا ان ملكهم قتل عندى فلم يهن عليهم ويأتونى بأكابر المسلمين ويتصل الحرب بينى وبينهم وما اعلم ان كانوا يغلبونى أو أنا أغلبهم فقال جوان اقتله أنت ولاتخف من المسلمين مادام ان جوان عندك يحفظك ويرعاك وينصرك على أعداك فالتفت البب الى وزيره وقال له كيف العمل ياوزير فقال الوزير يا بب ان هذا أمر كبير ويعقبه وبال وتدمير ان خالفت جوان وتصادقت مع ملك المسلمين فان جوان يغضب عليك وهذا عالم الملة وان قتلت ملك المسلمين فانا أعلم ان عساكر المسلمين لم يناموا عن ملكهم بل يفتشوا عليه جميع الارض والقرى واذا علموا أنه قتل فى بلدك فلم يتركوا ثاره بل يأتوك بعسكر واى عسكر يخربوا البلاد ويهلكوا عساكرك وأجنادك واما أنا أقول لك على راى صائب وهو أنك تحبس دين المسلمين فى محل يليق له لان الملوك مقامهم الحبس فى قصر أو سراية ويترتب له كلما يحتاج من فراشه وملبوسه وأكله وشربه على قدر مقامه حتى يتصل خبره الى بلاده وتأتيك أبطال الاسلام وأجناده وينتصب الحرب بينك وبينهم فاذا وقعت بأيديهم فاشترى نفسك منهم بملكهم ويبقى ملك بملك واما اذا غلبتهم وقتلتهم

وانكسروا واشرفت على أخذ بلادهم ففى تلك الساعة مات ملك المسلمين قدام المرضى اقطع رأسه واحذفها لهم ينكسر ظهرهم ويمتثلوا لحكمك فقال البب بابرين ماقلت الا حق ياوزير صطرين والتفت البب إلى جوان وقال انا قصدى أسجن رين المسلمين ولما أملك بلاده اقتله بعد أن اهلك عساكره واجناده فلو ملكونى عساكره نبقى نصالح الملك وننزله من عندنا بامان واصطلح انا واياه وأما ان انتصرت على المسلمين فيبقى قتل ملكهم قريب فلما سمع جوان كاد ان يفرقع لكون ان ملك الاسلام لم يقتل وندم كيف انه سلمه له واعلمه بحاله فقال يابب انا معى أيضا بطل جبار خصم لملك المسلمين وأتيت به ليكون مساعد النار فى الحرب والقتال وهو الذى ينزل الميدان ويتولى أبواب الحرب والطعان فقال البب وايش اسمه

فقال اسمه زنبيق اليشمى وهو سلطان القلاع والحصون وحكى له على ظهوره وما فعل معه شيحة وكيف أنه خدم عند ملك المسلمين وبعدها قبض عليه وأتى به إلى هكذا المكان وقال فى آخر كلامه ومراد جوان أن يجعله مقدم عساكرك وقت الحرب والقتال حتى إذا ملكت بلاد المسلمين تجعله سلطانا على القلاع والحصون فقال البب بابرين ياأبانا كلما شرعت فيه اطاوعك عليه لكن اخاف من هذا المسلم ان أجعله من جملة عساكرى فيخامر على ويقبضنى لملك المسلمين ويساعده على حربى وقتالى فقال جوان يابب لوكان له غرض مع المسلمين مافات بلاده وسار معى الى هذا المكان وثانيا هذا ليس هو مسلم بل ادرعى لبسه لبس المسلمين ولكن ديانته غير ديانة المسلمين فانه قريب من النصارى وأنا لابد لى ان أدخله فى دين المسيح وإنما انت أنعم عليه ولاطفه فهو ينفعنا فى حرب المسلمين وهو الذى ينزل الميدان ويهلك الابطال والفرسان فعند ذلك التفت البب بابرين إلى وزيره صطرين وقال له ايش رأيت فقال الوزير يابب قول عالم الملة مناسب ولكن كان احنا نحاذر على أنفسنا لان كل العداوة يرجى بها اللين الاعداوة من عاداك فى الدين فقام البب واستقبل زنبيق اليشمى واخذ له كرسى فى الديوان والبسه بدله غالية الاثمان واوعده ان يكون معه مايريد وإذا نصره جوان على عساكر المسلمين وملكوا بلادهم فيكون البب بابرين ملك على جميع بلاد الاسلام والمقدم زنبيق اليشمى ملك على القلاع والحصون وحلف زنبيق اليشمى بالجبل الجربان وحلف البب بابرين بالمسيح والصلبان وأقام المقدم زنبيق فى قلعة الفشن مدة أيام إلى يوم من الايام المقدم زنبيق اليشمى جالس قدام البب بابرين وجوان والبرتقش والوزير وإذا ببنت مقبلة وهى كأنها بدر تمام أضاء من السماء وأجلى غيهب الظلام بطرف كحيل وخد احمر اسيل وعنق كانه كوز فضة على سلاسيل

ونهدان كرمان على غصن يميل وخصر نحيل وردف ثقيل وافخاذ كأنهم عمدان رخام او لية عرنى مسها يشفى العليل وبينها كاف وسين أبيض مربرب سمين كانه طبق الورد فى روح الياسمين هذا والمقدم زنبيق لما نظر الى تلك البنت قال آه يا حسرتى والاسم الاعظم الذى لم يحلف به الادرعية ان هذه البنت وصالها أحسن من سلطنة القلاع والحصون والذى يراها ويقعد عن أخذها فليس هو الا مجنون ثم انه التفت الى جوان وقال له ياجوان هذه البنت من أبوها فانى أنا قصدى آخذها اما ان تزوجنى بها او تهدها لى يبقى لك على الجميل والا أضع يدى على شاكريتى وأول ما أضرب قرعتك وبعدها البرنقش وبعده قرعة هذا البب بابرين وما أزال أضرب حتى أهلك كل من فى القلعة أو أموت وأرتاح من هذا البلاء الذى أبليتنى به يامعلم جوان قال جوان يامقدم زنبيق ايش هذا الكلام ان كنت تطاوع جوان يعطيك البنت وغيرها قال زنبيق ياشيخ جوان أنا اطاوع من كل ماأمرتنى به ولم أخالفك أبدا وكل من عصى عليك اعلمنى به حتى اقطع الارض من تحت رجليه واحرق اجداده ووالديه فعلم جوان أن زنبيق اليشبى وقع فى شرك الهوى وداء العشق ليس له غير الوصال دواء قال له جوان ان كنت تريد تأخذها الجناقة مرحبا بك لكن تدخل دين النصرانية وتتبع الملة المسيحية فاذا صرت نصرانى اكلل لك اكليلها حالا بالمجلس رضى أبوها او غضب قال المقدم زنبيق ياجوان ايش هذا الكلام فى الدنيا بطل مثلى يحكم على رجال وأبطال معدودة للحرب والقتال واطلع من ديانتى الى غيرها قال جوان هذا ليس بعيد عنك يامقدم زنبيق أنت ما تعتقد ان الجمل الجربان هو معبودكم ياادرعية قال زنبيق نعم قال جوان ومن الذى كان يركب الجمل ايام صباه قبل أن يعلوه الجرب قال زنبيق لا اعلم قال له جوان اسالنى انا اعلمك واعلم يابطل الزمان ان الذى كان يركب الجمل الجربان المارى حنا المعمدان ولم يعل عليه الامن بعد تركه المارى حنا المعمدان فاذا انت عرفت الحقيقة تعرف أن المسيح هو الذى اكبر من الجمل الجربان وجميع البلاد وملوكهم ماشيين على ملة المسيح فان دينه هو الصحيح ومادام جوان ساكن فى آذان زنبق اليشبى حتى لان واسترضى بدخوله فى ملة الكرستيان ولعب بعقله الهوى والهيمان والكفر ملة واحدة قال زنبيق ياجوان رضى ان يكون نصرانى بشرط ان اتزوج بتلك البنت فقام جوان الى البب بابرين وقال له اعلم ياب ان هذا الفداوى استرضى ان يترك دين المسلمين ويدخل فى دين النصارى ويصير ركن من اركان الكرستيان فطاوعنى وكلل اكليل بنتك نور المسيح لاجل انه وقت الحرب والقتال يقاتل بين يديك ولا يبخل بروحه عليك قال البب إن كان

يتنصر بزواجه بها قال جوان إيش قلت زنبيق فارتضى جوان وأخذه جوان ودخل به الكنيسة وغطسه فى جرن ماء المعمودية ووضع الصليب بين يديه وغضب عليه الملك القريب المجيب أعوذ به من الكفر وكان عند الصباح شرع البب فى فرح ابنته سبعة أيام وفى الليلة الثامنة دخل عليها المقدم زنبيق اليشمى وجدها درة لم تثقب ومطية لغيره لم تركب زال بكارتها وعند الصباح أجلسه البب بايرين وزيرا على يساره ففرح زنبيق بذلك وأقام فى غاية الحظ والهنا يقعله كلام وأما ما كان من أمر الملك محمد السعيد فانه طلع عليه الصباح ودخل عليه الاغا جوهر وأعلمه بفقد أبيه وقتل المقدم زنبيق اليشمى فقام وسار إلى قاعة الجلوس وتبع جرة زنبيق فوجده مقتول ومرمى على طرف الصور وخنجر المقدم إبراهيم بن حسن فى منحره والكتاب المكتوب على صدره فقال السعيد لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وقال لم يكن أملنا فى المقدم إبراهيم أنه يسرق أبى وأما قتله لزنبيق اليشمى فهذه من غيرته منه لا ه أخذ مرتبته وهذه عداوة مؤسسة وأنا لابد لى أن أجهز العساكر وأروح أحط على قلعة حوران وأحرقها بالسنك والفداق وأخذ الكتاب فى يده ونزل إلى الديوان فالتقاه الوزير الاعظم الاغا شاهين الافرم فقال له أنظر يادولتلى وزير ما فعل المقدم ابراهيم ابن حسن وناوله الكتاب فقرأه فوجده مكتوبا فيه من حضرة السلطان بن السلطان المقدم ابراهيم بن حسن صاحب قلعة حوران إلى دولة الظاهر وأولاده اعلموا أن الظاهر عزلنى وملك مرتبتى إلى زنبيق اليشمى وتركنى ونسى ما كان من رفقتى وصحبتى مع أن مناصبى الذى عزلنى منهم لم آخذهم انعام بل أخذتهم بجمايل فعلتها مع السلطان وهو كان مملوك صغير وكلما وقع فى محذور أحضر وأخلصه منه وأكتب عليه تمنية وألف دينار حتى بلغت إلى هذا الحد وأخيرا عزلنى وأعطى مناصبى لغيرى فها أنا قتلت زنبيق اليشمى نظير ما تولى على مناصبى وأخذت الظاهر إلى قلعة حوران أصلبه على أسوارها وأجلس أنا مطرحه ملكا وسلطانا وأنا أحق منه بالسلطنة وأجعل كرسى المملكة فى حوران وكل من تعرض لى أشبعته حربا وطعان فلما قرأ الوزير ذلك الجواب وتعجب فبينما هو كذلك وباب الديون والستار انفتح وستة وثلاثون كيخية وتبع ناقلين أجنحة العقاب وبينهم طلبة نفرا وجاويش يصيح أكثر من الصلاة على محمد فقام السعيد استقبل شيحة مثل ما كان يفعل أبوه وأجلسه فى مرتبته وحكى له على ماجرى من قبض أبيه وقتل زنبيق اليشمى فقال شيحة والذى قتل زنبيق اليشمى من والذى سرق السلطان من فقام السعيد وأعطى الكتاب لشيحة وقال له ياعم وهذا أيضا

خنجر المقدم إبراهيم بن حسن كان فى منحر المقدم زنبيق اليشهبى فقال شيحة أما قولك ياسعيد ان ابراهيم يتعدى على قدر كذا ويقبض السلطان فهذا أمل بعيد وأما قولك ان زنبيق اليشهبى يقتله ابراهيم بن حسن فهذا مستحيل وأيضا إذا قتله فى لعنة الله أليس أنا رجل كافر يعارض الملوك فى مراتبها فهو مستحق للقتل وانما أنعه اقعد وأنا أطلب المقدم ابراهيم وأقيم عليه الاحكام ثم انه أمر بأن زنبق المقتول يدفن وكتب كتاب إلى ابراهيم بن حسن يقول اعلم يامقدم ابراهيم ان السلطان انسرق من القلعة وزنبيق اليشهبى رأيناه مقتول ورأينا خنجرك موضوع فى منحر زنبيق اليشهبى فانا قلت عنك أن المقدم ابراهيم لم يفعل ذلك فأرسلت لك هذا الكتاب وأريد منك القدوم على مصر حتى ننظر من الذى أثار هذه الفتنة وبعده تدوروا جميعا على السلطان ان كنت طايع المقدم جمال الدين شيحة وان كنت أنت الذى قتلت زنبيق اليشهبى وأخذت السلطان وكتبت ذلك الكتاب وختمته بختمك وعاصى السلطان كما كتب فى هذا الكتاب اعلمنا حتى نكون على بصيرة وأنا أخلص منك حق السلطان والسلام وأعطى الكتاب لناصر الدين الطيار فسار المقدم ناصر الدين ودخل على المقدم إبراهيم ومعه كتاب شيحة والكتاب الذى وجده السعيد على صدر المقدم زنبيق اليشهبى فلما قرأ إبراهيم كتاب شيحة تعجب وأخذ الكتاب الثانى فوجده تقليد خطه ومختوم بختم مثل ختمه فقال إبراهيم يامقدم ناصر انا لم بذلك القضية التى جرت الا فى هذه الساعة وأنا اذا كان السلطان يغضب على ويطاردنى فليس أنا من يخون السلطان بعد ما أقمت فى خدمته إلى ذلك الزمان ولكن أنا أكتب لك رد الجواب ثم ان المقدم إبراهيم طلب دواة وقلما وقرطاسا ورقا وكتب رد الجواب يقول الذى نعلم به المقدم جمال الدين سلطان القلاع والحصون أما ما ذكرت من كون أنى قتلت زنبيق اليشهبى فليس من طبعى ان اقتل انسان بالغدر وهو نائم فان هذا من اكبر عيب فى الرجال لكنى لست عاجزا عن خصمى ان اقتله تحت غبار الحرب والطعان واما قولك عن خنجرى انكم وجدتوه فى نحر الفداوى فأنا خنجرى لما غضب على السلطان فمنذ نزولى من الديوان وقع الخنجر منى فانكسرت قبضته وأعطيته الى رميح السيوفى يصلحه فاطلبوه واسألوه ان كان اعطاه لاحد فيكون هو الذى فعل تلك الفعال واما انا اقول ان هذا فعل الملعون جوان وهو الذى دبر هذا التدبير والله على ما نقول وكيل واما الكتاب هذا والاسم الاعظم ما كتبته وهذا الختم ليس هو ختمى ولا اعلمه وختمى هذا فهو قادم لك على هذا الكتاب والله اعلم بالصواب واعطى رد الجواب للمقدم ناصر الدين الطيار فاخذه وعاد إلى

مصر وأعطى رد الجواب إلى شيحة فقرأه واعرضه على السعيد فتعجب وأرسل احضر رميح السيوف وسأله عن خنجر المقدم إبراهيم فقال نعم هو عندى فطلبه السعيد فاحضر فقال شيحة يا رميح اصدقنا فى الكلام هذا الخنجر من حين اعطاه لك المقدم إبراهيم هل اعطيته لاحد فقال نعم يا ملك الحصون اتانى المقـــدم زنبيق اليشمى ومعه خنجر يريد أن يلبسه فصوص مثل خنجر المقدم إبراهيم وحكى لشيحة على ما جرى فعلم شيحة أن قول إبراهيم حق وإن هذا من تدبير جوان وهو الذى لعب بعقل زنبيق اليشمى وغراه على هذه الفعال ولكن كيف قتل وكيف فعل هذه الفعال وسرق السلطان فقال شيحة فالمقتول ليس هو زنبيق لان زنبيق لا يموت الا مسلوخ على يدى واحرق جثته واعلق جلده على قلعة فهو كذلك وإذا باثنين اتباع تقدموا بين ايادى السعيد وشيحة وقبلوا الارض فقال شيحة انتم من فقالوا اتباع المقدم موسى بن حسن القصاص مررنا على قلعة الفضن التى فى مروج الديباج وعروق الذهب فرأينا فداوى أدرعى يقال له المقدم زنبيق اليشمى خرج من دين الادرعية ودخل فى دين النصارى وتزوج بنت البب بابرين وكل له اكليلها جوان على شرط انه يكون معه على حرب الاسلام وإذا أخذ بلاد الاسلام يكون زنبيق اليشمى سلطان القلاع والحصون وبلغنا أن الملك الظاهر عندهم مسجون والذى اتى به اليه جوان وزنبيق اليشمى فلما علمنا بذلك الحال رجعنا الى مقدمنا المقدم موسى بن حسن واعلمناه فقال لا يمكن كتمان هذا الخبر سيروا إلى مصر واعلموا اولاد السلطان والوزير وسلطان القلاع بهذا الخبر ولا تتوانوا فان هذا فرض لازم عليكم فسرنا واتينا الى هذا الديوان والحدقه الذى وجدناكم مجتمعين فاجتهدوا فى خلاص السلطان ويأخذكم فى ذلك توان فامر شيحة بالفين دينار للاتباع لكل واحد الف وأمر السعيد أن يخرج بالعرضى العالية ونادى منادى للعسكران ياخذوا الهبة للسفر والجهاد فى طاعة رب العباد وخلاص السلطان من الاعداء والاضداد فرعت ابطال الاسلام لقضاء اشغالهم وبرزوا على خيولهم وأقام السعيد فى العادلية ثلاثه ايام وضرب مدفع الختم وطاب البر الاقفر وشيحة يدل العساكر من مكان الى مكان حتى انزلهم على قلعة الفضن وعروق الذهب ومروج الديباج فكان الملعون جوان مقيم وعمل زنبيق اليشمى نديمه فما يشعر الا والبر امتلى بالرجال والخيل والبرتقش اقبل على جوان وقال يا أبانا فرغت صحبتك من هذا الفـــداوى واتاه الذى يسلخه ويريحك من عشرته ولا تنفعه أنت ولا غيرك فقال جوان من الذى يسلخه يا برتقش فقال البرتقش

أنت تعرفه وهو الذى يقطعك على العربة ويحرقك فى الرميلى بغائط الكلاب فاغتاظ جوان والتفت إلى البر بجده امتلأ بالخيل والرجال فقام على حيله ودخل البب بابرين وقال له يا أبتى حصن بلدك لحرب المسلمين فقال البب يا جوان هذا أمر ماعلينا منه ولا تحمل هم فاننا كفاية للمسلمين وسوف نفنيهم أجمعين أنا وحدى إذا ركبت لم أرجع إلا بعد كسرة المسلمين ثم انه قام على حيله وفتح باب البلد وأمر العساكر بالخروج وعدم الصبر بل يهجموا على المسلمين وهم على تعب السفر فعندها خرجت الكفار من خارج الاسوار والسعيد أراد أن يقيم حتى ينتصب العرضى ويكتب كتاب فما يشعر إلا والكفار حملت وعلى القتال عولت فصاح السعيد الحملة ياعصبة الاسلام وها أنا بين أيديكم وضرب بالحسام واطلب النصر من الملك العلام ثم صاح السعيد حاس الله أكبر

إلهى كن لنا معينا ... على حرب اللئام الكافرين
فقد أوعدتنا فى قول صدق ... حقا علينا نصر المؤمنين
وهذا اليوم نرجو منك نصرا ... على الكفرة الطغاة الفاجرين
ألا يا معشر الاسلام فوزا ... وكونوا من كرام باتعين
ولا تخشوا مقام الحرب إنا ... نبيع الروم بيع الرابحين
وان دارت بكم خيل الاعادى ... فكونوا فى المعامع ثابتين
أنا إاسمى السعيد وتعرفونى ... محمد نسل قوم مؤمنين
وابن الظاهر المنصور حقا ... مؤيد من إله العالمين
وصلى الله ربى على محمد ... نبينا الصادق الوعد الامين

وحمل الملك محمد السعيد وحملت عصبة الاسلام وفنى الحسام وانفلق الهام وهشمت العظام وصارت القتلى على الارض أكوام وصبرت الكرام وفرت اللئام وسكرت الخلايق من غير شرب مدام وكان يوم يعد من أكبر الأيام وداموا على هذا المرام حتى مضى النهار بالابتسام وأقبل الليل بغشوش السلام وافترقوا عن ضرب الحسام وعادوا إلى المضارب والخيام وعاد البب بابرين الى الصيوان وهو سكران وغايب عن الوجود ولما نزل فى مقامه طلب جوان فحضر بين يديه قال يا أبانا كيف رايت ما جرى فى حربنا هذا اليوم قال جوان يا أبتى لا تخف من المسلمين فانهم شطارون وليس لهم شطارة الا فى المنتار فقال زنيق اليشهى يا جوان اذا كان المنتار شطارتهم كيف تقول عليهم شطار ولكن فى غداة غد أنا أبرز الميدان واطلب منهم البراز فارس

لا ينزل فيه إلا أبطالهم الموصوفين فاذا أسرنا فرسانهم يهون علينا باقى عساكرهم فقال له البب بابرين إذا أنت أسرت أبطالهم مع ان ملكهم عندنا وهم مثل الغنم التى غير راع فلابد لى أن نهلك الباقى وباتوا وهم يدبروا أنفسهم للصباح هذا ما جرى هاهنا وأما الملك محمد السعيد عاد من الميدان وهو مثل شقيقه الارجوان من الدما الذى سالت على بدنه فى الحرب والطعان ولما وصل إلى الصيوان طلب أكابر الدولة وقال لهم اعلموا أن أبى فى هذه البلد مسجون وانا لا يمكننى أن أعطى اهمال فى القتال حتى انظر أبى على كرسيه مثل ماكان أو أموت وتدوسنى الخيل على الأرض والصحصحان فقالت الرجال يا دولتلى روحنا فداك وليس فينا أحد إلا بايع نفسه للجهاد ان عاش سعيد وان مات شهيد ولكن يا ملك لو كانوا يبارزونا كان على كل حال نبلغ منهم الآمال فقال السعيد ان بارزونا وان كاسرونا ليس لنا غنى عن حربهم وباتوا إلى الصباح وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل على الملك محمد السعيد وقال له اعلم أن الكفار اعتمدوا على البراز وأنا كنت عندهم الليلة ورأيت أباك فى غاية الراحة لا تخف عليه وإنما الذى نازل الميدان هو زنبيق اليشمى لأنه ضمن لجوان والبب بابرين ان يتولى براز المسلمين وزنبيق اليشمى جبار فالحذر من برازه فما تم كلامه حتى خرج المقدم زنبيق اليشمى وقال ميدان يا مسلمين يا بيلارجية يا أمراء ظاهرية فى الميدان إلا المقدم زنبيق اليشمى باطلا به فى الحديد فما تم كلامه إلا وغبرة انعقدت وانكشفت عن فارس فى الحديد غاطس مقبل من البر والطم إلى المقدم زنبيق وأخذ منه واعطاه وبايعه وشاراه وقام فى ركابه وصاح يا قدرة الله وطبق فى منطقة زنبيق اليشمى اقتلعه وأعطاه لرجل خلفه وقال له كتفه ورفع اللثام عن وجهه وإذا به سبع الاسلام المقدم ابراهيم بن حسن ونظر جوان إلى ذلك الحال فهز الشنيار ونادى دالى يا غنادرة هنالك حملت أهل الكفر على المقدم ابراهيم وسعد كتف زنبيق اليشمى ثم انه ساقه حتى أوقفه قدام الملك محمد السعيد فأمر له بالحديد ووضعه فى السجن وأمر السعيد بالحملة على الكفار حتى يساعدوا المقدم ابراهيم عند ذلك حملت عصبة الاسلام الأبرار وغنى الحسام البتار فكم من دم فار وكم من رأس طار وكم جواد براكبه غار ووقع القتال خطأ وصواب وقطعت الكفوف والرقاب وانصب على الكفار صواعق العذاب وسال الدم على وجه التراب وشابت الشباب وحام على القتلى العقاب وضرب بين الكفار والاسلام بصور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب هذا وبنو اسماعيل أبذلت المجهود فى القتال وكذا الأمراء الأبطال واتسع عليهم المجال وتمكنوا من ضرب الحسام الفصال ونظر جوان إلى تلك الاشارة فعلم أن الاسلام لابد أن يكسرون النصارى

ووقع بعد الربح فى الخسارة وقال يا برتقش حضر الحارة فما تم كلامه والا يد قبضت على عنقه كادت ان تخنقه فالتفت واذا به سلطان الحصون المقدم جمال الدين شيحة فقال له فى عرضك يا محمد قال له من القتل انت ناجى وإنما انت قادم على السوط الغضبان الذى انت موعود عليه ثم ان شيحة التفت الى البرتقش وقال هذا جوان تسليمك واياه غفيره حتى ينفعك القتال وان هربته والاسم الاعظم اسلخك قال البرتقش على الراس والعين ولكن تعطينى الامان من السوط الغضبان منك ومن اولادك قال له شيحة لا تخف اذا خطفت جوان ودخل المقدم جمال الدين إلى القاعة التى فيها السلطان ففتحها وطلع الملك وقدم له الحصان وسلمه جوان والبرتقش ودخل شيحة على بنت البب التى هى زوجة زنبق اليشهبى فاعرض عليها الاسلام فأبت ان تسلم فبنجها ووقف مكانها وهو فى صفتها وفى تلك الساعة عاد البب بابرين وهو مكسور فالتقاه شيحة وهو صفة بنته وقال لها ايش الخبر فأعلمها بان ملك المسلمين اطلق والفداوى الذى جاء به جوان اخذوه المسلمين اسيرا وجوان والبرتقش لم ير لهم خبر فقالت له ادخل هنا عندى حتى ترتاح من التعب وطلعت منديل ومسحت له وجهه من العرق فما رفعت يدها حتى مال عن الجواد مبنج وادخله فى مخدع ونزل شيحه قبض على الوزير واعرض عليه الاسلام فأبى فذبحه ولم يتم النهار حتى ملك السلطان القلعة واحتوى على كل مافيها وجلس على تخت القلعة ودخل المقدم جمال الدين شيحة ومعه جوان والبرتقش والبب بابرين ووزيره ووضعهم قدام السلطان ودخل ابراهيم بن حسن قابض على زنبق اليشهبى وقبل اتك السلطان قال ياملك الاسلام هذا الفداوى الذى اخذ مراتبى التى قضيت زمن صباى وانا مقيم فيهم وانت فى ساعة واحدة بعتنى انا واعطيت مراتبى له واما فى هذا الوقت طالب حقى منه ومنك فقال السلطان ياابا خليل حقك على لازم وانت تستاهل الف سلامة لانك سبع الاسلام فقال ابراهيم يا ملكنا ايش الحق الذى عليك تقضى به واعملت لى حقا يتو بنى إمنه رغيف وانا الرغيف ان حضر لى اكلته وإن غاب عنى فالكلاب شبعانين بالمهش واقيم فى قلعتى بطال فى هذه المدة وبعد بطالتى اعود إلى خدمك ثانيا بفطور افطره وانا يتبعنى ستة وثلاثين الف كيخية ومثلهم اتباع بعددهم والجميع لهم حريم واولاد ومرادك ابيع عليهم حجرتى او اهاجر واترك قلعتى فقال له السلطان اما مدة اقامتك بقلعة حوران فجميعك تحسب لك على دايرة الدرهم الواحد وكذلك الجرايات المرتبين لك شىء قال ابراهيم هذا انعام منك يادولتلى قبلته واما زنبق اليشهبى فأنا اسرته من الميدان وصار اسيرى فاما ايده نفسه بالمال

وأطلعه واما أقطع رأسه وأخذ قلعته فقال شيحة زنبيق لم يبق له طريق للنفاذ الا بالسلام وأما جميع ما له من ذخاير وأموال فى قلعته فتكون لك وأنت الحكم فيها فقال ابراهيم حقيقة ياحاج شيحة أنت سلطان عليها وحاكمنا والذى يعصى عليك يكون معرص وامرأته يعشكوها على حياة عينه فضحك السلطان المقدم جمال الدين التفت الى زنبيق اليقهى وقال له ايش تقول فى دين الاسلام والاطاعة وتكون من جملة رجالى والذى مضى لا يعود .

[قال الراوى] فقال المقدم زنبيق والله يا حاج شيحة لا يمكن ان زنبيق اليشهى يتخلى عن الجبل الجربان ولا يطيع مثلك قصير مقمعبر وأنا سلطان بن سلطان فقال شيحة ولأى شيء دخلت دين النصارى مع أن دين الاسلام نور والكفر ظلام فقال زنبيق اقصر كلامك لا أطيعك ولا أدخل دين الاسلام والذى تعرفه افعله

فقال شيحة والاسلام غنى عنك ودخل شيحة خيمته وغاب وعاد وهو لابس بدلة السلخ وركب على أكتاف زنبيق وطرق الكشافية على المستحد نزل منها شرار ونار وشق وسط الرأس وقشر الجلد من الراس الى الوجه الى الأكتاف بالرقبة ونزل على الذراعين واحدا بعد واحد وسلخ الظهر بالكفل ثم نزل على الأوراك والساقين وكفوف الرجلين وعاد الى البطن وجمع الجلد فوق الصرة وقال يا مقدم زنبيق ان رضيت بالاسلام والاطاعة رددت جلدك الى مكانه بعون الله تعالى فقال زنبيق اخرس يامعرص لو اعطونى الدنيا كلها ملكا وأنت فيها فما أريدها ولا أسلم ولا أطيعك فلما سمع شيحة كلامه قطع الصرة فخرجت روحه الخبيثة ودبغ الجلد وتقله وكتب كتاب وأعطاه للسابق مع الجلد بعدما حشاه ساس وقال له هذا تعلقه على حصن يشهب وتوضع هذا الكتاب على صدره فقال سمعا وطاعة وأخذه الى جوان وقال له ياجوان سار ثم التفت ايش مرادك أخربت هذا الملك حتى أخربت بلاده ومملكته وماهو قادم على اتلاف مهجته وأنت ياب بابرين ايش أحوجك الى أن تمادى السلطان فقال ياسيدى أغوانى جوان وأنا عمرى لا أعرف المسلمين ولا يعرفونى فقال وزيره يابرين المسلمين الخطأ وقع منا فالبب يشترى نفسه بخمسة خزاين وكامه ركبة السلطان خمسة خزاين وتضرب عليه الجزية كل عام خزنة مثل ملوك الروم وأنت ياملك المسلمين لما أتيت مع جوان بوض البب أن يتمنى فيك بحركة فافعل معه كما فعل معك فانت أحق بفعل الخير فقال السلطان ياصاطرين وأنا آخذ منكم خمسة خزاين كافة الركبة فأما الخمسة خزاين مبايعة رأس البب فانا أسامحه فيهم وتضرب عليه الجزية والخراج فى كل عام وان حصل منه مخالفة ثانيا فلا يكون له جزاء الا قطع رأسه وأخذ بلاده بعد هلاك عساكره وأجناده

فقال البيب رضيت بذلك فأمر له الملك بالانطلاق وقام قبل أتك السلطان فقال له السلطان روح هات المال فاتى على عجل السفر فسافر إلى قلعته وجمع المال وقدمه السلطان وأمر السلطان بقطع رأس جوان فقال جوان الوقت بدرى يا وين المسلمين فقام شيحة ضربه بالسوط ثمانين وقال لهاتوا البرتقش فتقدم إبراهيم البرتقش قال له ياأبا خليل فى عرضك أنا معى عقد جوهر بخمسة آلاف دينار خذه من جيبي واعتقنى فأخذ العقد ابراهيم وقال ياحاج شيحة البرتقش خدام والخدام ليس له ذنب ينضرب عليه فاتركه واضرب علقته لجوان استاذه وعند طلوعهم يتحاسبون مع بعضهم

قال جوان تتحاسب على ايش الضرب لا دخل ولاخرج فى الحساب قال ابراهيم هكذا اقتضى نظرى وقدم جوان ثانيا إلى شيحة فضربه علقة البرتقش وأخذه البرتقش وقال القيام ثم أمر العساكر بالرحيل وطلبوا بلاد الاسلام بقطع البرارى والآكام حتى وصلوا إلى دمشق الشام وعلم باشة الشام بقدوم الملك فركب إلى لقاه

ولما وقعت العين على ترجل باشة الشام وقبل اتك الملك وجلس على تخت الشام وانتصب العرضى المراحة مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أمر السلطان العساكر بالرحيل وأراد الاقامة فى القصر الابلق حتى يبلغ راحته وأقام معه المقدم إبراهيم بن حسن وسعد بن دبل فقط وأما السعيد سافر بالعرضى إلى مصر يقيم على التخت مكان ابيه يقع له كلام .

وأما الملك فانه يوم من الأيام واذا بواحد خواجه أقبل من تحت القصر وقال مظلوم ياملك الاسلام انجدنى واكشف ظلومتى فانت قادر على نصرتى .

أيظلمنى الزمان وأنت فيه ... وتأكلنى الذئاب وأنت ليث
ويروى من جنابك كل ظمى ... واضمى فى حماك وأنت غيث

فالتفت الملك لابراهيم وقال له هات الرجل المظلوم حتى نأخذ له حقه ونقابل ظالمه بما يستحقه فنزل ابراهيم بن حسن وأخذ بيد الرجل وأوقفه قدام الملك

فقال الملك ايش ظلومتك فقال يا دولتلى انا رجل تاجر من تجار مصر من تحت يد الخواجة شمس الدين السحرتى وكان معى متجر قادم به من مصر فمررت على قلعة مريكسة فنزل فداوى يقال له المقدم مريكس ونهب متجرى فقلت هذا مال الملك فقال لى يا كلب المسلمين لو اعلم من يوصل خبرك إلى الملك الظاهر لقتلتك ولكن روح من غير قتل اعلم الملك الظاهر هاهو قدامك فى الشام مقيم بالقصر الابلق وقل له يقول لك المقدم مريكس اعتى مافى خيلك اركب واحضر مافى طعامك اشرب فأتيت ياملك الدولة

كما ترانى وناديت مظلوم فاحضرتنى وسالتنى فحكيت لك وهذه قصتى والسلام فلما سمع الملك ذلك الكلام قال هات ياعثمان الحصان وأراد ان يركب قال المقدم ابراهيم ياملك الدولة كلفنى بهذه الخدمة ولا تلتزم هذا الملعون مريكن الامتى انا آتيك به اسيرا تاخذ منه حق ذلك التاجر بالوفاء والتمام

[قال الراوى] وكان تعرض المقدم ابراهيم لذلك الكافر له سبب لان له حجرة تسمى المريكنية وهى كحيلة كاملة اربعة وعشرين قيراط لم يحوها أحد لافداوى ولا امير سال هل ترى تفوق عن السلختية مركوبة ابراهيم فقيل نعم لان السلختية مقدمة فى السن وكبرت وهذه الحجرة عمرها سبع سنوات فقط فمن ذلك تولع قلب المقدم ابراهيم بها ويعلم انه اذا طلبها من صاحبها لم يعطها له ولو بثقلها ذهب مع انها تسوى اكثر من ذلك ولم يجد فرصة لأخذها الا بذلك السبب .

ولما وقف قدام السلطان كما ذكرنا وضمن للسلطان ان ياتيه بالمقدم مريكن اسيرا فركب على ظهر حجرته السلختية وطلع وحده قاصد قلعة مريكنية يقع له كلام

وأما المقدم مريكن فانه لم يكن عاصى على الملك بل كان طائع ويورد الخراج عن قلعته كل عام وسبب نهبه مال ذلك التاجر انه كان فى الصيد والقنص وقام على قلعته وهو سكران فنهب مال الخواجة فى حالة سكره ورأى اموال الخواجة فى قلعته فسأل خدامه فاخبروه بما فعل .

فقال لم انا كنت سكران ولم تمنعونى اوتقتلوا التاجر قالوا له كيف نقتله وانت الذى قلت له سر الى الشام وقل لملك المسلمين يركب اعتنى مافى خيله ويشرب احمض مافى طعامه وسار التاجر ولابد انه وصل الى ملك المسلمين .

فعند ذلك فتح باب القلعة واوقف حجرته بين يديه وكان ملعون جبار يحارب بسائر السلاح خيال وقراب وله صنعة فى ضرب النشاب وقعد ينتظر مايجرى واذا بالمقدم ابراهيم اقبل وصاح عليه يامريكن قم على حيلك انت مطلوب لملك الاسلام فلما رآه مريكن قفز الى ظهر حجرته وقال له جئتك وانطبق عليه فالتقاه المقدم ابراهيم وكانت لهم ساعة تقشعر منها الجلود وبعد الساعة حط المقدم ابراهيم يده اليمنى على شاكريته واوعد مريكن ان يضربه وبيده اليسرى قبض بها مصراع المريكنية وجذبها اليه واراد ان يقص الفارس بالضربة فلم يجد مريكن احسن من النزول الى الارض واراد ان يضرب المقدم ابراهيم بالنشاب فصاح عليه المقدم ابراهيم وطلبه فهرب من قدامه وطلب القلعة .

فقال إبراهيم فى داهية يا قرن الذى أتيت من أجلها أخذتها وأنت تجىء أو لا تجىء الله لا يحملك تجىء ولا أحد يشوفك وعاد ابراهيم وهو فرحان بأخذ المريكنية .

ولما انفصل المقدم ابراهيم من المقدم مريكن وسار طالب السلطان أفاق من غفلته وقال إذا وصلت بالمريكنية ونظرها السلطان ربما تحلو فى عينه ويأخذها ويصير تعبى باطل فسار إلى قلعة قسروة ودخل على المقدم مجبور وأسلمه الحجرة وقال له احفظها حتى أفرت عليك وآخذها منك وسار إبراهيم حتى دخل على الملك كان الملك استدرق المقدم ابراهيم فارسل سعد يكشف خبره

فلما دخل ابراهيم قال له السلطان فين مريكن قال يادولتلى تحاربت معه فهرب منى ودخل قلعته وقفل أبوابها وأقام محاصرفبالضرورة أتيت أنا قال له السلطان أنا أرسلت سعد وراءك .

تم الجزء الثامن والثلاثون ويليه الجزء التاسع والثلاثون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء التاسع والثلاثون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] قال ابراهيم بكره يجىء هذا ما جرى وأما سعد فانه لما سار من عنده أمسى عليه المساء على قلعة نسرة فدخل القلعة قال له المقدم عجبور بعدما سلم عليه ابن خالتك كان هنا أمس واعطانى حجرته وقال احفظها لما نرسل لك من يأخذها فقال سعد ما أنا أتيت فى طلبها فبات تلك الليلة وطلب الحجرة فى الصباح فاعطاها له المقدم عجبور لعلمه ان ابراهيم وسعد أخوه صحيح فلما ركب الحجرة سعد عرف بالنظر أن ابراهيم لم يأت الا لأجل تلك الحجرة ومن خوفه عليها ودعها هنا فقال سعد أنا أسير بها الى مريكن وآسره وأجيبه للملك وافتخر على ابراهيم فسار سعد الى قلعة مريكن ونظر المقدم مريكن حجرته ففتح القلعة وركب جواده من الخيل الجياد ولطم المقدم سعد بلا سلام ولا كلام فحاربه سعد مقدار ساعة وسعد ليس له معرفة بالحرب على الخيل فخاف من مريكن أن يغلبه فنزل عن الحجرة وأطلق على مريكن والحجرة لما سابت صهلت وطلعت القلعة ونظرها مريكن فترك سعد فى الميدان وولى هاربا والى قلعته طالبا ودخل القلعة وقفل أبوابها ونظر سعد من دبل الى ذلك الحال فعاد الى السلطان على طريق الاستعجال فلما صار قدام السلطان قال له يا سعد أنت لم تقابل ابن خالتك فى الطريق فقال يادولتلى أنا سرت على قلعة نسره وبت فيها أول يوم وثانى يوم رحت لمريكن فما ثبت قدامى فلعبت رجلاى ابراهيم وقال يا سعد أنت مريت على المقدم عجبور أنا ودعت عنده الحجرة المريكنية فقال سعد الله يلعنها أنا أخذتها وأردت احارب مريكن عليها ولو لم أنزل عنها والا كان قتلنى فقال سعد راحت لصاحبها حجرة اش دى والله العظيم حمارة خير منها الله يكسر حوافرها على رأسك ورأس صاحبها فاغتاظ ابراهيم وصرخ على سعد فقال السلطان ايش الخبر فحكى له سعد على القضية فقال السلطان لابراهيم يا خان أنا أرسلتك للغريم تحاربه والا تأخذ فرسه وتاتينى بزخاريف المحال فقال ابراهيم والله

يا ودولتلى انها حجرة ليس لها فى هذا الزمان مثيل ضيعها العاق منى وأنا واقه يا دولتلى ان راحت هذه الحجرة أموت كمدا ولم يدرى بمرتى احد فقال سعد يا راجل اتق اقه أنها ملعونة وليس لها نفع الا للطاحونة فانغاظ ابراهيم وصار يشتم المقدم سعد والسلطان يضحك عليه فقال يا سعد خذ هذا الكتاب وسر الى مصر هات العساكر فقال ابراهيم يا دولتلى لا بش العساكر الحورانة والبياسنة أنا أحضرهم ونأخذ قلعة مريكنية فى ظرف يوم واحد واتمى على مولانا السلطان بعد هلاك هذا الملعون واخذ نلمته تعطينى حجرتها المريكينة انعاما منها فقال المقدم سعد اقه يكسر حوافرها على رأسك ايش قدر الذى عشقت فى هذه الجاحة عشرة الكلاب ليلة وأنا أقول إنك يا ابن خالتى عدمت عقلك فقال ابراهيم يا عاق أنت ايش عرفك يا سعد بالخيل واقه ان راحت هذه الحجرة منى لم أرض عيشتى فى الدنيا وبكى المقدم ابراهيم فقال السلطان يا أباخليل وحيات رأس الملك الصالح لم يأخذ احد هذه الحجرة غيرك ولا يعلو ظهرها الا أنت ففرح المقدم ابراهيم وقال يا سعد اطلب أهل حوران وأهل بيسان فجرى سعد بجميع اهله فى حوران فاعلم حسن الحورانى با ابراهيم فركب وركبت الاقوام والفرسان كانهم فروخ الجان على خيول أخف من الغزلان وكان عند ذلك ظهرت فرسان بيسان كانهم طهر البستان يقدمهم المقدم دبل وساروا الى القصر ونزل السلطان وركب على الفحل الادهم وسار فى ركابه ابراهيم وسعد وما داموا سائرين حتى وصلوا الى قلعة مريكينة يجدوها قاعا صفصفا لاحس حسيسة ولا انسى أنيسة فتعجب السلطان من ذلك ودخلوا الرجال القلعة فرأوها على رأى من قال

كانت خلايات نحل وهى عامرة   لما سرى نحلها صارت خليات

فقال الملك يا مقدم ابراهيم كيف العمل فقال ابراهيم لم ترجع أبدا وانما تتبع جرتهم أينما كانوا تتبعهم ولا نعود الا بعد أن نمحق العدى وننزل بهم العذاب والردى فقال سعد واقه ما أنت طالب الا الفرس ويمكن ان تكون انديت فضحك السلطان الظاهر على كلام سعد مع ابراهيم

[يا سادة] وكان السبب فى هروب المقدم مريكر وعسكره وهو ان له خال مقيم قلعة الدركوش يقال له المقدم يعقوب الدركوشى وان المقدم مريكون لما رأى حرب المقدم ابراهيم بن حسن ونظروه عسكره فقالوا له يا مقدم مريكن احنا هنا ناس قليلين وليس لنا طاقة بعسكر المسلمين فالصواب أنك تحاذر على نفسك وقلعتك والا يأخذها رين المسلمين منك ويقتلك فقال المقدم مريكن صدقتم وأنا مرادى ان آخذ مالى وعسكرى وأروح بهم الى

قلعة خالى وتكون يدا واحدة على حرب المسلمين والا اذا تأخرنا هلكنا ملك المسلمين بعسكره فعندها أمر المقدم مريكن يأخذ كل ما فى قلعته وركب فى جميع بطارقته وطلب قلعة الدركوش ودخل على خاله المقدم يعقوب الدركوشي وأعلمه بالذى جرى من نهب مال التاجر وارساله الى ملك المسلمين وقدوم ابراهيم بن حسن وأخذ حجرته المريكنية وقدوم المقدم سعد بها ثانيا وأخذها منه وقال فى آخر كلامه وأنا خفت ان يدهمنى ملك المسلمين بعسكره فانك تساعدنى عليه ونكون يدا واحدة لعلنا نأخذهم فى الحرب واذا فرغنا من حربهم نسير الى بلادهم فقال له خاله وانا من زمان قصدى فى حرب المسلمين لكن لم نعرف نفتح باب الفتنة بينى وبينهم وهذه العبارة تكون سببا للحرب وأقام المقدم مريكن عند خاله تلك الليلة وعند الصباح أشرفت عساكر الاسلام بالملك الظاهر وابراهيم وسعد ورجالهم الحورانية والبيانسة فاستعد المقدم مريكن ودخل على خاله وقال له انا أتولى حربهم فقال له خاله أنت يوم وانا يوم فركب المقدم مريكن وبرز الى الميدان على ظهر الحجرة المريكنية ونظره ابراهيم فقال هذا خصمى ولا يبرز له الا أنا هات حجرتى يا ابن الشباح فقدم له الحجرة ركب واراد ان يبرز للمقدم مريكن واذا بخيال أقبل من البر راكب على حجرة كأنها الحمامة السودة ولطم المقدم مريكن بعدما صاح عليه وأخذ منه وأعطاه وبايعه وشاراه ساعة زمانية ووقف الفارس فى ركابه وضرب المقدم مريكن بالشاكرية على وريده أطاح رأسه من على جسده وأخذ زمام الحجرة ومثل ماجاء من البر كل هذا يجرى والمقدم ابراهيم ينظر ويرى فقال له المقدم سعد سيفك على الحجرة من هو أفرس منك فقال ابراهيم ياسعد هذا الذى أخذ الحجرة من سادات بنى اسماعيل وان فاتنى حذرى فهو من أكبر بيت فيهم وأنا والله قلبى انشغل من هذه الفعال هذا وعساكر المقدم مريكن لما رأوه قتل صرخوا واى اعتنر مريكن والذى منتره راح فى البر فقال لهم يعقوب الدركوشي دونكم والمسلمين خذوا ثاره منهم فعندها حملت الكفار فتلقتهم المسلمون الابرار ووقع ضرب الحسام البتار وقل الاصطبار ودام القتال على ذلك الحال الى ان ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال ولما أقبل الظلام افترقوا عن ضرب الحسام وعادت العساكر الاسلام الى مضاربهم والخيام وأما الكفار دخلوا القلعة فى أشد الفحمة وهكوا للمقدم يعقوب حالهم وقتل مقدمهم المقدم مريكن وذكروا له من قتل معه من عسكره ومن عسكر قلعة الدركوش قال لهم أنا فى غداة غد انزل الى الميدان وأباشر الحرب والطعان وان نزل قدامى الذى قتل المقدم

مريكن قتاله وعلى وجه الارض جندلته وباتوا إلى الصباح واصطفت الصفوف وترتبت الالوف وانفتحت قلعة الدركوش وطلع المقدم يعقوب الدركوش راكب على جحرته دهمه كانها ليلة ظالمة وكانت هذه الحجرة اسمها الدركوشية وهى أم الحجر المريكنية وهى من أفخر الخيول الملاح ولها فى الخيول نسب كما تنتسب أصحاب الانساب الصحيح ولما نظر ابراهيم المقدم إلى ذلك الحجره فقاس بذكاوة عقله أن هذه الحجرة أم الحجرة المريكنية فقال فى باله أنا أنزل لذلك الملعون واقتله وآخذ هذه الحجرة فانها تغنى عن المريكنية وطلب حجرته المقدم ابراهيم فقدمها له على بن الشباح فاستوى على ظهرها وأراد أن يخرج إلى يعقوب الدركوش وإذا بذلك الفارس أقبل من كبد البر وأطبق على يعقوب الدركوش وضايقه ولاصقه وسد عليه جميع طرايقه وضربه بالشاكرية على عاتقه اخرجها تلمع من علايقه فوقع فى الارض صريع يعج علقما ويخبع وجذب حجرته ذلك الفارس وعاد إلى البر مثل ما جاء من البر ونظر المقدم ابراهيم بن حسن إلى ذلك الفعال فضاق صدره وقل صبره فى ذلك الساعة خرجت العساكر من قلعة الدركوش كانهم فروخ الجان فالتقتهم سباع الاسلام بحرب كانه شعل النيران وتضاربوا على الرؤوس بكل سيف يمان وتطاعنوا بكل رمح مزان ومادام السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار بيضاء وأقبل الليل بظلماه افترقوا الطائفتين عن بعض وقد امتلى بالقتل من كل جانب وأوقدوا النيران وتحارسوا الفريقان وفى نصف الليل والمقدم ابراهيم واقف غفر صيوان السلطان وإذا بنبلة خرجت عن الصور وعلى طرفها قتيل والعوو وصلت قدام صيوان السلطان ووقعت فأخذها ابراهيم ونظر فيها وإذا فيها تذكرة مكتوب فيها ان باب القلعة مفتوح والمدافع معطلة والطبيجية مبنجين والغفرة مذبوحين وليس قدامكم من يعيقكم دونكم يامعاشر الاسلام والجهاد فى سبيل الملك العلام فدخل اعلم السلطان فقال الملك الخيل يا أربابها وتقعدت على السروج ركابها وانعضرت فرسانها ونجعلها وزعق السلطان حامر الله أكبر

اذا جيش الدجا أبدى سوادى والظلم ليله والحرب باد
ونادى أنى أكون له مجيبا بضرب يقطع الصخر الجماد
بسيف كان من عهد ابن عاد ثقيل المتن مصقول الحداد
وقنطاربة من عهد تبع تشك الدرع غصبا فى الفؤاد
ومهر أدهم رحب المحيا له فى الجد عزم والطراد

وانى الظاهر المنصور حقا ... أنا بيبرس محمود التناد
وحولى من بنى اسماعيل قوما ... اسوذ فى مقارعة الجهاد
كذا امراء مصر يتبعونى ... على خيل مضمرة جياد
وابراهيم مع سعد المسمى ... كذا أولادهم أسد الجماد
وأما أخى جمال الدين شيحة ... له خضعت قرانات البلاد
هلموا معشر الاسلام حولى ... وجيدوا الطعن بالسمر الصعاد
تنالوا رفعة وعلو مجد ... فان النصر من رب العباد
وصلى الله ربى على محمد ... نبى جاءنا مهدى وهاد

ولما نظر المقدم ابراهيم الى السلطان حل فى أول العسكر وكانت العساكر كلها حورانية وبياسنة فاحتاج المقدم ابراهيم بثبتهم للحرب خلف السلطان لانه هو الذى قال السلطان يكفينا الحورانية والبياسنة تفتح إبهم هذه القلعة فصاح ابراهيم أو حاس الله أكبر

افديك يا ملك روحى تفادى ... وجسمى ثم قلبى والفؤاد
فديتك يا ملك العصر حقا ... ولم أرضى تلاقيك الاعاد
أنا ابراهيم لى بأس شديد ... وقلب قد من صخر جماد
وذو الحياة سيفى فى يمينى ... تقد العظم والخود الحداد
اذا سألت تفصيل دماطربا ... وتمضى فى جماعة الاعادى
الا يا سعد دونك عن يمينى ... بقلب صادق عند الجهاد
ونحمى حرمة السلطان قهرا ... بطعن السمهريات الصفادى
ولا تخشى من الكفار جمعا ... فسوف نبيدهم والسيف حادى
وصلى ربنا فى كل وقت ... على النبى خير العباد

فعند ذلك صاح المقدم سعد بن وقال خاس الله اكبر

أنا سعد الذى بالسعد بادى ... وذكرى شاع فى أقصى البلاد
أقاتل فى سبيل الله جهدى ... ولم أخشى مكاثرة الاعادى
سيف جده سيل المنايا ... يشق الرأس والخودى الطلادى
خدمت الظاهر المنصور حقا ... بصدق محبة وصفى ودادى
هلموا يا كلاب الكفر نحوى ... فمنى لم يبقى لكم نفاد
سأفنيكم لو كنتم جموعا ... واشتت شملكم فى كل وادى
وارجع بالغنايم والاسارى ... تساق امع المضمرة الجياد

اذا لم تؤمنوا بالله حقا　　فما يفديكم فى الموت فادى
وصلى الله عن خير البرايا　　نبينا مصطفى للخلق هادى

ولما حملوا الاثنين المقادم خلف السلطان ونظرهم أهل حوران وأهل بيسان رموا ارواحهم فى القتال وكل منهم خاض فى بحر الاهوال وغنى الحسام الفصال واتصل الطعن بالرماح العوال وحمى الهوجل واشتد القسطل وهام الفارس البطل وشقت السيوف الجماجم والقلل وعمل السيف أرفى عمل وكثر الخطأ والزلل وقام الحرب بين الفريقين على ذلك الحال وخاب من الكفار والرجا والامل فطلبوا قلعتهم ولحقهم الوجل واذا بفرسان حول القلعة كأنهم العقبان على خيول كانهم الغزلان طوال الاجساد كانهم من بقايا قوم عاد ضربوا فيهم ضربا يسبق القضا والقدر وطعنوا فيهم طعنا لايبقى ولا يذر ويقدمهم الفارس الذى قتل مقدمهم وآخذ خيولهم وله صرخات كانها الرعد فى افق الغمام وضربات كانها رسل الحمام فاندهلت الكفار وأيقنوا بالموت والدمار وانقطعوا بالصارم البتار ولم ينج منهم الامن كان جواده سابق وفى أجله تأخير وأما العسكر فانهم أخذوهم الاسلام على براشن السيوف كالقطن المندوف وتقدم الفداوى بين يدى السلطان وقبل انكه وقال يامالك الدولة أناقصدى منك أن تعطينى سلطنة القلاع والحصون وتوريني الفداوى الذى اسمه شيحة حتى انى اسلم عليه واعزله واتولى سلطنة القلاع والحصون وان خالفت يبقى بينه الاخذ والعطا اما بالقتال أو بالملاعب أو المخاصمة فقال السلطان يامقدم اكشف لنا عن وجهك اللثام واعلمنا من تكون أنت من المقادم ومن أى القلاع فقال يادولتلى افاسمى المقدم على شطفور وأبى اسمه المقدم فخر الدين الاصيل وكنت فى الحج الى مدة سنين وها أنا أتيت اطلب مقام أبى وجدى

[قال الراوى] وان اسماعيل السبب فى وجوده فى هذا المكان ان اباه ترك أمه حاملة به وتوجه الى بلاد الكفار فى طلب المكاسب والتفتيش على ابن عمه المقدم معروف بن جمر فلما وضعته امه وكانت تسمى البرة الغيدا بنت الافعى تنسب الى بنى اسماعيل وهى أخت المقدم صوان بن الافعى ولما وضعت ذلك الغلام كانت هى الحاكمة على القلعة فى غياب المقدم فخر الدين الاصيل وكانت هذه المقدمة الغيدا من الابطال المعدودة للحرب والقتال فصارت تستعر من وضع الطفل الصغير على حجرها وشهرتها بين المقادم أنها حرمة ولها ولد فصارت تتركه للخدم يحملونه وعند المساء تخلوا بنفسها وتقدمه على ثديها لاجل الرضاع فيفتح فمه ويعرقص شفتيه فسمته شفطور وكان أصل اسمه على ولما كبر صارت المقادم تقول عنه المقدم على شطفور فلما جاوز من العمر عشر

سنين صار يتعلم ركوب الخيل وأمه تعاونه وتعلمه الكر والفر مدة أيام إلى يوم من
الايام قدم المقدم صوان بن الأفعى من الجج وظهره وحصل فى ظهوره ما حصل
وأما المقدم جمال الدين شيحة فقال المقدم على ياعنيد هذا أخوك اقالت له نعم أخى
وكان فى الجج وجاء بالغنائم والأموال من بلاد الكفار وهاهو فى قلعته وأقام فيها
وايش المعنى ياشفطور فى السؤال ياهل ترى تقدر تفعل مثل فعال خالك وتسير إلى
بلاد الكفار وتأتى بالمال الكثير وتفتخر على بنى اسماعيل فقال المقدم على والاسم
الاعظم باسماه ما بقى بعد هذا اليوم يقيم عندك ولا عند أحد من أبناء الحصون حتى
انى داخل الجج وافعل كما فعل المقدم وطلع من القلعة ماشيا على قدمى ودام سائرا من
الصبح الى المساء فنزل على غدير ماء وتعجب من تقاليب الزمان لكون انه حكمت
عليه نفسه لا يركب جواد ولا يأخذ معه طعام ولا زاد وسار على وجه الانفراد
فبين ما هو كذلك واذا بخيال قد وصل وهو منحنى على حجرته والدم يجرى من سائر
بدنه وجثته حتى وصل الى ذلك النهر وقال للمقدم على ياولدى نزلنى من على حجرتى
واطرحنى على ذلك الماء ولك الأجر والثواب من باسط الارض ورافع السماء فقام
اليه المقدم على شفطور ونزله من على ظهر حجرته فالتقاه رجل اختيار متقدم فى السن
فقال له بالسلامة ياعم فقال له تسلم ياولدى من كل سوء ومكروه فقال له المقدم على من
الذى فعل بك هذه الفعال قال له ياولدى اعلم انى أنا يقال لى المقدم زاهر بن سيف النصر
وكنت غايب فى بلاد الكفار مدة سنين وأخيرا أرسلت المال الذى جمعته مع رجالى
إلى أرض الشام ودخلت أنا ثانيا إلى بلاد الكفار إلى أرض يقال لها بقعة المرمر
وبها قلعة يقال لها قلعة العلم وهى أقصى بلاد الافرنك فدخلت تلك القلعة ودورت
حتى عرفت كيف الدخول وكيف الخلاص وتمكنت من السراية وملأت ذلك الخرج
الذى على ظهر حجرتى من الذهب وأردت النزول فرأيت على قاعة بنت الملك وهو
يقال له والبب روم دبدب العلى وبنته يقال لها عين المسيح ولكن والله يا ولدى
ماهى غالية على ذهاب الارواح لانها فى الجمال فاقت أهل ذلك الزمان فأردت أن آخذها
معى فعرفت المقصود وصاحت على فاجتمعت على قوم لا تعد ولا تحصى فقاتلت
عن نفسى ومانعت حتى خلصت من القلعة وهذا الخرج معى ولحقت حجرتى
فضربونى الكفار بالقيس والنبال حتى مزقوا جلدى وكان درعى قديم وهذه أقدار
السميع العليم ثم انه تنهد وانعدل إلى القبلة وخرجت روحه مثل هبوب الرياح فقام
المقدم على شفطور غسله ولفه فى ثيابه وواراه التراب ثم فتح خرجه فرأى فيه ذهب
كثير تزيد عن نصف قنطار شامى فحت بجانب الغدير ودفنه وابقى فى جربنديته

بعض لحم قديد وزبيب وآلة السياقة مثل البنج وضده والمفرد والسرياق وكلما يليق له فأكل من ذلك المأكول وركب الحجرة وقصد الى بلاد الكفار وصار يسال عن بقعة المرمر وقلعة العلم فرآها داخل بلاد الافرنك ولكنها قلعة حصينة مكينة باسوار عالية والعدو لم يبغ منها ارب لعلو اسوارها وقوة بناها فدخلها وهو لابس على صفة أهلها ولان لم يعرف لغاتهم فجعل نفسه اخرس وصار لايتكلم الا باشارة وأقام بها مدة شهر كامل حتى عرف كيف يكون بلوغ امله لان قلبه متولع بما وصف له المقدم زاهر قبل موته وما وصف له من حسن الملكة عين المسيح بنت البب روديس ملك هذه القلعة ولما عرف نفسه انه يبلغ قصده صبر الى الليل ورمى مفرده على سراية البب وكانت وسط القلعة بعد ما غافل الحرس وبنج من كان حول السراية وآمن على نفسه وطلع الى اعلى المكان ودلى سرياقه ونزل عليه فحكم نزوله فى قاعة بنت البب روم ديس وهى الملكة عين المسيح وهى نائمة على ظهرها ووجهها الى سقف القاعة وكاشفة صدرها من تحت الملبوس فنظر الى جبينها ووجهها وعنقها وصدرها الى حد صرتها فانسلب عقله ووقف يتفرج شرح من قال

أنظر الى ذات الجمال مشاهدا   أمتع نظرى فيه ثم اردد
ما قصدى فعل القبيح وانما   اشاهد صنع الله ثم اوحدا

[قال الراوى] وفى هذه الساعة استيقظت الملكة عين المسيح وكانت بنت عاقلة على قدر جمالها فنظرت الى هذا الغلام الامرد الجميل فتعجبت كيف وصل الى هذا المكان وقالت فى بالها لولا انه من أهل المقدرة والجسارة لما قدر أن يصل الى هذا المكان فقالت له أنت انسى ام جنى قال لها أنا انسى قالت له ومن اين أتيت حتى وصلت الى هنا قال لها أما وصولى إلى هذا المكان فما هو بعجيب لان العايق منا يدخل فى أى مكان ولا يبالى بانسان وأما سبب دخولى فانا قاصد ملك هذه البلاد أقطع رأسه جزاء بما فعل بالمقدم زاهر فى العام الماضى فانه افترس به هو ورجاله ولم يطلع من عندكم الا وبدنه مشرمط بالنبال وأنا لقيته فاعطانى المال الذى أخذه من بلادكم هدية واوصانى أن لا انام عن أخذ تاره وقتل ملك هذه القلعة واخرب ديارها وأنا اتيت اليه فحكم نزولى فى هذا المكان وأظن انك بنت صاحبة القلعة فقالت له نعم أنا بنته فهل ترى ما تكرمه لاجل خاطرى فقال لها وهو فى كرامتك والله لو كان قاتل أبى فانى عفوت عنه اكراما لكلامك فقامت على حيلها وأخذت يده وأجلسته على الفراش وغابت وأتت بصينية من الفضة ووضعتها بين يديه وفتحت خزانة وطلعت مربات من الصينى وأخرجت مربة قرنة ومربة جنزبيل وأصناف الحلو وقالت له ياسيدى

لاتواخذنى انا اعلم انك لم تأكل من لحم الخنزير وهذا الطعام عند الاسلام حلال
وأحضرت ملبس وحلاوة شغل بلاد الافرنك وصارت تناغشه وقالت آتيك بالبيبار
فقال هاتى فأتت بآنية الخمر وشربت على وجهه وأسقته على وجهها حتى أخذت الخمرة
بعقل البنت وأشغلها الحب فى المقدم على فأرادت أن تبوسه فغالط البوسة وأخذها فى
كفه فقالت له ياغندار أنا حبيبتك ولأى شيء تمنعنى عن تقبيل خدك فما أنت من أهل
المحبة فقال لها إن كنت انتى حبيتينى عندما رأيتينى وأنا والله حبيبك على الصفا واستهمت
بمحبتك بلا نظر ولا معرفه ولكن يا كاملة الحسن والجمال اعلمى أن هذا الجسم الذى
مثل البللور خسارته أن يعذب فى النار لأن الكافر مأواه العذاب فقالت ايش معنى
هذا الكلام أنا حبيتك والسلام فقال لها أنا ما فعلت لك ذلك إلا وأنا فى محبتك هايم
ولكن لا يجوز لى أن أحظى بهذا الحسن والجمال إلا إذا كان بالحلال كما أمر الملك المتعال
وأما الخنا والفساد حرام لايجوز فى دين الاسلام فقالت له وايش حلال وايش حرام
أنا أعلم ان احسن واطيب أوصال هو الجناقة بين النساء والرجال فقال لها ما هذا الذى
تذكريه عندنا فى دين الاسلام يكون بالكتاب ويكون الزوج مسلم والزوجة مسلمة
فان كان قصدك أن تكونى زوجتى وتصدقى فى محبتى فادخلى معى فى دين الاسلام
ومادام المقدم على شغطور مع الملكة عين المسيح بمثل هذا حتى اجابته إلى دين الاسلام
والله تعالى هداها فقالت له تزوجنى فقال لا أتزوجك إلا فى بلادى واصنع لك فرحا
ومهرجان ونفرح أنا وأنت فقالت له قم خذنى وروح إلى بلدك ودخلت إلى محل خزنة
أبيها واحضرت شيئا كثيرا من الذخائر المعدومة المثال فقال لها المقدم على لا يكون ذلك
وإنما احضرى لك بدلة زرد ودرع طيب وسلاح يوقيكى فى الحرب والكفاح وأما المال
فأنا ما احتاج اليه لأن المال عندنا كثير وانا إذا وديتك بلادى أعود آخذ من الاموال كل
ملك اغزيه وانهب ماله وأما النوبة لم التزم إلا احمايتك حتى اوصلك إلى قلعتى عند والدتى
وإن لحقنى أبوكى بعسكره اخذته معى أسيرا ولم أطلقه حتى ينعم على بزواجك وإن
اسلم جملة وكيل عقدك فقالت له انا ما بقى لى منك مفر افعل ما تريد واحضرت له كل ما طلبه
من دروع وزرد وأخذ قليل من المال ولبسها بدلة زرد فوق لبسها وطلع بها من قاعتها ليلا إلى
الاصطبل وكان مولع شمعة بيده كلها من البنج وكلما اهل بها على جماعة تبنجوا حتى وصل
اصطبل الخيل اخذ منه حصانين اركبها واحد وركب هو على الثانى وجنب حجرته واخذ
سحابة من الحرير الازرق على عمود رفيع من خشب الابنوس مفصل اكعاب ووضعها تحتها
وركب هو جواده بعدما اعتد بعدة حربه وجلاده وطلعوا من القلعة ليلا وصاروا

يقطعون البرارى والقفار فما طلع الصباح إلاوهم فى بلاد بعيدة وساروا حتى حمى الحر وهو جر البر فوصلوا إلى غابة ذات اشجار واثمار وانهار واطيار تغرد على الاغصان بذكر الملك الديان كما قيل :

وإذا ترنم طيره لغديره يشتاقه الولهان فى الاسحارى
فكأنه الفردوس فى نفحاته نخل وفاكهة وماء جارى

فنزل فى ذلك المكان ونصب تلك السحابة واجلس البنت فيها ثم ركب حجرته وقصد عانة من الغزال افترس منها اثنين واتى بهم اليها وقال لها يانور عيونى انت اسمك عين المسيح مدة الكفر وانت الآن مؤمنة فقصدى اسميكى عين الظباء فقالت له شأنك وما تريد وذبحوا الغزالتين وشووهم على النار واكلوا منهم حتى اكتفوا وقال المقدم ياعين الظباء انا قصدى انام قالت له وإن لحقنا أبى بالعسكر فكيف يكون العمل فقال لها آخذه من وسط عسكره واوقفه بين يديك واعرض عليه الاسلام فان اسلم والاقطعت رأسه بهذا الحسام فما تم كلامه وإذا بالغبار ظهر وعلا إلى الصفا وتكدر وبان عن عساكر كأنها الجراد المنتشر على خيول كأنها قطر المطر ويقدمهم البب روم ديش صاحب قلعة العلم وهو مسلوب العقل والفؤاد على ابنته وكان السبب فى قدومه انه لما طلع النهار وانتبهت الناس من النوم فالتقوا حصانين عادمين من الخيل وهما احسنهم فاخبروه فاشتغل فؤاده ودخل سرايته فلقى بنته عدمت ومعها الشمسية التى ياخذها معه اذا طلب الصيد والقنص ولقى الكفرة مبنجين وكان هذا الملعون خبير بصناعة العياقة فامر عسكره بالركوب وطلع طالب جرة الخيل حتى وصل إلى ذلك المكان ونظرت عين الظباء اباها فايقنت باخذها غصبا وقتل بعلها فالتفتت الى المقدم على وقالت كيف العمل يامقدام وقد ادركنا ابى بجيوشه الكفرة اللئام وانت الذى اقمت فى هذا المكان حتى اتانا بعباد الصلبان فضحك الفداوى علامة انه لايكترث بهذه الجموع وركب على ظهر حجرته وقال لها قفى مكانك ولا تخشى من الجموع فانهم قليلون على هما كريتى وليس لهم اصطبار عند حملتى وخرج الفداوى كالاسد من وسط الغاب وصرخ صرخة صوتت لها البرارى والهضاب وقال هذا يوم الطعن والضراب وكسب الثواب حاس الله اكبر

إذا جيش للعدا ملا البقاعى وضاق البر بعد الاتساعى
فادى يا على شفطور تجدنى هماما ضيغما بطلا شجاعى
فيا عين الظبا لا تزدرينى اذا مديت فى الهيجاء باعى
ففخر الدين ابى حقا وخالى سمى صوان من نسل الافاعى

ونسبي من بني اسماعيل أصلا   وفرعا نعم أسباط السباعي
كلاب الكفر لا تستصغروني   فما خاب امرؤ لله داعي
سأفنيكم ولو كنتم جموعا   تروا التفريق بعد الاجتماع
بسيف حده سيل المنايا   وعزم لا يمل من القراع
وصلى ربنا في كل وقت   على من هو لوحي الله واعي
نبي جاء بالآيات حقا   وحن الجزع بين يديه ساعي

وحمل على تلك الجموع وشك سنان رمحه في الاكباد والقلوب وصبغ الارض بالدماء وبرى كفوفا وجماجما وجعل وجودهم عدما وكحل عيونهم بمراود الغبار وقرأ عليهم آيات الله العظام وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وضرب فيهم ضربا منكرا وطعن فيهم طعنا لا يبقي ولا يذر ورمى رؤوسهم كالاكر وكفوفهم كاوراق الشجر فخاروا من أعماله وتحيروا من قتاله ودام يضرب بالحسام البتار إلى آخر النهار ونظر إلى مقدم العساكر وهو البب روم ديس وهو يرد العساكر فطلبه وكان له مبادر حتى قرب اليه وصرخ في وجهه أذهله وتعلق في جلباب درعه وقرط على خناقه حتى كاد ان تخرج أحداقه وضرب عنق جواده بالحسام أراه كبوة الاقلام وعاد بالبب روم ديس أسير اذل زنده كانه فرخ الحمام وكان أقبل الليل بالظلام وولى النهار بالاتمام وانفصلت الناس عن الصدام وخفيت مواضع الاقدام ورجع المقدم على شقطور والبب روم ديس على زنده مأسور فوضعه قدام الملكة عين الظبا وقال لها خذي هذا الكلب ونزل عليه كتفه وربطه على فعاله وعنفه فالتفتت الملكة عين الظبا إلى أبيها وقالت له ايش الذي أغراك حتى تعرضت لهلاكك وفناك فنظر إلى الذي تخاطبه وجدها بنته فقال لها يا عين المسيح فقالت له أنا اسمي عين الظبا وأسلمت وعرفت الحق وأتبعته وهذا الرجل اوعدني ان أروح معه إلى بلاده يتزوجني على دين الاسلام واقيم معه في بلاده يا أبي ماغرك تحاربه فليس أنت من رجاله ولا تعد من أشكاله ولولا أنه يعلم انه إذا قتلك تصعب على وخاف على خاطري والا كان قطع راسك وأخمد أنفاسك فقال لها أبوها وانتي صرتي مسلمة فقالت نعم قال يا بنتي أنا ماجيت الا على أنك مأخوذة سرقة من سرايتك واما لو علمت انك أسلمتي وبرضاك سافرتي لما كنت تبعتك ولا سألت عنك ومن حيث كذا اسأليه أن يطلقني حتى أسير إلى عسكري آخذهم واعود إلى بلادي فقالت له أنا لم اقدر أسأله في ذلك لانك أسيره إن شاء يطلقك او يقتلك فقال المقدم على ايش يا عين الظبا هذا الملعون فقالت يا سيدي يطلب أن تطلقه ويأخذ عسكره ويعود إلى بلده وأنا أخاف أن اسألك فيه لانه خائن فقال المقدم على اطلقيه فان اراد يأخذ

عسكره ويعود وان أراد يحارب فعند ذلك اطلقته فقام ينفض غبرات الموت إلى عسكره وفى الحال أمرهم بالرحيل وعاد إلى قلعته وأما المقدم على شفطور أقام ثلاثة أيام فى هذا المكان ورحل رابع يوم والملك عين الظبا صحبته مدة أيام فعبر على غابة قريبة من قلعة الدركوش فلما أقبل بعلها أعلمته قال لها بكرة آتى منهم بالمكاسب وركب عند الصباح وقتل مريكن وأخذ حجرته المريكنية وثانى الايام قتل يعقوب وأخذ الدركوشية ولما حبكت الوقعة والتحم القتال وسار إلى المقدم حسن الحورانى خلف العسكر وأعلمه بنفسه وقال له اعطنى الف خيال حتى املك القلعة فسلمه الف خيال من جملتهم سعيد العايش أخو المقدم إبراهيم وملك على الاعدا ظهورهم وخبرهم فى أمورهم ثم ملك السلطان قلعة الدركوش وتقدم المقدم على شفطور وقبل يد السلطان وقال يا ملك الاسلام انت تكون الواسطة بينى وبين سلطان القلاع والحصون يقبلنى أكون من بعض رجاله فقال السلطان يا مقدم انت اسمك ايش وابن من وأى قلعة قلعتك فقال يا أبى أنا اسمى على وأبى فخر الدين الاصيل وخالى صوان بن الافعى فما تم كلامه حتى قام المقدم ابراهيم اليه وضمه إلى صدره وكذلك المقدم سعد والمقدم حسن والمقدم دبل وفى الحال صاح المقدم إبراهيم انت فين يا سلطان القلاع والحصون وإذا بموكب المقدم جمال الدين أقبل فقام له السلطان وأجلسه فى مرتبته وقام اليه المقدم على شفطور وضرب الاطاعة وقلع سلاحه وقدمه اليه فكتب اسمه على شواكره وخناجره كل هذا يجرى والمقدم ابراهيم يتعجب من تقلبات الزمان فقال له سعد مرقت الحجرة منك ولم يبق لك وصول اليها فقال إبراهيم يا سعد هذا الفداوى المجاهد فى سبيل الله كل نظرة فيه تساوى الف حجرة والف حصان هذا والملك الظاهر بعد ما ملك قلعة الدركوش وأمر الطبجية أن يضربوا اسوارها بالمدافع هى وقلعة مريكنة فالتفت المقدم على شفطور إلى المقدم إبراهيم وقال له يا أبا خليل أنا مرادى ان آخذ هذه القلعة واجعلها لى موطنا فبالك أن تسأل مولانا السلطان فى عدم هدمها

فقال له المقدم إبراهيم وهو كذلك وتقدم الى السلطان وقال يا ملك الاسلام هذا المقدم على صار من أتباعك ومن رجال المقدم جمال الدين شيحة وهذان القلعتان بغاز بلاد الروم وهم قلعة الدركوش وقلعة مريكنة وهذا المقدم على يروم اقامته فى قلعة الدركوش ويحفظ هذا البغاز من الكفار وأنا أسألك يا دولتلى أن تنعم له بالاقامة بهم يجعل واحدة فيها حريمه وخدمه وواحدة فيها ديوانه فقال له السلطان اذا كانت قلعة ظهر منها كافر قطع الطريق فكيف ابقيها بلا هدم فقال ابراهيم يا دولتلى وهذا المقدم على من أهل الايمان وهو صاحب حسب فقال السلطان انت متعرض له اظن انه أعطاك الحجرة

المريكنة فلاجل ذلك سألتني ولكن يامقدم ابراهيم بعد إعطاء صاحب المتجر متجره وكلما نظر وقال هذا لى اعطوه له وبعد ذلك هذان القلعتان بعدافعهم بجبخاناتهم سلمهم للمقدم على شفطور فعندها تقدم على شفطور وباس أتك السلطان فخلع عليه وأمره يكون مقدم قلعة الدركوش وقلعة مريكنة ففرح بذلك وقبل يد الملك وقال يا مالك الاسلام أنا معي جارية وهي بنت ملك يقال له البب روم دبس التى أهلمتك بها وأريد أن أتزوجها ويكون فرحها في هذه الايام قبل توجه مولانا الملك إلى مصر حتى أتشرف بحضوره فى وليمتى قال الملك وهو كذلك افعل ما تريد فصنع المقدم على الأفراح وتولى المقدم ابراهم جميع كلفة المطابخ وما يليق حتى تم ودخل على زوجته وثانى يوم عند الصباح احتار المقدم على شفطور بأى شيء يهادى المقدم ابراهيم بن حسن فما وجد عنده أحسن من الحجرتين المريكنية والدركوشية فعندها ركب عليهم عددهم وأسرجهم وألجمهم وقدمهم إلى المقدم ابراهيم بن حسن وقال له يامقدم ويا ركن الاسلام

جاءت سليمان يوم العرض قنبرة   تهدى اليه جرادا كان فى فيها
فقالت له يا نبي الله اقبلها   ان الهدية على مقدار هاديها
لو كان يهدى إلى الانسان قيمته   لكانت تهدى لك الدنيا وما فيها

ثم قال له ياأبا خليل أنت أوليتني منك احسان وجمايل وتعبت فى جرتى فاقبل منى هديتى وقدم له الحجرتين فقال المقدم ابراهيم مقبولة منك يا شب وأطلع الفداوى ابن حسن من وسط منطقته خنجرا بقبضة من الذهب الأحمر بأربعة عشر فص من الألماس وفوقهم فص جوهر نوره يأخذ بالبصر وهو ذخيرة من أفخر الذخاير وقال له وأنا ياشب جعلت لك هذه هدية مني على قدر مقامى واعطى له عقد جوهر أربعة عشر جوهرة وقال له هذا لزوجتك الملكة عين الظبا ففرح المقدم على بذلك وأمره الملك أن يقيم فى ذلك القلعتين ويكونوا على طرفه وخراجهم يطلب منه وجمع له المقدم جمال الدين رجال وأقام وله كلام [قال الراوى] وأما السلطان طلب السفر إلى مصر وصحبته ابراهيم وسعد بعد ماأمروا عساكرهم بالعودة إلى قلاعهم وسافر السلطان وهو فرحان بالنصر والظفر حتى وصل إلى العادلية وأرسل بطارقة فى مصر فزينت وانعقد الموكب للسلطان وطلع إلى قلعة الجبل وجلس على التخت ونادى بالامن والامان وحفظ الرعية وقلة الأذية أيام وليالى إلى يوم من الايام قال السلطان ياابراهيم انا قلبي مقبوض واريد ان اشق البلد لأن الله يسال كل راع عن رعيته يوم القيامة فقام الملك ودخل قاعة التبديل وطلع فى صفة عالم من علماء الاسلام ودخل ابراهيم

وسعد وبدلوا فى صفة طلبة العلم ونزل السلطان يشق البلد فالتقى فى سوق السلاح جماعة أعجام قاعدين على التهاوى ولكن بكثرة فارتكن الملك وجعل يتأمل وقال يا مقدم ابراهيم دول وردوا من عند هلاوون ومقيمون على مكيدة يعملوها فى الاسلام ولكن نصبر حتى نرى أخبارهم فوقف السلطان وارتكن على مصطبة وكذلك ابراهيم وسعد ارتكنوا وإذا بفرقة نسوان مقبلين من ناحية الرميلة وقاصدين إلى جهة الحجر فانفردوا عليهم جماعة من هؤلاء الأعجام ودفعوهم إلى ناحية خان من الخانات ليدخلوهم فيه فاستغاثوا النسا بأهل السوق فلم يغثهم أحد ونظر السلطان إلى ذلك فأراد أن يخلع بدلة التبديل ويشهر نفسه وإذا بغلام أبيض اللون أمرد جميل وهو مونث فى نفسه وراخى شعره على ظهره كالأنثى ولبسه ملبوس أهل الابتذال ولما وصل إلى ذلك المكان خلع من على جسده ثوب اللعب فبان عن منطقه بخناجر وآلة مقدمية وشجاعة وصرخ على الأعجام صرخة وقال لهم يا كلاب الأرفاض تنحوا عن الأحرار ومال فيهم بالحسام البتار يرمى رؤوسهم كالأكر ويلفظ جماجم بالصارم الذكر وأما السلطان لما نظر إلى فعل ذلك الغلام تعجب غاية العجب وقال يا ابن حسن أنا طالب هذا الولد منك حتى أعرفه هو ابن من

فقال ابراهيم يا دولتلى أنا قصدى أساعده ولكن ليس محتاج إلى مساعد ورمى الأعجام ولم يبق منهم أحد إلا قتيل أو جريح وكل منهم واقف مسترح فقال الملك لابد من حضوره بين يدى

فقال ابراهيم سمعا وطاعة فبينماهم فى الكلام وإذا بالأعجام صاروا موتى جميعا ولم ينفذ إنسان والحريم الذى أرادوا أن يأخذوهم للخنا قالوا للغلام ياشب الله يحرسك لشبابك ويحميك ولا يشمت عدو فيك فقال لهم سيروا إلى بيوتكم فى أمان فسار الحريم فى طريقهم آمنين وبعدها ابراهيم ان يتقدم للغلام يأخذه وإذا به دخل من باب المتولى وعلى ما وصل ابراهيم لباب المتولى كان الغلام وصل الغورية فتبعه ابراهيم فلم يره فسال عنه أولاد البلد فضحكوا عليه وقالوا له قدامك الحق فصار ابراهيم تابع جرة الغلام إلى باب النصر وسال عنه فقالوا له هذا مسكنه العطوف وأبوه الشيخ حسن المنادى فقل له اين ابنك على فياتيك به فسار ابراهيم وسعد حتى وصلوا إلى كتاب فى العطوف وطلعوا فوجدوا شيخ قاعد يقرى أولاد فقال ابراهيم ياشيخ أين ولدك فقال له يا ملعون أنا أعرف ولدى فين حتى تسالنى عنه روح إلى حالك لعنة الله عليك وعليه سوى فقال ابراهيم تادب ياشيخ أنا ابراهيم بن حسن ساعى ميمنة

السلطان وهذا سعد والملك الظاهر ألزمنا تحضر ولدك بين يده فقال الشيخ حسن يبقى الملك فيه هذه العبارة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فاغتاظ ابراهيم ومسك الشيخ من خناقه وقال له والله يا قرن لولا انك من حملة القرآن لكنت قطعت رأسك كيف تسب ملك الاسلام الذى طاعته فرض على جميع الانام فقال الشيخ ياسيدى أنا أحكى لك عن ولدى وهو انه لما كان عمره سبع سنين غاب عنى ولم أعلم له مكان مدة عشر سنوات ثم أتانا وهو مثل الانثى مكحل عيونه وراخى شوشته على اكتافه ولابس ملابس مزينة فلما رأيته سألته أين كان فلم يعلمنى فعلمت انه داير مع أهل الفسق واللواط ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فتركته وقلت له لا تدخل بيتى وقفلت الباب وترسته فدخل من الحيط ولم أعلم كيف دخل فحطت له أمه العشا فبعدما أكل وضع فى الصحن دينار وقال لامه كل ليلة أجى نتعشى ونبات فقالت له أمه مرحبا بك وأعلمتنى فقلت لها أنا لم أمنعه عن العشا وأما الدينار الدينار الذى وضعه فى الصحن فلا أقبله لانه من الابتذال وكان الامر كذلك وهو إلى الآن توضع له أمه الصحن على الرف ويكون الباب مقفول فيدخل من السطح ويدخل الرواق يلتقى الصحن والعيش موضوع ياكل ويضع الدينار تاخذه أمه ويخرج من الفجر ولم أعلم أين يروح وهذه صفة ولدى أعلمتك بها وأما إذا قلت لى هاته فلم أعلم له مكان فقال المقدم ابراهيم ياشيخ خذ هذا القرص وضعه له فى صحن الطعام الذى ياكله فى العشاء فاذا أصبحت تجده نايم اصبر عليه إلى أن يفيق وقل له كلم الملك الظاهر فقال الشيخ سمعا وطاعة أخذ القرص ونزل المقدم إلى حال سبيله وأما الشيخ فانه لما روح إلى بيته فقال لزوجته انتى ما رأيتى على فى هذا النهار فقالت له على ما يجىء إلا فى الليل يتعشى وينام الى الفجر يخرج من فوق السطح ويأتى من فوق السطح فقال لها وخليتى له شىء يتعشى به الليلة قالت نعم هاهو الصحن ملآن رز مفلفل وصحن فيه زوج حمام محمر وطاسة المسلوقة على الكنون حتى يأتى يجدها سخنة والمعلقة فوق صحن الرز فقام الشيخ وكشف طاسة المسلوقة ورمى فيها قرص البنج ونام وبعد نومه طلع الغلام ووضع الصينية بين يديه وأراد أن يشرب من المسلوقة فعرف بذكاء عقله أنها مبنجة فتركها وأكل الرز والحمام ونام مقدار ساعة وقام راح لحاله وتدارى حتى طلع النهار قام أبوه وصلى الصبح وطلب يفطر فنظرت زوجته إلى طاسة المسلوقة لم ياكلها ابنها فسخنتها وأتت بها الى زوجها فاكلها ورقد مكانه فظنت زوجته أن الطعام مسموم فبكت وقالت لاحول ولاقوة الا بالله واذا بابنها أقبل قالت له ياولدى أبوك مات تعال كفنه واخرجه قال لها لاتخافى عليه فانى طبيب ثم أحضر صندوق

خشب ووضع أباه فيه وصنع لنفسه لحية شايبة مثل لحية ابيه وتصور فى صفته ووضع الصندوق على حمار وسار به إلى قلعة الجبل ودخل على السلطان وقال يا ملك الاسلام هذا ولدى الذى أنت طالبه منى وها قد وضعته فى صندوق كما أمرنى المقدم إبراهيم فأمر السلطان بفتح ذلك الصندوق فطلع الشيخ ومسك فى خناق ولده وقال له من أين صارت ذلك ذقن واحتلت على ووضعتنى فى الصندوق كأنك أنت مثلى وليس أنت على ابى فقال له الغلام يا ولدى تمسك فى خناق حرام عليك وانا ابوك وتزاودوا مع بعضهم ولم يعرف أحد من هو الاب ومن هو الولد فأمر السلطان بحضور الزوجة لتعرف ابنها من زوجها فلما حضرت سألها السلطان فقالت لى أمارة فى زوجى له نقطة فوق صرته من تحت ازاره وابنى له حسنة خضرة على فخذه فكشفوا على الاثنين فوجدوهم مثل بعضهم فاحتار الملك واشتبه وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل فقام السلطان واستقبله واجلسه الى جانبه وسأله أن ينظر فى هذه القضية وحكى له على ما جرى من الغلام فى العجم وعن طلب ذلك الغلام من ابيه وما جرى فقال المقدم جمال الدين الولد المخالف لابيه ملعون وغضب الوالد من غضب الله عز وجل فالذى منكم ولد يشهر نفسه وعليه الامان من مولانا السلطان واعلموا أن طاعة السلطان فرض لازم وقد أمركم بالصدق بين يديه فقال الغلام أنا يا سلطان الحصون المطلوب فقال له المقدم جمال الدين ولاى شىء خالفت اباك وغبت عنه مدة سنين وأين كان غيابك فقال الغلام يا دولتلى أنا لى حديث عجيب وهو أن ابى هذا يقرى اولاد فى كتاب بالمعطوف فاتفق انه أخذنى وطلع مع أقرانه الى غيط الربدانية وقعدوا فى ذلك المكان فادركنى النوم فاتيت إلى شجرة لبخ ونمت تحتها ولما أراد ابى أن يروح مع أصحابه فتش على فلم يرنى فظن انى روحت فسار مع اصحابه وبقيت أنا نايم تحت تلك الشجرة وما فقت من نومى الا فى الليل فلم أجد ابى ولم ار احدا فى ذلك المكان فبكيت على نفسى خوفا من الوحدة وإذا ببنت واقفة قريبة منى وهى تبكى مثلى فقلت لها أنت من تكونى فقالت أنا جئت مع ابى الى هذا المكان ورقدت تحت تلك الشجرة وقمت فلم ار ابى ولا اعرف اروح من أين فقلت لها وأنا مثلك انعدى معى حتى يطلع النهار فقالت أنا يتناقريب سر معى الى بيتنا نبات فيه والصبح نوديك لا هلك فقمت معها فادخلتنى بيت كبير ورأيت أهلها ناس خلقتهم خلاف خلقة الادميين فاقمت الى الصباح وقلت لها اين الطريق الذى اسير منها لاهلى فقالت لى اقعد معى هنا وأنا نتخاوى معك وتبقى أخى أنا أختك وقامت أتت لى بملابس والبستنى ووضعت بين يدى الطعام وصارت تلاطفنى بالكلام حتى الفتها والفتنى وانى ابوها وهو من ملوك الجان اسمه الملك

الابيض وقال لى ان بنتى حسنك ياعلى فلا تفارقها فانها صارت أختك وأنت اسمك
على وهى اسمها علوة فأقمت عندهم مدة عشرة أعوام حتى كبرت فقلت لها يا أختى
يا علوة مرادى أظهر على وجه الارض وأعاشر الانس فقالت لى آن الاوان إلى
طلوعك البس هذا القميص فانه يمنع عنك مسك بنو آدم إذا كنت لابسه لا تصاب
بسلاح ولا يقدر أحد أن يقبض عليك وخذ هذه "نمشة إذا أردت قتال قدور بها على
من تشاء فانها تقطع بلا تعب وخذ هذا السرياق إذا أردت صعودك إلى مكان عالى
فاحذفه فانه يتصور لك سلالم تطلع منها إلى أى محل أردت بلا مشقة واحفظ العهد
ولاتقطع زيارتك عنا فأنا دائما وراءك أين ما سرت ولم أتخلى عنك ساعة واحدة وخذ
هذين الساعتين المرصودتين فانهم ينفعوك تعلقهم فى أذان هلاوون ملك العجم بامر
الملك الظاهر فاحتفظ عليهم وعلقهم فى حزامك لوقتهم واخفى حديثك عن أبيك
ولا تعلمه بشىء من ذلك وإن قال أين كنت فقل له محل ما كنت جئت وان احتجت
مصروف ضع يدك فى جيبك تجد كلما تطلب كثيرا وقليلا وأنت فى وداعة الله تعالى
وطلعتنى على وجه الارض قدام بيت فدخلت على أمى ففرحت بى وسألتنى أين
كنت قلت لها كانوا أخذونى جماعة فلاحين وأقمت عندهم حتى كبرت وأتيت فلما
كان وقت المساء أعلمت أبى بحضورى فقال لى أين كنت فقلت له محل ما كنت جئت
فاغتاظ وقال لى أنت داير فى الابتذال مع أهل الفسق والاوباش فينزل عتى قانا لا اقبلك
فطلعت من قدامه فقالت لى والدتى يا ابنى ما بقيت تبات إلا عندى فقلت لها كذلك
وصرت كل ليلة أدخل البيت من السطح التى أمى واضعة لى العشا أتعشى وأحط لها
دينار تكلف لى منه أكلى وأقمت على ذلك الحال حتى أتتنى علوة أختى وقالت لى
أدرك الحريم فان ملك العجم أرسل خمسمائة رافضى وأمرهم بالدخول فى بلاد
الاسلام فتنة ولهم كبير اسمه عبد سفر ماسك حريم مؤمنين يريد منهم الخنا أدركهم
واقتله واقتل من معه من أصحابه فطلعت وفعلت ما فعلت ولما تبعنى المقدم إبراهيم
زغت عنه حتى دخل على أبى كانت أختى واقفة وأعلمتنى بما جرى ووضع لى أبى
البنج فى الطعام كما أعلمه المقدم إبراهيم وطلعت أنا فلم آكل من الطعام المبنج وآكله أبى
ووضعته فى الصندوق وتصورت أنا فى صفته لانى معى قميص إذا لبسته أتصور به
أى صورة أردت وهذه قصتى فقال له السلطان والساعات التى أعطتهم لك أختك معك
قال نعم ساعتان دقيقتان طيبتان قال السلطان ومتى يكون تعلقهم على هلاوون كما
تقول قال له ياملك الاسلام فى أى وقت أردت أنا أوضعهم له وهو فى وسط ديوانه قال
السلطان وأنا أكون معك جهز نفسك للسفر بعد ثلاثة أيام قال يا ملك الاسلام

أنا مالى اشتغال قط تعيقنى عن المسير قال السلطان نبه سعد على الفداوية تسير معى قال المقدم على بن المناورى ياملك الاسلام أنا عندى مكيدة تخرب ديوان هلاوون ملك العجم ولكن أريد انسان يكون جسور القلب ويعرف يخاطب القان بلسان العجم واكتب له كتاب يعطيه له قال السلطان أنا أفعل ذلك وامر السلطان إبراهيم بن حسن وسعد وثمانين مقدم أن يتحضروا للسفر وثالث يوم توجهوا مدة أيام سائرين حتى أشرف بهم السلطان على ملك توزير العجم قال السلطان يا مقدم هل ترى تعلم ايش سبب ارسال الاعجام إلى بلاد الاسلام قال له نعم وكان السبب فى ذلك ان القان هلاوون قال لوزيره ثقلون طاز ياثقلون مادام أن قان العرب الظاهر على قيد الحياة لم ينقاد لدولة العجم راس فعمل مشورة وكان له أربعون باشة وأربعون مشيرا يقطعون الحكم فى ديوانه فجمعهم وشاورهم فى حق قان العرب فكل منهم دبر على قدر عقله إلا عند سقر هذا فانه قال ياقان الزمان أنا آخذ معى خمسمائه عيار وأروح بلاد العرب وأتشاكل مع الرعية حتى يعلم بى قان العرب فلابد من حضورى قدامه واضربه بالحسام اقطع راسه وأصبح طريق ويكون الخمسمائة خلفى وأذا لم يمكن قدومى قدامه نبق فتسلل حتى نبلغ من دخولى الارب واقطع راسه وهو على فرشه وهذا الامر لا تلزمه الا منى أنا قال له هلاوون أفعل ما بدا لك فسافر الى مصر وجرى ماجرى قال السلطان صدقت فيما قلت فاز هلاوون لم يكن أشد عداوة لى منه قال على ياملك الاسلام أنا معى مكتوب بخط وختم القان شروين ملك أرض الرها يذكر فيه ان ارباب دولة هلاوون جميعا ارسلوا له مكاتيب يقولون له اركب على ملك توريز واحنا نملكك المدينة وانت من برة واحنا من جوة ونقتل القان هلاوون ونملكك مكانه ومعى أيضا اربعين كتاب من الاربعين باشا على موجبه واربعين كتاب من الاربعين رؤساء مملكته قال السلطان وهذه الكتب من اين اتيت بهم يا مولانا مفتعل وانا اريد هذه البلد يسلمهم الى هلاوون وانت تاخذ كتاب القان شروين وتدخل به الى الديوان وتعطيه الكتاب فاذا قرأه يقتل أرباب دولته المقيمين بجوار تخته فاذا فعل ذلك اشهر نفسك وانا اكون مكمنت الفداوية من الديوان واطابق عليه والبسه الساعات فى اوذانه لايفتخر إلا بعد موته قال السلطان احسنت يامقدم على يا ابن المناورى وان فعلت ذلك يبقى لك تمنية كلما تحب وتختار فقال له بقدرة ربى يهون العسير وتزيا السلطان بصفة تجاب واخذ الكتاب وصار قاصدا ملك توزير

[قال الراوى] واما ما كان من امر القان هلاوون فانه فى تلك الليلة نزل عليه المقدم على ابن المناورى فى صفة خادم المقدم الاكبر وقال له ياقان الزمان النار تقول انتبه وفيق على

وروحك فان أرباب دولتك قصدهم أخذ ملكك لغيرك واتلاف مهجتك ووضع الكتب بين يديه وطلع من قدامه فظن القان هلاوون أنهم طالبين القان شروين صاحب ملك الرما يحملونه قان على ملك توريز والاخطاط مشابهة بخطوط أرباب دولته واختامهم فاحضر رشيد الدولة ليلا واعرضهم عليه فقال يا قان الزمان هذه من اعظم العجائب وان القان شروين بن جروين نصبه أبيك منكطمر واظن انه لم يمكنه ان يتعدى ولا يغدر ولا يخون وكذلك أرباب الدولة فانهم مترغدين فى نعمتك ولا يمكن ان يكتبوا مثل هذه الكتب فقال القان هلاوون يارشيد الدوله وأنا لم اقل ان النار تكذب على حق أنها ارسلت خادمها جاء لى بالكتب الذى أرسلوها أرباب دولتى وهذه خطوطهم واختامهم وبات مشغول الفؤاد كان المقدم على بن المناورى اخذ الفداوية جميعا ومكنهم من دبر الديوان ليلا وهم بالحديد والزرد والخود ومن فوقهم ملبوس الاعجاب وعند الصباح دخل الملك من باب الديوان وصاح بياه ياقان الزمان النار تحسك وتمسك وتلهف الشعر الذى فى وجهك وتكون عصعوصة فلك فقالت الدولة امين فقال له الرقة الكبرى ترضى عليك وشرارها ودخانها يسكن فى عينيك فقال آمين فتقدم اليه وهو ضارب الكتاب بين يديه فأخذه وقرأه يجد طالعه بالنار والنور والظل والحرور إلى قان الزمان اعلم ياقان الزمان ان ارباب دولتك وهم فلان وفلان الذى مقيمين بديوانك ارسلوا لى مكاتب يطلبوا منى بالركوب على ملكك وأنا مترغد فى نعمتك واتوقى غضب النار فارسلت لك هذا الكتاب تنهيهم عن طمع نفوسهم فى هذا الفعال فإنا ناس يخون الدولة الكسروية وهاقد اعلمتك بالخبر وسلام النار عليك وعلى وزراك وشرارها يصيب بدنك وبرعاك فلما قرأ الكتاب القان هلاوون امتزج بالغضب وصاح على الدولة وقال امسكوا هؤلاى الامراء المقيمين فى الديوان فقامت العساكر وقبضوهم وعاونوهم المقدمين الذى وطنهم على بن المناورى فى اركان الديوان ولما رآهم هلاوون اتمسكوا فصاح اضربوا رقابهم فسحب المقدم ابراهيم ذى الحيات وضرب اعناقهم فتبسم رشيد الدولة وقال ياقان الزمان من خان لم يكن فعند ذلك كشف الملك اللثام عن وجهه وقال له كم الك مصائب ياقان هلاوون ومكايد تفعلها وتطلب بها اتلافى وأنا أساعك انبض على القان هلاوون يامقدم على وركب الساعات التى معك فى آذانه وهو مقيم فى وسط ديوانه فتقدم المقدم على بن المناوى وركب ساعتين من النحاس الاصفر وادخل الحلقة فى اذنه ولحمها بلحام الحكمة فلا يمكن فتحها ابدا وقال الملك ياهلاوون انا مرادى منك خراج بلادك فى العام الذى مضى والعام القابل حاتورده لى وأنا واقف والا وحق من خلق الخلق والنار وهو

الله الواحد القهار أسمرك بين خشبتين كبار وانشرك بمنشار ولا افعل ذلك الا فى ديوانك بين رجالك وأعوانك اعلم يا هلاوون ان الذى قتلتهم راحوا ظلما ولم يفعلوا شيأ من ذلك وإنما هذه مكيدة فعلتها معك نظير ما أرسلت لى عبد سقر بخمسمائة عجمى تروم ان تفتن بها دولتى وتخرب مملكتى وقد اعمى الله بصيرتك واهلكت أكابر دولتك فايش عندك من رد الجواب يا ملعون يا مرتاب فلما سمع القان هلاوون ذلك الكلام التجم بلجام وقال له ياقان العرب انا اذنبت وأرجو منك السماح وقام قائما على قدميه وأجلس السلطان فى مكانه وربط فى رقبته منديل واعتذر للملك فقبل عذره وحلف الملك لايطلع من ملك توريز الاخراج العام الماضى والعام القابل فجمع هلاوون الاموال وهو فى اسوأ حال ويقول لاشك ان النار غضبت على أبناء العجم وانا يا قان العرب وحق النار والنور ليس لى علاقة فى ارسال الذين كانوا عندك مطلقة وإنما هم اهل ديوانى الذين دبروا هذا التدبير وعاندتهم المقادير وانا أتوب عن معاداتك ولا بقيت اتحرك عليك ولا أركب ولا اتمادى معك أبدا اذا خلعت هذه الساعات التى فى أذنى وأكون لك صديق فقال له الملك هذا شىء لا يمكن وانما أنت افعل كلما تقدر عليه والذى تفعله لا بدان احازيك به فعند ذلك احضر هلاوون الاموال والملك طالب السفر وخدمه هلاوون وهو يتحسر على عدم نصرته على الملك الظاهر وأما الملك الظاهر سافر بامان حتى وصل إلى الديار المصرية وانعقد له الموكب وطلع إلى قلعة الجبل وجلس على تخت مصر يتعاطى الاحكام كما أمر الملك العلام إلى يوم من الايام وتكامل الديوان فطلع الوزير تقطمر اخو الملك وهو يضحك مع ان الملك عمره لم يراه يضحك الا فى هذا اليوم

فقال الملك لأى شىء تضحك أيا وزير تقمطر فقال له ان السرج بتاعى الذى صنعته لى بالطقم انسرق فى هذه الليلة وانسرق معه صندوق ذخاير واموال فقال الملك ومن الذى سرقه قال لا اعلم فاحضر الملك ارباب النواب مثل الوالى والاغاوات والانكشارية وأرباب الضبط الضبطية والزمهم بالبحث على الذى راح من اخيه تقطمر فقالوا سمعا وطاعة واجتهدوا فى البحث وثانى الايام طلع علاء الدين واخبر ان ذخائره انسرقت وهكذا وبعدها طلعوا الناس الذوات اصحاب الاموال وارباب المتاجر كل منهم يشتكى مما فقد من أمواله قال الملك يا ابراهيم أنا أنزل بنفسى ادور فى البلد ليلا حتى أنظر الذى يفعل هذه الفعال من ثم أنه أمر الفداوية كل خمسة مقادم يتدركوا بخط من خطوط مصر كل مقدم فى جهة وحده حتى ان الغريم لم يجد له منفذا اذا وقع بين ايديهم والملك والمقدم ابراهيم والمقدم سعد صاروا يطوفون على الرباطات خط بعد

خط طول الليل وأقاموا كذلك ليلتين وفى الليلة الثالثة كان المقدم منصور العقاب فى ربط ناحية عرب اليسار بالرميلة والمحجر بينما هو واقف نظر الى زوال مقبل من بعيد وهو يزحف على الأرض كانه ثعبان فلما نظره المقدم منصور العقاب تبعه على اقدامه فرآه اسرع من البرق ورمى مفرده وتعلق على صور القلعة كانه شيطان فوقف المقدم منصور وأراد أن يطلع على المفرد ويتبعه نخاف أن يكون ملاحظا له فيقطع السرياق . يقع المقدم منصور فصبر قليلا واذا بالذى طلع نزل عليه وهو حامل فصبر عليه حتى نزل الى الأرض وصاح عليه المقدم منصور وضربه بالشاكرية فزاغ عنه وحذفه بالذى كان حامله فنزل على صدر المقدم منصور مثل الصخرة وأما الخصم فتوسع فى الخلا والتهى المقدم منصور بالذى وقع عليه فتأمله واذا هو صندوق من الخشب الأبنوس وعليه قفل من البولاد وهو من صناديق خزنة السلطان فبينما هو يقلب فيه واذا بالمقدم ابراهيم والمقدم سعد والسلطان معهم وهم قادمين فنظروا المقدم منصور والسرياق معلق على صور وهو واقف والصندوق بين يديه قال السلطان ايش هذا يا مقدم منصور وتقدم الملك ومسك الصندوق وقال هذا مالى من خزنتى وأنت يامقدم منصور هذه افعالك قال منصور لا والاسم الاعظم قال السلطان يا كلب الفداوية هذا سرياقك وهذه أفعالك وصرخ السلطان فاجتمعت ارباب الرباطات وقالوا هذه كلها أفعال المقدم منصور فعند ذلك قبض ابراهيم عليه وأراد أن يكتفه قال له ياحورانى انا ليس بحرامى حتى تكتفنى فتخلى ابراهيم عن كتافه فكتفه السلطان وقال له لابد ان تحضر لى أموال الناس التى عدمت والا اقطع جلدك بالضرب وأمر له بالسجن فادخله ابراهيم بن حسن فى سجن العرقانة وعاد السلطان الى مكانه وهو قاعة الجلوس وبات الى الصباح وطلع جلس وإذا هو بالسجانين طالعين والحديد بين أيديهم مكسور وقالوا يامالك الاسلام منصور العقاب أتاه غلام ضربنا جميعا وكسر باب السجن ليلا وأخذه وطلع لكن بعدما اقتل منا واحد وقال كل من تكلم جعلته مثله فسكتنا حتى اخذه خوفا من أن يقتلنا فقال السلطان تعرفوا الذى خلصه فقالوا ولد أمرد له ذوائب من الشعر على اكتافه وهو يقول انا الشاب الحرامى قال السلطان الزمتكم يابنى اسماعيل بحضور المقدم منصور العقاب قال الوزير يامالك الاسلام أولاد اسماعيل اذا رأوا منصور العقاب لم يقبضوه ولم يحضروه وانما نحن ندور البلد ونأمر الوالى ان ينتظروا قدومه عليهم فنبه الملك على البوابين ونادى المنادى فى مصر كل من احضر منصور العقاب قدام الملك أو عرف عنه له تمنية على الملك كلما أراد وسمعت أهل مصر ذلك النداء قالوا

لبعضهم والله ماأحد منا يتعرض لفداوى ويطلع عليه النهار إلا قطعتين .

[يا سادة] وكان السبب فى خلاص منصور العقاب وهوانه لما وضعه الملك فى الحبس امتثل للقضاء والقدر وصار يعاتب الزمان على غدرانه وأما الغلام الذى رماه بالصندوق فكان واقف على بعد ونظر كل ماجرى فقال يبقى بروح هذا المقدام منهوم وأنا الذى كنت السبب فى اتلافه والله لم يكن ذلك أبدا ثم انه صبر حتى دخل الليل وطلع على السجانين وضرب واحدا بالحسام رماه نصفين وقال أنا الشاب الحرامى والاسم الاعظم كل من تكلم منكم جملته مثل هذا فسكتوا حتى انه فك الفداوى وطلعه من القلعة وقال له منى عليك السلام فعند ذلك أراد منصور أن يتوقع عليه فقال هذا أمر لا يكون كيف ارمى نفسى فى يد من يمسكنى وأما منصور العقاب فانه صار يتمشى ليلا وهو خائف حتى وصل إلى بيت خليل بن قلاوون ودخل عليه وهو جالس قال هل لك ان تجيرنى يابيلربجى وكان بينه مودة من قديم فقال له مرحبا بك وأدخله فى قاعة وقفل عليه بابها ورتب له كل ما يحتاج من أكل وشرب وأقام منصور العقاب فى ذلك المكان والملك يدور عليه فلم يجد له خبر فضاق صدر الملك وقام وطلع على السراية وقال للملكة تاج بخت مرادى أن تجمعى لى عجائز السراية اقص عليهم عبارة فجمعت له العجائز فلما حضروا قال لهم الملك أنا قصدى أحرقكم بالنار فقالوا له لماذا ياملك وماذنبنا قال إذا لم تتجسسوا على أخبار منصور العقاب عسى انكم تعرفوه فى أى مكان قالت عجوزة ياملك أنا آتيك بهذا الخبر فاطمأن السلطان ونزلت تلك العجوزة ووصلت إلى بيتها وجعلت لها سبح وشراشح وخرجت تشق فى البلاد من مكان إلى مكان فى زى أولاد الطريق وتدعى انها بنت عم القطب المتولى فيكرموها الحريمات ويحفظوا قدرها حتى وصلت إلى بيت الامير خليل بن قلاوون وفتحوا لها باب البيت فدخلت ذكرت الله تعالى وصلت وصارت تطوف فى البيت من مكان وتوضع البركة حتى صارت قدام القاعة التى فيها منصور العقاب فوقفت وصلت ببابها ركعتين وهى تتأمل حتى عرفت ان هذا المطلوب وخرجت إلى بيتها قلعت ثياب حيلها وراحت إلى القلعة وأخبرت المملكة بما رأت فأرسلت المملكة الاغا ريحان احضر السلطان فالتفتت تلك العجوز وقالت له ان الذى انت طالبه فى بيت خليل بن قلاوون فنزل السلطان وقال ياخليل منصور العقاب عندك قال حاشا وكلا قال السلطان انزل ياإبراهيم انت وسعد على بيت خليل هاتوا منصور معكم تريكم مكانه فسار إبراهيم ومعه عشرة مقادم وساروا إلى بيت خليل هذا ماجرى .

وأما منصور العقاب جالس واذا بالشباك انخلع والشاب الحرامى رمى له اكرة

وقال قم يا فداوي فان السلطان عرف طريقك وارسل يطلبك قام المقدم منصور وطلع من ذلك الشباك فلم يجد أحدا قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسار ينتقل وهو خائف على نفسه وأما العجوز فانها سارت بالمقدمين حتى وصلت إلى بيت الامير خليل بن قلاوون فدخلت وتبعوها الرجال وهم دايسين خلفها حتى وصلت إلى القاعة فلم تجد المقدم منصور العقاب فقالت الفداوي كان بهذه القاعة ولم أعلم ابن راح قال إبراهيم لا يمكن الخروج حتى تفتي يا عجوز في مكان ويخرجوا عليك النساء تنظريهم وبعد ذلك نفتش البيت احنا قالت هو كذلك وفتشت العجوز جميع النساء والجوار فلم تجد الفداوي فطلعت والفداوية معها طالبة القلعة حتى وصلت إلى سوق السلاح وطلعوا بها على الرميلة وإذا بحسام جذري نزل على صدر العجوزة قسمها نصفين قالت الرجال ايش هذا وكان الضارب لها الشاب الحرامي فاخذوها قطعتين وطلعوا إلى قلعة الجبل وأعلموا السلطان بما جرى قال السلطان هذا منكم نفاق لانكم اطلقتم منصور العقاب وقتل العجوزة قال المقدم ابراهيم يا ملك الاسلام انت تقول علينا اننا منافقين والاسم الاعظم اننا ما أطلقنا منصور العقاب ولا قتلنا العجوز قال السلطان انه بعينك لم أعلم به ان كان حق والا باطل فقال ابراهيم يا دولتلي اذا كنت تعلم ان خدامك منافقون فلاي شيء تبقيهم على خدمتك اطردهم وأنا أول الناس مادام انك نسبتني للنفاق ما بقيت نخدمك قال السلطان روح جهنم فاغتاظ ابراهيم ونزل بعد ما ساق قدامه جميع أولاده وأخاه واتباعه وكذلك المقدم سعد وابنه ناصر الدين وساروا الى قلعة الحوارنة منهزمين فلما وصلوا الى قاعة الحوارنة قال المقدم ابراهيم يا بني اسماعيل اعلموا أن الملك الظاهر استخف عقولنا يا هل ترى اذا كان منصور العقاب وقع في يده تركه يقتله وهو ابن عمنا وثانيا متهوم وأنا وحق الذي علا فاقتدر وانبت الاعشاب وسير السحاب والمطر لو جرى على منصور العقاب أذى خلل لما تركت الملك الظاهر يتهنى ولا أمكنه من قتله ولا من اهانته ثم دخلوا قاعة الحورانة ولم يمسى المساء الا وجميع الفداوية حضروا في القاعة قال ابراهيم يا رجال لاي شيء جئتم فقالوا له مادام انك تركت خدمة السلطان الظاهر فنحن ما بقينا نخدمه فقال لهم يا رجال ايش كان يطيب على خاطركم اهانة منصور العقاب ابن عمكم مع اني والله لم اعلم له خبرا فقالت الرجال انت كبيرنا والذي تأمرنا به نفعله فعند ذلك احضر لهم ابراهيم الطعام واكلوا حتى اكتفوا وبعد ذلك احضر ابراهيم كاسات الخمرة وقعد يتعاطى والمقدم سعد ينادمه واذا بباب القاعة خبط قال ابراهيم قم يا سعد افتح لمنصور العقاب بن كاسر قال له سعد انت مكاشف ابن انت واين

منصور قال قم ياسعد بلا كلام فان خيال المقدم منصور بان لى فى كاس المدام فقام سعد وفتح الباب فرأى المقدم منصور حقيقة قال له أهلا وسهلا ادخل فدخل القاعة فقام المقدم ابراهيم اليه واخذ بخاطره واوعده بكل جميل واجلسه بجانبه وقدم له الطعام فأكل وسقاه المدام حتى سكر منصور العقاب وقال له يامقدم منصور العقاب اعلم ان هذه فتنة وانت السبب فيها وانا مرادى منك انك تقوم تأخذ عدتك وتطلع على سور القلعة تقبض على الملك الظاهر ولا تعود إلا به فى جمدان حتى اريك ماافعل قال منصور سمعا وطاعة وقام المقدم منصور العقاب وسار من بينهم وطلع من القاعة وما دام سائرا حتى وصل إلى تحت سور القلعة فرمى مفرده وتسلق وتماق حتى بقى فوق السور وسار حتى ركب على سور سراية السلطان ورمى الاكرة ونزل على قاعة الجلوس فرأى الذى نايم فما علم ان كان السلطان أوغيره فرمى على وجهه منديل معبق بالبنج الق النوم على النوم ووضعه فى جمدان وزرر عليه أربعة وعشرين زر وعروة وحمله ونزل على السور وأخذ عدته وسار طالب قاعة الحورانة حتى وصل وطرق الباب فانفتح ودخل المقدم منصور حامل الجمدان ووضعه قدام المقدم ابراهيم بن حسن والفداوية حوله فكشف إبراهيم وجه الذى فى الجمدان فوجده الملك احمد سلامش بن السلطان قال ايش هذا يا مقدم منصور قال منصور والله يامقدم إبراهيم انا ضاعت مخايلتى فلا تؤاخذنى قال إبراهيم صحت وهذه من جملة السعادة فالتفت ابراهيم الرجال وقال لهم مثل ما افعل افعلوا فقالوا له سمعا وطاعة فوضع الملك احمد على كرسى واصطفت الرجال رفيقوه وقال اشهد أن لا إله إلا الله انا فين فصاح المقدم ابراهيم هى طاعة الخوند لك حتى تقوم الجبال والرمال فى مأوات البحار وكذلك جميع الفداوية فعلوا كما فعل احمد يا ابا خليل هو انا من قال ابراهيم انت سلطاننا فان شيحة فاتنا ولم يبق لنا سلطان فاحضرناك تسلطنا علينا اما برضاك أو غضب عنك فايش تقول سمعا وطاعة وانا لم اخالفك ابدا من هذه الساعة قال له ابراهيم مصر لم تسع ملكين وانا مرادى آخذكم واروح الى بلد نقيم بها ونجعل السلطنة فيها قال المقدم منصور العقاب تروح بلاد الشام قال ابراهيم لا وإنما تروح بلاد الصعيد نقيم الحكم فى اسيوط فقالت الرجال افعل ما تريد فعندها قام المقدم ابراهيم واحضر كلما يحتاج له من قاعة الحورانة وركب وركبت الرجال وساروا على البر طالبين الصعيد قال المقدم عيسى الجاهرى ياأبى يبق انت من خوفك من الظاهر تريد الهجاج من بلد الى بلد قال ابراهيم ياولدى اعلم ان سيف السلطنة طويل ويجب على كل إنسان ان يخشى من غضب السلطان وداموا سائرين ايام قلائل حتى

انهم وصلوا الى اسيوط ونصبوا خيامهم ورصدوا مدافعهم وأقاموا ليلتين قال منصور العقاب يا حورانى أنت تقيم بنا فى هذا المكان خوفا من الظاهر إبراهيم وأنت لم تخف منه قال منصور ما نخاف قال إبراهيم إن كنت لم تخف منه وانت به هنا وأما اشق لك غلبك أما يعطيك امانة والاتقابله على فعله ويبقى يحق لما أ نادوم عصيانه قال المقدم منصور العقاب والاسم الاعظم الاكرم الامجد الذى كل من حلف به باطل يكون مهروق الدم لم أقعد حتى اجيب الظاهر والاسم الاعظم مايطلع النهار غداة غد الا وهو بين يديك وقام وركب على ظهر حجرته طالب مصر ولما تمادى به المسير تذكر المسافة بينه وبين مصر واليمين الذى حلفه فعرف انه تكلم بالكذب والرجال يتركوه يقيم بينهم بعد ما حلف باطل ويقتلوه فندم حيث لاينفعه الندم وزل به القدم فبينما هوسائر وإذا بكركنده حبشى محقق فى الليل وهى قادمة من بحرى متوجهة الى قبلى فلما رآها المقدم منصور تأمل وإذا فوقها عبد حبشى كانه قلة فى القلال أو قطعة فصلت من جبل وهو يطرد ذلك الكركنده وسبع القفار كانها من امواج البحار [يا ساده] وكان ذلك العبد له سبب واسباب عجيبة لان حوادث الدهر غريبة أن سيف الملك ملك الحبشة والسودان تذكر فعال الملك الظاهر وفعله فى بلاد السودان فتعجب كيف أن البيضان يغلبون السودان وهذا بخلاف العادة قالوا له وزراء يامالك أن ملك البيضان صاحب بأس شديد وكان بالمجلس عايق يقال له المقدم نمر بن اسد قال ياملك وحق بيت عصاتين إن امرتنى بحضور ملك البيضان احضره بين يديك قال الملك سيف الملك وحق نخوة السودان إن اتيت بملك البيضان ازوجك ابنتى وأقاسمك فى نعمتى فعاهده على ذلك وركب على ظهر هذه الكركنده وصار يقطع البرارى والقفار حتى وصل لى مصر وضع الحجرة فى جبل الجيوشى وتمكن من القلعة بالنهار حتى عرف من اين يدخل على السلطان وصبر إلى الليل وكان هذا العايق أوحد أهل زمانه فى بلاد الحبش فاندك على السلطان فى نومه وبنجه واقتلع به وسار طالب بلاد السودان فلقيه المقدم منصور العقاب كما ذكرنا وهذا هو الاصل والسبب فلما رآه المقدم منصور العقاب صاح عليه ايش الزوال فى ظلام الليل ويلك اسرع قوس بقصاصة عمادى كل قصاصة برجال فما تم كلامه حتى ضربه المقدم نمر بنبلة حكمت فى صـــدر الحجرة فوقعت فاراد المقدم منصور أن يقوم فادركه المقدم نمر الحبشى وركب على صدره وكتفه وقال له لم يبق لك خلاص منى يا اقل البيضان أتاجيت من الحبش إلى مصر ومن مصر إلى هنا لم يصح على أخذ غيرك فما تم كلامه وحط يده على قبضة الحسام وأراد أن يضرب رقبة

المقدم منصور العقاب وإذا بنبلة وقعت فى صدره خرجت تلمع من ظهره فمال على الأرض مثل الجذع النخيل والضارب له الشاب الحرامى وقال يا مقدم منصور خذ حجرة هذا الكلب بدلا عن حجرتك التى قتلها وهذا الجدان خذه معك فان فيه السلطان الذى حلفت أنك تحضره فى هذه الليلة والله سبحانه وتعالى أراد لك الستر فانكشف الرب القديم وسلمه للمقدم إبراهيم قال المقدم منصور العقاب يافتى سألتك بالله العلى العظيم الذى لا إله إلا هو على العرش استوى فالق الحب والنوى أنت تصبر حتى أكلمك قال له أنا واقف تكلم بما تريد قال المقدم منصور اعلم أنك بليتنى ببلية لم تحملها جبال ولا رمال والا احوجتنى أن أسرق ابن السلطان وجميع الفداوية عاصيين وهذه النوبة سرقة السلطان وأنا خائف من هذه الفتنة لان بلاد الاسلام تحفظها الرجال والملك وإنما ياأخى الملك هاهو معنا تعال معى وادخل على المقدم ابراهيم بن حسن وهو كلما شرعت فيه يسلكك منه والملك هاهو مشدود ولم نطلقه حتى يحلف لك بالملك الديان ويجود علينا وعليك بكل جميل واحسان وغير هذه النوبة لم تجد مستقرا وأنت وشأنك ياأخى أخبر قال الغلام والله انك صادق ولكن أحلف لى بالله العظيم أنك لم تغدرنى وتطلق السلطان وقال منصور لا والاسم الاعظم فعندها من الغلام وتقدم الى منصور العقاب وسلم عليه وأخذوا السلطان مبنج حتى دخلوا به على المقدم إبراهيم وتقدم الغلام وقبل يدى المقدم ابراهيم ماهو واجب ان أترك السلطان مبنج حتى تفيقه وان كان لك حكاية أحكيها له ثم انه تقدم للملك وفكه وسقاه ضد البنج وأفاق الملك ورأى إبراهيم وكان قبل ذلك رأى المقدم عمروهدده ملك الحبش وندم على فراق المقدم إبراهيم . فلما رأى نفسه بين أيادى الرجال ورأى أنه احد مقيم بينهم قال له يا أحمد قل لى ياملك أحمد فانى بقيت ملك مثلك وان أمرت بقتلك فهذه دولتى والفداوية تحت طاعتى ثم قام على حيله وقبل يد أبيه قال ابراهيم ياملك الاسلام ايش ذنب منصور العقاب ابن كاسر حتى اتهمتنا فيه والزمتنا بالقبض عليهم مع أن الخصم الذى فعل جميع الفعال حضر وهاهو صار بين يديك فاعطيه الامان فقال السلطان عليه الامان الشافى والزمام الوافى أمام لمن يأمن ولا يخون فعند ذلك تقدم الغلام وقبل الأرض للسلطان فقال السلطان ياولد أنت لأى شىء فعلت هذه الفعال وسرقت أمتعة الامراء والابطال فقال له ياملك الاسلام أنا لى حكاية عبرة لمن اعتبر احكيها لك عليها وهو انى يقال لى حسان أبو الدوايب وأصلى من أرض جرجا بقاع الصعيد وأبى كان يقال له شيخ العرب حسن وله أخ يقال له شيخ العرب حماد فلما توفى أبى إلى رحمة الله تعالى احتوى عمى على مال أبى وأخذنى عنده مدة أيام حتى صار عمرى خمسة

عشر سنة فقلت له ياعمى أنا قصدى ان أتزوج بنتك واقضى عمرى فى خدمتك ولم اتخالف
عن طاعتك فقال لى ان أردت ذلك فاشهد على نفسك ان اباك لم يخلف شيئا مطلقا
وجميع المال مالى انا وان كان أبوك حلف شيئا فساعنى فيه فمن حب لبنت عمى كتبت
له كل ماطالب واشهدت له فلما تملك بذلك طلبنى قدام كاشف البلد وادعى انى دخلت
بيته بقصد السرقة وقاتلته فقال لى كاشف الولاية أنت تروح تقاتل شيخ العرب وتسرق
ماله فقلت حاشا وكلا انا لا أفعل ذلك أبدا فرمانى وضربنى الف كرباج وحبسنى فى
السجن سنة كاملة فتوسطوا ناس وطلبوا خلاصى قبل قتلى فقبل شفاعتهم بشرط انى
ارحل من وادى الصعيد فقالوا لى ارحل فقلت ارحل من كل وادى النيل فلما أطلقونى
طلبت بر الشام فعارضنى فداوى يقال له مصعب بن المرقيل فاخذنى عنده وحكيت له
حكايتى وأقمت عنده مدة أيام حتى تعلمت منه العياقة وركوب الخيل وطعن الفرسان
فقال لى أنت صرت تستحق أن تكون مقدم وتلبس الشد والوسط ولكن لا يكون
ذلك الا بعد ما تجتمع على شيحة وتطيعه وتبقى تعد من المقادم فقلت له وايش يجمعنى
على شيحة وأين مكانه فقال لى تسافر الى مصر وتطلع ديوان الملك الظاهر وتجتهد حتى
تورى للسلطان وللحاج شيحة همتك فاذا علموا بك انك صاحب بأس شديد يقلدوك
المقدمية ويفتحوا لك قلعة ويعطيك السلطان مرتبة ويرتفع قدرك ويشيع بين الرجال
ذكرك فلما سمعت هذا الكلام أتيت الى مصر واحترت باى شيء أتداخل حتى أتواصل
فان قتلت أحدا فحرام قتال الاسلام وان جرى ذلك فاما ان أقتل أحدا ويبقى فى رقبتى
ذنبه أو يقتلونى وأروح غلطا فما وجدت أصوب من الذى فعلته فقال السلطان بئس
مافعلت لان السرقة ألعن الطباع ولا يفعل ذلك الا كل جاهل فقال الغلام يا مولانا
أنا ما أخذت شيئا من مكانه انما كل حلة أخذتها فحرت فى مكانها ودفنتها وأول مافعلته
ذلك فى عدة أخيك الوزير نقطمر لفيتها فى خسفة ودفنتها فى الاصطبل وفعلت كذلك
فى جميع الذى أخذته من اماكن الامراء والتجار وأما الصندوق الذى أخذته من
خزنة مولانا السلطان هذا حذفته على المقدم منصور العقاب بن كاسر لما عارضنى وأنا
نازل به من على السور

فقال السلطان هذا وصل الى محله والآن ايش الذى تريد وان تفعل وايش قصدك
فقال يا ملك الاسلام انا أتمنى ان أتشرف بخدمة مولانا السلطان وأكون من جملة
سعاة ركابه فى الميمنة بصحبة المقدم ابراهيم بن حسن وأكن من جملة المقادم الذى
بدفتر المقدم جمال الدين شيحة فاذا بلغت هذه الرتبة أطلب من مولانا السلطان ان ينعم

هو يفصل بيني وبين عمي ويخلص لي مال ابي منه ويزوجني بنت عمي فقال السلطان هذا امر لابد منه باذن الله تعالى فهم في الكلام وطبل يقرع وشاويش يزعق اكثر من الصلاة على محمد خير البرية وصل ملك الحصن الاسماعلية وقان قانات القلاع القدموسية هنالك قام السلطان واستقبله واجلسه وقال له انظر الذي جرى في غيبتك وحكى له على المقدم حسان ابو الدوايب فقال شيحة ياملك الاسلام اعلم ان كاشف جرجا كافر نصراني واصل اسمه متولى وهو من مماليك علاء الدين البيسرى وسماه حسن كاشف ولكنه اسم على غير مسمى واما شيخ العرب جماد الذي هو عم هذا الغلام فانه أغراه ذلك الكاشف على دخوله في ملة الكفر فطاوعه وتنصر وكفر بالله واعتمد ان يعطي الكاشف بنته ويعيش تحت حكمه وفي حمايته وانا كنت عندهم مطلع على أفعالهم واما أفعال هذا الغلام فما فعل الا كل خير وصار يستحق كلما طلب ولكن سيروا بنا أولا حتى أصلب ذلك الكاشف على أصوار جرجا واحرق حماد جزاءه لكفره بالله تعالى فعندذلك قال ابراهيم من الذي يروح ياحج شيحة احنا مطرودين فقال السلطان أنت خدامي ومن معك جماجيكم طالبين غايبين حاضرين فقال ابراهيم أنت ملك وابن ملك والملوك كلهم مازالوا يغضبون ويرضون وما أنا ياد ولتلي الاخدام في دولتك فشكره السلطان على كلامه وامر الفداوية التي صحبت ابراهيم أولهم منصور العقاب وآخرهم سعيد العايش أخو ابراهيم ركبوا جميعا من أسيوط أول يوم وصلوا الى طهطا وثاني ليلة باتوا على صور جرجا ودخل المقدم جمال الدين وقصد بيت الكاشف له كلام واما المقدم حسان أبو الدوايب فانه يرمي مفرده وتسلق وتعلق وركب الصور وسار حتى وصل الى سراية الكاشف ومن له رأس عند الرأسة لم يتم فصاح على عمه وقال له ياعمي اراك قاعد تشرب الخمر مع هذا الكاشف وتبعته على كفره وتأمل حسان أبو الدوايب فوجد بنت عمه واقفة قدام الكاشف وأبوها يراودها على دخولها في ملة الكفر ويقول لها ان فعلت ذلك أزوجك لهذا الكاشف وان خالفت فمالك غير القتل جواب فقالت ياأبي وانت صبوت الى الكفر وتركت الاسلام وتبعت اعتقاد اللئام اعلم يا أبي ان الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل وأخاف على أعضائك ان تحرق في نار جهنم وتندم ياأبي ولاينفعك الندم اذا زل بك القدم واما انا فاني قائلة اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله حقا وصدقا اللهم لا كفر بعد ايمان ولاضلال بعد هذا فما تمت كلامها حتى قام أبوها وبيده نبوت شوم وضربها رماها الى الارض واراد ان يذبحها فصاح المقدم حسان ابو الدوايب وقفز من على الصور فصار في وسطهم فحكمت رجليه على

عندة فانفركت به الخدة نوقع فسحبوا عليه السلاح وأرادوا ان يقطعوه واذا بدخنة هبت عليهم فرقدوا جميعا الى الارض وكان طالق الدخنة سلطان المجاهدين وملك بني اسماعيل المقدم شيحة جمال الدين لانه كان وصل الى ذلك المكان من قبل قدوم المقدم حسان ووقف ينتظر مايقضيه الرحمن وجرى الذي جرى وفيق المقدم حسان أبو الدوايب وقال له قم على حيلك خذ هذه التذكرة سلمها للملك على ماأفتح أنا البلد واذا جاء السلطان لم أحوجه ان يتعب فى قتال فنزل حسان أبو الدوايب وهو يقول فى باله حقيقة انه مقدام الحاج شيحة فانه والله لولا قدومه فى ذلك الوقت والساعة ما كان يبقى من دمي ولا قطرة والحمد لله الذى شخص لى هذا الرجل فى هذه الليلة ودام سائرا حتى قدم على السلطان وقبل الارض بين يديه وأعطى له تذكرة سلطان القلاع فقرأها فوجد فيها ياملك الاسلام الارض شربت ماءها وليس قدامك عايق ادخل اجلس على كرسي البلد فركب السلطان وركب ابراهيم وسعد والفداوية جميعا وحسان الدوايب فى ركاب السلطان صحبه السعاة حتى دخلوا البلد وأقام الى الصباح ونادى منادى من طرف السلطان باجتماع المتفرجين على ما يجرى على كاشف البلد وشيخ العرب حماد عم المقدم حسان وأتباعهم فسألهم الملك على مافعلوا فى حق المقدم حسان فقال الكاشف ياملك الاسلام اما الكاشف فانه مملوك علاء الدين البيسرى ومن ابتداء المدة نصرانى واما حماد فانه دخل فى دين النصارى قريب فقال الملك لاخير فيك ولا فيه وأمر بصلبهم جميعا

فقال حماد يامقدم حسان ياولدى أنا كان أغرانى الشيطان وارجو منك ان تتشفع لى عند سيدى الملك الظاهر باطلاقى وأتوب وأعود الى دين الاسلام فقال المقدم حسان ليس لى مقدرة ان اتكلم مع السلطان وشأن ذلك فقال له شيحة وانت ايش قصدك تعفوا عن عمك وتسامحه ونحن نقاصصه باعتزاله عن الاسلام فقال المقدم حسان أنا ياملك القلاع أنا فى عرضك لانه عمى على كل حال فى مقام أبى وأنا سامحته فى جميع مافعل وسامحته ايضا فى مال أبى بشرط ان يزوجنى بنته فلما سمع حماد قال له ياولدى وحيات رأس السلطان ماتبيت هذه الليلة الا وانت عاقد عليها وان شئت تعمل أفراحك كما تشاء فعند ذلك أمر السلطان باطلاقه كرامة للمقدم حسان أبو الدوايب وأعطاه صنجقية جرجا وصلب الكاشف على باب البلد وقال السلطان صنجقية جرجا للمقدم حسان وأنت ياحماد قائم مقامه ما دام فى خدمتى وان حضر فانت مرفوع فقال سمعا وطاعة وبعد ذلك شرعوا فى الفرح سبعة أيام

والليلة الثامنة دخل حسان أبو الدوايب على بنت عمه وتملى بحسنها وأما الملك الظاهر فتوجه إلى الديار المصرية وهو فى غاية ما يكون من العجب فى صنع الله عز وجل وبعد مدة من الايام أتاه كتاب من اسكندرية بختم باشة اسكندرية قدمه له البراج ففتحه وقراه يجد فيه أن هذه الايام كثرت سرقة أموال الناس ولم يعلم من الذى يفعل هذه الفعال وكثرت الشكاوى من الرعية وضاق بنا الحال وإن طال المطال نهبت البلد ولم يبق لنا مقدرة على رد الحوادث فأدركنا يا ملك الزمان والا أرسل لنا من يدركنا الامر أمرك أطال المولى فى عمرك والسلام فلما قرأ السلطان الكتاب أحضر السعيد واجلسه على الكرسى وأوصاه بالعدل والانصاف وركب السلطان وأخذ معه المقدم ابراهيم بن حسن والمقدم سعد بن ذبل وسار السلطان حتى وصل الى اسكندرية ودخل على محمد فارس باشة اسكندرية ليلا وسأله عن هذه القضية فلما رآه قام اليه وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك الاسلام لولا قدومك والا كانت أهل البلد تقوم علينا بسبب الضنك الذى ساير

قال الملك وما علمت من الغريم قال يا مولانا لولا أنه خصم فاجر ما كان فعل هذه الفعال لانه أخذ أموال لها صورة وجميع التجار شكت فقد أموالها ومع ذلك لم يخلع باب بيت ولا انكسر دكان ولا انفتح خان وجميع الاماكن على حالها وأنا والله يا ملك الاسلام عقلى انذهل وأبيت طول الليل داير فى أماكن البلد ولم التقى أحدا ولما يطلع النهار يثور العايط من الناس بسرقة متاعهم فما أعلم هذا فعل انسى أم جنى وها أنت شرفت والله تعالى يأخذ بيدك قال الملك لعله خير ثم انه أقام ذلك اليوم ولما كان بعد صلاة العشا نزل السلطان بنفسه يشق أماكن اسكندرية بالاسواق حتى طلع النهار وعاد عند الصباح ومعه ابراهيم وسعد وهو يتعجب كيف أن الغريم لم يبن له ولم يراه وثانى ليلة كذلك والثالثة وهكذا خمسة أيام ولكن امتنع الطلب ولم تبق شكاوى من حين قدم السلطان وفى اليوم السادس حضر المقدم ناصر الدين الطيار بكتاب من الملك محمد السعيد فاخذه السلطان قرأه واذا فيه ان تجار مصر يتشاكون من سرقة أموالهم ودورنا ليلا ونهارا فلم نعلم للغريم أخبارا فادركنا قال ابراهيم ياملك الاسلام هذا فعل عايق جبار وعلم بقدومنا وخلو مصر من السلطان فاغتنم الفرصة فى غيبته فالصواب أن تعود الى مصر فانها تخت الملك فركب السلطان وسار الى مصر ودخل على السعيد قام اليه فسال السلطان عن ماجرى قال الوزير ياملك الاسلام ليس الخبر كالعيان فصبر السلطان الى الليل وأخذ ابراهيم وسعد ونزل شق البلد طول الليل فلم يعثر على أحد وثانى الايام أقبل جواب على جناح طير من اسكندرية يخبر بان الغريم عاد الى البلد واغتنم الفرصة فى غياب السلطان فسافر الملك ثانيا الى اسكندرية فلحقه خبر من مصر

فعاد الى مصر وهكذا سبع مرات وكان فى اسكندرية فتضايق الملك من الرواح والعود
الى ليلة من الليالى قال السلطان يا مقدم ابراهيم أنا ضاق صدرى قال ابراهيم هذه الليلة
يا دولتلى يحصل كل الخير بسعادتك فعندها صاروا دايرين البلد فنظر السلطان الى زوال
فتبعه وما داموا سايرين الى حارة فوقف الزوال قدام السلطان فاقبل عليه السلطان
ويده على النمشة فوجده رجل ومعه قفة ملآنة بامية قال له لمن هذه البامية فى الليل
ساير بها قال يا سيدى انا رجل خضرى وايش لك فى السؤال عنى امش معى حتى ترى
دكانى فسار معه فوجدها دكان خضرى قاعد يبيع خضار قال له السلطان ياشيخ الناس
يبيعون الخضار بالليل والا بالنهار قال ياسيدى الرزق ياتى به الله اما بالليل واما بالنهار
كانك ياملك الاسلام ما عرفتنى انا اخوك جمال الدين شيحة قال السلطان ومن حيث
أنك حاضر هنا ما عرفت الغريم الذى يفعل هذه الفعال فى البلد قال شيحة عرفته ولكن
العين بصيرة واليد قصيرة اعلم ياملك ان هذا الغريم جبار قوى ومعه اربعين كافر كل
كافر منهم يسبق الشهر بعمله وفعلهم فعل جبر وإن اردت ان تنظرهم انا اوريك بعينك
لكن بشرط انك لا تتكلم ولا توريهم روحك لانه إن وقعت عينه عليك اهلكك
وجوان اعطاه صفتك فان كنت تفعل كما افعل انا اوريه لك قال السلطان افعل كفعلك
فاخذهم شيحة وطلع بهم الى جانب البحر المالح وحفت فى الرمل جورة ودفن نفسه فيها
وغطى روحه بالرمل وقال افعلوا كذا ففعلوا واندفنوا جميعا فى الرمل هذا وإبراهيم
يقول هذا وحكمت على الرجال تدفن انفسها بالحياة ولكن الغلبة لها احكام فبينماهم
كذلك وإذا بالبحر هاج وماج واقبلت منه مركب صغيرة من خشب الابنوس الاسود
مصفحة بالنحاس الاصفر وحولها اربعون كافرا باربعين مقذاف وداموا يقذفوا حتى
صار ثلث المركب فى البر وطلع منها رجل ولكنه طويل القامة غليظ البدن إذا وقف
المقدم إبراهيم بجانبه يصل إلى حزامه ولما طلع تبعوه الاربعون وساروا خلفه ولما فات
على السلطان ومن معه ضحك فقالوا له رفقاؤه على إيش تضحك قال جاءنى كبفى ثم انه
سار وتبعوه رفقاؤه فقام السلطان وتبع جرته فسار إلى حارة طويلة الى بيت ومد يده
فتحه دخل فتبعوه رفقاته حتى صار فى وسط البيت وقعد على كرسى وقال ياغنادرة أنا
كنت احسب ان رين المسلمين بون البون وإذا به فشار ولو كان عنده همة رجال لكان
قابلنى انا رايته مدفون فى الرمل وسماة وكابه معه فضحكت عليهم فقالوا له كنت تدوس
عليه تقتله قال كيف ادوس عليه واحد يتخبا منى فى الرمل اقتله هو انا عديم المروءة انا لم
اقتله إلا بالحرب فى الميدان قدام دولته والفرسان وها هو تبعنى وواقف على الباب ولو
لم يكن خايف لدخل على قاتلنى فان كان شاطر يدخل يقاتلنى هنا حتى افرجكم عليه

ثم صاح يا زين المسلمين ادخل فدخل السلطان وبيده على الت الدمشقي وصاح ها أنا جيتك يا ملعون فقام الملعون ويده على قبضة سيفه وأراد أن يطلق على السلطان وإذا بدخنة بنج ظهرت في دائر المكان فانبنجوا الجميع وكان طالق الدخنة شيحة ودخل ذبح الأربعين عايق وكتف ذلك الملعون وفيق السلطان وإبراهيم وسعد وحملهم ذلك الفداوى الكافر وساروا به إلى ديوان الاسكندرية وثقلوه بالحديد ووضعوه في الحبس وهو مبنج وأمر السلطان بكبس ذلك البيت الذى كان فيه وطالع أموال الناس وكان شي كثير طلعوه طول النهار وأحضروا الفداوى قدام السلطان وفيقه شيحة فلما افاق قال يا ملك الاسلام أنت من الجماعة الذين إذا عجزوا عن قتال خصمهم يحتالوا عليه بالبنج ثم انه تمطع في الحديد قطعه وقام على حيله وقال أنا رايح بلدى وما أنا هربان وإنما اجيب حجرتي أركبها وان كنت مرادك تحمى بلادك منى لاقيني على حلب وها أنا سابقك ونزل من ديوان الاسكندرية والناس ينظرونه ولا يقربون عليه فقال السلطان إيش قدر هذا الكافر ما أجبره فقال شيحة يا ملك الاسلام لم يبق لي شيء أنت عرفت خصمك قم حضر عساكرك واركب والتقاه من حلب والله ينصرك على من يعاديك فعند ذلك كتب السلطان كتاب إلى ولده محمد السعيد يأمره أن يجلس أخاه الملك أحمد سلامش على تخت مصر يلحق هو إياه بالعساكر على حلب وأعطى الكتاب المقدم سعد وأخذ المقدم ابراهيم السلطان ومعه عشرين من الخدام ما بين فراش وطباخ وخمسين مملوكا أتباع السلطان ساروا يقطعون البر والوديان أيام قلائل حتى وصلوا الشام وأقام الملك بالشام ينتظر قدام العساكر إلى يوم من الأيام الملك جالس بالفداى طالع الديوان وبيده شاكرية كأنها ضرفة باب وصرخ صرخة ارتج لها الديوان وأذهل عقول الحاضرين في ذلك المكان وقال يا زين المسلمين أنا لم أتخل عن القتال ولم أغدر بالرجال ان كنت لم تعرف اسمى فأنا المقدم عزاقيل البغروى مقدم عياق بحيرة بغرة وجوار أمرنى ان اقتلك وافتح بلاد المسلمين أجمعها كرستيان فان كان فيك همة الرجال انزل للميدان حتى أوريك أفعال الفرسان وهز بالشاكرية وأراد أن يضرب السلطان فحالت المماليك بينه وبين الملك فحكم الضرب في المماليك ورمى أربعة وجرح اثنين فحمل المقدم ابراهيم فضربه المقدم عزاقيل بالشاكرية فوقعت على الطاسة فطبقتها وحس ابراهيم كأن الدنيا وقعت على رأسه والفداوى الملعون فعل ذلك ونزل من الديوان في حية ورأى حية فقال الملك لابراهيم أنت طيب فقال ابراهيم طيب يا دولتلى والله تعالى ناصر الاسلام والله يا ملك ان هذا الكافر جبار فقال السلطان ان الله ينصر من يشاء ولكن انظف

الملك من ذلك الملعون وثانى الأيام هجم عزاقيل اليفروى وضرب فى ديوان الشام فصدمه المقدم ابراهيم فضربه بالشاكرية أخذها ابراهيم على الطارقة فقطعتها نصفين ووقعت على كتفه قطعت ما عليه من الزرد وجرحته جرحا بالغا فقام اليه السلطان ويده على الت الدمشقى فنزل على حية من الديوان وكذا مدة ستة أيام واليوم السابع أقبل فيه السعيد بالعساكر ونظر المقدم عزاقيل اليفروى إلى عرضى السلطان فنادى وقال ياملك المسلمين الشرط بينى وبينك على حلب وانا عسكرى فى حلب وها أنا سابقك وركب حجرته وسار فأمر الملك العرضى ان يسير إلى حلب وركب السلطان وأمر المقدم سعد ان يطوف على الفداوية المقيمين بالحصون وسار السلطان وحط على حلب يلتقى عزاقيل اليفروى فى نفر قليل مقدار الف كافر فقط وبصحبته جوان والبرنقش الخوان [قال الراوى] وكان سبب قدوم ذلك الملعون انه مقدم على جميع العياق التى فى بر الروم وهو جبار واقامته فى بحيرة يفرة وكان له اب يقال له المقدم حرب وكان جبار وجاعل له جعالة على ملوك النصارى نظير حماية القمامة القدسية من المسلمين لا يهدمونها ومات حرب وطلع ولده المقدم عزاقيل هذا وتولى مرتبة ابيه [وهو كما قال القائل كان فى الحارة كلب افاق الناس من عواه فحين مات اخلف جرو افاق فى النبح عن اباه واقام فى بحيرة يفرة حتى كبر وانتشأ وتزوج وخلف غلام وسماه حرب على اسم ابيه فيوم من الأيام قال له جوان يا مقدم عزاقيل انت بقيت اكبر مقام من جميع ملوك الروم وراسك وراس دين المسلمين مثل بعضكم ولكن دين المسلمين مسلم وانت كرستيان لو كان عندك مقدرة لكنت تقتل المسلمين وتملك بلاده وكانت الجزية التى يأخذها ملك المسلمين من النصارى تأخذها انت منهم فلما سمع عزقيل اليفروى ذلك الكلام قال يا ابانا جوان وحق الصليب وما صلب عليه لا اقعد فى هذا العام حتى اقتل ملك المسلمين واهلك رجاله واجعل الدنيا كلها تحت حكمى ثم انه جمع من رجاله اربعين شاق واخذهم وسار إلى الاسكندرية واخذ له بيت واقام فيه وصار فى النهار يكون مقيم فى البحر وفى الليل يكون فى ذلك البيت فيفعلوا فعلهم ويسرقوه كل ما يسرقوه يوضعوه فى ذلك البيت الذى هم فيه ولما وصل السلطان إلى الاسكندرية علم به المقدم عزاقيل اليفروى فتركه فى الاسكندرية وراح إلى مصر فعل ما فعل وهكذا حتى وجده السلطان وجرى كل ما جرى وليس فى الاعادة إفادة ولما اصبح السلطان العرضى امر الفراشين ان يصنعوا له مرقب خشب فى وسط الصيوان لأجل نومه فى الليـــل ويحاط بالصيوان الرجال والخيل خوفا من هذا الجبار المقدم عزاقيل هذا كله يجرى

وجاموس عزاقيل اليفروى واقف ينظر ويرى ثم انه عاد إلى عزاقيل اليفروى حواعله بما فعل ملك المسلمين فضحك وقال هذا من خوفه منى واما وديني لابد لى من قتله ولو تعلق بافلاك السما وصار إلى صيوان ملك الاسلام وقال يا ملك المسلمين انا جيت طالب الحرب فان نزل ملك المسلمين اقتله وان نزل سعد اقتله وان نزل ابن الحورانى اشق كرشه اجعله قربة للبيطار فلما سمع المقدم ابراهيم ذلك الكلام اخذته النخوه والحمية فعند ذلك ركب على ظهر حجرته المريكنيه وطلع إلى الميدان وصاح جبتك يا ملعون فالقى الله الرعب فى قلب عزاقيل اليفروى ولكن اختشى من جوان وقال له يا ابن الحورانى دونك وما تريد فانطبق على ابراهيم طبقات العدم والتلف وكانت لهم ساعة تقشعر منها الجلود ويلين لحرارتها الحجر الجلمود وماداموا فى اخذ ورد وهزل وجد الى آخر النهار هذا والسلطان واقف على راس الميدان وقلبه مشغول على المقـــدم ابراهيم بن حسن وما صدق أن رآه عاد سالم حتى حمد الله تعالى وقال له يا ابن حسن لا تخاطر بنفسك مع هذا الجبار قال إبراهيم يا دولتلى إذا قتلت على يده أموت شهيد ولا أسمع منه ذلك التهديد ثم انهم أضرموا النيران للحرس وطلع الملك إلى محل نومه وأما عزاقيل اليفروى فانه صبر إلى الليل ودخل عرضى السلطان وسار إلى صيوان الملك وجاء من خلفه وقلع وتدا بعياقته ودخل بحد المرقب الخشب وضع يده عليه وأراد أن يطلع فانهز المرقب وأفاق السلطان ويده على النمشة فنظر إلى يد الملعون عزاقيل فضربها بالنمشة فانقطعت يده من تحت الخنمة فاخذها فى شماله ونزل والدم يجرى وصاح السلطان فدخل إبراهيم فضربه عزاقيل بالكف المقطوع وطلب البر وأمر السلطان بايقاد المشاعل ونفرجوا الناس على الكف ليلا فقال إبراهيم يا ملك الدولة والاسم الاعظم لقد أرحتنا من هذا الملعون لأن قطع كفه يقل همته وفرح كل من كان حاضرا وأما عزاقيل اليفروى فانه خرج من صيوان السلطان بغير كف والدماء تسيل من مرفقه اليمنى فأيقن انه صار من الهالكين وعلم انه إذا صفى الدم من الجرح يموت ولا محالة فقال فى نفسه يا هل ترى جوان عنده إدراك بطيب موضع القطع أم كذاب وإن دخلت العرضى ونظرونى بطارقتى يستهزئوا بى ولم يبق لى عندهم مقام وأما الصواب أروح الدير إذا كان بطرق الدير يعرف لى دواء أقيم فى الدير حتى ينتهى الاجل وسار حتى وصل إلى دير النحاس الذى هو قريب من مدينة حلب وطرق الباب فطل بطرق الدير وقال أنت من فقال افتح ما غير عزاقيل اليفروى صاحب بحيرة يغرة فقال البطرق أهلا وسهلا وفتح له الباب

فدخل عزاقيل قابض على مرفقه بشماله قال البطرق إيش الخبر يا سيدى فقال له انقطع كف عزاقيل فى حب دين المسيح ورايح يموت فقال البطرق لا ياسيدى انا لم أرض أنك تموت وتعدم الدنيا بعدك وإنما الكف راح بخاطره وهذا الجرح أنا اطيبك منه وقام على حيله وأضرم النار وألقى فيها البنج حتى بنجه وأتى بالزيت وغلاه على النار حتى استوى ووضع زند عزاقيل اليفروى فى الزيت حتى استوى وكتمت عروق الدما ودهن له بدهانا باردا حتى برد زنده وفيقه يجد نفسه فى راحة عظيمة جميلة فالتفت الى البطرق وقال له إيش عملت يا بطرق فقال طيبت لك زندك ومرادى بذلك أن تقاتل عن دين المسيح فان كنت قادرا على القتال عدو على المسلمين وخذ بثار كفك الذى قطعوه وإن كنت عجزت تبقى معذور أخذت نصيبك من الصواب فقال عزاقيل وأنت من أنا قلبي يحدثنى انك مسلم ولكن نظير ماطيبتنى لم أقتلك وإنما آخذك لجوان يفعل بك ما يشاء لانك شبحة المسلمين وكتفه وساقه بين يديه طالب به بطارقته الذى صحبته بينما هو سائر به فالتقى بأربعة خيالة وكانوا هؤلاء الأربعة المقدم نصير النمر والمقدم اسماعيل أبو السباع وابنه المقدم جوينش والملك عرنوس وكان سبب قدومهم أن المقدم اسماعيل أبا السباع ظهر له ولد وهو من أيام صباه لما تسلطن أخوه معروف على بنى اسماعيل وجرى ماجرى فى سجنه كان إسماعيل راح الحج يدور على أخيه فدخل مدينة تسمى مدينة البرق فعشق فى بنت ملكها وأسلمت على يده ووطئها وأعطاها نسبته وقال لها ان جاء لى ولد فعلقى عليه ذلك النسبة وتركها وسار يدور على معروف أما البنت فكبرت بطنها وسألها أبوها فقال هذا حورى ضربنى فى باكورى وأقامت حتى وضعت غلام سمته جوينش وتربى فمات ملك البلد وتسلطن جوينش على الك المدينة وجاءه جوان أغراه على غزو الاسلام فركب وشاور أمه فقالت له خذنى معك فسافرت معه وأخذ عساكره فقالت له أمه ياولدى قبل كل شىء انزل على بلاد المسلمين واسأله على واحد مسلم اسمه اسماعيل أبو السباع فاختلى جوينش بالبرتقش وسأله عنه فأعلمه أنه فى مدينة الرخام مع الملك عرنوس فصار قاصد مدينة الرخام وبالامر المقدر كان عرنوس واسماعيل ونصير النمر فى الصيد والقنص وأقبل جوينش فقال له البرتقش هذا اسماعيل أبو السباع الذى أنت طالبه فترك العساكر وحمل هو عليه وكان مشغول القلب من كلام أمه فما وجد من نفسه أن يصير بل انه ترك العساكر حملت على عرنوس مع المقدم نصير النمر وأما الليث جوينش لطم المقدم اسماعيل أبو السباع ومد كل لصاحبه الوتد والباع

وتقاتلوا قتال البطل الشجاع وكان اسماعيل من الابطال الموصوفين بالشجاعة وثانيا شجاعة الاب على ابنه فضايقه ولاصقه ومد يد طبق فى خناقه وجذبه فاخذه أسيرا وأما الملك عرنوس والمقدم نصير النمر فانهم فرقوا المواكب وجعلوا دما العدا مواكب ولم ينتصف النهار حتى أن عساكر جويفش ولوا الادبار وأما اسماعيل لما اسرجويفش اتى به إلى الملك عرنوس وقال له يا ابن أخى أنا قلبي رؤوف على هذا الملعون ولم أعلم السبب لهذه الرأفة فقال نصير النمر ضيعه وارحنا منه وإذا بام الغلام اقبلت وقالت يا مقدم اسماعيل أنا زوجتك رومة بنت ملك البرق وهذا ولدك جويفش وحكت له على الاصل ففرح اسماعيل وصدقها فلما سمع جويفش ذلك اسلم على يد ابيه وقال لهم سيروا بنا إلى بلادى حتى أنهب ما فيها من الاموال وأعود معكم إلى مدينة الرخام فساروا معه فالتقوا بعزاقيل اليفروى وهو قادم من الدير وشيحة معه فلم يسألو عنه بل انهم فرحوا بجويفش ونزل جويفش ليبرق الماء فنظره عزاقيل اليفروى فضربه بنبله فكمنت فى ظهره قطعت الورد وغاصت فى اللحم فارتمى جويفش وقال آه فادركه أبوه ونصير النمر وعرنوس وقبضوا إعلى عزاقيل بعد ما قاتلهم إلى آخر النهار ونظروا إلى شيحة معه خلوه وسألوه عنه فاخبرهم بكل ما جرى من هذا الجبار وبعد ما طيبته من جرح زنده كتفنى وأراد أن يأخذنى معه إلى جوان فقال عرنوس سيروا بنا الى السلطان حتى نسلمه له ونسلم عليه فساروا حتى دخلوا على السلطان وتقدم عرنوس وسلم على السلطان وحكى له على عزاقيل اليفورى وقدمه بين يديه فامر السلطان بحبسه الى الصباح قال إبراهيم يا ملكنا أى شىء حبسه هذا لا يرجى منه الاسلام وليس يؤمن حتى نبقيه اكراما للايمان الصواب أصلبه أدبا لغيره قال الملك اصلبه فما تم كلامه حتى رفعه إبراهيم على عمود أصواز وأمر كل من يؤمن بالله واليوم الآخر فليضرب هذا الكافر بنبله فضربوا فيه الفداوية والامراء بالنبل واطمأن السلطان وسلم على عرنوس وعلى اسماعيل قال عرنوس يا دولتلى ابن عمى جويفش له بلد ويروم اخلاص ماله فيها من الاموال ونعود بالسلامة قال الملك توجهوا مع سلامة الله تعالى وإن اردت خذ من العساكر كلما تريد قال عرنوس لم أرد الاعمى المقدم جمال الدين يكن ملاحظنا فانه فيه الكفاية قال شيحة توجهوا على خيرة الله تعالى فركب عرنوس وعمه المقدم اسماعيل وابنه جويفش بعد ما قطب له جرحه وتوجهوا وأما السلطان فبات على حاب وعند المساطهر من البر عسكر من عساكر الروم كانهم الجراد المنتشر فسأل السلطان

عنهم وأرسل لهم من يكشف خبرهم فأقبل الجاسوس وقال يا ملك الاسلام هذا يقال له حرب بن عزاقيل اليفروى وقصده أن يأخذ ثار أبيه قال السلطان إذا أراد الله ألحقه أبيه ان لم يهتدى للايمان وبات السلطان إلى الصباح وكتب كتاب إلى ذلك المقدم وأعطاه للمقدم إبراهيم فأخذه وسار به إلى عرضى الكفار وصاح طريق يا كلاب المشركين فأخلوا له الطريق حتى صار قدام حرب بن عزاقيل وقال قاصد ورسول فقال هات كتابك وخذ رد جوابك فقال لما تقوم على حيلك خذ كتاب السلطان بادب واقرأه بادب واعطينى حق الطريق بادب فقال حرب سمعا وطاعة وقام على حيله واراد ان يأخذ الكتاب فقال إبراهيم اصحى ياحرب تغتر بشجاعتك وكثرة جيشك وتقطع كتاب السلطان فان فعلت ذلك والاسم الاعظم أرمى رقبتك ولا أبالى بكل غزوتك فقال حرب انت المقدم ابراهيم الذى شاع ذكرك بالفروسية فى بلاد الاسلام الذى لم يرى الاسد فاه يصف الذيب وانا لم أفتخر بقطع الكتاب وخذ رد الجواب وحق طريقك واندار من قدامى باءمان وان كنت تدعى الشجاعة فلاقينى بكره فى مقام الحرب والطعان وان تأخرت ونزل أحد غيرك للميدان نعرف أنك جبان فقال ابراهيم أنا لم أتأخر وإنما أنا خدام من جملة أتباع السلطان فان أمرنى بالنزول اليك نزلت وعرفتك مقامك وأنا اسأل الله يأذن لى بالنزول حتى أعرفك صدق ما تقول ثم انه ناوله الكتاب المقدم ابراهيم ففتحه وقرأه فوجد فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى من حضرة خادم الحرمين الى بين أيادى حرب بن عزاقيل اليفروى اعلم أن أباك قبلك جاءنا متكبرا ومغترا فالقاه الله تعالى بغيتنا وأهلكه الله على أيدينا وانصلب وانت أتيت من بعده طالب العناد ومعك هذه العساكر والاجناد فان أردت أن تسلم من الندم وتصون مهجتك من العدم تأتى خاضعا وتطأ بساط السلطان فاما ان تسلم واما ان تعطى الجزية كامثالك وأبايعك نفسك بالمال وأضرب عليك الجزية فى كل عام وان خالفت أهلكتك وعجلت لك الحم والسيف أصدق وأنبأ من الكتب وحامل الاحرف كفاية كل حبر والسلام على من ظلل على رأسه الغمام فلما قرأ الكتاب قال حقيقة ان ملك المسلمين اصبح فى كلامه وأعطى الكتاب للمقدم ابراهيم وكتب رد الجواب يقول ما عندى إلا حرب يهد الجبال وطعن يقد الدروع والاوصال وأول الحرب يكون فى غداة غد وشكر يارب المسيح واعطاه إلى المقدم ابراهيم فاخذ رد الجواب منه ووضعه فى جزدانه ووضع كتاب السلطان

على رأسه فقال له حرب انت ما قصدك إلا تغيظنى بذلك ولكن أنا ما أغيظك إلا فى مقام القتال ان نزلت لى فى المجال فقال ابراهيم هات لى حق الطريق ولا تكثر الفضول وإن شاء الله الرحيم الرحمن لم ينزل لك إلا أنا واعرفك قدرك وأصرم بالشاكرية عمرك فاعطى له الف دينار وعاد ابراهيم للسلطان وناوله كتابه سالم واعطاه رد الجواب فقرأه يلتقيه بالحرب مزقه ورماه وقال

ما يفيق الكوز إلا من تأمله   يشكو إلى الماء ماقاسى من النار

ولو كل كلب عوى القمته حجرا   لاصبح الصخر مثقالا بدينار

وأمر الملك بدق الطبل حربى فجاوبته طبول الكفار وبات الطبل يقرع حتى طلع النهار وبرز المقدم حرب بن عزافيل الى حومة الميدان وصال وجال ولعب فى أربعة أجناب المجال ونادى وقال ميدان يا مسلمين يامن تريدوا تاخذوا الخراج دونكم وضرب السيف تحت اقسطل العجاج وكل من غلب نال ما طلب أين ابراهيم الحوراني الذى أوعدنى أنه فى هذا اليوم يلقانى . فعند ذلك سلم ابراهيم الطير إلى ولده عيسى الجاهرى وتقدم قبل الارض قدام السلطان فقال السلطان إيش تريد يا أبا خليل فقال يا دولتلى أنت سامع كلام الملعون والله طلبنى للحرب وأريد ان تنعم على بالنزول اليه فان من اراد النفيس فليخاطر بنفسه ومن دعى فليجب فقال الملك أذنتك يا مقدم ابراهيم ولكن مقامك كبير عندنا وان قهرك هذ الملعون وعجزت عنه فأنا الملزوم بعدك بالنزول اليه لانه ليس عندنا اعلى رتبة من رتبتك وإنما نزولك على شرط ان جرحته وقهرته فلك عندى خمسة آلاف دينار وان اسرته فلك عشرة آلاف وان قتلته فلك خمسة عشر الف دينار واما ان رجعت خايب والزمتنى ان انزل اليه فيبقى مقامك عندى صغير وعند كل فداوى وامير

فقال إبراهيم أنا رضيت بذلك والله لم ارجع من قتال كافر فان الموت فى الجهاد هو غاية المرام . ثم انه طلب حجرته فقدمها له المقدم على بن الشباح وافرغ على جسده آلة الحرب وركب على المريكنية وبرز الى الميدان وقال إيا حرب ها انا نزلت اليك حتى اكون وفيت بما قلت دونك والقتال فعندها انطبقوا الاثنين على بعضهم واصواتهم كدوى الرعد وخرجوا من الهزل الى الجد وسعوا المجال طولا وعرض وتمايلوا واعتدلوا على السروج وتعلمت الفرسان منهم كيف الدخول للحرب وكيف الخروج وكل منهم صاح ورعق وأرور منهم الحدق وكالمت أجسادهم بالعرق وكل منهم تمنى أنه لم يخلق وداموا على ذلك

حتى آذن الله تعالى للنهار بالارتحال والليل بالانسدال فاندق طبل الانفصال فقام المقدم حرب يا أبا خليل ارجع إلى ملك المسلمين وبكره لا تتأخر عن القتال وإن تأخرت ونزل الميدان أحد غيرك تبقى انت بطال فقال المقدم إبراهيم كيف أتاخر وأنا ضمن لى السلطان قتلك وأسرك من المحال فقال حرب هاأنا قلت لك وانت وشانك اخير. وافترقوا الاثنان على سلامة وليس واحد اعلم فى صاحبه علامة , ولما عاد المقدم حرب إلى رجاله فقالوا له ماهذه عادتك وإنما تعود وخصمك مفقود قال لهم حرب وحق رب المسيح عيسى لم أقاتل فارس مثله ولولا انه بطل من الابطال لما صبر قدامى فى القتال ولكن بكره ابرز اليه وأفرجكم عليه هذا ماجرى هنا وأما المقدم ابراهيم لما عاد من الميدان قدام السلطان قال له الملك ايش رأيت ياابن حسن قال يامولانا ماهو إلا فارس كرار وبطل فى الحرب مغوار ولكن شهامة الاسلام ليس عليه ولو كان مسلم ما كنت أقدر اثبت بين يديه وأنا ان شاء الله تعالى فى غداة غد ابرز اليه وأطلب من الله الاعانة والنصر وباتوا على ذلك الحال

[قال الراوى] ولما اصبح الله الصباح واضاء الكريم بنوره ولاح اندق طبل الحرب وانحدرت الفريقان للطعن والضرب وقفز حرب بن عزاقيل إلى الميدان ونادى بأعلى صوته وقال ميدان يا مسلمين اين ابراهيم بن الحورانى الذى كان خصمى بالامس يبرز إلى الميدان كما وقع الاتفاق فما تم كلامه حتى قفز اليه المقدم ابراهيم وصار قدامه وانطبق الاثنان على بعضهما انطباق الغمام وتضاربا بكل حسام صمصام واشتد بينهم الخصام وقل الكلام وبطل العتب والملام ودام الحرب إلى آخر النهار وانفصلوا وعادوا إلى خيامهم ودام الامر كذلك سبعة ايام فعندها تضايق السلطان وقال يا مقدم ابراهيم لقد طال مقامك مع هذا الملعون وآخر هذا إيش يكون فقال ابراهيم يا ملك الاسلام الحرب ليس فيه احترام ولا سيما العداوة بين الكفر والاسلام وانا وحق الاله الملك العلام ما انا مهمل فى قتاله ولم ارض ان يكون مثل هذا الكافر يعود من قدامى سالم ولم اؤثر فى بدنه علايم ولكن يا مولانا السلطان من فضلك واحسانك اوصلنى هذا اليوم فاذا عاد من بين يدى سالم اتاخر عن قتاله ومولانا يرتب له من يشاء فقال السلطان إذا كان قولك صحيح انزل هذا اليوم الآتى فقال سمعا وطاعة وبرز ابراهيم فى اليوم الثامن وتقاتل مع حرب بن عزاقيل وكان لهم يوم طويل إلى ان تحكمت الشمس فى قبة الفلك وافتكر ابراهيم انه ربط لسانه مع السلطان ورأى خصمه ثابت بين يديه كانه اسد غضبان فقال يا مقدم حرب انت كل يوم تقاتلنى

وحدك وفى هذا اليوم أتيتنى برفيق يساعدك فما هذا الشرط بينى وبينك فقال له أين الرفيق الذى معى والتفت فطبق ابراهيم يده فى منطقته وصاح ياسى غوث يا ساكن حلب وجذبه واقتلعه من بحر سرجه وصار على يده فقال له حرب هذا باب من الغدر لكن الحق على الذى اهملت والتفت إلى خلفى فقال ابراهيم اسكت فان لسانى مرهون عند السلطان وعاد المقدم ابراهيم حتى وضع حرب قدام السلطان وكتفه ابراهيم وقال يامالك الاسلام هذا خطابك وأما عساكر حرب بن عزاقيل لما نظروا إلى مقدمهم أسيرا فما قدروا أن يحركوا ساكن وكل منهم طلب لنفسه النجاة خوفا من موت الفجأة وأما المقدم حرب بن عزاقيل لما صار قدام السلطان قال السلطان اقطع رأسه يامقدم ابراهيم فقال حرب يامالك المسلمين انا لم أقتل منكم احدا حتى تقتلنى بدلا عنه فقال السلطان انت لم تقتل أحدا ولكن تعديت على حربنا ولو بلغت املك لم تبق شيئا وأبوك فعل من قبلك فعال شنيعة فقال حرب وإن اسلمت يجوز قتلى فقال الملك لا يجوز قتل المؤمن إن أسلمت تبقى منا والينا فقال حرب اقول على يديك اشهد أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله وانى برىء من الكفر ومن كل دين يخالف دين الاسلام فقال له السلطان سبقت لك السعادة ياحرب فكه ياإبراهيم فاطلقه المقدم ابراهيم فقام على حيله قبل اتك السلطان فقال له السلطان تمنى ياحرب فقال يامالك قبل أن أتمنى مرادى أنك أروح إلى بحيرة يغرة واجمع مالى ومال أبى وبيبقى تحت كمينى لانه اذا علم جوان انى أسلمت فيأمر النصارى بأخذ مالى ومال أبى وأنا أحق بذلك

فقال السلطان انا أروح بعسكرى وانزل على بحيرة يغرة ولا أعود الا بمالك وكل من منعك املكته فقال حرب لم أكلفك بذلك يامالك الاسلام وأنا وحدى اقضى اشغالى لانى اقول لهم انى اسلمت زور وبهتان ورجعت الى عبادة الصلبان واقيم عندهم أيام ثلاثة وبعده ادعى انى مرادى أروح القدس أطهر مالى فاذا خرجت بمالى من بحيرة يغرة نسير إلى بلاد الاسلام وكل من عارضنى عجلت له الانتقام قال السلطان افعل ماتريد .

فعند ذلك ركب حرب جواده وسار قاصدا بحيرة يغرة وأما السلطان فشال من حلب وقصد لمصر قال ابراهيم يادولتلى اعطى اجازة أروح الى قاعة حوران أزور أهلى وبلدى وسعد كذلك

وأما السلطان فتوجه الى مصر يتم له كلام وأما حرب بن عزاقيل اليغروى سار الى بحيرة يغرة فالتقوه العياق وقالوا له يامقدم احنا سمعنا انك اسلمت وبقيت مع المسلمين

فايش الذى جاء بك الى بلاد النصارى وأنت مسلم فقال لهم أنا ما اسلمت الا من تحت السيف لما رأيت روحى اسيرا مع المسلمين فعملت حيلة وأسلمت حتى خلصت منهم ولما أطلقونى وساروا الى بلادهم فاتيت الى بلادى وتركتهم فقالوا له هذا فعل مليح واقام عندهم أيام ثلاثة وهو يجمع الأموال التى تخصه وتخص ابيه حتى جمع أمواله كلها فسألوه عن بحيرة يفرة فقال لهم أبى مات وأنا أريد ان أزور القمامة القدسية وأطهر مالى فى عين سلوان وأقيم هناك برهة من الزمان فالذى يريد يقدس يسير معى فقال له البعض منهم نروح معك وأينما سرت نتبعك

فقال مرحبا وأهلا وسهلا فصاروا يساعدوه على ماطلب حتى جمع كلما احتواه من فضة وذهب وجعله أكياس وعباه فى صناديق فكان ستين صندوق وأمر باحضار ثلاثين جملا وأراد ان يحمل ماله ويسير واذا بضجة ارتفعت وجميع الأعين اليها انتظرت سألوا عن فقالوا جوان قد حضر والبرتقش صحبته فطلع حرب بن عزاقيل الى لقاه وفرح بلقاه فى الظاهر وتقدم اليه وقبل يده فاختفى على جوان حيلته وقال له يا حرب انت لما اسلمت وأتيت تأخذ مالك وتعود به الى بلاد المسلمين فلأى شىء تبوس يد جوان أما تعلم ان جوان منافق فكيف ينطلى عليه محالك وزخاريف مقالك فقال حرب يا أبانا أنا على دين المسيح الدين الصحيح ولم أسلم الا من تحت سيف ملك المسلمين وها أنا خلصت منهم وأريد اجمع أموالى واسير الى القدس واطهر مالى ومال ابى وأعود واقيم فى بحيرة يفرة حتى استعدل واركب على ملك المسلمين واخلص ثارى وثار ابى

فقال جوان ان كان كلامك صحيح اسجد لذلك الصليب وخذ هذه القطعة اللحم الخنزير كلها واشرب هذا القدح البيبار وان لم تفعل ذلك فما جزاك الا المنشار فقال الحرب يا ملعون كيف السجود للصليب وأنا عرفت القريب المجيب انا بعت روحى فى سبيل الله وطلبت النصر من عند الله وحط يده على سلاحه فصاح جوان دالى يا أبناء الكرستيان فانطبقت عليه الكفار مثل الجراد وجذبوا السيوف الحداد فوقع الضرب خطأ وصواب وبرق الحسام القرضاب وزاد الطعان والضرب وقطعت الكفوف والرقاب واسود القتام والضباب وذاقوا الاعادى من الحرب العذاب ونهب الارواح بسيفه انتهاب والهمهم الحرب التهاب وزعق على رؤوسهم البوم والغراب وبشرهم بالتشتيت والذهاب

ودام الأمر على هذا الحال حتى أذن الله للنهار بالارتحال واتى الليل بالانسدال واراد الانفصال فلم يمكنه جوان من هذا الحال وصاح على الروم وأمرهم بالقتال فتضايق

حرب لأنه بقي جيعان وعطشان وعلم انه افترس به الملعون جوان لم يبق له خلاص إلا إذا أراد الملك الديان فهو كذلك وإذا بصوت أدوى البر وقائل يقول شد حيلك

يا حرب روحي فداك من الردي ولا يتمكن منك أحد من العدى

الله أكبر الله أكبر

دع التلاهي ولين الخد والتنعيم إلى الأسنا الى طعمته تطعيم

قوموا ابرزوا المعامع واتركوا التوهيم ومن تمرد فما خصمه إلا ابراهيم

وتبعه المقدم سعد بن دبل وسعيد الهايش وعيسى الجاهري وناصر الدين الطيار وغنى البتار وقل الانصار ونظر جوان إلى ذلك الحال فطلع على الصور ونادى يا أبناء الكرستيان دونكم والمسلمين اهلكوهم ولا تبقوهم فانهم فشار وليس لهم شغل إلا فى المنتار هنالك تزاحمت الكفار وغنى بينهم الحسام البتار ودام الحرب يعمل إلى آخر النهار فتمنعت الكفار فصاح جوان وقفل أبواب البلد وتقسطل الغبار وانعقدت فبينما هم كذلك وإذا بمدافع تقرع من الخلا وغبار ملأت البر والفلا وكان هذا غبار الملك الظاهر وفاتح بيرق المظالل بالغمام ومن خلفه عساكر الاسلام كانهم أسود الآجام وكان السبب فى مجىء المقدم ابراهيم أولا وهو انه لما أخذ اجازة من الملك على انه يروح قلعة حوران وسار مع سعد وأتباعهم معهم قال المقدم ابراهيم ياسعد أنا أعلم أن ذلك الصبي وهو حرب بن عزاقيل جاهل ويظن فى نفسه انه إذا راح بحيرة يغرة يغشوه النصارى مثل ما كان أول وهذا شيء لا يكون وأنا ما يهون على أن رجلا مثل هذا دخل فى دين الاسلام جديد وتتركه على جهله حتى ان الكفار يقتلوه ويفتخر جوان بقتله على ملوك الروم ويقول لو كان نصرانى ما كان قتل وتبقى حطة فى حق الاسلام وأنا ليس لى غرض فى رواح قلعة حوران وإنما غرضى أن الحق حرب بن عزاقيل على بحيرة يغرة فان لقيته جمع ماله أهنيه بالسلامة وان كان فى الحرب أساعده حتى يبلغ مقصده فقال سعد سر بنا افعل ماتريد فاننا عن رأيك لا نحيد فاخذهم وأتى بهم وأراد التحرب فى القتال كما ذكرنا وأما مجىء الملك الظاهر فانه لما شال بالعرضى من حلب فقال له الوزير يا ملك الاسلام تسافر مصر وتترك حرب بن عزاقيل فى بحيرة يغرة يفترس به الملعون جوان يقتله ويشفى فؤاده منه الصواب أنا نفوت على بحيرة يغرة فان رأينا حرب خلص ماله هنيناه وان وقع فى المحذور أنجدناه فقال السلطان صدقت ياوزير وسار إلى بحيرة يغرة هذا كان الأصل والسبب ولما أقبل السلطان أمر الطبجى أن يضرب المدافع على الاصوار ووقع الحرب من خارج البلد وسمع المقدم سعد فقال

لولده نصر الدين امضى أنت إلى الأبواب وأنا من ورائك حتى تفتح السلطان فاذا دخل السلطان هان العسير فعندها صاح نصر الدين وحمل ومكن السيف فى الأعناق والقلل وتبعه سعد بن دبل وداموا كذلك يضربون الرقاب ويعرقبون خيول الأعادى والدواب حتى وصلوا إلى الأبواب ورموا رقاب البوابين وهلكوهم أجمعين وفتحوا الأبواب ودخل السلطان ومن خلفه أبطال الاسلام والشجعان ووقع ضرب السيف اليمانى ونظر حرب بن عزاقيل إلى ذلك الحال فأيقن ببلوغ الامال ونظر جوان إلى تلك الاشارة فأيقن بالخسارة وقال يا برتقش هات الحمارة وركبها وطلب البر يقع له كلام وأما السلطان فانه أهلك أهل البحيرة وأبلاهم بالذل والحيرة فصاحوا الأمان الأمان يا وزير المسلمين ورموا سلاحهم وقد انفسد صلاحهم وعدموا أرواحهم وقعد السلطان على كرسى البلد وأراد أن يهدمها ويحرثها بالسكة والفدان فجاءت له البطارقة والقسس والرهبان وتوقعوا عليه وقالوا ياملك المسلمين ان الذى فعل هذه المكيدة جوان وحرب وهذه البلد أهلها ليسوا عاصين والعساكر الذى حاربت كان الذى أتى بهم جوان فالبعض قتل والبعض هرب وأنت ملك كريم لا تأخذ البرىء بالسقيم ونريد منك العفو يا ملك الزمان حتى تعطينا على أنفسنا الامان وتمم لنا بالاحسان فعفى عنهم السلطان بعد ما بايعهم على أنفسهم وكتب الخراج على بلادهم وركب السلطان وسار إلى الشام بها ثلاثة أيام حتى أخذ الراحة وقال لحرب اتمناها أنت جمعت مالك فقال يا ملك الاسلام اتمنى أن أكون مشدود المقدم ابن حسن وبقيتى أكون ابنه بمقام عبد الله وأريد أتشرف بخدمتك بجملة سعاة ركابك فى الميمنة واسأل بنى اسماعيل أن يقبلونى أكون كامثالهم ألبس الشد والزنط وأتقلد بالشاكرية وأبقى فداوى مثلهم بالسوية فقال السلطان أماشيك فى ركابى ساعى فانا لا أمنعك وأنا أحب أن يكون لى مثلك ألف فى ركابى وتكون أعز أصحابى وأما انك تشهده لابراهيم فابراهيم يقبل سؤالى ولا يخالف مقالى وأما لبسك الشد والزنط فهذا شيء يخص الفداوية وأنا أسالهم لك فى هذه القضية وحتى يحضر سلطان القلاع فانه له فى ذلك نظر ولا يقطعوا الرجال كلام إلا بمشورته فقال ابراهيم أما أنا أشده لى أقل شيئا لكن بشرط أن تكون إقامته عندى فى قاعة الحورانة وأمواله وأثقاله تكون فى قلعة الحورانة

فقال حرص هذا هو عين مقصودى وهذا مالى من هنا استلمه أنت والذى نحتاجه نأخذه منك فقال ابراهيم هكذا تفعل بأبناء الآباء فاذا فعلت ذلك صبر ابنى حقا فعند ذلك أمر حرص بان جميع ماله يروح إلى قلعة حوران وقال ابراهيم يامولانا

السلطان أريد من جنابك أن تشرف قلعتي وتأكل من ضيافتي حتى انى أشد المقدم حرص بن عزاقيل إلى .

فقال السلطان أنا لا يمكني الاقامة أكثر من هذه المدة خذ المقدم سليمان معك والرجال إلى قلعة حوران وحزم مركوبك والحقني على مصر وركب الملك وطلب الديار المصرية وأما إبراهيم أخذ بنى إسماعيل وراح إلى قلعة حوران عمل ضيافة الرجال وقام المقدم سليمان نصب البسطة وشد حربا إلى المقدم إبراهيم وثانى الايام أخذه إبراهيم وسافر من حوران لحق السلطان على مصر فى يوم معلوم وثانى الايام قال المقدم إبراهيم يا بنى إسماعيل أنتم جميعا أولاد عمى ومنى وعلى ولحمى ودمى وأريد منكم أن تسمحوا للمقدم حرص بلبسه الشد والزنط فقالت الرجال ياأباخليل هذا الشد عن سيدنا على إلى إسماعيل الفلك إلى فرقة بعد فرقة حتى لبسوه أهله وهذا حرص بن عزاقيل اليفروى ليس هو شريف ولا هو عالم بل إنه مسلم ابن نصرانى كيف يتزيا بزى الاشراف المنسوبين إلى سلالة بنى عبد مناف فقال إبراهيم يارجال هذا القول الذى تقولوه أليس هو عيب عليكم إذا كان كافرا واسلم فصار مسلم مايلزم أن تعايروه بدين الكفر الذى تركه ودخل إلى دين الاسلام فرقع الاخذ والعطاء بالكلام

فقال السلطان يا رجال حتى يحضر المقدم جمال الدين شيحة ويفصل هذه الدعوة بينكم فما تم كلامه حتى أقبل شيحة وسأل عن هذا الخبر فحكى له السلطان على الذى جرى من أوله إلى آخره فقال شيحة يابنى إسماعيل النسب ماهو مقام الرجال وحديث الرسول أنه جد كل شريف ويحب كل تقى فاذا كان هذا دخل فى دين الاسلام راغبا أن يكون معكم فواجب عليكم أن تقبلوه فقالت الرجال يا سلطان القلاع احنا ماأخذنا المقدمية إلا بضرب شواكر وغزو فى بلاد الكفار وجبنا منها أموال ونفقناها على الرجال وهذا حرب إيش عمل من الافتخار حتى يلبسه الشد والزنط ويبقى مثلنا وبعض من أشكالنا فقال شيحة إيش مرادكم منه من الفخر حتى يبقى يستحق هذا الامر فقالوا له إذا كان يريد يلبس الشد والزنط يسافر إلى الارض الغواصة والجبال القلابة ويصل قلعة الترخميش الطيار ويأتينا بطربوشه فاذا وصل إلى تلك الديار وجاءنا بطربوش الترخميش الطيار فانه يستحق أن يلبس لبسنا ويبقى مقامه مثل مقامنا وإن عجز عن عن ذلك المحضر فهو وشأنه أخبر فلما سمع المقدم حرب ذلك الكلام فقال يا رجال والاسم الاعظم لم ألبس لبسكم ولا أقيم بينكم إلا إن كنت أجيب لكم ذلك

الطربوش وإن لم احضره يحرم على الاقامة فى بلاد الاسلام ونبقى من جملة الارامل والايتام فقال المقدم جمال الدين يارجال اذا فعل ذلك تقبلوه فقالت الرجال بشرط انك لاتسير معه ولا تساعده ولاتتبعه وأما ياحاج شيحة اذا ساعدته كانك تحكم علينا يلبس قهرا عنا وهذ منك غير مناسب احلف لنا بالاسم الاعظم انك لم تعاونه ولا تكن معه مطلقا فقال شيحة والاسم الاعظم لم أساعده ولم أعاونه اشد ن البارات واقوى همة غلام فداوى جرحه بيديه فقال حرب لم أرد أحد يعاونني مطلقا وكل من اعانني من الرجال يكون فضولى من الفعال والصواب ان تلزموا بادبكم وانا حزنى وفرحي سواء فقال ابراهيم رضيت ياحرب بان تروح للارض الغواصة والجبال القلابة قال نعم اروح ويعيننى الذى صورنى فقال متى انت سائر قال بكره قال خذ معك كتاب اعطيه لابى حسن الحورانى فى قلعة حوران قال سمعا وطاعة فناوله كتاب مطوى اخذه حرب وسار الى قلعة حوران اعطى الكتاب للمقدم حسن الحورانى ففتحه وقراه فوجد مكتوبا فيه ياأبى قادم اليك حرب بن عقاقيل اليغروى فلازم انك تضيفه وتحط له مقلاية بيض وتكثر له السمن حتى نرتاح منه فانه ليس لنا منه الا كلما نعلم فافعل ماقلت لك ولاتلزمنى ان انقب فى هذه الجرة والسلام فلما قرأ الكتاب حسن الحورانى اغتاظ وقبض فى خناق حرب وقال له ايش فعلت فى حق ولدى ياصبي قال حرب ما فعلت معه شيء الاكل خير وهو صار ابن عمى عبد الله تعالى فقال حسن كذبت ياقرن والله لم افعل معك ما أمرنى به ولدى الا بعد ما أعلم ذنبك الذى تستحق عليه ذلك فلما سمعت فاطمة الحورانية اخت ابراهيم ذلك الكلام جاءت الى ابيها وقالت له ايش الخبر ياأبى فأطلعها الكتاب فقالت لحرب انت جاى مخصوص بهذا الكتاب من اخى فقال لا وانما أنا اشتديت لاخيكى وطلبت البس الشد والزنط فعارضونى الرجال وطلبوا منى طربوش التوخيش الطيار من الأرض الغواصة والجبال القلابة فالتزمت بذلك وشرطوا على سلطان الحصون أنه لايساعدنى ولايعاونى فحلف لهم على ذلك وصعب على كبيرى وكتب لى ذلك الكتاب وقال لى روح لابى اعطيه هذا الكتاب فانه يعينك ويدلك على طريق التوخيش الطيار وتأتى بالطربوش وتعود بالسلامة فأخذت الكتاب واتيت به الى ابيه فلما قراه طبق فى خناقى وهذا الذى جرى فقالت فاطمة أخى خاف انك لم تقدر تجيب الطربوش وتتوكس قدام الرجال فامر ابى يسمك وتموت ويرتاح اخى من القيل والقال وابى خرفان لم يعلم الحقيقة فاراد ابى يقتلك على رؤس الاشهاد لاجل أن ينحط قدرنا بين العباد ولكن إن أراد الله تعالى تجيب

[الطربوش وتعود سالم ويفرح أخي بعودتك وتلبس كما تلبس الرجال باذن الله الملك المتعال وأنا التي أسير معك وأعاونك على طلبك ولو أهلك روحي بسببك بات هذه الليلة وفي غداة غد نسير ولله المشيئة والتدبير فبات تلك الليلة وعند الصباح ركب على حجرته وطلب المسير وإذا بخيال مقبل وسلم عليه فاراد حرب أن يستخبره عن نفسه فقال له لا تسألني فانا عمتك فاطمة الحورانية سير الله تعالى يهون المسير فساروا يقطعون البراري والقفار مدة أيام ليلا ونهارا حتى أقبلوا إلى الأرض الغواصة والجبال القلابة قالت فاطمة يامقدم حرب هذه الأرض التي أنت طالبها والظاهر لي أن رمالها ناعم إذا مشى الانسان فيها تغوص أقدامه في الرمل ولا يخلص إلا بجهد جهيد فالصواب عندي أننا نأخذ الراحة من التعب هذه الليلة ونجعل مسيرنا في الليلة الآتية وعند الصباح أنت تدخل على التوخيش تأخذ الطربوش من قدامه وتسير في هذه الأرض وإذا أراد أن يلحقك فانا اعارضه وأعوقه عن الوصول اليك حتى تقطع انت هذه الارض الغواصة وتملك الارض الجلد فاركب جوادك وإن لحقك فلم يبق بينك وبينه إلا ضرب السيف وإن عجزت عنه فانا أريحك منه ياسادة هذا ماجرى هنا وأما ما كان من أمر ذلك الملك التوخيش الطيار نقلت عنه رواة هذه السيرة العجيبة انه طيار مثل المقدم سعد بن دبل وهذا الطربوش الذي نحن في ذكره فانه كنوزي مثل طربوش الملك عرنوس وقد احتوى عليه بميراث من أجداده ومن كون انه طيار وهذه الارض في ملكه وأخذ على الدوس والمشي فيها بمعرفته وصار يفتخر على أرباب العياقة ويوضع ذلك الطربوش بين يديه ويقعد على باب قلعته ويقول إن هذا الطربوش ملكي فالذي وضعه على رأسه وينفذ به من الارض الغواصة فيكون له وأما إذا أدركته آخذه منه ويبقى مملوكا لي اما أن أقتله واما أن ابايعه نفسه بالمال فالذي عرفه لم يتعرض والذي لم يعرفه يشارطه على انه لا يتبعه إلا بعد ثلاث ساعات فيرضى بذلك فيأخذ الخصم الطربوش ويجري به على تلك الارض حتى يتعب فيشتد عليه التعب فاذا قعد يجد نفسه في المحل الذي أخذ منه الطربوش فان الجبال تنقلب وترده إلى محل الطربوش إذا قعد وأما إذا لم يقعد ويجتهد في المسير فان التوخيش يعرف الارض الجلد من وسط الرمل فيدوس عليها ويلحقه ويأخذ طربوشه منه ويكون هو بأشد التعب

فاذا يلحقه يقتله أو ياسره ويبايعه نفسه بالمال أو يطلقه ويمن عليه بروحه إذا علم انه فقير الحال هذا أفعال التوخيش الطيار وبذلك شاع ذكره في جميع الاقطار وأتوا باخباره جميع التجار والسفار وأما المقدمة فاطمة الحورانية صبرت لثاني الايام وقد

ميزت الارض وعرفت لها مسالك هينة وقالت يا حرب اذا أخذت الطربوش فلا تسير الا من على هذه الطريق

فقال حرب سمعا وطاعة ثم انهم ساروا حتى قطعوا الارض ووصلوا الى باب القلعة ونظر حرب الى التوخيش الطيار يجد غلام جميل الصورة وهو من الشجاعة فى مقام عظيم وتاخرت فاطمة الحورانية وتقدم حرب الى بين أيادى التوخيش فرأى الطربوش موضوع على كرسى بين يديه فاخذه ووضعه على رأسه فقال له التوخيش تقدر تحميه وتنفذ به منى وأنا لا أتبعك الا بعد ثلاث ساعات فقال له حرب أقدر بقدرة الله تعالى وعمرك ما بقيت تراه الا فى هذه الساعة فقال له التوخيش اعلم أن رأسك الذى وضعت طربوشى عليها اقطعها فقال ان قدرت يا ملعون دونك وما تريد وأخذ الطربوش المقدم حرب وطلب الطريق الواضح الذى علمته له فاطمة الحورانية وأقام التوخيش والساعة فى يده حتى مضى ثلاث ساعات فوقف على حيله وأراد أن يروح فتقدمت فاطمة الحورانية ومسكت خناقة بكفين بولاد معودين على مقارعة الجهاد وقالت له مظلومة يا بب خلص لى حقى من خصمى فانك قادر على خلاص حقى فاراد التوخيش أن يخلص يدها من رقبته فلقى كفوفها أحد من البولاد فقال اصبرى لما أسلك ما أنا فيه واقضى لك دعوتك فقالت له لا يمكن ذلك وأنا مستجيرة فيك لانك صاحب هذه البلاد وأنا غريبة بين العباد فقال لها اعتقينى ليس أنا قاضى فلم تطلقه وهى تتكلم فعلم أنه انعاق فقال ايش ظلومتك فقالت له أنا كنت قادمة من بلاد الروم فعارضنى بعض اللصوص وأخذوا مالى ولولا هربونى واستجرت بك والا كانوا قتلونى وقد أتيت اليك تخلص لى مالى فقال لها ومن الذى أخذ مالك فقالت ناس مقيمين فى تلك الجبال فقال لها هذه جبال قلاية لم يسكنها احد وأنت كذابة فقالت له سر معى وانا اوريك الذين اخذوا مالى فقال لها انا عرفت مقصودك وهذه الجبال ليس فيها احد وانت منعتينى عن طلبى سيدبنى وادامت فاطمة تشاغله بمثل ذلك حتى علمت ان حرب قطع تلك الارض فاطلقت خناق التوخيش من يدها وتعتمت شاكرتها وقالت له يا بب اتبعنى حتى اوريك الذين نهبوا مالى وازدروا بمالى فما صدق ان يخلص من يدها حتى طلب حرب لاجل ان يلحقه وكان حرب خلص من الارض الغواصة وملك الارض الجلد وركب على ظهر حجرته وجنب حجرة المقدمة فاطمة الحورانية عمته ونظر التوخيش الى ذلك ورأى فاطمة طالبة الارض الجلد فعلم أن هذه مكيدة وقال أنا الذى أهملت فى طربوشى ولكن وحق الصليب وماصلب عليه ما اجيبه الا من وسط ديوان ملك المسلمين والحق الذى احد طربوشى ولو وصل به إلى السد الاقصى ولم اخذ الا به وان قدرت اخذت رأس

هذا العايق الذى أخذه ثم انه تزيا بزى فقير وتبع آثار حرب بن عزاقيل يقع له كلام
هذا ما جرى للتوخيش الطيار واما حرب فادركته المقدمة فاطمة الحورانية كانها
الحية الرقطة أو البلية المسلطة وهى تنفخ كالأفعى ويدها على قبضة شاكريتها متحضرة
القتال فلما وصلت الى حرب قالت له سر ياصبى فسار معها يقطع الاودية والاماكن
حتى وصلوا الى قلعة حوران فقالت فاطمة ياحرب روح يا أخى ادخل على السلطان
وافتخر على بنى اسماعيل وانا ارتقب لك الطريق خوفا من عايق عيناك ويمدالله
سعدك وتوفيقك فسار حرب الى ان وصل الى قلعة الجبل والملك جالس ورجاله بين
يديه وإذا بباب الديوان انسد وحرص طلع يقول نعم يامالك الاسلام امدك الله بالعمر
الطويل كما امد نوحا بعمر نال فيه شفا ياملك الاسلام ها انا حرص بن عزاقيل اليفروى
الذى طلبت البس الشد والزنط والمقادم طلبوا منى طربوش التوخيش الطيار فهذا
الطربوش اتيت به اليك فقال السلطان إن كان الطربوش معك فرج عليه الرجال فقال
ابراهيم يامكنا اتفرج عليه انت اول فاخذه السلطان وتفرج عليه وقال هذا مثل
طربوش الملك عرنوس واعطاه الوزير تفرج عليه والوزير كان جانبه الامير فلاوون
فاخذه تفرج عليه وانتقل للذى بجانبه تفرج عليه وهذا من واحد الى واحد امراء
وفداوية حتى لم يبق فى الديوان احد الا تفرج على ذلك الطربوش قايم وقاعد كبير
وصغير فداوى وأمير وقالوا جميعا ان المقدم حرص صار يستحق ان يلبس الشد والزنط
كما وقع الاتفاق على ذلك الشرط وإذا برجل شحات كان واقف بباب الديوان فقال
ياملك الاسلام اتأذن لى نتفرج على ذلك الطربوش الذى جاء به المقدم حرص من بلاد
الكفار وصار له بذلك الافتخار قال الملك اعطوه له يتفرج عليه فناوله له حرب بيده
فاخذه ووضعه على راسه فكان على قدره قال السلطان هذا قدرك ياشيخ اتمم عليه
قال سمعا وطاعة ولف عمامته على الطربوش وقال ياملك المسلمين ايش هذا فخر ان
ياتى ولد وحرمة يحتالوا على اخذ طربوش بحيلة وإنما الفخر الذى اتى إلى ديوانك
وانت بين عسكرك واخذت طربوشى منك على الاجهار وانا البب التوخيش الطيار
وقفز من مقعد الديوان كانه الحمامة وطلب البر وصار يجرى كجرى النعامة فقال
علاء الدين طار يابشتك والله العظيم انه رجل عفريت هذا كله يجرى والرجال جميعا
شاخصين وإلى فعل ذلك الرجل متعجبين فقال المقدم ابراهيم يا رجال حرب جاء
بالطربوش فقالوا كأنه جاء به ونحن كاننا شفناه ايش جابه يا ابن حسن ماهذه إلا حيلة
مثل مسخرة ولكن لاجل خاطرك يلبس الشد والزنط ايش بقى ينفع الكلام فقال
حرب وحياة راس السلطان لم البس الشد والزنط الا اذا آتيت بذلك الطربوش

وصاحبه اما اسيرا او اقتله واجيب راسه بين كل فداوى واسير وافرجكم عليه
فرجتكم على طربوشه ولا ينفعه عسكره ولا جيوشه ثم انه قبل الارض قدم السلطان ونزل
طلب البر والوديان حتى قطع طريق الخانكة وبقى قريب من وأمر الوادى فلقى بيت عرب
من الشعر منصوب على قارعة الطريق وامرأة بدوية قاعدة على بابه ولما رات حرب
فقالت له ضيف ياسيد فقال ضيفك يا بدوية ونزل فقدمت له الطعام فأكل ثم انقلب ففيقته
وقالت له أنت الذى أخذت طربوش البب التوخيش من بين يديه ورحت به لملك المسلمين
وهاهو جاء اخذ طربوشه منكم ولزمنى بالقبض عليك حتى أوصلك اليه يقطع راسك
ويحسر عليك اهلك وناسك فقال حرب لاحول ولا قوة الا بالله العظيم ياهل ترى اين عمتى
المقدمة فاطمة الحورانية تقطع جلدك وتلعن أباكى وجدك فضحكت وقالت له أنا فاطمة
ياحرب قم على حيلك وخذ هذا التوخيش الطيار عد به الى ملك الاسلام ينتقم منه
غاية الانتقام فقال حرب ياليتى كنت انشديت لكى فانك تنفعيني اكثر من اخيكى فقالت
فاطمة ياصبي انا مافعلت معك ذلك الا لاجل أخى ولولا انك مشدود أخى ما كنت
اتعبت نفسى لاجلك قم خذ خصمك التوخيش الطيار وهاأنا راجعة الى قلعة حوران
فعند ذلك قال حرب ياعمتى وايش أوقع هذا الكافر فى يدك فقالت له أنا ضربت تخت
رمل فرأيت هذا الملعون تابعنا ولابد ان يدقق حيلة ويأخذ طربوشه ويطلب بلاده
فنصبت انا هذا البيت الشعر فى الطريق حتى اتى طالب منى يشرب الماء فسقيته
ماء مبنج فلما شرب مال فكتفته وقبضت عليه بيدى ولانكثر كلام خذه وعد
وسلام فقال حرب وربط الملك التوخيش وصفده على ظهر جواد اتت به له فاطمة
الحورانية وركب حجرته وسار الى مصر وكان دخوله ثانى يوم خروجه فقبل الارض
قدام السلطان وقال ياملك الزمان هاأنا اتيت بالطربوش ثانيا وصاحبه وقدم
التوخيش قدام السلطان فقال ابراهيم حقيقة لم يضيع العهد ياولدى فيك والحمد لله على
نضارتك وفيق التوخيش فرأى نفسه على هذا الحال فقال من الذى أتى بى الى هذا
المكان فقال الملك ياكلب الذى أتى بطربوشك فى الاول أتى بك فى الثانى ولو كنت
امرته ان يأتى براسك لكان قتلك ولكن انا الذى امرته بعدم موتك وها أنت
بقيت عندى فاختر لنفسك احد الحالتين اما الاسلام أو اضرب عليك الخراج بعد ان
ابايعك نفسك بالمال والا أمرت بقطع رأسك فقال ياملك الاسلام لو دينكم حق لما
كنتم بلغتم على قدر هذا من النصر والظفر وانا أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا
رسول الله فأمر السلطان باطلاقه وقال له تمنى فقال يا ملك الاسلام حربه

ابن هزافيل ايش مرتبته فقال مشدود لابراهيم بن حسن ومن جملة سعاة اليمين فقال التوخميش هل هو خيال أم طيار فقال السلطان خيال وأما الطيار بن هندنا المقدم سعد ساعي الميسرة وابنه ناصر الدين واتباعهم فقال يامالك الاسلام اختار ان اكون مع السعاة اليسرى وانشد لاحدهم فقال الملك نشدك للمقدم نصر الدين بن سعد لانه شاطر وأنت شاطر مثله وفي تلك الساعة حضر المقدم جمال الدين شيحة فاخبره السلطان بما جرى وسأله عن غيابه فقال يامالك الاسلام ان التوخميش الطيار شاطر وأنا اعرفه جيدا واسلامه صحيح ولكن كيف العمل فى بلاده

فقال التوخمش أنا بلادى لم يقدر ان يدوسها احد غيرى وكل من فيها من العساكر أنا احكمهم ان كنت مسلم او كافر وانا حزنى وفرحى سوى فقال الملك الظاهر لم يصح اسلامك عندى الا بعد ما تقطع تعلقاتك من بلاد الكفر فقال سمعا وطاعة أنا أسافر واجمع كل مالى واحضر به وأنا أعلم ان اهلى اذا علموا باسلامى فانهم يتبعونى وتبقى بلادى كلها اسلام قال الملك الذى تعرفه افعله فسافر التوخميش الى بلاده واعلم اهله بأنه أسلم ورغبهم فهداهم الله الى الاسلام ووكل وزيره على بلاده وأتى بماله وسلمه الى ابراهيم واما شيحة لما اتى سأله الملك على غيبته فحكى له وكان سبب غياب شيحة هذه الايام سبب عجيب وذلك ان الملك عرنوس كان يوما من الايام فى ديوانه قاعد فى حديث ولهو وطرب قال للمقدم اسماعيل ياعمى أنا مرادى اطلع اتسلى بالصيد والقنص قال المقدم اسماعيل افعل ماتريد فركب الملك عرنوس وركب معه واولاد ملوك البرتقان والمقدم اسماعيل وابنه جوينش والمقدم نصير واولاد الملك عرنوس وبعض الرجال حتى تكاملو خمسمائة خيال والكل فرسان أبطال وطلعوا الى الصيد والقنص وأقامو فى البرارى أيام قلايل وهم يصطادون من غزلان وارانب فبينما عرنوس يتصيد فوجد فى صيد البر غزالة منفردة بنفسها فصاح على جواده ذات النسور وطلبها فهمزت الغزالة قدامه وهو طاردها حتى غاب عن عيون أصحابه هذا والغزالة مطرودة قدامه وإذا بخيال اعترض ذلك الغزالة وضربها بسهم وقع فى جنبها نفذ من الجانب الآخر فوقعت الغزالة مقتولة فاراد الفارس الذى ضربها ان يأخذها فعارضه الملك عرنوس وقال يا فتى كيف يكون هذا صيدى وأنت تسبقنى اليه وتضربه بذلك السهم ترميه وتروم تأخذه وتحتقرنى بذلك الفعل الذميم فما هذا فعل رجل كريم قال الخيال بكلام رخيم يدل على تأنيث المتكلم يافتى الصيد صيدك وانا خدامك ومالك الا مايسرك وأنا أفديك بروحى من كل ما يضرك وترك الصيد فى الارض وقفز صار على ظهر حجرته وكان على وجهه برقع من الزرد

فتطوح البرقع عن وجهه وبان عن وجه كدائرة القمر وخدود كانهن الورد الاحمر وشفايف كالمرجان وأسنان كانهم اللؤلؤ المنظوم صنعة الحى القيوم قال الملك عرنوس يا فتى بحق الذى أنبع الماء من الحجر اعلمنى حقيقة الخبر انت أنثى أم ذكر قال له يافتى أنا سلمى بنت المقدم حسن بن حنتم سلطان البقاع الذى فاق بشجاعته على كل بطل وشجاع وأنت من تكون يا قرة العيون .

قال يا صاحبة الجمال المأنوس أنا اسمى الملك محمد سيف الدين عرنوس قالت له أهلا وسهلا ومرحبا بسلطاننا وابن سلطاننا يا سيدى إيش أتى بك إلى هذا المكان وأنت ملك وسلطان .

فقال لها أنا رجالى خلفى وكنت عامل حلقة صيد فى البر والسبب أنى طردت خلف هذه الغزالة وكانت لرؤيتك سبب .

فقالت له تفضل شرفنا فى قلعتنا حتى نقوم بضيافتك ونتشرف بخدمتك

فقال لها إذا أراد الله السميع العليم تكونى لى زوجة وأكون لك بعلا ويتصل الحسب والنسب وتكونى عندى فى أعلى الاماكن والرتب

فقالت سلمى والاسم الاعظم وأنا تعلقت بمحبتك وإن طلبت ذلك فما أكون إلا جاريتك وافترقوا وأخذت سلمى الغزالة وعادت لقلعتها بلا إطالة وعاد الملك عرنوس وفى قلبه من حب سلمى آثار إلى أن وصل إلى أصحابه وأمرهم بالعود إلى مدينة الرخام ولما اختلى بعمه المقدم إسماعيل أبى السباع حكى له على ما حصل بينه وبين سلمى بنت سلطان البقاع

فقال المقدم إسماعيل يا ابن أخى هذا المقدم حسن سلطان البقاع مقدام من بنى إسماعيل من أعلى بيت فينا وابن عمنا ولحمنا ودمنا وإن أردت زواج بنته فلم يتأخر وأحب ما عليه ذلك وانا اكون الخاطب ولا تلتزم ذلك الا منى انا

فقال عرنوس ياعم انا جعلت معتمدى على الله وعليك وقام الملك عرنوس احضر هدية سنية على قدر مقامه من خيل بعددها من الذهب وسيوف وأقمشة وعقود جواهر وكل شىء فاخر وكتب كتاب وأعطاه للمقدم إسماعيل أبو السباع فركب حجرته وأخذ معه بعض رفقائه وسار إلى حصن البقاع وأرسل أعلم المقدم حسن بقدومه فركب والتقاه وعقد له موكب فى دخوله وضرب له المدافع ونحر له النحائر وعمل له الضيافة ثلاثة أيام وبعد ذلك قدم إسماعيل الهدايا التى أتى بها من الملك عرنوس وأعلم المقدم حسن بخطبة بنته سلمى للملك عرنوس

فلما سمع المقدم حسن قال أهلا وسهلا ما أنا الا عبد الملك عرنوس وبنتى جارية تقشر البصل فى مطابخه وأنا رضيت أن يكون لبنتى بعلا وهى تكون له أهلا

فقالت الكواهى يا خوند اعلمها ربما تقول حتى اجربه ويأمرنى فى الميدان

فقال المقدم حسن يا رجال الملك عرنوس ليس هو من الذين يبارزوا النسوان هذا سلطان وابن سلطان وأبوه أسر مقادمنا وذلت له أجدادنا والاسد لا يخافه الا أسدا مثله ولكن أنا أطلع واعلم بنتى بذلك وطلع لها وأعلمها فقالت حبا وكرامة فنزل وأعلم المقدم اسماعيل برضا بنته بالزواج وانتهى الأمر ولم يبق احتياج فركب المقدم اسماعيل وأتى الى مدينة الرخام وأعلم الملك عرنوس بما جرى من الاحكام ففرح الملك عرنوس وكتب كتاب وأعطاه لنجاب يعلم الملك الظاهر ويعلم المقدم جمال الدين شيحة وكتب كتاب الى الملك مسعود بك ببرصة وكتب الى عماد الدين عاقم عصمن صهيون والمقدم على شفطور وكتب الى مقادم بنى اسماعيل فردا كل قلعة بكتاب مخصوص بنائب فأول من حضر السلطان وركب الملك عرنوس الى ملتقاه وترجل من على جواده عند ملتقاه وقبل ركاب السلطان فانحنى عليه السلطان وقبله فى وجهه وأمره بالركوب فركب وأخذه بجانبه وساروا لمدينة الرخام وضربت المدافع وجلس الملك فى أعلى مكان وكتابعت بعده مقادم الحصون مقادم وأقبل مسعود بك وكل منهم أتى بالهدايا على قدر مقامه

ولما كملت المدعوون فى مدينة الرخام كتب الملك عرنوس كتاب الى المقدم حسن سلطان البقاع يأمره بالحضور هو ومن يتبعه من رجاله وكواخيه وأبطاله وكان النجاب المقدم سعد بن دبل وحضر سلطان البقاع وشرعوا فى الولايم والافراح مدة سبعة أيام

قال السلطان للملك عرنوس يا ولدى ما تزف زوجتك وتدخل عليها

قال عرنوس حتى يحضر المقدم جمال الدين شيحة

فما تم كلامه حتى أقبلت طبول المقدم شيحة جمال الدين وكواخيه وأتباعه وصفت المنصة وجلوا العروسة فكل من الحاضرين نقط الا شيحة فانه لم يلتفت

قال الملك يا شيحة لم يبق أحد بلا نقوط غيرك

قال شيحه أنا أنقط العروسة وحدها قدام العريس بعلها

قال عرنوس ياعم لابد لذلك من دليل قم قدامى وافعل ماتريد فما أنا ممن يتزاول منك فأنا ابن أخيك وعروس نعمتك

فقام شيحة ودخل فوقفت سلمى اجلالا لقدره وقبلت يده .

قال شيحة يا سلمى اعلمى أن زوجك هذا هو ابن معروف سلطان الحصون والقلاع وأنت أبوك سلطان البقاع فاذا جاءكى ولد يبقى من فخذين السلطنة بين الحصون والقلاع وسلطنة البقاع وله أن يجادل ويطلب مراتب أجداده وأنا أخاف على أولادى منه واذا وقعت الفتنة بين أولادى وابنك وأولاد الملك هرنوس قطعوا بعضهم بعض وهم أوتاد الاسلام فى هذه الارض وأنا أريد منك أن تحلفى لى قدام الملك هرنوس زوجك اذا رزقك الله بولد لم تخليه يقارعى أولادى ولا يعاوضهم فى سلطنة القلاع والحصون

فقالت سلمى والاسم الاعظم الاكرم الامجد أن يرزقنى الله تعالى من الملك هرنوس بولد وأراد أن يعاوض أولادك فى سلطنة القلاع والحصون فانى ارده غاية جهدى وطاقتى ولا أمكنه من ذلك الا اذا كان غصبا من ارادتى وحلفت له على ذلك فأعطاها المقدم جمال الدين عقد خمسين فص من الجوهر كل فص يساوى ألف دينار

وخرج من عندها بعدما قبلت العقد منه وباست يده وأما الملك هرنوس بعد خروج المقدم جمال الدين أمسك سلمى زال بكارتها وتملى بحسنها وبهجتها فوجدها دارة لم تثقب ومطية لم تركب

تم الجزء التاسع والثلاثون ويليه الجزء الاربعون

من سـيرة الظاهر بيبرس

الجزء الأربعون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فبات عندها إلى وقت السحر وطلع وبعد طلوع الملك عرنوس وقع الصياح فى السراية فسال عرنوس عن الخبر قالوا له ان العروسة عدمت وهذه تذكرة رأيناها على الفرش فى محلها فاخذ التذكرة شيحة وقرأها يجد فيها أنا الذى أخذت البنت ومضيت بها إلى قلعة الدموية وأنا المقدم دم بن شر الحصون والذى يريد تخليصها منى فقلعتى تبتى الخيل والمشاة قال شيحة آه يا كافر يا ابن الكافر ولكن ان أراد الله سلختك وجعلت جلدك معلق على باب قلعتك وقال يا ملك الاسلام هات العساكر والحقنى وأنا سابقك على قلعة الدموية ثم ان المقدم جمال الدين سار طالب دم بن شر الحصون وكذلك الملك امر العساكر ان ياخذوا اهبتهم للسفر هذا ما جرى واما ما كان من امر المقدم دم بن شر الحصون فانه كان اقبل من الحج يروم ان يطالب شيحة بالسلطنة مثل غيره من الرجال فبلغه ان الفداوية والملك وشيحة عند عرنوس قال لا بد لى ان اعطل عليهم واسرق عروستهم وإذا جاءونى فى طلبها اقبض على الرجال ولم اطلقهم حتى يرضوا أن أكون عليهم سلطان والذى يعصى على أقتله وصبر إلى الليل ودخل واختلط بالرجال حتى تمكن من السراية وأندك على البنت فسرقها ووضع التذكرة مكانها ولما خلص بها سار إلى قلعته وفى الطريق فيقها وقال لها انا اخذتك اتزوج بك وتكونى لى زوجة فقالت له يا قرن انا لم ارضاك ان تكون عندى من جملة الخدامين فكيف اجعلك لى بعلا وقرين فاستفق يا قرن واعلم ان خلفى الملك عرنوس وشيحة جمال الدين وابطال بنى اسماعيل يا توك اجمعين ويخربوا قلعتك ويعدمونك مهجتك فقال لها والاسم الاعظم لم اقربك حتى اقبض على جميع الذى قلت عنهم واذبحهم بين يديك وبعدها احشكك حتى تعلمى يا قحبة انى انا قادر على كل من عادانى ثم انه ادخلها عند والدته وتركها ونزل يدور على شيحة حتى يشق قلبه بقتله وكان المقدم جمال الدين تزيا فى صفة حدارة التقى معه قدام القلعة فقال له يا شيخ يا حدار

هل عندك مسك يصلح للعرايس فقال معى ياخوند وطلع له علبة ملآنة مسك اذفر فشمها المقدم دم فعطس لانه كان عمل بضد البنج فلم من عطسته ان هذا المسك مبنج وهذا شيحة لامحالة فقبض على شيحة وقال له ياقرن أنت تظن ان حيلك تدخل على مثلى بالاسم الاعظم ماأنت شيحة فقال أنا فاخذه وطلع به الى القلعة بعدما كتفه ووضعه فى السجن وأراداه يركب فاقبل الملك الظاهر بعسكر الاسلام وعلى رأسه بيرق الظلال بالغمام فلما رأى المقدم دم ابن شمر الحصون ذلك الحال علم ان لابد له من القتال ففتح باب القلعة ليلا ونزل على عرضى السلطان فانتبهوا الغفرة وماج العرضى فدخل فى الامراء وجرح الامير سنقر ويشتك وعرقب حجرة المقدم جبل بن رأس الشيخ مشهد ودخل قلعته وبات عرضى السلطان يخبط فى بعضه الى ان طلع النهار برز المقدم دم الى الميدان وطلب الحرب والطعان فبرز له ايدمر البهلوان وتقاتل معه ساعة زمانية أخذه أسيرا وبعده أخذ خمس امراء وثالث يوم حارب بنواسماعيل خرج المقدم حسن النسر ابن عجبور فى القتال وصدمه وبعده منصور العقاب فقاتله الى آخر النهار وانفصلوا عن القتال فتضايق السلطان فقال له المقدم ابراهيم ياملك الاسلام لايضيق صدرك أنا فى غداة غدا ابرز للميدان واقبض لك على هذا الجبار فقال السلطان انت ياابراهيم مهمل فلو كنت نزلت فى الاول لما أسر هذا الكلب احدا فقال ابراهيم يادولتلى كان الذى كان وفى غد يكون مايقضيه الملك الديان هذا ماجرى هنا واما دم بن شمر دخل على زوجته وكان اسمها البطرة فقالت له ياخوند ايش الذى سكتك عن هؤلاء الاعداء انا مرادى ان تجعل الحرب عليك يوم ويوم على أنا حتى لاتتعب نفسك فقال لها يابطرة ليش انا تعست من حربهم انا اقدر على قتالهم السنة الكاملة واكثر ولا أعود حتى آخذ منهم سلطنة القلاع والحصون واجعل تخت حصن صهيون فقالت له اجل الجربان يساعدك ويهلك ضدك وحاسدك حاربهم ولاتحمل همهم وان تعبت انا أقاتل معك واجعل روحى فداك

قال لها اسم الله عليك ياقرة العيون ثم انه ضمها الى صدره وعانقها فشم رائحة أعطافها فانرم وانقلب فعند ذلك أوثقته كتاف وقوت منه السواعد والاطراف وكان هذا المقدم محمد السابق ابن شيحة وبعدما كتفه نزل الى أبيه المقدم جمال الدين شيحة اطلقه من السجن ليلا ونزل على البوابين ذبح كل من التقاه نائم او قاعد يبنجه ويذبحه حتى افنى الجميع وفتح باب القلعة وأرسل السابق اعلم السلطان فركب وركبت عساكره وكبسوا القلعة ودوروا السيف فى كل من رأوه فى وجوههم فلم يطلع النهار الا وأهل القلعة البعض

قتيل والبعض جريح والذى سلم طلب الامان فامر السلطان برفع السيف وشيحة أحضر المقدم دم بن شر الحصون وأوقفه قدام السلطان وركب شيحة على أكتافه وسلخه وبعد ذلك ملا جلده ساس وعلقه على باب القلعة وأما الملك عرنوس فانه دخل على المقدمة سلمى بنت حسن سلطان البقاع ويروح بها حامله منه وتأتى بولد يقال له المقدم معروف أبو طير له كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبى يصلى عليه

[قال الراوى] وأما الملك الظاهر فانه سافر الى مصر وأقام يتعاطى الاحكام بالعدل والانصاف كأمر النبى جد الاشراف الى يوم من الايام الملك جالس واذا بباب الديوان انسد ودخل الوزير تقطمر أخو السلطان يخبر بفقد زوجته الملكة مريم الحقى بنت الملك عرنوس فانغاظ السلطان غيظا شديدا ودق بيده على صدره وقال ما هذه الا عجيبة زائدة

[قال الراوى] وكان السبب انجوان لما كان سابقا اخذ الملكة مريم الحقى من حصنها ودخل بها الى بلاد النصارى فدخل بها مدينة دردنة وأعطاها لملكها البب دردنيش واعلمه ان هذا ابن بنت عرنوس وأتيت به اليك فانك اذا ربيته يطلع شجاع ويحمى بلادك من ملك المسلمين ويبقى قدرك عالى به على جميع الملوك لان الفارس الشجاع يحمى بلاده من كل من فى الدنيا فاخذه منه واحضر له مرضعة من اسراء المسلمين وتبته على ثديها ولما خرج من الرضاع احضر له أرباب الكتب علموه الانجيل فى مدة أيام حتى بقى عمره عشر سنين فطلع متولع بركوب الخيل وهو يعلم على ظهورها الكر والفر وصار اسمه عز النصرانية وهابوه أرباب الدولة لاجل شجاعته وقوته وبراعته حتى صار عمره أربعة عشر سنة فصار يتولع بالصيد والقنص ويهجم على الغابات والدحلات ويعاقر السباع الضاريات ويقبضهم قهرا ودام هذا حاله والبب دردنيش يتعجب من فعاله كلما سمع باحواله فاتفق أنه كان يوما فى الصيد والقنص فلاح له خشف غزال فاطلق خلفه وطرده فدخل فى ارض بعيدة وبالاتفاق ان ملك تلك الارض كان له ولد يصطاد فالتقى بعز النصرانية وقال له لاى شىء تأتى الارضنا وتصطاد منها فتقاتل معه فسطا عليه عز النصرانية وطبق عليه وقبض على حناقه كاد أن يطير احداقه وقال له وحق المسيح لولا أنك ولد صغير لقتلتك ولكن عد من قدامى بالخيبة ولا تجعل لك على الناس هيبة فقام الغلام كان اسمه ارمويل وعاد من البر ودخل على أبيه وكانت مدينته قريبة تسمى مدينة الزغاورة وملكها يقال له البب زغريل فلما دخل عليه ولده وأخبره بما فعل معه عز النصرانية فانغاظ وقال اكون

أنا البب زغوبل ويسمى على ولدى ذلك الكاب عز النصرانية ثم انه حلف لا يقعد عن
ثأر ولده إلا إذا قتل عز النصرانية قدام البب دردنيش وان تكلم البب دردنيش أو
مانع عنه قتله معه وأهلك كل من يتبعه وأمر عساكره بالرحيل وشال بعساكره حط
على مدينة دردنة فعلم به البب دردنيش فارسل يقول له إيش الذى أوجب ركوبك
وقدومك إلى ذلك المكان وتريد القتال فارسل له يقول اما أن ترسل لى عز النصرانية
مكتف وإلا أحاربك وآخذ مملكتك منك فجمع أرباب دولته وشاورهم فيما يفعل
فقالوا له يا بب سلمه اليه وريحنا من شره فقال لهم لم يهن على أن أسلمه اليه أبدا وإنما
ان كان يرتضى بالصلح ادفع له خزنة مال كلفة ركبته وامنع الحرب من بيننا وكتب
له كتابا بذلك فلما وصل الكتاب إلى البب زغوبل قطعه وقال هذا مجنون ورد معه
على النجاب يقول ارسل لى ولدك عز النصرانية أجعله قربان وإلا دونك والحرب
والميدان فبكى دردنيش وتحير وفى تلك الساعة دخل عليه عز النصرانية وسأل عن بكاه
فاعلمه بالقضية فقال له يا أبى أنا أنزل له الميدان وأكسيه من دمه خلعة مثل الارجوان
وأهلك بلاده وأهلك عسكره وأجناده وقام عز النصرانية وأمر العساكر بالخروج
إلى بر البلد واصطفت الصفوف وبرز عز النصرانية إلى الميدان وصال وجال ونادى
وقال يا بب عز النصرانية الذى تريد تأخذنى وتجعلنى قربان دونك خذنى بالسيف من
الميدان ان كنت من الفرسان فسارت تخرج اليه البطارقة واحدا بعد واحد وهو يقتل
ويأسر منهم فتضايق زغوبل وبرز إلى الميدان ولطم عز النصرانية فالتقاه بقلب مثل
الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرايقه
وطبق على خناقه كاد أن يطير أحداقه وجذبه أخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا فلما رأت
عساكره ذلك الحال حملوا على عز النصرانية من غير أمة بطال فسلم الأسير لأبيه دردنيش
وحمل على الأعداء بالحسام وأذاقهم العذاب والالام وأبرى الرءوس كبرى الأقلام وشتتهم
فى البرارى والاكام وعاد بعد كسرتهم إلى أبيه وطلب منه زغوبل فاحضره اليه فلما حضر قال
له عز النصرانية يا بب زغوبل إيش الذى أوحاك على قتالنا مع انى لما قبضت على ولدك لم
أقتله حتى انك تطلب من أبى ثاره وأنت جارنا وأنا صبرت عليك فى هذه النوبة فان كنت
تريد اطلاقك فاجعل عليك الخراج كل عام خزنة وان أبيت ذلك قتلتك فلما سمع زغوبل هذا
الكلام علم انه بطل همام وامتثل لدفع الجزية وعدم الخصام فاطلقه وقام وتصالح مع
البب دردنيش تصادقوا على الصلح والوفا وترك الخصام والجفا وعاد زغوبل إلى بلاده
وفى تلك الايام قدم الملعون جوان وصحبته البرتقش الخوان فالتقاه البب دردنيش

وسلم عليه وأجلسه إلى جانبه ونظر جوان إلى عز النصرانية فتعجب من صورته وقال لبرتقش يا سيف الروم ان هذا الغلام يشابه الملك الظاهر فى رؤيته ثم التفت إلى البب دردنيش وقال له ان الولد الرضيع الذى كنت آتيك به من زمان قال له يا أبانا هذا مات من ايام اتيتنى به وأنا فى هذه الأيام رزقنى المسيح بهذا الولد عز النصرانية وهاهو صار كبيرا وأنا مرادى أجوزه فلما آتيت انت أشر على تأتى له ببنت من بنات الملوك قال جوان ان سمعت شورتى لا تزوجه إلا مريم الحقى بنت هرنوش قال له يجوز يا جوان ذلك قال جوان يجوز قال البب ومن الذى يجيب لنا مريم الحقى بنت عرنوس قام اليه فداوى نصرانى يقال له المقدم طرقة وقال يا بب أنا أجيب لك بنت الديابرو عرنوس مريم الحقى قال ان جئت بها جعلتك ساعى ركابى وتبقى عندى اعز احبابى قال سمعا وطاعة ونزل المقدم طرقة وسافر إلى مصر واقام بها ايام حتى عرف بيت الوزير تقطمر وصار يتردد حتى نظر الملكة مريم خرجت من بيت بعلها إلى سراية السلطان وعرفها حق المعرفة وصبر حتى عادت كان الملعون اندغر على البواب بنجه ولبس ثيابه وجلس مكانه حتى علم ان البيت لم يبق فيه احد يقظان وطلع إلى سراية الملكة مريم وتجسس بعياقته حتى عرف نامو سيتها ورمى عليها البنج بنجها ولفها واخذها ونزل بها فتح الباب وطلع بها ليلا وكان متعهد المسالك التى يسلك منها ونفذ بها وسافر حتى وصل إلى مدينة دردنة وهو كل يوم يفيقها ويطعمها ويسقيها حتى وصلها قدام البب دردنيش فلما رآها احضر عز النصرانية وقال له يا فليون هذه البنت اتيت لك بها من بلاد المسلمين كما امرنى جوان ففرح عز النصرانية واخذها ودخل بها سرايته قالت له إيش قصدك يا ملعون ان تفعل بى قال لها ابى اتى بك لى اعملك جناقة ولكن انا نفسى لم تقبل ذلك الكجية ولكن لم اعلم ايش الذى امنعنى عنك قالت له يا ملعون انا ورايا ابطال الاسلام الضاربين بالحسام فخذ حذرك منهم لأنك ان وقعت فى ايديهم اهلكوك وعلى الهالك يجازوك فقال عز النصرانية وحق رب المسيح لم اتركك تطلعى من سرايتى الاان كنت احارب المسلمين واهلكهم اجمعين ثم انه وضعها فى سرايته ورتب لها كل ما تحتاج اليه ولكن الملكة مريم تولعت بمحبته فصارت دايما تطلبه عندها وتؤانسه بالكلام وقدمنا ان الملكة مريم تربت فى بلاد الروم وتعرف لسانهم فصارت تحدث عز النصرانية بلسان الافرنك قال لها انت مسلمة وكيف عرفتى لسان الافرنك فاعلمته بتاصيلتها وزواجها بالوزير تقطمر وبكت قال لها ولأى شيء تبكى قالت له واول ما خلفت ولدا سرقه منى الملعون جوان ولم اعلم له مكان قال لها عز النصرانية وانا لم اعلم لى ام الا ابى البب دردنيش

يقول لى كان لى أم وماتت وأما الجوار التى ارضعتنى يلدن انه ليس لى أم أبدا قالت الملكة مريم فى نفسها لاشك أن هذا ولدى وقطعة من كبدى وهو الذى كان انسرق منى أسال الله العظيم أن يكون نظرى صحيح ويهدى الله تعالى قلبه إلى دين الاسلام والمغ بهارب وأنال مطالبى ويجمع الله شملنا باهلنا واحبابنا انه على كل شىء قدير وأقامت الملكة مريم يقع لها كلام هذا ما جرى وأما الملك الظاهر لما علم بفقد زوجة اخيه فما هان عليه ذلك فامر الفداوية أن يحضروا فى بلاد الكفار ويدوروا على الملكة مريم الحقى ليلا ونهارا وبالجلة أمرهم أن يكون الاجتماع فى القسطنطينية فغابوا سنة كاملة فلم يعلموا لها خبر فاجتمعوا فى القسطنطينية وانتظروا المقدم سعد فلم يحضر فاقاموا شهرا كاملا فلم يحضر فرجع الملك إلى مصر والرجال الى اما كنهم وأما المقدم سعد فان الايام أرمته على تلك المدينة ودخل يستنشق الاخبار فسمع العايق الذى سرقها وهو يفتخر على الخمارة بما فعل فرصده حتى دخل الى بيته واندك عليه قتله بعد ما أعرض عليه الاسلام ولبس ملبوسه وطلع الديوان وصار يجلس مكان ويدعى انه عيان من لسانه حتى لا احد يعرف كلامه فنظر اليه الملك عز النصرانية فانكر حاله وصار براوغه ويتامل فيه وقد اشتغل مهجته وقال له ياطرفة تعال عندى اداويك وإن كان لك ضايع فانا أرده عليك فقال سعد فى نفسه لعل الله وصبر إلى آخر النهار واخذه معه وسار به إلى بيته ولما اختلى به قال له ياغندار دينك ما أنت مسلم وأتيت من بلاد المسلمين لاجل حاجة عرضت لك فى بلادنا اصدق فى الكلام فقال المقدم سعد نعم ولى حاجة ضايعة هنا وهى سبب مجئى لهذه البلاد فقال له وحاجتك مريم الحقى قال نعم قال له عندى وأنا حميتها وهى حبتى ثم معى وأنا اجمعك عليها فقام سعد معه وهو يقول ياحليم ياستار حتى ادخله من باب السراية وصرف الجوار والخدم وطلب الملكة مريم فلما حضرت بين يديه قال تعرفى هذا المسلم فقالت له من أنت قال لها أنا المقدم سعد بن دبل فقالت له اهلا وسهلا وأنت جيت وحدك قال يا ملكة كل ابطال الاسلام طلعوا يدوروا عليكى وأنا بالجلة ولما سمعت انك فى هذه المدينة فما قدرت أن أعود حتى احقق خبرك قالت له بالعربى عند الملك واهله انى فى هذا المكان قال سمعا وطاعة ولكن كيف الخلاص من يد هذا الب عز النصرانيه وقالت له مريم ياب اتركه يسافر إلى بلاد المسلمين وياتينى بزوجى وتقاتله فان أنت قتلته تصير حليلتك بعد موته قال عز النصرانية وحق المسيح لو اجتمعت المسلمون على أخذك لم اسلمك لهم وفى جارحة تخفق وأنا قصدى قتال المسلمين وهذا المسلم قد شافك فهو يسير ملك المسلمين يعلمه بل واعنى ما فى خيله

يركب واحمض مافى طعامه يشرب فقالت له اعطيه شيء يستعين به على السفر فاعطى له الف دينار وحصان يركبه قال المقدم سعد أنا لم أرد حصان ولا مال وإنما يا بب اريد شيئا قليلا من الطعام أتعاون به على قطع الطريق والسلام قال عز النصرانية لوهبت ولم يرجع لى شيء فقال سعد قبلت ولكن خلى عندك الحصان لما أعود وأخذ الالف دينار من المقدم سعد واعطى ساقيه للريح وطلب البر الفسيح ونظر عز النصرانية إلى جريان سعد فى البر فقال لمريم المسلمون يجروا مثل هذا فقالت له وفيهم من يسبقه فقال لها لاشك انهم ابطال لكن ما يعرفوش يركبوا الخيل فقالت له وغالبهم خياله ولهم على القتال إمقدرة وصولة هذا ما جرى | ياسادة] واما المقدم سعد فانه سار فى شدة جريانه أيام ثلاثة حتى وصل الى مصر السلطان جالس وسعد طالع يقبل الارض قال الملك أين كنت فى هذه الغيبة قال ياملك الاسلام كنت عند الملكة مريم الحقى وأتيت باخبارها وهى عند البب عز النصرانية بن البب دردنيش صاحب مدينة دردنة فى أقصى بلاد الروم وأمرتنى أن احضر اليك وأعلمك حتى تسعى فى خلاصها لانى أنا وحدى لم لى قدرة على ذلك وإنما أدلكم على الطريق فعند ذلك إامر السلطان من ساعته باحضار محمد السعيد وأجلسه على تخت قلعة الجبل وبرز العساكر وسار وجعل سعد دليله فى البرارى والقفار وسار يقطع السهولة والاوعار له كلام

| قال الراوى | وأما ماكان من عز النصرانية فانه من بعد ما سار المقدم سعد من مدة أقام وهو منتظر قدوم الاسلام وإذا بضجة وقعت سأل عن الخبر فقيل له أقبل عالم ملة الروم البركة جوان فالتفت عز النصرانية للبب دردنيش وقال له ياأبى يعنى جوان هذا نفعه ايش فى بلاد النصارى قال ياولدى هذا عالم إملة الروم وله صولة ومرتبة عالية عندنا لانه يعلمنا عما قال المسيح ويقول انه خليفته على طائفة النصارى فقال عز النصرانية أنا أقول انه رجل كذاب وأقل ماعنده من الكذب والنفاق انك لما اعلمته انك مرادك تزوجنى العادة كان يأمرك أن تخطب لى بنت بب من البيات أو بنت قرن من القرانات وتكون مثل صغيرة وهذا امرك ان تأتينى بهذه المسألة لاجل الفتنة بيننا وبين ملك المسلمين بسببها فهذا يدل على انه قصده لنا الا الحرب والقتال والحزن من النساء على هلاك الرجال وثانيا هذه الحرمة التى اتتنى لا تصلح لى ولا أصلح لها فانى انا ولد صغير وهى كبيرة فمن اين اعلم انه مصلح فان هذا فعل اهل الفساد فقال له البب دردنيش اصبر يا ولدى لما نسأله لاى شيء فعل هذه الفعال

[قال الراوى | ولما حضر جوان قام له البب وعز النصرانية لم يرض يقوم فقال البرنقش قم ياعز النصرانية واستقبل عالم الملة فقال انا غضبان منه لكون انه اتانى بدامرية مسلمة

لاتصلح لى ولااصلح وهذادليل على انه طالب انكادي وليش هو طالب فرحي واسعادي فتعجب البرتقش والتفت الى جوان وقال له انظر هذا الغلام ان صدقني حذري ما هذا الا ابن الوزير تقطمر اخو السلطان ومريم الحمقى امه وانت كنت السبب فى اجتماعهم طاوعنى خليني اجيب لك الحارة واطلع من هذه البلد من قبل ما يأتيك صاحب السوط الغضبان وتاخذ منه العادة يا جوان فقال جوان اصبر يا برتقش حتى ترى ماافعل فما تم كلامه الا والغبار من البر ضبر وعلا الى الصفا وتكدر واقبل الملك الظاهر وقدامه بيرق المظال بالغمام وخلفه ابطال الاسلام فلما نظر جوان الى ذلك الحال التفت إلى عز النصرانية وقال له ياولدى اعلم ان ملك المسلمين اقبل اليك يريد ان يخلص البنت من يديك وينقص مقامك عند الملوك وتبقى بين البيات والقرانات مثل صعلوك وانا مرادى منك أن تركب وتنزل إلى الميدان وتضرب فيهم بالسيف اليمانى حتى يعلو قدرك عند أبناء الكرستيان قال له عز النصرانية ياجوان قبل كل شيء نكاتبهم ونسالهم على أى شيء أتوا الينا فان كانوا طالبين الحرب حاربناهم وان كانوا طالبين المحاكمة حاكمناهم قال البرتقش صدقت يا ب عز النصرانية هكذا يكون شرط الملوك [ياسادة] واما ملك الاسلام فانه نصب خيامه واركز اعلامه وكتب كتاب واعطاه المقدم ابراهيم فسار به إلى ان دخل المدينة ووصل إلى الديوان ونادى قاصد ورسول وبجاب وحامل كتاب فقال عز النصرانية هات كتابك وخذ رد جوابك فقال له السلطان قم على حيلك خذ كتاب السلطان بادب واقراه واعطينى رد الجواب وحق الطريق بادب واحذر تعمل قلة ادب لان السلطان كتبه فى ساعة غضب وربما يكون كتب له شتمة ولعنة او كلام يغير خاطرك ويدخل معك الشيطان تقوم تشرمط الكتاب والاسم الاعظم اقطع راسك ولو يكون طوالك جميع النصارى واليهود والزنج وجميع الجنود قليون فى شاكريتى واما ابراهيم بن حسن فقال عز النصرانية انا ياغندار لم اشرمط الكتاب لان الشطارة لا تكون إلا فى الحرب والقتال واما الذى يتشطر على الورق فهو بطال فعندها ناوله ابراهيم الكتاب ففتحه وقراه يلتقى من حضرة ملك الاسلام الى اعادى البب دردبيش الملك تعديت على بلاد الاسلام وسرقت بنت الملك عرنوس وانا ارسلت اكشف اخبارها حتى ظهرت عندك فركبت بهذه العساكر الاسلامية واتيت اليك اجازيك على افعالك الردية فان اردت السلامة من الندامة تنزل الملكة مريم فى تخت وتقبض على الذى سرقها واتى بها اليك حتى اعاقبه جزاء مافعل وتاتى عندى معلق سيفك فى رقبتك احاسبك على كلفة الركبة رابايعك وتبقى بالمال واكتب عليك الجزية توردها فى كل عام وتقبض على

جران وتحضره معك فى الحديد فان فعلت ذلك نجوت وإن خالفت ترى ما يجرى عليك من سلب نعمتك وخراب مملكتك وحامل الاحرف كفايه لامثالك والسيف اصدق حاكم والسلام

[قال الراوى] فلما عز النصرانية الكتاب عاده على البب دردنيش وقال له الحق مع المسلمين لاننا أخذنا جريمهم من غير ذنب بدا لنا منهم ولكن لم يبق لنا الا القتال فقال البب يا ابنى القتال على دين المسيح رد الجواب بالحرب فكتب رد الجواب يقول ليس عندى الا حرب يهد الجبال وطعن يورث البلاء والنكال وأول الحرب بينى وبينك باكر النهار وشكر يارب المسيح وأعطى إلى إبراهيم الكتاب ورد الجواب فقراه الملك وأمر بدق طبل حربى وبات إلى ثانى الايام فانفتحت المدينة وخرجت النصارى فبرز أول بطريق وبرز اليه ايدمر البهلوان قتله وثانى وثالث إلى آخر النهار قتل ثلاثين وأسر عشرين واليوم الثانى نزل المقدم حسن النسر بن مجبور فعل فعال الشجعان وهدل الميدان واهلك خلق كثير من عباد الصلبان فاتغاظ عز النصرانية وقاتله إلى آخر النهار وانفصلوا على سلامة وثانى الايام نزل عز النصرانية أسر خمسة من الامارة اولهم ايدمر وآخرهم الخطيرى وثالث يوم خرج حسن النسر وأسر سيف السباع ودام الحرب كذلك والغلام عز النصرانية يقاتل مدة خمسة ايام قال السلطان ليس أحد ينزل الميدان بكرة حتى انزل أنا إلى الميدان واقتل هذا الغلام ومن يتبعه من الكفرة اللئام هذا ما جرى هنا وأما البب دردنيش فانه قال لعز النصرانية أنا خايف ياولدى عليك ومرادى بكره انزل أنا إلى الميدان وافصل هذا الامر وها أنا طالب ملك المسلمين فان نزل قدامى قتلته فقال عز النصرانية افعل ما تريد وقام عز النصرانية مغموم ودخل على الملكة مريم وقال لها المسلمون من اجلك اجلك جاؤا يحاربونا قالت له حاربهم حتى اتى أنا ملكك فقال البب دردنيش امرنى بعدم الحرب حتى يحارب وهو ملكهم وبات عندها وهو يسألها عن حسبها وهى تحكى له ويتلذذ من مقالها وعند الصباح برز البب دردنيش ونادى وقال يا ملك المسلمين ايش اخر قتال العساكر مع العساكر ها أنا ملك المدينة وأنت ملك المسلمين انزل إلى الميدان يا اما تقتلنى يا أنا اقتلك والا تاسرنى واسرك وبذلك ينقطع الطمع من بيننا وكل من آخذ خصمه يبقى يتصرف فيه كيف يشاء فما تم كلامه حتى نقر المقدم إبراهيم بن حسن اليه وقال له ياكلب هى رجالنا قليلة حتى يبرز اليك السلطان وما عليه وضايقه ولاصقه وقبض على خناقه وصاح عليه ارعبه وهز اقتلعه من سرجه وسلمه الى على بن الشياح

وطلب البراز فبرز جوان الشنايبر خلف الكفار وتلقاه ابراهيم بن حسن سبع حوران وضرب فيهم بالسيف اليمانى وتبعه أبطال الاسلام وعمل الرمح والحسام حتى أقبل الظلام وانفصلوا وبطل الحسام وعاد المقدم ابراهيم وصاح المقدم على الشباح وطلب منه البب دردنيش فقدمه بين يديه مكتف وأوقفه قدام السلطان فقال له السلطان يا ملعون لأى شيء فعلت هذه الأفعال وأخذت الملكة مريم حريم أخى أما علمت انك أوقعت نفسك فى الهلاك فقال يا ملك المسلمين أنا ما كنت أعرف مريم الحقى ولا المسلمين وإنما جوان هو الذى أغرى عز النصرانية على هذه الفعال وبسبب ذلك وقع الحرب والقتال فقال له الملك وهذا عز النصرانية إيش يكون لك قال هذا ابنى فقال السلطان كذبت يا ملعون اصدقنى بالصحيح فان أفعاله ليست أفعال كفار ولا ينسب لعبادين الصليب وشدادين الزنار ان لم تصدق فى قولك وإلا ضربت رقبتك وصاح على الخدام وقال لهم خذوه فاخذه ابراهيم وسجنه ووكل عليه المقدم سعدو بات الملك إلى نصف الليل فاتى سعد إلى ابراهيم وقال له ان البب دردنيش أفاق من نومه وهو على دين الاسلام فدخل ابراهيم اليه فرآه وهو باكى العين يتأسف على عيشته فى الكفر الأيام الماضية فسأله المقدم ابراهيم عن حاله فقال له اعلم ان فى هذه الليلة أتانى رجل اختيار وقال لى يا دردنيش أنت من المسلمين اخرج من ملة الكفر إلى دين الاسلام واعلم ان هذه الملكة مريم بنت ابنى وأنا جدها وهذا الغلام الذى تربى عندى فهو ولدها وأنا المقدم معروف بن جمر شهيد باب انطاكية على حلب فاترك هذا الشقاء وارجع لمن له الدوام والبقاء فقلت له وكيف أفعل حتى أبقى من المسلمين فقال لى قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فاسلمت كما ترانى وهذه حكايتى والله أعلم بذنبى قال ها ابراهيم يامعلم هذا الذى رأيته فى المنام هو خالى بلا كلام ثم انه أطلقه وأخذه ودخل به على السلطان وأعلمه بما جرى وكان فصح اسلامه لما سمع كلامه قال له السلطان قبل كل شيء هات مريم الحقى قال يا ملك هذه مريم لها ولد وهو عز النصرانية كما أعلمنى جده الذى ربيته وهو الآن مقيم معها قال السلطان أحضرهم الاثنين فعند ذلك سار دردنيش إلى ديوانه وصار يجمع رجاله وفرسانه الذين هربوا من القتل ولما صاروا مجموعين قال لهم اعلموا يا أبانا الكرستيان انى أنا اطلعت على دين الاسلام علمت انه صحيح وأما النصارى فانهم باطلة فاتبعت دين الاسلام وقد علمت انه حق فمن أراد منكم أن يقيم معى فى بلادى ويدخل فى دين الاسلام كما علمت أنا فمرحبا به أهلا وسهلا ومن أراد منكم أن يبقى فى ملة الكفر فليأخذ ماله وعياله ويطلع من بلادى بأمان من غير حرب

ولا طعام فانا لم أغصبكم على الاسلام بل أنتم وشأنكم اخبر فتشاوروا انفسكم والذى ترضوه افعلوه قالوا له يا بب احنا معك وإن كنت اسلمت نتبعك فنادام وقالوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واسلموا جميعا ودخلوا تحت طاعته فامنهم فى أوطانهم وضربت المدافع شنك ومهرجان وفرح السلطان واسلم عز النصرانية وعلم أن مريم الحنق امه والوزير تقطمر أبوه ففرح ذلك واجتمع تقطمر ولده وزوجته قال السلطان لمريم ايش كان اسم ولدك فى الأول قالت اسمه احمد قال الملك احمد العزيز وحضر المقدم جمال الدين وطاهره وحلف الملك دردنيش على السلطان أن يقيم عنده مدة سبعة أيام ضيافة وأما جوان خاف على نفسه وهرب والبرتقش معه ودخل إلى وادى الدخان وبه الملك اسمه خذاعة المجنون فلما أقبل جوان عليه بكى بين يديه وحكى له على ما فعل دردنيش كيف انه اسلم هو وقومه وقال له أنا أجيب لك عز النصرانية وسار من وادى الدخان حتى وصل إلى عرضى السلطان التصق مع أحمد العزيز واحد لم يعرفه بل يظن انه من جماعة السلطان وجماعة السلطان يظنون جماعته حتى احتل به وبنجه وأخذه وفات به إلى جبل الدخان وعرضه على جوان فقال له جوان ترجع للمسلمين يا كناس بعد ما تبعت دين المسيح أنا الذى سرقتك فى الأول وتربيت عند النصارى تعود للمسلمين ولم يكفيك حتى أخذت معك الذى رباك فقال له أحمد العزيز يا ملعون إذا كان أهلى ملوك الاسلام كيف لم اقعد عندهم وأقيم على دينهم فقال جوان ودينى ما بقيت تنظرهم ولا ينظروك وأدخله فى دير الدخان وصلبه من باطه على عمود رخام وقال له إن كانوا المسلمين فيهم سر ياتوا اليك ويخلصوك وقفل عليه باب الدير وتركه

[قال الراوى] وكان فى ذلك الدير بنات رهبان وفيهم بنت نذرة المسيح من ملك مدينة سرادينه فنظرت تلك البنت إلى أحمد وتعلقت بمحبته واتت اليه وفكته وسالته عن حاله فحكى لها على ما جرى له فاسلمت على يديه وبعد إسلامها قالت له اعلم إن خذاعة المجنون ملك جبار فاحمى لروحك منه لانه إن علم انى خلصتك قتلنى وقتلك قال لها هل تعلمى مكانه قالت له هو مقيم فى سرايته التى بجانب ذلك الدير قاعد يسكر هو وجوان قام أحمد على حيله وقال لها تعلمى محل السلاح أين هو قالت لا أعلم وإنما سيفك وبدلتك عندى هنا فى عندع قال لها آتينى بهم فجاءت له بسلاحه فلبس وطلع على خذاعة المجنون فالتقاه قاعد مع جوان فصاح فيه أرعبه وضربه بالسيف وقع فى وسط رأسه فشقها إلى حد أضراسه والتفت إلى جوان والبرتقش وقال لهم وحق النبى المنتخب سيد العجم والعرب إن تحركتم من مكانكم جعلتكم مثله قال البرتقش ها نحن بين يديك

قال له كتف جوان فكتفه وأحمد العزيز كتف البرتقش ووضعهم فى مخدع فى قلب الدير وطلع يتفرج فى ذلك الدير حتى يعرف كيف الخلاص فسمع قائل يقول

يا أحمد ان كنت أحمد العزيز بن مريم الحقى وأبوك تتطمر فاقصد قدامك تجد لوح من الرخام فارفعه من مكانه تجد باب كنز تحته قائل حسبك وادخل لذلك الكنز فان لك فيه نصيب فان دخلت من أول باب والثانى الى السابع فلم تطمع نفسك ولا تأخذ شيئا مما تراه الى ان تصل الى صدر المكان تجد الحكيم قطعتين نائم وعلى رأسه سيف معلق اسمه الصمصام خذه فانه لك وانا رصده فان أخذته نمضى الى حال سبيلى ونستريح من الخدمة

[قال الراوى] فتقدم أحمد العزيز ورفع ذلك اللوح وتلى اسم أبيه وامه ودخل الى سابع باب فوجد ديوان متسع وفيه ذخاير لا تعد ولا تحصى فلم يمد يده على مطلقا بل أخذ السيف من على رأس الحكيم وطلع من المحل الذى دخل منه فسمع المتكلم يقول له اراحك الله كما ارحتنى ولما طلع أحمد الى الدير فسمع صياح فطلع بنظر الخبر فالتقاه المقدم ابراهيم ابن حسن وسبب مجيئه ان السلطان ارسله يفتش على أحمد العزيز لانه لما دم حلف الملك لا يعود ثانيا الى مصر حتى يرى ابن أخيه احمد العزيز وأرسل الرجال تكشف على خبره ومن جملتهم المقدم ابراهيم فلقيه فى ذلك الدير فسلم عليه وأخذه وأخذ جوان والبرنقش وسار طالب الملك فمروا على جبل عالى فنزل أحمد يريق الماء فلم يلتفت اليه المقدم ابراهيم لانه كان بالليل ولما قضى شغله وقام فتاه فى الجبل ودام سائرا حتى طلع النهار فلقى روحه وحده ولم يجد ابراهيم بن حسن فخاف أحمد على نفسه فلقى صومعة عالية فسار اليها فلقى فيها رجلا كبيرا قال له أهلا وسهلا يا أحمد العزيز يا ولدى لك عندى حصان اسمه الرعد امه من البر وأبوه من البحر ليس احد اقتنى مثله وهو مرصود باسمك وعليه عدة من الذهب الاحمر وبدلة من الورد ودرع داودى مسبل ونام الشيخ وقال يا ولدى ادخل الى ذلك المغار تجد كما قلت عليه وأنا اسمى عيسى القدسى وهذه الذخيرة من أيام صبايا عندى وأما ذلك الحصان فربيته هذه الايام ولكن أنا حان أجلى وانتهى أملى نقف عندك حتى تداركنى بالتراب ولك الاجر والثواب ثم ان الشيخ نام على ظهره متوجها القبلة وقال أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وفهق فخرجت روحه فقام أحمد العزيز غسله وكفنه فى ثيابه وفحت ودفنه فى صومعته وركب الجواد بعدما لبس البدلة والدرع وتقلد بالسيف الصمصام واذا بالمقدم ابراهيم ينادى من بعيد ويقول يا ملك أحمد تقدم فسار اليه فقال له أين كنت فاخبره بما جرى فتعجب ابراهيم من قدرة الله تعالى وساروا حتى وصلوا إلى مدينة دردنة ودخلوا على السلطان فسألهم فحكى له أحمد العزيز على ما جرى ففرح الملك بذلك الحال وقال البب دودنيش هل الاحسن

عندك الاقامة فى بلدك أم السفر معى الى بلاد الاسلام فاختار الاقامة وتمنى أن يسميه الملك باسم حسن فسماه الملك محمد الدرويش وأقام فى بلده والملك الظاهر ركب فى عساكره ورجاله وصار طالب مصر حتى وصل ودخل بالموكب الى قلعة الجبل وأقام يتعاطى القصص ويحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبى جد الاشراف

[قال الراوى] فبينما الملك جالس واذا بنجاب مقبل من القدس ومعه كتاب فأخذه ابراهيم وقدمه للسلطان وقرأه يجد فيه أنه ظهر فى القدس غريم يسرق أمتعة وعمل بكثرة فى الرعية وقمنا فبحث على ذلك الغريم فلم نعلم وبعد العمل صارت تعدد أولاد الناس من منازلهم وضاقت الدنيا علينا فادركنا ياملك الاسلام والا أرسل لنا من يدركنا والسلام فامر السلطان بقراءة الكتاب على رؤوس الحاضرين حتى يسمعوا مافيه لان هذا مكان الحرم فمن أراد ان يحامى عن البيت المقدس ويغتنم الثواب فلبادر فقام أحمد العزيز قائما على قدميه قال ياملك الاسلام كلفنى بتلك الخدمة حتى أرفع عن بيت المقدس ذلك الغمة فلما سمع الملك ذلك اخلع على احمد العزيز وقال له أنت نائبا عنى تدور على الغريم وتخلص الناس من كيد ذلك العدو اللئيم وجهز له عساكر ورجال وسرادقات وخيل وسافر الملك أحمد من مصر فى يوم مشهود وصحبته العساكر والجنود وصار يقطع الارض حتى وصل الى القدس وضربت له المدافع ودخل فى موكب عظيم وسأل باشة القدس عن ذلك الامر الذى جرى فقال له لم نعلم لنا غريم والناس ليلا ونهارا لم ينم أحد الا بالحرس وضاقت علينا الدنيا بالمرة فقال أحمد الله خير وأقام على القدس ثلاثة أيام فلما كان فى الليلة الرابعة قام أحمد وتزيا بمعرفته وسار ليلا يتجسس الطرقات الى نصف الليل فلم يجد أحدا فعاد قاصدا محله فالتقى زوال فتبعه حتى دخل من مكان الى مكان ودخل ذلك الزوال الى بيت وقفل الباب فكان أحمد مسرع وضع طرف السيف بين الباب والعتبة وقرص على الباب فانفتح فنظر أحمد العزيز يلتقى فى هذا المكان عشرين بطريق من عياق الروم فلما رأوا أحمد قاموا اليه وطلبوه وارادوا ان يقتلوه فجذب الحسام وصاح الله أكبر يا كلاب اللئام قاتلهم وضرب الاول على رأسه شقها الى حد أضراسه وضرب الثانى على وريديه أطاح رأسه من على كتفه والثالث قسمه نصفين والرابع والخامس حتى قتل ثمانية عشر واثنين رمى زنودهم بالحسام وقبض عليهم وقال لهم أنتم من أى البلاد وايش الذى جاء بكم الى بيت المقدس فقالوا له ياسيدى احنا من جزائر الغلف وملكنا اسمه البب اصطالود الغلفى والذى أرسلنا الى هذه البلاد وأمرنا ان نفعل هذه الفعال عالم لة الروم البركة جوان [قال الراوى] والسبب فى ذلك ان جوان اجتمع على بطرق الغمامة

في القدسية وربط [illegible] انه يرسل له عياق يسرقوا من القدس حمله واولاد حتى يبلغ الخبر إلى ملك المسلمين [illegible] في القدس فيجتهدوا في سرقته فاذاسرقوه يكون جوان جمع ملوك الروم واتى بهم إلى القدس ويحتاطوا بالبلد ويركب من الروم على بلاد الشام وعلى حلب وكل مدينة من مداين الاسلام يحمل عليها ركبة حتى يأخذ المسلمين ويقطعهم ويجعل الدنيا كلها نصارى فامتثل البطرق لكلامه وكتب له مكاتيب وختمها بختمه وبالجملة إلى اصطالود القلق فارسل هذه العياق الذى قتلهم احمد العزيز وحكوا له على السبب فقطع رؤوسهم وحلف انه لايعود الا اذا سافر إلى جزاير القاف ويقتل أصطالود وفى الحال جمع احمد أهل القدس ودخل بها القمامة القدسية واخرج الحمل والاولاد وسلمهم إلى أهلهم واخذ مكاتبة من الناس بانهم أخذوا الذى عدم لهم ولم يبق لأحد شىء غايب مطلقا وبعدها جمع العلماء وقال لهم أنا قصدى اسد القمامة القدسية حيث انها سارت قميده السراق الذى يأتوا ليكايدوا الاسلام قالوا له العلماء ياملك احمد سد القمامة لم نطاوعك عليه لانك ان سديتها لم تقعد ملوك النصارى عن حرب الاسلام بسببها وتبقى فتنة فلا يمكن سدها الا بأمر الملك فاذا أمر بسدها يبقى عارف على ايش يقدم من الحرب و قتال فكتب احمد العزيز كتاب وأرسله الملك مع نجاب مضمونه يعلمه بالذى جرى وأنت الذى أرسل هذه العياق اصطالود القلق بواسطة جوان وبطرق القمامة وأنا اعتمد على سد القمامة القدسية فمنعنى العلماء وقالوا لاتسدها الا بأمر الملك لأن سد القمامة يحرك ملوك النصارى فارسلت هذا الكتاب أستأذن فى سد باب القمامة وأنا مرادى اسير إلى جزيرة القاف ولم أعد حتى أقتل اصطالود القلق جزاء بما فعل فى حق الاسلام وها أنا منتظر رد الجواب وأعمل بموجبه فسار النجاب حتى وصل إلى مصر ودخل على الملك وأعطاه الكتاب فلما قرأه قال للوزير ايش الضرر من سد القمامة لما احمد العزيز أراد سدها ومنعوه علماء الاسلام فى القدس قال الوزير ياملك الاسلام لم يمنعوه الا خوفا منك لان ملوك الروم لابد ان يحاربوا على معبدهم فاذا كان بعلمك وتحركت ملوك الروم فيكون عليك ردهم فأمر الملك بكتاب إلى احمد العزيز يأمره ان يسد القمامة غصبا وطرد النصارى منها فلما وصل الكتاب إلى احمد وقراه فى وقته وساعته كبس القمامة وطلع النصارى منها واحضر المهندس وأمر ان يسد باب القمامة بالحجر النحت ولم يتم النهار الا والقمامة القدسية مسدودة

[ياسادة] هذا ماجرى هنا وأما جوان كان مقيم فى جزاير القاف منتظر أخبار العياق الذى ارسلهم فطال قعاده ولم يأته خبر فسار طالب للقدس حتى وصل فالتقوه النصارى

واعلموه بما جرى وطردوه من القدس وقالوا له يا كلب أنت السبب فى سد القمامة سافر من القدس طالب بلاد الروم له كلام [قال الراوى] واما أحمد العزيز فانه ركب جواده وقال لابدلى ان أروح جزاير الغلف والا ارجع منها حتى اقتل هذا الكلب اصطالود ان ساعدنى الملك المعبود واجلس مكانه نايب عن القدس وصار يقطع البرارى والقفار مدة أيام وهو مسافر فاشتد عليه الحرومات منه الحصان وقاسى العذاب الوان فطلب الفرج من ذلك الديان وإذا بقفلة تجار فلما رأوه سألوه عن حاله قال لهم انا رجل تاجر وطلع على جماعة لصوص أخذوا مالى وهو وهو وها أنا بقيت غريب فى البرد وحدى بلا رفيق وأنتم من اى البلاد قالوا له نحن من جزاير الغلف وملكنا البب اصطالود ونحن سايرين إلى بلادنا فسر معنا فسار معهم وكان فى القافلة رجل مفسود بتاع أولاد قال لأحمد انت ابن من قال له أنا ابن البطريق زهوير وبلدنا مدينة الوشاورة قال البطرق زهوير أخى وانت صرت ابن أخى فلا تفارقنى وقال للتجار الذى فى القافلة هذا بن أخى حقيقة ويتصرف فى اموالى ان كنت حاضرا أوغائبا وساروا طالبين بلاد الغلف وأعلمت جميع التجار ان الغلام هذا ابن اخى عبد الصليب وعمه هو الكبير على القافلة لان غالب المال مال عبد الصليب وما زالوا سايرين حتى قاربوا البلد قام احمد ليلا وذبح التاجر وفحت فى الارض ودفنه ولما طلع النهار سألوه التجار عن عمه فقال لهم ركب على بغلته وقصد مدينة الزعفران يأتى بالمتاجر منها فصدقوه لأنهم يعلموا انه ابن أخيه ولما دخلوا مدينة الغلف أخذله خان على ذمته وادخل فيه بضاعته كلها وقعد للبيع والشراء مدة أيام حتى باع شىء كثير والمال يوضعه فى الصناديق إلى يوم قال أحمد نفسه وايش ينفع القعاد وصبر إلى ليلة من الليالى ورمى مفرده على السراية وطلع وتمكن من السراية فالتقى قاعة موقود فيها شموع وفى وسط القاعة سرير من خشب العود القمارى وصفايحه من الذهب الأحمر وعليه ناموسية من الحرير الأصفر فرفعها فالتقى نايم عليها صبيه كأنها الكواكب الدرية فانتبهت البنت وكانت عاقلة واسمها نور المسيح قالت له أنت من قال لها أنا من الحور العين الذى أرسلهم المسيح فى الدنيا سواحين قالت له وما اسمك بين الحور قال اسمى فرحة الغيور قالت له اقعد عندى أنا حبيتك والقى الله محبتها فى قلبه ومحبته فى قلبها وذلك بارادة الله تعالى حتى ينفذ الوعد الكاين فى علمه فقعد معها ولاطفها فى الكلام ولما امتزجوا مع بعضهم ووقعت المحبة بينهم اعلمها انه مسلم واسمه احمد العزيز قالت له وانا من أجلك أريد ان اسلم مثلك ولا تفارقنى ولا افارقك قال سمعا وطاعة فاسلمت على يده وعقد عقدها والشاهد المولى عز وجل واعطاها جانب من الذهب فى نظير مقدم صداقها وأزال بكارتها وأقام معها الى الصباح ونزله

من محل طلوعه وراح إلى آخر النهار وفى الليل راح إلى عندها وأقام على هذا الحال فى النهار يبيع و يشترى فى الخان والليل عند محبوبته وهى زوجته فى أعز مكان مدة أيام ولم يسال عن اصطالود ولا عن بلاد الاسلام ولا غير ذلك [قال الراوى] وكان عندها عجوز من عجائز الروم وهى التى ربت اصطالود على كتفها فلما رأت ذلك الحال فيما هان عليها فراحت إلى البيب اصطالود واعلمته وقالت له ان ابنتك عشقت واحد امسلما ياتى اليها فى الليل ويغيب فى النهار وعملها جناقة وفتح بين ساقيها طاقه وملا بطنها ملايين وادركهم قبل أن ياخدها معه الى بلاد المسلمين فلما سمع اصطالود منها ذلك الكلام قال لها ولأى شيء لم تعلميني من زمان قالت كنت اقول انه يروح بلاده ويفوتها فلما رأيته طول معها اعلمتك فضربها بالسيف جعلها نصفين وأمر بدفنها فدفنوها وصبر الى الليل ودخل على ابنته ورفع الناموسية فالتقاها نائمين وأيديهما على بعض متوسدين كما قال القائل :

لم يخلق الرحمن احسن منظرا　　من عاشقين على فراش واحد
متلففين عليهما حلل الرضى　　متعانقين بمعصم وبساعد
واذا صفى لك من زمانك واحدا　　نعم الصديق نعش بذاك الواحد
واذا تالفت القلوب على الهوى　　فالناس تضرب فى الحديد البارد

[قال الراوى] فلما نظر اصطالود الغلفى الى ذلك الحال رمى عليهما دخنة من البنج وكتف الاثنين وأحضر وزيره وأعلمه بما جرى قال الوزير يابب اذا كان هذا ابن أكبر رءوس المسلمين وانت عرفته فاذا اشهرته فى البلد وقتلته وعلم به ملك المسلمين لم يقعد عن خراب بلادك وانما ضع الاثنين فى صندوق نحاس وأوقد النار وارمى الصندوق فيها يذوبوا لحما وعظما ولم يعلم أحد بما فعلت فقال له صدقت ياوزير واحضر صندوق نحاس ووضع البنت والولد فيه مبنجين وامر بايقاد النار وفى تلك الليلة حضر المقدم جمال الدين شيحة وسبب قدومه انه بلغه فعل اصطالود مع اهل القدس وسفر احمد العزيز لملك البلاد فخاف عليه واتى يقتفى اثره فحكم دخوله فى البلد هذه الليلة وتمكن من السراية وعرف المضمون وشاف احمد العزيز والبنت لما وضعا فى الصندوق فوقف على غفرهم وشاغل الناس وامر اولاده سرقوا اولاد الوزير وضعوهم فى صندوق مثل ذلك الصندوق ورماه فى النار واخفى الصندوق الذى فيه احمد وزوجته واخذهم الخان وتصور شيحة على صفة الخواجة صاحب المال ودخل على التجار وسلم عليهم واظهر احمد وقال هذا ابن اخى وجمع كل المال وحمله ليلا من بلاد الغلف وبالجملة بقت اصطالود الغلفى واما الملك اصطالود فانه رمى الصندوق فى النار والعياط انقام

فى سراية الوزير بأخذ أولاده فطلع يسأل عن الخبر فوجد تذكرة مكتوب فيها ان الذى فى الصندوق أولاد الوزير وانا الذى وضعتهم يا ملعون وان حرقتهم دونك وما تريد والبنت والولد عندى أرسلتهم السلطان ان تحركت اخذتك من على فراشك وسلختك وعلقت جلدك على باب بلدك وأناجمال الدين شيحة فلما قرأ الوزير التذكرة راح إلى النار طفاها واعلم البب اصطالود وطلع الصندوق بعد أولاده احترقوا لحما وعظما فبكى عليهم ودفنوا عظمهم وأقاموا الحزن عليهم لهم كلام واماالمقدم جمال الدين شيحة فانه سافر باحمد إلى القدس وأدخله على زوجته وقال له خليك لما أروح مصر واعلم بك السلطان وسافر شيحة حتى دخل مصر ودخل على السلطان فقام له وسلم عليه وسأله عن احمد العزيز فقال فى القدس وقد تروح بنت اصطالود الغلفى وأقاه معها فى القدس فارسل له السلطان احضره وأخلى له سراية فى بيت أبيه الوزير تقطمر له كلام ونزل المقدم جمال الدين شيحة وتوجه إلى بلاد الروم لينظر مايفعلوا النصارى على شان سد القيامة القدسية ومادام حتى دخل على رومة المداين الصغيرة وتفرج عليها فالتقى جماعة من القسس والرهبان والبطارقة راكبين على ثيران بالمقلوب لابسين عوض القلنسوة كرش خنزير فتعجب شيحة من هذه القصة وسأل من الناس عن ذلك فقالوا له ان الملكة رومة بنت البب روم الازرق تعلمت الانجيل وعرفت كل مافيه من التحريم والتحليل وهى تطالب علماء الروم تباحثهم فكلما تغلب جماعة تجرسهم وهذه أفعالها فتقدم شيحة إلى الافروى وقال له لاى شىء تعمل تلك الفعال لان المسيح لم يرض بذلك الحال فقال له بأمر البنت لان بنته غلبتهم فى الانجيل ولم يقدر أحد منهم يراجعها فى الاقاويل فقال شيحة انا الذى اباحثها الاقوال وأردها عن هذا الحال ولا أرضى بجرسة ارباب العلوم فان هذا حرام عند علماء الروم فقال الافروى إن أردت أن تباحثها فدونك وماتريد وأخذه الافروى وعاد به إلى البب روم الازرق وأعلمه بما تكلم وما نطق فقال البب روم الازرق دخلوه إلى بنتى رومة لاجل ان تباحثه وتغلبه فلما سمعت البنت احضرته إلى عندها وسالته عن علوم القريصة والقربانة وأم قويق وما اسمها قبل ان تولد قويق فاجابها شيحة وقال لها أم قويق قبل ان تولد قويق كان اسمها قويقة وكذلك فسر لها من علوم القريصة والقربانة ومايليها فى علوم الكفر حتى عجزها وسالها بعد ذلك عن الحواريين واصل نزولهم من السماء إلى الارض وسياحة المسيح فى الدنيا وقبل وجود المسيح كيف كانت الدنيا واصل انشاء الوجود والموجودات فتاهت البنت وقالت له يا أبانا عمرى ما سمعت هذا الكلام الا منك وأريد ان تعلمنى فقال لها هذا شىء

لم يعرفه الا الراسخون فى العلوم وانت مالك مقدرة على ذلك وانا كنت ناوى أجرسك ولكن انت بنت ملك ليس مقامك الجرسة وانما مقامك تروحى الغمامة القدسية وتسألى رب المسيح ان يغفر لك ذنوبك فانك اساتى ارباب العلوم حتى جرستيهم ولم يكفر ذنوبك الا دخولك الغمامة وتقفى بين يدى البترك واطلبى منه الغفران فعند ذلك قامت البنت لابيها وقالت يا ابى قصدى اروح الغمامة وازور واسال البترك يكفر ذنوبى قال لها يابنتى الغمامة سدها رين المسلمين واطلع النصارى منها فالتفتت البنت إلى شيحة وقالت له يا ابانا وكيف العمل اذا كانت الغمامة مسدودة فقال شيحة ياب ارسل لرين المسلمين خزنة مال واطلب منه فتح الغمامة وقل ان بنتى رأت مناما وتريد تفسيره فيها واريد من ملك المسلمين غفرها حتى تدخل الغمامة تزور وتفسر منامها جميعه وتقول لى عليه فعند ذلك كتب البب كما اعلمه شيحة وارسل وزيره بالكتاب فى مركب الى الاسكندرية فلما وصل ومنعه باشة اسكندرية من الدخول واستعلم عنه وارسل كتاب السلطان يعلمه على جناح الطاير وطلع ابو على البراج بالطاير للملك وقدم الكتاب فقراه الملك يلتقى ان يوم تاريخ الكتاب اقبل غليون من رومة المدائن الصغرى وفيه وزير ومعه كتاب وهدية وقصده الاتصال اليك فامر الملك باحضاره فلما حضر قدم الكتاب الوزير الى الملك فاخذه وقراه يلتقى فيه من حضرة البب روم الازرق الى ايادى ملك المسلمين اعلم ان لى بنت ومرادها تزور الغمامة القدسية فارسلت لك خزنة مال على فتح الغمامة وعشرين الف دوقانة حتى غفرها من السويدية للقدس روحة ورجعة فان كان عندك غفير يغفرها فياخذ العشرين الف دوقانة وانت خذ الخزنة ان كان ليس عندك غفير تخلى بنتى عندى ولم يقع بيننا خصام قال السلطان من يغفر بنت هذا الملعون قال ابراهيم انا واضمنها ذهابا وآخذ العشرين الف قبرصى قال الملك اكتبوا ردالجواب يقدم البنت وسافر يامقدم ابراهيم انت غفر امرتك بفتح الغمامة حتى لا يقول الكفار ان الظاهر جار علينا وأفسد عاداتنا قال ابراهيم فتح الغمامة ليس فيه ضرر للاسلام وسافر ابراهيم واخذ معه مشدود كامل بن خطاب وصل الى السويدية فتلقاه يعقوب الاسود حافظ السويدية وساله عن قدومه قال ابراهيم انا جاى اغفر بنت روم الازرق ولما اقبلت البنت طلعت الى تختها وصاح ابراهيم على بطارقتها وقال هيا السفر وبعس كلامه لها فخافت البنت من ابراهيم قال ابراهيم يامقدم كامل يا ابنى خليك حاذى تختها ونظرت البنت الى المقدم كامل فحبته محبة زائدة فسارت تكلمه وتعطيه من يدها ذهب وتقول له هـــذا حلاوة السلامة فسار كامل ياخذ منها ولم يعلم كبيره بشىء من ذلك فلما وصلوا الى الغمامة اخلى لها مكان وانزلها فيه وتكفل بقضاء حاجتها فقالت يا ابن الحوراني انا لم ادخل الغمامة حتى

استقربح يومين أو ثلاثة قال ابراهيم طيب فاعطته عقد جوهر بخمسة آلاف ذهب وصارت ترسله لقضاء حوايجها والمقدم كامل مقيم معها وتقول له أنا لم آمن على مالى أحدا غيرك وبعد ذلك دخلت القمامة بعد فتحها وزارت وطلعت الى مكانها وفرقت على خدامين القمامة هذا وقد تولعت بالمقدم كامل بن خطاب وقالت له خذنى معك الى بلاد المسلمين فقال لها لم اقدر على ذلك من كبيرى المقدم ابراهيم ودام الامر كذلك فقالت له انه لم يبق لى صبر عنك فقال لها لما تروحى الى بلد أبيك أنا اجىء اليك آخذك وأعود بك الى بلاد الاسلام فاعتمدت على كلامه وأعطته خاتمها وأعطاها خاتمه وبعد الزيارة سفرها المقدم ابراهيم الى رومة المدائن الصغرى وطلعت الى بلادها وقلبها مشغول بمحبة كامل ابن خطاب فسلمت على أبيها وأعلمته بما جرى فى بلاد المسلمين ففرح بها وهاهنا بسلامتها وأقامت فى سرايتها هذا ما جرى واما ابراهيم روح مصر واعلم السلطان بما جرى وأقام فى خدمته له كلام وبعد أيام قلايل التفت كامل بن خطاب الى كبيره المقدم ابراهيم وقال له انا مرادى اروح لامى أزورها وأعود قال ابراهيم انه ناوى تروح الى رومة المدائن الصغرى قال حاشا والله ما أروح الا لوالدتى فان لى زمان ما رأيتها قال ابراهيم روح فسافر كامل الى قلعة أبيه وأقام بها أيام قلائل وأخذ كلما يحتاجه وسافر الى السويدية ونزل فى مركب لكن تزيا بزى النصارى الاروام حتى لا يعلم به أحد وسافرت المركب مدة أيام قلائل فخرج عليها ريح مختلف ضيع المركب وتاه ولم احد فيها يعرف اين رايح وجاء الغليون وخبطه الهوى فصار قطعا وغرق كل من كان فيه من بضايع وناس هذا والمقدم كامل تعلق بلوح من الخشب وسار به ذلك اللوح مع الموج تارة يمين وتارة شمال حتى ضاق به الحال فرفع قامته الى الملك المتعال وقال يارب أنت تعلم بحالى اغثنى اما بالفرج او بالموت فانى ضاقت بى الحيلة وليس لى الا جنابك وسيلة فما تم كلامه حتى اقبلت عليه صورة من سيدى عبدالله المغاورى وهو يقول أنت اسمك كامل ولكن عقلك غير كامل وهذا الذى أنت قاصده ماهو الا اسود بختك ولكن رومة المدائن مطلوبك ادخلها واستوف ياولدى مكتوبك ثم انه أخذ تلك الصورة وقذف وقال بسم الله مجريها وعلى رومة المدائن مرساها فما تم كلامه الا وهو على رومة المدائن الصغرى وقال له بقى يا كامل لم نقدر نرد قضاء الملك العادل فطلع المقدم كامل ولم يكن معه شىء يقتات به تلك الساعة فسار الى سراية البب روم وصبر الليل ورمى مفرده وطلع الى ان بقى فوق الصور فسمع الملكة رومية تتحسر وتقول بلسان الروم يامسيح ارسل لى حبيبى كامل والا أرسل لى من يقتلنى فى هذه الليلة فانى ضجرت وليس بيدى حيلة وكانت من

حين طالعت البلد لم تأكل ولم تشبع بطعام قال لها كامل ها أنا اتيتك يا نور عيونى وقد رميت نفسى فى هواكى لعلى أن أكون من الاسوى مداكى فلما رأته سلمت عليه وضمته الى صدرها وهو أيضا ضمها وتعانقوا معانقة الاحباب اذا التقوا بعد الغياب وزاد بينهم العناق قال لها يا ملكة الذى مضى لايعاد ولم يبق الا المحبة والوداد ودخلوا إلى داخل المكان وهم فى هناء وأمان فاحضرت الطعام والمدام وطلبت منه الوصال قال لها لايكون ذلك الا بالحلال قالت له علمنى ما أقول فانا عنك لا أحول فقال قولى أشهد ان لا اله الا الله المنزه عن الزوجة والولدان وان محمدا رسول الله الذى أرسله رحمة للعباد الهادى الى طريق الرشاد فاسلمت قلبا ولسانا وقالت له تزوجنى قال لها لما تروح الى بلدى ونعمل لك فرح على رؤوس الاشهاد قالت له افعل ما تريد فانا عنك لا أحيد وقعد كامل عند رومية أيام قلائل فاتفق ان جارية من الجوار شافت كامل وهو مقيم مع ستها فسارت وسارت الى البب روم وقالت له يا بب واحد مسلم عند بنتك قائم ليلا ونهارا ولم يفارقها ولم تفارقه فاغتاظ الملك وأخذ الوزير ودخل على بنته فرأى المقدم كامل عندها فقبض على الاثنين وأراد ان يقتلهم قال له الوزير ضعهم فى صندوق وادفنهم فاحضر نجار وصنع صندوق خشب وطوقه فى الحديد ووضع كامل ورومية فيه وطلع بهم ليلا الى جزيرة بجانب البحر وفتحها ودفن ذلك الصندوق وكان هذا فعل الوزير وعاد الى البب وأعلمه بما فعل واتفق ان جماعة حرامية يدوروا فى البحر للمراكب التى تدور واقامتهم ليلا فى تلك الجزيرة فنظروا الوزير لما أتى بذلك الصندوق فظنوا ان هذا مال فصبروا عليه لما غاب وأتوا الى ذلك المكان وفتحوا على الصندوق وطلعوه وقالوا نقسمه هنا ففتحوه فوجدوا المقدم كامل والملكة رومية وهم بالحياة فتعجبوا من ذلك وقالوا لهم أنتم لاى شىء وضعوكم أهلكم فى هذا الصندوق لاشك أنكم كنتم مجتمعين على الفساد والخنا ولم يبق لكم خلاص من يدنا الا نعملكم جناقة وكانوا عشرين نفرا فقالت لهم رومية احنا نقعد معكم ولم نفارقكم فاننا اذا رحنا لاهلنا لم يقبلونا ولم يعفوا عنا فقالوا لهم اذا أخذناكم نعملكم جناقة فقال كامل احنا جعانين فاتوهم بالطعام وبعد الطعام اتوهم بالمدام فأكلوا وقامت الملكة رومية وملأت كاسات المدام وسقت الحرامية حتى أنهم ظنوا أنها من أهل الخنا ووضعت لهم من اذنها بعض وسخ وثقلت الخمرة عليهم فقام المقدم كامل وذبح الجميع وجعلهم صرعا على التراب يبحرن علقما ويخلع وبعد ذلك قال لها أنتى تعرفى تمشى المراكب قالت من الذى علمنى ما أنا الا ربة استار وأنت تعرف مشى البحار فنحن نقيم فى هذا المكان مختفيين حتى يأتينا من يسفرنا الى بلاد المسلمين فاقاموا فى تلك الجزيرة لهم كلام [قال الراوى] واما ما كان من أمر

الملعون جوان فانه لما ضاقت حيلته من المسلمين فقال يا برتقش إيش عندك من الرأى فقال البرتقش ان بجوار جزيرة الغلف مدينة تسمى مدينة الغلف بها ملك اسمه عبد الصليب العنيد فالرأى عندى انك تدخل عليه وتامره أن يركب على بلاد المسلمين فاذا ركب الصليب العنيد على ملك المسلمين فانه يغلبه وان كان ملك المسلمين يقتله إلى لعنة المسيح فقال جوان صدقت يا برتقش وسار هو وإياه حتى دخلوا على عبد الصليب العنيد فقام اليهم وتلقاهم وأكرمهم وحياهم قال له جوان يا ابنى اركب على ملك المسلمين وغازى على ملة المسيح فقال له يا أبانا اعلم أن اصطالود الغلفى أكثر منى عساكر ولأى شيء تامرنى بالجهاد وهو قاعد لم يجاهد فان كان البب اصطالود الغلفى يركب أركب انا وان كان لم يركب فانا ايضا مثله فقال جوان الحق بيدك وقام جوان من عنده وراح إلى اصطالود الغلفى فلما دخل عليه قال له يا ولدى ان المسيح امرنى ان اقيم شريعته وامر ملوك النصارى بالجهاد على ملته فان كنت تابع المسيح اركب وجاهد وان كنت مخالف اعلمنى حتى ارفع اسمك من النصارى فقال اصطالود يا ابانا طايع ولكن اجتهد وهات لى من يساعدنى فانا لا نقدر على ملك المسلمين وحدى فصار جوان يقوى النصارى حتى جمع له خمس ملوك والسادس عبد الصليب العنيد والسابع البب اصطالود الغلفى وركبوا جميعا وساروا حتى حطوا على حلب ونظر اقتش الجبلى إلى ذلك فحصن البلد بالمدافع وغلق الابواب وكتب كتاب الملك الظاهر يعلمه بان سبع ملوك ويتبعهم سبع كرات عساكر فركب السلطان بعساكر الاسلام واقبل إلى حلب وكتب كتاب الملك عرنوس يطلبه للقتال ولمسعود بك واولاد اسماعيل المقيمين بالقلاع ولما حط الملك على حلب فقال جوان لا تخلوه ياخذ راحة ولا ساعة واحدة رمز جوان الشنابر فخرجت الكفار كانهم شعل النار وغنى الحسام البتار وانعقد الغبار وزاد ابناء الكفار على المسلمين الأبرار ودام القتال إلى آخر النهار وارادوا الانفصال قال جوان لم تنفصلوا إلا بالغلبة آمالكم وآمالهم وضمان كسرة المسلمين على جوان فلما سمعوا الكفرة من جوان هذا الكلام قوى عزمهم على حرب الاسلام واشتدوا على الخصام وثبتوا الحرب والصدام وزاد العدد على المؤمنين وراو الهلال باليقين وايقنوا الاسلام انهم مغلوبين هذا والملك الظاهر حمل وتبعته ارباب دولته وقاتل قتال من استقتل والمقدم ابراهيم يصول ويجول ويرمى الكفار عرضا وطول ولكن الكثرة تغلب الشجاعة ونظر السلطان عسكر الاسلام وهم فى شدة الوجد والألم فرفع السلطان يده إلى من يعلم السر والنجوى وقال اغثنا يا مولانا

يا من هو امده الجميل بفضله من ذا الذى لجلال مجدك لم يخضع
يا إله العرش يا رب السما يا من على كل العباد مطلع

يامن نجى بفضله إبراهيم من الحرق وأهلك النمرود ونجى بفضله موسى من الغرق وأغرق فرعون وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة العالمين أسألك بحقه عليك يا مولانا ان تسبب لنا النصر على أعدائنا انك على كل شيء قدير وبعبادك لطيف خبير فباتم دعواه الا وغبار قد علا وسد جنبات الفلا وانكشف عن بيارق وأعلام أقبلت من جهة مدينة الرخام ويقدمهم الملك عرنوس وأولاده وأولاد ملوك الرتقان وقدرهم أربعون ألف من الفرسان ولما رأوا الواقعة اقتفوا خلف الكفار وضربوا فيهم بكل حسام بتار وطعنوا بكل رمح خطار فزاد الغبار ضباب وتقطعت من الكفرة الكفوف والرقاب وخرص اللسان عن رد الجواب وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ووقع العنا فى الكفرة الكلاب ووقعت أجسادهم قتلى على التراب وشربوا من الموت أمر شراب وتقطعت بهم الاسباب وأشرفوا على الهلاك والذهاب ودام السيف يعمل والدم يدفق والرجال يقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكاف واندق طبل الانفصال ورجعوا الفريقين عن القتال ووصلوا إلى الخيام وترجل الملك عرنوس وقبل اتلك الملك فانحنى عليه وقبله بين عينيه وفرح بقدومه لان النصر كان على يديه وأوقدوا النيران الحرس هذا ما جرى وأما اصطالود الغفى لما رأى ذلك الحال أحضر جوان بين يديه وقال له لولا ان قتل علماء الملة حرام وإلا كنت قطعت راسك بهذا الحسام تكون فى بلادنا مستريحين تأتينا وتقول لنا حاربوا المسلمين وهذه فعالك فى جميع الملوك خربت بلادهم ويتمت أولادهم وحق المسيح والدين الصحيح إذا لم تدبر للنصارى حيلة يكون بها النصر على المسلمين قتلتك انا وأرحت النصارى منك لانك ان زنا وما دمت حيا تخرب بلادنا فقال جوان أما هلاك المسلمين فقريب ان طاوعتونى عليه فقال اصطالود أرناهلا كهم كيف يكون فقال كل ملك منكم يأتينى بعشر عياق فاحضروا له سبعين عايق كل ملك أحضر عشرة يعلمهم الكبار وأمرهم أن ينزلوا على عرضى الاســـلام فى الليل الساكر ويسرقوا كل من قدروا عليه ان كان ملك الاسلام أو عرنوس أو أمير أو فداوى على قدر طاقتهم فتنكروا حتى وصلوا إلى عرضى السلطان فوجدوا غفر الملك شديد والوصول اليه بعيد فدخلوا عرضى عرنوس فسرقوه وسرقوا سبعين بطل من أبطال مدينة الرخام أولهم عرنوس وآخرهم نصير النمر وعادوا بهم ليلا الى اصطالود الغلق فلما رآهم قال لهم لم أخلى هؤلاء عندى

تخذوهم وسيروهم القبطان على السويدية نزلوهم فى غليون وقولوا له يسير بهم إلى جزيرة رومة المداين الصغرى فانها قريبة ويذبحهم جميعا فيها فقال جوان ما تقتلهم هنا قال اصطالود يا جوان احنا تحت الكسرة وان درى بهم شيحة يخلصهم منا وإن قتلناهم ووقعنا مع ملك المسلمين يقتلنا بدلهم وأما إذا كانوا بعيد فلا يعلم ملك المسلمين أننا قتلناهم الا بعد زمان طويل فتكون وصلنا فى بلادنا واقمنا فى أماكننا

فقال جوان صدقت وأحضر لهم مائتين كافر وأمرهم أن يأخذوا هذه المسلمين ويسيروا بهم إلى جزيرة رومة المداين لانها قريبة من السويدية ويأمر القبطان أن يذبحهم هناك فساروا بهم للسويدية وسلموهم الى مرنومة القبطان وقالوا له البب اصطالود يأمرك أنك تأخذ هؤلاء المسلمين مسلم وتسير بهم إلى جزيرة رومة المداين وتذبحهم هناك وتعود الينا وها نحن نستناك فقال سمعا وطاعة وأخذ الجميع وسار بهم فى البحر حتى وصل الى جزيرة رومة الصغرى وطلع بهم ليلا وصفهم صفوفا وقال لهم قولوا كلمة المسلمين فانكم متمنترين فقال الملك عرنوس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وفى ذلك الوقت قبل المقدم كامل بن خطار ونظر إلى القبطان ومن معه فأتاهم وقال لهم من أين أتيتم ومن هؤلاء الذى معكم فأخبره القبطان ونظر الى الملكة رومة فالتهب قلبه بحبها وكان ذلك القبطان من أهل الفساد فقال المقدم كامل من تكون هذه البنت فقال اختى وأنا مرادى باحد أزوجها له فقال القبطان انا فقال المقدم كامل عندك شىء من البيبار قال عندى قال له هات لنا فاتنا لنا زمان هنا ما شربنا بيبار فأتاهم القبطان بالخمر فامر الملكة رومة أن تسقيه فأشغلته عن ما هو فيه وبنجته هو ومن معه والمقدم كامل ذبح الجميع وفك الملك عرنوس وأعلمه فقال عرنوس قبل كل شىء نلحق السلطان ونزلوا فى المركب وأخذوا المقدم كامل وزوجته معه وساروا الى السويدية وطلعوا وساروا طالبين حلب هذا ما جرى لهؤلاء. وأما السلطان فانه مد أخذ الملك عرنوس ومن معه اتغاظ وبقى وبله الحرب الواقع وانشغال قلبه على عرنوس ومن معه ووقع القتال بين الفريقين مدة أيام لكن مع الكثرة ضجت الاسلام واذا بالسبعين بطل مقبلين من ناحية السويدية راكبين على الخيول العربية واقبلوا من خلف الكفار ولهم هدبرة وزمجرة تفلق الاحجار وكان الملك عرنوس نظر الى اصطالود الغلق وهو فى وسط عساكره فصار يهلك المواكب حتى وصل اليه وصرخ فيه أرعبه وخبله وأتبعه وضربه بقاسم الحديد على هامه شقه الى حد حزامه وأما نصير النمر هجم فى عبد الصليب العنيد وضايقه ولاصقه وسد عليه طرايقه وضربه بالشاكرية على عنقه طلعت تلمع من علايقه واسماعيل قتل

ملك آخر وعاد عرنوس قتل ملك ثانى والمقدم جوينش قتل ملك آخر ولم ينفذ من الملوك احد بل راحوا على براشق السيوف كالقطن المندوف هذا كله يجرى والملك الظاهر يقاتل ويرى رؤوس الكفار إلى ان صارت الشمس فى حلة الاصفرار فاندقت الكفار وطلبوا الهرب والفرار ونصر الله المسلمين الابرار ونظر جوان هذه الغارة فطلب الحارة لما رأى كثرة النصارى وهرب جوان وتبعه البرتقش الخوان وكبس السلطان وجمع الملك اموال السبع ملوك وخيامهم وخيلهم وسلاحهم واجتمع الملك عرنوس على السلطان وحكى له عن كامل كيف خاصمهم وقتل القبطان ومن معه من عبد الصلبان وقال يا ملك الاسلام وانا متساق عليك أن تعمل فرح المقدم كامل وتدخله على الملكة رومية زوجته وتجبر قلبه فانه جاهد معنا فى هذه النوبة فقال السلطان مرحبا لاجل خاطرك وله فى الغنيمة قسمين وكذلك الملك عرقوس أعطى لكامل قسم وافر وابراهيم أعطاه كذلك وكل من كان من السبعين مقدام أعطى لكامل انعام وسار السلطان إلى مصر وانعقد له موكب مثل عادته وأقام يتعاطى الاحكام كما أمر النبى عليه السلام إلى يوم من الايام كان الملك جالس فاعتراه الفكر وقال لابد كل راعى يسأل عن رعيته أنا لابد لى من التبديل حتى أنظر حال بلدى الذى فيها اولا وبعده أطوف على جميع البلاد التى تدور يدى عليها وقام ودخل محل التبديل فدخل خلفه إبراهيم وسعد وخرج السلطان فى صفته درويش عجمى شيخ تكية وإبراهيم وسعد بصفة درويش تلامذة له وساروا من قلعة الجبل حتى وصلوا الى باب زويلة فوجدوا طابق فقراء يذكرون الله تعالى وواحد منشد ينشد على الذكر بصوت مثل صوت الكروان والمنشد غنى يقول الله ما فى الكون نبى ولا ولى ولا تقى ولا صالح ولا من يوصف بمثل هذه إلا وهو من هيبة الله تعالى منزعجا وخايف ومن خاف الله أمن من مكره ومن أمن بالمقدر آمن بالكفر بادروا يا مؤمنين الى طاعة الله فان الله عزيز ذو انتقام فتقدم السلطان إلى طابق الفقرا يتفرج على ذلك المنشد ويسمع ما يقول فيجد المسلم لابس شملة وجبة صوف ومئزر أحمر وسبحة الفى فى رقبته وهو يترجم بلسانه والناس يبوسون يده وإذا برجل لابس زعبوط أحمر قصير الاكام دايب الذيل ورجلاه متشققات وتقدم عند المنشد وقال يا ناس اعلموا أن هذا الجمع الذى نحن فيه لم يكن فيه رجل ولى الا أنا ويرجم بلسانه واذا برجل حامل على كتفه غلام وابسه أبيض تقدم وقال الشاب كيف تقول ان هؤلاء ليس فيهم ولى واتهز ذلك الرجل ووضع ذلك الغلام فبان للناس انه أسد بولاد وخطف من الهوى سيفين وقال حاس الله اكبر وقال يا ناس ارفعوا ارؤسكم فنظروا الناس يلتقون مدينة نصارى

ملاعنة كفار ولها سوران من الاحجار وفيها ديوان واسع عالى الأركان وقاعد ملك المدينة على كرسى وقال هاتوا الذى عندكم فقدموه اليه أسيرا فلما صار بين يديه قال له ان لم تتنصروا وتقول كلمة الكفر والا أنشرك بالمنشار فقال له يا ملعون لا كفر بعد إيمان أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأمر بنشره فمدوه الكفار وأرادوا ينشرونه كما قال ملكهم فقال الشيخ من فيكم يأتى بهذا الأسير ويقتل ذلك الكافر الكبير قالوا له ياسيدى لاطاقة لنا على ذلك ولا نقدر عليه فصاح الرجل وقال يا أبا فراج أدركنى ومد يده اليمين بالسيف ضرب رأس الملك رماها-ورفع الأسير من قدامه بيده اليسار ووضعه قدام الناس وهو خال بالحديد وقال للواقفين الزموا الادب فى حق الحاضرين ثم انه أخذ ولده على كفه كما كان وسار على جهة الدرب الاحمر فتبعه السلطان إلى باب الوزير فدخل ذلك الرجل زاوية على بيتها ستارة من الحرير مكتوب عليها بالذهب الخيش لا إله إلا الله محمد رسول الله فرفع الملك الستارة وإذا بغلام طالع يقول ادخلوا ياساداتنا كلموا الاستاذ فدخل الملك تلك الزاوية فوجد داخلها أربع صفوف معابد كل صف عشره معابد بأربعين معبد وأربعين ستارة وأربعين قنديل وعلى كل باب سجادة وكرسى قاعد عليه غلام والاربعون غلام لابسين الأبيض والشيخ الذى فى القبلة هو الذى كان فى باب زويلة الذى جاب الأسير وهو يقول أهلا وسهلا بصاحب الوقت الملك الظاهر اجلس يا ملك الاسلام فجلس السلطان على الكرسى وطل المقدم إبراهيم يجد بابين مليانين بالذهب الاحمر فقال إبراهيم انظر يادولتلى الى ذلك المال كيف جمعه هذا الاستاذ ووضعه فى هذا المكان فلم يسمع السلطان كلامه لعلمه أنه طماع هذا والشيخ قال ياملك الاسلام اعلم أن أعداءك الكافرين متحركون عليك يريدون الحرب والقتال فجهز نفسك للقاء الاعداء فقال إبراهيم ياسيدى الغزو فى سبيل الله يحتاج المال الكثير والملك نفق كل الأموال على الجهاد والحرب والقتال فقال الشيخ يا مقدم إبراهيم القدرة سمحت السلطان بهذا المال قال إبراهيم لاشك أنك من أصحاب الوقت المتصرفين فى الدنيا وأنت قطاب عصرك وقام المقدم إبراهيم على حيله وأراد أن يدخل ليعبى المال وإذا بالنقيب داخل بسفرة طعام ووضعها بين أيديهم وعليها مكبة ذهب فرفعها الملك وإذا فيها ثلاثة أصحن فى كل صحن قيد وباشة وضامنة فزعقوا الثلاثة وهم الملك وإبراهيم وسعد إيش هذه الفعاله يا شيخ وإذا هم فى القيود والاغلال ووجدوا كل الحاضرين عياق نصارى ومعهم جوان والبرتقش والجميع كفرة عباد الصلبان [قال الراوى] وكان السبب ان جوان لما ضاقت حيلته وطلع هارب دخل إلى بحيرة يغرة لم يقدر أن يقعد فيها من كسوفه

من النصارى فسار إلى دير قريب منها ودق الباب فانفتح ودخل جوان بعد بطارق عمره لم ير مثله ويسمى البطرق جرجيس بن الخبيث وذلك الملعون بطارق وكهين ودائما يضرب الرمل ويلقى انه يموت بسبب تعرضه للمسلمين وكان أبوه أوصاه بعدم المعارضة وقال له إياك ياولدى أن تعارض المسلمين فانك تقتل على أيديهم ولا تمارش الظاهر يقتلك ولما هلك أبوه قعد بعده مدة أيام فى ذلك الدير على رصده حتى دخل عليه جوان فقال له لأى شىء أنت مقيم فى هذا الدير وحدك ولم تكسب لك غزوة على ملك المسلمين فبكى البطرق وقال يا جوان لم نقدر نفعل شيئا فى الملك الظاهر إلا بالحيلة أنا أقبض لك عليه وأنت تصطفل منك له فقال جوان رضيت بذلك وأحضر أربعين عايق وساروا إلى مصر فى حارة الروم حتى انقضت أيام جبر البحر لأن الملاعين كان قدومهم أيام زيادة البحر وكانوا جميع الفداوية بمصر فى هذه الأيام والكهين صور العياق صفة تلاميذ وجوان المنشد والبرتقش الشيخ الذى أتى باليسير ولما رأى السلطان ألقى عليه بابا من السحر وجاء به هو وإبراهيم وسعد كما ذكرنا وأراد أن يقتلهم فقام جوان وقال وقعت يا بيبرس فقال السلطان يا ملعون وإيش فى ذلك من ضرر سوف يأتيك المقدم جمال الدين وعسكر المجاهدين فقال الكهين انا آتيك بالجميع ثم ان الملعون رسم اسم شيحة وطالعه وصور جوان فى صفة ابراهيم والبرتقش فى صفة سعد وصور نفسه الملك الظاهر وقال لجوان اذكر لى اسماء الأمراء والفداوية فصار جوان يقول له فلان وهو يكتب حتى كتب جميع ما فى ديوان الملك ورسمهم من فداوى وامير وبعد ذلك قام الملعون وجوان والبرتقش وهم على صفة الملك وابراهيم وسعد وساروا إلى الديوان وكان السعيد فى ذلك اليوم لما غاب ابوه جلس مكانه واذا بالمقدم جمال الدين طلع فقام السعيد واستقبله مثل ما يفعل ابوه واجلسه بجانبه سال شيحة عن السلطان فقال له السعيد من امس تخفى ونزل ولم يعد فهم كذلك وإذا بالملك مقبل فقام شيحة واستقبله وقام السعيد وجلس الملك فى محله ووقف ابراهيم وسعد فى الخدمة فقال شيحة اين كان غياب مولانا الملك فقال الملك انا نزلت فرايت فى باب زويلة طابق فقراء ومنشد وذكر وواحد جاب اسير وقته ملكا وهذه من الولاية فقال شيحة هكذا الولاية فقال ابراهيم والله يا حاج شيحة عنده جانب ذهب ينفق على عسكرنا عشرين سنة فقال شيحة ليتنى كنت معكم قال الملك نقوم كلنا نتفرج على ذلك الولى وقام السلطان ويده فى يد شيحة قال ابراهيم قوموا يادولة الاسلام فقاموا جميع الأمراء والفداوية الذين فى الديوان ونزلوا جميعا الى باب زويلة يلتقوا الطابق ووقفوا فسار واحد قدامهم فتبعوه الى الزاوية ودخلوا حريما قال الملك انزلوا جميعا فى الحديد

وإذا بالكل مكتفين وفى أعناقهم الحديد ونظروا الامراء السلطان فاتوه كهين وإبراهيم وسعدهما جوان والبرتقش وفى الحال صاروا فى الحبس والسلطان معهم وإبراهيم وسعد وقال جوان وقعتم يامسلمين وابن الحورانى عازالذهب نظرجوان إلى الامرا فلم يجد تقطمر أخا السلطان فقال جوان أين تقطمر فقال الكهين تقطمر دا إيش

فقال جوان أخو رين المسلمين الذى تزوج مريم الحتى وخلف منها أحمد العزيز الذى يشيع ذكره فى جميع الدنيا فان كنت يا كهين الزمان لم تقدر تجيبه فلا حاجة فيما فعلت فقال الكهين جرجيس ودينى لم أخلى على قلبك ياجوان شيئا يمكره

[ياسادة] وغياب الامير تقطمر لانه كان عيان فأخذه الملعون طالع فلقاه حقيقة عيان فقال ياجوان أنا أجيب تقطمر من بيته ونزل وسارإلى بيت تقطمر وفتح الباب وطلع فالتقى البيت خالى فصار يفتش فالتقى بنت نائمة على سرير فقبقها وقال لها أنت بنت تقطمر أو أنت مريم الحتى زوجته قالت له أنا بنت البب طاجرين والمسلمون سرقونى وأتوا بى من عند أبى يسيرة ولم أجد لى من يردنى لابى وأمى قال لها الكهين أنا أردك لاهلك قالت له لما أجيب حوائجى وأخرجت بقجة وقالت له افتحها حتى أفرز ثيابى فتقدم إلى البقجة وفتحها فخرجت منها رائحة دوخته فوقع إلى الارض وكانت هذه البنت غلام مملوك الوزير تقطمر اسمه محمد جميل وفى ذلك النهار نام فرأى الملك الصالح مناما وقال له ياولدى اعلم بأن خلاص الاسلام ونصرتهم على يديك وأن الكهين يأتى فى هذه الليلة يدور على سيدك فخذ من تحت راسك لوح من نحاس أصفر وعلقه فى رقبتك فهو مرصود وإذا فيقك اللعين فافعل كذا وكذا هذا كان السبب ولما أتى الكهين قبضه محمد جميل كما ذكرنا ودخل على سيده أعلمه فقام فقال محمد جميل إيش الخبر فأعلمه بما جرى

فقال يا ولدى حتى أعلم السعيد وطلع الديوان اعلم السعيد فكان السابق حاضرا فنزل إلى بيت تقطمر ورمى ذلك الكهين وضع الاكرة فى فمه وأتى به إلى الديوان وفيقه وسأله عن الاسلام فلم يقدر ينطق وأشار أن يطلقوا لسانه فقال السابق إن طلقنا لسانه زاد علينا سحره وبهتانه فضربه السعيد بالسيف قسمه نصفين وأمر بحرقه فى الرميلة وكان الملعون جوان استبطاه فأرسل البرتقش يكشف خبره فلم يلحقه إلا وهو محروق فعاد إلى جوان وأعلمه فلطم على وجهه وكان الكهين صنع هذه الحيلة فى جبل الجيوشى ولما علم جوان أخذ الاسلام وأراد أن يذبحهم وإذا بخيال مقبل وصاح إليه يا جوان فقال له جوان أهلا وسهلا فقال امرق يا معرص

فقال جوان حاضر أنا فى عرضك ان كنت عازالسلطنة هذا شيحة وهذا الظاهر

فقال عارف تمزق والا أجعلك نصفين قال امرق يا سيدى وطلع جوان هاربه وأما الخيال فقال يا ظاهر أنا المقدم سيف بن فضل الدين بن الادرع وطالب سلطنة أبى منك ومن شيحة قال الملك أما أنا فاعلم أن أباك كان سلطان على بنى الادرع فان كنت تتولى محله وتكون من تحت يد شيحة فلم أمنعك وإن كنت طالب المخالفة فدونك وماتريد قال الفداوى اعلم يا ظاهر أن شيحة مثلما سلخ أبى ودخل المغار واذا بدخنة انطلقت فى المغار وقع الفداوى وكان الطالق الدخنة محمد السابق فكتف الفداوى وأطلق السلطان ومن معه من الاسلام وفاق الفداوى فلما أفاق ورأى نفسه مكتف فصرخ صرخة أدوت أركان المغار وتمطع فى الكتاف مزقه وقام وطلع من المغار وقال يا ظاهر فلعتى تلقى الخيل الذى عندك والعساكر قال له شيحة لما أغلب أنا يبقى يأتيك الملك وطلع شيحة فى طلبه له كلام وعاد الملك لقلعة الجبل وأما جوان لما تخلص من قدام المقدم سيف بن فضل الدين الادرعى أخذ البركش وصار يدور على النصارى فلم يقبلوه فدخل الى الجزائر السرد وكان هناك عجوز ساحرة يقال لها الكهينة بحرونة فلما علمت به رحبت به وقالت له يا أبانا ايش الذى فكرك حتى أتيت لبلادنا مع أننا نسمع بذكراك ولم نراك قال يا بنى لما رضى عليك المسيح أتيتك لاجل أن تكسبى لك غزوة فى دين المسيح قالت له أغازى من وهل فى الدنيا الا دين المسيح قال لها المسلمين أفسدوا دين النصارى ونصبوا علينا غارة

قالت الكهينة ياجوان والمسلمون لهم ملك قال لها نعم اسمه بيبرس فقامت ودخلت الى بيت رصدها وغابت يوما وطلعت وقالت يا جوان ان علوم الاقلام أورتنى أنى أغلب المسلمين وأقبض على ملوكهم ولكن بعدها نحس وأظن أنهم يقتلونى

قال جوان كيف يقتلوكى وانت قابضة عليهم سلميهم لى وأنا أقتلهم قالت له لما نعمل حيلة ثم أحضرت ابنها وكان اسمه البب بحرون وقالت له أنا قصدى أرسلك بمتجر الى بلاد الاسلام حتى اذا عرفت البلاد وأنت تاجر يبقى اخذ البلاد قريب

فقال بحرون طيب فعبت له متجر غالى من سيوف مجوهرة وعدد خيول محبوكة بالذهب وتفاصيل من ملابس الملوك وأشياء كثيرة مجوهرة وكل ذلك تصاوير بعلم القلم وملأت له غليون وجعلت بحارة الغليون كلهم غلمان شبان وهم اربعمائة واربعون لاوند لخدمة الغليون وامرت اعوان الجان ان يجذبوا الغليون الى الاسكندرية

فقال جوان ياأب بحرون لاتبيع متجرك الا لواحد ويقبضك ثمنه حالا قبل ان يأخذ منك شىء فقال بحرون مليح كلامك يا ابانا ولما وصل الى الاسكندرية اقام دخل بغليونه من غير امر قبطان البوغاز فعند ذلك امر قبطان الاسلام بالقبض على قبطان

اليب بحرون فرقع فى عرض محمد بوجى ابنه فاطلقه البطارقى وقال ان رأيتك بعدهذه النوبة دخلت مينا اسكندرية صلبتك على صارى المركب فقال سمعا وطاعة ثم طلع ووضع كل ما معه فى خان ولما علمت به التجار أتوا اليه وأراد ان ياخذ كل منهم على قدر حاله فقال لا ابيع مالى الا لرجل واحد فقط وقبل ان ياخذ شيئا يعطى ثمن الجميع فلما سمعوا ذلك تركوه فبلغ خبره الى باشة اسكندرية فاحضره بين يديه وقال له لاى شىء لم تبع الناس كما تبيع التجار فقال انا لم ابع الا مالى كله لاسم واحد واقبض ثمنه مرة واحدة فكتب الباشا كتاب بصورة الواقعة وارسله الى مصر ليعلم به السلطان

فلما علم السلطان قال حتى أعرف انا حاله . ركب وسار الى الاسكندرية وأمر الباشا ان يحضر ذلك التاجر الذى أخبر عنه فلما حضر ساله السلطان فقال لا ابيع متجرى إلا لواحد فقط فامر السلطان بضبط ماله وهو يدور عليه الضرب حتى يقر فقال يا ملك المسلمين انا ابن الحكيمة بحرونة كهينة الجزائر السود وارسلنى جوان بهذا المتجر وقال لى لا تبع متجرك الا لواحد فان الذى يشتريه هو الملك فان قدرت على قبضه اقبضه وارسله الى هذه البلاد لامك تقتله وتملك بلاده فاتيت على هذا الحال

قال السلطان وجوان عند أمك فى الجزيرة السودة فقال نعم فقال السلطان لباشة اسكندرية احفظ هذا المتجر عندك واحبس هذا الولد حتى ننظر على اى شىء تنفصل هذه القضية واذا بالدراج داخل على الملك ومعه كتاب من مصر اخذ الكتاب الملك وقراه يلتقى فيه ان الثلاثة اولاد الملك عدموا من فراشهم ليلا وظهر فى مصر سيف خفى لم ينظره احد يكون الانسان ماشى ما يشعر الا وراسه طارت وليس احد ينظر الذى ضربه فلما سمع الملك الخبر اخذ ابراهيم وسعد وسار الى مصر وطلع جلس على الكرسى واذا بكتاب من الاسكندرية بعدم التاجر من الحبس والسيف الذى سمعت عنه انه فى مصر صار بالاسكندرية فركب الملك على حصانه واخذ معه ابراهيم وسعد وعاد طالب الاسكندرية فلما وصل سار الى باب البلد لقاه مفتوح فدخل فرأى الدنيا خامدة والناس خايفة لم تخرج الاسواق فقال الملك لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وسار الى محل الديوان فلم يجد احدا بالديوان فجلس على الفرش وقال يا ابراهيم هات الكرسى فدخل ابراهيم ياتى بالكرسى للسلطان فلم يرجع فدخل سعد يستعجله فلم يرجع فقام السلطان ينظر ما الخبر فلم يشعروا جميعا الا وهم فى الحديد سعد وابراهيم والسلطان والملعون جوان والعرنقش والكهينة بحرونة وابنها على اربع كراسى من الذهب وهم فى غليون مسافرين قاصدين الجزائر السود وكان السبب فى ذلك ان الملعون جوان بعد ارسال بحرون ابن الكهينة بالمتجر اقام عندها يحدثها بما عملت

علوم الروم مع ملك الاسلام وما جرى من الاحكام حتى وصل الى ميرون الراهب وما فعل سيف الاخفى

[قال الراوى] فقالت الكهينة يا جوان انا كنت اعلم فى هذه الجزيرة دير التماثيل وفيه سيف الاخفى موضوع فى بير وانت فكرتنى به واريد ان اروح الى ذلك الدير واطلع السيف منه فانه ذخيرة فقال جوان قومى حالا يا كهينة فاخذته على بساطها وسارت الى دير التماثيل ولما رأته ازاحت الردم وكشفت البير وتلت اسما وفكت الرصد وأطلعت السيف وقالت لجوان انا كنت اظن ان المسلمين يغلبونى ولما ملكت ذلك السيف لم ابالى بالمسلمين ولو يجتمعوا أجمعين ولا بد لى ان افنى اجنادهم واخرب بلادهم ثم انها ركبت سريرها وسارت الى مصر وارسلت عون من الجن خطف السعيد من على الكرسى ولما حضر بين يديها ارادت قتله وقالت له هل السلطان اولاد غيرك

فقال جوان له ولدين وسماهم لها فارسلت اخذتهم من محل منامهم واظهرت السيف فى مصر وقتلت من الرعية خلق كثير فارسلت الملك اعلمت الوزير بفقد اولاد السلطان واعلمها ايضا الوزير باخذ السعيد من على الكرسى وارسلوا للسلطان وكانت الكهينة وضعت اولاد السلطان فى دير الطين وقالت هؤلاء محبوسين حتى يأتى ابنى ثم انها احضرت عونا وسالته عن ابنها فقال فى اسكندرية حبسه السلطان فسارت الى اسكندرية ارسلت عون اتاها بابنها واظهرت السيف بالاسكندرية فارسل الباشا اعلم السلطان فركب السلطان وراح الى الاسكندرية فلم يجد احدا فدخل الديوان وكانت الكهينة مراصدة له فلما دخل صنعت له تخيلات حتى تمايلت بباب السحر عليه وعلى المقدم ابراهيم وسعد واخذتهم فى المركب وطلبت بلادها هذا هو الاصل والسبب فبينما هى سائرة بهم وجوان يهدد السلطان بالقتل فقال السلطان ياجوان واين اولادى

فقال جوان قتلتهم الحكيمة تسال عن اولادك وانت مقتول يعنى انت نافذ حتى تسال عن غيرك فقال الملك يا ملعون انا لا أقنط من رحمة الله فبينما هم كذلك واذا بالقرب المصور معارض لهم فى البحر كان قادم من بلاد الروم بجميع جزيرة سواحل البحر والجزائر فلما نظر البطارقى الى مركب الكهينة ظن انها قرسان واقعة فى البحر لاذية الاسلام والكهينة لما رات الغراب المعظم قالت لقبطانها اهجم على هذه المركب المسلمين تأخذهم اسارى فهنالك وقع القتال بضرب المدافع ورمى النبال وطال المطال ووقفت الكهينة تتفرج على قتال قبطانها مع قتال المسلمين وبالامر المقدر ان القبطان له ولد اسمه سيدى محمد حافى راسه ولكنه من تلاميذ سيدى عبد الله المغاورى فقال لابيه يا أبى انا قصدى اتعلم ضرب النبال فى البحر فخذ انت قوس وأنا

مثلك وانظر هذه الكافرة العجوزة وهذا الكافر ابنها قاعد جنبها وهؤلاء قتلوهم المقبل من الحج إلى بيت الله لانهم أعداء الله فاضرب انت أحدهم وأنا اضرب الآخر والذى نبلته لم تقتل يكون مفقود المروءة فقال البطرنى هاها يا محمد وأنا اخترت العجوز فقال محمد وأنا اضرب ابنها وأوتروا الاثنين القوسين وفرقوهم فنبلة البطرنى وقعت للحكيمة فى قلبها خرجت من قفاها ونبلة محمد حانى جاءت فى راسه وقعت من عين بحرون ولدها نفذت من وسط راسه هذا والقبطان ملهى فى القتال ومتوكل على الكهينة انها تعاونه فى القتال بشىء من السحر والكهانة فلم يشعر إلا والبطرنى أدهمه وشك الكلاليب فى القليون وصاحت المغاربة الله أكبر وتقدم على بوجى بن البطرنى وضرب القبطان على وريديه اطاح رأسه من بين كتفيه وتاسر المغاربة على الكفار وأفنوهم بالحسام البتار وطلع البطرنى إلى القليون فالتقى جوان الملعون وصحبته غلامه البرتقش فقال البطرنى أنت من أين أتيت يا ابن الكافرة فقال جوان أنا فى عرضك يا قبطان اعتقنى وخذ ملك المسلمين يا ملعون فاعلمه به والبرتقش دخل السلطان مكه ووقع فى عرضه من القتل فقال السلطان عدينا يا بطرنى لان قلبى مشغول على أولادى لان هذه اللعينة ربما قتلتهم وسار السلطان إلى مصر ودخل بلا موكب ولا زينة لاجل فقد أولاده وبات ليلته وطلب جوان وصب عليه العذاب حتى أن جلده ذاب ولم يقر بالسعيد ولا اخوته ورضى على أن يموت ولا يعلم السلطان باولاده وكانت الملكة أم الاستاذ قلبها على اولادها فسألت ريحان وقالت له كيف ان السلطان لم يات باولاده فاعلمها بانه لم يعلم مكانهم وجوان ذاب جسمه من شدة الضرب ولم يقر بهم فامرت باحضار جوان عندها فلما حضر لاطفته بالكلام وقالت له يا جوان وحق الرب القديم الدائم ان انت أخبرتنى باولادى اخرج على شيحة لم يعد يضربك كلما قبضك فاعلم احيلة هى وردلهتى باولادى وأنا والله العظيم أخلى السلطان يطلقك وأين ما ومت فى يده لم يضربك ولا يقتلك فقال له جوان يا ملكة أولادك فى دير الطين وهم مكرمون فارسلت اعلمت السلطان مع الاغا ريحان بانهم فى دير الطين فلما علم السلطان ارسل ايدمر البهلوان يحضرهم وكان البطرق سمع بقتل الكهينة فاطلق أولاد السلطان وأكرمهم غاية الاكرام ولما حضر ايدمر سلمهم اليه وأتى معه واعتذر إلى السلطان فقبل عذره وأكرمه وطلعوا أولاد السلطان إلى السراية وأما جوان فاطلقته الملكة تاج بخت ودور عليه السلطان فلم يجده فاقام يتعاطى الاحكام كما أمره الملك العلام [واعجب ما وقع] فى بلاد الغرب مدينة اسمها طنجة وبها ملك اسمه عبد الودود وله ابن عم يقال له المقدم فرج الطنجى وكان هذا

مفرج من الابطال المشهورة والفرسان المحبورة وهو ابن الملك عبد الودود كما ذكرنا فاتفق أن مفرج هذا طاف بلاد النصارى كما تعمل مقادم الاسلام فدخل إلى مدينة اشبليه وكان قصده المكسب منها فحكم بالقضاء والقدر أن ملك المدينة البب ماسطارون وله بنت اسمها الملكة انسطارونه ولما دخل مفرج الطنجى تلك المدينة فكان ملكها البب نسطارون على الصور وبيده نظارة على البر فراى مفرج الطنجى لما قرب من المدينة غير زيه وتزيا زى النصارى فعرف انه مسلم من بلاد الاسلام لاجل السرقة من مدينته فصبر عليه حتى طلع إلى ديوانه ولم يكلمه حتى اتى دار الديوان والبب ماسطارون باله معه ولما دخل الليل قعد الملك فى سرايته واستحضر على جانب من البرج حتى نزل مفرج الطنجى فبنجه وقبضه وانزله فى طابق سرايته وأمر بنته أن تطعمه وتسقيه وتضربه كل يوم مائة سوط على جلده محبة فى دين المسيح فاقام كذلك إلى يوم نزلت البنت اليه فوجده يقرأ القرآن فقالت له ايش الذى تقوله فقال لها هذا كلام الله فقالت له علمنى فعلمها واسلمت على يديه وبعد اسلامها أو هبته شيئا من حليها فقدمه لها فى الصداق عقد عقدها ووطئها فحملت منه وهو محبوس واوعدته انها تطلقه فلم يمكنها لكون أن اباها لم يفرط لها فكبرت بطنها وبان عليها الحمل وراتها امها فاعلمت اباها فاحضر البنت وهددها لاجل أن تقول على الصحيح فاقرت أن ماوطئها الا مفرج الطنجى الذى هو محبوس عندها فاغتاظ ابيها ونزل على مفرج الطنجى فقتله فى السجن ودفنه وأما البنت فوضعت غلام فسموه حمقان وكبر فى تلك المدينة مع امه وامره مكتوم وكان عند البب عيار وله ولد اسمه سطرون فتربا مع حمقان حتى صار عمره عشرين سنة فتعلق حمقان برئاسة البحر وصار يغز من على المركب وياخذه منهم الغفارة مدة ايام فاتفق أن تلك المدينه يحكم عليها عبدالودود ملك طنجه وياخذ خراجها فى كل عام إلى أن كان فى يوم من الايام ارسل يطلب الخراج فعلم حمقان فقال أنا لم ادفع خراج ورد رسول عبد الودود خائب وقال ماعندى الاضرب السيف الصقيل فى النهار الطويل وأمر عساكر مدينة اشباليه أن يتجهزوا للحرب وحلف انه لا يعود حتى ياخذ مدينة طنجه ويقتل ملكها فعلمت به أمه فارسلت له جارية وقالت له كلم امك فدخل على امه فقالت له ياولدى أنت تعلم أن من حين وضعتك وأنا محبوسة فى هذا المكان وأنت لم تسأل عنى وتعرفنى فقال لها يا امى أنا حين كنت صغير مارأيتك الا فى هذه الساعة فقالت له أنا هذه المدة كلها محبوسة فقال لها ومن الذى حبسك فقالت له حبسنى ابى وهو جدك وأنت يا ولدى ابوك كان رجل مسلم وهو ابن الملك عبد الودود

صاحب مدينة طنجة واسمه المقدم مفرج الطنجي كله جدك ودفنه هنا وهذا قبره والذي أنت رايح تحاربه هو ابن هو عم ابيك وها أنا ياولدي اعلمتك بامرك حتى اخلص من الكريهة فان أردت أن تعيش على دين الكفر حتى تموت وتبقى من أهل النار أنت وشأنك وإن أردت أن تكون مؤمن مثل ابيك فها أنت سائر إلى الملك عبد الودود وهو عمك فاعلمه بنفسك واسلم على يديه وارجع قتل جدك وثار أبيك وخذ بلاده وافتحها اسلام فقال رايك صواب وتقدم إلى أمه يقبل يديها وأخذها معه ونزل بها في البحر وسار بالعساكر حتى وصل الى مدينة طنجة وطلع عساكره على البر وصفهم صفوف وكذلك عبد الودود صفف رجاله وانتصب الميدان ونزل حمقان وقاتل في أهل طنجة وكلما قدر على إنسان يأسره ويقول له ده إلى الملك عبد الودود ولم تعد تنزل الميدان وإن نزلت ثاني مرة واسرتك اقتلك ودام الامر على هذا الحال مدة ايام حتى أن الملك عبد الودود ضاقت حضرته فبرز اليه وتقاتل معه إلى آخر النهار فقال له حمقان يا ملك عبد الودود هل لك أخ أو قريب غاب عنك ولم يعد اليك فقال له نعم ابن عم اسمه مفرج وهو مثلك في النشأة ولولا انك كافر لكنت اقول أنت ابن عمي فقال يا ملك أنا ابنه واسمي حمقان وامي التي اعلمتني بذلك وها هي موجودة معي في خيمتي التي انا مقيم فيها وأما الذي قتل ابن عمك فهو جدي الكافر الملعون البيب ناسطارون وأنا يا ملك عبد الودود لم اعلم بذلك الا في هذه الايام لما تجهزت اليك طالب الحرب والخصام وكانت امي محبوسة في مخدع في قصرها فارسلها لي فلما حضرت أعلمتني وها أنا أعلمك بالحقيقة وبينت اليك الطريقة فقال له الملك عبد الودود يا حمقان أما إذا صبوت إلى دين اسلام وهداك الملك العلام فانت ابن عمي بلا كلام وأما اذا كنت على دين الكفار فلا اعرفك ولو كنت ولدي من ظهري فاني ابن المسلم يكون مسلم ثم أن عبد الودود حكى له على شرف دين الاسلام فاسلم وقال له لاتحرك ساكن حتى انني اطبق على ذلك الملعون ناسطارون واملك بلاده واهلك جميع اجناده كما قتل ابن عمي وها أنا اتقاتل معك إلى آخر النهار وتعود الى عسكرك وكل يوم تنزل معي للقتال حتى أني أورثك الاعمال فقال له يا عم افعل ما بدالك فانا لا اخالف مقالك ثم تقاتلوا الى آخر النهار وعادوا إلى مضاربهم والخيام [ياسادة] وكان هذا الملك عبد الودود رجل جبار اصله من العبيد السودان مولود في مدينة طنجة وأمه حبشية وأبوه كان مغربي من بلد اسمها رماح وذلك الرجل اسمه سعدون الرماحي وهو فارس خيل وخائض الوقائع في النهار والليل وله اتباع من جنسه من

كل فارس شديد فى الحرب جليد وهم مغاربة وعبيد قدرهم أربعة آلاف بطل كل واحد منهم كانه ثنية جبل فارسل الملك عبد الودود اليه ليلا فلما حضر قال له يامقدم سعدون اعلم ان المقدم مفرج الطنجى رباك وانت فلاحه وله عليك حق الربايه وهذا الغلام حمقان الذى يحاربنا هو ابنه وهو مسلم فى الباطن وكافر فى الظاهر وهذا الملعون ناسطارون قتل ابن عمى مفرج الطنجى فى نظير ما تزوج بنته واسلمت وحملت من ابن عمى بذلك الغلام فقتله وحبسها طول هذه المدة ولما صارت هذه الفتنة اتى بها واعلمت ولدها بحقيقة الحال وانا أريد منك أن تأخذ رجالك ولا تصبح الا قدام مدينة شبالية حتى انى أنا وابن عمى نهلك هذه العساكر التى بين أيدينا ونلحقكم فقال له سمعا وطاعة وطلع من قدامه ونبه عساكره وأمرهم بالتجهيز للرحيل فما أصبح الصباح إلا وسعدون الرماحى على اشبالية وعلم به البب ناسطارون فخرج بعساكره وأراد أن ينصب خيامه فلم يتركه سعدون أن يستمدل حتى صرخ فى رجاله وهجم عليه ووقع الحرب بين الفريقين واتصل الحرب بين الطائفتين هذا ما جرى لسعدون [وأما حمقان] فانه لما رجع إلى جماعته وقال لهم اعلموا أن قصدى أكبس على عبد الودود فى وسط بلده ولم أطلع من مدينتك حتى أملك مملكته فقالوا له افعل ماتريد فقال لهم ادخلوا معى من غير خيل ولا جلبية وأنا ادخل قدامكم واستيقظوا حتى افتح الباب وادخلوا ساحبين الحراب فقالوا افعل ما تريد فسار حمقان ودخل على عبد الودود وقال له اخلى شارع البلد حتى تدخل الكفار فى ظلام الاعتكار وعند باب القلعة توقف الاسلام يمينا ويسارا حتى أعود على عساكرى واصرخ عليهم الاسلام فمن أسلم منهم أطلقناه ومن كفر أهلكناه فقال عبد الودود هذا رأى صواب وعاد حمقان وفتح باب المدينة ودخلت عسكره حتى حضروا جميعا فى دهليز باب القلعة اختلطت بهم عساكر عبد الودود ثم صاح حمقان وقال يا معاشر الكفار اعلموا ان المتكلم أنا حمقان وأبى مفرج الطنجى الذى قتله البب ناسطارون وأنا مسلم فالذى يسلم منكم أطلقته والذى يريد الكفر ينعزل حتى انى اطلعه على دين البلد لما قتله البب ناسطارون فقالوا له رجاله ياحمقان نحن جميعا مسلمين والذى أهدانا إلى الاسلام هو سيدنا عبد الله المغاورى فلا تجتهد إلا فى حدك حتى نأخذ منه ثار أبيك وان أسلم كان له مالك وعليه ماعليك فنفر حمقان وطلع من القلعة هو وعبيد الودود وضربت لهم النوبة حتى ان البر كاد ان ينقلب وثانى الايام ركبوا جميعا وساروا على مدينة اشبالية هذا ما جرى هنا وأما سعدون الرماحى لما وصل إلى اشبالية وخرج اليه البب ناسطارون ووقع القتال وداموا يوم وليلة وصباح اليوم الثانى اشرف عليهم

حمقان وعبد الودود وتركوا ناسطرون يقاتل بعسكره مع عسكر سعدون وحمقان دخل بعسكره إلى البلد وتبعه عبد الودود ومعهم عساكر وجنود وكان لهم يوم مشهود وملكوا المدينة بما فيها واحتووا على كل اطرافها ونواحيها وطلع حمقان وطبق على جده وجذب رجله وقال أنت قتلت أبى مفرج النطجى وهو ابن عم الملك عبد الودود وأنا مسلم ابن مسلم وأنت قاتل أبى لم يخلصك منى الا الاسلام فاسلم وتبعه من عسكره خمسة آلاف نفر ووقع الصلح بينه وبين عبد الودود والذى بقى من عسكره عادوا إلى مدينة اشبالية ودخلوا على ابن الملك ناسطرون وكان اسمه سطارين وعنده عيار اسمه سطرون وهو مثل حمقان فى الزى والمنظر فقال لابن الملك ايا أقبض على حمقان وعلى ابيك وعلى جميع المسلمين واحضرهم إلى بلادك وتقتل الجميع فقال له سطارين أن فعلت ذلك تبقى أنا وأنت ملوك البلاد أنا اجلس على مدينة اشبالية وأنت تكون وزيرى والامر والنهى بيدك فقال مرحبا واجتهد الملعون فى تدقيق الحيل هذا ماجرى هنا [وأما حمقان] فانه بعد اسلامه اجتهد فى العبادة ليلا ونهارا مدة عشرة ايام وهو يتمنى أن يغازى فى الكفار حتى يموت شهيدا لان الايام مضت وقطع ايام الشبوبية بالكفر فاتفق انه رأى فى المنام ابن السلطان الظاهر مقبوض فى يد الكفار ومعه قبطان الاسلام ابو بكر البطرنى فلما افاق من نومه وسار إلى نحو البحر وإذا بسيدى عبد الله المغاورى مقبل عليه من البحر وقال له يا حمقان أعلم أن الملك محمد السعيد ابن الملك الظاهر محبوس فى مدينة برشنونة فى أسر النصارى فادركه يا ابنى لعلك تخلصه ويكتب لك بذلك الثواب فلما سمع ذلك دخل على عبد الودود واخبره فقال يا ولدى الجهاد فرض لازم على كل مؤمن وخصوصا إذا كان الامر لازم لخلاص قبطان الاسلام وابن الملك الظاهر فعند ذلك ارسل حمقان إلى سعدون الرماحى واعلمه وقال له أنا وأنت نسير الى برشنونه ونجتهد فى خلاص ابى بكر البطريق والملك محمد السعيد وطلع حمقان وسعدون الرماحى قاصدين الى مدينة برشنونة لهم كلام وكان السبب فى أسر الملك محمد السعيد وابى بكر البطرنى وهو ان السعيد كان عيان فطلب من ابيه الاجازة أن يغير الهوى فى الاسكندرية وان ينزل فى القراب المعظمى المنصور يتسلى فى البحر المالح فاذن له السلطان وسار الى الاسكندرية ونزل مع البطرنى فى القراب على قدر النزهة والتسلية فبالامر المقدر خرج عليهم ريح اسمه قاسم جران وقوى البحر حتى صارت امواجه كالجبال واظلم الضوء حتى بقى كانه دجى الغياهب وارخى بال وبقى البطرنى حائر هذا الحال فما افاق الا هو على برشنونه فقال البطرنى يا ملك محمد هذه بلد سريون الراهب ومرتين الابرش

وكان جرى للسلطان فيها أمور غابره والله تعالى نصر أباك والاسلام وأهلك الكفرة بالشام فنصبر حتى ينام هذا الشرد ويتغير الهوى ونسافر من هذه المدينة ونطلب الاسكندرية فبينما هم كذلك وإذا بفارس اقبل من البر وقال ياقبطان الاسلام أنت سيدى ابو بكر البطرنى فقال البطريق أنا بذاتى يامعلم إيش تريد فقال أنا أرسلنى البب مرتومة ابن مرتين الابرش وقال لى أنا رأيت مركب ملك المسلمين وصلت إلى مينة برشنونة فاذهب إلى المينة وانظر ان كان دين المسلمين أقبل وإلا القبطان وحده فاتيت أسألكم على الحقيقة فقال البطرنى السلطان لم يحضر والذى معى ابنه الملك محمد فقط فعاد الخيال إلى ملك برشنونة واعلمه بانه الغراب والقبطان والذى معه الملك محمد السعيد بن الملك الظاهر فقام الملعون وسار للمينة وسعى فى خدمتهم وفرح بقدومهم وضرب لهم المدافع فرحا بأفعالهم وعزمهم وحلف عليهم فطلعوا معه إلى سرايته فعند ذلك أكرمهم ووضع لهم الطعام فأكلوا وشربوا وغافلهم حتى اطمأنوا وادغر عليهم البنج بنجهم ووضعهم فى الحديد ثم انه وضع البطرنى فى مكان وحده ووضع السعيد فى مكان وحده بعدما هددهم بالقتل وأراد ان يأخذ بثار أبيه مرتين الابرش فقال له البطرنى ياابن الكافرة إذ كان الملك الظاهر قتل أباك فى زمان صباه فانت تريد تخلص ثاره منا ولابد للملك الظاهر أن يأتيك ويقتلك ويخرب بلادك ويهلك عساكرك وأجنادك فحبسهم كما ذكر كل واحد فى محل وأقام ينتظر العرضيات والامور المقتضيات وفى تلك الايام وصل حقان والمقدم والمقدم سعدون طالبين خلاصهم لهم كلام [قال الراوى] وأما ما جرى من العيار قاسطرون فانه سار طالب الاسكندرية وهو فى زى حقان واقام فيها مختفى ينتشق الاخبار وأما حقان بن مفرج الطنجى وصل إلى برشنونة فرآها مدينة حصينة فارسل سعدون الرماحى وقال له ائتنى بالعسكر وأقام مع أهل برشنونة لانه كان فصيح واختلط أيضا بالبوابين وبقى له معهم تمكين حتى أتى سعدون بالعساكر وحط على برشنونة وكان حقان مستحضر ففتح له باب البلد ليلا وكبسوها تحت ظلام الليل وأهلكوا خلقا كثيرا وقبض حقان على مرتومة ملك برشنونة وعشرين من أرباب دولته ونزلهم فى غليون بعدما أهلكوا خلقا كثيرا من عساكر برشنونة وعاد وكبس حقان على سراية مرتومة فلقى بابى بكر البطرنى وأما السعيد فلم يجده فسأل عنه مرتومة فقال كان فى السراية فاخذه معه ثانيا للسراية وفتشوها فلم يجدوا السعيد فقال حقان أنا أسلمكم للسلطان ولم يطلقكم حتى تأتوه بابنه ونزل فى الغراب العظمى واخذ مرتومة وأرباب دولته وسار فى البحر حتى وصل إلى الاسكندرية وأرسل كتاب للسلطان أعلمه

بقدومه فامر السلطان بحضور حمقان الى مصر والبطرق ومن معهم من الكفار وأمر السلطان بموكب لحمقان فركب وطلع الى الديوان وقدم الاسارى قدام السلطان ومعهم مرتومة صاحب برشنونة فامر السلطان بقطع رؤوسهم فقال له حمقان يامالك لما يحضر السعيد فقال الملك لمرتومة ابن السعيد ياملعون فقال ياربن المسلمين لااعلم من الذى سرقه وأنا أظن ان الذى سرقه سطرون ابن صاحب اشبالية لانه لما علم باسلام أبيه حلف ان يفعل مكيدة فى المسلمين وبلده قريبة من بلادى ولاشك أنه أخذ السعيد من عندى فقال احلقوا ذقونهم وشرار بهم واقطعوا آذانهم واوفهم جزاء لما فعل هذا الملعون مرترمة فقال مرتومة أنانى عرضك يامالك حمقان اشمع فى واضمنى عند ملك المسلمين وأنا أجيب السعيد من عند سطرين وهو فى غاية الصحة والتمكين فقال حمقان يامالك الاسلام انا ضامن مرتومة ولاتلزم السعيد الامنى أنا فاطلقهم السلطان كرامة لحمقان الطنجى وقال له خذهم وروح بهم الى بلادهم ولم ألزم السعيد الامنك فقال سمعا وطاعة وأخذهم وسار بهم الى الاسكندرية فكان سطرين فى الاسكندرية فاجتمع بمرتومة سرا وقال له أنا أساعدك وحادمعه الى برشنونة وفى الحال بنج حمقان وحبسه مع السعيد وقال له أنت صبوت الى دين المسلمين وتركت دين النصارى ان كان دين المسلمين طيب يخلصك فقال استاهل أنا ياملعون وهذا أصلك يدل عليه فملك فحبسه مع السعيد فى محل واحدة وتركهم يقع لهم كلام

[قال الراوى] وأما ما كان من الملعون سطرون فانه خرج من برشنونة وسار الى الاسكندرية وهو فى صفة حمقان ففرح به البطرق وهو يظن انه حمقان فاكرمه وكذلك باشة الاسكندرية اكرمه وعلم السلطان بقدومه فارسل يسأله عن ابنه فارسل حمقان يقول ان ابنك يامولانا لاتخف عليه ولاتلزمه الامن عبدك حمقان فارسل السلطان طلبه الى مصر وزاد فى اكرامه وهو معتقد انه حمقان صحيح وبعد ثلاثة أيام طلب الاسكندرية وكان الملك عرنوس ذلك الايام عند السلطان فسأل عن حمقان فحكى له السلطان على أصل منشاه وان جده أبا امه قتل اياه وبعده اسلم معه وأسلمت أهل بلده والذى لم يعلم خرج من البلاد وجده أبو امه مقيم بعسكره عند عبد الودود بمدينة طنجة وترك البلاد لابنه سطرين وهو كافر لعين فانبسط الملك عرنوس من سيرة حمقان وقال لابدلى ان أعزمه فى مدينة الرخام وسار صحبته الى الاسكندرية ومعه جماعة من أبطال الاسلام وهم أربعة عشر مقدام وأربعة أولاد الملك عرنوس واسماعيل ابو السباع وابنه المقدم جوينش فلما وصلوا الى ثغر الاسكندرية ونزلوا فى السحاب وهو غليون الملك عرنوس فلما صاروا جميعا فى الغليون

قال لهم حقان هو والملعون سطرون وانا غلبونى الذى اتيت فيه اقوته فى الاسكندرية فهذا لايكون وانا لااسير الا فى غليونى وامشى به قريبا منكم واما اذا ارسينا فى محل نبقى نتوادد بعضنا حتى نصل إلى مدينة الرخام كمركوب الملك عرنوس فقال عرنوس إذا كنت لم تقعد معى فى مركبي فانا اقعد معك فقال حقان العفو يا ملك عرنوس ماانا الاعبدك وخادمك لابعار ولاندم سعى الموالى للخدام فقال عرنوس انا قعد معك فى غليونك وكان الملعون سطرون صاحب مكر وحيل وتدبير ودام مع الملك عرنوس وهو يحدثه ويباسطه حتى ان الملك عرنوس قعد فى مركبه فاصطنع شمعة بمعرفته من البنج القاطع واوقدها قدام الملك عرنوس وقعد معه حتى أنه تبنج وعرف انه لم يبق له همة ولا حركة فامر قبطانه ان يلاحق غليونه بجانب غليون الملك عرنوس واقعد عرنوس وهو مبنج والشمعة والعة بين يديه ولما بقوا المراكب جنب بعض قال ياسادات الاسلام كلموا الملك عرنوس جميعا فانتقلوا الى الغليون فادخل احد الا واخذه البنج فرقدوا وبعد ذلك أخذ حقان الشمعة هو والملعون سطرون ونزل فى قلب غليون الملك عرنوس وطاف بها فى نواحيه فما شمها أحد الا وتبنج حتى لم يبق فى غليون عرنوس احد الا وتبنج فنقل جميع الاسلام فى مركبه وترك غليون الملك عرنوس فى البحر وسار طالب برشنونة حتى وصل اليها واعجب ما وقع ان الملك عبد الودود أتوا له جماعة من رجاله واعلموه انهم لقوا غليون فى البحر ضايع وملآن ذخيرة وعدد الحرب وليس فيه أحد فطلع عبد الودود ونظر ذلك الغليون وأمر قبطانه ان يأتى به على مينة طنجة فلما قدموا انزل عبد الودود وفتش فى ذلك الغليون فقال ما هذا الا غليون الملك عرنوس وفتش فيه فالتقى انسان من البحرية نائم فى الطارمة فتحايل عليه حتى فيقه وساله عن أصحاب ذلك الغليون فقال له ان الملك عرنوس نزل مع حقان الطنجى فى مركبه وطالب كل من فى الغليون راحوا معه ولم اعلم بعد ذلك ما جرى فقال عبد الودود لاشك ان هذه مكيدة صنعها سطرون بن وزير برشنونة لانه يضاهى ابن ابن عمى حقان وجهز اعساكره ونزل البحر طالب برشنونة حتى وصل اليها هذا ما جرى [وأما] الملك محمد السعيد وحقان فى السجن ولم يشعروا الا ورجل مقبل عليهم وقال السلام عليكم لاباس عليكم ياملوك أنا سعدون الزناتى وتقدم فكهم وأراد ان يأخذهم وينزل بهم الى البحر واذا أتى الملعون سطرون ومعه عرنوس ورجال الاسلام اسارى وهو فرحان وطالع مرتومة وانعقد له موكب وزينوا البلد ودخل سطرون سابق بين يديه الاسلام وهو يفتخر بما فعل من هذه الاحكام ونظر الى ذلك سعدون الزناتى والمقدم حقان والملك محمد السعيد فقالوا جميعا لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم فقال حقان ياسعدون انا والملك محمد السعيد

نبقى هنا ولا يمكننا أننا نفوت الاسلام بل نجاهد فى طاعة الملك العلام .

فقال سعدون ياملك حقان ها نحن مشاهدين وبين الاعداء مختلفين فان نزلوهم نزلت أنا ليلا وأطلقتهم وإن رضعوهم للقتل وأرادوا قتلهم قاموا أنتم عى وأنا أفكهم وأقاتل معكم وإذا خلصوا يساعدونا فى القتال ونملك البلاد وتنقضى هذه الاشغال وأما مرتومه فانه أقعد الاسلام فى نطعة لدم وأمر بضرب رقابهم وإذا بسعدون الرماح تقدم وضرب مرتومة أرمى عنقه وكذلك حقان والسعيد صاحوا الله أكبر وفكوا الاسلام الاسرى وضربوا بالسيوف فى أعناق النصارى وفى ذلك الوقت أقبل عبد الودود بعساكره وملكوا المينة ودوروا السيف فى البلد حتى ملكوها والملك عرنوس أشق فؤاده وقتل سطرون وأعدمه رشاده ونهبوا برشنونة وأهلكوا أهلها وبعد ذلك نزلوا البحر طالبين مدينة طنجة وأقاموا فى ضيافة عبد الودود وحقان ثلاثين يوما ثم تودعوا وطلبوا بلادهم جميع الاسلام فردهم حقان وعبد الودود ونزلوا فى الغراب السحاب وسافروا طالبين مدينة الرخام فكان الملعون سطرين ابن صاحب اشبالية رابط لهم فى بوغاز البحر فقاتلهم سبعة أيام وبلغ الخبر إلى حقان فندم الذى لم يسافر معهم وسار خلفهم حتى لحقهم وأدركهم وقتل سطرين ونصر الله الاسلام وعاد حقان إلى طنجة يقع له كلام [وأما] الملك محمد السعيد فانه سار مع الملك عرنوس إلى مدينة الرخام وام بها ثلاثة أيام واليوم الرابع حضر ابو بكر البطرنى بالغراب العظمى المنصورى فنزل فيه السعيد وسافر إلى مصر ودخل على أبيه ففرح به وسلم عليه وسأله عن حاله فأخبره بالذى جرى له وما فعل حقان فى حربه وقتاله ففرح السلطان وزالت عنه الهموم والاحزان وأقام الملك يتعاطى الاحكام كما امر الملك العلام وبعد أيام اقبل حقان من بلاده قاصدا الحج إلى بيت الله الحرام فأحضره السلطان إلى مصر وداخله بموكب عظيم وقال له إذا كنت قاصد الحجاز فأنا اجعلك اميرا على الحج الشريف وفى هذا العام تبلغ المامول وتحج وتزور الرسول فاقام حقان عند السلطان فى الديوان إلى يوم من الايام أقبل نجاب ومعه كتاب من الاسكندرية يخبر أنه وردت عمارة مراكب من مدينة برشنونة سدت البحر فادركنا يا ملك الاسلام فكفى فى هذه الركبة فقال له السلطان انت قاصد الحج خليك لم تروح حتى ياتى اوان الحج

فقال يامولانا لا تحرمنى من الجهاد فى طاعة رب العباد فطوقه السلطان وجهز له اربعين اميرا وعشرين فداوى والزمه بالسفر إلى الاسكندرية فلما وصل مسك البر قدام الكفار ووقع ضرب النبال ونزل حقان فى مركب وصحبته اربع مقادم وقاتل يوما وآخر النهار طلعوا خيامهم وفعلوا النصارى مثل فعالهم وباتوا إلى الصباح فوقع

القتال وفنى السلاح الفصال وعظم الويل والوبال آخر النهار وهكذا خمسة أيام وفى الليلة السادسة تنكر حقان صفة بطريق ودخل على عرضى النصارى ومازال حتى صار قدام الهب مرتيون أخو مرتومة الذى قتل فبينما حقان واقف وإذا بعيار يقال له ديابره تأمل فيه وعرفه فلم يكلمه بل أتاه من خلف ظهره وضربه بلت حديد رماه على وجه الأرض والبيد فقال له البب لأى شىء ضربته

فقال له ياب هذا حقان الذى اختلط بالمسلمين واحترف علينا وقتل ملوكنا بعدما تربى فى بلادنا فعند ذلك أمر بوضعه فى الحديد هذا ماجرى وعند الصباح وقع الحرب والقتال إلى آخر النهار واستظهروا الكفار وملكوا رشدهم وعند المساء نزلوا فى مراكبهم وطلبوا بلادهم وحقان معهم فلما وصلوا إلى برشنونة التقوا جران هناك فاخبره مرتيون بمافعلوا الاسلام ومافعل معهم وقدموا حقان قدام الملعون جوان فقال جوان انت مجنون ياحقان تسلم بعدما تربيت مع النصارى وتفوت دين المسيح وتبرأ منه فقال حقان ياملعون اما كان أبى من المسلمين وهو من أشراف العرب واسمه المقدم مفرج الطنجى وأنا مؤمن ابن مؤمن ولابد ياكلب ان احسن الله خلاصى سوف ترى ماافعل فقال جران اقتلوه فقال الوزير قتله لا يمكن لان وراءه سعدون الرماحى يذبحنا واحد بعد واحد وإنما الصواب حبسه حتى ينتسى عندنا وقتله قريب فقال الملك احبسوه فانحبس حقان له كلام

[وأما] المسلمون لما انقضت الواقعة فتشوا على حقان فلم يجدوه فعادوا إلى مصر وأعلموا السلطان أن الكفار عادوا إلى بلادهم وأما حقان لم نعلم ان كان مات مع الاموات أو أخذوه أسيرا لانه من حين وقع جنك الحرب لم نجتمع عليه فقال السلطان هذه مكيدة عملوها النصارى عليه واخذوه وكل من جاء لى بخبره أعطى له مائة الف دينار فقال إبراهيم أنا ياملك أعطيك بخبره وأسير إلى برشنونة ولاأعود إن شاء الله الا به فقال السلطان خذ معك ماتريد من الرجال فقال لم آخذ إلا سعدا فقط والله تعالى لنا ناصر ومعين فقال الملك توكل على رب العالمين فسافر ابراهيم وسعد وطلبوا برشنونة وأما المغاربة عساكر حقان فلم يهن عليهم استاذهم فطلبوا برشنونة بعدمافاتوا على عبد الودود أخذوا معهم جماعة وأرادوا العبور على البلد وأما إبراهيم وسعد فانهم دخلوا برشنونة فالتقاهم رجل أسير من الاسرى وسلم عليهم وقال لهم انتم غرباء ضيفونى فقال ابراهيم انت ايش صنعتك فى هذة البلد فقال أنا أصلى من أرض مصر بلاد الاسلام واستأمرت فى هذه البلد لى سنين وأعوام ولم يبق لى طارح حتى أموت والسلام

فقال ابراهيم وايش صنعتك قال صنعتي سجان عند البب مرتبون احكم على كل مسجون فقال ابراهيم ياسجان وهل عندك رجل مسلم اسمه حمقان فقال نعم وإن كنت قصدك فيه تعال معي انظره في السجن فان كان عدوك اشتفي منه وإن كان صديقك فاحل همه فقال ابراهيم سر فرجني عليه فأخذه إلى محل السجن وأوراه حمقان وقال له ادخل اليه فان كان صاحبك ابكي عليه وإن كان عدوك اشتفي منه فدخل ابراهيم وسعد إلى حمقان فالتى عليهم السجان دخنه بنج وقفل عليهم باب السجن وطلع إلى ملك البلد وقال له يابب جاءني اثنان إلى السجن فقبضتهم ولا شك انهم مسلمين وهم ابراهيم وسعد سراق المسلمين

فقال له حطهم مع حمقان وكل من أتاك اقبضه فقال سمعا وطاعة رماهم عند حمقان فقام البب تفرج عليهم وأحضر العيار دبايره وقال له انت قبضت واحد وهذا بولص قبض اثنين فقال السجان الرأى عندى أن تقعد يا بب تسكر وترى فضلة قدحك عليهم حتى يعلموا أن دين المسيح منصور فقال العيار صدقت هات البيبار فقال السجان أنا رجل فقير ليس عندى بيبار فقال الملك هات انت يا دبايره فقام العيار دبايره وأتى بقارورة ملانة عرقي خمر صافي وأعطاها للسجان فكب منها شيء في النار حتى ينظر الخمر طيب أو غير طيب فخرجت رائحتها فبنج البب والعيار ووضعهم في الحديد وأطلق ابراهيم وسعد وحمقان وأنزلهم في مركب ليلا وأتاهم ابن الملك برشلونة وكان اسمه قسطاس فسلمه لهم وقال لهم سافروا هذا قبطان الملك عبد الودرد فقال حمقان يا أخي أنت من تكون فقال يا مقدم حمقان أنا غلام سعدون ارسلني اليك الملك عبد الودود حتى أخلصك وتبلغ المقصود ثم انه تودع منه وأما ابراهيم وسعد وحمقان فساروا إلى اسكندرية في امن وأمان وأرسل باشة اسكندرية واعلم السلطان فامر لحمقان بمركب يدخل به مصر وكان الامر كذلك وأقام حمقان إلى أوان الحج وسافروا وأما ملك برشلونة اشترى من السلطان نفسه بخمس خزن وولده بثلاث خزن وعياره بخزنتين ووضع ابنه وهو في السجن حتى عاد العيار الى برشلونة وجمع الاموال وحضر بها السلطان وخلص ملك برشلونة يروح إلى بلاده وأخذ عليه السلطان العهد والميثاق ان عاد للغدر ثانيا يقطع راسه ويخمد أنفاسه وعاد إلى بلاده له كلام

وأما حمقان فسار إلى مكة المشرفة وبعد أيام الحج أقام في مكة مجاور وكان من شجاعته بمكان عظيم وكان شريف مكة يقال له الشريف عجلان وهو حامي الحجاز من كل لص وسارق وخوان وله بنت بارعة في الجمال يقال لها الشريفه أمان فاتفق أن سمع بها

واحد جبار مقيم بجبل الطايف يقال له غول البر فارسل للشريف عجلان يخطبها منه فارسل يقول له انا بنتي صغيرة ولا تصلح للزواج فان كبرت أرسلتها اليك هدية لان غول البر رجل بركب معه جيش جرار وصل اليه رد الجواب بما ذكرنا فانقض غول البر واقام بمكة مدة أيام وهو يرتقب الشريفة زمان حتى عرف محل منامها ودخل ليلا سرقها وسار بها الى مكانه وطلبها للخنا فقالت له اتق الله أنا شريفة بنت شريف الحسب والعرض عالي ولكن ارسل لابي واعلمه اني عندك وأنا أرضى بزواجك بالحلال فارسل للشريف وأعلمه انه أخذ بنته فاغتاظ الشريف من ذلك وكان حمقان عنده فاعلمه بذلك الخبر وقال يامقدم حمقان هذا غول البر تجارأ على وأنا كنت اهاديه وأراعي حقه حتى انه تعدى على مملكتي وسرق بنتي ويروم ان يفضح شيبتي وأنا زادت حيرتي فكيف يكون الراى يامقدم حمقان فقال حمقان يا شريف انا اروح الى ذلك الجبار واخلص بنتك منه ولا آتيك إلا براسه ثم ان حمقان قام من قدام الشريف عجلان ودخل مكان وتزيا في صفة شاعر وركب له مطية وصار في البر لا فزعان ولا خائف حتى وصل الى جبل الطائف وسال على خيمة غول البر فارشدوه اليه

فلما عرفه صار الى قدام بيته وصار يمدحه فاحضر عنده وأحضر مشايخ العرب الذي تدور يده عليهم وقال لهم أنا عندي شاعر هذه الليلة نتسلى عليه هيا تعالوا اسمعوه لاجل يمدحنا ونعطيه انعام فاجتمعوا عنده اللصوص قطاع الطرق وذبحوا جملا وأكلوا من لحمه وقعد المقدم حمقان وهم يشووا في لحم الجمل على النار ويا كلون منه ويشربوا فوقه من البوزة حتى تاهوا وبرخ في رؤسهم الاكل والبوزة وأرادوا النوم وبقوا مثل البهائم ليس فيهم أحد إلا وهو نائم وبعدها قال غول البر يا شاعر قم للنوم فاذا طلع النهار أنا أعطيك العطاء وأنعم عليك بالرضا وقام الى محل النوم فصبر عليه حمقان حتى نام ودخل عليه في محل نومه فرآه نائم على وجهه كنومة أهل النار في النار فتقدم اليه بالحسام واتكى على عنقه قطع رأسه ودار في مكانه فالتقى البنت قاعدة تبكي فقال لها لا تخافي فانا أتيتك حتى أخلصك من هذا الحال وأوصلك الى أبيك الشريف عجلان في دياره والاطلال ثم خرج الى محل الجمال وأحضر ناقتين نعماني واركب البنت على واحدة وعلمها ان تحفظ نفسها عليها فقالت له لا تخف أنا متعلمة ركوب الهجين من أيام كان عمرى أربع سنين وخرج حمقان والبنت من غول البر وطلب فسيح البر فلم ينتصف الليل حتى دخل الى مكة ووصل الى الشريف عجلان ليلا وسلم عليه وقال له هذه بنتك ليس عليها

بأش ففرح الشريف وقال يامقدم حمقان نحن فى يقظة أم فى منام والله ما كنت أقول بفى تخلص من يد ذلك الغول فقال له خلى عنك هذا القول ولا تخف من الشر واعلم ان هذه رأس خصمك غول البر ففرح الشريف وقام على حيله وقبل حمقان فى فيه وبين عينيه وقال له ستر الله عرضك كما سترت عرضى ثم قدم خمس خيول من الخيل النجادى وقدم له مائة ناقة وجمل واعطى له الفين دينار ذهب وهدايا من ذخايره فقال حمقان يا سيدى الجرح قبل كل شىء أنا قصدى أن أركب فى مائة خيال وأقطع هؤلاء اللصوص الأنذال الذين اتبعوا الحرام وتركوا الحلال فقال له الشريف افعل ما تريد فاخذ من الأشراف مائة خيال وجماعته أربعين وطلع إلى محل الطائف فكانت عساكر غول مثل البهائم التى بلا راعى فناداهم حمقان الذى أرسلنى الشريف عجلان إلى مقدمكم غول البر قطعت رأسه وخلصت بنت الشريف عجلان وسلمتها إلى أبيها وأنا اتيت اليكم طالب حربكم وقتالكم ونهب أموالكم وسبى حريمكم وذبح أولادكم فان كان فيكم قدرة القتال فادفعوا عن أموالكم والعيال فقد أنذرتكم وان تقاتلوا قاتلتكم فلما سمعوا ذلك الكلام فنهم من هرب منهزما وطلب البر والآكام ومنهم من قال أنا أطيع الشريف وأطلب منه المسامحة ومنهم من طلب يحارب فانشال على رؤس الأسنة والقضبان ولم يفرغ النهار حتى طاعوا الجميع وأخذ كبارهم رهاين وقدمهم للشريف عجلان فاقام عليهم حكمه وأخذ للمظلوم حقه وتابوا على يديه وبقيت أرضهم أمان وعادوا إلى بلادهم وولى عليهم الشريف مشايخ معتمدين منهم هذا ما جرى هنا [وأما] حمقان فانه أقام فى مكة إلى أيام الحج وحج ثانى عام وأخذ الاجازة من الشريف عجلان برواحه إلى بلده فودعه وأحسن وداعه وسافر حمقان مع الحج الشامى ودام سائرا حتى وصل إلى الشام فلما وصل حمقان إلى الشام فالتقى الدنيا منقلبة من كل ناحية بالعويل والبكاء والشكاوى طالعة للديوان بكثرة من أهل الشام فطلع إلى الديوان وسأل عن الخبر من باشة الشام اقش النجيلى

فقالت له عدمت من الشام أولاد وبنات وذخاير ولا أعلم من هو الغريم الذى يفعل هذه الفعال ولم يخف من الكريم المتعال فقال حمقان وإيش نيتك أن تفعل مع أهل الشام فان الذى له ولد لم يسكت على ماله فقال اقش النجيلى أنا مرادى ان اكاتب ملك الاسلام وأطلب منه المعونة على تلك الأحكام فقال له اصبر على حتى أدخل الأسواق وانظر الاعانة من الملك الخلاق لعلنا أن نقع بالغريم وأنت ياأمير اقش لا تحرك ساكنا فقال سمعا وطاعة وسار حمقان ينتقل من مكان إلى مكان حتى دخل فى قلب خان منه

الخانات فرأى تجار ومعهم صناديق ومحزوم فقال لهم أنتم مسافرين إلى أى البلاد فقالوا له وأنت إيش لك بالسؤال فقال أنا قاطرجى وجمال أسأل عن الأحمال فقالوا له نسافر معك إلى بيروت فقال لهم كم حمل معكم فقالوا له خمسون حمل فقال عندى جمال تكفيهم وطلع يحضر جمال فالتق بالمقدم سعدون الرماحى فسلم عليه وقال له لأى شىء أتيت ها هنا فقال والله يا سيدى أنا بلغنى أنك خرجت من مكة ورجعت على الشام فأتيت إلى مقابلتك فحكى حقان لسعدون الرماحى بالذى يريد أن يفعله

فقال سعدون وأنا على الجمال والبغال ولا يكونوا إلا من برخانة الباشة بأمارة منك

فقال له قل له بأمارة ما قال لك لا تحرك ساكن فراح سعدون للباشا وأعلمه فأمر له بجمال على قدر طلبه فقال سعدون سيدى حقان يقول لك الا تتعرض لذلك الفعل حتى يتم شغله وبرزوا الاحمال وطلعوا من الشام فى قارعة الطريق وبرزوا خيامهم وفى الليل أحضروا النصارى وأدخلوهم الخيام وأصبحوا راحلين طالبين السفر وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى جسر الزيتون فنزلوا فى الصحرى بجانب الجسر يا جمل اطبخ لنا وسلموه الحلل والنحاس قال سمعا وطاعة وأضرم النار بعد ما ذبح خروف وقطع لحمه ووضعه فى الحلل ووضع فيه البنج ووضع لهم العشا فأكلوا جميعا وناموا برا الخيام مبنجين ودخل حقان ورجاله إلى داخل الخيام وفتح ذلك الصناديق فالتقوا فيها الاموال الذى عدمت من أهل الشام وكذلك الاولاد والبنات الذين عدموا من أهاليهم مبنجين وموضوعين فى الصناديق فلما نظر حقان إلى ذلك الحال فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال يا مقدم سعدون أريد منك أن تروح إلى اقش النجيلى باشة الشام فقال سعدون اكتب له كتاب وأنا آتيك به إلى هنا فى الحال فكتب له كتاب وأخذ سعدون الرماحى وركب على ظهر حصان من خيل التجار الذين معهم وطلب طريق الشام وسار طارحا الحصان حتى وصل إلى الشام ودخل على باشة الشام وأعطى له كتاب الامير حقان ففتحه يلتق فيه يا أمير اقش أنا قبضت على الغرماء وأولاد الناس وذخائر عندى فى جسر الزيتون فلا تقرأ الكتاب إلا ورجلك فى الركاب المعجل المعجل قبل فوات الامل فلما قرأ الباشا الكتاب ركب وركبوا معه أرباب خدمته على جرايد الخيل وطلبوا جسر الزيتون وكل منهم كأنه مجنون وصاروا يطوون الارض فلم يأتى عصر النهار حتى أدركوا حقان فى ذلك المكان وقابل حقان وقال له يا سيدى إيش عملت فقال له هؤلاء خصماك الذين كانوا يسرقون من بلاد الشام الامتعة والاولاد وتعاملوا على فساد البلاد فاطلقوا الاولاد والبنات من الصنادين

وحطموا اموال الناس واستلمها الباشا وعادوا إلى الشام وهم فى أفراح وانشراح ولما وصلوا إلى الشام دخل حمدان بموكب والعياق الذين كانوا جاعلين أنفسهم تجارقدامه فى الحديد حتى وصل إلى الديوان وقدمهم قدام الباشة حمدان وقال لهم أنتم من أى مكان فقالوا له نحن من مدينة القيطلان والسبب فى ذلك أن البب عبد المسيح بن عبد الصليب القيطلانى دخل عليه جوان وقال له لاى شىء تقيم بلا جهاد فى المسلمين وهم قاتلون اباك عبد الصليب واعمامك كنيار واكتوبريو وانا أتيت اليك أقويك على الجهاد كما أمرنى السيد المسيح فقال له يا ابانا من حين توليت مملكة القيطلان وأنا أورد الجزية الملك المسلمين وحامى بلادى ومريح عساكرى من الحروب والفساد فقال جوان حرام عليك لان المسيح يامرك ان تجاهد على دينه فلم يرض وكان عنده ثلاثة عياق أخوات رباهم كنيار القيطلانى ولهم صناعة فى البحر والبر كل واحد منهم أحيل من فار وأزوغ من ثعبان واسماؤهم بولص وبافرص ومنقريوس فلما سمعوا ما قال جوان للبب عبد المسيح فقالوا له يا أبانا جوان احنا نقدر ناخذ بثار ملوكنا الذين قتلوهم المسلمون ونسير فى صفة تجار وكل من قدرنا على قبضه نقتله وناتيكم برأسه فقال جوان لا تقتلوا مسلم الاهنا فى مدينة القيطلان فكل من قدرتم عليه أوضعوه فى صندوق وهاتوه الى القيطلان حتى تتفرج عليه النصارى عباد الصلبان وتفتخروا عن ملوك الزمان فقالوا له نعد لنا متجر اقمشة وبضايع حتى يعلموا الناس أننا تجار ولم ينكر أحد علينا فعند ذلك شد لهم عبد المسيح خمسين حمل بضائع من قماش وبضائع وصاروا الى الشام واكمنوا فى خان وباعوا بضائعهم بانقص من الاثمان حتى أن الناس رضوا عنهم المكاسب ولما فرغت البضائع التفتوا للعياقة وصاروا يخرجون من الخان ليلا ويطوفون الاسواق والاماكن حتى عرفوا كيف يكون العمل وصاروا يسرقون الذخائر ولما عرفوا أن حالهم مكتوم ولم يعلمه الا الله الحى القيوم صاروا يدخلون ليلا بيوت التجار يسرقوا متاعهم واولادهم ويعودون بهم الى الخان حتى أخذوا اربعين ولدا وعشرين بنتا واربعين ذخيرة من رأس اموال التجار

تم الجزء الاربعون ويليه الجزء الحادى والاربعون

من سيرة الظاهر بيبرس وبه ينتهى المجلد الرابع